

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

دولة الإرهاب

كيف قامت إسرائيل الحديثة على الإرهاب

تأليف: توماس سواريز
ترجمة: محمد عصفور



عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

صدرت السلسلة في يناير 1978
أسسها أحمد مشاري العدواني (1923-1990) ود. فؤاد زكريا (1927-2010)

دولة الإرهاب

كيف قامت إسرائيل الحديثة

على الإرهاب

تأليف: توماس سواريز
ترجمة: محمد عصفور



مايو 2018
460

عالم المعرفة

سلسلة شهرية يصدرها
المجلس الوطني للثقافة
والفنون والآداب

ترسل الاقتراحات على العنوان التالي:

السيد الأمين العام

للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص. ب: 28613 - الصفاة

الرمز البريدي 13147

دولة الكويت

هاتف: 22431704 (965)

www.kuwaitculture.org.kw

التنضيد والإخراج والتنفيذ

وحدة الإنتاج في المجلس الوطني

ISBN 978 - 99906 - 0 - 584 - 6

العنوان الأصلي للكتاب

State of Terror:

How Terrorism Created Modern Israel

By

Thomas Suárez

طُبع من هذا الكتاب ثلاثة وأربعون ألف نسخة

شعبان 1439 هـ ـ مايو 2018

المواد المنشورة في هذه السلسلة تعبر
عن رأي كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس

«إن تنامي الفاشية في فلسطين، بينما تسعى الشعوب التي تحررت إلى دفنها في لحدها، لهو ملهاة مأساوية»

عالم الفيزياء فولفغانغ يورغراو، وهو يهودي ألماني هاجر إلى فلسطين، لكنه غادرها في العام 1948، في مجلة «أورينت»، فبراير 1943(*).

(*) TNA, FO 1093/330

المحتوى

المقدمة

التعقيدات الغيبية وغيرها من الأساطير

النازي نازي سواء أكان يهوديا أم غير يهودي، وإنه لشعور زائف عند اليهود أن يدينوا النازية ويرضوا بالفاشية اليهودية.

احتجاج عبّرت عنه جماعة اشتراكية يهودية اسمها Hashomer Hatzair في 13 مارس من سنة 1946 في اجتماع سري للهاغانا، المنظمة التي شكلت نواة جيش الدفاع الإسرائيلي[1].

نتوي أن نهاجم ونحتل ونحتفظ إلى أن نحصل على أرض فلسطين وشرق الأردن كلها لنجعلها إسرائيل الكبرى. وهذا الهجوم هو الخطوة الأولى.

تصريح صحافي أصدرته في 13 أبريل من سنة 1948 منظمة الإرغون الإرهابية بقيادة مناحيم بيغن رئيس الوزراء الإسرائيلي فيما بعد، تعليقا على مذبحة دير ياسين التي كانت

«تحوّل الإرهاب الصهيوني إلى عمليات عسكرية إسرائيلية، والفلسطينيون الذين كانوا يحاولون العيش في بيوتهم وعلى أراضيهم إلى متسللين، بينما أصبح آلاف اليهود، الذين نُقلوا على عجل إلى بيوت مسروقة، مواطنين»

قد جرت قبل أربعة أيام، وهي مذبحة أيدتها الهاغانا ودعمتها بالرجال، فيها جرى وضع الرجال والنساء والأطفال في صف طويل وجرى تصويرهم وذبحهم بسبب انتمائهم إلى جنس آخر[2].

يُصوَّر «الصراع» الدائر بين إسرائيل والفلسطينيين في العادة بأنه صدام معقد لا حل له بين عدوين تاريخيين. لكن هذا الكتاب يقوم على مقولة تدعمها أدلة هائلة، مفادها أن هذا التاريخ المأساوي برمته وصولا إلى ما تكتبه الصحف في عناوين صفحاتها الأولى ليس سوى قصة واحدة لحركة سياسية تعرف بالصهيونية وتصميمها على الاستيلاء على فلسطين كلها لكي يستوطن فيها شعب «يهودي» يقوم على فكرة الانتماء إلى دم واحد – إلى «جنس» واحد - وإن ما يقال عن التعقيدات الغيبية ليس سوى سلاح في هذه الحملة يهدف إلى التعمية على السبب الحقيقي للمأساة، وإلى تزييف التفسير المقدم للعجز عن وضع حد لها، وإلى اختطاف الديانة اليهودية والاضطهاد الذي تعرض له اليهود لمصلحة هذا الهدف، ولتقديم القصة الخرافية، كأنها حقيقة للجماهير الغربية التي تدعم حكوماتها هذا الهدف.

هذا باختصار ما ظل الفلسطينيون يقولونه منذ بداية الاستعمار(*) الصهيوني وما سجله الشهود اليهود من أمثال ألفرد للينثال وموشيه منوهن منذ عقد الخمسينيات. وأضافت البحوث في عقد السبعينيات الدعم التاريخي لما كان ينبغي أن يستشف بوضوح من سلوك إسرائيل، وفي العقدين اللاحقين وجد «المؤرخون الجدد» في الأرشيفات الصهيونية ما دعم ما كان الفلسطينيون يقولونه طوال الوقت. غير أن أغلبية هؤلاء المؤرخين، مع استثناءات تجدر الإشارة إليها من أمثال إيلان بابيه،

(*) تستعمل اللغة الإنجليزية عددا من الكلمات التي تشير إلى سيطرة أمة على أخرى هي - Imperialism Colonialism – Hegemony—settlement - conquest – occupation. والكلمة المستخدمة في هذا الموضع هي colonization، ومعناها الاستيلاء على أراضي الغير لإنشاء colonies، كما يشير عنوان هذا الجزء من الكتاب. كلمة colony قد تعني «مستعمرة» أو «مستوطنة». وهذه الكلمات باللغتين ذات أحمال سياسية، واختيار هذه الكلمة أو تلك يعتمد على سياق الكلام.

تمسكوا بالاعتقاد الجوهري في الأحقية العرقية الذي ألغى أي اعتبار للظلم المستمر. أما إسرائيل فقد عادت إلى التكتم على الوثائق التي تناقض روايتها، ومنعت الكشف عن كثير من تلك التي حان موعد الكشف عنها[3].

كان الاضطهاد هو الدافع المزعوم وراء مهندسي الصهيونية السياسية في أوائل عهدها، وتأسيس دولة يهودية كان الحل. ولكن مهما كانت نوايا أي منهم في ذلك الوقت فإن تأسيس دولة تقوم على الاستيطان صار هو الهدف، وأن يكون اليهود المضطهدون وقودها المتجدد. ومع اكتساب المشروع الاستيطاني مزيدا من الزخم، ازداد الإدمان على هذا الوقود والحرص على عدم جفاف آباره. ومحو تاريخ فلسطين في التسامح الديني بالتدريج من الذاكرة؛ مع تنامي تصوير المعارضة الفلسطينية للهيمنة العرقية بأنها معاداة للسامية. وكانت الحرب العالمية الأولى قد أحلت حكم الاستعمار البريطاني محل حكم الاستعمار العثماني، فخلّف ذلك لدى الفلسطينيين شعورا بأنهم تعرضوا للخيانة: إذ كانت بريطانيا قد وعدتهم بالاستقلال في مقابل محاربة العثمانيين.

زادت نسبة السكان اليهود في فلسطين في القرن التاسع عشر، وهي نسبة قدرت بنحو 1.7 في المائة في القرن السادس عشر، وذلك في زحمة تنافس عدد من الدول على المصالح السياسية والدينية والسياحية والاقتصادية والاستراتيجية في المنطقة. وقد جاء اليهود بوصفهم حجاجا ومسافرين وكتابا، أو راغبين في الهجرة، كما قد يذهب أي شخص إلى بلد غير بلده. لكن مع بدايات عقد الثمانينيات من القرن التاسع عشر شهدت فلسطين نوعا مختلفا تماما من الوافدين: يهودا أوروبيين ذوي توجه علماني إلى حد كبير، ممن يناصرون الحركة الصهيونية الجديدة ذات التوجه العرقي. وجاء الصهاينة، ليس بصفتهم مهاجرين، بل بصفتهم مغتصبين ونظروا إلى يهود فلسطين نظرة احتقار - وهو احتقار بادلهم يهود فلسطين بمثله. ومع حلول القرن العشرين كانت نسبة اليهود من سكان فلسطين، من الصهاينة وغير الصهاينة قد ارتفعت إلى 6 في المائة[4].

كان دعاة الصهيونية يعترفون بأن هدفهم السياسي لا يمكن تحقيقه إلا باستخدام العنف ضد السكان - أو بما يعرف بالإرهاب(*)، حتى قبل أن يرسل الكشافة الصهاينة برقية إلى فيينا في سنة 1898 خيبت الآمال بتأكيدها أن فلسطين لم تكن بلادا خالية بل كانت «قد تزوجت» الفلسطينيين. وليس ثمة فرق كبير إن تحقق ذلك عن طريق قتل السكان أو طردهم والاستيلاء على وسائل عيشهم وتجويعهم والسيطرة على مياههم الجوفية، بقوانين تصمم لذلك الهدف، أو بجعل حياتهم من الصعوبة بحيث يغادرون «بمحض إرادتهم»[5].

يكثر الحديث عن معنى هذه الكلمة: الإرهاب. ومن الروايات الشائعة أن العنف الصهيوني لم يكن إرهابا لأنه استهدف المؤسسة البريطانية الحاكمة ولم يستهدف المدنيين. لكن هذا التعريف في سياق وضع فلسطين قبل سنة 1948 يتطلب تعريفا يفرط في تضييق معنى كلمة «المدنيين»، ويتطلب وصف جميع السكان غير اليهود في فلسطين مع حلول سنة 1948 بأنهم ليسوا مدنيين. كذلك جرى استهداف اليهود أنفسهم: فقد شكل مئات الآلاف من البشر في أوروبا وأفريقيا الشمالية والشرق الأوسط هدفا للعنف الصهيوني؛ لأنهم كانوا يهودا ولأن الصهيونية لم تعتمد على تهجير غير اليهود من فلسطين فقط، بل على تهجير اليهود إلى فلسطين أيضا. وتضمنت التكتيكات المعادية لليهود استغلال مخيمات للأشخاص المهجرين، والوقوف ضد المأوى الآمن في البلاد الأخرى، واختطاف الأيتام اليهود، وتدمير الجماعات اليهودية في شمال أفريقيا والشرق الأوسط؛ باستخدام

(*) هنالك فكرة تقول إن الفلسطينيين عرب تقاطروا إلى فلسطين بسبب الهجرة الصهيونية، وهي فكرة تحاول إلغاء حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم. وهذه الفكرة اخترعتها وأشاعتها جون بيترز في كتابها From Time Immemorial (منذ زمن سحيق)، ومن بعدها ألان ديرشووتس في كتابه The Case for Israel وحظيت بقبول واسع في الولايات المتحدة، وهي تستحق الذكر هنا بسبب هذا الشيوع. وللاطلاع على تحليل لهذا الادعاء «الذي يبلغ من سخفه أن المؤرخين المحترفين في إسرائيل تبرأوا منه» (عن Pappé, The Idea of Israel, 23)، انظر على سبيل المثال:

- Norman Finklestein, "Disinformation and the Palestine Question: The Not-So-Strange Case of Joan Peters' From Time Immemorial, in Said and Hitchens, eds., Blamimg the Victims: Spurious Scholarship and the Palestinian Question [London: Verso, 1988, 3370-];

- David Hirst, Gun and the Olive Branch, 812-.

وقبل بيترز بدأت المنظمة الصهيونية العالمية في الأربعينيات مشروعات بحوث في محاولة لا طائل من ورائها لطرح مثل هذا الادعاء (انظر Segev, Complete, 300). [المترجم].

الدعاية ومزاعم الإرهاب «العربي» - وذلك بهدف نقل الشعب «العرقي الصحيح» إلى فلسطين لخدمة دولة الاستيطان.

هل هذا «إرهاب»؟ على المستوى السياسي يجري قذف الكلمة أو إلقاؤها هنا وهناك كأن مقاطعها الصوتية هي التي تمتلك القدرة على الإدانة أو التسويغ، ولكن ذلك ليس سوى ضرب من ضروب التمويه: فمما لا مفر من التسليم به هو أن الصهيونية السياسية، بغض النظر عن الوصف الذي نطلقه عليها، تطلبت قدرا هائلا من العنف ضد العزل من الفلسطينيين واليهود والبريطانيين. وليست الحقيقة القائلة إن هدف الصهيونية تطلب، من بين ما تطلب، استهداف المؤسسة الاستعمارية البريطانية التي كانت قد غذتها، ذات صلة بالموضوع[6].

لم تتمكن منظمة الأمم المتحدة من الاتفاق بعد على تعريف للإرهاب، وذلك بالدرجة الأولى بسبب الخلاف بشأن ما إذا كان من الواجب استبعاد الكفاح المسلح من أجل التحرير وتقرير المصير من دائرة ما يعنيه المصطلح. لكن هذا الاستثناء لن يكون له أثر في موضوعنا، وذلك لأن العنف الصهيوني سعى بالتحديد إلى منع تقرير المصير وإلى فرض حكم أقلية تقوم على العرق - «بما يتناقض وأوضح مبادئ الديموقراطية»، وفق كلمات ماير سولزبيرغر، أحد مؤسسي الرابطة العبرية للشباب. وقد اتفق الزعماء اليهود بمختلف أطيافهم، من «المعتدل» حاييم فايتسمان إلى مناحيم بيغن وإسحاق شامير، الإرهابيّين المطلوبين للعدالة، على التنديد بأي كلام عن تحقيق ديموقراطية فلسطينية. ولأجل تبرير ذلك لجأوا إلى أعذار مختلفة منها أن «العرب» شعب أدنى، وبالتالي هم لا يستحقون حق التصويت؛ وأن اليهود كلهم «مواطنون» فلسطينيون بالدم، ما يقتضي أن يكون من حق يهود العالم الانتخاب، أينما كانوا. وأن صوت اليهودي المعارض للصهيونية يعتبر مُلغى لأن الصهاينة يعرفون ما هو أفضل لليهود؛ وأن اليهود كانوا أكثرية في بلد توراتي كبير قبل ألفي سنة أو ثلاثة آلاف، وأنهم لم يتخلوا عن حقهم به، وأن ادعاء الحركة الصهيونية بحق اليهود في فلسطين لا يخضع للمعايير التي تخضع لها بقية الأمم[7].

إن السيطرة على قدرتي اللغة المتعارضتين - قدرتها على التعبير عن الفكر الإنساني، وقدرتها أيضا على إملاء الفكر الإنساني خفية، وهذا هو الأهم لموضوعنا - هي من مقومات الدولة، وهي قدرة تمتعت بها الصهيونية منذ العام 1948، ولكنها قدرة لايزال الفلسطينيون محرومين منها. فقد جاءت دقة الساعة معلنة منتصف ليلة الخامس عشر من مايو العام 1948، بخسوف «أُورْوِلِيّ»(*) للغة لاتزال دولة إسرائيل تهرب في عتمته من ضوء النهار. فقد تحول الإرهاب الصهيوني في تلك اللحظة إلى عمليات عسكرية إسرائيلية، وتحول الفلسطينيون الذين كانوا يحاولون العيش في بيوتهم وعلى أراضيهم إلى متسللين، بينما أصبح آلاف اليهود الذين نقلوا على عجل إلى بيوت مسروقة «مواطنين». واليوم لا يوصف الإسرائيليون المسلحون الذين يعتدون على الأرض الفلسطينية، ويغتصبون بيوت غير اليهود، ويطردون أو يقتلون سكانها بأنهم إرهابيون أو متسللون، بل بأنهم «مستوطنون»، وهي عبارة تروق للأمريكيين على نحو خاص؛ لأنها تستدعي لذاكرتهم الرواية الخاصة بنشأة الشعب الأمريكي، كما يتلقونها في كتب المدرسة، - وهذا أمر كان قادة من أمثال بن غوريون يحبون استغلاله. صار هؤلاء «المستوطنون» يُدعَون «مواطنين»، ولذا فهم ضحايا لأي مقاومة، بينما يصبح أفراد العائلات التي يمارس المستوطنون التطهير العرقي ضدها متطرفين أو إرهابيين إذا ما حاولوا الدفاع عن عوائلهم وبيوتهم[8].

حصلت المليشيات الصهيونية على دعم واسع من المستوطنات اليهودية، لاسيما من فئة الشباب الذين أدخلت المبادئ الصهيونية في أذهانهم. وكان البريطانيون عاجزين عن الحد من الدعم المادي الذي يغدق على تلك المليشيات في فلسطين وفي الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا. ومع أن اسم الوكالة اليهودية يرتبط، أكثر ما يرتبط، بمنظمتي الإرغون وليهي

(*) نسبة إلى جورج أورول، مؤلف الرواية الشهيرة «1984» التي تصور بعض صفحاتها استغلال اللغة لخدمة النظام الديكتاتوري. وانظر ترجمتي لفصل كتبه أورول بعنوان «السياسة واللغة الإنجليزية» نشر في المجلة الثقافية التي تنشرها الجامعة الأردنية، العدد 90 (2016)، ص 54-70.

«عصابة شْتيرْن» الشهيرتين فإن منظمة الهاغانا(*) التابعة لها لم تكن تختلف عنهما كثيرا. ومع حلول أوائل العام 1948 كانت المنظمة المسماة البالماخ(**)، ذات التدريب العالي، تثير الرعب في السكان غير اليهود بحملات التطهير العرقية الفظيعة؛ التي فاقت قدرات كل من الإرغون أو ليهي.

ارتكب الفلسطينيون أعمالا إرهابية هم أيضا، ويجب ألا يفسر تركيز هذا الكتاب على الإرهاب الصهيوني أنه تبرير للعنف الذي مارسه الفلسطينيون ضد المدنيين. على أن الإرهاب الصهيوني هو الذي أملى، في نهاية المطاف، مسار الأحداث في أثناء الانتداب، ولايزال إرهاب الدولة الإسرائيلية هو الذي يملي مسار الأحداث في هذه الأيام. لقد كان الإرهاب الفلسطيني آنذاك، مثلما هو اليوم، ردُّ فعل للهيمنة العرقية الصهيونية وللاستيلاء على الأراضي والمصادر والعمل. ذلك أن أي شعب يهاجَم سيقاوِم، وسيكون من بين أي جماعة أناس يقاومون بطرق متطرفة، خاصة عند حرمانهم من أي وسيلة من وسائل الدفاع عن النفس. ولا يمكن للدولة المعتدية الاستشهاد بالعنف الذي يقاوم عنفها بحجة أنه تهديد لا بد لها من مقاومته - وإلا فإن أنواع العنف جميعها ستجد ما يسوغ لها عنفها. غير أن هذه هي بالذات طبيعة ما يوصف بأنه «دائرة العنف» أو «الصراع» في إسرائيل - فلسطين.

جاء الإرهاب الفلسطيني في فترة الانتداب البريطاني، أساسا، في أواخر عشرينيات القرن الماضي وثلاثينياته، وكان بمنزلة الرد المباشر لإدراك الفلسطينيين أن الصهيونية تسعى إلى طردهم من بلادهم. ففي بيئة منعت فيها حتى الكتابات المناهضة للصهيونية أصبحت المقاومة الفلسطينية السلمية - كالديبلوماسية والاسترحامات والإضرابات والمقاطعات - غير ذات جدوى. وكان الرد البريطاني على الإرهاب الفلسطيني وحشيا لا هوادة فيه. فقد شُنق المشتبه فيهم على عجل، ودُمرت مئات البيوت التي يملكها فلسطينيون

(*) يكتب وليد الخالدي هذه الكلمة «الهاغاناه» باستمرار لأنها ترد بصيغة Haganah أحيانا، ولكن الكتاب الحالي يسقط الحرف الأخير منها. وأنا أرى أن إسقاطها من التهجئة العربية أفضل لأنه يعفينا من حركة الإعراب (المفترضة) على الهاء الأخيرة.

(**) يكتبها وليد الخالدي البلماح. [المترجم].

أبرياء، واستخدم الفلسطينيون دروعا بشرية. وقد أدت هذه الإجراءات، مع قدْر من التعاون من قبل الشعب الفلسطيني، فضلا عن قدْر محدود من التأكيدات التي تضمنها الكتاب الأبيض الصادر سنة 1939 (وهو الكتاب الذي سعى إلى تنظيم الهجرة اليهودية وعمليات الاستيلاء على الأراضي) إلى وقف الإرهاب الفلسطيني قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية بعام واحد[9].

ظل المسؤولون البريطانيون طوال سني الحرب العالمية الثانية والسنوات التي أعقبتها، وحتى إجراء التقسيم، يعبّرون عما لاحظوه من انضباط الفلسطينيين في مواجهة الهجمات اليهودية المتزايدة. غير أن الفلسطينيين كانوا على علم تام، شأنهم في ذلك شأن المخابرات الأمريكية والبريطانية، بأن الصهاينة «المعتدلين» لن يتوقفوا حتى يستولوا على فلسطين التاريخية بكاملها؛ لتصبح دولة تقوم على التفوق العرقي. لكن البريطانيين تحاشوا اتخاذ أي إجراءات قوية ضد الإرهاب الصهيوني، خوفا من أن تنطلق ثورة لم يكن في وسعهم كبحها، ومن أن تؤدي إجراءات من ذلك النوع إلى تزويد الحركة الصهيونية بمادة للدعاية، في الولايات المتحدة على وجه الخصوص، وذلك على النقيض من معاملتهم للفلسطينيين[10].

ومع ازدياد ثقة الحلفاء بهزيمة هتلر، ارتفعت وتيرة العنف الصهيوني، وغدا بمنزلة التحدي الأكبر للحياة في فلسطين. واستغلت الجماعات الصهيونية الإرهابية والزعماء الصهاينة «المعترف» بهم كراهية العالم التي لا تحدها حدود للنازيين لتأطير معركتهم في فلسطين بعدها الجبهة الجديدة. فأغرقت المستوطنات اليهودية بالنشرات والملصقات والإذاعات التي حملت رسالة تقول إن البريطانيين لا يختلفون عن النازيين، وإن أهدافهم واحدة. وفي أواخر العام 1947، أي عندما تأكد خروج بريطانيا، أعادت المليشيات الإرهابية توجيه بنادقها وتهم النازية باتجاه العقبة المتبقية في طريق سعيهم إلى الاستيلاء على فلسطين التاريخية، أي باتجاه الفلسطينيين أنفسهم. فقد كان اليهود الذين نجوا من الحرب في أوروبا وانجرحوا عاطفيا منها قد لقنوا بالأفكار الصهيونية في مخيمات المهجرين التي يديرها الصهاينة، وخلاصتها أن فلسطين هي أملهم الوحيد للبقاء، فلسطين التي يسكنها ورثة معذبيهم الألمان الذين

جرت هزيمتهم قبل فترة وجيزة، ولذلك منعتهم قسوة قلوبهم من النظر في دواخلهم، عندما راحوا، بعد ثلاث سنوات من هزيمة دول المحور، يزيلون القرية تلو الأخرى بسبب انتماء أهلها إلى عرق آخر. أما «المجتمع الدولي» فقد تصرف كأن القرار 181 الصادر عن هيئة الأمم المتحدة الذي أوصى بتقسيم فلسطين إلى دولة «يهودية» (صهيونية) ودولة فلسطينية سيتحقق من تلقاء نفسه، ولم يتضمن إجراءات تمنع التطهير العرقي الذي سينصب على غير اليهود، وهي الكارثة التي كان كل مسؤول مطلع يخشى من حلولها القريب. أما البريطانيون فقد غسلوا أيديهم من الكارثة التي خلقوها، مهما قيل عن الإجراءات المحدودة التي حاولوا اتخاذها في أثناء انسلالهم من فلسطين.

وليس من قبيل المبالغة أن نصف القرار 181 بأنه خدعة. فقد مارست إدارة ترومان، في الولايات المتحدة، كل ثقلها السياسي لتمرير القرار؛ لأنها كانت تعلم أن «قبول» الوكالة اليهودية للتقسيم لم يكن سوى تحرك عملي ضمن جدران الأمم المتحدة. فقد حذرت المخابرات البريطانية والأمريكية من أنه ليس ثمة من زعيم إسرائيلي، أو أحد من المستوطنين كافة، لديه النية في احترام قرار التقسيم. فالحقيقة هي أن ثمة وثائق، يعود تاريخها إلى ما قبل انتهاء حكم الانتداب، تثبت أن البريطانيين والأمريكيين كانوا واثقين بأن خروج بريطانيا سينتج عنه إنشاء دولة يهودية ليس وفق قرار التقسيم، بل وفق مساحة الأراضي التي ستتمكن الميليشيات الصهيونية من السيطرة عليها بالقوة. بل إنهم كانوا واثقين بأن البقية المتبقية لن تكون هي الدولة الفلسطينية التي نص عليه القرار 181، بل ستنضم إلى الأردن (ومصر)، بانتظار المغامرة التوسعية الإسرائيلية المقبلة، وفق افتراضهم أيضا. فالتقسيم لم يكن للصهاينة سوى خطوة غير مرغوب فيها ولكنها ضرورية، لكونها وسيلة للحصول على أقوى سلاح يمكنهم بواسطته هزيمة التقسيم واحتلال فلسطين كلها: أي الحصول على صفة الدولة.

كان الفلسطينيون على وعي مؤلم بأن الدولة اليهودية المقترحة لم تكن سوى موطئ قدم لمزيد من الغزو والطرد، وهو ما دعاهم إلى رفض التقسيم، وليس رفضهم للتخلي عن حقهم في تحقيق مصيرهم. وفي أوائل

العام 1948 ادعى الزعماء الصهاينة أن حشدا ضخما من الجيوش العربية كان يسعى إلى تدمير دولتهم، التي لم تولد بعد، فانقضّت مليشياتهم على مختلف مناطق فلسطين ودمرت القرى غير اليهودية من دون أن تجد من يواجهها. ولم تحدث معارك تذكر في إسرائيل - إذ لم يدخل أي جيش عربي إلى فلسطين إلا بعد أن استولت الجيوش الصهيونية على كثير من الأراضي التي كانت من نصيب الفلسطينيين وفق قرار التقسيم، وعندما دخلت تلك الجيوش جرى الجانب الأعظم من القتال على الأراضي الفلسطينية للدفاع عنها. ولم تجرِ على أرض إسرائيل إلا معارك صغيرة، ومع ذلك فإن إسرائيل أشارت إلى أن تلك الجيوش تشكل تهديدا لوجودها ولذلك فإن عدوانها مبرر.

بحلول الوقت الذي تعيّنت فيه هدنة وقف إطلاق النار، كانت إسرائيل قد استولت ليس على 56.5 في المائة من فلسطين التي عينتها الأمم المتحدة لدولتها ومارست عليها التطهير العرقي، فقط، بل استولت على نصف نصيب الفلسطينيين أيضا. ولم يكن خط الهدنة ذاك إعادة رسم لخط التقسيم، ولم يعط إسرائيل حق الاحتفاظ بالأراضي التي استولت عليها، ولكن إسرائيل سرعان ما أسكنت مئات الآلاف من المهاجرين الجدد على الأراضي الفلسطينية المسروقة وليس في إسرائيل، وذلك لجعل ما سُرق غير قابل للاسترجاع. وفي تلك الأثناء احتل زعماء العصابات الإرهابية مواقع أساسية في الحكومة الإسرائيلية الجديدة، وذهب مناحيم بيغن، أشهر الإرهابيين، إلى نيويورك وراح يجمع التبرعات علنا من أجل الاستيلاء على بقية فلسطين. ولذا فإن آن أوهير مكورمك، المراسلة الشهيرة لصحيفة «نيويورك تايمز»، أعلنت في يناير من العام 1949 أن حل الدولتين مات بسبب العدوان الإسرائيلي[11].

وهكذا حشر الفلسطينيون، الذين مارست إسرائيل التطهير العرقي ضدهم في الجزء الذي أعطي لها بقرار التقسيم، وفي الجزء الذي احتلته احتلالا غير قانوني حتى خط الهدنة، في ما تبقى من فلسطين. وعندما حاول الفلسطينيون العودة إلى أراضيهم بعد توقف المعارك منعتهم إسرائيل، متحدية مطالب الأمم المتحدة بالتوقف عن ذلك، بينما سعت

إسرائيل إلى الحصول على عضوية الأمم المتحدة، وحصلت عليها. أما وقد فقد الضحايا كل ما يملكون فإن كثيرا منهم قتلوا حيثما شوهدوا حينما حاولوا العودة إلى بيوتهم لجمع محاصيلهم، أو لاستعادة مدخراتهم التي كانوا قد خبأوها عندما هربوا من الاجتياح. وبحلول أواخر العام 1953 كان العنف الإسرائيلي ضد المزارعين والقرويين الساعين إلى الوصول إلى بيوتهم والهجمات الإرهابية التي تخطت خط الهدنة داخل الضفة الغربية (التي يحكمها الأردنيون) وقطاع غزة (الذي يحكمه المصريون) قد أدى فعلا إلى ردود فعل فلسطينية مسلحة، ولكن على نطاق لا يُذكر بالمقارنة مع الأعمال العدوانية الإسرائيلية التي استدعته.

كان من الممكن لحادثتين وقعتا في أواسط الخمسينيات أن تؤديا إلى إنهاء العدوان الإسرائيلي. فقد بلغ العنف الذي مارسته إسرائيل ضد جيرانها من الخطورة حدا جعل بريطانيا تضع خططا لتحييد القوة الجوية الإسرائيلية بكاملها والمنشآت الأساسية للاتصالات العسكرية. والأمر الثاني أنه اكتشف أن إسرائيل كانت تستهدف مواطنين بريطانيين وأمريكيين في عملية خادعة فشلت. ولكنه زواج مصلحة ذو بعد جيوسياسي حصل على الاعتبار الأول في اللحظة الأخيرة، إذ اختارت بريطانيا، بدلا من مهاجمة إسرائيل، حشد قواتها مع قوات إسرائيل وفرنسا لمهاجمة مصر، وبذلك خلقت ما يعرف بأزمة السويس.

تزودنا هذه «الأزمة»، وهي الحرب الأولى التي تخوضها إسرائيل بعد العام 1948، بنقطة منطقية لينتهي عندها الكتاب. فقد كانت هذه الدولة التي تبلغ من العمر ثماني سنوات، والتي تسلحت بالسرد الخلاصي(*) الذي يخدمها، قد أسست أنماط سلوك وطني لاتزال توجهها بغض النظر عن زعمائها العابرين. فبعد حرب السويس تخلى «المجتمع الدولي» عن مطالبة إسرائيل بالتوقف عن منع عودة اللاجئين، وعن مطالبتها بوضع

(*) الكلمة الأصلية هنا هي messianic، وهي مستمدة من كلمة messiah بمعنى المخلص، وتعطينا أيضا كلمة messianism أو الخلاصية، وهي معتقد يشبه الاعتقاد بعودة المسيح أو المهدي المنتظر. والفكرة العامة هي الإيمان الغيبي بشيء تنتظره الأمة ليخلصها من وضع لا تريده. ومن هنا جاء عنوان هذه المقدمة. [المترجم].

حد لاحتلالها للأراضي الفلسطينية. وبعد مضي عقد آخر من الزمن، فشل ذلك المجتمع في وقف إسرائيل عن التطهير العرقي لثلاثمائة ألف من البشر في حرب العام 1967. وأصبح خط الهدنة «المؤقت» يعرف بحدود العام 1967، وحتى هذا جرى إلغاؤه بعدما استولت إسرائيل على مزيد من أرض فلسطين: الضفة الغربية التي احتلتها وضمتها من الناحية الفعلية، وإن لم تفعل ذلك بالاسم(*) (فضلا عن مرتفعات الجولان السورية)؛ والقدس الشرقية التي ضمتها علنا من دون اكتراث بعدد من قرارات مجلس الأمن؛ وغزة التي تحتلها من خلال حصار بالغ القسوة.

قطاع غزة هذا هو الذي يصورونه بأنه مصدر الهجمات الإرهابية التي تظهر أكثر ما تظهر على شكل هجمات صاروخية عبر الخط على بلدات إسرائيلية مثل سْديروت (التي ما هي في الواقع سوى قرية نجد الفلسطينية التي استولت إسرائيل عليها في العام 1948 ومارست ضدها سياستها في التطهير العرقي). وتشير وسائط الإعلام الغربية إلى هذه الصواريخ كأنها تحدث في الفراغ، كأنها سبب وليست رد فعل، وتصور حصار إسرائيل القاتل لغزة ليس بوصفه إرهابا بل بعده السور المنيع الذي يمنع البرابرة من العبور. أما المشكلة نفسها فلا يجري الحديث عنها: وهي مشكلة مليون لاجئ فلسطيني لايزالون في انتظار أن يوقف العالم منع إسرائيل لهم من العودة إلى وطنهم، بحصارها الرهيب الذي حول هذا القطاع الساحلي الجميل إلى سجن هائل، وبمذابحها التي ترتكبها من الجو من دون تمييز، وبقتلها صيادي السمك الغزيين لأنهم يصيدون في مياههم، وقصف المزارعين الغزيين لمجرد أنهم يزرعون أراضيهم. وكما قالت الصحافية الإسرائيلية أميرة هاس، تمثل غزة «التجربة الإسرائيلية المعروفة المسماة «ضعهم في طنجرة الضغط وانظر ما سيحصل»[12].

(*) تحصل إسرائيل على فوائد مهمة من عدم ضم الضفة الغربية رسميا، فعدم الضم (1) يعطي الانطباع بوجود «حكومة» فلسطينية، وهذا يعفيها من مسؤولياتها القانونية أمام القانون الدولي؛ (2) يمكنها من حرمان الفلسطينيين من حق التصويت بينما هي تحافظ على الديموقراطية الإسرائيلية الظاهرة على رغم أن السلطة التي تسيطر على الفلسطينيين هي إسرائيل وليس السلطة الفلسطينية؛ (3) تنقل تكاليف مسؤولية تكبيل الاقتصاد الفلسطيني إلى «المجتمع الدولي»، مما يجعل «المعونة الأجنبية» لفلسطين معونة مخفاة لإسرائيل؛ (4) القمع السياسي للفلسطينيين يجري باسم السلطة الفلسطينية وليس باسم إسرائيل. [المترجم].

اعتمدت في المعلومات التي سردتُها في هذا الكتاب عن الهجمات الصهيونية على الوثائق التي رفعت عنها السرية في الأرشيف الوطني لبريطانيا العظمى (في مدينة كيو) في المقام الأول. وكان مؤلفو هذه الوثائق موظفين رسميين، ومراقبين على الأرض، يسجلون بدقة ويعلقون بمنتهى الصراحة. أما الوثائق الصهيونية فقد استخدمت وثائق المنظمات الإرهابية نفسها كلما أمكن ذلك، والوثائق المترجمة كاليوميات وسجلات الوكالة اليهودية وكتابات الباحثين الإسرائيليين الذين دققوا في الأرشيفات الصهيونية التي أتاح الاطلاع عليها بالدرجة الأولى كل من إيلان بابيه وبني موريس وتوم سغف. وقد استكملت هذه المعلومات بما حصلت عليه من وثائق المخابرات الأمريكية، ومن الكتابات المتاحة عن هذا الموضوع.

كانت عبارة «الإرهاب اليهودي» هي العبارة الشائعة في عهد الانتداب، ولكنني فضلت أن أستخدم عبارة «الإرهاب الصهيوني»؛ الأصح، مثلما كان ممثلو العرب في الأمم المتحدة يفعلون في العامين 1947-1948، إلا إذا كنت أقتبس أو أروي عن مصدر من المصادر. وعند الإشارة إلى أهل فلسطين الأصليين فضّلت استخدام كلمة «الفلسطينيين» الواضحة، وليس كلمة «العرب» ذات الدلالة العرقية العامة، خصوصا أن كلمة «العرب» تستخدم وسيلة للاستيلاء، وتصور الفلسطينيين بأنهم قوم لا اسم لهم، وليسوا سوى كائنات هلامية من البدو الرحل الذين يتحركون ضمن كتلة ضخمة من العرب، يجدر بهم أن يختفوا في تلك الكتلة[13].

هنالك فقرات تتناول السنوات الواقعة بين العامين 1944 و1947، ولكنها في الواقع ليست أكثر من سرد لهجمات بلا تعليقات. وقد قدرت أن ذكْرها في النص وفق وقوعها ضروري للكتاب، لأن تلاحقها الذي لا انقطاع فيه جزء من السياق. ومع ذلك فقد يشعر بعض القراء بأنها مملة، وقد يفضلون النظر إليها على عجل من دون أن يضيع المعنى العام للقصة.

توم سواريز

لندن، أبريل، 2016

ملاحظات

عن مصطلح «الصراع»

تسيء كلمة «الصراع» تفسير الواقع لمصلحة إسرائيل. إذ يفترض استعمال مصطلح «الصراع» - وفق تفسير الرابطة الأنثروبولوجية الأمريكية التي أرسلت مجموعة من باحثيها لدراسة الوضع في إسرائيل - فلسطين (التقرير السابع بتاريخ 1 أكتوبر 2015، ص 7) - أن الطرفين متكافئان من حيث المصادر (بما في ذلك المصادر المادية، وحرية الحركة، وحرية التعبير عن الرأي، إلى جانب وسائل العنف)، ولكنهما يتصارعان لأن مصالحهما تتعارض. غير أننا نتعامل هنا مع وضع احتلال؛ يتحكم فيه أحد الطرفين تحكما عسكريا، أو غير عسكري، بالأرض والزمان والحرية وغير ذلك من المصادر التي يعتبر تحكم الطرف الثاني فيها تحكما هو من حقه.

عن مصطلحات «اليهودي»، و«العربي»، و«الفلسطيني»، و«الصهيوني»

أصبحت الكلمتان «يهودي» و«عربي» في الاستعمال اليومي منذ استيلاء الصهيونية على فلسطين هما الكلمتين المختصرتين الإشكاليتين للتمييز بين الجانبين في إسرائيل/ فلسطين. وبما أن الانتماء بالدم هو الذي تستعمله الصهيونية لتمييز طبقتها المتفوقة على الطبقات الخاضعة لها، وليس الدين أو الخلفية الثقافية أو مسقط الرأس، فإن إسرائيل دولة تقوم على أساس العرق، على رغم وجود «أعراق» مختلفة تتمثل في هذا الانتماء من خلال الدم. ويتفق تعريف اليهود من خلال الانتماء بالدم هذا مع التعريف النازي لليهودي، وليس من خلال الفهم التقليدي الذي يجعل اليهودي شخصا ينتمي إلى الديانة اليهودية. ولهذا فإن العداء للسامية الذي مارسته النازية والصهيونية السياسية يختلف عن العداء التقليدي للسامية الذي مارسه كل من فرديناند وإزابيلا في إسبانيا، وفيه كان يعرف اليهودي بديانته، ولذا فإنه لا يبقى يهوديا إن اعتنق ديانة أخرى. أما كلمة «عربي» فيمكن تعريفها تعريفا عاما بأنها تعني مجموعة عرقية لغوية تضم عددا من الأديان أهم أتباعها هم المسيحيون والمسلمون واليهود والدروز، وهم ينتشرون بالدرجة الأولى في أفريقيا الشمالية والشرق

الأوسط. أما المصطلحان «صهيوني» و«صهيونية» فيشيران في هذا الكتاب إلى حركة سياسية، ولا يشيران أبدا إلى الصهيونية «الروحية»(*).

التسميات

استعملت التهجئة الموجودة في التقارير التي استشهدت بها عند ذكر أسماء القرى الفلسطينية والمستوطنات اليهودية.

الوكالة اليهودية

انبثقت هذه الوكالة من الهيئة الصهيونية التنفيذية في فلسطين، واعترف بها البريطانيون بوصفها الكيان الذي يحكم المستوطنات الصهيونية في فلسطين.

الجيش العربي

قد يثير هذا الاسم شيئا من سوء الفهم في هذه الأيام. فقد كان هذا الجيش جيشا أسسه البريطانيون وتولوا قيادته في العام 1920 للدفاع عن منطقة شرق الأردن؛ التي احتلها البريطانيون بعد الحرب العالمية الأولى. وقد أدى هذا الجيش دورا مهما في الحرب ضد دول المحور، في الحرب العالمية الثانية، تحت إمرة جون باغت غُلب (غلوب باللفظ الأردني) الذي تولى قيادة الجيش من العام 1939 حتى العام 1956، عندما تحول ليغدو «الجيش الأردني».

الليرة الفلسطينية

تجري الإشارة إلى كل من الباوند البريطاني (£) والليرة الفلسطينية (£)، ولتوضيح قيمة الليرة الفلسطينية في العام 1929 أقول إن المعلم كان يحصل على ما لا يقل عن 60 ليرة وما لا يزيد على 340 ليرة في السنة. (تقرير حكومة جلالته:.. فلسطين وشرق الأردن... 1929، ص 65).

(*) يعرّف قاموس راندم هاوس كلمة Zion من هذا الجانب بأنها تعني السماء بوصفها مكان الجمع الأخير للمؤمنين الصادقين، كما يرد في الرسالة إلى العبرانيين 22:12.

مصطلحات ومختصرات

- قسم التحقيقات الجنائية

-CID = Criminal Investigation Department

- الصندوق القومي اليهودي

-JNF = Jewish National Fund

- المابأي = حزب العمال في إسرائيل؛ اندمج بحزب العمل في العام 1968

-Mapai = Political ('Workers') party in Israel. Merged with the Labor Party in 1968.

- الضابط أو الحاكم الإداري

-OAG = Officer Administering Government

- الإصلاحيون: فرع من الحركة الصهيونية أنشأها زئيف جابوتنسكي، منشئ منظمة الإرغون ، وهو فرع يدعو إلى تحقيق الأهداف القصوى على جانبي نهر الأردن.

-Revisionists = Branch of the Zionist movement founded by Irgun - founder Ze'ev Jabotinsky that advocated maximal aims on both sides of the Jordan.

- شرطي إضافي مؤقت

-TAC = Temporary Additional (or Assistant) Constable

- لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين (الأنسكوب)

-UNSCOP = United Nations Special Committee on Palestine

- المجلس العام ليهود فلسطين

-Va'ad Leumi = General Council of Palestinian Jews

- القسم الحربي

-WD = War Department

- المنظمة الصهيونية العالمية

-WZO = World Zionist Organization

- المنظمة الصهيونية الأمريكية

-ZOA = Zionist Organization of America

تتضمن الوثيقة المرقمة 169 4334/WO مسردا للمصطلحات العبرية ذات العلاقة بعهد الانتداب، وهي موجودة في الأرشيف القومي في كْيو.

جميع الكلمات التي تبرزها الطباعة بوضع خط تحتها، أو باستخدام الأحرف المائلة، أو الأحرف الكبيرة هي على هذا النحو في الأصل.

القسم الأول:

أراضي شعب آخر

الهيكل الثالث

النظرية القائلة إن اليهود سيذهبون إلى فلسطين ويخرجون المزارعين المسلمين منها «لقاء أثمان عادلة»، أو غير ذلك من الوسائل، تنتهك مبادئ السياسة الحكيمة، ولسوف يعزو مؤرخو المستقبل إلى هذه السياسة سبب اندلاع حرب طاحنة بين العرقين الأبيض والأسود، وهي حرب ستنجر أمريكا لها من غير شك.

- أنستزذر ماكي

في مجلة أتلانتك منثلي، يوليو 1920[1].

الدكتور فايتسمان، الذي يعتبر أقوى الغرباء المنتمين إلى فئة دينية، هو الذي يغرينا الآن بالبقاء في فلسطين حتى ذلك اليوم الذي نغرق فيه حتى الأذنين في مصيبة لن يكون في مقدورنا أن تغير مسارها أو أن نصححها.

- الديلي إكسبرس

نوفمبر، 1922[2].

«بينما كان المستوطنون ينظرون إلى السماء لإثبات حقهم السماوي في العودة، انقلبوا إلى الأرض ليثبتوا صحة قصتهم التوراتية»

عندما أعادت عصبة الأمم تشكيل الإمبريالية القديمة، وأعطتها شكلا جديدا يناسب حساسيات الحقبة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى، كان مشروع «الوطن القومي» الصهيوني في فلسطين هو مشروعها الاستيطاني المكشوف الوحيد. أما المشروعات الاستعمارية التي قامت بها العصبة، كالانتداب البريطاني، الذي أمد مشروع الوطن القومي ذاك بالقوة، فقد نظر إليها على أنها مؤقتة. بينما أصر زعماء الصهيونية الأوروبيون على أنهم لم يكونوا مستوطنين، بل «عائدين» إلى فلسطين لإعادة تشكيل إسرائيل التوراتية. غير أن دعواهم الغريبة - القائلة إن اليهود قوم موعودون تقوم حقوقهم على نص ديني قديم، وإنهم ورثوا جواز سفرهم بالجينات؛ حقوق ورثوها من شعوب سامية من الشرق الأوسط القديم - تلك الدعوى وضعت هالة غيبية على ما كان في ظاهره المعقد مشروعا استيطانيا أوروبيا، في عالم قيل إنه جاء بعد عهد الاستعمار. «الكتاب المقدس هو ما يعطينا الحق في الاستيلاء على فلسطين» وفقا لتعبير بن غوريون[3].

ظلت الأقوال الأيديولوجية التي تصدر عن المشروع الاستيطاني بدءا من فايتسمان وبن غوريون، وصولا إلى عصابة ليهي الإرهابية المتعصبة، تصدر مغلفة باللغة الخلاصية(*). ومن هذه الأقوال: الصهيونية تشيِّد الهيكل الثالث، المملكة الأخيرة، بعث يقوم من رماد الهيكل الثاني، ومن هيكل سليمان الذي يرد ذكره في النصوص غير المعتمدة(**). معاركها، أعداؤها، انتصاراتها، كلها ذات صبغة توراتية. والدولة التي أوجدتها هيئة الأمم المتحدة بقرارها الرقم 181 كانت بعثا لتلك التي خلقها الله. وكاد بن غوريون يضع نفسه بين الأنبياء بادعائه أن انتصاره في سنة 1948 شكّل الحدث الحاسم الثالث في تاريخ اليهود كله بعد الخروج من مصر، وبعد تلقي موسى الوصايا العشر على جبل سيناء. وفي الولايات المتحدة خضع الأصوليون المسيحيون لإغراء تلك المناسبة؛ لاعتقادهم أنهم هم أنفسهم يعيشون تلك النبوءات، ألا وهي النبوءات التي تقول ببداية

(*) نسبة إلى الـ Messiah أي المخلص. انظر الشرح في موضع آخر من هذه الترجمة.

(**) تدعى هذه النصوص apocryphal باللغة الإنجليزية، وهي روايات تراثية لم تعتمد في نصوص الكتاب المقدس. قارن الأحاديث الموضوعة في التراث الإسلامي.

النهاية، إذ إن عضو الكونغرس الأمريكي ألبرت روسديل، في شهادته التي أدلى بها تأييدا للاستعمار الصهيوني لفلسطين، كان قد قال: «ألسنا نرى صدق كلمات الرسل الخاصة بعودة إسرائيل، التي تتأكد عودتها عبر تاريخ النبوءات كله؟»[4].

وبينما كان المستوطنون ينظرون إلى السماء لإثبات حقهم السماوي في العودة، انقلبوا إلى الأرض ليثبتوا صحة قصتهم التوراتية. وبلغ من شدة نجاعة التأثير الذي نتج من مزيج علم الآثار، بالوعد الرباني، واللاوعي الجماعي الغربي، والوراثة في خدمة الدولة التي قامت على الاستيطان أن إسرائيل عندما تصف موقعا أثريا بأنه «من مواقع التراث الوطني الإسرائيلي» (حتى لو كان خارج إسرائيل)؛ فإن المصطلح يفعل فعله السحري، وتغدو المخلفات القديمة جزءا من تاريخ الدولة. ويزور القادة الإسرائيليون هذه المواقع، ويتحدثون كأن هذه الحجارة توقظ فيهم ذكرى بعيدة، ونوعا من المعرفة الكامنة، كتلك التي يحس بها من يعود إلى بيت طفولته وهو يزيل بيوت العنكبوت عن ألبوم صور العائلة الباهتة.

كان تحت بيوت العنكبوت تلك - أو ما دعاه ثيودور هرتزل في القدس، العام 1898 ودائع المخلفات التي تراكمت على مدى ألفي عام - إسرائيليون يتكلمون العبرية، ولذلك فإن تلك اللغة التي توقف استعمالها لغة للتخاطب على مدى سبعة عشر قرنا تقرر اعتمادها على أنها اللغة «الأم». ولذا فإن المستوطنين الجدد، الذين لم يكونوا مجرد مجتمع يعيد تفعيل صفحات من الماضي، تعلموا لغة الدولة التوراتية لأنهم أصبحوا شعبها[5].

وهكذا فإن الباحث في التلمود جيكب ملنك نجح في الدفاع عن نفسه، وذلك بعدما قُبض عليه في تل أبيب في العام 1938، متزوجا من ثلاث نساء لا تعرف أي منهن شيئا عن الزوجتين الأخريين، بقوله إن التوراة، التي تخلو من أي نص يحرم تعدد الزوجات، هي الحكم. لكن ممثل الاتهام لجأ هو الآخر إلى النصوص الدينية، واستشهد بتحريم التلمود لتعدد الزوجات، بيد أن محامي الدفاع قال «إن شريعة التلمود ليس لها من القوة ما لشريعة التوراة». وهذا ما دفع المحامين إلى القول، بعد أن ردت المحكمة المحلية ومحكمة الاستئناف القضية، إن حكم البراءة «منع حدوث هزة اجتماعية في الوطن القومي لليهود»[6].

دمج بن غوريون مشروعه الاستيطاني بنصوص العهد القديم، وأهمل آلاف السنين من حياة اليهود التي مضت بينهما بإنكار كونها جزءا من التاريخ اليهودي. فكان من رأيه أن الصهيونية أعادت الحياة اليهودية بعد أن «توقفت»، عقب التمرد على الرومان بين العامين 132 و136 الميلاديين. أما العقيد ريتشارد ماينرتسهاغن، المسؤول السياسي للحملة المصرية (البريطانية)، فلم يتوان عن الادعاء بوجود فائدة علمية «في إعادة تشكيل قومية عرقية بعد نفيها على مدى ألفي عام»؛ كأن المورثات الجينية لقبيلة قديمة من القبائل قد جمدت على مدى آلاف السنين، وأن فلسطين ليست سوى إناء زجاجي من الآنية التي يستخدمها العلماء في مختبراتهم؛ حيث يمكن بومض من البرق أن يعيد الحياة إلى تلك المورّثات، ليدهش علماء الأنثروبولوجيا[7].

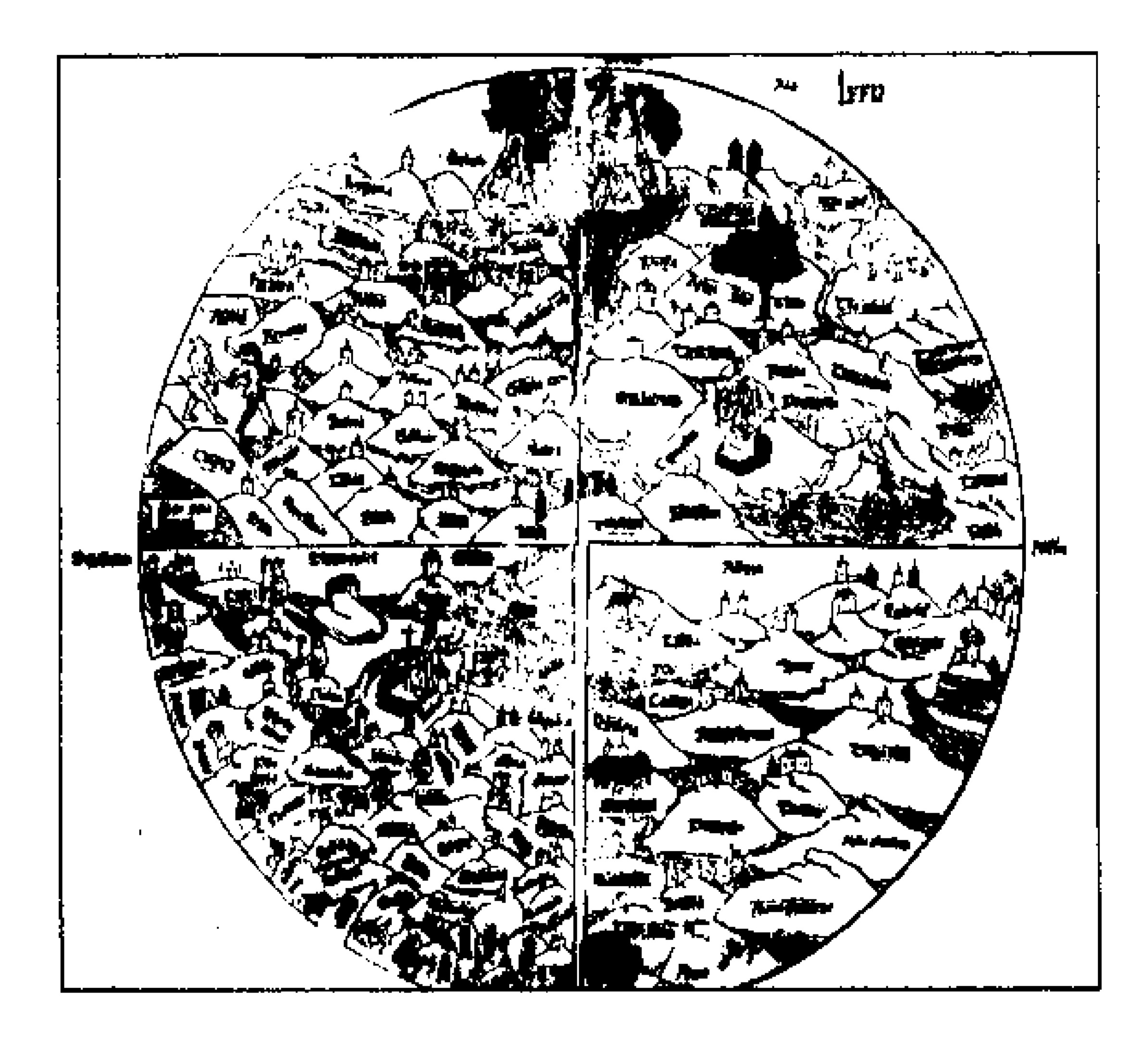
وعندما ومض ذلك البرق في سنة 1948 أطلق زعماء إسرائيل على ما صنعوه اسم «الدولة اليهودية» [بأل التعريف] وليس «دولة يهودية»؛ بمعنى أن اليهودية هي دين هذه الدولة الذي قد تتخذه أي دولةٍ أخرى - سموا إسرائيل «الدولة اليهودية»، أي المالكة الوحيدة والتبدي الميتافيزيقي الوحيد لليهودية، ولشعبها، ولتاريخ هذا الشعب. وهكذا فإن إسرائيل تستخدم عبارة «الدولة اليهودية»، بعد أن شحنت هاتين الكلمتين بهذه الرموز البالغة القوة، كأنها الطلسم الذي يقف أمام الانتقاد: يتردد النقاد في إطلاق عبارات الاتهام على دولة كهذه خشية إصابة هذه الدرع البشرية المكونة من كلمتين، بدعوى أنها تجسيد لليهود واليهودية، وهو ما تقوله الدولة صراحة.

يؤدي هذا الدمج بين دولة الاستيطان «والعرق» (الانتساب) إلى النتيجة الحتمية لطفل ولدته أم يهودية في إسرائيل؛ فهذا الطفل لا يكون «إسرائيليا»، بل تصفه جنسيته بأنه «يهودي» وفقا للقانون الإسرائيلي الذي أقرته المحكمة العليا. ومن شأن أي اعتراف بالجنسية الوطنية أو تمييز بين يهود العالم أن يقوض الهوية الإسرائيلية الخلاصية القبلية. وبذا تكون الصهيونية قد عكست العلاقة التاريخية بين الدين والاستعمار، بين الكتاب المقدس والسيف: إذ تكون بجعلها اليهود عرقا والدولة الوطنية جسد ذلك العرق وروحه، قد استعملت الوراثة من خلال الدم وسيلة للسيطرة على اليهود أنفسهم. وهكذا أكد بن غوريون أن «اليهود مجبرون

على الاستيطان في فلسطين». وبذا تكون الصهيونية قد حررت الوطنية من قيود الحدود الجغرافية، وأقامت حدودا من الانتماء الإثني، وتحول «العرق» اليهودي، والشعور القومي اليهودي إلى شيء واحد في خدمة مشروع الاستيطان[8].

قال بن غوريون للأمم المتحدة إن فلسطين من حق اليهود؛ لأنهم لم يتخلوا عن أحقيتهم بها منذ العصور التوراتية. وحتى لو سلمت الأمم المتحدة بالادعاء الغريب بأنه من سلالة قبيلة قديمة معينة فإن الفكرة نفسها ستبدو مجافية للمنطق، بل أقرب إلى الوهم في الحقيقة، لو لم تحتل فلسطين مكانة ذات أهمية فائقة في المشهد الثقافي الغربي. فنحن، جمهور هذا المشهد الثقافي، أيضا نمثل جمهور راسم وواضع الخرائط القروسطي. فمن الناحية الجغرافية أو الرمزية، أو من ناحيتيهما معا، وضعت خرائط العالم، في حقبة ما بعد الحروب الصليبية، فلسطين في مركز الأرض، وصوّرتها على أنها الرحم الثقافي، وظل معظم واضعي الخرائط الأوروبيين، حتى في أثناء الثورات العلمية التي شهدتها الحقبة الممتدة بين القرنين السادس عشر والثامن عشر، يضعون فلسطين في إطار توراتي على رغم تعطشهم للحصول على آخر المعلومات الجغرافية. وفي القرن التاسع عشر عمد المستكشفون البريطانيون التابعون لصندوق استكشاف فلسطين إلى صياغة مسوحاتهم بعقلية توراتية، وفي القرن العشرين جرى تداول المصطلحات التوراتية على أنها دليل يدعم عمليات الاستيلاء الصهيونية. فقد سأل مناحيم بيغن، قائد منظمة الإرغون، ممثلي الأمم المتحدة في العام 1947 بطريقة مدهشة في المصادرة على المطلوب: «أليس مما يجافي المنطق أن تعطى تلال اليهودية والسامرة والجليل إلى ملكية غير عبرانية؟ ألا تثبت الأسماء نفسها لمن تعوُد ملكيتها؟»[9].

في شهر يوليو من العام 1938 جمع الرئيس الأمريكي روزفلت ممثلين عن اثنين وثلاثين بلدا في إڤيان لي بان [في فرنسا]؛ بهدف تحمل مسؤولية توطين اليهود الذين كان النازيون يستهدفونهم. وعلى الرغم من أن نيات النازيين كانت واضحة على نحو مرعب، فإن المنظمة الصهيونية العالمية رفضت المشاركة؛ لأن المؤتمر لم يقم على أساس إنشاء دولة صهيونية في فلسطين. وقد أصاب بن غوريون في تحليله القائل إن إيجاد مواطن آمنة لليهود سيضعف مشروعهم. ولم



خارطة العالم هذه تعود إلى العام 1475 من نمط الخرائط الأوروبية التي أخذت تظهر بعد الحروب الصليبية. اتجاه الشرق يقع في أعلاها، وتقع فلسطين في الجزء العلوي إلى اليمين من تلاقي الخطين العمودي والأفقي، واليهودية إلى اليسار. أما أوفير، التي تقول الحكايات التراثية إن المواد الثمينة التي استخدمت في هيكل الملك سليمان قد جيء بها منها، فتقع في أقصى الجنوب إلى اليمين. والمكان الثالث الواقع إلى شرق اليهودية هو المملكة الأسطورية المسيحية التي حكمها برستر جون، وهي من اختراع الصليبيين، وكانت من العوامل المساعدة لشن الحملات الصليبية.

أما الفردوس، حيث نرى رجلين يحمل كل منهما غصنا من أغصان الزيتون، فتقع في قمة الخارطة إلى أقصى الشرق. وتقع تحت الجنة كل من الهند (وكانت آنذاك كلمة ذات دلالة عامة) وفارس وتابروبانا (أي سريلانكا). وتقع تحت تابروبانا شجرة الشمس والقمر، وهذه تعود إلى تراث الإسكندر. وأما أوروبا فتحتل الربع الأيسر إلى الأسفل (لاحظ صورة البابا الذي يمثل روما)، بينما تحتل أفريقيا الربع الأيمن إلى الأسفل. تمثل هذه الخارطة أرضا مستوية أو كروية وفقا لما استقر في ذهن المشاهد.

تستطع حتى أحداث ما يدعى بالـ Kristallnacht [ليل الزجاج المكسر](*) أن تغير أولوياتهم. وفي خطاب ألقاه بن غوريون في ديسمبر من العام 1938، أي بعد شهر من تلك الليلة الرهيبة التي آذنت بالهولوكوست، هاجم فكرة إنقاذ أطفال اليهود الألمان بإرسالهم إلى بر الأمان في إنجلترا، وهي عملية كانت تجري قدما تحت اسم Kindertransport (أي نقل الأطفال). فبدلا من أن يرى جميع الأطفال اليهود الموجودين في ألمانيا وقد جرى إنقاذهم بإرسالهم إلى إنجلترا، قال إن من الأفضل أن يذبح نصفهم على يد النازيين؛ من أجل إرسال النصف المتبقي ليكونوا مستوطنين في مشروعه الاستعماري[10](**).

لم تكن كلماته فارغة من المعنى. فبعد أن وضعت الحرب أوزارها ساعد بن غوريون في عمل تخريبي ضد منازل حسنة الإعداد لإيواء الأطفال الناجين، وجعل الأطفال يتضورون في معسكرات مخصصة للأشخاص الذين فقدوا بيوتهم وأجلوا عن بلادهم، والذين تقررت هجرتهم إلى فلسطين. ولم يكن اليتامى من اليهود الذين أعدت الدولة لهم المساكن في مأمن: فقد تعرضوا لحملات شنت لاختطافهم من البيوت التي أنشئت خصيصا لهم في أوروبا، وذلك لنقلهم إلى فلسطين ليشكلوا حقائق سكانية على أرض الواقع.

وفي أواخر العام 1941، حين كان اليهود ينقلون بالقطارات إلى معسكرات الموت، وصفت منظمة الإرغون محاولات منحهم ملاذات آمنة خارج فلسطين بأنها «معادية للسامية»، ونشرت تحذيرات موجهة إلى اليهود الذين يختلفون مع الفكر اليهودي السائد تثنيهم عن التدخل في «حق الصهاينة الذي منحهم الله إياه»؛ ليحكموا فلسطين وشرق الأردن. وقد وصل تخريب الملاذات الآمنة إلى الولايات المتحدة في

(*) يورد موقع على الإنترنت أن تلك الليلة شهدت تدمير 200 كنيس يهودي، ونهب 8 آلاف محل تجاري يهودي، وعشرات الآلاف من اليهود الذين أخذوا إلى معسكرات الاعتقال. [المترجم].

(**) يقال إن امتناع الولايات المتحدة وغيرها من الأقطار المفضلة عن فتح حدودها للهجرة اليهودية هو أحد الأسباب الرئيسة التي اضطرت الصهاينة إلى توجيه اليهود إلى فلسطين. ولكن هذا القول غير صحيح. فأغلبية الزعماء الصهاينة لم يريدوا أن تكون لدى اليهود حرية الاختيار للذهاب إلى أي مكان سوى فلسطين، ولم يمارسوا بخلاف ذلك أي قدر من النشاط أو التأثير المهمين لفتح الحدود، بل حاولوا الوقوف ضد الملاذات الآمنة عندما تهيأت ملاذات كهذه بجهود الآخرين. أضف إلى ذلك أن «الهجرة» الصهيونية إلى فلسطين كانت بمنزلة التأميم العرقي الخارجي، وكان سيعتبر غير قانوني في الولايات المتحدة وغيرها من الأقطار الغربية التي استخدم عدم فتحها لحدودها لتسويغ الاستيلاء على فلسطين. [المؤلف].

العام 1944؛ وذلك عندما وقف الزعماء الصهاينة الغاضبون ضد محاولات الرئيس روزفلت لتأمين 150 ألف مسكن جديد للمهجرين من بلادهم، من ضمن نصف مليون في جميع أنحاء العالم. أما سياسة الأبواب المفتوحة فقد شكلت خطرا على مقولة الصهاينة المفضلة – وهي أن اليهود لا بد أن يذهبوا إلى فلسطين، كما قال مساعد روزفلت موريس إرنست بمرارة[11].

كذلك دعت الحاجة إلى أن يؤتى بيهود شمال أفريقيا والشرق الأوسط «لتغذية الترسانة الحربية والبشرية» التابعة للدولة، وفقا لتعبير حنة براون، وهي عضو من أعضاء منظمة الهاغانا شاركت في عملية إحضارهم إلى إسرائيل، ولذلك شنت حملات من التضليل والتخويف والتحذير مما وصف بالإرهاب العربي، لحث اليهود على ترك أوطانهم. لكن ضريبة المغادرة الباهظة وفقدان الجنسية الأصلية منع الكثيرين من المغادرة بمجرد أن اكتشفت الخديعة. في العراق على وجه الخصوص لم يبق لهم من «الوطن» ما يعودون إليه؛ لأن النزوح الذي رتبته إسرائيل أدى إلى القضاء على المجتمع اليهودي المحلي القديم في العراق قضاء مبرما[12].

لم يكن الاستيطان الصهيوني هجرة بالمعنى المتعارف عليه، بل كان تأميما من الخارج للأراضي والمصادر الطبيعية والعمل، اقتطع من الإرث الفلسطيني المشترك. وقد أوضح البارون روتشيلد ذلك بنفسه بقوله إن نجاح المستوطنين الجدد في إزاحة الفلسطينيين من أرضهم «تبين عندما تأسست المستعمرات الصهيونية الأصلية»، أي منذ أن بدأ بتمويل تلك المستعمرات في السنوات الواقعة في ثمانينيات القرن التاسع عشر. وقد بدأت الاحتجاجات السلمية ضد حلول المستوطنين الصهاينة محلهم بدءا من العام 1886، وفي العام 1891 اتخذت هذه المقاومة شكل المطالبة المنظمة التي قام بها وجهاء المسيحيين والمسلمين في القدس[13].

ثمة لمحة مبكرة عن أوائل المستوطنين الصهاينة؛ زودنا بها كاتب المقالات اليهودي آشر زفي غنسبيرغ. فعندما زار فلسطين في العام 1891 وجد أن المستوطنين «يتصرفون بقسوة وعدوانية ضد العرب، ويعتدون على حدودهم، ويضربونهم من دون خجل وبلا سبب، بل يتباهون بذلك»[14].

وبعد عقدين من الزمان ساء الوضع أكثر، حينما ذهب الدكتور پول ناثان، وهو من زعماء اليهود البارزين في برلين، إلى فلسطين مندوبا عن الرابطة القومية

اليهودية الألمانية للإغاثة. ففي نشرة نشرها في يناير من العام 1914 صرح بأن المستوطنين كانوا يشنون حملة إرهاب على غرار المذابح الروسية التي ترتكب ضد الأقليات، لإجبار الناس على التكلم بالعبرية، ولإثارة البغضاء بين المسيحيين والمسلمين «بأنشطتهم الصهيونية المتغطرسة المتعجرفة» و«شوفينيتهم العصبية».

لكن كانت للصهيونية جاذبية خاصة: فقد وصف إدوارد بيرنشتاين، صديق الدكتور ناثان، الحركة العرقية القومية على النحو الآتي: الصهيونية «أشبه بالسُّكر الذي يفعل فعله كالوباء»[15].

كان «الوباء» يحل محل الـمضيف. فقد حصل الصندوق القومي اليهودي على أراض فلسطينية مزروعة زراعة كثيفة كتلك التي وصفها أحد الزوار في العام 1882 بقوله «إنها بحيرة خضراء هائلة من القمح المتموج - حصل عليها الصندوق من مالكيها (أو مدعي ملكيتها) الغائبين الذين يعيشون خارج البلاد، والذين راحوا يسجلون الأراضي؛ بادعاء أنهم مالكوها، للاستفادة من الأسعار المرتفعة التي تعرض عليهم. وقد خرقت تلك المبيعات، حتى في حالة كونها «قانونية»، العرف السائد في فلسطين من الناحية التاريخية، ألا وهو تلاحم حقوق استخدام الأرض مع حقوق السكنى فيها، وخرقت كذلك الأعراف الحديثة من حيث إن هذه المبيعات قصد منها عزل هذه الأراضي عرقيا إلى الأبد. أما الفلسطينيون الذين أخرجوا من تلك الأراضي فقد لجأوا إلى العيش في الكهوف أو في «علب قصديرية قذرة بنيت لهم تحت أشجار البرتقال»؛ كما وصف أحد المسؤولين البريطانيين مصيرهم.

وفي العام 1917، وبينما كان العمل جاريا على التدقيق في صياغة وعد بلفور، عبّر «لورنس العرب» عن الوضع في رسالة أرسلها إلى السير مارك سايكس (الذي شارك في اتفاقية سايكس - بيكو التي قسمت الإمبراطورية العثمانية بين بريطانيا وفرنسا وروسيا) بقوله: «هل ينوي اليهود طرد الفلاحين العرب من أراضيهم تماما أو تحويلهم إلى طبقة من عمال اليومية؟». لكن الخطة القائمة على الملاك الغائبين فشلت، وهي تسليم فلسطين كلها للصهاينة[16].

لم يغب عن البريطانيين أن حصول الصهاينة على الأراضي أمر يثير مشكلة امتلاك الأجانب للأرض. ففي العام 1930 حذر السير جون هوپ سمپسن، الذي عرف باشتغاله في قضايا اللاجئين، من أن شراء الأراضي من قبل منظمات مثل

الصندوق القومي اليهودي معناه أن الأرض أصبحت تخضع للأجانب extra territorial، ولا تبقى أرضا يمكن أن يحصل العربي منها على أي فائدة، لا الآن ولا في المستقبل. إذ لن يكون في مقدوره أن يستأجرها أو يزرعها، بل سيحرم إلى الأبد، وفقا للشروط القاسية للعقد الذي يصدره الصندوق القومي اليهودي، من العمل في تلك الأرض[17].

وتابع سمپسن بقوله: إن هذا هو السبب الذي يجعل العرب لا يعطون أي قيمة لدعاوى النيات الحسنة التي يدعيها الصهاينة. وبعد أن دحض تسويغ الصهاينة للاستيلاء على الأرض، وهو ما كان يجري بالفعل، بقولهم إن المستوطنين جعلوا الصحراء تزدهر حيث تركها العرب قاحلة.

إن من الظلم للفلاح الفقير، الذي أخرج من هذه الأراضي، تناقل القول بأنه كان عبئا على الأرض وأنه لم ينتج شيئا منها. يجب أن يكون واضحا تماما أن هذا القول يبتعد عن الحقيقة...[18].

وتابع القول: إن من المفارقة أن تطلق هذه التهمة بينما ينفق الصهاينة مبالغ طائلة للحصول على أخصب الأراضي، وأن يخرجوا العرب منها، ويسهلوا الزراعة لليهود فقط. ولكن الإنتاج الضعيف لاحق أوائل المستوطنين الصهاينة أنفسهم، على رغم تدفق الأموال التي كان يضخها روتشيلد، ثم أهملت بعض الأراضي التي كان الفلسطينيون يزرعونها بعد حصول الصهاينة عليها، مما أدى إلى انتشار فئران الحقول التي أزعجت اليهود والعرب.

استعملت الدولة الإسرائيلية الاختلاق القائل إن الفلسطينيين تركوا حقولهم من دون زراعة لتسويغ سرقة الأراضي إلى ما بعد التقسيم. ففي العام 1955 حادث السفير الأمريكي رئيس الوزراء شاريت حول التعنت الإسرائيلي المستمر، فما كان من شاريت إلا أن قال بكل هدوء إن إسرائيل ليست في حاجة إلى إعادة الأراضي الفلسطينية المسروقة بدعوى بالغة الغرابة مفادها أنه لم يكن من بين الفلسطينيين من هو متفرغ تماما للزراعة[19].

ومن المفارقة أن ضخ الأموال الأوروبية الهائلة والبحث الدؤوب عن الأراضي سبّب قدرا من التضخم بلغ من شدته أن صغار الفلاحين الفلسطينيين وقعوا ضحايا الديون، التي لم يكن في وسعهم الخلاص منها إلا ببيع قطع أراضيهم للمستوطنين.

والمأساة المتمثلة في الأراضي «المهملة موقتا لأن مالكيها فقدوا ماشيتهم أو مصادر رزقهم البسيطة الأخرى وكانوا مثقلين بالديون إلى درجة جعلت تعويضها مستحيلا - هذه المأساة لاحظها لويس فرنچ، مدير دائرة التنمية في العام 1932. وقال السير تشارلز پاركنسن؛ بعد ثلاث سنوات من ذلك التاريخ، مشيرا إلى تدمير المستوطنين مصادر عيش الفلسطينيين: «سيقول من يخلفوننا بعد عشر سنوات... إننا لو كانت لدينا الشجاعة الكافية في العام 1935 لأنقذنا الوضع»[20].

كان الاستيلاء على الأراضي وعلى فرص العمل، وما يعنيه ذلك من تطهير عرقي، جزءا لا يتجزأ من الصهيونية منذ نشأتها. فقد اقترح هرتزل نفسه تجويع أهل البلاد عن طريق السيطرة على فرص العمل المحلية ومن ثم حرمانهم منها - ولكنه أوصى بأن «يجري ذلك بحذر شديد». وفي العام 1907 نظم المهاجرون الصهاينة الجدد، ومنهم الشاب ديفد بن غوريون، حملات مقاطعة لتجويع غير اليهود وتخليص البلاد منهم. كذلك طبق الصندوق القومي اليهودي سياسة «العمالة اليهودية فقط»، على رغم مخالفتها قوانين الانتداب التي تمنع التمييز على أساس العرق والدين أو اللغة، كما شكا بعض المسؤولين البريطانيين من دون فائدة في عقد الثلاثينيات[21].

وعندما استخدمت سياسة منع العمالة غير اليهودية في العام 1924 لمنع اليهود الأرثوذكس من استخدام الفلسطينيين لحلب أبقارهم أيام السبت رفعوا شكواهم إلى مناحيم أوسشكين، مدير الصندوق القومي اليهودي. وقال المتدينون اليهود: إن لم تحلب أبقارنا فإنها ستمرض، ولو قمنا بذلك بأنفسنا يوم السبت فإن ذلك يوقعنا في الخطيئة. فما كان من أوسشكين إلا أن قال إن التحريم الصهيوني للعمالة العربية «أقدس من يوم السبت»[22].

تشبه الصهيونية جميع المشاريع الاستعمارية الاستيطانية من حيث الحاجة إلى تجريد الأقوام الذين تسعى إلى الحلول محلهم أو لإخضاعهم. وعندما توفي رجل الأعمال الثري السير إلس كادوري(*) من هونغ كونغ في العام 1922، أوصى بتوزيع جزء من تركته على عدد من القضايا التي تهم ثقافتين أو أكثر cross - cultural

(*) أو خضوري كما يعرف في العربية. [المترجم].

causes، وخصص ثلث المتبقي «للحكومة البريطانية لإنشاء مدرسة، أو مدارس، تحمل اسمه؛ في فلسطين والعراق وفقا لما تراه الحكومة البريطانية مناسبا».

وما رأته الحكومة «مناسبا» هو أن تستعمل الأموال المذكورة «لتشييد مدرسة واحدة تستقبل الطلبة من جميع الفئات في فلسطين والإنفاق عليها»، مدرسة «تسعى إلى دعم التفاهم والتعاون المتبادلين بيت اليهود والعرب». ورحب مدير التربية والتعليم في القدس بهذا المشروع الذي يخص الفئتين، ودعاه «فرصة دمج اليهود والعرب على أرضية مشتركة». ولكن المستوطنات اليهودية منعت الفلسطينيين من الالتحاق بالمدرسة، «وسمحت» لهم بالالتحاق بمدرسة منفصلة للزراعة فقط. وبعد أن حصلت إسرائيل على صفة الدولة ضغطت الحكومة الإسرائيلية على بريطانيا للحصول على أموال لصيانة المدرسة من تركة كدوري، على رغم أن الطلبة من غير اليهود، إما تعرضوا للتطهير العرقي، وإما وضعوا تحت الحكم العسكري.

كذلك تركت برتا غوغنهايمر عندما توفيت في العام 1927 وديعة قيمتها مائة ألف دولار لفلسطين «لتلبية حاجات ملاعب الأطفال خاصة»، ومنها ملعب جديد لصفد (في الجليل). لكن المستوطنين اليهود منعوا الأطفال الفلسطينيين من دخول هذه الملاعب، وجرى تجاهل احتجاجات ممثلي السيدة غوغنهايمر من أن ذلك يشكل انتهاكا لما أرادته المحسنة. وكان رد المستوطنين أن وجود الأطفال العرب «يفسد» الأطفال اليهود - وقالوا إن ذلك يتعارض «والأخلاق اليهودية»، بل يتعارض وتعاليم التوراة نفسها[23].

ومع ذلك فإن بن غوريون زعم حتى في سياق رسمي، هو سياق لجنة بيل التي شكلت سنة 1937، أن سبب معارضة العرب للاستعمار الصهيوني هو «تعصبهم الذي يبدو أنه جزء من طبيعتهم... في تعليمهم وتربيتهم. إنه التعصب». هذا ما قاله «أبو» دولة إسرائيل. «ثمة تفاوت في مستويات الثقافة»[24].

فرض دستور الوكالة اليهودية نفسها قوانين عنصرية في العام 1929 قبل أن تصبح أمثال هذه القوانين شائعة في أوروبا الوسطى. وسعى الأصوليون اليهود إلى الحفاظ على «نقاء الدم» اليهودي، ولايزال زواج اليهودي من غير اليهودية جريمة يعاقب عليها القانون في إسرائيل حتى يومنا هذا. وظلت السياسات الاستيطانية التي

اتبعتها ألمانيا في بولندا في عقد الثلاثينيات متبعة بعد إنشاء دولة إسرائيل، وذلك عندما وضعت أملاك الذين تعرضوا للتصفية العرقية تحت تصرف المستوطنين، وحددت تحركات غير اليهود وأفعالهم بأن أنشئت لهم سجلات عرقية[25].

وعلى غرار ما فعلته ألمانيا في الحقبة الفاشية، عرفت إسرائيل اليهود بأنهم عرق من الأعراق على أساس الانتساب من خلال الدم، ومنحت نفسها حق تحديد الضوابط الجينية لهذا العرق لتحقيق أهدافها السياسية. وقد تبينت الفائدة الجلية لهذا الإجراء بعد انتصاراتها في العام 1967، عندما احتاجت الدولة إلى أعداد كبيرة من المستوطنين ليشكلوا وقائع بشرية على الأرض، ووسعت تعريفها العنصري لليهودي تعريفا يناسب أغراضها[26].

غير أن مشكلة الصهيونية الدائمة عادت إلى الظهور: إذ لم تكن أعداد اليهود الراغبين في الذهاب إلى إسرائيل كافية. وعندما سمحت روسيا في عقد الثمانينيات لليهود بالمغادرة في أثناء الرئاسة الثانية لمجلس الوزراء الإسرائيلي لإسحاق شامير، أحد كبار عصابة ليهي السابقة، رغب معظمهم في الذهاب إلى الولايات المتحدة التي رحبت بهم على شواطئها. لكن شامير غضب وزعم أن لإسرائيل الحق في الملكية القبلية لهم بصفتهم يهودا. ووصف أولئك اليهود بأنهم «مرتدون»، ونجح في إجبار الرئيس الأمريكي ريغان على إغلاق الحدود دونهم لإجبارهم على الذهاب إلى إسرائيل[27].

كان نظر الصهيونية إلى اليهود على أنهم «عرق» منفصل إحدى المميزات التقليدية لمعاداة السامية، وكان من شأن شعار «معاداة السامية» أن يدفن الصهيونية مع هرتزل لولا أن هرتزل قاوم ذلك بادعاء ولاء اليهود في مختلف بقاع العالم لدينه الجديد، بدعوى أن الصهيونية هي المعيار الذي يميز اليهودي الصالح عن اليهودي الطالح. وقد قرر هرتزل أن «اليهودي الحق لا يمكنه أن يعادي الصهيونية»، وأنه «لا يفعل ذلك إلا الموشل»؛ والموشل Mauschel كلمة [ألمانية] مسيئة تعني «اليهودي المتدين»(*). «مجرد النظر إليه، ودع عنك الاقتراب منه أو لمسه لا سمح الله، يكفي لأن يجعلك تتقزز». هذا ما قاله أبو الصهيونية عن أمثال هذا اليهودي. وقد كتب هرتزل أن اليهودي:

(*) فسر المؤلف الكلمة الألمانية بكلمتين تستعملان في الإنجليزية وهما Yid وKike، وكلتاهما تطلق على اليهودي للتحقير. [المترجم].

تشويه للشخصية الإنسانية، شيء بالغ الحقارة يثير التقزز... سنتنفس الصعداء عندما نتخلص من هؤلاء كلهم، هؤلاء الذين كنا مضطرين إلى عدّهم من أبناء قبيلتنا...[28].

لقد عُدت الصهيونية، حتى في بداياتها، حركة معادية للسامية لأسباب أهم بكثير من كراهية هرتزل لليهود التقليديين. فقد كتب مراسل جريدة لندن ستاندرد في برلين بعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في العام 1897 ما يلي:

«إن فكرة إنشاء دولة يهودية حديثة، وهي الفكرة التي تسمى بالصهيونية، لا تلقى حماسا كبيرا في ألمانيا باستثناء المعادين للسامية. فقد سمتها صحيفة كولنش Kölnische من أشد الأفكار شطحا في هذا العصر، ولخصت صحيفة فرانكفرتر تسايتنغ مقالة عن الموضوع على هذا النحو:

نقول باختصار إن هذا الانحطاط الذي يدعو نفسه معاداة السامية قد ولد الانحطاط الذي اتخذ من الصهيونية اسما له[29].

لقد سلّمت الصهيونية لمعادي السامية طريقا لإرسال اليهود إلى مناطق أخرى بينما هي تدعي التقدمية. وكانت غيرترود بل، الكاتبة الإنجليزية المشهورة، والرحالة، والمنقبة عن الآثار، والجاسوسة، قد استشهدت قبل قرن من الزمان بخبرتها الدبلوماسية «لكي تثبت أن الفرنسيين متلهفون لتوطين اليهود في أي مكان [أي لتأييد الصهيونية] مادام ذلك يخلصهم منهم». وهذا بالفعل هو الشعور الكامن خلف النص في المديح الذي تغدقه الأمم الداعمة لتلك الحركة. فقد ذكر كارل كلود مونتفيوري، رئيس الرابطة الإنجليزية اليهودية في شهادة له العام 1917 احتجاجا على وعد بلفور: «أن مما له مغزاه أن معادي السامية متعاطفون جدا مع الصهيونية. ولا عجب في ذلك»[30].

2

الصهيونية والانتداب البريطاني حتى العام 1938

«[المبدأ الديموقراطي] لا يأخذ في نظر الاعتبار وجود فرق جوهري بين اليهودي والعربي»

- حاييم ڤايتسمان[1].

«الصعوبة الأساسية في فلسطين أن اليهود رفضوا الاعتراف بأن العرب مساوون لهم»

- إرنست بڤن[2].

«بينما كان الإرهابيّون الفلسطينيون مجموعات متفرقة من الفدائيين يعملون في المناطق الريفية، فإن الإرهابيين الصهاينة كانوا مليشيات منظمة تعمل داخل المدن وتتمتع بحماية السكان»

كتب إسحاق إپشتاين، وهو موفد إلى المؤتمر الصهيوني الذي انعقد في العام 1905 ما يلي:

لقد حان الوقت لتبديد الوهم السائد بين الصهاينة، والقائل إن فلسطين أرض خالية بسبب قلة الأيدي العاملة أو كسل السكان المحليين. ليس فيها حقول مُهمَلة. ولئن كان ثمة مزارعون يسقون حقولهم من عرقهم فهم العرب... هل سيبقى من سيجري

تجريدهم منها صامتين ويقبلون بما يُفعل بهم؟ سيستيقظون في النهاية
ويعودون لمقارعتنا حول ما سرقناه منهم بما لدينا من ذهب![3].

كان مَنْع من جُرِّدوا من أراضيهم من العودة إلى مقارعة السارقين سببا من بين ثلاثة أسباب جعلت الصهاينة في حاجة إلى دعم دولة قومية قوية - بريطانيا في هذه الحالة. في البداية كان الدعم البريطاني ضروريا لإعطاء المستوطنات الصهيونية اعترافا سياسيا، وما يشبه الاستقلال الذاتي. والسبب الثاني أن القوة العسكرية البريطانية كانت ضرورية لقمع المقاومة الوطنية التي تنبأ بها إيشتاين. والسبب الثالث، وهو أهمها، أن الإدارة البريطانية مكنت الاستعمار الاستيطاني الصهيوني من وضع نفسه موضع الحركة المحلية الساعية إلى التحرر من المستعمرين الأجانب (البريطانيين)، ولذلك جرى تقديم الحرب التي شُنّت في العام 1948 للاستيلاء على فلسطين على أنها حرب «استقلال».

حاول هرتزل «شراء» فلسطين من المحتلين العثمانيين لقاء سداد ديونهم الخارجية (1896)، وعندما فشل في ذلك حاول الحصول عليها لقاء مساعدة ألمانيا لتوسيع نفوذها في الشرق الأوسط (1898). وقد فكر في إيجاد مواطئ قدم: انتقل إلى بريطانيا واقترح على وزير المستعمرات جوزف شيمبرلن إنشاء مستوطنة صهيونية في قبرص، ولكن شيمبرلن اقترح أن يجري ذلك في مكان آخر «لم يسكنه مستوطنون بيض بعد». كذلك فكر هرتزل في الأرجنتين وأوغندا تمهيدا لمشروعه - لكن أي أرض أخرى غير فلسطين لم تكن سوى ما دعاه بالاستعمار الثانوي الذي لن يجتذب سوى بضعة آلاف من العمال»، «ولن يخدم أي هدف سياسي». أما من الناحية الأخرى فإن «اسم فلسطين بحد ذاته كفيل باجتذاب شعبنا بقوة عجيبة». فلسطين وحدها هي المكان الذي يمكن أن تندمج القصة الخلاصية فيه مع القومية العرقية والدولة القومية الحديثة دمجا ميتافيزيقيا[4].

جرى التعبير عن الضرر الذي تلحقه الصهيونية باليهود على يد نشطاء مثل الصحافي المؤرخ لوسيان وولف من جريدة جوِش كرونِكل. كان وولف منفتحا على أفكار هرتزل في البداية بوصفها مشروعا مرحليا. لكنه بعد أن فهم «المعنى الخفي» لحركة الاستيطان في العام 1903 أدان الصهيونية؛ لكونها تشكل خضوعا شاملا لأقوال أعداء السامية. وكتب في جريدة «التايمز» اللندنية، في ذلك العام، يقول إنه

لم يكن بوسعه أن يتصور نكسة نكراء للتاريخ اليهودي ولكفاح اليهود من أجل الحصول على المساواة كتلك التي يمثلها المشروع الصهيوني[5].

لكن «تفاوت الأعراق» في نظر آرثر جيمز بلفور «حقيقة». ففي العام 1905 منع، بصفته رئيسا للوزراء، هجرة اليهود الفارين من مذابح روسيا القيصرية، مستشهدا «بالشرور التي لا شك فيها والتي لحقت ببريطانيا» بسبب هؤلاء اليهود. لكنه وقع بعد اثني عشر عاما، بصفته وزيرا للخارجية، وثيقة أخرى يُعِد فيها اليهود عن بريطانيا، وهو الوعد الذي يُعرّف باسمه، والذي يتكون من سبع وستين كلمة يخاطب فيها البارون روتشيلد، وهو الوعد الذي سرعان ما ادُّعي أنه الأساس القانوني لتحويل فلسطين إلى دولة استيطان صهيونية. أما رئيس الوزراء آنذاك فقد كان لويد جورج الذي «لا يهمه اليهود أو ماضيهم أو مستقبلهم مقدار خردلة» بكلمات من سبقه في رئاسة الوزراء وهو هربرت أسكوِث الذي كان يؤيد الصهيونية لأسباب جيوسياسية[6].

صاغ البريطانيون الوعد بالاستعانة ببعض زعماء الصهيونية، لاسيما اللورد روتشيلد وحاييم ڤايتسمان. وقد رفض كلاهما كلمة establishment (إقامة/تأسيس) في عبارة «إقامة وطن قومي للشعب اليهودي»، وأرادا أن يضعا محلها كلمة re-establishment (أي إعادة الإقامة أو التأسيس) ذات الصبغة الخلاصية. لكن establishment بقيت بينما تمكنا من حذف عبارة تضمنت «اليهود القانعين بوطنهم الحالي وجنسيتهم». وسيتبين سبب عدم ارتياحهما لهذه العبارة التي يبدو أنها لا ضرر منها بعد أن يدّعي مشروع الاستيطان «ملكية الدم اليهودي» في جميع أنحاء العالم. وبالفعل أراد ڤايتسمان أن يشير الوعد إلى «العرق» وليس «الشعب» اليهودي[7].

جاءت معارضة الوعد بليغة ومتعددة المصادر. فقد وصف كلود مونتفيوري، رئيس الرابطة الإنجليزية اليهودية، اختراع فكرة كون اليهود أمةً بأنه «أمر كريه للغاية». ودان الزعم بأن العداء للسامية أبدي بقوله إنه «سبة (1) بحق اليهود، و(2) بحق الطبيعة الإنسانية». وعبر إدوِن مونتاغيو، وهو عضو يهودي في البرلمان وعضو في الوزارة، عن ارتياعه من مقولة إن اليهود في فلسطين «سيحصلون على حقوق خاصة تفوق تلك التي يتمتع بها بقية

السكان». كذلك فإن ما يحيره هو انشغال حكومته بالمطالب الصهيونية في وسط الحرب العظمى إلى هذا الحد، وقال إن حماس حكومته لإرضاء الصهاينة له صلة بمشاركة الولايات المتحدة في الحرب(*).

والآن هل تغفرون لي إذا كنت على صواب في ظني أن أغلبية اليهود الذين ولدوا في بريطانيا مناهضون للصهيونية... وقلت: ما دافع الحكومة لعمل أي شيء في هذه القضية في غمرة انشغالها الهائل وما تواجهه من مشكلات معقدة [سببها الحرب العالمية الأولى]؟ أحد الأجوبة التي أعطيت في مناقشات مجلس الوزراء هو: لمساعدة قضية الحلفاء في أمريكا[8].

قدم مونتاغيو مذكرة، في 23 أغسطس 1917، اتهم فيها الحكومة البريطانية صراحة بمعاداة السامية بسبب حماسها «للمذهب السياسي الشرير» الذي يدعو له الصهاينة. وجاء دفاع ڤايتسمان بالتقليل من شأن يهود غير صهاينة من أمثال مونتفيوري ومونتاغيو بوصفهم «يهودا فقدوا بتعليمهم وصلاتهم الاجتماعية الصلة بالروح الحقيقية التي تبعث الحياة في اليهود»، ولذلك فإنهم يعبرون عن أنفسهم فقط، بغض النظر عن أعدادهم. أما هو وروتشيلد فلم يفقدا تلك الصلة، ولذلك فإنهما يتحدثان نيابة عن اليهود في جميع أنحاء العالم[9].

كانت الصهيونية من الموضوعات الرئيسة في جلسة مجلس الوزراء التي عقدت في 3 سبتمبر. وفيها تابع مونتاغيو انتقاداته، وقال إن عبارة «وطن قومي لليهود» بدلا من فلسطين عبارة تتصف بالعنجهية والتحيز المؤذي. وتساءل عن الكيفية التي سيجري بها التخلص من سكان البلاد «وإحلال اليهود محلهم؟».

(*) توحي بعض الوثائق بوجود صلة بين بريطانيا والصهاينة فيما يتصل بمشاركة الولايات المتحدة في الحرب العالمية الأولى، ولكنها لا تثبت ذلك. وفي العام 1944 ادعى شخص اسمه جيمز أ. مالكلم أنه هو الذي اقترح الفكرة على السير مارك سايكس في خريف العام 1916. ويضم ملف TNA, KV 2/3171 الذي رُفعت عنه صفة السرية في العام 2010 رسالة تاريخها 18 يونيو 1948 من مالكلم موجهة إلى ڤايتسمان الذي كان يقيم في فندق موريس في باريس يقول فيها: «أريدك مخلصا أن تتذكر ما استطاع أصدقائي أن يحققوه في العامين 1916 و1917». ويذكر ڤايتسمان «مساء ذلك السبت المصري في أكتوبر [1916؟] في شارع أدسن [عندما طلبتَ النصح مني وقبلتَه بشجاعة خلافا لبعض أصدقائك غير المصدقين...». ويضم الملف FO 371/45383 ورقة أخرى من مالكلم يقول فيها إن تحويل فلسطين إلى دولة صهيونية «هو الطريقة التي تجعل يهود أمريكا يساندون الحلفاء مساندة كاملة». ووفق جفريز ادعى لويد جورج أن بريطانيا «أعطت فلسطين للصهاينة ثمنا لتأثيرهم في الولايات المتحدة للمشاركة في الحرب (دخلت الولايات المتحدة الحرب في 6 أبريل من العام 1917)، وكذلك لقاء طريقة ڤايتسمان في استعمال الأسِتون على رغم أن جفريز يقلل من شأن الأسِتون، ملاحظا أن طريقة ڤايتسمان لم تكن ذات فائدة عملية، وأنها لم تستعمل على نطاق واسع. [المؤلف].

وذكرت وزارة الحرب أن «وفدا من اليهود» جاء للاحتجاج ضد إيجاد فوج عسكري يهودي منفصل، كان مجلس الوزراء قد وافق على إنشائه بضغط من الصهاينة - كان ذلك الفوج مقدمة للواء اليهودي الذي أنشئ في الأشهر الأخيرة من الحرب العالمية الثانية. وعبّر الوفد عن غضبه على الصهاينة قائلا إن 40 ألفا من اليهود قد شاركوا في الحرب مع القوات البريطانية على نحو متميز من دون الانفصال عن بقية فصائل الجيش[10].

غير أن مجلس الوزراء كان يواجه أمرا أشد إثارة للقلق يتعلق بالصهاينة مما جاء به الوفد اليهودي، إذ بين القائم بأعمال وزارة الخارجية أن الوزارة تعرضت منذ زمن بعيد لضغوط قوية من الصهاينة. «فقد كانت هنالك، لاسيما في الولايات المتحدة، منظمة [صهيونية] قوية جدا ومتحمسة جدا لهذا الأمر»، وكان يعتقد

> أن حماس هؤلاء الناس المنضمين إلى جانبنا ورغبتهم الشديدة سيشكلان عونا مهما كبيرا للحلفاء. بينما سيؤدي تجاهل هذا الأمر إلى خطر القطيعة معهم [أي مع الصهاينة]، وهذا ما جعل من الضروري مواجهة هذا الموقف.

تقرر أن يبين مجلس الوزراء [الـمشكل لإدارة أمور البلاد في زمن الحرب] لرئيس الولايات المتحدة وِلسن «أن حكومة جلالته تتعرض لضغوط يطلّب فيها منها أن تعلن تعاطفها مع الحركة الصهيونية»، وأن تسأله النصيحة في هذا الأمر.

كتب كل من روتشيلد وڤايتسمان في 3 أكتوبر رسالة إلى بلفور يطلبان فيها معونته ضد مونتاغيو في جلسة مجلس الوزراء المقبلة. وهاجم زعيما الصهيونية هذان، بصيغة من معاداة السامية تخالف المألوف، هؤلاء «اليهود الذين اندمجوا في البلاد التي وَجَدوا أنفسهم فيها ويعملون في أعمال التمويل الكبرى، وينكرون أن اليهود يشكلون «جماعة منفصلة» عن بقية الناس، ولا يرون في اليهودية سوى أنها صيغة من صيغ الدين». وذكّرا بلفور بأن «دعايتهما الواسعة لإيجاد فلسطين يهودية» تمت بموافقة بريطانية.

بعد ذلك بشهر واحد جرى توقيع وعد بلفور في 2 نوفمبر من العام 1917. جاءت القوة الهائلة التي اتصف بها الوعد(*)، ودع عنك افتراض هذا الوعد أن

(*) الكلمة الأصلية هي Declaration وتعني الإعلان، ولكن المتداول في العالم العربي هو الوعد. [المترجم].

بريطانيا يحق لها منح قوم أرض قوم غيرهم، من مزجه بين أمرين: الادعاء بأنه وعد لا يقبل الطعن - وقد وصفه القاضي الأمريكي جوزف بروسكاور بأنه «قانون العالم» - والغموض المقصود في معناه. وكان أول من أربكهم هذا الوعد أعضاء الوزارة أنفسهم، وعندما طلبوا إيضاحات قيل لهم إن الوعد لا يعني إنشاء «جمهورية يهودية أو أي نوع من الدولة في فلسطين أو أي جزء منها»[11].

في هذه الأثناء مضى ڤايتسمان في السعي إلى إيجاد «الجمهورية اليهودية» على الفور، بينما هو يحافظ على تواضعه أمام الملأ. طالب بأن تمتد هذه الجمهورية حتى نهر الأردن في مدة لا تتجاوز ثلاث سنوات أو أربعا بعد الإعلان (أي مع حلول العام 1921)، ثم تتوسع بعد ذلك إلى ما وراء النهر. وأصر ڤايتسمان على أن يعطَى المستوطنون ميزات خاصة لا تعطى للفلسطينيين، وأن على السلطات البريطانية أن تَكذِبَ فيما يتعلق بالخطة[12].

لكن الحديث عن هذا التحويل السريع لفلسطين إلى دولة استيطان، خاصة بعِرق من الأعراق، جرى كأنه طلب متواضع. وكما قال اللواء البريطاني وليَم ثوَيتس، الذي كان يدعمه، لم يُرِد ڤايتسمان «أن يبالغ في طلباته»، ولذلك «اكتفي بنهر الأردن حدا من الشرق في البداية». أما المنظمة الصهيونية فقد تقدمت بمقترحات لنقل كل من لم يكونوا يهودا من المنطقة واستعملت عبارة «الكومنولِث اليهودي» محل عبارة «الوطن القومي» الغامضة التي وردت في الوعد[13].

تساءل اللورد كيرزن وقد نفد صبره:

> ما المقصود بالكومنولِث؟ أعود إلى قاموسي فأجد هذا التعريف للكلمة: «دولة»؛ «كيان سياسي»؛ «أمة مستقلة»؛ «جمهورية».. ما الفائدة إذن من إغلاق أعيننا عن الحقيقة القائلة إن هذا هو ما يسعى الصهاينة إلى تحقيقه، وأن إشراف بريطانيا ليس سوى غطاء؟ والقضية لا تبدو أفضل بل أسوأ عندما يتحدث ڤايتسمان عن هذا الشيء مع أصدقائه، ولكنه يغني لحنا آخر في العلن[14].

كان ثمة مؤيد آخر من مؤيدي ڤايتسمان ساعده على «غناء لحن آخر في العلن» هو العقيد ريتشارد ماينرتسهاغن الذي عرف بعدائه للسامية على غرار الكثيرين من مساندي الصهيونية. قال ماينرتسهاغن:

إن شعب فلسطين في الوقت الحاضر ليس في حالة ملائمة لأن نقول له بصراحة إن تأسيس الصهيونية في فلسطين سياسة تلتزم بها حكومة جلالته وأمريكا وفرنسا[15].

وضعت بدلا من ذلك عبارة «بلغة بالغة الاعتدال» أنكرت (بكلمات ماينرتسهاغن): «أن الهجرة [اليهودية] تعني إغراق فلسطين بحثالة أوروبا الشرقية». أضف إلى ذلك أنه جرى التأكيد للفلسطينيين بوضوح، وعلى نحو متكرر، مثلما أكد لمجلس الوزراء، أن «الوطن القومي» لليهود لن يؤدي إلى إقامة دولة صهيونية. أما ڤايتسمان فقد كتب رسالة إلى بلفور من تل أبيب في 30 مايو 1918 سوغ فيها الأكاذيب، كما فعلت مشاريع الاستيطان كلها، بتصوير أهل البلاد على أنهم أشرار:

يبدو أن العرب في الظاهر حاذقون أذكياء، ولكنهم يعبدون شيئا واحدا، ولا شيء غيره: القوة والنجاح...[ويعرف البريطانيون] الطبيعة الخداعة للعربي الذي يطعن الجيش من الظهر، والذي يصرخ كلما سنحت له الفرصة، ويبتز كلما أمكن له ذلك[16].

عارض ڤايتسمان خطر الديموقراطية بقوله إن العرب متخلفون وإن حق تقرير المصير سيعني (بكلماته) التعامل مع اليهود كما يعامَل أهل البلاد من الناحية السياسية. أما أولئك الذين يعارضون إعطاء اليهود ميزات خاصة يُحرَم منها الفلسطينيون فينظرون إلى اليهود، وفق وصف ڤايتسمان لهم، كأنهم لا يختلفون عن أهل البلاد، وذلك لأن هؤلاء المعارضين «لا يعرفون خبث العقلية الشرقية وأحابيلها». وبعد أن لاحظ أن العملاء الألمان كانوا يروجون للأفكار القائلة بقسوة اليهودي الثري الذي لا يرحم، «صاحب الأموال، المستغل، المضارب بالأسهم»، أخذ يشكو - من دون أن يدرك ما في شكواه من مفارقة - من أن البريطانيين «تعززت آراؤهم في هذا المجال» بواسطة «يهود مصر الأثرياء» الذين يشكلون «أمثلة رائعة على الرأسمالية اليهودية». وصب ڤايتسمان غضبه على هؤلاء «اليهود الأغنياء» الذين «يعارضون الصهيونية، ولذا جعلونا نعاني ظلما بسبب خطايا أعدائنا»[17].

أخذ المسؤولون البريطانيون في القدس يحذرون بدءا من منتصف إبريل من العام 1918 من أن الجنود اليهود يختلقون حوادث «يقصد منها استثارة



مرسى في يافا، أوائل القرن العشرين

أقسى ردود الفعل من قبل المسلمين»، وكان ذلك إشارة مبكرة لمحاولات الصهاينة استثارة ردود الفعل من قبل الفلسطينيين. وقد اتخذت هذه الأحداث شكلا متكررا اضطر البريطانيون بسببها إلى منع هؤلاء الجنود اليهود (وليس المدنيين) من دخول المدينة القديمة في أيام العطل الدينية. فما كان من البعثة الصهيونية إلا أن اشتكت من الاضطهاد[18].

كان ڤايتسمان موجودا في فلسطين على رأس الهيئة الصهيونية المشتركة Inter-Allied Zionist Commission التي نظمها البريطانيون. وفي 28 أبريل ألقى كلمة وصفتها وزارة الحرب بأنها «أعدت بعناية» أنكر فيها ثانية أن الصهيونية قامت بأي تحرك باتجاه إقامة دولة. ولكنه ظل خلف الأضواء يتصرف كأنه (بتعبير المسؤولين البريطانيين) «ملك البلاد» أو «كأنه ملك فلسطين غير المتوج»، يوقع «معاهدة نيابة عن فلسطين مع الأمير فيصل (الذي أصبح فيصل الأول، ملك العراق فيما بعد) في يناير من العام 1919[19].

شهد يناير أيضا افتتاح مؤتمر باريس للسلام. وبسبب المطالب المؤيدة للصهيونية في باريس قدم عضو الكونغرس الأمريكي جوليوس كان (من كاليفورنيا) رسالة إلى الرئيس الأمريكي ولسن تاريخها 4 مارس يقول فيها إن الصهيونية تعود بالساعة إلى

الوراء على القيم المستنيرة التي تحققت. «نحن نرفض المشروع الصهيوني للسبب ذاته الذي يقبل العالم فيه على حقبة تهدف إلى تأسيس الحكومات في كل مكان على مبادئ الديموقراطية». أما الادعاء بأن أهالي البلاد يجب ألا يخشوا شيئا فهو ادعاء لا ينطلي على أحد: إن العرب «يستحقون العدالة والمساواة، وليس كرم الأقوياء أو استعداد هؤلاء الأقوياء لتحمل وجودهم»[20].

كانَ في رسالة كانْ من بعد النظر أكثر مما كان يعلم، ففي الشهر نفسه (مارس 1919) كانت مقترحات ڤايتسمان موضوع اجتماع بحث فيه روتشيلد مع المسؤولين البريطانيين مسألة التطهير العرقي للفلسطينيين غير اليهود بوصفه موضوعا لا ينفصل عن خططهم، مع «خطة للهجرة الجماعية» (بتعبير روتشيلد) لنقلهم إلى مصر وسورية. لكن قيل إن الكتمان ضروري، فهذه مسألة لا يحسن التحدث فيها في باريس، بل يمكن متابعتها بعد انتهاء فترة الانتداب. ولم يعترض أي من ت. إ. لورنس أو غيرترود بِل.

> وافق كل من الآنسة بِل والعقيد لورنس، وأضافت الآنسة بِل إن العراق يمكنه أن يستوعب مهاجرين كهؤلاء[21].

وإن أثار رد فعلهما الدهشة لدى ذوي الحساسية المعاصرة، فلا بد من القول مع إدوارد سعيد: إن بِل ولورنس «المؤيدين للعرب» هذين كانا «مستشرقين جاسوسين» تحدد معنى الشرق لديهما بما لدى الرجل الأبيض من نفوذ قائم على الخبرة. وبينما كان أولئك المجتمعون الذين لا يجمعهم ود متبادل يبحثون مصير قوم آخرين، كان هؤلاء الآخرون في اللجنة الإسلامية - المسيحية في يافا يلجأون إلى لندن ببرقية قالوا فيها:

> ما الخطأ الذي ارتكبناه نحن العرب الفلسطينيين؟... أنقذونا من طمع الصهاينة الذي يتفاقم يوما بعد يوم... هل حررتمونا من نير الأتراك لتضعونا تحت نير الصهيونية؟[22].

استمر ڤايتسمان في التشكي من «أن اليهود لم يلقوا من العناية ما توقعوه في بلد سيكون وطنهم القومي»، وتابع روتشيلد مطالباته بأن يعامَل اليهود معاملة مختلفة عن بقية مواطني فلسطين»، لكي تثبت بريطانيا أنها «تنوي حقا جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود». وكان البريطانيون قد منعوا فعلا أي منشورات تعارض

الصهيونية. أما فايتسمان فقد أخذ يضغط الآن عليهم لكي يزيلوا كل ما يتعلق بالرموز العربية من المنطقة، واعترض على سبيل المثال على الكتابة العربية على طوابع البريد. وجرى الدفع بالعبرية لتكون اللغة الرسمية لفلسطين، على رغم أن المستوطنين اليهود كان «عليهم أن يجلسوا ليتعلموا اللغة التي كان يقال إنها لغتهم الأم»، وفق تعليق الحاكم البريطاني لمدينة يافا[23].

رمزت الموسيقى، شأنها شأن اللغة، إلى السيادة أيضا. فعندما رفضت آني لانداو، التي كانت عضوا بارزا في التعليم المقدسي في النصف الأول من القرن العشرين، أن تقف لدى عزف «النشيد القومي الصهيوني»، أو الحاتكفا، في مارس من العام 1919 بمناسبة افتتاح مدرسة جديدة للموسيقى، فإنها تعرضت للتشنيع لهذا الموقف. وقارنتها جريدة «هآرتس»، للتعبير عن سخطها، بشخص اسمه الدكتور يعقوب إسرائيل دي هان، الذي وصفته الصحيفة بأنه «من حثالة الـمعادين للسامية» بسبب نقده للصهيونية، ووصفه بن غوريون بأنه خائن. وقد اتخذ ذلك الوصف شكلا أشد فظاعة عندما غادر دي هان الكنيس الواقع في شارع يافا في القدس بعد ذلك بخمس سنوات في 30 يونيو من العام 1924، وأرديَ قتيلا بإطلاق الرصاص عليه - فكان بذلك ضحية الاغتيال الصهيوني المسجل السادس، والأول على يد منظمة الهاغانا التابعة للوكالة اليهودية[24].

أرسل الرئيس وِلسن في ذلك الصيف (1919) بعثة لدراسة الوضع في الشرق الأوسط دراسة مباشرة بعد الحرب، وبعد انتهاء الحكم العثماني. وقد ترأس تلك البعثة كل من هنري تشرشل كنغ، رئيس كلية أوبرلِن، وأستاذ الرياضيات والفلسفة واللاهوت، وتشارلز ريتشارد كرَين، وريث الثروة التي أنتجتها شركة كرَين المتخصصة في إنتاج قطع السمكرة. وكان كرّين قد تبرع بسخاء لحملة انتخاب الرئيس وِلسن، وكان يعد على اطلاع واسع في شؤون الشرق الأوسط، وتضمنت خبرته الدبلوماسية حضور مؤتمر باريس للسلام.

وصل الرجلان إلى الشرق الأوسط «وذهن كل منهما ميال لمصلحة الصهيونية» بتعبيرهما، ولكن ذلك الـمَيل الذهني «لم يحتمل الوقائع على أرض فلسطين». وكان ينبغي أن يشكل التقرير الذي أعده كل من كِنغ وكرَين في العام 1919، ويشكل علامة فارقة في تاريخ القضية، أن يكون أساسا لا غنى عنه لمهندسي مستقبل

فلسطين، ولكن التقرير حجِب حتى أواخر العام 1922، عندما زود وِلسن نفسه صحيفة نيويورك «تايمز» بنسخة منه. وقد نشرت الصحيفة التقرير كله في 3 و4 ديسمبر، وقالت في تقديمها له إن مما يؤسف له أن العالم لم يطلع عليه قبل ثلاث سنوات، قبل أن تتخِذ الأحداث المجرى الذي اتخذته في الشرق الأوسط، ولم يعد بالإمكان تغييره.

> العالم في وضع منحرف في هذه الأيام لأن الحقائق حُجِبَت أو شُوِّهت. ولو رأى العالَم في العامين 1918 و1919 الوضع العالمي مجردا من المظاهر الخداعة، وانكشفت كل معاهدة سرية، واتضحت أحوال كل شعب من الشعوب، لأصر على التوصل إلى نتيجة مختلفة للأحداث تمام الاختلاف.

فقد دعم التقرير ما يقوله الفلسطينيون عن نية الصهاينة طرد غير اليهود من البلاد، على عكس ما يدعونه في العلن.

لقد اتضح مرارا من لقاءات البعثة مع ممثلي اليهود أن الصهاينة يتطلعون إلى تجريد السكان غير اليهود في فلسطين من كل شيء[25].

لم يأخذ التقرير التأكيدات الصهيونية القائلة إن الميزة التي يعطيهم إياها الكتاب المقدس أهم من رغبة الفلسطينيين في تقرير المصير على أنها ذات قيمة. فالادعاء الذي قدمه الممثلون الصهاينة والقائل إن لهم حقا في فلسطين أساسه احتلالهم لها قبل ألفي سنة لا يمكن أخذه مأخذ الجد[26].

بينما كان كل من كنغ وكرين يعدان تقريرهما، كان هـ. د. واطسن، كبير المسؤولين الإداريين في فلسطين، يذكر المعلومات الأساسية نفسها. فقد كتب في معرض إنكاره لكون الدين هو السبب الكامن وراء معارضة الفلسطينيين ما يلي:

> لقد تطلع أهل البلد، مالكو الأرض، بلهفة لتطوير بلدهم وتعليم أبنائهم تعليما أفضل - من أجل مصلحتهم هم وليس لمصلحة أناس من قوميات تأتي من الخارج.
>
> والخوف الأكبر لدى هؤلاء الناس أنه لا يكاد المال الصهيوني يدخل إلى البلاد حتى تقع الامتيازات الخاصة بالمناطق والمعادن في أيدي اليهود الذين يمنعهم تعصب بعضهم لبعضهم الآخر من التعامل مع من لا ينتمون إلى ديانتهم، وهو ما سيلحق الضرر بالمسلمين والمسيحيين.

ويتوقع هؤلاء، وهم أهل الأرض التي نشأوا فيها، أن يجري طردهم منها في نهاية المطاف...[27].

وقال محذرا «إن بريطانيا ستفقد كثيرا من أبنائها في حرب ستندلع، ضد مبادئ عصبة الأمم، بسبب إجبار بلد صغير على تقبل أعداد كبيرة من الأجانب بالقوة». وكانت هذه القوة ضرورية وفقا لما كتب رئيس الرقباء ج. ن. كامف من القدس بقدر واضح من الإحباط:

إن تعين علينا أن ننفذ أي نوع من السياسة الصهيونية فإننا سنضطر إلى الاستعانة بالقوة العسكرية، ولذلك عليكم قبل أن تنشروا نص انتدابكم على فلسطين بما فيه من شروط، أن تقولوا لنا، بالله عليكم، شيئا ليس عن سياستكم، بل عن سبل تنفيذها... وإن تعين علينا أن نمضي بسرعة فعليكم أن ترسلوا إلينا مزيدا من العسكر[28].

أما صديق فايتسمان العقيد ريتشارد ماينرتسهاغن فقد كتب رسالة من القاهرة في سبتمبر من سنة 1919 أكد فيها ثانية «أن قرار حكومة جلالة الملك لتأسيس الصهيونية في فلسطين مايزال محجوبا عن عامة الناس»، وأيد في مراسلاته الخاصة خطة التطهير العرقي، بل تباهى بها. وقال إن ما يقر به الجميع عن تفوق العقل والمال اليهوديين سيجبر «مالكي الأراضي والمتاجر على أن يدركوا عجزهم عن منع إخراجهم من فلسطين الذي لا مفر منه». ولعل واحدة من أشد الكلمات التي استخدمها دلالة: هي تلك التي وصف بها اعتراضات الفلسطينيين على أن تحكم الأقلية [المستوطنون] الأغلبية [الفلسطينيين]: إذ وصف تلك الاعتراضات بكلمة «متعصبة». وعلى غرار فايتسمان حذر ماينرتسهاغن من «الاتصال باليهود المحليين»، وهي الصفة التي كانت تطلق على يهود الشرق الأوسط، الذين كانت أغلبيتهم العظمى معادية للصهيونية[29].

تصرف كل من فايتسمان وماينرتسهاغن كأن بريطانيا هي وريث العثمانيين في فلسطين. وبالفعل كانت بريطانيا هي خيار الصهاينة للانتداب، ولكن تقرير كنغ وكرين المدفون أظهر أن الفلسطينيين كانوا يريدون أن تتولى الولايات المتحدة الإشراف على بلادهم إن حرموا من التحرير الذي وعدوا به. فمن وجهة نظر الفلسطينيين كانت الولايات المتحدة هي الوحيدة من بين الدول العظمى التي لم

يتلطخ تاريخها بعد، والتي وثقت بأنهم سيعيشون وفق مثل العدالة وتقرير المصير التي ترتبط باسمها. لكن كانت تلك هي المشكلة في نظر الصهاينة: فلو تمكنت الولايات المتحدة من أخذ فلسطين تحت جناحها وأسست فيها حكومة منتخبة لجعل ذلك هدفهم «بالغ الصعوبة» كما قال بن غوريون، ولذلك سعى زعماء الصهاينة إلى منع «الانتداب الأمريكي» على فلسطين[30].

لكن حتى بعد أن أصبحت بريطانيا هي الدولة المنتدبة، وأصبح «الوطن القومي» لليهود سياسة رسمية لعصبة الأمم ظل ونستن تشرشل ينكر أن هذه السياسة تنبئ «بإخضاع السكان العرب... كما يخشى الوفد العربي فيما يبدو». ولكن خشية الوفد العربي لم تكن أكثر من خشية الوزارة البريطانية التي اشتكت من «أن الانتداب برمته يقوم على وهم التوفيق بين متناقضين لا يمكن توافقهما، ألا وهو إعطاء اليهود مزايا خاصة والحفاظ على حقوق العرب»[31].

مع ازدياد المزايا التي تمتع بها اليهود ازدادت حدة المقاومة الفلسطينية من مستوى الرجاء والاتصالات الدبلوماسية إلى الإضرابات والمقاطعات، ووصلت في أواخر عقد العشرينيات إلى حد العنف، ووصل العنف إلى أشده في مذبحة سنة 1929 التي راح ضحيتها سبعة وستون يهوديا في مدينة الخليل، والتي كانت شرارتها قد اندلعت بسبب إشاعة كاذبة. ولذا لم يعُد في إمكان البريطانيين تجاهل أزمة الفلسطينيين الذين «كانوا يُهجّرون من أراض يعيشون عليها بسبب الأراضي التي تقع في أيدي اليهود»، كما ورد في تقرير كتبه لويس فرنچ. ومع ذلك فإن ڤايتسمان ظل يطالب بالحصول على مليون دونم إضافي (أي ألف كيلومتر مربع) مما تبقى من الأراضي الفلسطينية التي يمكن سقايتها[32].

وصف شاب أمريكي اسمه ڤول سيغل في سنة 1937 التضييق العرقي المتزايد استنادا إلى ما ذكره له «صديقان له كانا في فلسطين منذ أن بدأ الاستعمار اليهودي فيها». وقد تركا فلسطين بسبب معتقداتهما السياسية، وكانا مثل سيغل قد حاربا في إسبانيا ضد فاشية فرانكو الآخذة في الانتشار[33].

كتب سيغل إلى ذويه يقول: «لقد زوداني بمعلومات جمعاها بنفسيهما عن المكان [فلسطين]، ولا أشك في أن هذه المعلومات ستثير اهتمام آل سيغل».

إن شوفينية [المستوطنين اليهود] ضد العرب أكبر وأخطر من شوفينية ألمانيا هتلر ضد اليهود. فلا يسمح لأي عربي بالدخول إلى المدن اليهودية - ولا يوجد في تل أبيب عربي واحد. ولا يسمح لأي عربي أن يعمل لدى اليهود. وإذا ما شوهد عربي ويهودي يمشيان معا فإن كلا منهما يتعرض لعقاب [المستوطنين اليهود] ويعاقب العربي عقابا أشد من عقاب اليهودي. ولا يسمح لأي عربي بالانضمام إلى النقابات اليهودية[34].

كذلك كتب سيغل، الذي توفي خلال المواجهات ضد فرانكو، أن «العقول الصغيرة لكل من هتلر وموسوليني وفرانكو لا تستوعب أنه ما عاد بالإمكان إخضاع الشعوب في هذا العالم للإرهاب والكراهية». وتمثل رفض الإرهاب في المقاطعة العالمية لألمانيا، التي واجهت الدمار الاقتصادي بسبب قلة صادراتها - لولا كسر المقاطعة على يد الصهاينة في العام 1933 بعيد تسلم النازيين مقاليد الأمور، وذلك وفق خطة اتخذت شكلها الرسمي في اتفاقية هافارا للتسفير. وتمثلت في أن اليهود الذين يغادرون ألمانيا إلى فلسطين يمكنهم استعادة بعض أموالهم باستعمال تلك الأموال لشراء المصنوعات الألمانية التي يمكنهم بيعها بعد ذلك. وقد جربت هذه الفكرة لأول مرة في مايو من العام 1933، أي بعد تولي هتلر منصب المستشار الألماني بأربعة أشهر على يد شركة صهيونية للحمضيات اسمها هانوتايا.

رأى النازيون أن اتفاقية التسفير مع الصهيونية هي طريقتهم الوحيدة لهزيمة المقاطعة التي تقصم الظهر. وعمل ممثلو الصهيونية، بتشجيع من الغستابو ووزارة الخارجية ووزارة الداخلية الألمانية، على كسر المقاطعة المضادة للنازيين، وسوغوا خيانتهم للمقاطعة الدولية بقولهم إنهم لم يريدوا أن يتخذوا «مواقف سياسية» يمكن أن تؤثر على مشروعهم الخاص بالاستيطان:

> على الحركة الصهيونية أن تكرس اهتمامها كله لبناء الوطن القومي في فلسطين، ولا يمكنها أن تتخذ مواقف سياسية ضد دول بعينها[35].

وهكذا وافق المؤتمر الصهيوني في أغسطس من العام 1933 على اتفاقية هافارا للتسفير. وقد صيغت الاتفاقية نتيجة للصراع الداخلي في مواجهة معضلة أخلاقية لا حل لها: تمكين بعض اليهود من مغادرة ألمانيا، وتقوية النازيين من ناحية في مقابل مقاطعة يمكن أن تنقذ حياة الملايين - أو قد لا تنقذ أحدا. لكن المهم في الاتفاقية

لم يكن إخراج الناس أنفسهم - بل نقل جانب من ممتلكاتهم معهم، والتي ذهبت أجزاء كبيرة منها لتغذية مشروع الاستيطان الصهيوني(*).

لم يكن الإنقاذ، بحد ذاته، جزءا من أهداف الوكالة اليهودية في أي يوم من الأيام، وليس في تاريخها ما يوحي بأن قرارها بكسر المقاطعة جاء نتيجة للموازنة المضنية بين طرفي قضية أخلاقية. فقد ظل المشروع الاستيطاني هو العامل الحاسم، ولذا فإن الاتفاقية نصت على إخراج اليهود باتجاه فلسطين فقط. وبعد أربع سنوات سعى النازيون إلى الاتصال بحلقة وصل في الهاغانا هو فيفل ڤولكس بعرض مغر قوامه «الضغط على يهود ألمانيا للذهاب إلى فلسطين فقط، وليس إلى أي بلد آخر»[36].

وفي لقاء بين ڤولكس وأدولف آيخمان في برلين، ادعى الأول أن بوسعه أن يقدم معلومات استخبارية عن البريطانيين والفرنسيين والإيطاليين، وأن يساعد النازيين في الحصول على النفط - في مقابل توجيه المهاجرين اليهود إلى فلسطين فقط. ورحب ڤولكس بآيخمان في ميناء حيفا عندما زار فلسطين في أكتوبر من العام 1937، ولكنه لم يتمكن من أن يفعل أكثر من مرافقته في جولة في كيبوتس(**)، عندما علم البريطانيون بوجود مسؤول نازي. وعندما طُرد آيخمان من فلسطين ذهب إلى مصر برفقة ڤولكس.

وتلقي الملفات النازية التي استولت عليها الولايات المتحدة في أواخر الحرب العالمية الثانية بعض الضوء على جانب مما علمه آيخمان من مضيفه المنتمي إلى منظمة الهاغانا. قال آيخمان «إن دوائر القوميين اليهود [أي الصهاينة] سعداء جدا بالسياسة الألمانية الراديكالية لأنها ساعدت على إيجاد تفوق عددي [يهودي] على العرب». لكن كان من الصعب إبقاء اليهود الألمان في فلسطين بعد أن يأتوا إليها؛ لأن معظمهم كانوا يريدون الذهاب إلى مكان آخر. ولمنع ذلك «فإن اليهود الآتين

(*) ثمة عيوب أخرى في التفسير «الأخلاقي» المزعوم لكسر المقاطعة النازية. فلو كان الاهتمام منصبا على اليهود المهددين وكان ثمة من معنى لشراء حريتهم، على رغم أن ذلك سيقوي النازيين، لكان من الواجب صرف الأموال التي جنتها الوكالة لشراء حرية اليهود من دون استعمال الحد الأدنى من الأموال الضرورية للمشاركة في خطة هاڤارا للتسفير، وليس لبناء دولة الاستيطان. كذلك رفض الصهاينة طلبات ثلثي أعداد اليهود الألمان الذين تقدموا بطلب شهادات (في أثناء الحكم النازي) لمصلحة مستوطنين «أفضل» من الولايات المتحدة أو المملكة المتحدة الذين لم يكونوا يواجهون أي خطر وفق ما ورد في كتاب برنر «عصر الطغاة». ويذكر برنر أيضا أن ما نسبته 60 في المائة من المال الذي استثمره الصهاينة في المستوطنات بين العامين 1933 و1939 جاء من كسر الحصار المفروض على النازيين. [المؤلف].

(**) الكيبوتس (Kibbutz): كلمة عبرية الأصل تشير إلى المجتمعات الصهيونية التي استوطنت بعض مناطق فلسطين منذ ما قبل 1948، والتي قامت على الجهود التطوعية لأفرادها في إدارة شؤونها. [المحرر].

من ألمانيا يجب أن يوضعوا في مستوطنات جماعية، بعد تجريدهم من أموالهم». عند هذا الحد تغلق سجلات الهاغانا فيما يخص ڤولكس[37].

شهد العام 1937 أيضا إصدار تقرير اللجنة الملكية لفلسطين؛ التي كانت قد أنشئت في العام السابق لاستقصاء أسباب القلاقل في فلسطين. وعلى عكس التقرير المدفون الذي وضعه كنغ وكرين في العام 1919، قبلت لجنة پيل (كما عرفت) ادعاء الصهاينة أن اليهود ينتسبون إلى قومية قديمة بالدم وأن لهم حقوقا تمنحها لهم التوراة(*). وذكرت البعثة في عبارات غريبة المنطق أن المستوطنين «ينوون أن يظهروا ما يمكن للشعب اليهودي أن يحققه عندما يعود إلى أرض مولده». وبهذه العبارات اقترحت البعثة تقسيم فلسطين تقسيما يعطي المستوطنين مساحات شاسعة، ونقل 225 ألفا من الفلسطينيين من أماكنهم، بينما نقل 1250 من المستوطنين من أماكنهم - بمعدل 180 فلسطينيا مقابل كل يهودي. ومع ذلك فإن البعثة قدمت مقترحها بشكل ينبئ بعروض السلام الحالية، كأن الصهاينة كانوا يتنازلون عن بعض الأراضي. قالت البعثة بلهجة تذكر ببكائيات القرون الوسطى: «إن على اليهود أن يرضوا بأقل من أرض إسرائيل التي حكموها في يوم من الأيام»، تاركة عبارة «أرض إسرائيل» والضمير في «حكموا» من دون تعريف أو تفسير[38].

ومع أن المؤسسة الصهيونية رحبت بالوعد الضمني الذي جاءت به لجنة پيل بإنشاء دولة ينفصل فيها العرقان، فإنها رفضت الخطة لأنها لم تعطهم فلسطين كلها. واستشهد بن غوريون، في أثناء حديثه مع وسائل الإعلام بعد انتهاء المداولات، بالكتاب المقدس بدعوى أنه يعطي اليهود حقا قانونيا لا يقبل الجدل بفلسطين (كلها) وسخر من العرب «المنشغلين بالسياسة»[39].

ركز بن غوريون في دفتر يومياته على اقتراح لجنة پيل المتعلق بالفصل العنصري، ووضع خطا تحت عبارة «النقل الإجباري»، وعبارة «يهودي حقا»، ثم ذهب

(*) الكلمة الأصلية هنا هي Biblical، وهي صفة من Bible، وهذه كلمة تترجم عادة بعبارة «الكتاب المقدس». لكن عندما تنشأ الحاجة إلى الصفة التي تقابل Biblical فإن المترجم كثيرا ما يلجأ إلى الصفة «توراتي» غير الدقيقة. فالكتاب المقدس يتكون من جزأين، الأول (والأطول) هو العهد القديم، بينما يضم الجزء الثاني (الأقصر) العهد الجديد، الذي يضم الأناجيل الأربعة وأشياء أخرى. ولذلك فإن كلمة «التوراة» والصفة «توراتي» تفهم عادة بأنها تعني العهد القديم على رغم أن Torah لا تدل في الاستعمال الصحيح إلا على الكتب الخمسة الأولى من العهد القديم. [المترجم].

بكلماته الأربع هذه إلى أبعد حتى من النصوص التوراتية: فقد كتب باستعمال ضمير المتكلمين، ذاهبا إلى أبعد مما ورد في تقرير اللجنة، مستخدما طابعا توراتيا، لضميري «هم»، و«نحن» المستخدمين في التقرير قائلا: إن الفصل «سيعطينا شيئا [هو النقاء العرقي] لم نحصل عليه قط... في عصر الهيكل الأول ولا في عصر الهيكل الثاني». إن تفسير يوميات المشاهير يفتح الباب على مسألة المقصد: هل نطلع خفية على أفكار الكاتب السرية التي كتبها من دون تفكير في عواقبها أم إنه كتب الكلمات لنا لتكون من باب تعظيم الذات وقد اتخذ شكل التأمل؟ كان بن غوريون يؤمن، أو أراد لنا أن نؤمن بـأنه يؤمن، بأننا ندخل عصر الهيكل الثالث وأنه كان هو المتنبئ بحلوله[40].

نشرت معظم الصحف البريطانية الكبرى صورة إخبارية يوم 21 أكتوبر، تظهر العرب في حالة شغب في القدس (وفق ما ورد في التعليق تحتها) بسبب مقترحات لجنة پيل. وإلى أن ثبت أن الصورة غير صحيحة، (لأنها كان قد جرى تداولها قبل أربعة أعوام في العام 1933)، فإنها أتاحت الفرصة لتقديم صور نمطية عن «العرب»، وزودت ألمانيا بمادة دعائية ضد بريطانيا. واستمر التمرد الذي بدأ في سنة 1936 مع ازدياد الإرهاب الصهيوني، بعد أن عززت لجنة پيل مخاوف الفلسطينيين أكثر مما عالجت أسباب الشغب. ومضت موجة العنف هذه وتصاعدت بسبب استمرار الاستيلاء على الأراضي والمصادر الطبيعية وفرص العمل، وفصل بعضها عن بعضها الآخر على أساس عرقي. وبعبارة ناشر جريدة «نيويورك تايمز» آرثر سولزبيرغر التي نشرها بعد سنوات، كان العرب في فلسطين يقاومون السيطرة وليس الهجرة اليهودية[41].

كان الرد البريطاني على الشعب الفلسطيني عقابا جماعيا على صعيد واسع على رغم أن القرى الفلسطينية (على عكس المستوطنات الصهيونية) لم تكن تشارك في تنظيمات تساند الإرهابيين أو تحميهم. وتشير عبارتا Minesweeper Taxis وArab 'bad-hat taxis and driver إلى دروع بشرية كانوا يوضعون في عربات أمام القطارات، أو يتقدمون مواكب السيارات العسكرية؛ لحماية البريطانيين من الألغام المزروعة على الطرق، كما تذكر المندوب السامي فيما بعد. وجرى نسف مائة بيت من بيوت الناس الذين لا علاقة لهم بالثورة من دون تعويض في العام

1936، وعندما اغتال أحد الفلسطينيين مسؤولا بريطانيا في العام 1938 كان الرد البريطاني تسوية جزء كبير من البلدة التي أتى منها، وهي جنين، بالأرض[42].

لكن بينما كان الإرهابيون terrorists الفلسطينيون مجموعات متفرقة من الفدائيين guerrillas يعملون في المناطق الريفية، فإن الإرهابيين الصهاينة كانوا مليشيات منظمة تعمل داخل المدن وتتمتع بحماية السكان. والسجلات الخاصة بعنف العصابات الصهيونية في المراحل المبكرة قليلة، وذلك، وفق تصور البريطانيين، عائد «من غير شك إلى العقوبات الشديدة التي تجبر أعضاء تلك العصابات على الالتزام بالسرية»، ولذلك قيل إن الإرهاب في بداياته ارتكبه متعصبون يهود فرادى. لكن مع حلول العام 1937 كان البريطانيون يعلمون بالطبيعة المنظمة تنظيما محكما للإرهاب اليهودي، ولكنهم لم يكونوا مستعدين - كما سيتضح من التكرار المملل للعنف المقبل - لمواجهة اتساعه في ظل التأييد الضمني والحماية اللذين تلقاهما من الـ Yishuv(*) كلهم. وعند حلول يناير من العام 1940، ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية، اعترفت وزارة الحرب بأن الادعاءات القائلة إن عنف منظمة الإرغون كان دفاعيا «لم يعد بالإمكان قبولها»، وتشير وثائق المنظمات الإرهابية نفسها إلى أن المذابح التي كانت ترتكبها لم تفرق بين مذنب وبريء. وقد تصاعد الإرهاب الصهيوني في غياب الإرهاب الفلسطيني، واستهدف كل من يقف عقبة في سبيل تحقيق أهدافه - سواء أكان فلسطينيا أم بريطانيا أم يهوديا[43].

أطلق الرصاص على ثلاثة من اليهود في 15 أبريل من العام 1936، توفي اثنان منهم متأثرين بجراحهما. وعقب يومين قتلت منظمة الإرغون فلسطينيين «كانا نائمين في كوخ تابع لمزرعة لليهود في مستعمرة راماتييم»، وفق رواية جريدة فلسطين. وهوجم الفتيان من صباغي الأحذية والباعة الجوالين في 18 أبريل، وفي 19 منه انتشرت إشاعة عن قتل عرب وقطع رؤوسهم في تل أبيب، فاندلعت ردود فعل عنيفة قام بها الفلسطينيون العاطلون عن العمل في يافا، قُتل فيها تسعة من اليهود. وكما حدث في المذبحة التي جرت ضد اليهود في الخليل العام 1929، كان من الممكن أن يكون عدد الضحايا أكبر لو لم يحم الفلسطينيون في المنطقة

(*) تستعمل هذه الكلمة للدلالة (من دون الخوض في التفاصيل) على اليهود الذين سكنوا فلسطين قبل إنشاء الدولة، وسأستعملها بصيغة «اليشوف» حيثما ترد فيما بعد. [المترجم].



كاريكاتير سياسي من جريدة فلسطين في صيف العام 1936 يصور دعم بريطانيا (أو جون بل) للصهاينة بوصفه زواجا غير شرعي جاء نتيجة لـ «ضغط» الحرب العالمية الأولى.

اليهود المستهدفين. وفي اليوم التالي (20 أبريل) أطلق أفراد منظمة الإرغون النار على عربيين يمتطيان جملا غربي تل بنيامين، فقتل أحدهما، وقتلوا عاملا في مزرعة. وتذكر سجلات الإرغون اعتداءات أخرى ضد الفلسطينيين من غير تفاصيل[44].

انضمت قطارات الركاب إلى أهداف منظمة الإرغون في 17 أغسطس (1936) عندما هاجم أفرادها خط يافا - القدس بالقنابل اليدوية فسببوا (وفق وصف المنظمة) «رعبا كبيرا بين عرب يافا». توفي أحد الركاب على الفور، وجرح آخرون جروحا بالغة. كذلك غدا زوار الشاطئ الفلسطينيون من الأهداف المفضلة طوال العقد التالي. فقتلت عصابات الإرهاب بعضهم في مارس من العام 1937، وكذلك بعض عمال الزراعة في وادي الحفر Hefer Valley.

وكانت المرة الأولى التي سُجِّلت فيها أحداث تفجير بالقنابل في المقاهي الفلسطينية في العام 1937 في حيفا، وفي الحافلات الفلسطينية في سبتمبر من تلك السنة. وهوجمت رحافيا في 6 مارس، وبازور في 22 مارس، والقدس في 20 مايو، وتبعتها هجمات أخرى في 7 يوليو و20 أكتوبر.

وفي 11 نوفمبر قذفت منظمة الإرغون قنبلة على مجموعة من الفلسطينيين في شارع يافا في القدس «قرب كراج شركة الحافلات الوطنية»، وهاجمت في ذلك الشهر بعض المقاهي في القدس بالرشاشات والقنابل. وهوجمت السيارات الفلسطينية في منطقة الجليل في ديسمبر، وفي السابع والعشرين منه أطلقت الإرغون النار على حافلة فلسطينية كانت تسير على طريق تل أبيب - القدس[45].

«وبعد أن اكتُشف كيسان فيهما قنابل على قطار آتٍ من حيفا خاص بالعمال التابعين لشركة النفط العراقية» (كما ذكر البريطانيون في 11 أبريل من العام 1938) نقل رقيب فلسطيني الكيسين من القطار، ووضعهما في موقع الشركة حيث انفجرا وقتلا شخصين وسببا جرحا بالغا لشخص ثالث. وعندما هرعت شرطة حيفا للمكان جاءت أخبار عن وجود كيس آخر على قطار موجود في المنطقة. أُخليت تلك العربة وفُصلت عن بقية العربات، واستدعي خبير المتفجرات. لكن رقيبا وشرطيين تجاهلوا التحذيرات (أو لم يكونوا على علم بها) ودخلوا العربة قبل وصوله على أمل حماية القطار، وقذفوا بالكيس خارج النافذة فانفجر وقتل اثنين منهم. ويبدو أن البريطانيين لم يكونوا على علم بمصدر القنابل إلى أن أعلنت منظمة الإرغون مسؤوليتها عن وضع

القنابل الموقوتة على القطار المخصص لنقل العمال العرب. كذلك قُتل أربعة أشخاص آخرين في ذلك اليوم بواسطة قنابل الإرغون قرب كريات حاييم[46].

في 17 أبريل هاجمت الإرغون «حشدا من المشاغبين»(؟)، وبعد ذلك بأربعة أيام حاولت نسف حافلة فلسطينية، ولكن القنبلة لم تنفجر. أعقبت ذلك «هجمات ضد مجموعات من العرب» في القدس في 17 مايو، وعلى «تجمعات المشاغبين» على طريق الخليل - القدس. وهوجمت مجموعات أخرى في 23 مايو في منطقة تل أبيب، ووقعت في اليوم نفسه اعتداءات على الفلسطينيين في حيفا؛ ردا على المحاكمات البريطانية لأعضاء من منظمة الإرغون، على رغم مجافاة ذلك للمنطق. كذلك هوجم السوق العربي في يافا بالمتفجرات في 26 يونيو، وفي الرابع من يوليو قُتل خمسة فلسطينيين، وجرح عشرون؛ عندما هاجمت منظمة إرغون الأحياء العربية (أو ما دعته المنظمة «بالتجمعات العربية») في القدس. كذلك هاجمت إرغون الحافلات الفلسطينية في الرملة في 5 يوليو[47].

أما ما حدث في 6 يوليو من العام 1938 فقد أصبح موضوعا ملحًا بعد ذلك بيومين عندما رست السفينة البريطانية ريپلس في خليج حيفا. إذ صعد مسؤول المنطقة على ظهر السفينة وشرح الوضع السائد على الشاطئ على النحو التالي:

> ألقيت قنبلة كبيرة يوم الأربعاء [6 يوليو] في السوق العربي وانفجرت مسببة إصابات كثيرة بلغ عددها 120 قبل أن يستتب الأمن[48].

أما رواية جريدة فلسطين لها فتقول إن الإرهابيين

> تمكنوا من التسلل إلى سطح أحد الدكاكين في مدخل السوق قرب سوق علون وقاموا بقذف قنبلة على جمهور من العرب، فانفجرت محدثة صوتا رهيبا بالقرب من دكان لصراف يهودي قتل فيه هو وابنه... وكان منظر الضحايا مؤلما جدا: هذا يئن وذاك يتلوى من الألم[49].

قال التقرير البريطاني: «نكاد نجزم بأن الهجوم ارتكبه يهود من حزب المتطرفين»(*). وبالفعل كان المهاجمون من منظمة الإرغون، التي تشير سجلاتها

(*) يعرف قاموس كولنز مصطلح Revisionism (الوارد في النص هنا) بأنه شكل متطرف من أشكال الصهيونية نشأ في فلسطين في عقد الأربعينيات من القرن العشرين. [المترجم].

إلى هذه الحادثة وأمثالها في القدس القديمة في ذلك اليوم. وفي السابع من يوليو اتخذ أفراد من مليشيا الإرغون أماكنهم على طريق تل أبيب/حيفا «لمهاجمة حركة السير العربية»، ولكنهم أصابوا زوارا هنودا آتين من تنزانيا، بالخطأ لأنهم حسبوا الهنود «عربا»[50].

وبعد أن «دمرت قنبلة حافلة مملوءة بالفلاحين العرب» (وفق وصف صحيفة نيويورك تايمز للحادثة) قرب باب يافا في 8 يوليو، وقتلت أربعة من الفلسطينيين على الفور، وجرحت ستة وثلاثين آخرين. اعتقل البريطانيون أربعة يهود بسبب الجريمة، ومنهم تلميذة قيل إنها هي التي قذفت بالقنبلة. وكان الانفجار من الشدة بحيث سبب انهيار سوق قريب للخضار. وقد تباهت منظمة الإرغون التي اعترفت بمسؤوليتها بأن التفجير سبب فزعا شديدا بين العرب. وقد رأى البريطانيون في ذلك إشارة مبكرة إلى سعي الصهاينة لتحويل الأطفال إلى متطرفين[51].

وبغرض منع وقوع مزيد من الهجمات؛ زود البريطانيون كل منطقة من مناطق الشرطة الخمس في حيفا بفصيل حماية، وفرضوا منع التجوال - لكن منظمة الإرغون نجحت في شن هجوم أفظع في 15 يوليو. فقد وضع أحد أعضائها متخفيا بزي حمال عربي صفيحة خيار مفخخة، وسط سوق عربي في حيفا، وقتل عشرات من الفلسطينيين وجرح كثيرين. وفي القدس سبب تفجير آخر نفّذه المتطرفون اليهود بعد ثلاثة أيام من ذلك الهجوم قتل أحد عشر فلسطينيا وجرح ثلاثة آخرين جروحا بالغة.

وفي حيفا، «وبينما كانت الأمور تعود في الظاهر إلى وضعها الطبيعي»، ذكر ضابط في سلاح البحرية الملكي في 25 يوليو أن الإرهابيين الصهاينة ألقوا قنبلة على سوق البطيخ (العربي) فيما يشبه هجوم 6 يوليو. وكان المقصود من التوقيت المختار - وهو السادسة صباحا - إيقاع أكبر عدد ممكن من الضحايا. وبالفعل «سببت القنبلة إحداث دمار كبير، وأدت إلى مقتل 45 عربيا وجرح 45 آخرين، وقتل 3 خيول و9 حمير». لقد حسب الراغبون في شراء طعام الإفطار في الصباح الباكر أن الوضع آمن «لأن المكان المختار كان أشدها انكشافا»، فهو يقع قرب كنغزوي ومعهد البحارة، ومقر فرق الرسو، وعلى مرأى من مركز الشرطة الرئيس»[52].

في اليوم التالي (السادس والعشرين) حاول يعقوب راس، أحد أكبر «شهداء» منظمة الإرغون، أن يضع «قنبلة موقوتة من أشد القنابل هولا في مدينة القدس القديمة» كما وصفتها إحدى السجلات البريطانية. فقد تخفى راس مستخدما زيا عربيا، ووضع القنبلة في عربة مملوءة بالخضراوات، وراح يدفعها باتجاه السوق، لكن المارة شكوا فيه، وكشفوا عن القنبلة وسلموه للبريطانيين. وتقول منظمة الإرغون إنه انتحر ليتحاشى كشف الأسرار تحت التعذيب.

كان «قتل العرب» هدف المليشيا التي كانت تسكن بلدا خياليا اسمه إسرائيل التوراتية التي لم تتوقف عن الوجود. وقد امتدحت هذه المليشيا راس وغيره من الذين قُتلوا «وأنقذوا شرف إسرائيل [وذلك قبل مجيء الدولة التي اتخذت لنفسها ذلك الاسم بعقد من الزمان] غير مرة عبر السنين، وزادوا من أعداد القتلى العرب في القدس وحيفا وغيرهما من مناطق البلاد». واستغلت منظمة الإرغون مقاطع من الكتاب المقدس؛ كتلك التي تروي قصة موسى في العهد القديم، لتشجيع «اليهود من ذوي الفكر الصحيح»، وفق وصفها لهم، على قتل العرب[53].

كان البريطانيون قد أتموا في نهاية العام 1938 وظيفتين من وظائفهم الثلاث في خدمة الصهيونية: فقد رسخوا حركة الاستيطان، وحصلوا له على اعتراف دولي وما يشبه الاستقلال الذاتي، وقمعوا الثورة الفلسطينية ضد تهجيرهم من أراضيهم. أما المرحلة الثالثة فستجعل من البريطانيين «محتلين» للمستعمرات الصهيونية، وستمكن المستوطنين من جعل حرب السيطرة والتطهير العرقي حرب «تحرير»[54].

3

بينما كانت الحرب تستعر: 1939 - 1944

«يمثل قتله صُلب المشكلة الراهنة، التي تتمثل في أن الصهاينة، الذين تدعمهم أمريكا، يريدون فلسطين كلها، وأن أي شخص يعرض عليهم ما هو أقل من ذلك يعد عدوا لهم»

الإيكونومست، نوفمبر 1944

حول اغتيال اللورد موين[1]

جاء سحق الثورة الفلسطينية في العام 1939 نتيجة لتلاقي عدد من الأحداث التي شكلت مستقبل فلسطين. فقد أصدر البريطانيون في ربيع تلك السنة كتابهم الأبيض في محاولة منهم لتنظيم الهجرة الصهيونية، وتحديد أعدادها، وقدرتها على الاستيلاء على الأراضي، وفتحت

«شكل الإمساك بالقنبلة قبل انفجارها أول دليل لا شك فيه يظهر ما حامت الشكوك حوله منذ زمن طويل، وهو أن هذه القنابل المميتة ذات أصول يهودية»

منظمة الإرغون جبهتها الأمريكية بإدارة هليل كوك تحت اسم مستعار هو بيتر بيرغسن. واندلعت الحرب العالمية الثانية في أواخر العام 1939[2].

وقد عززت الحرب العالمية الثانية من قدرة الصهاينة على دمج الملجأ الآمن لليهود بالسياسة الاستيطانية المفضية إلى الحكم القائم على أساس العرق. فقد أدت فظاعة الهولوكوست، التي يعجز العقل عن فهمها، إلى تعاطف لا حدود له مع اليهود المضطهدين، مما سهل استغلال الوضع لمصلحة الأفكار الصهيونية، فقد قيل إن فلسطين هي الجواب الوحيد لآلامهم، وأطلقت صفة النازي على كل من شكك في هذا التفسير.

وأدى الخوف من انتصار النازيين إلى ممارسة منظمتي الإرغون والهاغانا الإرهاب في أثناء الحرب العالمية الثانية، لكن ذلك لم يكن يحظى بموافقة كل الأعضاء، فانشقت عنهما مجموعة يقودها أفراهام شتيرن، مثلما كانت منظمة الإرغون قد انشقت عن منظمة الهاغانا في العام 1931. وكانت عصابة شتيرن (وهو الاسم الذي عرفت به) أو ليهي (وهو الاسم الرسمي) أشد المنظمات الرئيسة الثلاث تطرفا، وزعمت (بتعبير سكرتيرها الأول في القدس) أنها «وارثة أنقى ما خلفته إسرائيل القديمة من تراث».

لم تفرق ليهي كثيرا بين دول الحلفاء ودول المحور، لذلك فإنها لم تجد سببا يدعوها إلى تخفيف إرهابها في أثناء الحرب. كانت حجة هذه الجماعة «أن في إمكان اليهود العاقلين أن يتوقعوا البقاء في موقع جيد في فلسطين إذا ما تحقق النصر للألمان». وفي أواخر العام 1940، سعى شتيرن إلى إيجاد تحالف بين ليهي والنازيين، وعندما لم يستجب النازيون أرسل صديقه، العضو السابق مثله في منظمة الإرغون، وهو ناثان يلن - مور ليحاول ثانية. اقترح يلن - مور (وسيكون في المستقبل عضوا في الكنيست) ضرب البريطانيين في فلسطين بينما تكون بريطانيا في وضع ضعيف بسبب حربها ضد النازيين – وهي خطوة من شأنها إضعاف البريطانيين في تلك المعركة أيضا[3].

كذلك حاولت منظمة ليهي التقرب من الفاشيين الإيطاليين، وهو ما فعله فايتسمان أيضا، وكان قد التقى بنيتو موسوليني فيما تحدوه فكرة مفادها أن العلاقة مع الفاشيين قد تشكل ورقة ضغط على البريطانيين. غير أن منظمة ليهي

سعت إلى اتفاقية رسمية مع الفاشيين في أثناء الحرب، وقيل إنها كانت تزود البعثة الإيطالية في سورية بالمعلومات العسكرية.

وقد صِيغ تفاهم ليهي مع الفاشيين الإيطاليين هذا في «اتفاقية القدس للعام 1940». واقترح فيها أن يساعد الفاشيون في هزيمة البريطانيين في فلسطين؛ ومن ثم «استعمال كل ما لديهم من القوة لإنهاء الشتات اليهودي» - أي أن يعمل الفاشيون على تدمير كل المجتمعات اليهودية غير الفلسطينية نيابة عن ليهي، ونقل سكانها بالقوة إلى المستعمرات الصهيونية. ونصت الاتفاقية على ضروة توقيع الإيطاليين لها، وتوقيع «رئيس الوزراء اليهودي المؤقت». لكن من المفارقات المضحكة أن الشخص الذي كانت ليهي تتفاوض من خلاله كان يعمل جاسوسا أيضا لمنظمة الإرغون. وعندما علمت هذه المنظمة بالمفاوضات حاولت الحصول على الوثائق لإحراج المنظمة المنافسة. وكتب المسؤول الأمني البريطاني يقول: «حال حائل لا تعرف طبيعته» دون توقيع الوثيقة. وتحولت عواطف ليهي ثانية باتجاه النازيين[4].

هؤلاء «الإرهابيون الموالون للمحور»؛ كما وصفتهم جريدة التايمز اللندنية سعوا - بكلمات قادتهم - «لتنظيف شوارع المدينة من أي شخص يرتدي بزة عسكرية تدل على أنه بريطاني». ومع أن «ارتداء البزة العسكرية» يعني أن صاحبها عدو، فإن أي شخص يبدو عليه أنه عقبة أمامهم كان في وضع خطر. ومعظم ضحايا الاغتيالات الصهيونية (أي الذين قتلوا عمدا وليس عشوائيا)، سواء على يد أتباع ليهي أو الإرغون أو الهاغانا، كانوا يهودا[5].

وعندما أثار مسافر من ألمانيا إلى مطار اللد في فلسطين يوم 22 فبراير 1939 شكوك ضابط الهجرة، وضع الأخير المسافر تحت الحراسة، وذهب ليستطلع الأمر بالهاتف، فهرب المسافر الغامض، وتبين أن جواز السفر يعود إلى يهودي قتله الفلسطينيون قبل خمسة أشهر، بينما وضعت صورة أخرى محل الصورة الأصلية. وبعد أربعة أيام حشد بن غوريون اليشوف بما دعاه البريطانيون «بيان... ليهود فلسطين». وفي اليوم التالي (27 فبراير) «ارتكب اليهود فظائع في جميع أرجاء البلاد» ضد الفلسطينيين، وكان ذلك قبل ثلاثة أشهر من إعلان الكتاب الأبيض الذي عده الصهاينة تسويغا لأعمالهم الإرهابية. وقُتل جراء هذه الأعمال ثمانية وثلاثون فلسطينيا وجرح ثمانية وأربعون. وعندما اجتمع الفاءاد ليئومي (المجلس

العام لليهود الفلسطينيين) بعد ذلك بيوم واحد، تحدث حتى من كانوا يعتبرون معتدلين: «بلهجة متصلبة لا هوادة فيها»؛ كتلك التي لم يكن يستعملها إلا أتباع جابوتنسكي (مؤسس الإرغون)، ووجد هذا التأييد الجديد للمتطرفين صداه في جريدة داڤار التابعة لحزب العمل. وتبين في مايو أن الرجل الذي اختفى من مطار اللد كان ينوي الصعود إلى طائرة ذاهبة إلى حيفا ومعه هوية مزورة، واسمه داڤيد رازيل، القائد الأعلى لمنظمة الإرغون، وهو من يظن أنه مهندس هجمات السابع والعشرين من فبراير[6].

بينما كان نص الكتاب الأبيض يُقرأ من إذاعة تل أبيب مساء يوم 17 مايو - بعد أن تأخرت إذاعته بسبب تخريب الصهاينة لخطوط الإرسال - هاجم نحو ألف من اليهود دائرة مسؤول المنطقة ونهبوها. وبعد ذلك تغلبت مجموعات من اليهود على حراس قسم الهجرة في القدس ووضعوا فيه تسع قنابل حارقة انفجرت أربع منها. واستمرت أعمال الشغب في اليوم التالي عندما تجمع حشد من ألف يهودي في الساحة الصهيونية وأخذت الحجارة تنهال على السيارات غير اليهودية. وفي مساء ذلك اليوم كسر «المتطرفون الشباب من اليهود» النوافذ، ونهبوا الدكاكين، وقذفوا الشرطة بالحجارة. وأُطلق الرصاص على شرطي فقُتل. وأحرقت مجموعات أخرى من اليهود دائرة البريد في حي ميا شيريم ودمرتها. واستمرت الاغتيالات الصهيونية لليهود ممثلة في إعدام ضابط شرطة في 3 مايو[7].

حصل الكتاب الأبيض على موافقة مجلس العموم في 23 مايو. وبعد ذلك بيومين «فتح ثلاثة يهود النار من سيارة على مجموعة من العرب قرب المحطة الشرقية في حيفا»، كما ورد في برقية بريطانية، وجرحوا خمسة فلسطينيين. واستمر التمرد عندما هاجمت مجموعة من اليهود غير المعروفين في بواكير يوم 29 مايو قرية بيار عدس، وأطلقت النار على عشرة فلسطينيين، فقُتل خمسة منهم - أربعُ نساء ورجل واحد - على الفور. وزرع المهاجمون الذين «كانوا يرتدون زيا أوروبيا ويتكلمون العبرية» علم الصهيونية ثم هربوا بسيارة. واغتال «يهودي مجهول الهوية» يهوديين؛ أحدهما شرطي والآخر مدني، كانا يتحدثان معا. وفي وقت مبكر من ذلك المساء زرع أفراد من منظمة الإرغون أربع قنابل في سينما ركس في القدس. وعلى رغم أن العملية لم تنجح تماما، فإنها أدت إلى مقتل ثلاثة عشر عربيا وثلاثة بريطانيين وفتى

وفتاة يهوديين ذهبا إلى السينما (بكلمات منظمة الإرغون) لـ «الاستمتاع برفقة العرب». وفي القدس في اليوم التالي (30 مايو)، قُتل فلسطينيان في حافلة عربية «من قبل يهود مجهولين»[8].

وفي 2 - 3 يونيو قتلت قنابل الإرغون أربعة عشر فلسطينيا وجرحت خمسة وثلاثين في هجمات على سوق عربي قرب باب يافا، وبواسطة ألغام زرعت في مزارع القرى الفلسطينية وطرقها. كذلك جرى تخريب وسائل الاتصال، فقد انفجرت ثلاثة مواقع للاتصالات الهاتفية معا في ثلاث مناطق من القدس فأتلفت 175 سلكا تأثر بسببها 1700 خط. وأُلقيت قنابل على غرف الهواتف العمومية في القدس وتل أبيب وحيفا. وعندما «قُتل عربي على يد يهودي» في القدس في السابع من الشهر «بالقرب من عدد من اليهود الآخرين وعلى مرأى منهم» فإن الشهود لم يفعلوا شيئا لمنع الجريمة، «ثم رفضوا أن يدلوا بشهادات لها صلة بالموضوع إلى رجال الشرطة». وفي تل أبيب في ذلك اليوم، نُسفت خطوط الهاتف، مرة أخرى، كما نُسف خط السكة الحديد القريب من المدينة. وفي ليلة الثامن منه وقع ما يزيد على اثني عشر انفجارا من الانفجارات الموقوتة المتزامنة فدمرت خمسة محولات كهربائية، فغرق ثلث مدينة القدس في الظلام[9].



موسيقيون فلسطينيون على الهواء، مع فتاة وفتى يغنيان أمام الميكروفون. محطة الإذاعة الفلسطينية في القدس، 1940.

عند التاسعة والنصف من صباح اليوم التالي قُبض على فتاة يهودية في سن المراهقة ترتدي زي امرأة عربية، بعد أن وضعت سلة فيها قنبلة جرى توقيت انفجارها ليكون عند الساعة الحادية عشرة بين جمهور من العرب. وأثار اعتقال الفتاة الخوف من أن الأطفال يجري تلقينهم من قِبل الإرهابيين، وشكل الإمساك بالقنبلة قبل انفجارها «أول دليل لا شك فيه يظهر ما حامت الشكوك حوله منذ زمن طويل، وهو أن هذه القنابل المميتة ذات أصول يهودية»[10].

واستهدفت طرود بريدية مفخخة وصف أحدها بأنه «لغم في ظرف» (وهو شكل مبكر مما يعرف بالرسالة المفخخة في هذه الأيام) دائرة البريد المركزية في يونيو. وقد انفجر أول طرد من هذا النوع عند الساعة التاسعة إلا الربع من مساء العاشر منه. وبينما كان ضابط شرطة بريطاني وثلاثة من رجال الشرطة اليهود وشخص آخر يجرون التحقيق في الانفجار، انفجرت قنبلة أخرى أدت إلى إصابتهم بجراح، وفي الصباح وجد عامل في البريد يعمل على إزالة الأنقاض رزمة ثقيلة تثير الشكوك فنبه لها أحد رجال الشرطة، ولكن الرزمة انفجرت قبل أن يتمكن الشرطي من معرفة ما هي، فقتلته وأدت إلى جرح ثمانية آخرين من العاملين في البريد. أما الخبر الطيب في ذلك الصباح فكان فشل محاولة اغتيال رئيس بلدية يافا[11].

تعرضت المقاهي للقنابل ما بين الثاني عشر والثالث عشر، ونُسفت دائرة البريد في شارع هرتزل ودُمرت، وأُلقيت القنابل على أكشاك الهاتف في تل أبيب أو خُربت، وأشعلت النار في محطة القطار قرب بيت هدار وفي بيت فلسطيني في يافا. وعندما قُبض على خمسة فلسطينيين من بلد الشيخ (حيفا) ليلة الثاني عشر «وقتلوا بدم بارد خارج القرية»، «تباهت برقية يهودية بعد ذلك بهذه الجريمة، ووصفتها بأنها إنجاز يهودي». وأُلقيت القنابل على طريق قرية الفيجة، وعلى شاحنة عمومية؛ ما أسفر عن مقتل فلسطيني وجرح ثلاثة عشر، مات أحدهم بعد ذلك متأثرا بجراحه. أما أفظع هجوم شُن خلال هذه الساعات الثماني والأربعين فقد حدث في طبرية، حيث زرع الإرهابيون اليهود لغما أرضيا قتل سبعة فلسطينيين وجرح خمسة عشر. وقُتل فلسطينيون آخرون يوم الخامس عشر. وتشير السجلات البريطانية إلى استمرار الهجمات اليهودية العشوائية التي يقوم بها المستوطنون بلا سبب؛ إما بواسطة القناصة وإما بالقنابل، وهو ما

لخصته القيادة العامة بعبارة «التخريب المستمر والهجمات الإرهابية المتكررة ضد العرب على يد المتطرفين اليهود»[12].

وجاءت حيفا لتصبح موقعا لعملية التفجير التي ارتكبتها منظمة الإرغون لإحدى أسواقها الرئيسة. وازداد التوتر الطائفي بين سكان المدينة؛ وفق قول البريطانيين، «بتفجير قنبلة يهودية كبيرة في سوق للخضار يوم 19 يونيو راح ضحيته 21 قتيلا و24 جريحا من العرب». وكما حدث في هجمات الأسواق السابقة، جرى توقيت الانفجار ليحدث في ساعة الاكتظاظ، أي في الساعة السادسة صباحا ليبلغ عدد الضحايا أقصاه، وكان نصفهم من النساء والأطفال. ولكيلا تترك منظمة الإرغون أي شك في أن المدنيين هم المستهدفون تباهت نشرة الأخبار التي أُذيعت بعد الانفجار بأن عدد القتلى يفوق الأعداد التي صرح بها البريطانيون بكثير: 52 قتيلا و32 جريحا في حادثة التفجير تلك. وفي قرية لوبيا (في الناصرة) قتل ثلاثة فلسطينيين وجرح ثلاثة آخرون في اليوم التالي. وعندما قُتل يهودي في اليوم التالي (21 يونيو) في قرية موتسكن (قرب حيفا) كان من شأن البريطانيين أن يظنوا أنه ضحية رد الفعل الفلسطيني، ولكن إذاعة سرية يهودية أعلنت أنه أُعدم لأنه «خائن»[13].

بعد تلك الحادثة بثلاثة أيام اغتيل شرطي فلسطيني في حيفا، وجرى تخريب مزيد من خطوط الاتصال. كما استُهدف أربعة فلسطينيين بقنبلة في حيفا يوم السادس والعشرين، واغتيل مفتشان من مفتشي الشرطة بواسطة لغم زرع خارج منزلهما في القدس، وحين عمد البريطانيون إلى تعليق لافتات تندد بالإرهاب في تل أبيب، مُزقت وكتبت على الجدران بدلا منها عبارات مثل «بالدم والنار ستبعث اليهودية».

في صباح السابع والعشرين أُلقيت قنابل على دار الأيتام السورية التي يديرها الرهبان؛ فجرح ستة فلسطينيين، بمن فيهم صبي ترك في وضع سيئ. وفي اليوم التالي أصدر القائد العسكري في القدس تقريرا عن «حالة مفضوحة»، «ساعد فيها المستوطنون ودعموا أعمال الإرهاب»: فعندما تمكن رجل فلسطيني، كان قد هاجمه وجرحه مستوطن يهودي، في غربي حي نهالات شيمون، من تجريد المهاجم من مسدسه، «خلص اليهود الموجودون في المنطقة المهاجم منه، وأعادوا إليه مسدسه، بدلا من مساعدة المعتدَى عليه في القبض على الشخص الذي حاول قتله». واستمرت الأعمال الإرهابية ضد الفلسطينيين في اليوم التالي (التاسع والعشرين)

«بقتل عدد من العرب وجرح عدد آخر في ست هجمات متفرقة أطلق اليهود فيها النار. وبلغ عدد القتلى ثلاثة عشر والجرحى أربعة في أعمال العنف المرتكبة ضد الفلسطينيين في صبيحة ذلك اليوم»[14].

أوردت صحيفة «التايمز» خبرا عن «قتل عربي رميا بالرصاص في هذا الصباح»، الثلاثين من يونيو أيضا. وفي وقت لاحق من ذلك اليوم هُوجم فلسطيني في القدس، وانفجرت قنبلة «من مصدر يهودي» في مقهى عربي يقع على شارع ماميلا فخلّف إحدى عشرة إصابة.

ذكر البريطانيون أن شهر يوليو بدأ خاليا من الهجمات الإرهابية اليهودية، ولكن لم يكد يحل اليوم الثالث منه حتى نُسف مقهى عربي آخر، وأدى ذلك إلى قتل فلسطيني واحد وجرح خمسة وثلاثين. وفي وقت مبكر من صباح اليوم التالي «ألقى يهوديان قنبلة على شاحنة عربية بالقرب من حي رحافيا في القدس... وهرب اليهوديان إلى رحافيا»، وأطلق «يهودي لم تعرف هويته» الرصاص على فلسطيني آخر في القدس. واشتكى تقرير بريطاني من أن «الاعتداءات اليهودية تتوالى بلا انقطاع»[15].

ومما يدل على «خلفية» الإرهـاب المستمر ضد الفلسطينيين هذا المقطعُ من دفتر يوميات تابع لمنظمة الإرغون تشــمل سبعة أيام من أواخر يونيو حتى أوائل يوليو من العام 1939. وهذا المقــطع مأخــوذ بالدرجة الأولى من وثيقة مجتزأة حصــل عليها البريطانيون، واستُكمل من سجلات الإرغون المحفوظة لدى دولة إسرائيل:

- 26 يونيو 1939: عند الساعة الخامسة والنصف صباحا أطلق رجالنا النار على عربة عربية قرب بيت شيريم فقُتل أربعة من العرب وجُرح آخر مات فيما بعد. في اليوم نفسه وبعد تلك الحادثة بقليل أطلق رجالنا النار على أربعة من العرب على الطريق الواصل ما بين نس زيونيا وريشون لي زيون فقُتل ثلاثة من العرب وجُرح آخر، وعند الساعة الثامنة والثلث قتل رجالنا عربيا واحدا في حي ميا شيريم في القدس.

- 27 يونيو 1939: ألقى رجالنا قنبلة عند الساعة السابعة قرب مدرسة شنللر في القدس فجُرح ستة من العرب.

- 28 يونيو 1939: عند الساعة الخامسة صباحا جرح عربي في شارع النبي صموئيل، وانفجرت قنبلة عند الظهر في الزقاق المقابل للبنك الفلسطيني - الإنجليزي في حيفا. وعند الساعة الثانية والنصف قُتل عربي في ساحة جوريانو في حيفا. وعند الساعة السابعة والثلث مساء انفجرت قنبلة في بيت في حي وادي الصليب في حيفا.

- 29 يونيو 1939: فتح رجالنا النار بعد الخامسة صباحا بقليل على عرب في الطريق الواصل بين يتاح - تكفا وراس العين. قُتل اثنان وجُرح ثالث جرحا بالغا. وفي الوقت نفسه أُطلقت النار على عربيين عند الكيلو 78 في طريق حيفا – يافا، فقُتل أحدهما وجُرح الآخر جرحا بالغا. وعند الخامسة والنصف صباحا قُتل عربي على طريق يافا - تل أبيب. وعند الساعة الخامسة والنصف صباحا أُطلقت النار على عربة تُقل عربا قرب شعارايم. قُتل أربعة من العرب وجُرح آخر جرحا بالغا – مات بعد ذلك. وعند الساعة السادسة والربع صباحا انفجر لغمان تحت قطار بين عكا وحيفا، فأدى ذلك إلى تدمير السكة وإلى حرف القاطرة وثلاث عربات. لم يكن هذا القطار يحمل يهودا. وعند الساعة السادسة والنصف صباحا قُتل عربي قرب بيارة الشيخ مؤنس [إضافة إلى آخر قائمة من أصيبوا في ذلك اليوم] مات أحد الجرحى.

- 30 يونيو 1939: عند الساعة الثامنة صباحا قتل رجالنا عربيا في سوق ميا شيريم في القدس. وفي اليوم نفسه زرع رجالنا قنبلة في مقهى عربي عند زاوية طريق ماميلا وشارع جوليان، وأدى انفجارها إلى جرح اثني عشر عربيا. وأُطلق الرصاص على حافلة عربية تسير من لِفتة إلى القدس. وفي اليوم نفسه مات عربي كان قد جرح في التاسع والعشرين من يونيو بالقرب من ريشون لي زيون.

- 7 يوليو 1939: عند الساعة الخامسة والثلث انفجرت قنبلة في المقهى العربي «إدمند» في شارع كنغزوي، حيفا، على بعد 200 متر من مركز الشرطة. وقال البيان الرسمي إن عربيا واحدا قد قُتل وجُرح اثنان وأربعون.

5 يوليو 1939: عند الساعة الخامسة والنصف صباحا ألقيت قنبلة على شاحنة تحمل عمالا من العرب، فجرح منهم ثلاثة. وفي الوقت نفسه أطلق الرصاص على عربيين في شارع يافا قرب مأوى الأيتام السفاردي، فجُرح أحدهما جرحا بالغا[16].

في العشرين من يوليو قتلت الإرغون خمسة فلسطينيين وجرحت ثمانية، وكلهم كانوا يتمشون بلا هدف معين في منطقة يافا وتل أبيب. كذلك نسفت سكة حديد اللد – القنطرة، وقتل اليهود الذين كانوا يتظاهرون ضد قرار حظر الهجرة سبعة فلسطينيين وجرحوا ستة يوم الثاني والعشرين، وقتلوا تسعة وثلاثين فلسطينيا وجرحوا ستةً وأربعين في هجوم إرهابي آخر بعد ذلك بثلاثة أيام.

وعندما أُلقيت القنابل على محطة الإذاعة الجديدة في القدس يوم الثاني من أغسطس قتل مهندس فلسطيني، كما قتلت يهودية من جنوب أفريقيا [اسمها مي ڤايسنبيرغ] كانت تنظم ساعة الأطفال باللغة الإنجليزية، فحامت شكوك البريطانيين حول المتطرفين اليهود، وكانوا على صواب. فقد أكد مصدر الإرغون ذلك. لكن ما لم يكن البريطانيون على علم به هو أن مي ڤايسنبيرغ كانت قد زرعتها منظمة الإرغون داخل المحطة، وأنها «جُرحت جرحا قاتلا عن طريق الخطأ»، وفق وصف العصابة. وقد سببت القنبلة تعطيل المحطة، فانتقلت عملياتها إلى رام الله.

لم تدعِ أي جماعة مسؤوليتها عن المحاولة التي جرت لقصف مباراة الكركت التي جرت في حيفا يوم 5 أغسطس، والتي استهدفت فيما يبدو، لأن أحد الفريقين كان فريق شرطة حيفا. فقد أدى ظهور الدخان إلى اكتشاف قنبلة كبيرة تحترق من دون أن تنفجر؛ لأن آلية التوقيت غيّرت موعدها وجعلته الساعة الخامسة مساء. ووقعت هجمات أخرى لم يدعِ أحد مسؤوليته عنها، كتلك التي حدثت للزورق المسمى السندباد في التاسع من أغسطس، وأدت إلى مقتل رقيب شرطة. وهاجمت الإرغون حافلة عربية في طبرية بواسطة لغم مؤقت، ولكنها فشلت في الثامن عشر في اغتيال ضابط يهودي اسمه غوردن، هرب من فلسطين فيما بعد، بينما نجحت يوم السادس والعشرين في اغتيال المفتش السري في الشرطة رالف كيرنز والمحقق رونالد باركر في القدس. ونجحت أيضا في إلقاء القنابل على سوق عربي في يافا. ولغمت العصابة شاحنة عربية في طبرية في شهر أكتوبر، وفي الثلاثين من ذلك الشهر خربت محطة الإذاعة في القدس. لكن الحظ حالف البريطانيين في إحدى المرات. فقد تمكن جهاز الشرطة الذي كان يحقق في سلسلة من التفجيرات التي استهدفت بيوتا للفلسطينيين من الوصول إلى مصدر هذه التفجيرات في مستوطنة يهودية قريبة بمعونة كلاب الأثر وقنبلة لم تنفجر.

ثمة تقرير مبكر يبدو أنه لم يُنشر عن منظمة الإرغون كتبه مراسل جريدة التايمز في جنيف، إذ تقدم منه في صيف العام 1939 رجل عرف نفسه بأنه عضو في «منظمة عسكرية يهودية»، وهذه المنظمة تعتمد أسلوب الخلية (كل عضو لا يعرف إلا رئيسه المباشر الذي يعطيه الأوامر)، وقد فهم المراسل أن المجموعة

منظمة سرية واسعة الانتشار في جميع أنحاء فلسطين، وتشبه التنظيمات النازية. ووظيفتها هي الاستعداد لاتخاذ الإجراءات اللازمة ضد العرب... ولدى المنظمة أموال كثيرة تحت تصرفها وتحظى بدعم السكان، وهو دعم لا غنى لها عنه... وتقتصر أعمال منظمته على اليهود الشباب، ولا تهتم باليهود المهملين و«المضطهدين»، لأنهم بلا فائدة... والهدف النهائي هو السيطرة على فلسطين في وقت ما في المستقبل واستيطانها هي وشرق الأردن[17].

وإذا ما اندلعت الحرب في أوروبا (وهذا ما حدث فعلا بعد أسبوعين من اللقاء) فسيتعين على أعضاء الإرغون «تكييف أعمالهم» بحيث تكون فلسطين هي الهدف، وكانت تلك نقطة لم يفهمها المراسل في ذلك الوقت.

وفي فلسطين عارضت الإرغون أفكار الذين كانوا ينسبون الإرهاب إلى الوضع اليائس لليهود في أوروبا بقولها إن هجماتها «لم تكن تصدر من حالة اليأس وليست أفعالا انتقامية»، بل كانت حملات إرهاب محسوبة، «أعمال أشخاص يؤمنون بأن المملكة اليهودية ستخلق بالقوة». أما اليهود الذين يؤمنون بغير ذلك فهم «يهود الغيتو، الضعفاء، خائرو القوى، المفتقرون إلى القوة الكافية لهذه الحقبة الثورية»[18].

وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية أظهرت الوكالة اليهودية دعمها للمجهود الحربي البريطاني، وأعلنت «بدء تسجيل جميع اليهود الذين تتراوح أعمارهم بين السابعة عشرة والخمسين للخدمة». لكن البريطانيين أقروا مع حلول سبتمبر من العام 1940 بأن ما دعته الوكالة بالتسجيل في بداية الحرب لم يكن سوى إشارة سياسية خالصة، بينما كانت الوكالة مهتمة بإنشاء جيش «يهودي» منفصل يقصد منه دعم مطالبها الإقليمية في فلسطين[19].

ومع أن محصول فلسطين من البرتقال كان ممتازا، فإن السعي إلى استبعاد الفلسطينيين عن تجارتهم التقليدية مضى قدما. فقد جرى تخريب المحاصيل

بسبب استخدام عمال غير يهود في مخالفة لأوامر الهستدروت(*)، كما حصل في بيارات «نس زيونا» على سبيل المثال، وقد تعرض مالكو البيارات الذين استخدموا فلسطينيين للاعتداء وطرد العمال غير اليهود منها. وتعرضت حوانيت تل أبيب التي كانت تبيع «بضائع عربية» للتخريب[20].

وعدّ مسؤولو الهستدروت أنفسهم «بأنهم محميون من الاعتقال» من جراء العنف الذي يمارسونه ضد العمال غير اليهود، لذا فإن توقيف بعض المسؤولين فيها تحت تعليمات الطوارئ بدا أمرا مذهلا للمستوطنات. وقد تراوحت الاحتجاجات ما بين سيل من «العرائض» والقتل الوحشي لضابط شرطة (يهودي). ورفضت الهستدروت وضع حد لسياسة التمييز العنصري فيها، وعرضت «الاحتفاظ بالعمال العرب الذين كانت تستخدمهم فعلا»، بهدف التخلص من غير اليهود تدريجيا - وهو عرض لا معنى له، في ضوء استمرار الإقصاء العنيف للفلسطينيين، ولحرق خيام التعبئة إن كانت البيارة التي يعملون فيها توظف عمالا من غير اليهود. كذلك فإن العنف المستخدم لتجويع الفلسطينيين أزال الفرق بين المؤسسات الاستيطانية «الشرعية» والعصابات الإرهابية[21].

وفيما يتعلق بالعصابات، ظلت منظمة الإرغون بخاصة هي «المسؤولة عن المذابح العشوائية الناتجة عن زرع القنابل في الأماكن التي يرتادها العرب، وعن قطع طرق العرب وقتلهم» وفق تعبير المندوب السامي. واستمرت «حملاتها المنظمة» ضد رجال الشرطة أيضا، لا سيما في تل أبيب؛ حيث كان المتطرفون الصهاينة يزرعون القنابل الحارقة في سيارات الشرطة ويقتلون رجال الشرطة اليهود[22].

ظلت أكبر المليشيات، وهي منظمة الهاغانا، التابعة للوكالة اليهودية، نشطة خلال الحرب. وعلى رغم تصويرها على أنها جيش دفاعي فإنها كانت تشن هجماتها الإرهابية الخاصة بها، وكثيرا ما كان ذلك بالتواطؤ مع منظمتي الإرغون وليهي للحفاظ على مصداقية إنكارها للمسؤولية[23].

وقد استهدفت الكثير من الأعمال الإرهابية اليهود «غير المتعاونين» في العام 1940. فقد جرى تفجير داري السينما «عدن» و«المشرق» في الرابع من مارس، وهو

(*) الهستدروت (Histadrut): الاتحاد العام لنقابات العمل الإسرائيلية. [المحرر].

اليوم نفسه الذي تعرضت فيه مطابع جريدة «هابوكر» للهجوم؛ بسبب امتناع الجريدة عن طبع «بيان» صهيوني. كما جرى استهداف رجال الشرطة والجنود على نحو خاص: فقد ضرب شرطي يهودي حتى الموت بقضبان الحديد يوم الثالث عشر من مارس لدوره في القبض على المتطرفين اليهود، «وأردي آخر رميا بالرصاص في حيفا على يد الإرهابيين اليهود» في السادس والعشرين من يونيو. وقتل الفرع المختص بالاغتيالات، واسمه يوم، أربعة جنود يهود في مايو بصفتهم «خونة للقضية اليهودية»؛ وفق وصف البريطانيين للحادثة.

كان لقب «خائن» هو اللقب الذي أطلقته منظمة الهاغانا على يهودي من السفرديم اغتالته في الثالث من مايو. وأحرقت المطبعتان اللتان تخدمان المهاجرين اليهود الألمان بلغتهم الأم يوم الثلاثين من مارس والثامن من أبريل، كما أحرقت منظمة الإرغون أو منظمة ليهي حافلتين من حافلات شركة إيغد في الخامس عشر من أغسطس، فيما استمرت أعمال العنف ضد المحال التي تتعامل مع البضائع أو المنتجات الفلسطينية بيعا أو شراء. وتعرض اليهود الذين كانوا يرفضون دفع الأموال للصندوق القومي اليهودي للتهديد، وفُجرت سيارتان تابعتان ليهوديين رفضا دفع «ضريبة» خاصة (كوفر هايشوف) فرضتها الوكالة اليهودية. كذلك كان قذف رجال الشرطة بالحجارة أمرا شائعا، ولكن تفجير سيارات الشرطة أو المباني العامة كثيرا ما كان يفشل لأن القدرات الفنية للمتطرفين كانت في مرحلة التطوير. وبوصفها منظمة حديثة التكوين قليلة التمويل، فقد خصصت منظمة ليهي كثيرا من جهودها للسرقة، أما بقايا العصابات العربية المتخصصة بالسرقة، فقد استهدفت كلا من العرب واليهود، وهاجمت إحداها سيارة حليب يهودية في 26 مارس وقتلت مساعد السائق.

اعترضت طائرات حربية إيطالية هذا العنف الداخلي فهاجمت حيفا في الخامس عشر والرابع والعشرين من يوليو، وعاودت الكرة في السادس من سبتمبر وفي الثامن إلى التاسع منه في منطقة تل أبيب - يافا. وفي الغارة الأخيرة أسقط الفاشيون منشورات دعائية باللغة العربية تعد بتحرير الفلسطينيين، لكن هذه المنشورات استثارت سخرية من استهدفتهم. وبعد ذلك حدثت غارتان من دول المحور في 21 و26 سبتمبر[24].

وشهد شهر نوفمبر 1940 وقوع واحد من أشد أحداث الإرهاب التي تعرضت لها فلسطين فتكا، وذلك عندما نقل البريطانيون مسافرين من ثلاث

سفن للمهاجرين غير الشرعيين هي پاسفك وميلوس وأتلانتك إلى سفينة اسمها پاتريا لكي تأخذهم إلى المورشس، حيث توجد أماكن مخصصة للـمهجرين. وقد نقل آخر اللاجئين إلى ظهر السفينة يوم الرابع والعشرين. وعند الساعة التاسعة والربع من صباح اليوم التالي حدث انفجار قوي أو اثنان متتابعان فانشقت السفينة «على الفور»؛ وفق ما ورد في تقرير أعدته لجنة بريطانية، تولى رئاستها القاضي ألن روز من المحكمة العليا، «ومالت إلى جهة اليمين، وفي غضون خمس عشرة دقيقة كانت قد انقلبت تماما» في ميناء حيفا. وقدر عدد القتلى بمائتين وسبعة وستين قتيلا وعدد الجرحى بمائة واثنين وسبعين. كان أكثر من مائتين من القتلى من اليهود الهاربين من الحرب الدائرة في أوروبا، وكان خمسون منهم من البحارة والجنود[25].

وعلى الرغم من تكرار منظمة الإرغون والوكالة اليهودية إعلان عدم مسؤوليتهما عن تلك المذبحة، فإن شكوك البريطانيين انصبت على منظمة الإرغون. غير أنه سرعان ما تبين أن التفجير كان من فعل منظمة الهاغانا التابعة للوكالة تحت إمرة موشي شاريت (الذي كان يعرف آنذاك باسم شرتوك) والذي أصبح رئيسا للوزراء في إسرائيل فيما بعد، ما تسبب في إحراج الوكالة اليهودية، وغدا موقفها فيما يتعلق بشؤون العلاقات العامة كابوسيا. إذ كيف توفق بين القتل الجماعي للناجين من يهود أوروبا وبين مشروع الاستيطان الصهيوني؟ وكان الجواب الذي طلب تداوله هو أن المهجرين أنفسهم هم الذين فجروا السفينة، أي إن ما حدث كان انتحارا جماعيا.

قال شاريت خلف أبواب الوكالة إن تحويل كارثة سفينة پاتريا إلى أسطورة مأساوية عن البطولة والتضحية سيفيد القضية الصهيونية سواء في زمن حدوثها، أو في رواية مؤرخي المستقبل لها. ولم تقنع هذه الأقوال فنحاص لافون، الذي سيصبح وزيرا للدفاع في إسرائيل لاحقا، ولكنه وافق على عدم وجود «علاقة حتمية بين الأسطورة والحقيقة». وتبعت ذلك وسائل إعلام اليشوف، واقترحت تأليف مسرحيات وقصائد ملحمية لتخليد ذكرى الضحايا؛ بتصويرهم وكأنهم قبلوا الانتحار وضحوا بأنفسهم، في تجاوز للمنطق، على أمل أن يعيش بعضهم في المستقبل. وكان ما انطوى عليه استغلال حادثة السفينة پاتريا شحن شهوة

الصهيونية لاكتشاف علاقات توراتية: كانت سفينة پاتريا هي المسادا المعاصرة(*). وظلت الكذبة متداولة فيما ينشر من كتابات، ومنها ما أورده بعد تسع سنوات الكاتب والصحافي آرثر كستلر:

> نسف المسافرون سفينتهم. كانوا قد وصلوا نهاية رحلتهم. لم يكونوا مهددين بإعادتهم إلى أوروبا، بل إلى جزيرة استوائية [الموريشس] بلا أمل بالعودة[26].

لم تكن اللجنة البريطانية التي تولت التحقيق في المأساة واثقة بأن «عدد الموتى جاء نتيجة لارتباك المخربين، أو لأنهم كانوا على استعداد للمغامرة بقتل عدد من الركاب من أجل إغراق السفينة» لمنع حصولهم على ملجأ آمن لهم في الموريشس. لكن بعد ذلك بوقت طويل، أي في العام 1957، ادّعى شخص اسمه مونيا ماردور أنه الشخص الذي استخدمته منظمة الهاغانا لنسف السفينة، وادّعى أنهم قصدوا تعطيل السفينة وليس إغراقها. لكن لا مفر من القول إن الوكالة اليهودية كانت بالفعل «على استعداد للمخاطرة بقتل عدد من الركاب»، لا سيما أن أكثر المهجَرين كانوا محصورين في الطابق السفلي، معرضين للخطر حتى لو بقيت السفينة طافية[27].

ضربت المصائب عددا من هذه السفن التي كانت تأتي بالراغبين في الهجرة إلى فلسطين. فقد غرقت السفينة البخارية المسماة «سلڤادور» في مضيق البسفور في العام 1940 وفُقد فيها 350 شخصا، وفُقد ضعف ذلك العدد من ركاب السفينة المتهالكة «ستروما» التي سعى أصحابها إلى اجتذاب المهاجرين بواسطة حملة للدعاية كتبت «كأنها دعاية لرحلة استجمام صيفية». وفي فبراير 1942 وصلت إلى إسطنبول، عبر البحر الأسود، سفينة ضعيفة البنية ضعفا خطيرا، يزيد عدد ركابها على طاقتها الاستيعابية، فعلى متنها عشرة من البحارة و781 مهاجرا، وكانت تعاني مشكلات في محركاتها.غير أن منظمي الرحلة لم يتمكنوا من الحصول على أذون الرسو في فلسطين، وفشلت محاولات البريطانيين لتسهيل نقل الأطفال الموجودين على السفينة ممن تتراوح أعمارهم بين الحادية عشرة والسادسة عشرة. ادّعت بريطانيا أنها على علم بأن الغستابو يقفون وراء بعض سفن المهاجرين هذه، وأن

(*) يقول المؤرخ الروماني يوسفوس (في القرن الميلادي الأول) إن 960 يهوديا وجدوا أنفسهم في نحو العام 73 - 74 محاصرين فوق جبل المسادا، وهو جبل عالٍ قرب البحر الميت، فلجأوا إلى الانتحار بأن قتل بعضهم بعضا عندما اقتربت عساكر الرومان منهم. [المؤلف].

بعض أعوان الرايخ كانوا موجودين على السفينة، ولذلك فإنها كانت تشكل خطرا أمنيا. ومهما يكن من أمر فإن السلطات التركية قطرت «الستروما»، وأعادتها عبر مضيق البسفور إلى البحر الأسود حيث تعطلت محركاتها ثانية، وتقاذفتها الأمواج إلى أن غرقت مع كل من كان عليها باستثناء لاجئ واحد عمره تسعة عشر عاما. ومن المحتمل أن السبب طوربيد روسي[28].

استغلت الوكالة اليهودية مأساة السفينة «ستروما» لتأكيد دعوتها الموجهة إلى اليهود لكيلا يلتحقوا بالحلفاء لمحاربة النازيين، وهي دعوة دعتها في احتفالات عيد العمال منذ تلك السنة (1940). وكانت الحجة أن فلسطين هي الوطن الطبيعي لليهود، وأن اليهودي يجب ألا يحارب إلا دفاعا عن ذلك الوطن. وأن اليهود يجب ألا يحاربوا إلا عندما يكونون جيشا «يهوديا» منفصلا يشكل وجوده اعترافا بواقع قائم هو الدولة الصهيونية، وهي فكرة تعود إلى الحرب العالمية الأولى، وأخذ بن غوريون ينادي بها بحيث تشكل ما يدعى باللواء اليهودي.

شعر المهاجرون الجدد إلى فلسطين من الألمان بالانزعاج الشديد بسبب استغلال الصهيونية للأحداث المرعبة التي هربوا منها، وعبّر عن ذلك الصحافي البارز روبرت فلتش الذي كان محررا للصحيفة التي كانت تصدر في برلين بعنوان Jüdische Rundschau (المجلة اليهودية) كل أسبوعين إلى أن منعها النازيون في العام 1938. فقد حذر فلتش في كلمة ألقاها في تل أبيب من أن الزعماء الصهاينة

> لم يفهموا بعد أن العدو يسعى إلى تدمير اليهود... أما نحن الذين كنا هناك حتى سنوات قليلة خلت فنعرف ما هي النازية.

«ويشارك الصهاينة في دمار يهود أوروبا بصفتهم متفرجين»، يحاربون البريطانيين ويمنعون اليهود من الالتحاق بكفاح الحلفاء، بينما هم يرتاحون ويثرون من مشروعهم السياسي في فلسطين. أما المهاجرون الجدد من ألمانيا وأوروبا الوسطى فيعرفون الحقيقة في أوروبا، وليس لهم من يمثلهم في الأوساط الصهيونية. ولو حصلوا على ذلك «لطالبنا بأن يضع اليشوف أنفسهم في خدمة بريطانيا في حربها ضد هتلر والنازية. ولكنهم

> لا يريدون محاربة هتلر؛ لأن أساليبه الفاشية هي أساليبهم نفسها أيضا...
> لا يريدون أن يلتحق شبابنا بقوى [الحلفاء]... إنهم يخربون الجهود الحربية الإنجليزية ليل نهار.

ثم تابع كلامه بقوله: إن الوكالة لم تُرد من ركاب سفينة «الستروما» سوى أن يخدموا القضية الصهيونية. «فرفضت كل الفرص المتاحة لإنقاذهم، وكان ذلك جريمة عظيمة جدا». وقد بلغت بها الجرأة حد المقارنة بين مأساة «الستروما» ومأساة سفينة باتريا التي جاء ضحاياها «نتيجة خطأ اليهود» (لأنها نسفت على يد الهاغانا). لقد كان استغلال شاريت وبن غوريون «للستروما» بمنزلة «ظلم الموتى» بكلمات فلتش[29].

وبعد أن اندلع العنف ضد اليهود في العراق في 1 - 2 يونيو من العام 1941 قال شاهد عيان يهودي عراقي هو نعيم جيلادي إن البريطانيين هم الذين أثاروا تلك الأحداث بهدف العودة إلى حكم العراق. وتوصلت منظمة ليهي بشكل مستقل إلى النتيجة نفسها فذكرت في بيان لها: «إن حكومة تشرشل هي المسؤولة عن مذابح بغداد»، وأشارت وثائق بريطانية إلى شيء من ذلك أيضا(*). «لربما كان المفتي هو أحد الأهداف، حيث كان قد لجأ إلى هناك وكان يتواطأ مع الفاشيين الطليان. وكان المسؤولون البريطانيون قد بحثوا في نوفمبر السابق مسألة اتخاذ إجراء ما ضد المفتي، وتقرر أن الوسيلة الفعالة الوحيدة للسيطرة عليه هي الاحتلال العسكري للعراق». وعلى رغم أن وزارة الخارجية كانت تسعى إلى «إيجاد حكومة جديدة في العراق» من أجل «قصقصة جناحي المفتي» فإن بعض المسؤولين كان من رأيهم أن تأثير ذلك الرجل كان مبالغا فيه. ووفقا لوثائق كشف عنها بعد عقد من الزمان أن النشاط الصهيوني للضغط على اليهود لمغادرة العراق إلى فلسطين بدأ في تلك الفترة[30].

تعطي الوثائق البريطانية التي تتناول أحداث أسبوعين من صيف العام 1941 لمحة عن كيفية تعامل منظمة الإرغون مع أولئك الذين رفضوا تأييدها. ففي الثامن والعشرين من شهر يونيو ألقيت قنبلة على بيت السيد تسفايغ من رامات غان، كتحذير أول له بسبب عدم دفعه مبلغ 200 ليرة، وإشارة إلى أنه لن يحصل على تحذير ثان. وفي الثالث من يوليو اختطف السيد روزنر من تل أبيب واقتيد إلى رامات غان، حيث عُذب بسبب امتناعه عن دفع مبلغ 400 ليرة. وبعد ذلك بثمانية أيام انفجرت قنبلة أمام بيته في تل أبيب. وفي السادس من يوليو ألقيت قنبلة على

(*) تشير الوثيقة التي تحمل الرقم TNA, CO 733/420/19، وهي وثيقة كشف النقاب عنها بناء على طلب المؤلف (أي عملا بحرية الحصول على المعلومات) إلى أن البريطانيين تآمروا لخلق حالة من عدم الاستقرار في العراق لتسويغ إعادة سيطرتهم على البلاد. ومع أنه ليس في النصوص القابلة للقراءة ما يقول صراحة إن الطريقة المستعملة هي إثارة العنف ضد اليهود، فإن الوثائق تعرضت لقدر كبير من الحذف.

بيت للسيد دانكنر في پتاح تكڤا الذي كان قد أمر بدفع 400 ليرة، وبعد ذلك بستة أيام دُمر متجره في پتاح تكڤا بقنبلة[31].

كُتبت بالحبر الأحمر على رأس محضر جلسة عقدت في لندن في التاسع من سبتمبر من العام 1941 حضرها عشرون شخصا عبارة «تعتبر هذه الوثيقة سرية للغاية». وكان من بين الحاضرين ڤايتسمان (الذي دعا إلى الاجتماع) وبن غوريون، وثلاثة من آل روتشيلد، وزعماء صهاينة آخرون مثل سيلغ برودتسكي وسايمن ماركس (من شركة ماركس وسبنسر، والصناعي البارز غير الصهيوني روبرت ويلي كوهين).

دار البحث حول الطريقة التي ستقام بها الدولة اليهودية المقترحة، وجرى وفقا للمسارات التي اتخذتها رواية جورج أورول «مزرعة الحيوانات»؛ التي لم تكن قد نُشرت بعد، وفيها تكون الحيوانات كلها متساوية، ولكن بعضها متساو أكثر من بعضها الآخر. بدأ أنتوني دي روتشيلد بتأكيد أنه «لن يكون هنالك تمييز... ضد أي مجموعة من المواطنين» في الدولة اليهودية، وليس حتى «لتلبية الحاجات المباشرة»؛ لأن المساواة وعدم التمييز مبدآن «آمن بهما اليهود على الدوام». كذلك طمأن كل من ڤايتسمان وبن غوريون الشكاكين: سيكون «للعرب» حقوق مساوية لحقوق اليهود. لكن ضمن هذه المساواة المطلقة سيتمتع اليهود بميزات خاصة. تضمنت «مساواة ڤايتسمان نقل معظم غير اليهود إلى خارج فلسطين، والسماح لنسبة مئوية معينة من العرب وغيرهم من العناصر للبقاء في الدولة اليهودية، وذلك في إشارة خفية إلى مصدر للعمالة الرخيصة. كذلك كانت رؤية أنتوني دي روتشيلد للمساواة وعدم التمييز (وليس حتى «لتلبية الحاجات المباشرة») لا تقل عن حجة ڤايتسمان قوة: فقد اعتمدت على تحويل الأغلبية العربية إلى أقلية، ولتحقيق ذلك «لن يتمتع غير اليهود بحقوق مساوية» لحقوق اليهود.

وجد كوهين أن الخطة تشكل خطرا «على جميع الأطراف المعنية»، وقال إن الصهاينة «كانوا ينطلقون من ذلك النوع من الأهداف التي بدأ بها هتلر»، وهي أهداف «يبدو أنها تقوم على مبدأ الدين الواحد والعرق الواحد». ولم يتوقف كوهين عند ذلك، بل قال إن كان القصد من الدولة أن تتحقق فيها المساواة للجميع فإنها يجب أن تسمى باسم جغرافي محايد مثل «فلسطين»، وليس باسم ديني يشير «إلى دولة أساسها العرق أو الدين». هنا دحض لويس بيرنشتاين نامير موقف كوهين قائلا: إن لم يكن للدولة اسم يهودي «فإنهم لن يحصلوا على أغلبية يهودية على

الإطلاق، معترفا بذلك بأن فكرة الخلاصية ليست سوى استراتيجية محسوبة. كذلك تمسك كل من بن غوريون ووايزمان بالرأي القائل إن الدولة يجب أن تسمى باسم «يهودي»، واقترح بن غوريون أن يكون اسمها «اليهودية»، وكذلك ما افترض أنه إرتز إزرائيل (أرض إسرائيل). وأوضح بن غوريون، في اعتراف يندر التحدث فيه، أن عبارة «الدولة اليهودية» لا تقوم على أساس الديانة اليهودية أو معتقد اليهود بل على كون الفرد يهوديا (أي على هويته العرقية).

وعندما سئل ڤايتسمان عن حدود دولة الاستيطان التي تحدث عنها تابع كلامه بأسلوبه السريالي، وأجاب بأنه مستعد للتفكير في خطة التقسيم التي وضعتها لجنة پيل على أن يكون الخط الفاصل هو «نهر الأردن». كان ذلك ضربا من العبث، لأن النهر كان هو الحد الذي تقع ضمنه الدولتان، ولذلك فإن «التقسيم» من وجهة نظر ڤايتسمان يعني إعطاء مائة في المائة لدولته وصفر في المائة للفلسطينيين - أي لا تقسيم. بل إنه ذهب إلى أبعد من ذلك، وقال إنه راغب جدا في عبور نهر الأردن (أي أن يأخذ شرق الأردن إلى جانب فلسطين). وفي نهاية الاجتماع سعى ڤايتسمان إلى وضع مقترحاته رسميا باسم اليهود في جميع أنحاء العالم. أما أولئك الذين عارضوا أفكاره فكانوا «أعداء للسامية» وفقا لوصفه لهم[32].

كان أول هجوم كبير في العام 1942، ذلك الذي حدث في العشرين من يناير، عندما تلقى رجال الشرطة إخبارية من مخبر مجهول عن سماع انفجار عند البيت الرقم 8 في شارع يائيل في تل أبيب. استجاب للشَّرَك خمسة من رجال الشرطة، «قتلت القنابل التي دمرت البيت الذي دخلوه أربعة منهم على الفور، بينما نجا الخامس لأن الأصابع التسع والعشرين من مادة الجلغنايت لم تنفجر. كان الضحايا جميعهم باستثناء واحد منهم من اليهود. وكان أحد الموتى قد أفشل هجوما فلسطينيا ضد اليهود في العام 1937، وكان يراد من الثاني أن يشهد ضد منظمة ليهي لقتلها اثنين من المارة، وكلاهما من اليهود خلال عملية سرقة قامت بها المنظمة. ووفقا لما ذكرته وزارة الحرب البريطانية لم يكن ارتكاب ذلك الفعل الإرهابي بدم بارد أول فعل قامت به منظمة ليهي باستدراجها الناس لبيت معد للانفجار.

وبعد أن اغتالت منظمة ليهي ثلاثة رجال من الشرطة في الشهر التالي (فبراير 1942) قبض البريطانيون على زعيمها أفراهام شتيرن. ولم يستطع شتيرن أن يتابع عمله

فقد أطلق عليه جفري مورتن، الضابط الذي تولى عملية القبض عليه، النار فأرداه قتيلا عندما حاول الهرب (وادعى بعضهم أن مورتن أعدمه بينما كان الناس من حوله ينظرون إلى شيء آخر). أما مورتن نفسه فثبت أن اغتياله ليس بالأمر السهل. فقد حاولت منظمة ليهي قتله بأن وضعت لغما كبيرا على الطريق الذي يسلكه لكن سائق السيارة انحرف بها إلى وسط الطريق ليسبق شخصا يقود دراجة هوائية قبل وصولها إلى محل اللغم. لم تصب السيارة إصابة مباشرة ونجا جميع ركابها من الانفجار[33].

تمخض اجتماع لزعماء الصهيونية، عقد في الحادي عشر من مايو عن «برنامج بلتمور»، نسبة إلى اسم الفندق الذي عقد فيه المؤتمر في نيويورك. وكان بن غوريون هو من وضع ذلك البرنامج وأيده فايتسمان، وفيه طالب الزعماء باستسلام فلسطين كلها استسلاما تاما غير مشروط للصهاينة. وبذا تطابقت أهداف المتشددين Revisionists مع أهداف التيار السائد في الصهيونية. أما القاضي پروسكاور، الذي كان مخلصا للأفكار الصهيونية، فقد عارض التطرف الذي مثّله برنامج بلتمور، ولذا وصمه الزعماء الصهاينة الأمريكيون من أمثال ستيفن وايز وأبا سلفر بأنه «خائن لقومه». كذلك استنكر ناشر صحيفة نيويورك تايمز سلزبيرغر هو ورجال دين بارزون من أمثال لازارون (من بولتيمور) وولزي (من فيلادلفيا) تبني برنامج بلتمور، ونتج عن ذلك تشكيل المجلس الأمريكي للديانة اليهودية المناهض للصهيونية[34].

كان من الضروري لخطط الوكالة اليهودية على المدى البعيد أن تحصل على معلومات دقيقة شاملة عن المناطق «العربية»، وتحقق لها ذلك بتشكيلها فرقا للمراقبة تتظاهر بأنها «جماعات من المتنزهين» أو «السياح الذين يتجولون مشيا على الأقدام». ويبدو من وصف مبكر لهؤلاء كتبه البريطانيون في العام 1942 أنهم لم يكونوا على وعي بالهدف الحقيقي لهؤلاء الجوالة (فقد حسب البريطانيون أنهم يجرون تدريبات غير قانونية فقط)، ولا يرد ذكرها إلا بسبب حادثة معينة. ففي عطلة أيام عيد الفصح اليهودي

> تتشكل فرق من اليهود تضم رجالا ونساء وطلبة للقيام بجولات واسعة المدى مشيا على الأقدام، كثيرا ما تجري عبر المناطق العربية. ومن الرحلات المفضلة رحلة تقود إلى البحر الميت. وهذه تعني دائما المشي في طريق تخترق منطقة عربية بالكامل.

تشكلت إحدى هذه الفرق من 156 رجلا وامرأة، تراوحت أعمارهم بين الخامسة عشرة والسابعة والعشرين. وبعد «أن أنهى هؤلاء الجزء النظري من مادة تعليمية تمهد للتدريب العسكري الذي تنظمه الهاغانا مضوا في طريقهم إلى التلال المحيطة بالبحر الميت للقيام بالتدريب العملي». وكان من المفروض أن يجري «تمرين» يبدأ من الساعة الرابعة صباحا في التاسع من أبريل، ولذا فإن جماعة منهم كانت تعد طعام الإفطار في الساعة 3:45 صباحا، وقد نسي أفرادها وجود كيس معبأ بالقنابل اليدوية بالقرب من النار الموقدة من أجل إعداد الطعام. أدى ذلك إلى مقتل ستة من «المتنزهين» وجرح عشرة آخرين جروحا بالغة. وبعد عدة ساعات أوقفت الشرطة قرب نابلس «ثلاثة عشر شابا وخمس فتيات من اليهود» العائدين من البحر الميت مسلحين تسليحا جيدا. كانت فرق «المراقبة» المشكلة من هؤلاء المتنزهين قد أصبحت ظاهرة معتادة، وكثيرا ما حذرت السلطات الوكالة اليهودية من هذه الممارسات، «لكن بلا فائدة»[35].

وعند نحو الساعة الثامنة من صباح يوم الثاني والعشرين من أبريل 1942، وبينما كان م. ج. مكونل، مساعد المفتش العام للشرطة، ينطلق من منزله في القدس، انقطعت الأسلاك التي تربط قنبلة بعمود مقود السيارة وبهيكل السيارة. وبعد دقائق شاهد خادمه الفلسطيني شيئا غريبا على الأرض. وعندما التقطه انفجر وقتله. وبعد ذلك بثلاث ساعات لاحظ طفل شيئا غريبا على جانب الطريق القريب من بيت المفتش العام. ولحسن الحظ أخبر هذا الطفل شرطيا مارا عن وجود هذه القنبلة الثانية التي زرعتها منظمة ليهي في ذلك الصباح والتي أفلتت من أسلاكها وفشلت في قتل الشخص المستهدف - وكانت هذه القنبلة تحتوي على سبعين إصبعا من الجلغنايت وستة باوندات ونصف الباوند من المسامير. وقد تتبعت كلاب الشرطة الأثر فقادها إلى حي يهودي قريب هو رحافيا، الذي انتهى الأثر عنده. وتقول مصادر المخابرات البريطانية إنه لو نجحت أي من محاولتي الاغتيال هاتين لكان بانتظار موكب الدفن هجوم إرهابي أفظع. وقد فشلت محاولة أخرى من محاولات منظمة ليهي للاغتيال جرت في الأول من مايو. وعندما حاولت قوات الشرطة في التاسع عشر منه أن تصادر كمية من الأسلحة غير الشرعية في غيفات حاييم تجمع خمسمائة من المستوطنين لمنعهم، فغادرت المكان بدلا من التسبب في مواجهة معهم[36].

كانت منظمة ليهي المتخصصة في الاغتيالات تنمو ببطء، بينما كان أتباع منظمة الإرغون، التي تركز على عمليات تدميرية أوسع مدى، يتزايدون. وتظهر سجلات الإرغون الخاصة أن عدد الملتحقين بها في شهر واحد يمتد بين يوليو وأغسطس من سنة 1942 بلغ «680 شابا وشابة»، وذلك «بعد رفض غير المؤهلين صحيا»[37].

استمر التضييق على اليهود الذين لم تكن آراؤهم على درجة مرضية من الصهيونية، وكذلك على أي يهودي يستعمل لغته الألمانية الأم. وكانت المشكلة مع اللغة الألمانية مزدوجة: فهي تشير إلى ظاهرة الاندماج وإلى الانقطاع عن الصورة الخلاصية لبلد يتكلم أهله بالعبرانية. ولذا فقد منعت مجلة أورينت Orient الأسبوعية التي كانت تصدر بالألمانية ووصفتها المخابرات الأمريكية بأنها «مجلة يصدرها اليهود الألمان من ذوي التوجهات الليبرالية القديمة»، وذلك بأمر من المجلس الصهيوني لنشر اللغة العبرية. وعندما حاول المهاجرون اليهود الناطقون بالألمانية في 31 مايو 1942 عقد لقاء لعصبة مناهضي الفاشية في سينما إستر في تل أبيب، هاجمتهم بعنف جماعات من المخربين ضمت أبناء بعض مسؤولي الوكالة اليهودية.

أما الجريدة اليومية التي كانت تصدر بالألمانية بعنوان Blumenthal Neuste Nachrichsten فقد كان يكتب مادتها مهاجرون ألمان وينشرها حزب المهاجرين الجدد. وعكست هذه الجريدة نبرة صهيوينة أخف مقارنة بالخط الذي تنتهجه الوكالة اليهودية والعصابات الإرهابية. ولهذا ففي 12 يونيو تعرضت نسخ الجريدة للاحتراق، ثم جرى تفجير المطبعة بعد منتصف الليل بقليل. وكان التفجير من القوة بحيث أدى إلى جرح خمسة أشخاص من البناية المجاورة وأحدث حريقا في المنزل المجاور نتجت عنه أضرار كبيرة[38].

أدى لقاء بين المتشددين وممثلي الوكالة قيل إنه جرى في وقت قريب من ذلك إلى إصدار الملخص التالي بخصوص «أعداء اليهود»: العدو الأكبر هو اليهود غير الصهاينة؛ ويأتي بالدرجة الثانية «الدول الديموقراطية ووثيقة المحيط الأطلنطي التي أصدرتها»؛ وأخيرا «العرب». وقد أدرك البريطانيون السبب التكتيكي الذي حدا الوكالة اليهودية على أن تشعل ما وصف بأنه «المشكلة العربية» التي لن تكون لها نهاية. وقد لاحظ ضابط في المخابرات «المشاعر الفوقية» نحو الفلسطينيين التي

ستجعل أي ادعاءات من قبل الصهاينة بالرغبة في إيجاد علاقات جيدة مع العرب تبدو بعيدة عن الواقع». وكانت منظمة الإرغون قد بدأت بالفعل حملة تمزج فيها شخصية هتلر بالفلسطينيين، وأخذت تنشر ملصقات إعلانية تحذر من أن العرب «يعملون في السر على تدمير آخر أمل بقي لشعبنا»[39].

كان الدور الذي مارسته النازية في الخطط الصهيونية حاضرا في ذهن بن غوريون عندما توقف في فلسطين ما بين رحلاته إلى الولايات المتحدة وإنجلترا. وقال لزعماء الوكالة اليهودية في القدس في 4 نوفمبر 1942: إن «هتلر أعاد لليهود المندمجين شعورهم بالانتماء القومي اليهودي» على رغم أنه سبب الآلام لهم، وقد استغللنا هذا الشعور لمصلحة الصهيونية. «أما الديموقراطية فتهدد هذا الشعور بالانتماء. فالشعور القومي اليهودي

يضمحل ثانية بالتدريج لأن الديموقراطيات، على عكس الدول الديكتاتورية، تعطي اليهود حقوق المواطنة الكاملة... [ولذلك] فإن ثمة في أمريكا في هذه الأيام حركة قوية تبتعد عن الصهيونية.

وحذر من أن ما لا يقل عن 85 في المائة من يهود أمريكا يؤمنون بالاندماج، وهذه نكسة سببها «التوجه الديموقراطي». ووافقه متحدث آخر من الوكالة وندّد بالأقطار الديموقراطية وبوثيقة الأطلنطي لكونهما عدوين لليهود، وكان بذلك صدى للموقف الذي اتخذته الوكالة في اجتماع سبتمبر. ثم دعا بن غوريون إلى طرد كل أعضاء الوكالة ممن كانت لهم آراء مخالفة، لاسيما أي شخص صوّت لمصلحة حزب هاشومر هاتزائير الاشتراكي واعترافه بالحقوق الوطنية للفلسطينيين. في تلك الأثناء التقى فايتسمان المُنظر السياسي والفيلسوف آيزيا برلين في إنجلترا وقال له إن اليهود (ويعني ضمنا أنهم عرق) غير قادرين على تأسيس جذور لهم في أي مكان سوى فلسطين، وإن من الضروري أن «يقال للعرب على نحو حازم» إنهم لن يحصلوا على دولة[40].

في اليوم الأول من نوفمبر 1942 سقطت من السماء على حيفا منشورات ورقية تحث الناس على الالتحاق بقوات صاحب الجلالة ضد دول المحور. ولم تكد السنة تشارف على نهايتها حتى كان عدد الفلسطينيين العرب الذين انضموا إلى قوات الحلفاء 9 آلاف شخص، على رغم ترددهم في الانخراط في معركة لا تحقق لهم حريتهم. وكما قال المحامي إلياس كوسا من حيفا مذكرا المندوب السامي في رسالة

بليغة من أربع عشرة صفحة جوابا على تلك المنشورات: إن الفلسطينيين انخرطوا بدافع ذاتي في صفوف البريطانيين في الحرب السابقة، ولكن البريطانيين نكثوا بوعد التحرير. أما استجابة اليشوف فقد اعترضها سبب مختلف تماما: وهو إصرار زعماء الصهيونية على التحاق اليهود بجيش يهودي خالص يدعم السعي إلى الحصول على دولة صهيونية، وليس بصفتهم جنودا يتساوون مع غيرهم في جبهة مشتركة.



صورة للفلسطينيين الملتحقين بقوات الحلفاء في نابلس، 6 مايو 1941.

ظلت الوكالة اليهودية متمسكة بموقفها المعارض لالتحاق اليهود بكفاح الحلفاء ضد النازيين على رغم أن هذا الشهر - نوفمبر من العام 1942 - جاء بأخبار مؤكدة عن معسكرات الموت، وعلى رغم امتلاء الصحف الصادرة بالعبرية بأخبار الفظائع النازية في المناطق المحتلة، ومعظمها مؤطر بأعمدة سوداء. وقد عالجت صحيفة أو أكثر الموضوع وقالت: «إن الفرصة قد حانت لالتحاق اليهود بالجيش وللذهاب لإنقاذ إخوتنا [كذا]»، وبقيت أخبار الفظائع النازية المرتكبة في البلاد المحتلة «الموضوع الرئيس في الصحف العبرية يوميا تقريبا»[41].

استشهدت منظمة ليهي بنصوص العهد القديم للدعوة ضد التحاق اليهود بكفاح الحلفاء. وقالت إذاعة تبثها المنظمة في ديسمبر من العام 1942 «إن الشاب

اليهودي لا يريد الانضمام إلى حرب يأجوج ومأجوج هذه» - مشيرة بذلك إلى هذين الوحشين اللذين يرد ذكرهما هناك، قاصدة بهما الحلفاء ودول المحور «لأن تلك الحرب ليست حرب اليهود»، وليست حربا تخدم «مصالحهم القومية» (الدولة الصهيونية). وفي ظل هذه الإشارة إلى المسرح التوراتي ذي الحضور الدائم عادت ليهي للتنديد «بالأجنبي [ممثلا في المندوب السامي البريطاني] الذي يحتل موقع الملك داود»[42].

كذلك هدد سعي الوكالة اليهودية إلى تدعيم ما لديها من مخزون الأسلحة كفاح الحلفاء. وما وصفته وزارة الحرب بأنه «عصابة على مستوى واسع تنظمها السلطات اليهودية وتعمل على سرقة الأسلحة [من قوات الحلفاء]»، كان «يشكل تهديدا مباشرا للجهود الحربية» ضد دول المحور، ويستنفد ما لدى الحلفاء من المخزون الحربي «كأنهم كانوا يتلقون الأجر من هتلر نفسه». وسعت الوكالة سرا إلى التدريب على التخريب على يد الحلفاء[43].

في يوم رأس السنة من العام 1943 «سعى يهودي لا يشك في صدقه» إلى التحدث إلى بعض المسؤولين البريطانيين الكبار بأكبر قدر من السرية بسبب «قلقه الشديد» من الاتجاه الذي تتخذه المستوطنات اليهودية. اتخذ ذلك اليهودي لنفسه رمزا سريا هو Z «وقدم طلبا بالغ الخطورة لكي تتصرف الحكومة على الفور قبل أن تنمو الحركة [الصهيونية] بحيث تصبح أقوى من اللازم. واستشهد بالنمو الموازي للحركة النازية». قال Z إن المستوطنين الشباب يُجنّدون من دون استثناء، مع وضع التقدير الأكبر لمن سماهم Z «فرق الخدمة السرية» تأسيا بفرق الموت النازية، وكان يشير بذلك إلى مجموعات البالماخ التابعة للهاغانا.

تبين فيما بعد أن Z هو ج. س. بنتوج، كبير مفتشي المدارس اليهودية، ومن المفارقات أنه أخو نورمن بنتوج المدعي العام في فلسطين الذي عمل على الدفاع عن وعد بلفور، والذي سببت تصرفاته وهو في منصب المدعي العام الحرج لبريطانيا بسبب محاباته المكشوفة للصهاينة[44].

ذكر هنري هنلوك، المسؤول الأمني في فلسطين في يناير من العام 1943 أن منظمة الهاغانا كانت تستعد لفرض الدولة الصهيونية بالقوة، ولكنها ستقول للعالم الخارجي إنها فعلت ذلك بصفتها مخلصا ضعيفا لأن البريطانيين لم يكونوا قادرين

على حمايتهم أو حماية مستوطناتهم. وقال هنلوك - الذي عرض نفسه للشكوك حول الكشف عن معلومات استخبارية لعشيقته اليهودية - إن الوكالة اليهودية «تجعل المرء يحسب أنها اختارت أغرب ما في النازية والفاشية والشيوعية من صفات، وبهرتها بشيء من تاماني هول(*) لتكوين أفضل نظام يمكن اليهود من السيطرة في فلسطين». أما أصحاب المواقف المعتدلة فإنهم يحتملون إلى أن يقوى تأثيرهم. وتجري تنشئة الأطفال «منذ نعومة أظفارهم» ليضعوا هدفا واحدا نصب أعينهم وهو تحقيق الصهيونية، ويتخلى الأبناء عن آبائهم عندما يحاولون أن يزرعوا فيهم شيئا من الاعتدال فيما يتصل بذلك الهدف. والطريقة «شديدة الشبه بالطريقة التي اتبعها النازيون»، وكما اتضح تاريخيا «فإن هذه التعاليم يصعب اجتثاثها في زمن قصير نسبيا». وقد وجدت أجسام مشوهة عليها بطاقة تقول «هذا ما يحصل لأي مخبر».

وأشار هنلوك إلى أن الهجرات تلقت اهتماما دائما، مع اهتمام خاص ببولندا وروسيا وشمال أفريقيا بوصفها مصادر مهمة للمهاجرين الجدد. لكن يهود شمال أفريقيا كانوا يشكلون مصدر صعوبة خاصة: فعقليتهم «ليست عقلية صهيونية»، ولذلك فإن دعاة الصهيونية يجري تدريبهم حاليا في فلسطين لاستقدامهم. «الوكالة [اليهودية] في الوقت الحاضر تبذل قصارى جهدها لصهينة اليهود في المناطق المختلفة في شمال أفريقيا»، و«ستستعمل كل الطرق الممكنة» لتحقيق الهدف السياسي للصهيونية. ومن أهم هذه الطرق إثارة المشاعر المعادية للسامية... من أجل إجبار اليهود... على القدوم إلى فلسطين»[45].

كان الدكتور آرييه آلتمان، رئيس وفد تابع للمنظمة الصهيونية الجديدة (وهي جماعة متشددة أسسها جابوتنسكي) قد قال الشيء نفسه: «يجب أن تشكل فكرة معاداة السامية أساس الدعاية الصهيونية». وكان من رأي الدكتور آلتمان أن إبقاء التهديد بمعاداة السامية حيا سيقنع يهود بريطانيا وأمريكا بالهجرة إلى فلسطين، «ويزيد من التأييد غير اليهودي للصهيونية في أمريكا عن طريق التأكيد على مزايا المشروع الاستيطاني» المؤدية إلى «تقليل أعداد اليهود» الآتين إلى الولايات المتحدة[46].

(*) تشير عبارة تاماني هول إلى العلاقات السياسية المشبوهة واستغلال الوظيفة والفساد في الحزب الديموقراطي في الولايات المتحدة في نيويورك في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتى الربع الأول من القرن العشرين. [المؤلف].

كانت حاجة الصهيونية إلى بقاء مشاعر معاداة الصهيونية جزءا أساسيا من رسالة زئيف جابوتنسكي، مؤسس منظمة الإرغون، عندما قال إن على الصهيونية أن تبقى في حالة طوارئ دائمة. وفي أربعينيات القرن الماضي كان ابنه إري يعمل مع منظمة بيتر بيرغسن في الولايات المتحدة، وهي منظمة حصلت (بكلمات وزير الدفاع الإسرائيلي وعضو الكنيست موشيه آرنز) على «قدرة لا مثيل لها على التأثير في دوائر مختلفة في المجتمع الأمريكي والإدارة الأمريكية والكونغرس». وقد تمكن البريطانيون من التعرف على طبيعة عمل تلك المنظمة عندما التقطوا رسالة كتبها إري إلى صديق له في القدس واستنسخوها. تقول الرسالة إنهم كانوا يعملون تحت اسم لجنة خاصة بإنشاء جيش يهودي، ولكن بيرغسن اهتدى في يناير من العام 1942 «إلى فكرة جديدة»[47].

> اشترينا صفحة في جريدة «النيويورك تايمز»، وأعلنا عن اللجنة الخاصة بالجيش اليهودي كما قد يعلن المرء عن سيارات الشفروليه أو سكاير البلييرز. فكانت الاستجابة مذهلة. وقد ضم الإعلان كوبونا طلب فيه من الجمهور أن يرسلوا أسماءهم وتبرعاتهم لتغطية التكاليف. كانت النتائج مشجعة جدا، إلى درجة جعلتنا نتابع حملة الإعلانات التي يملأ كل منها صفحة كاملة في جميع أنحاء البلاد، فظهرت في نيويورك وفيلادلفيا وواشنطن وشيكاغو ولوس أنجليس على فترات منتظمة. كما نشرت إعلانات أقل عددا في مدن مثل ديترويت وسان فرانسسكو وهيوستن (تكساس)، وغيرها. لقد كانت النتائج مذهلة[48].

ادعت اللجنة أنها «منظمة أمريكية لا تنتمي إلى فئة دينية أو حزبية» وكتبت رسالة عالجت فيها مبادئ نبيلة فقط وأرسلتها إلى مائة شخص من كتاب «الأعيان»(*) Who's Who. أجاب الرسالة عشرة منهم، فاستُعمل ورق مختلف طبعت فيه أسماء أولئك الأعيان المعروفين (كأنهم جزء من تلك المنظمة)، وأرسلت رسالة ثانية إلى ألف شخص آخرين، وتكررت هذه العملية عدة مرات.

ومن بين أساليبهم الأخرى التي استخدموها للترويج لأنفسهم ما وصفه «بأجمل عمل تخريبي شاهدته في حياتي»، وفيه سرقوا مناسبة من المناسبات الدينية. «فقد

(*) كانت كتب «الأعيان» العربية تعطي معلومات عن الأموات، أما كتب الأعيان هذه فتعطي معلومات عن الأحياء. الكتب عن الأموات في الغرب (Who Was Who) موجودة أيضا ولكنها أقل شهرة وتداولا. [المترجم].

تشكل انطباع لدى الجميع بأن الصوم والبكاء على الأموات والتظاهر الديني في الكنس... جزء من عمل الجيش اليهودي». ولكنه الآن (فيما قال جابوتنسكي لصديقه) «منشغل بحقل جديد، ألا وهو إنقاذ يهود أوروبا»، وساعد هذا عملية جمع الأموال على مدى السنوات القليلة التالية[49].

استغلت إعلانات الإرغون التي يملأ كل منها صفحة كاملة من الصحيفة، وهي إعلانات كانت تستهدف جمع الأموال، مسألة العداء للسامية، واستبعدت أي حل للكارثة في أوروبا باستثناء إنشاء دولة صهيونية في فلسطين. وطمأنت الإرغون القارئ في إعلان نُشر في جريدة نيويورك تايمز في العام 1943 بأن «المطلوب ليس فتح أبواب أمريكا للملايين المقتلعين» بل فتح أبواب فلسطين فقط، على رغم «خطر الموت الذي يواجه خمسة ملايين شخص». ولجأت المنظمة الصهيونية الأمريكية الجديدة لاستغلال العداء للسامية نفسه. ففي إعلان شمل ثلاثة أرباع الصفحة من جريدة نيويورك تايمز هددت المنظمة أنه ما لم تنشأ دولة يهودية في فلسطين فإن أمريكا ستواجه ضغطا متزايدا لفتح أبوابها لليهود المهجرين. «وسيكون من الصعب عليها أن ترفض»[50].

أما أولئك الموجودون في الولايات المتحدة ويسرهم استقبال اليهود في بلدهم فإن الدعاية ستلطخ (وفقا لوصف المخابرات البريطانية) سمعة «المعارضين لأهداف الصهيونية بل حتى من يتقاعسون عن دعمها» بوصمهم بأنهم «فاقدون للمشاعر الإنسانية، منكرون للقيم المسيحية، معادون للسامية، ومساندون ضمنيا للنازية»[51].

وعندما انتشر خبر تمرد الغيتو في وارسو فإن الزعماء الصهاينة وظّفوا الضحايا بعد موتهم، كما كانوا قد وظّفوا ضحايا سفينة «باتريا»، بجعلهم مشاركين في انتحار جماعي في خدمة دولة الاستيطان، وبذلك فإنهم تفّهوا شجاعتهم والصعاب التي عانوها. لم يبق من محاربي الغيتو كثيرون ليرووا حكاياتهم هم، ولكن أحدهم، وهو مارك إيدلمان، عبّر عن سخطه على الصهيونية ورفض أن ترث دولة إسرائيل المحرقة أو أن تكون نتيجة أخلاقية لها. ولذلك جرى تهميشه، وعملت إسرائيل على إسكات صوته الذي تحدث فيه عن التمرد في كتابه «الغيتو يثور»[52].

لم يرسل المسؤولون الصهاينة أي مندوب للغيتوات البولندية. فالإنقاذ، في عقيدة بن غوريون، لم تكن له الأولوية الأولى في نظر الصهيونية. فقد تمثلت المهمة الأولى في السعي إلى إنشاء الدولة الصهيونية، وهو ما أشار إليه «بالعمل

الداخلي». واشتكت جريدة Jewish Daily Forward في 11 ديسمبر 1943 من أن «المؤتمر اليهودي» لا تدب فيه الحياة إلا إذا تعلق الأمر بفلسطين، «ويخلد إلى النوم إذا ما تعلق الأمر بالإنقاذ». «لم يكن إنقاذ اليهود هدفا في حد ذاته، بل وسيلة» كما قال عضو منظمة الهاغانا والسياسي الإسرائيلي في المستقبل إليعازر لڤنه فيما بعد. وكان يتسحاق غرونباوم واضحا في تشديده على أن دعوات الإنقاذ كانت «تشكل خطرا على الصهيونية»، ومن المفارقات أنه كان رئيس لجنة إنقاذ فلسطين التابعة لمنظمة الصهيونية العالمية. كان الناس يسألونه: «ألا يمكنك التوقف عن العمل لإنشاء الدولة الصهيونية بينما يتعرض اليهود للقتل والذبح بمئات الآلاف وبالملايين وتكون الحاجة ملحة إلى تركيز الجهود لإنقاذهم؟» فيجيب:

> لا، لا أقبل مثل هذ الكلام. وعندما سألني أحدهم: «ألا يمكنك أن تستخدم أموال صندوق إنشاء الدولة لإنقاذ اليهود في بلاد الشتات؟» قلت: لا، وأقول ثانية، لا... نحن لا نعد الإنقاذ أولويتنا... الصهيونية تعلو على كل شيء»[53].

كان غرونباوم يصف أولئك الذين يطالبون بالإنقاذ بأنهم «ملحفون»(*) ويلجأ إلى العقيدة الخلاصية، رفيق الصهيونية الذي لا يخيب، لتفسير كون المشروع الاستيطاني أهم من إنقاذ يهود أوروبا المهددين. وكانت حجة غرونباوم «أن أجدادنا كانوا كلما حاقت بهم مصيبة يسمعون خطوات المخلص. تاريخنا لا يمدح الـملحفين... بل يمدح المخلصين الذين يقومون بأعمال بطولية لخلاص الشعب»[54].

نظر أكثر زعماء الصهيونية تأثيرا إلى «خلاص الشعب» نظرة مؤدّاها أنه لا يتفق مع إعادة الإعمار في حقبة ما بعد الحرب. وعندما أعلنت بريطانيا في مارس العام 1943 خططها لإعادة الإعمار، وهي الخطط التي أعدتها هيئة التجهيزات الحربية في فلسطين، فإن رد فعل الوكالة اليهودية كشف عن وجود انقسام داخلها في البداية، غير أن بن غوريون رأى في إعادة الإعمار عائقا أمام الصهيونية، «ودعا اليهود إلى عدم التعاون». وعندما انتهت الحرب امتد هذا الاتجاه السلبي ليشمل إعادة إعمار أوروبا[55].

(*) ألحف في المعجم، ألحّ في شيء وهو في غنى عنه. [المحرر].

لربما كان من شأن الصهاينة «أن يمضوا أكثر باتجاه إنقاذ المساكين الذين كانوا يعيشون في دول المحور في أوروبا لو أنهم لم يصروا دائما على حشر القضية الفلسطينية المعقدة في الصورة» – هذا ما قاله تقرير استخباراتي أمريكي عن الشرق الأوسط في 4 يونيو 1943 عنوانه «آخر مظاهر مشكلة الصراع الصهيوني - العربي في فلسطين». وقد وصف ذلك التقرير «الصهيونية في فلسطين» بأنها «شكل من أشكال القومية التي ستوصم في أي بلد آخر بأنها نازية رجعية». وقال إن استمرار العداء للسامية ضروري للمشروع الاستيطاني. وبينما يقف اليهود الذين اندمجوا في مجتمعات أوروبا وأمريكا بقوة ضد العنصرية والتمييز العنصري نرى أن الصهيونية قد نمّت عقلية تخالف ذلك تماما، «نمّت عقلية قريبة الشبه من النازية، وذلك بمحاولتها تنظيم المجتمع، بالقوة إن لزم الأمر، لتحصل على ما تريد». وكانت وزارة الحرب البريطانية من جهتها قد حذرت على نحو مستقل من أن المستوطنين اليهود «ينظّمون على أسس ديكتاتورية تعرض حياة كل يهودي يعارض «خط الحزب» معارضة صريحة للخطر»[56].

استشهد التقرير الاستخباراتي الأمريكي بمثال الأسبوعية التي تصدر باللغة الألمانية بعنوان أورينت. فقد نددت في عددها الصادر في يناير من العام 1943 بنازيي اليشوف و«صهيونيتهم المتطرفة التي قالت إنها لا تقل سوءا عن القومية المتطرفة التي اتصف بها الرايخ الألماني. وفي عدد صدر في فبراير هاجم عالم الفيزياء ڤولفغانغ يورغراو «ذلك الوحش المتجبر» الذي يمسك بالمستوطنات اليهودية «حتى في صفوف الأحزاب اليسارية». وقد ذهبت الدورية نفسها ضحية: فقد أغلقت بسبب التحرش، وزرعت قنبلة في المطبعة التي تطبع الأورينت وغيرها من المجلات التي تظهر بغير العبرية (كالألمانية واليدش). ونسفت الأكشاك التي تبيع صحفا بغير العبرية لليهود، ونسفت المقاهي والسينما التي لا تغلق أبوابها حتى نهاية يوم السبت. وانتشر العداء لغير اليهود. وقال التقرير الأمريكي إن تل أبيب لا تكاد تطيق وجود أناس من غير اليهود الذين يعارضون استخدام الصليب على سيارات الإسعاف التي تمر في المدينة (بسبب الرمز المسيحي)[57].

انتقدت المخابرات الأمريكية «التصور الفج» الذي كان يذاع على الملأ عن الفلسطينيين ويصورهم بأنهم «بدو رُحل يسكنون الخيام... ولا يعملون بالزراعة

إلا على نطاق محدود تتحكم فيه الفصول»، لأنه «أسخف من أن يستحق الدحض». واستشهدت تلك المخابرات بتفضيل الفلسطينيين للتعليم وبالاهتمام بوسائل الزراعة الحديثة، ولاحظت المفارقة التي تبين أن المستوطنين الصهاينة تعلموا إنتاج البرتقال اليافاوي منهم. وبينما كان الفلسطينيون مكتفين بذاتهم كان المستوطنون الصهاينة يعتمدون على تمويل خارجي ضخم. ولو توقف يهود ما وراء البحار عن دعم المستوطنين «لانهارت المغامرة كالبالون المثقوب». لكن النتيجة التي توصل إليها هذا التقرير المخابراتي كانت نتيجة ساذجة، مفادها أن الصهاينة «سيجدون أن الزمن قد خلّفهم وراءه» «مادام العالم قد رأى النتيجة التي جلبتها النازية»[58].

وفي أواخر العام 1943 شُنت حملة قوامها لقاءات ومسرحيات وأغان لتشجيع الناس للاستكثار من الأطفال، وهي فكرة شكلت واحدة من «الوصايا» الست التي أوصت بها منظمة الإرغون - لكن على أن يكون دمهم يهوديا خالصا. وكان ذلك ينبئ بقوانين الدم الخالص التي سنّتها الدولة الإسرائيلية، ويماثل الحملة الضارية التي شنت لمنع اليهود من مصادقة غير اليهود[59].

عند هذه النقطة بدأت الإرغون في عدم إعارة الحرب الدائرة آنذاك أي اهتمام، فيما يتعلق بخطط إدارة عمليات العنف التي تقوم بها. فقد اتضح في أواخر العام 1943 وأوائل العام 1944، كما بيّن بيغن فيما بعد، أن الجهد الحربي لن يؤدي إلى قيام «شعب عبراني» على جانبي نهر الأردن، ولذلك فإن عملياتهم الإرهابية في فلسطين ستعود من دون أخذ التهديد النازي بعين الاعتبار[60].

جاءت نهاية العام 1943 بنهاية المحاولات المتكررة التي دامت أربع سنوات لإنشاء الدولة الصهيونية «بشرائها» بمبلغ عشرين مليون باوند بريطاني تدفع لابن سعود ملك السعودية، الذي كان سيصبح بذلك ملك فلسطين الغائب. كان ڤايتسمان وسينت جون [اللفظ المعتاد هو سنجن] فلبي، المغامر ووالد الجاسوس المزدوج كم فلبي، هما المدافعين اللذين لا يملّان هذه الفكرة. وهي كانت تعرف بخطة فلبي مع أن ڤايتسمان ادعى أن أصلها يعود إلى تشيرشل الذي اقترح عليه الفكرة في العام 1939. وحاول ڤايتسمان الحصول على دعم روزفلت للخطة بينما ذهب فلبي لإغراء ابن سعود.

ولم يكد ڤايتسمان يظن أن الخطة قد تنجح حتى ندم على حصر «الشراء» في الأرض الواقعة غربي نهر الأردن (أي كل ما هو الآن إسرائيل وفلسطين)، وهكذا فإنه حاول في رسالة وجهها في ديسمبر من العام 1943 إلى سمنر ولز، الذي كان قد تقاعد من فوره من منصب وكيل وزارة الخارجية الأمريكية، أن يضيف شرقي الأردن إلى الصفقة. فقد شكا من أن شراء الأرض غربي النهر فقط «سيقطع إرثنا حتى العظم». وكان لدى ڤايتسمان سبب آخر يجعله يريد ضم الأردن، لاعتبار لم يكن على استعداد للتصريح العلني به: فقد قال لولز إن امتلاك شرقي الأردن سيساعد في التطهير العرقي لغير اليهود في فلسطين - «سيسهل نقل السكان» وفقا لتعبيره لكن ابن سعود عبّر عن استيائه الشديد من أن ڤايتسمان توقّع «أن يشتريه» وأن يخون الفلسطينيّين. وكانت هذه نهاية عرض الشراء[61].

كان الهدوء النسبي الذي شهدته أواخر العام 1943 بمنزلة الهدوء الذي يسبق العاصفة التي تتزايد قوتها التدميرية يوما بعد يوم لتؤدي في النهاية إلى قيام الدولة. فبعد أن انفجرت خمس قنابل في موقف الشاحنات التابع للإخوة ستيل في يافا ليلة 28 - 29 من يناير وأدت إلى تدمير إحدى الشاحنات، انتشرت في موقع التفجيرات منشورات وجهت الاتهام إلى الشركة بأنها «طفيليات الحكومة الأجنبية [البريطانية]». وادعت الإرغون المسؤولية عن الهجوم في رسالة أرسلتها إلى الصحف العبرية. وكانت ليهي قد أخلدت إلى الهدوء أيضا بسبب تعرض العديد من أعضائها الرئيسيين للاعتقال. غير أن عشرين من أعضائها الذين كانوا قيد الاعتقال في معسكر التوقيف في اللطرون، كانوا قد تمكنوا، قبل ثلاثة أشهر، أي في 31 أكتوبر من الهرب عبر نفق طوله 176 قدما كانوا قد حفروه. وكان معنى ذلك أن هذه المنظمة الإرهابية عادت إلى العمل، وكان المكان الذي استهدفت نفسه في 3 فبراير هذه المرة هو كاتدرائية القديس جورج - وهو المكان الذي عزل كاشف السر النووي الإسرائيلي موردخاي فعنونو نفسه فيه بعد إطلاق سراحه في العام 2004، أي بعد ستين عاما. ففي الساعة الثالثة صباحا وجد رجال الشرطة (بعد أن تلقوا إخبارية من سائق سيارة أجرة فلسطيني) رجالا يزرعون قنبلة (وصفوها بأنها آلة جهنمية) يمكن تفجيرها كهربائيا في جدار الكاتدرائية. لكن الرجال تمكنوا من الهرب، بعد أن قتلوا مدنيا فلسطينيا كان يساعد الشرطة[62].

وبعد تسعة أيام أشعلت منظمة ليهي في تل أبيب النيران في نادي هاشومر هاتسئير، انتقاما من ذلك الحزب الاشتراكي الذي أعلن تفضيله دولة مشتركة بين الشعبين. أما منظمة الإرغون فكانت أشد انشغالا تلك الليلة بإلقاء القنابل على دوائر الهجرة في كل من تل أبيب والقدس وحيفا، بعد استعمال طرق مبتكرة للتغلب على حرس البناية. ففي القدس تمكنوا من جذب انتباه الحراس بصرخات تطلب المساعدة بحجة وجود هجوم «مدبر» في الشارع. وفي تل أبيب زوّدهم شخص متعاطف معهم بمفتاح يفتح باب العمارة المجاورة، وبذا تمكن العاملون لمصلحة الإرغون من نقل أكياس المتفجرات من فوق سطح البناية. لكن الحيلة المستخدمة في حيفا كانت أشدها ابتكارا. فقد مرّ رجل وامرأة من أمام الحارس لجذب اهتمامه ثم انزويا عند أحد الأبواب المجاورة وتظاهرا بالانخراط في عملية جنسية رافقتها أصوات لم يستطع الحارس مقاومة إغرائها للذهاب لمعرفة ما يجري - وفي تلك الأثناء انسل حاملو القنابل ونسفوا ملجأ للحماية من الهجمات الجوية ودمّروا البناية تدميرا كاملا. وتبنت الإرغون هذه العملية في رسالة أرسلتها إلى الصحف التي تصدر باللغة العبرية. وقالت في نشرة وزّعتها في ذلك الشهر «إن كل من يمسك بزمام الأمور من غير اليهود في هذا البلد أعداء لا هوادة معهم». ووصفوا أعمالهم الإرهابية بأنها «معركة مقدسة... حرب مقدسة، والله معنا»[63].

قالت صحيفة «هابوكر» التي تصدر بالعبرية بعد أن حذّرت منظمة الإرغون محرريها من مغبة معارضة الأعمال السرية التي تقوم بها: «إننا نعيش في حقبة تكاد تشهد إعجابا رسميا بالأعمال السرية. ولكن كبير رجال الدين اليهود في مصر عبّر عن غضبه الشديد من «الإرهاب اليهودي» ورفض تأييد الموقف الصهيوني من الهجرة إلى فلسطين، حتى عندما ادعى ڤايتسمان ثانية علانية ـ أنه يتحدث باسم جميع اليهود الذين يؤيدونها. أما الوكالة اليهودية والمنظمة الصهيونية الأمريكية فكانتا منهمكتين في حملة عالمية لإلغاء الكتاب الأبيض الذي قالتا إنه صِيغ بلغة مناهضة للكتاب المقدس، ووصفتا أي عقبة أمام نقل اليهود (فقط) إلى فلسطين بأنه بمنزلة القضاء المبرم على الشعب اليهودي - «قبل أن يفوت الوقت حتى لإنقاذ البقية الباقية منهم» وفقا للتعبير المعهود من الوكالة اليهودية. أما الفلسطينيون أنفسهم فظلوا متسامحين على رغم أن التوقعات التي كانت تصدر من دائرة

المخابرات البريطانية في الشرق الأوسط كانت تقول إن الصهاينة «سيرحبون برد الفعل الفلسطيني» على الإرهاب «إن لم يستثيروه هم بأنفسهم»، لكي «يستخدموا حجة الدفاع عن النفس ضد العرب ولتسويغ أعمالهم غير الشرعية» (كتب مسؤول بريطاني في مذكرة بالغة السرية في شهر يناير: مكتوب على الجدار أن فلسطين ستكون دولة يهودية؛ وقال آخر: بابل ثانية)[64](*).

في ليلة 14 - 15 من شهر يناير ألقت الإرغون قنابل على المباني الحكومية في القدس، وقتلت منظمة ليهي اثنين آخرين من رجال الشرطة هما المفتش غرين والشرطي يوور. واستمرت ليهي في تحقيق النجاح في اغتيال شرطيين آخرين يوم السادس عشر، ولكنها فشلت في محاولة الرابع والعشرين: فعلى الرغم من انفجار القنبلة التي دفنتها العصابة خارج مرآب سيارة نائب قائد الشرطة بعد أن ابتعدت سيارته، فإنه نجا داخل السيارة المحطمة. وبالمثل، فعندما كبس عضو من أعضاء منظمة ليهي زرا يتصل بسلك طوله ستون مترا بقنبلة وضعت على جانب الشارع فإن السيارة المستهدفة انفجرت، غير أن ركابها الأربعة، وبينهم مفتشان ورقيب، شفيت جراحهم، وتمكنوا من اجتياز الصدمة التي عانوها والصمم الذي أصابهم. وعندما اكتشفت قنبلة ثالثة كانت قد وُضعت على جانب الطريق قبل أن تنفجر، فككها البريطانيون فوجدوها مكونة من خمس قنابل مصنوعة في الولايات المتحدة وثلاث وثلاثين إصبعا من مادة الجلغنايت، ومن الذخيرة، والصمولات والمسامير. كذلك تعرضت دوائر ضريبة الدخل في تل أبيب وحيفا والقدس في 26 - 27 من شهر فبراير للتفجيرات، ووزعت منظمة الإرغون منشورات في حيفا تدعي مسؤوليتها عنها[65].

في 26 فبراير نشرت جريدة نيويورك تايمز مقالة بعنوان «الإرهاب السياسي يزداد في فلسطين» تناول «الأنشطة الإرهابية... لمصلحة المطالب القومية اليهودية المتطرفة». وقد كان آرثر سولزبيرغر، ناشر الجريدة، من بين اليهود الأمريكيين البارزين المعارضين لتلك المطالب المتطرفة والذين رفضوا تمويل عمليات الإرغون.

(*) ثمة إشارة هنا إلى ما يرد في سفر دانيال، الإصحاح الخامس، حيث يرى الملك بلشصر في حالة سكره يدا تكتب شيئا على الجدار، ولا يستطيع أحد أن يفسر الكتابة إلا دانيال الذي يفسرها بأنها تنبئ بزوال حكمه، وقد أصبحت عبارة الكتابة على الجدار عبارة دارجة تدل على ما ينبئ بالشر أو المصائب. [المترجم].

وفي الرد على ذلك أخذت مطالبات بيرغسن بالمال تميز بين «الشعب العبري» و«العرق العبري»، وذلك لأغراض جمع الأموال من أمريكا فقط وبتعارض لا يمكن التوافق بشأنه مع الأيديولوجية التي يؤمن بها بيرغسن. كان في إمكان اليهود أن يتبرعوا لإنقاذ «اليهود الذين لا دولة لهم من الاضطهاد»، دون النظر إلى أنفسهم على أنهم «قوميون عبرانيون». ويبدو أن هذه الحركة ساعدت الإرغون على ملء خزائنها. ففي وقت لاحق من تلك السنة ذكر مخبر بريطاني أن «مجموعة بيرغسن من المحتالين الذين يعرفون باسم «اللجنة العبرية للتحرير القومي» تمكنت من جمع مبالغ كبيرة من المال بتقديم نفسها على أنها منظمات لاجئين، واستغلال سذاجة الجماهير الأمريكية»[66].

في هذه الأثناء أخذت مجموعات المتجولين التابعة للوكالة اليهودية (وهي في الواقع فرق للمراقبة والاستطلاع) تظهر بشكل بارز في السجلات البريطانية. كانت الصور التي يلتقطها «المتجولون» تعالج في مختبر للصور يعمل في الظاهر على أنه شركة ري، أما رسم الخرائط فكان يقوده شخص تابع للجامعة العبرية يعمل في مجال الطوبوغرافيا، وعمل أيضا رسام خرائط للبريطانيين. وتضمنت المعلومات التي جمعوها طوبوغرافية كل قرية، وطرق الوصول إليها، وميزات أراضيها، وينابيعها، ومصدر دخلها الرئيس، وتركيبتها الاجتماعية السياسية، وانتماءها الديني، وأسماء زعمائها، وأعمار أفرادها، ودرجة عدائها للمشروع الصهيوني - كل ما كانت تدعو إليه الحاجة لمعرفة «أفضل الطرق لمهاجمة» القرى وفقا لكلمات أحد «الجوالة». وتوسعت التفاصيل لتشمل الفلاحة والزراعة وعدد الأشجار ونوعية بساتين الفاكهة، ومعدل ملكية الأرض للعائلة الواحدة، وعدد السيارات، وأسماء مالكي الدكاكين، والعاملين في الورش، وأسماء أصحاب المهن والمهارات التي يتقنونها. وعندما حل العام 1948 كانت لدى الجيوش الصهيونية صور وخرائط وخطط وإحصاءات دقيقة عن القرى والقرويين المراد محوها ومحوهم.

كما أدّت فرق المتجولين وظيفتين أخريين: إذ مكنت المعلومات التي جمعتها من قيام الهاغانا بهجمات تدريبية على القرى الفلسطينية، كما موّهت عملياتها الحركات العسكرية من مستوطنات التدريب العسكري المخفاة وإليها، من أمثال أييلت هاشاهار. وقد اكتشفت ثلاث فرق تجسسية من هذا النوع وهي تتجسس على قرى فلسطينية في الأسبوع الأول من شهر فبراير 1944[67].

أما شهر مارس فقد تميز باحتجاجات يهودية على افتتاح مطعم فلسطيني جديد. وكان أساس المشكلة اسم المطعم: «مطعم فلسطين». فكما قالت صحيفة هاتسوفيه ذات الانتشار الواسع آنذاك، كان استعمال اسم فلسطين «إهانة مقصودة لليهود».

كذلك شهد شهر مارس حملة اغتيالات جديدة لرجال الشرطة. فقد أطلقت منظمة ليهي الرصاص على شرطي من الخلف في تل أبيب في الثاني من الشهر، وقتل الشرطي زيف فليش في الثالث عشر منه في پتاح تكڤا، وفي يومي الخامس عشر والثامن عشر قتل مزيد من رجال الشرطة، وشهد يوم الحادي والعشرين من مارس وقوع هجمات أخرى على رجال الشرطة. لكن الثالث والعشرين كان أشدها فتكا، فقد قتل ثمانية من رجال الشرطة على يد الإرغون في تل أبيب وحيفا ويافا. وكان من الممكن أن يزداد عدد الضحايا في يافا كثيرا، لو لم تكتشف قنبلة في ملجأ من الغارات الجوية يقع تحت مقر الشرطة، ما مكن من إخلاء البناية قبل أن يحدث الانفجار الذي سبّب انهيار جانب كامل من البناية. ونسفت مكاتب جميع أقسام البحث الجنائي في المدن الثلاث على يد أشخاص زرعوا القنابل متنكرين في أزياء الأطباء والحلاقين[68].

وقد تمكن جهاز الشرطة من القبض على خمسين من أعضاء منظمة الإرغون في غضون أسبوع واحد، وذلك بمعونة أحد المخبرين غير المتوقعين. غير أن المندوب السامي مكمايكل قال «إن القائمين على المؤسسات الصهيونية لم يقدموا، لا هم ولا اليشوڤ عموما (أكرر: لم يقدموا)، أي مساندة لكبح أعمال هؤلاء المتعصبين، وذلك بسبب الخشية منهم من دون شك، من جهة، ولأنهم من الناحية الأخرى كانوا متعاطفين معهم إلى حد ما». وتعزز التأييد للإرهاب بما قامت به الوكالة اليهودية «من سعي محموم على مدى سنوات مضت إلى شحذ المشاعر القومية عبر تعليم الصغار والمنصات الدعائية». أما الإرهابيون فينظرون إلى أنفسهم على أنهم الوسائل المختارة لتحقيق الأهداف الصهيونية، إذ إن الوكالة، كما هو شأن الإرهابيين، تستغل

> التعاطف مع آلام اليهود والدافع الإنساني لعمل كل ما يمكن عمله لتخفيف تلك الآلام، وما ينتج من ذلك من استعداد لتقديم كل التنازلات الممكنة لوجهة النظر الصهيونية[69].

اتهم بن غوريون البريطانيين بالتآمر، في رد منه على الاتهامات الموجهة إلى الوكالة بأنها تحمي الإرهاب، وادعى أن البريطانيين تعمدوا التقاعس عن إلقاء القبض على الإرهابيين لكي يعاقبوا جميع اليهود في فلسطين. ومع ذلك فإن الوكالة اليهودية كانت تعطي البريطانيين سرا حق الحصول على معونتها ضد الإرهاب، وهو موقف وجده البريطانيون «مدهشا على أقل تقدير»، وبمنزلة «الموافقة على ارتكاب الجرائم». فقد طلبت الوكالة من البريطانيين الموافقة على عدم البحث عن الإرهابيين، أو تفتيش المستوطنات بحثا عن الأسلحة، وفي المقابل ستكشف الوكالة عما لديها من معلومات، فقط مما ترغب في الكشف عنها. وفي تلك الأثناء استمر مساندو الصهيونية في الادعاء بأن مشروع الاستيطان «هو بمنزلة الهدية إلى الإمبراطورية» وفقا لكلمات النادي الإنجليزي - الفلسطيني، وأن قوة «الإمبراطورية البريطانية تتناسب طرديا مع مدى توسع الهجرة اليهودية»[70].

في الولايات المتحدة كان الديموقراطيون هم الضامنين التقليديين لدعم الصهيونية، ولكن منظمة الإرغون أخذت الآن تلاعب هذا الحزب في مقابل غريمه الحزب الجمهوري، لتوجد تنافسا بينهما حول الأصوات المساندة للصهيونية. وكانت «لجنة إعادة التوطين» التابعة لـ NZO مشغولة بالحصول على دعم الولايات المتحدة «لنقل السكان [الفلسطينيين]» خارج فلسطين، وقالت رسالة من NZO اعترضها البريطانيون وهي في طريقها إلى عضو منظمة الإرغون أبراهام أبراهامز في لندن - وهو شخص سيبرز فيما بعد بصفته أحد المسؤولين الأساسيين عن الإرهاب الداخلي في بريطانيا - قالت إن خطط المنظمة للتهجير القسري حصلت الآن على تأييد أربعمائة «من الممثلين المهمين للرأي الأمريكي العام» (ربما استُقيت أسماؤهم من قائمة إري جابوتنسكي). وأعلن الحزب الجمهوري، في محاولة منه للتفوق على الحزب الديموقراطي، مطالبته بفتح المجال من دون قيود لهجرة اليهود إلى فلسطين، بينما ذهب حزب العمال في بريطانيا إلى أبعد مما ذهب إليه الجمهوريون في الولايات المتحدة؛ فأصدر بيانا يدعو إلى «النقل القسري لسكان فلسطين من العرب» - وهو اقتراح بالتطهير العرقي رحّب به الزعماء الصهاينة لأنه مكّنهم من القول إن الفكرة بريطانية وليست فكرتهم. وقد صُعق الفلسطينيون، وفقا لكلمات مكمايكل،

لأن «الممثلين المنتَخَبين لجانب كبير من الشعب البريطاني» يمكن أن يدعوا إلى تهجيرهم بالقوة من بلادهم لمصلحة المستوطنين[71].

وبحلول الأول من أبريل 1944 استخدمت منظمة ليهي قنبلة يدوية لقتل رقيب في الجيش، ولكنها لم تنجح إلا في جرح شرطيين في الخامس منه. واستمرت عمليات الإطلاق المتبادل للرصاص مع الشرطة، وجرت محاولة فاشلة لاغتيال اثنين من الشرطة البريطانيين في مركز الشرطة الشمالي في تل أبيب في التاسع من أبريل على رغم أن المهاجمين استعملوا المتفجرات والأسلحة العادية. ومن بين محاولات اغتيال عديدة استهدفت رجال الشرطة، لم تنجح سوى محاولة الاغتيال التي جرت في العاشر من الشهر[72].

جعلت «ملكية الدم» الصهيونية لليهود الموظفين المدنيين في فلسطين «خونة» من دون جدال، ولذا وزعت منظمة ليهي في شهر مايو منشورات تضمنت قائمة سوداء بأسماء رجال الشرطة اليهود. وقد اغتيل أحد المذكورين في القائمة في العاشر من مايو باستخدام الرصاص وقنبلة. وأطلقت قذائف هاون ضد حصن للشرطة واستعملت قوة لدعم عملية الانسحاب في 17 مايو، وفي تلك الليلة «حاول أربعون من اليهود المسلحين من منطقة الشاطئ» الاستيلاء على محطة الإذاعة في رام الله، وأن يوقعوا الشرطة في كمين. وأطلق المهاجمون وابلا من الرصاص على منضدة السيطرة وعلى هوائيين، بعد أن استجوبوا أحد العاملين في المحطة بالعبرية، ولم يحصلوا على جواب. ولكن سيارة أجرة فلسطينية مرت بالمصادفة من هناك، قاطعت الهجوم، وأفسدت الحصار الذي فرضوه[73].

في مساء ذلك اليوم استعمل ثلاثون يهوديا يرتدون قمصانا وسراويل قصيرة من الخاكي ألواحا خشبية مسلحة بالمسامير لتخريب سيارة أجرة كانت تقل ثلاثة فلسطينيين، ثم أشعلوا متفجرات أسفلها فأدى انفجارها إلى قذف السيارة بعيدا عن الشارع. وقد نجا الفلسطينيون من التفجير، وفروا هاربين، غير أن اليهود أطلقوا النيران عليهم، وأصابوا اثنين منهم. وبعد عدة ساعات هوجمت دورية شرطة، في نحو الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل في الثامن عشر من مايو في الشمال الشرقي من اللد. وعندما تبادل رجال الشرطة إطلاق النار وعطلوا شاحنة المهاجمين، انسل المهاجمون الستة في ظلام الليل. وبعد

ذلك بقليل جاءت شاحنتان أخريان من الاتجاه نفسه، وعندما رأى ركابهما أن المجموعة الأولى واجهت مقاومة انطلق نحو ثمانية عشر من الرجال والنساء منهما هاربين. وقد وجد رجال الشرطة فيهما جلغنايت وألواحا خشبية مسلحة بالمسامير كتلك التي استُعملت في وقت سابق لتخريب السيارة الفلسطينية. كانت الشاحنتان مسروقتين (بعد أن هوجم صاحباهما وأحكم وثاقهما)، وركبت على كل منهما لوحة أرقام مزيفة.

وفي ليلة 13 - 14 يوليو تعرض مقر قسم الشرطة ومكاتب سجلات الأراضي لهجوم بقنابل الجلغنايت والقنابل اليدوية والبنادق الرشاشة والمسدسات الأوتوماتيكية، فقتل فلسطينيان وجرح شرطي يهودي جرحا بالغا. وأطلق يهود متشددون يرتدون زي الشرطة النار على الحراس بينما حمل آخرون بالزي المدني المتفجرات. وأعلنت الإرغون «متباهية» مسؤوليتها عن الهجوم. وفي اليوم التالي (الخامس عشر) استولى متشددون على شاحنة تحمل متفجرات وقتلوا شرطيا، وتبعت ذلك تفجيرات أخرى في الثامن والعشرين من يوليو[74].

وذكرت دوائر المندوب السامي في يافا في ذلك الشهر أن «مما لا شك فيه أن ما قامت به منظمة إرغون زفاي لئومي من أفعال إرهابية زادت من شعبيتها زيادة كبيرة لدى الشبيبة اليهودية»، وأن تحقيق نجاحات أخرى «سيزيد من رقعة المنتسبين إليها». كذلك ذكر السكرتير الأول في القدس أن جانبا كبيرا من شباب المستوطنات «ينظر إلى هؤلاء الإرهابيين» على أنهم «كاناييم» العصر الحديث (أي مجاهديه). وفي تلك الهجمات الصهيونية استمر سقوط كثير من قتلى الفلسطينيين، وهو ما أدى إلى «زيادة عداوة العرب لكل ما هو يهودي»[75].

أثارت النكسات التي لحقت بالجيوش النازية في صيف العام 1944 شيئا من القلق، في الدوائر السياسية، من أن تصاب الصهيونية بنكسة مماثلة. وكتب السكرتير الأول في القدس يقول: «يبدو أن هناك بعض النزوع إلى الخوف من انتهاء الظلم النازي قبل التمكن من الحصول على إذن لأعداد كبيرة من اليهود بدخول فلسطين بسببه». كذلك قال مكمايكل إن زعماء الوكالة يسعون إلى «الاستفادة من الفراغات المتبقية» من الرقم 75000 الذي سمح به الكتاب الأبيض بسرعة من أجل خلق أزمة هجرة «بينما مشكلة اللاجئين لاتزال حادة».

كذلك يبدو أن بن غوريون كان يتحدث عن الانتكاسات النازية عندما حذر في محاضرة له في تل أبيب في 2 أبريل من أن هزيمة دول المحور لن تنهي التهديد الذي يجابهه اليهود - لا بل إن انتصار الحلفاء سيجعل الوضع أسوأ، لأنه سيسبب «ازدياد العداء للسامية» ويجعل «أقطارا أخرى كثيرة» مستعدة لتطبيق «حل هتلر»[76].

كان أكبر نجاح حققه بن غوريون في صيف العام 1944 هو تشكيل اللواء اليهودي على يدي تشيرشل بضغط من الولايات المتحدة على رغم المعارضة الشديدة لقوات تشيرشل العسكرية. وكان التسويغ المزعوم لتشكيل جيش يهودي خالص أنه سيوفر لليهود شعورا بالكرامة في الحرب ضد النازيين[77].

أما قادة الجيش البريطاني فقالوا إن تشكيل لواء منفصل لم يكن فعالا من الناحية الاستراتيجية، بل إنه صعّد الصراع ضد دول المحور. وبيّنوا أن اليهود كانوا يخدمون في الجيش البريطاني مع بقية الناس. وقالوا إن الصهاينة طالبوا بجيش يهودي خالص لسببين لا علاقة لهما بالنازيين: الأول للادعاء بعد انتهاء الحرب بأن الجيش اليهودي المنفصل كان بمنزلة التسليم بالأمر الواقع وهو القومية اليهودية (وبالدولة اليهودية في فلسطين)؛ والآخر لإرسال جيش صهيوني مدرب إلى فلسطين لتحقيق الأهداف السياسية بالقوة[78].

تمثلت تلك الأهداف، وفقا لما جاء في مذكرة قدمت إلى وزارة الحرب، في إنشاء دولة تقوم على الهيمنة العرقية:

> من الواضح من التصريحات العلنية وغير العلنية التي تصدر عن الزعماء الصهاينة أنهم لا يريدون دولة مشتركة بين اليهود والعرب. يريدون دولة يهودية خالصة، وهم مصممون على الحصول عليها بكل وسائل القوة التي يملكونها. هذا هو سبب المطالبة بتشكيل جيش يهودي... [الفلسطينيون] لن يشاركوا في حكم ذلك البلد - سيكون ذلك مقتصرا على اليهود بالكامل. علينا أن نواجه حقيقة أن هذا هو هدفهم، وأنهم لن يقبلوا سواه[79].

كان السعي إلى التوسع اللاحق في كل من لبنان وسورية قد بدأ فعلا، فقد أُرسل مندوب عن الصندوق القومي اليهودي في ذلك الصيف إلى الحكومتين اللبنانية والسورية «من أجل توسيع أنشطة الصندوق في أراضيهما» كما قال مكمايكل. وبينما كان اللواء اليهودي في مرحلة اكتماله تباهى بن غوريون أمام الوكالة بقوله

إنهم سيحصلون على فلسطين بقوة السلاح، «وإذا تبين أن البلد أصغر من اللازم فإننا سنوسع حدوده».

كذلك قالت صحيفة «نيويورك تايمز» إن اللواء ليس سوى حيلة لإعلان الدولة، وانتقدت سياسيي الولايات المتحدة الذين ضغطوا على بريطانيا لقبوله. ووقع اثنان وستون من رجال الدين اليهود بيانا صحافيا عارضوا فيه فكرة إنشاء لواء منفصل وقالوا إن ذلك «سيزيد من الوضع التعس الذي يجابهه شعب مبتلى». ووصف موريس كوهين، أستاذ الفلسفة المتقاعد في كلية المدينة، في بيان بليغ «القول بأن اليهود جماعة قومية أجنبية في كل مكان باستثناء فلسطين هو من قبيل معاداة السامية»، وحذر «من أن الإفلاس الأخلاقي التام للقومية العرقية [وكان يشير بذلك إلى الصهيونية] قد انكشف في ألمانيا النازية»[80].

وعندما غادر هارولد مكمايكل، المندوب السامي في فلسطين، القدس إلى يافا في الثامن من أغسطس، ترافقه الشرطة من أمام سيارته ومن خلفها، وقع الركب الصغير في كمين عند منحنى حاد في سفح الجبل وهاجمه نحو اثني عشر من رجال ليهي، متخفين بزي جماعة تقوم بمسح المنطقة، بقنابل يدوية مصنوعة في الولايات المتحدة، وبرصاص الرشاشات. أصيب السائق في رقبته ففقد السيطرة على السيارة، ولكن ضابطا يجلس إلى جواره أمسك بالمقود ووجه السيارة نحو الحاجز. وأصيب راكب آخر في الرئة، بينما أصيب مكمايكل بجروح طفيفة من جراء طلقات الرصاص. ولاحق رجال الشرطة المهاجمين إلى مستوطنة «غفعات شاؤول» حيث مُنعوا من إلقاء القبض عليهم، مثلما كانوا قد مُنعوا من اعتقال رجال ليهي الذين قيل إنهم كانوا يختبئون قرب مستوطنة في بيت دجن قبل ذلك بثلاثة أيام[81].

مع حلول العام 1943 كانت محاولات الشرطة لملاحقة الإرهابيين في المستوطنات قد أوجدت من «الفوضى العارمة» وضعا جعل مكمايكل نفسه يصدر أمرا بعدم تفتيش المستوطنات خوفا من تمرد شامل مع أنه كان يعتبر من المتشددين. لكن محاولة الاغتيال الوقحة هذه أجبرت البريطانيين على ممارسة الضغط من جديد على الوكالة اليهودية لكي تتعاون معهم، فلم توافق إلا على الطلب من «متطوعين» لمساعدة البريطانيين. وقد لاحظ مكمايكل أن الفلسطينيين عندما رأوا اليشوف وهم «لا يخجلون من التصريحات المتباهية بإنجاز الحد الأقصى من أهداف الصهيونية

في فلسطين» أخذوا «يعبّرون عن قلقهم المتزايد من وقاحة المنظمات الإرهابية اليهودية وقوتها، وهي قوة يخشون استخدامها ضدهم في نهاية المطاف»[82].

أدت الهجمات المنسقة التي شُنّت يوم الثاني والعشرين من أغسطس ضد مقر الشرطة في يافا ومركزين آخرين للشرطة على الحدود الواقعة بين يافا وتل أبيب إلى مقتل ضابطين من ضباط الشرطة. فقد انطلقت ثلاث مجموعات من المهاجمين تتشكل كل منها من نحو اثني عشر رجلا، وهاجموها بالقنابل والرشاشات بعد أن لغموا الطرق المؤدية إلى المكان وفخخوها هي وسكة الحديد لقتل أوائل من يردون على الهجمات أو لتأخير وصولهم. وفي السابع والعشرين من سبتمبر قتل شخص في هجوم على مركز الشرطة الشرقي، وجرح عشرة عندما نسفت شاحنتهم بلغم. وهوجمت أربعة مراكز للشرطة في حيفا وقلقيلية وبيت دجن وقطرة في اليوم التالي من قبل قوة قدرت بما لا يقل عن 150 رجلا مسلحين بالقنابل والمدافع الرشاشة، وقتل في تلك الهجمات أربعة من الفلسطينيين، واغتالت منظمة ليهي مدير مركز الشرطة في القدس؛ ج. ت. ولكن يوم التاسع والعشرين من الشهر[83].

استخدمت منظمة الإرغون الإرهابية جزءا مما سرقته من أقمشة، يقدر ثمنها بمائة ألف ليرة فلسطينية في السادس من أكتوبر، لبناء غرفة محصنة لقائدها، وهو رئيس الوزراء الإسرائيلي في المستقبل مناحيم بيغن، الذي وصفه مدير مركز شرطة حيفا بأنه «سفاح لا يرحم جعل آل كابون(*) يبدو كالتلميذ بالمقارنة معه». وفي خلفية الهجمات على السلطات الحكومية والمدنية ظل الفلسطينيون يتعرضون لاعتداءات تقوم بها مجموعات من الشباب اليهود على شاطئ البحر، «وشاع في تل أبيب أن حكومة جلالة الملك تنوي تقسيم البلد»[84].

وبالفعل كان البريطانيون، بعد أن تخلوا عن فكرة التقسيم بحجة أنها غير عملية قبل سنوات، قد عادوا إليها في أوائل العام 1944 بوصفها مهربا لهم، ولكنهم كتموا الخبر لعدم قدرتهم على تجميع ما يكفي من الجنود لمواجهة رد الفعل العنيف الذي توقعوه. وكانوا على وعي تام بأن «المتطرفين الذين يسيطرون على الوكالة [اليهودية]» سيقاومون التقسيم بـ «اللجوء إلى القوات التي تقع تحت

(*) أحد أشهر رجال العصابات في شيكاغو في عشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي. [المترجم].

إمرتهم - وهي قوات دلّت التجارب الماضية والاستخبارات الحديثة (عن منظمة الهاغانا) على أنها شديدة التعصب والانضباط»[85].

وقد دان ڤايتسمان، صاحب الأفكار الخلاصية المتشددة، إشاعات التقسيم بالتذكير بأن «فرعون عرض علينا في يوم من الأيام أن نصنع قوالب الطين من غير تبن»، قاصدا من استعماله ضمير المتكلمين في «علينا» أن يوحي بأن يهود أوروبا في القرن العشرين استُلوا من العهد القديم وتركوا الصفحة الخاصة بفرعون وقد طُوي طرفها للدلالة على كثرة الرجوع إليها. لكن البريطانيين الموجودين على الأرض هم الذين ثبتت نبوءتهم بسبب القلق الذي ساورهم من أن التقسيم سيجعل «العنصر اليهودي المتطرف» «يثير حجة العنف العربي» لسرقة ذلك الجزء من الأراضي الذي سيكون من نصيب الفلسطينيين[86].

شكا تقرير بريطاني يعود إلى شهر أكتوبر من أن الإرهاب الصهيوني الذي لا يتوقف «يخرب الجهود العامة للأمم المتحدة(*) في صراعها المصيري ضد أعتى الأعداء الذين عرفهم اليهود في حياتهم». وتوجه البريطانيون بالرجاء إلى المستوطنين للتعاون من أجل هزيمة الخطر النازي، وذلك باستعمال المطبوعات وموجات الإذاعة.

> وعلى الرغم من أن فلسطين قد نعمت بخمس سنوات من السلامة من ويلات الحرب... لكنها في المقابل شهدت سلسلة من الجرائم البشعة التي ارتكبها الإرهابيون اليهود، الذين فعلوا ما فعلوا من أجل تحقيق أهدافهم السياسية... وهذه الأحداث ترافق مرحلة من أحرج مراحل الحرب بين الأمم المتحدة وألمانيا النازية[87].

لكن البريطانيين على الأرض أشاروا إلى «ازدياد أعداد الشباب والشابات من اليهود الذين أصيبوا بفيروس العصابات، وراحوا [يزوّدون] المنظمات الإرهابية بمنتمين جدد لـ «الحصول» على أقصى أهداف الدولة اليهودية التي تشمل فلسطين كلها، ومن ثم شرق الأردن». هؤلاء الشباب يُغذَّون بالطبيعة الدعائية المنتشرة في التعليم في المدارس اليهودية، وحركة الشباب (التي تذكّر بشباب هتلر على نحو لا يسر)، والتنظيم الحازم المتشدد لليشوف الذي تقوم به وكالة الهستدروت... إلخ. هذه الأمور تؤدي إلى إلغاء حرية التفكير والتعبير[88].

(*) تُشير هذه العبارة هنا إلى دول الحلفاء، وليس إلى منظمة الأمم المتحدة التي أُسست في أواخر العام 1945. [المؤلف].

في هذه الأثناء «يُقتل الفلسطينيون هنا وهناك بأعداد قليلة على أيدي اليهود في أثناء عملياتهم الإرهابية». وقد قال تقرير أصدرته دائرة المندوب السامي في منطقة القدس في شهر أكتوبر:

> إن قتل العرب على أيدي الإرهابيين اليهود وتوزيع نسخ باللغة العربية من نشرات منظمة إرغون زفاي لئومي تهدد بقطع يدي أي عربي يعارض القضية اليهودية [الصهيونية] أوجدا جوا من التوتر والكراهية يشبه جو [الثورة الفلسطينية التي حدثت في] العام 1938 - 1939[89].

وزّعت الإرغون نشرات في المدن العربية الرئيسة تعلن فيها أنها «الحكومة الجديدة» للفلسطينيين، وتحذرهم بعبارات وصفها البريطانيون بالمهينة من مغبة التدخل في عمليات المنظمة. لكن ظل المسؤولون البريطانيون يلاحظون امتناع الفلسطينيين عن الرد بالمثل. فقد ذكر السكرتير الأول لمنطقة اللد «أن مما تجدر ملاحظته أن استمرار الأعمال الإرهابية اليهودية لم يثر العرب للرد عليها إلى الآن...»[90].

توقعت وزارة الحرب أن المستوطنين سيزيدون من العنف الموجه ضد العرب عندما تحين اللحظة المناسبة لاستثارة رد فعل يمكنهم تصويره على أنه هجوم. فقد كانت ثمة أدلة تشير إلى أنه

> مهما يكن النهج الذي سيسلكه الزعماء الصهاينة فإنهم سيستثيرون رد فعل لدى العرب يسوغ استعمال القوة بحجة «الدفاع عن النفس»[91].

بعد مضي يومين على مقتل شرطي فلسطيني من غزة «اختارت مجموعة من نحو ستين يهوديا من المستوطنات المجاورة أن تزور غزة لاستعراض قوتهم في شوارعها»، ولكن الفلسطينيين قاوموا الرغبة برد الفعل. وكان ضبط النفس عائدا إلى عدم رغبتهم في الوقوع في فخ استخدامهم من قبل الآلة الدعائية لليهود وفقا لما لاحظه البريطانيون. وجاءت ملاحظات مشابهة من السكرتير الأول في القدس في شهر أكتوبر: «لم تقد الأفعال الإرهابية والدعائية التي قام بها اليهود» إلى الرد بالمثل من جانب الفلسطينيين[92].

وقد عقد أصحاب الحس السياسي من اليهود مقارنة بين النزعة القتالية عند الصهاينة من ناحية «ونشوء الحركة النازية، ويعبّرون عن خشيتهم من أن

الجماعتين تجتذبان أعدادا متزايدة من الشباب». لقد غدا الإرهاب الصهيوني «جزءا من الحياة اليومية في فلسطين بحيث أخذ اليهودي العادي لا يهتم بالأمر مادام أحد لا يزعجه». وظل البريطانيون يخشون أن استعمال القوة لوقف الأعمال الإرهابية سيؤدي إلى ردود الفعل «في الدوائر الصهيونية داخل فلسطين وخارجها»[93].

ازداد عدد «رحلات الاستكشاف» اليهودية مع ازدياد الأعمال الإرهابية. فقد أوقف ثمانية وعشرون مستكشفا من مستوطنات إيمك وهم يستكشفون الأراضي الواقعة شرقي جنين يوم الثالث والعشرين من أكتوبر، وتبعهم بعد خمسة أيام فريقان آخران يضمان ما مجموعه ثلاثون مستكشفا. وجرى تسجيل فرق استكشاف أخرى من قبل دوائر المندوب السامي في نابلس، حيث لوحظت كاميراتهم وقنابلهم المضادة للأشخاص. واعتقل جنود الجيش العربي(*) عددا آخر من المستكشفين في منطقة الجليل، ولكن الجنود خففوا من جدية الحادثة - كما قال مسؤول منطقة الجليل - بأن «دعوهم إلى العشاء وأطلقوا سراح اليهود الوقحين بعد وصولهم إلى المعسكر مباشرة»[94].

في السادس من نوفمبر جرت أول عملية اغتيال صهيونية خارج فلسطين. فبينما كان اللورد موين، وزير الدولة لشؤون الشرق الأوسط، عائدا إلى منزله في الساعة الواحدة وعشر دقائق بعد الظهر قفز اثنان من منظمة ليهي من مخبئهما، وقال أحدهما بلهجة وصفها الكابتن أندرو هيوز أونسلو، الذي كان قد خرج من سيارة الصالون الباكارد، بأنها «لهجة إنجليزية لا لكنة فيها»: «قف مكانك». وأدخل أحدهما ماسورة بندقيته في النافذة المفتوحة وأطلق النار على اللورد موين ثلاث مرات «متفرقات بطيئات». أما السائق الذي كان قد ذهب ليفتح الباب للورد موين فقد انبطح وهو يموت على الأرض. وهرب القاتلان على دراجة كما كانت خطتهما تقضي، ولكن رآهما شرطي يركب دراجة نارية، ثم قبض عليهما معا[95].

(*) كان الجيش العربي (Arab Legion) جيشا شكله البريطانيون وقادوه في العام 1920 للدفاع عن شرق الأردن الذي احتله البريطانيون في الحرب العالمية الأولى، وقد أدى هذا الجيش دورا مهما في الحرب ضد دول المحور في الحرب العالمية الثانية تحت إمرة جون باغت غلب (غلوب) الذي قاد هذا الجيش من العام 1939 إلى العام 1956، وهو العام الذي تحول الجيش فيه إلى الجيش الأردني. [المؤلف].

كان اللورد موين، وارث شركة غنس التي تعمل في صناعة البيرة، مستهدفا بسبب انتقاده للصهيونية السياسية. فقبل سنتين من اغتياله كان قد عيّن النقاط الأساسية في المشكلة الفلسطينية في مجلس اللوردات على هذا النحو:

> أثارت الدعوى الصهيونية مسألتين بالغتي الخطورة: الأولى المطالبة بالهجرة على نطاق واسع إلى بلد مكتظ بسكانه، والثانية الهيمنة العرقية لهؤلاء الآتين الجدد على السكان الأصليين.

وقال جوابا على تهمة معاداة السامية والتلميحات بمساندة النازية:

> إن كان لزاما علينا أن نجري المقارنة مع النازيين فلا شك أنها تنطبق على أولئك الذين ينوون استيراد نظام حكم أجنبي ليحكم السكان العرب... والقول إن العرب يجب أن يخضعوا بالقوة لنظام حكم يهودي لا يتوافق مع الوثيقة الأطلنطية، ويجب أن يقال ذلك لأمريكا[96].

كانت معارضة موين للسياسات الصهيونية واحدا من ثلاثة أسباب أعطتها منظمة ليهي لقتله. فقد أرادت العصابة أن تكشف عن سياستها القاضية بالإرهاب الشخصي لتحذير الآخرين، وأن تنفذ عملية اغتيال لشخصية من كبار الشخصيات لدعم مطالبها على المستوى العالمي. وقد جرد الصهاينة الأمريكيون حملة إعلامية ضخمة لتصوير قاتلي موين كأنهما «شهيدان»، ولوقف المحاكمة، ولكن الحملة فشلت حتى بعد أن حصلا على دعم بعض السياسيين الأمريكيين وبعض الشخصيات العامة مثل أرتورو توسكانيني(*). فقد جرت محاكمتهما وشُنقا[97].

لاحقت الوكالة اليهودية بعد اغتيال موين تحت الضغط الدولي الإرهابيين من خارج منظمة الهاغانا في فترة تعرف باصطلاح «الموسم». فقد استخدمت منظمة الهاغانا «محاولات غير تقليدية للحصول على معلومات» من أعضاء الإرغون (مع أن قتلة موين كانوا من أتباع منظمة ليهي)، وكان من رأي البريطانيين أن التعاون «كان ذا طابع سياسي بالدرجة الأولى»، وفرصة للتخلص «من الأشخاص الذين تكرههم الوكالة على أساس الولاء الحزبي». لقد حاربت الوكالة الإرهاب «عندما وافق ذلك هواها السياسي» كما قالت MI5(**).

(*) كان توسكانيني في تلك الفترة من أشهر قادة الفرق الموسيقية. [المترجم].

(**) هذا فرع من أفرع جهاز المخابرات البريطانية. [المترجم].

بعد ارتكاب جريمة الاغتيال تمسك رجل الدين فشمن، (أو يهودا ليب ميمون) الذي أصبح عضوا في البرلمان الإسرائيلي فيما بعد، بالرأي القائل «إن علينا ألا نسمح بالتعاون مع الحكومة لمحاربة الإرهاب مهما كانت الظروف، بينما وصف يتسحاك غرونباوم، الذي عارض عمليات الإنقاذ في السابق، وأصبح أول وزير للداخلية في إسرائيل»، أشار إلى قاتلي موين مؤكدا أنه «لا يصح وصفهما بأقل من كونهما من أبطال الأمة». وأعلن كبير رجال الدين الأشكيناز في فلسطين هيرتسوغ أن تسليم من يشك في كونهم إرهابيين للسلطات يخالف شريعة الكتاب المقدس. أما بن غوريون وڤايتسمان فقد عبرا - في العلن - عن صدمتهما لاغتيال موين، ولكن الدولة الإسرائيلية سرعان ما أخذت تمجد القاتلين وتصفهما بأنهما «بطلان حاربا من أجل الحرية». وفي العام 1975 دفنت رفات القاتلَين في بهو البطولة في القدس، وفي العام 1982 أصدرت إسرائيل طوابع بريدية لتكريمهما[98].



القدس كما تُرى من الشمال، أوائل القرن العشرين. وعلى مسودة الصورة هذه الكلمات: «القدس الشمالية، طريق نابلس»

القسم الثاني:

سقوط الفاشية ونهوضها

4

انتصار الحلفاء، 1945

«صب الزعماء اليهود غضبهم عليّ، وسخروا مني، ثم هاجموني كأنني كنت خائنا... واتُهمت علنا بدعم هذه الخطة الداعية إلى الهجرة الحرة لعرقلة جهود الصهيونية السياسية».

- موريس إرنست، مساعد الرئيس فرانكلن ديلانو روزفِلت، بعد النجاح المؤقت في فتح أبواب الولايات المتحدة وعدة دول أخرى لنصف مليون من المهجّرين في أوائل العام 1944[1]

قال جيمز غرِغ، خليفة اللورد موين «إن العالم المسيحي لن يدعم نشوء نمط من العصابات النازية التقليدية التي تتسبب في كل ذلك الرعب والدمار في فلسطين».

«كان إعلان أي سياسة لا تحابي الصهيونية المتطرفة يقابَل بالأعمال الإرهابية. وكان اليهود المعارضون للتطرف السياسي معرضين للتخويف، ولم يكن لهم أي تأثير سياسي»

لكن الصحافة الصهيونية ظلت، مع اقتراب استسلام ألمانيا، تشيد بقاتلَيّ موين وتدعوهما «شهيدين»، وازداد عنف «نمط العصابات النازية»[2].

توفي الرئيس روزفِلْت في 12 أبريل 1945. ولاحظ البريطانيون «أن الزعماء الصهاينة لم يتأثروا لموته كثيرا؛ لأنهم يشعرون بأن تأثيرهم في الولايات المتحدة قوي بما يكفي لجعل الرئيس الجديد [هاري تْرومَن] يسير على الطريق الصحيح». فترومَن، الذي وصفه شاريت بأنه ديبلوماسي ساذج قابل للتشكيل، تولى الرئاسة في وقت حرج، عشية انتصار الحلفاء.

رأى بن غوريون أن على الصهيونية «استغلال الاضطراب والشعور بالإجهاد اللذين أعقبا الحرب» لتحقيق أهدافها السياسية. واستشهد بسابقة احتلال البولنديين لمدينة فِلْنا [عاصمة لثوانيا] بعد الحرب العالمية الأولى، دليلا على هذه السياسة، وأكد أن أهدافهم في فلسطين لن تتحقق إلا بالقوة. ولما كانت وزارة الحرب البريطانية مدركة خطر انقلاب قد يحدث يوم إعلان النصر، فقد وافقت الوزارة على إعطاء حكومة الانتداب أطول إشعار مسبق ممكن قبل إعلان النصر. كان الوقت الذي طُلِب ثمانيا وأربعين ساعة، لكن المأمول فعليا لم يزد على نصف تلك المدة.

قال بن غوريون استعدادا: «علينا أن نثبت كل موقع من مواقعنا الحالية. علينا أن نستوطن كل بقعة من الأرض تقع تحت سيطرتنا على الفور... ينبغي أن نأتي بالمهاجرين من كل البلاد وبكل السبل». وكان الهدف من ذلك خلق وقائع على الأرض وليس إنقاذ اليهود[3].

كانت لدى منظمتي الإرغون وليهي خطط مشابهة لاستغلال حالة الإنهاك التي خلّفتها الحرب. وكانت أنشطة الإرغون في الولايات المتحدة تحت مراقبة مخبر بريطاني رمزه Y32، لم يكن يثق إلا بشخص يدعى كاتْلِنْغ، وهو من رجال الشرطة في فلسطين، ليسرّ له بحقيقته (كان عضوا سابقا في منظمة الإرغون اسمه جانكِلِس چلڤيشيوس). ذهب كاتْلِنْغ إلى الولايات المتحدة للحصول على تقرير Y32 بنفسه. وعندما اجتمع به يوم الأول من أكتوبر من العام 1944 في نيويورك علم أن لدى الإرغون «خططا بلغت مراحل متقدمة للقيام بتمرد يهودي شامل في فلسطين، موعده بعد هزيمة ألمانيا بشهرين أو ثلاثة أشهر». سيجري «تفريغ فلسطين من

العساكر البريطانيين [وسيعود] عدد لا بأس به من [اللواء] اليهودي إلى فلسطين». سيسيطر أعضاء منظمتي الإرغون وليهي على مواقع حساسة: محطة الإذاعة في الرملة، ودائرة البريد العامة في القدس، والسكرتارية، ودوائر الحكومة في القدس وحيفا وتل أبيب. وقال فيما يتعلق بأفكار الإرغون: «وإذا ما استخدم الجيش ضدهم فإن القيمة الدعائية للصراخ القائل إن الجنود البريطانيين يقتلون اليهود في وطنهم سيؤدي إلى تحول الرأي العام العالمي لمصلحتهم». لكن ما يثير قدرا أكبر من القلق، وفق ما قال Y32 لكاتِلنْغ، هو أن اليهود المنضمين إلى القوات المسلحة متورطون في الخطة - وأن الصهاينة قد زرعوا عملاء لهم في القوات المسلحة البريطانية.

جاء تأكيد منفصل لنية هجوم كاسح بعد انتهاء الحرب من سجن في القاهرة بعد ذلك بستة أشهر (أبريل 1945) عندما تباهى ياكوف مريدور، وهو عضو سابق في الإرغون، أمام مسؤول عن السجن بأن «عليه أن يكون في فلسطين يوم إعلان النصر» ليشارك في الخطة، لأن ذلك اليوم سيكون أعظم يوم في تاريخ فلسطين»[4].

وهكذا خرجت فرق من شباب اليهود، عندما سمِعت محطة الإذاعة البريطانية وهي تعلن في ظهيرة اليوم السابع من مايو استسلام ألمانيا غير المشروط، في صبيحة كل يوم من اليومين التاليين، للاحتفال في مواكب تجوب حي وادي الصليب العربي في حيفا وتلوِّح بالأعلام الصهيونية وتتهجم على الفلسطينيين إلى أن أوقفتها الشرطة. وبينما أُحبطت الخطة التي أعدتها منظمة الإرغون للقصف بمدافع الهاون يوم 13 مايو، لم يسر الأمر على خطتها في نسف أعمدة التلغراف. فقد نُسف سبعة وخمسون عمودا ليلة 14 - 15 مايو. لكن الخط المار بشمال الخضيرة سلم من التفجيرات بسبب عطل فني: إذ لم تنفجر سوى ست من القنابل المزروعة. وفي السادس عشر من مايو هاجم أعضاء المنظمة مركز الشرطة في اللد وموقعا للشرطة في تل أبيب، وحاولوا نسف معسكر سارونا، ولكن القنبلة انفجرت خارجه. وأخطأت قذيفتا هاون هدفَهما، وهو مركز الشرطة في يافا. ووجِد أن أكثر من مائتي عمود تلغراف قد لغمت بالمتفجرات، كان أكثرها بالقرب من اللد. واستمر استهداف خطوط المواصلات وأدى إلى تخريب الخطوط الممتدة ما بين تل أبيب والقدس يوم السابع عشر، وما بين حيفا واللد يوم الثامن عشر، وقرب غيڤات شاؤول ومكڤه إسرائيل يوم الحادي والعشرين، وإلى تخريب خطوط الحكومة يوم

الثاني والعشرين. وفي اليوم التالي أدت القنابل إلى قطع أنابيب النفط العائدة إلى شركة النفط العراقية في موقعين قرب إندر في منطقة الجليل، ثم نُسفت الأنابيب ثانية يوم الخامس والعشرين قرب حيفا. وهُوجم مركز الشرطة في سارونا يوم السادس والعشرين، واكتشفت مدافع هاون مجهزة بقذائف حارقة في بيارة برتقال قريبة. لكن في الوقت نفسه كانت ثمة مقاومة تستحق الذكر: ففي الثالث عشر من مايو تمكن أفراد من المستوطنين الأرثوذوكس في مستوطنة كفار هاسيديم قرب حيفا من توقيف شاحنة وجد فيها أربعة مدافع هاون، ومعدات تفجير، وجلغنايت، «وثلاثة وسبعون قنبلة ضد الأفراد» وسلموها للشرطة. واستثارت فرق الاستكشاف التي اكتشفت في منطقة نابلس «التعليقات عند الفلسطينيين» ولكن من دون أحداث أخرى[5].

وعندما ضغط البريطانيون على شاريت للتعاون ضد الإرهاب، «اعترف بأن أغلبية السكان اليهود لم تكن تعارض هذه الأعمال بالضرورة بحيث يمكن التعويل على استعدادها للمساعدة في كبح جماح الإرهابيين». أما العلاقات بين الجماعات الإرهابية الكبرى الثلاث فلم تكن تتمتع بالثبات. وقد ذكر تدي كولِك، الذي عُرف أحيانا باسم «العقرب»، وعمل مخبرا في بعض الأحيان، وصار رئيسا لبلدية القدس فيما بعد، ذكر في ذلك الصيف أن مسألة التعاون غير مطروحة للبحث، وأنه لا منظمة الإرغون ولا منظمة ليهي «كانتا على استعداد للتخلي عن هويتهما» لمصلحة منظمة الهاغانا.

وعلى الرغم من أن منظمتي الإرغون وليهي كانتا حريصتين على هويتيهما المستقلتين، فإن البريطانيين كانت لديهم أسباب وجيهة للشك في إنكار كولك. كانت منظمتا الهاغانا والإرغون تتّفقان على هجوم فتنفّذه الإرغون وتدينه الوكالة، كما ورد في وصف وضعه الدفاع البريطاني: «تريد منظمة الهاغانا أن تنوب جهة ما عنها في تنفيذ كثير من أعمالها القذرة من دون أن تتحمل هي المسؤولية»[6].

في الثاني عشر من يونيو نسف جسر على خط الحديد الحجازي(*). وانفجر مزيد من الرسائل الملغمة، ولكن هجوما بقنابل الهاون يبدو أن المقصود منه تدمير

(*) كان لهذا الخط فرع يصل إلى حيفا. [المترجم].

المطبعة الحكومية في القدس فشل. وفي اليوم التالي اكتشف البريطانيون، بعد أن تلقوا تحذيرا قيل إنه جاءهم من الوكالة اليهودية، بطارية من ثلاث قنابل خلف جمعية الشبان المسيحيين في القدس موجهة نحو بناية الملك داود، وهي المنطقة المخصصة لموكب الاحتفال بعيد ميلاد ملك بريطانيا[7].

وفي الثالث عشر من يوليو نصب عشرة يهود مسلحين قرب پتاح تكفا «كمينا في وضح النهار لشاحنة تحمل 500 پاوند من المتفجرات المخصصة للاستعمال في المحاجر». وقُتِلَ الشرطي وايلد الذي كان يرافق الشاحنة، واختفت المتفجرات، فأثار ذلك الشكوك بأن «رجال الشرطة الإضافيين المؤقتين» كانوا من رجال الإرغون أو كانوا قد ارتشوا منهم». وعندما تتبعت كلاب الأثر التابعة للشرطة قادتهم إلى بيارات مستوطنة غيڤات هاش شيلوشا بالقرب من پتاح تكفا رفض المستوطنون التعاون، وهنا طلبت السلطات البريطانية من رجال الشرطة التوقف عن التفتيش «لأن أي محاولة لتفتيش المستوطنة اليهودية ستؤدي إلى اضطرابات عنيفة»[8].

لكن اثنين من رجال الشرطة صمما على متابعة التفتيش عن قتلة زميلهما، وعن المتفجرات المسروقة، غير أن رؤساءهما منعوهما من ذلك؛ فكتبا بسبب الإحباط الذي شعرا به رسالة مشبوبة العاطفة إلى الحكومة البريطانية؛ سردا فيها النتيجة التي يصعب تفسيرها للتحقيق في الموضوع. قالت الرسالة: «إن الموقعَيْن أدناه كانا يشاركان في التفتيش الذي أوقف، على رغم اكتشاف كثير من الأدلة، من غير سبب مفهوم، وذلك بينما كنا على وشك اكتشاف أدلة أخرى أفضل». كما قدم عدد آخر من الشرطة إخبارا عن وقف هذه الملاحقة للإرهابيين اليهود، وشكا بعضهم بمرارة من هذا التقييد الشديد لحقهم في الدفاع عن أنفسهم. لكن هذين السببين حسما الموقف: خوف البريطانيين من تمرد اليشوف إن جرت ملاحقة الإرهابيين داخل المستوطنات، والخوف من إعطاء الصهاينة ما قد يستغلونه في الدعاية داخل الولايات المتحدة[9].

انضمت القوات التابعة لمنظمة ليهي إلى الإرغون في 23 يوليو لنسف جسر السكة الحديد الواصلة بين حيفا والقاهرة قرب يافني Yavne [يبْنة]. واستمر التعاون بعد يومين عندما نسفت جماعة مشتركة من الإرهابيين جسرا مبنيا على أربع دعامات حجرية على خط قنطرة - اللد قرب يبنة بين غزة واللد. وتمكنت

كلاب الشرطة من تتبع الأثر إلى ثلاث مستعمرات يهودية، ولكن المستوطنين ظلوا صامتين. وفي اليوم التالي اختفت شاحنة حكومية تحمل متفجرات بعد أن سيطر عليها رجال الإرغون[10].

وفي الولايات المتحدة تغلغلت مجموعة بيرْغسن التابعة للإرغون في نسيج الحياة الأمريكية تغلغلا جعل السناتور المتقاعد غاي جيليت يتولى في اليوم الأول من أغسطس رئاسة «العصبة الأمريكية من أجل فلسطين حرة» المتفرعة من تلك الجماعة الإرهابية، وأن يصبح المستشار السياسي لما سُمي «باللجنة العبرية للتحرير القومي». وفي فلسطين هاجمت جماعة كبيرة من اليهود يبلغ عددهم «ما بين 30 و90 فردا من بينهم عدد من النساء» مخزنا للمتفجرات في الثالث عشر من الشهر، وسرقوا 450 باوندا من الجلغنايت والفيوزات وفتائل التفجير. كذلك اغتيل جوزف دافيدسكو الذي كان يعمل مع المخابرات العسكرية يوم الثاني والعشرين[11].

تضاعفت رحلات الاستكشاف مشيا على الأقدام، وأدرك البريطانيون أنها «تنبئ بمزيد من التوسع والاستيطان». وقال تقرير ورد من نابلس إن «المخاوف قد ثارت من تصرفات مجموعات كبيرة من هؤلاء المستكشفين... ومن المعروف لدى العامة أن هذه المجموعات تأتي للتجسس على الأراضي». وبينما كانت نابلس تنقل أخبار هذا التجسس في الشمال، ذكرت دائرة المندوب السامي في غزة مزيدا عن رحلات الاستكشاف هذه في الجنوب واستشهدت بها على أنها تزيد من مشاعر العداء لليهود في منطقة غزة، وهي مشاعر لم تكن شديدة في السابق[12](*).

في الثاني من شهر سبتمبر فشلت محاولة سطو شرعت فيها «مجموعة من اليهود» (من منظمة الإرغون) على بنك فلسطين للخصميات المالية في تل أبيب، فرتب البريطانيون موعدا للقاء تدي كولك بعد أن أقلقتهم إشاعات عن هجمات إرهابية خُطط لها لتجري في منتصف سبتمبر. قال لهم كولك «إن الـ N.M.O(**) [الإرغون] منشغلون في الوقت الحاضر بترتيب أمورهم الداخلية على رغم ما يبدو من هدوء في الوقت الراهن». ومن بين الأعمال التي ينوون تنفيذها زيادة مخزونهم

(*) يشير هذا التقرير الصادر من مكتب المندوب السامي في غزة إلى «تقرير منفصل قُدّم لك عن الموضوع»، لكن المؤلف لم يتمكن من تحديد مكانه.

(**) N.M.O هو اختصار National Military Organization (as explained in the next paragraph)

من المتفجرات التي أخذت تنفد، وهذا ما يفسر سلسلة سرقات المتفجرات التي جرت أخيرا. كما أن منظمتي الإرغون وليهي أخذتا تتعاونان في الوقت الحاضر «وتعملان جاهدتين على تدريب المنتسبين الجدد، لاسيما في مجال الفنون الراقية مثل فن التتبع والمراقبة». كذلك كانت الإرغون مشغولة بإتقان مدفع الهاون الجديد ذي الأربعين كيلوغراما، المعروف بـ «V3» وله مدى أطول وقدرة أدق على إصابة الهدف، وزرع هذا النوع من المدافع في أماكن معدة سلفا لكي تستعمل فيما بعد. ومن المحتمل - بسبب ترتيبات سياسية في لندن - أن تقتصر أعمال الإرغون وليهي على السرقة في الأسابيع المقبلة: «رويدا رويدا» هي أوامر الوكالة اليهودية الصادرة لهم[13].

أكدت وثائق الإرغون التي صُودرت بعد خمسة أشهر في 28 فبراير 1946 في أثناء «كبسة» بريطانية على البيت الرقم 45 في شارع زخرون موشيه في القدس معلومات كولِك إلى حد كبير. فقد ذكرت إحدى الوثائق اتفاقا بين الإرغون وليهي على القيام بهجمات داخل فلسطين «أو خارجها إذا اقتضى الأمر»، وتحيي أول عملية مشتركة بينهما، والمتمثلة في تدمير الجسر الواقع في يِبنة (وربما كان يشير ذلك إلى عملية التخريب التي جرت في 23 يوليو)، وهي «عملية وصفتها وكالات الأنباء والإذاعات العالمية بأنها هجوم على واحد من أهم طرق الإمبريالية البريطانية قامت بها وحدات من المنظمة العسكرية الوطنية [الإرغون] وجماعة شتيرن [ليهي] تحت إمرة قائديهما»[14].

انفجرت كتيبات متفجرة «من حجم أكبر من السابق في أنحاء متفرقة من القدس» يوم الخامس عشر أدت إلى جرح تسعة أشخاص (كلهم من اليهود). وأغلب الظن أن الإرغون هي المسؤولة عنها، وكان العاملون فيها قد قتلوا شرطيا في محاولة سرقة في ذلك اليوم أيضا. وبعد أربعة أيام نسف الإرهابيون جسرا، وألقوا قنابل على سيارة مصفحة ترافق شحنة من المجوهرات. وقتل شرطي رميا بالرصاص في دائرة البريد في تل أبيب يوم الثامن والعشرين من سبتمبر[15].

لكن أشد ما أقلق البريطانيين كان رسالة التقطوها من موشي شَنيه، زعيم منظمة الهاغانا، مرسلة إلى مكتب الوكالة اليهودية في لندن، وهي رسالة تثبت، مجددا، مشاركة الوكالة في الأعمال الإرهابية. فقد تحدثت الرسالة عن نية «إحداث شيء

خطير» يكون مجرد تحذير «من أحداث آتية أخطر» إذا ما تقاعس البريطانيون عن الاستجابة لمطالب الصهاينة. أحداث «تهدد سلامة المصالح البريطانية في البلد»[16].

«الهجرة من الجهات جميعها وبالوسائل كلها»: كانت تلك هي الصرخة التي أجمعت عليها الحشود التي تجمعت في المركز اليهودي في الثامن من أكتوبر، وفيه أخذت فئات عرفت بالاعتدال في السابق تنادي بإنشاء دولة يهودية مباشرة في فلسطين كلها. وهكذا استشاطت الوكالة اليهودية غضبا في اليوم التالي؛ بعدما ندد رئيس الجامعة العبرية يهودا ماغنس «بالنزعة الشمولية المتنامية لدى اليهود». وعبر عن نقده الشديد للضغوط «المتصاعدة في أمريكا للخضوع للشمولية الصهيونية التي تسعى إلى إخضاع الشعب اليهودي كله إلى مذهبها». فما كان من الوكالة إلا أنها لطخت سمعة ماغنس بتلميح إلى النازية وقالت إن كلماته تشبه «مدح الألمان في زمن دَنْكِرك»[17].

في ليلة اليوم الذي ألقى فيه ماغنس كلمته دخل أتباع البالماخ عنوة إلى معسكر عثليث الذي يُحجز فيه المهاجرون إلى أن يحصلوا على الإذن بالدخول. وبعد أن قتلوا شرطيا استولوا على مستودع وربطوا أفواه أحد عشر مهاجرا جديدا وحرروا البقية. وتبين أن إحدى الضحايا، وهي امرأة مسيحية، قد توفيت اختناقا. «ويبدو أن هؤلاء الأشخاص الأحد عشر رفضوا المشاركة في الهرب» وفق ما ورد في تقرير بريطاني، بينما كان الرقم الذي ذكره سنيه، رئيس الهاغانا، ثلاثة عشر، ووصفهم بأنهم «مهاجرون غير شرعيين» (قاصدا فيما يبدو أن العشرة أو الاثني عشر الآخرين كانوا مسيحيين). ثم لُطخت سمعة هؤلاء الضحايا كما حصل مع ماغنس، وذلك بأن اتهمهم سنيه بأنهم «ظلوا على صلة بالنازيين».

كان مصير البحث عن المسؤولين عما حدث شبيها بالحالات الأخرى. فعندما حاول رجال الشرطة إقامة نقطة تفتيش في المنطقة وقعوا في كمين نصبه «يهود مسلحون بالبنادق والرشاشات والقنابل اليدوية، وقتلوا شرطيا على الفور وجرحوا آخر جرحا بالغا. واستطاع فصيل من الشرطة أن يوقف تسعة مشبوهين في التلال القريبة بعد سبع ساعات وهم في طريقهم إلى مستعمرة ميشك ياجور، ولكن بينما كان رجال الشرطة يتحققون من هوياتهم «وصل نحو مائة من اليهود مسلحين بالبلطات» من تلك المستعمرة وأجبروا أفراد الشرطة الذين صدرت لهم أوامر

تمنعهم من استخدام الأسلحة النارية، على إطلاق سراح المشتبه فيهم. وفي الوقت نفسه، تقريبا، هاجم «حشد يتكون من 150 - 200 يهودي يقذفون الحجارة» أفرادا من الشرطة يتعقبون مشبوهين في حي مونتفيوري في تل أبيب (وهي حادثة لا علاقة لها بحادثة عثليث)، ومنعوهم من المضي في التعقب، بينما نُقِلَ مزيد من المستوطنين بالحافلات من الأحياء المجاورة لمنع رجال الشرطة من توقيف ثلاثة من المشتبه فيهم. وقد وَصَفَ شْنيه في رسالة إلى أحد معارفه في لندن أن هجوم عثليث تكلل «بالنجاح الباهر»[18].

كما هاجمت منظمة الإرغون معسكرا للجيش يوم الحادي عشر، واستولت على مئات من البنادق والمدافع والذخائر. «وعند نحو الساعة العاشرة والنصف صباحا من اليوم السادس عشر حاول عدد من اليهود المجهولين اعتراض شاحنة للجيش على الطريق الذي يتقاطع مع السكة الحديد عند سَلَمة»، بعدما علموا، فيما يبدو، أن الشاحنة تحمل 14 ألف باوند إسترليني، هي مجموع رواتب الجنود. أما محاولة الإرغون الثانية شمال المحاولة الأولى فقد راح ضحيتها فتى فلسطيني في الرابعة عشرة كان قريبا من الحادث. وفي الجنوب كان عدد كبير من المستكشفين الجوالة يقومون بعملهم في منطقة بئر السبع (في النقب)، وفي لندن تلقى السكرتير العام لجامعة الدول العربية «إنذارا نهائيا من «المخلص» (أي ليهي في أغلب الظن) يهدد: «الويل لكل العرب» إن شككوا بأي طريقة من الطرق في «عودة الإسرائيليين».

في تلك الفترة جمع المندوب السامي في فلسطين الڤايكاونت غورْت ثلاثة من الزعماء الصهاينة وحذرهم، وطلب منهم رسميا وضع حد للعمليات الإرهابية. ولم يبدُ على الثلاثة أن تحذيره أثر فيهم؛ وقالوا إنهم ينتظرون التعليمات من رؤسائهم في لندن[19].

لجأ غورْت، وهو ممن شاركوا في الحربين العالميتين الأولى والثانية، إلى السيد نيوتن، وهو شخص يتكلم العبرية، وكان في السابق من سكان المستوطنات، وطلب منه أن يعطيه رأيه في المستنقع الفلسطيني. فقال نيوتن «إن مصدر العنف والولاء القومي المتصلب هو النظام التربوي اليهودي»، «وما يُضَخ في آذان الشباب اليهود في فلسطين من تحريض وهستيريا. وقد أنتج هذا النظام التربوي والدعاية السياسية شبانا وشابات مستعدين للقتل لتحقيق مآربهم السياسية»[20].

ولهذا فإن تحقيق السلام في فلسطين يحتاج إلى «إعادة تعليم الشباب اليهودي». أما الفلسطينيون «فإنهم لا يرغبون في العنف، والدعاية الصهيونية التي لا تنقطع هي التي أدت بهم إلى «تجديد اهتمامهم بالسياسة»، مع ازدياد أعداد الشباب الفلسطينيين المهتمين بالأمور الاجتماعية والاقتصادية، والمطلعين على التطورات الحديثة اطلاعا يفوق اطلاع الشخصيات التقليدية التي تنحدر من العائلات العربية العريقة.

لقد كان يهود أوروبا المضطهدون «يُستخدَمون سلاحا سياسيا لكسب السيطرة على فلسطين»، وكان «إعلان أي سياسة لا تحابي الصهيونية المتطرفة» يقابَل بالأعمال الإرهابية. وكان اليهود «المعارضون للتطرف السياسي معرضين للتخويف، ولم يكن لهم أي تأثير سياسي». وذكر تقرير بريطاني مستقل في ذلك الشهر مثلا على ذلك التخويف. فقد قوطع يهودي أمريكي اسمه كليانسكي في ناتانيا، وفُصِل ابناه من وظيفتيهما، وطُرد من الكنيس بصرخات تصفه بأنه «نجس».

كان هذا الاندفاع باتجاه التطرف يشتد مع اقتراب الحرب من نهايتها. فقد لاحظ مدير مكتب المندوب السامي في يافا في أكتوبر «أن اليهود ظلوا إلى وقت قريب ينتقدون لجوء الإرهابيين إلى القوة» بينما كانوا يرفضون التعاون لوضع حد له. أما الآن، «فليس من قبيل المبالغة القول إن جميع سكان المدن من اليهود يتعاطفون مع المخربين»[21].

كانت الوكالة اليهودية هي نفسها التي أدارت الهجمات المكثفة، وهي «سلسلة من الهجمات المنسقة» في ليلة الحادي والثلاثين من أكتوبر والأول من نوفمبر «قام بها يهود مسلحون على خطوط السكك الحديد، توجتها هجمات على محطة القطارات وساحة البضائع في اللد» تمخضت عن مقتل عدد من الناس. وتظهر البرقيات الملتقطة أن الوكالة طلبت تعاون منظمتي الإرغون وليهي. وقطعت خطوط السكة في 242 موقعا، وقصفت زوارق الشرطة. وأعلنت إذاعة الهاغانا أن هذا التخريب الواسع في كل أنحاء القطر «كان تحذيرا لحكومة الكتاب الأبيض».

اكتشف رجال الشرطة في الصباح قنبلة لم تنفجر خلال المذبحة التي ارتكبت في الليل، فزاد أمل الشرطة في إمكانية تتبع الأثر إلى المكان الذي يختبئ الإرهابيون فيه - وهذا ما حدث. فقد قادت الكلاب دورية صغيرة بقيادة السيد غولد إلى مستوطنة رامات هاك كوفش، ولكن بمجرد أن شُوهدوا ارتفع رنين جرس المدرسة

«وخرج جانب كبير من السكان عند البوابة ومنعوهم من التقدم». قال لهم غولد مفسرا إن ما كان يهم رجال الشرطة هو القبض على من يشك في أنه مسؤول عن هجوم الليل، وأن «من الخطأ إيواء شخص إرهابي». لكن المستوطنين راحوا يهددونه بالحجارة بينما كان يتكلم، وجيء بمزيد من الحجارة في صناديق، ثم جاءت «مجموعات كبيرة» من مؤيديهم، خصوصا من مستوطنة كفار سابا «مشيا على الأقدام وبمختلف وسائل النقل الأخرى». فما كان من رجال الشرطة إلا أن غادروا، إذ لم يكن في إمكانهم تحدي المستوطنين.

هذا التخريب الذي جرى للسكك الحديد على نطاق واسع وما رافقه من قتل للمدنيين «لم يستثر حتى التعبير الرسمي عن الاستنكار» لدى الزعماء الصهاينة، بل كانت «النغمة السائدة نغمة الرضا عما أظهرت القوات المسلحة التابعة لليشوف من حسن التنظيم والقوة» - وكانت هذه الإشارة إلى العصابات الإرهابية الثلاث على أنها «القوات المسلحة لليشوف» اعترافا مبكرا بأنها ستندمج معا لتشكل جيش الدولة. وقالت صحيفة «پالستاين پوست»، الصيغة السابقة من صحيفة «جيروزالم پوست»، إلى تلك الهجمات «بوصفها دليلا على أن يهود فلسطين قد أخذوا زمام المبادرة بأيديهم».

أما إذاعة صوت إسرائيل فقد سخرت من العرب «الجَهَلة الذين جلبوا الأذى لأنفسهم بمحاولة الوقوف في طريقنا». كذلك لم تتوقف محاولات نقل أولئك «الجَهَلة». واستولى البريطانيون على وثائق من شركة إيغِدْ للحافلات تضمنت تفاصيل عن القرى الفلسطينية التي كانت تراقَب مراقبة دقيقة، وهي تفاصيل جمعتها من غير شك رحلات المشاة الاستكشافية[22].

وفي الثاني من نوفمبر التقى وزير الخارجية البريطاني إرنست بڤن بكل من ڤايتسمان وشاريت في لندن وطلب منهما توضيح موقفهما من الهجمات. فكان رد فعل ڤايتسمان أنه وجه اللوم للبريطانيين قائلا إن تأجيل رفع الحظر عن نسب الهجرة المسموح بها «شكلت الشرارة التي أشعلت فتيل القنبلة». فرد عليه بڤن بأن «كل تفجير حصل كان قد أُعد له بعناية وأُبقي طي الكتمان لكي تنفجر التفجيرات معا». وقد كشفت وثائق تعود إلى الهاغانا عن مشاعر الوكالة اليهودية نحو تلك «التفجيرات الخمسمائة»: فقد تباهت تلك الوثائق بتفجيرات ليلة الحادي والثلاثين من أكتوبر بأن التفجيرات أوقفت حركة القطارات من الحدود السورية حتى غزة،

ومن حيفا إلى سَمَخ، ومن اللد إلى القدس... وقد أنتجت تلك الأنشطة تأثيرا هائلا في البلد. والسلطات لا تعرف ماذا تفعل»[23].

ظل رد الفعل الفلسطيني على هذا العنف والتوبيخ يتسم «بالاستياء العام ولكن من دون الميل إلى العنف»، كما جاء في تقرير يعود إلى منتصف نوفمبر موجه إلى الوزير البريطاني المفوض في بيروت.

أما يهود الشرق الأوسط فقد ظلوا يتشككون في الصهيونية. إذ جاء في التقرير المذكور أن المواطنين اليهود في بلاد المشرق «ظلوا قلقين من الصهيونية ويبدون الدعم للسكان العرب». ومن أشد الأمور دلالة أن يهود المنطقة «يأسفون لانضمام أمريكا المؤيدة للصهيونية في هيئة التقصي»، أي اللجنة الإنجليزية الأمريكية التي كانت قد أنشئت حديثا للتقدم بحل للقضية الفلسطينية[24].

أخذ السياسيون «المنتمون إلى أمريكا المؤيدة للصهيونية» يطالبون البريطانيين بإدخال مائة ألف يهودي آخر إلى فلسطين فورا - وكانت تلك المطالبة في رأي بفن من باب الشعارات الانتخابية. وشكا بفن من أن «أي بديل يهدف إلى تخفيف المعاناة غير ذلك القائم على السياسة الفلسطينية كان مرفوضا من قبل حكومة الولايات المتحدة واليهود».

لكن أشد اتهامات بفن وقعا كان قوله إن الدافع وراء مساندة الولايات المتحدة للصهيونية هو معاداة السامية. فالخوف من اليهود وهم يحتشدون على شواطئ نيويورك، في رأيه، كان في الحقيقة الدافع وراء جانب كبير من الدعم الأمريكي لإقامة دولة يهودية في فلسطين. وقد استثارت هذه الملاحظة ردود فعل غاضبة جدا؛ كان من بينها اتهام السناتور روبرت واغنر بفن بمعاداة السامية «لترديده أفكارا نازية،[وهي تهمة] لن تغتفر أو تنسى».

لكن بفن لم يفعل أكثر من كشف النقاب عن جانب أساس من طرق الوكالة اليهودية: فقبل يومين كان شاريت، رئيس وزراء إسرائيل في وقت لاحق، قد أكد للهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية أن في إمكانها الاعتماد على الأمريكيين لمؤازرة قيام دولة صهيونية بسبب «خوف الأمريكيين» من اليهود «وهم يفتحون أبواب نيويورك». «فالمواطن العادي» - وفق تعبير السفارة البريطانية في واشنطن - «لا يريدهم في الولايات المتحدة، ويهدئ ضميره بتأييد دخولهم إلى فلسطين»[25].

كان المطلوب من جميع الشباب اليهود (17 - 18 عاما)، ذكورا وإناثا بلا استثناء، أن يؤدوا «الخدمة الوطنية» للهاغانا – وهو ما كانت الوكالة قد أعلنته إلزاما في إعلان نُشر في جريدة پالستاين پوست في 6 نوفمبر. وبعد ثمانية أيام أو تسعة هوجمت دوائر المنطقة في تل أبيب للمرة الثالثة في خمس سنوات، فانهار طابقان في أحد المباني وأُتلف الكثير مما يحويانه من وثائق. وتبين أن منع التجوال الذي فرض بعد الهجوم لا يمكن تطبيقه: فقد قُلبت سيارات، وأحرقت شاحنة عسكرية والتهمتها النيران، وقطع جزء من السكة الحديد، وقذفت الحافلات العربية بالحجارة، ودمر عدد من البنايات وتعرضت للنهب. ودمر جانب من المبنى الداخلي من دائرة البريد، ولكن محاولة الحشد المهاجم لحرقها لم تنجح. وعندما حاول رجال الشرطة رد الحشد المكون من نحو 5 آلاف شخص بواسطة الهراوات تقدم المحتشدون نحوهم فاضطروا إلى التراجع. وعندما حاولت جماعات من شرطة الطوارئ الوصول إلى بناية الدوائر التي تشتعل فيها النيران جُوبهت بالحجارة بينما كان زعيم الهاغانا شْنيه يسخر من الفلسطينيين. كذلك هُوجم معسكر الجيش في راس العين يوم الثاني والعشرين[26].

في ليلة 24 - 25 من نوفمبر «هاجم يهود بأسلحتهم الأوتوماتيكية وبنادقهم وقنابلهم اليدوية» مركز حرس الشاطئ في سيدنا علي. انفجرت ثلاث أو أربع قنابل فأحدثت أضرارا كبيرة بالمبنى. وهو ما حدث أيضا لمركز حرس الشاطئ في غفعات أولغا، إذ أحاط به يهود «وهاجموه بأسلحتهم الأوتوماتيكية وبنادقهم وقنابلهم اليدوية»، ثم «نجحوا في وضع عبوات ناسفة من الجلغنايت على البناية فانفجرت ودمرتها». وهنا أيضا مَنَعَ المستوطنون رجال الشرطة من إجراء التحقيق – ولكن رجال الشرطة صمموا على المتابعة، «فتجمعت حشود كبيرة من اليهود... من المناطق المحيطة» بواسطة الباصات لمنعهم. لكن السلطات لم تستسلم، وأخذت تتقدم باتجاه مستوطنة رشپون باستعمال القنابل المسيلة للدموع والمسدسات والهراوات، وهناك اكتشفوا رجلا ربما كان أحد المهاجمين، يعاني جرحا بالغا سببته قنبلة يدوية، وبجانبه 175 پاوندا من الأمونال(*)، وعشرون إصبعا من الجلغنايت، وقنابل يدوية، وبزات عسكرية، وألبسة مبللة بماء البحر.

(*) مادة متفجرة تصنع بخلط الـTNT بنترات الأمونيوم ومسحوق الألومنيوم. [المترجم].

هنا حدث ما ظل البريطانيون يخشونه منذ مدة طويلة، إذ حولت الوكالة اليهودية القبض على الإرهابيين إلى مهزلة علاقات عامة. فأعلنت أن «القوات البريطانية دخلت هي ورجال الشرطة إلى ثلاث مستوطنات زراعية مسالمة يعمل فيها مزارعون وأوسعوا مئات من الرجال والنساء ضربا... بلا سبب... وأجبروا يهود فلسطين على الخنوع». وظهرت مقالات في بعض وسائل الإعلام الأمريكية يدعي كاتبوها بلغة الميلودراما الخلاصية أن البريطانيين ارتكبوا فظائع بحق «أبناء إسرائيل» (بتعبير إحداها)[27].

هنا حاولت الوكالة اليهودية بما لا بد أنه بدا للبريطانيين مفارقة من نوع فائق، أن تجبر بريطانيا على الخضوع لمطالبها، وذلك بوضعها في موضع الرهينة مقابل الدين الباهظ الذي تحملته في محاربتها للنازيين - وهو دين لم يكن في الوسع سداده إلا بقرض من الولايات المتحدة، قرض يمكن للضغط الصهيوني أن يمنعه. وقد كشف مخبر يعرّف بالاسم السري سيركس كان حاضرا في اجتماع عقدته الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية في منتصف ديسمبر شدد فيه بن غوريون على «أن أنشطتنا يجب أن تدار من واشنطن وليس من لندن». كانت الولايات المتحدة هي مفتاح خططهم، «والتأثير اليهودي في أمريكا قوي وقادر على إحداث الأذى لمصالح بريطانيا العظمى» مع تكرار التهديد فيما يخص قرض ما بعد الحرب.

ظلت فكرة العداء للسامية تشكل جانبا مهما من الاستراتيجية. فقد قال بن غوريون للهيئة التنفيذية: «إن كانوا لا يرغبون في تدفق المهاجرين اليهود من أوروبا إلى الولايات المتحدة فمن الحكمة أن يساندوا حق اليهود بفلسطين». ولم يَفتْ المراقبين حرص الصهيونية على المحافظة على العداء الدائم للسامية، كما في النقد الساخر الذي وجهه رسام الكاريكاتير ديفد لو في كثير من رسومه، للفاشية بأشكالها المتنوعة التي اتخذتها[28].

استمرت معارضة إعادة البناء في أوروبا خوفا من «تحسن الظروف في أوروبا تحسنا يغري اليهود بالعودة للإقامة هناك» بدلا من الهجرة إلى فلسطين. وذكر سيركس أن الوكالة «قررت زيادة الحملات الدعائية بين اليهود في المخيمات، وفي غيرها من البلاد الأوروبية» لمواجهة «التهديد» بتحسن أوضاع أوروبا. فأُرسل

مبعوثون من القدس ولندن ونيويورك بهدف إقناع «85 في المائة من يهود أوروبا [وهذا رقم يفوق أعداد المهجرين] للهجرة» إلى فلسطين.

ومما يدعم هذه المعلومات الشهادة التي أدلى بها نيوتن، من سكان إحدى المستوطنات، وقال فيها إن الزعماء الصهاينة

> يستغلون وضع اليهود في أوروبا... معتمدين على المشاعر الإنسانية لدى إنجلترا وأمريكا لتحقيق خططهم. لم يكونوا حريصين على إعادة تأهيل اليهود في أوروبا، بل كانوا يخشون من أن يؤدي تحسن الظروف في أوروبا إلى تخفيف الضغط على فلسطين.

وأكد سيركس أن جوهر الاستراتيجية الصهيونية يتمثل في ضرورة وضع حد «لأي تمييز بين مشكلة اليهودي والصهيونية السياسية» - ولذلك فإن ما نتج عن كلمة ألقاها بفن في 13 نوفمبر، وميز فيها بين اليهود والصهاينة كان سريعا قاسيا. تمثل في حملة عالمية لتلطيخ سمعته، وفي جعله هدفا للاغتيال[29].

وبينما كان البريطانيون يحتفلون بعيد الميلاد في 25 ديسمبر هاجمت منظمة الإرغون معسكر الجيش في بيت نبالا. لم يحقق هذا الهجوم هدفه، وهو «الاستيلاء على أسلحة»، ولكن الفشل لم يدم سوى يومين. وتبين أن يوم 27 ديسمبر لم يكن سوى مقدمة لما كان سيحدث في العام 1946، وهو العام الذي فَقَدَ البريطانيون سيطرتهم فيه على فلسطين لمصلحة المليشيات الصهيونية.

بدأ «هجوم إرهابي يهودي خطير» في الساعة السابعة والربع مساء عندما شنت مجموعة «من اليهود المسلحين هجوما وحشيا» على قيادة الشرطة في القدس «ستنظر إليه شعوب العالم المتحضر كلها بفزع». فبعد أن قتل «يهود مسلحون بأسلحة أوتوماتيكية ومتفجرات شرطيين ونسفوا باب البناية المقابلة لقيادة الشرطة للتمكن من الدخول إلى شرفتها «وضع يهود آخرون متفجرات عند زاوية مكاتب الشرطة» تحت غطاء النار المشتعلة في الشرفة وما تحتها وفجروها، فدفنوا بذلك عشرة أشخاص تحت الركام، كان خمسة منهم لايزالون أحياء عندما أخرجوا من تحته.

كان الشرطي المدعو فْلانَغن ذاهبا إلى المستشفى استجابة لطلب للتبرع بالدم عندما علم بالهجوم فانطلق باتجاهه للمساعدة فقتلته المليشيا، وهو ما حدث أيضا للشرطي هايْد عندما مر من أمام سينما صهيون، ولشرطي آخر اسمه نِكِلْسن[30].

وبعد دقيقتين من بدء هجوم القدس كانت قيادة الشرطة في يافا تتعرض «لهجوم شديد يقوم به يهود مسلحون في طريق يافا/ تل أبيب» - وكان هذان الهجومان أول هجومين متزامنين على مركزين للشرطة وثكنتين عسكريتين قصد منهما منع وصول التعزيزات إلى منطقة الهجوم. وقُتل عامل فلسطيني على خطوط الهاتف في الهجوم الذي دمر الطابق الأرضي والأول وبدالة الهاتف. وبعد ثلاث دقائق من هجوم يافا «قطع اليهود الأسلاك الشائكة لسياج تابع لمستودع وحدة المهندسين الكهربائيين والميكانيكيين الملكية في معرض الشرق في تل أبيب، وقتلوا بدم بارد جنديا بريطانيا أعزل اسمه الملازم ر. سِمنْز. ثم ألقى اليهود قنبلة يدوية عبر نافذة غرفة كان ينام فيها عدد من الرجال». قُتل عشرة أشخاص في مذبحة ذلك اليوم وجرح أحد عشر. وجاء في بيان أصدرته منظمة الإرغون أن «الهجمات نفذت بحماس وبطولة تحلى بهما جميع المقاتلين وفقا لخطة موضوعة سلفا»[31].

وعندما لجأ البريطانيون مرة أخرى إلى الوكالة اليهودية للمساعدة في وقف الإرهاب «تنصل كل من بن غوريون وشاريت من مسؤولية الهجمات الإجرامية»، ولكنهما كررا رأيهما القائل إن الإرهاب لن يتوقف مادامت بريطانيا تقف في سبيل الطموحات الصهيونية القومية. وذهب شاريت إلى حد القول علنا أمام المراسلين إن «أي طلب من اليهود للخضوع للقانون سيلقى آذانا صماء» ما لم يُستجَب للمطالب الصهيونية.

وافق البريطانيون على السماح بدخول 1500 يهودي آخر شهريا (كانت الكوتا التي سمح بها الكتاب الأبيض قد نفدت في ديسمبر) على أمل أن يكون ذلك بمنزلة غصن الزيتون لتشجيع التعاون. ولكن هذه المبادرة التي اتخذت في مخالفة واضحة للكتاب الأبيض بهدف استرضاء الوكالة اليهودية لم يكن لها تأثير. فقد استمرت «الأحداث الثانوية»؛ كالهجوم العشوائي الذي حدث في عيد رأس السنة ضد بريطانيين أسفر عن إصابة أحدهما بارتجاج في المخ وفقدان للذاكرة.

استثار الخبر الذي صدر في نهاية العام وأُعلِن فيه منح الاستقلال لشرق الأردن رد فعل مزدوجا: ففي العلن دان الزعماء الصهاينة، من أمثال شاريت، الاستقلال الأردني بدعوى أنهم وعدوا بالأرض على أنها جزء من «الدولة اليهودية»؛ أما في السر فقد قدر المخططون الصهاينة أن ذلك الاستقلال قد يكون ضربة حظ لهم لأن

«التسرب إلى دولة عربية ضعيفة مستقلة (كما وصفتها المصادر البريطانية) أسهل من أخذ شرق الأردن من قبضة البريطانيين. وراحت الوكالة اليهودية – استباقا للمطالب المستقبلية بالأردن – تشير إلى فلسطين بعبارة «فلسطين الغربية»، وأوضح قائد الهاغانا شْنيه في مقابلة مع جريدة نيويورك پوست أنه يتحدث عن «ضفتي النهر». وتلقت الإشاعات التي انتشرت عند نهاية العام عن تقسيم «فلسطين الغربية» (أي فلسطين) ردود فعل مختلفة: ففي العلن أُدينت تلك الإشاعات، أما المؤمنون بالخطوات العملية فقالوا إنهم «يرحبون بالتقسيم» لأن التقسيم يعني إقامة الدولة، ولأن الدولة تعني «التسرب والتوسع»[32].

أما المليشيات فكان من رأيها أن كل ذلك لم يكن يجري بالسرعة المطلوبة. فقد حذر رئيس الهاغانا شْنيه شاريت أنهم «يتحرقون إلى العمل» وأن تساهل الوكالة أدى إلى انتقال 250 من أعضاء الپالماخ إلى الإرغون. ووفقا لما نقله سيركس فإن بن غوريون أعاد التشديد على وحدة الهدف، وأكد للهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية أنه «لن يوافق على تعاون الوكالة مع الحكومة والشرطة لوقف أنشطة الإرغون»[33].

وتظهر وثائق ضبطت في شقة شْنيه أن الوكالة فعلت أكثر من التعاون مع الإرغون: فهي في الواقع ساعدت على تمويل العصابة. ومن المحتمل أن كاتب الملاحظة الآتية الموجهة إلى شْنيه هو إلعازر كاپلان أمين صندوق الوكالة:

ولكن إذا حررونا من تكاليف الهجرة غير الشرعية فإن ذلك سيمكننا من زيادة المخصصات لمنظمة الإرغون[34].

وتؤكد وثيقة أخرى تتكون من خطة عمل من أربع صفحات أُلحقت برسالة إلى بن غوريون ونُقلت منها نسخة إلى شْنيه أن «الحل الأخير» في فلسطين سيقرره «ميزان القوى على الأرض، وليس التقسيم. وتعيد الوثيقة التعبير عن الفكرة بلغة أصرح: «السيطرة على البلد بقوة السلاح». وسيكون التجنيد لجيش اليشوڤ «مدعوما عند الضرورة بالقوة الجسدية، وستكون سيطرة الوكالة على اليهود مطلقة، مع هيئة عليا «يمكنها أن تفرض على كل يهودي أو جماعة أو تجارة أي واجب تفرضه أو أمر تمنعه تراه ضروريا». وستمتد سلطتها على اليهود «إلى ما وراء الحدود القانونية»[35].



تفجير للسكة الحديد بتاريخ 1946. يقول التعريف بالصورة: «عربة قطار مدمرة»

5

السباق نحو التعصب، 1946

«نعيش هنا كما عاش المورانوس(*) في إسبانيا».

أحد الناجين اليهود، 1945، يصف حياة اليهود غير الصهاينة في مخيمات المهجَّرين التي يسيطر عليها الصهاينة[1].

«قوى تتخطى الحدود القانونية»: كانت تلك هي صفة الأحداث التي جرت في العام 1946، وهو العام الذي استغل فيه الزعماء الصهاينة والمنظمات الإرهابية الفرصة التي طال انتظارها، ولاحت بعد انتهاء الحرب العالمية. فبينما كان العالم يلعق الجراح التي أثخنته من

«امتدحت الهاغانا الهجمات الأخيرة متباهية عبر إذاعة «كول إسرائيل» بأن الحكومة لم تعد تسيطر على أي جزء من فلسطين: كان المحاربون قد نشروا الفوضى حتى في الأجزاء العربية الخالصة من البلاد»

(*) تشير كلمة المورانوس إلى اليهود الذين أجبروا على التحول إلى المسيحية في إسبانيا في أواخر القرن الخامس عشر ومارسوا معتقداتهم الدينية سرا. [المؤلف].

جراء الكارثة العالمية كانت ثمة فرصة لن تتاح ثانية، قد فتحت المجال للصهيونية لتصعيد حملات الإرهاب في فلسطين، ولوقوع أول التفجيرات الصهيونية في أوروبا، وبجهود جديدة للحفاظ على «نقاء الصفاء العرقي»، وبمساعٍ حثيثة لاستقطاب أعضاء جدد للمليشيات، وبضبط أشد لتصرفات اليشوف وأفكارهم، وطرق جديدة من العنف ضد من نجا من الحرب من اليهود.

شكل الناجون اليهود من الحرب تهديدا للصهيونية إذا ما رغبوا في الهجرة إلى أي مكان آخر غير فلسطين أو في البقاء في بلادهم - وهو أمر يجب ألا تسمح به الوكالة اليهودية «تحت أي ظرف كان» وفق ما قال شاريت في محاضرة له أمامها. وقد ورد في ملخص استخباري يعود إلى شهر أبريل 1945 اقتباس عن إلياهو دوبكن، رئيس قسم الهجرة في الوكالة اليهودية آنذاك، يقول فيه إن أساليب إرهابية سوف تُستخدم لإجبار يهود أوروبا على الذهاب إلى فلسطين بعد الحرب، ولمنع اليهود في فلسطين من مغادرتها. وقال بن غوريون واصفا «خطر» إحجام الناجين من اليهود عن الذهاب إلى فلسطين: «يجب ألا نستهين بهذا الخطر»[2].

لكن هذا ما حدث - إذ تقول أفضل التقديرات المتاحة إن نسبة اليهود الذين لا يمانعون في الذهاب إلى فلسطين بعد انتهاء الحرب لا تتجاوز الخمس عشرة في المائة على رغم الجهود التي بذلتها الدعاية الصهيونية على مدى سنوات طويلة. ولذلك شنت حملة ثلاثية الأبعاد لمعالجة هذه «المشكلة»: العزل القسري للناجين وإجبارهم، وتخريب أي ملاجئ آمنة تتاح لهم على المستوى الدولي، واختطاف الأيتام اليهود[3].

تطلب التأثير في الناجين اليهود أول ما تطلب عزلهم عن بقية المهجَّرين. وقد وافقت إدارة ترومان على مطالب الصهاينة على أن يتم ذلك على رغم خشية الكثيرين من تشابه هذه الأساليب مع أسلوب النازيين. فلم يكن حتى تشرشل، الداعم المتحمس للصهيونية، مرتاحا لهذا العزل القسري، فكتب لترومان أن هيئة السيطرة «حاولت تحاشي التعامل مع الناس على أساس عرقي»، ولاحظ أن «أناسا من جميع الأعراق في أوروبا» نُقلوا إلى معسكرات الاعتقال «ولا يبدو أن ثمة فرقا يذكر في شدة ما تعرضوا له من تعذيب». أما وقد عزل هؤلاء الناس على أساس أنهم يهود فإن العاملين في «الإغاثة» من الوكالة اليهودية كان بإمكانهم شحن أذهانهم بالأفكار الصهيونية، أو إجبارهم على الخضوع لأهداف الصهيونية.

كانت منظمة الإرغون نشطة أيضا في المخيمات - وقد أوردت الـ«MI5» «أدلة كثيرة على وجود خلايا للمتطرفين ولمنظمة الإرغون في مخيمات المهجَّرين في القطاعين البريطاني والأمريكي» في أوروبا. وقد أصبح تأثير الجماعات الإرهابية باديا للعيان بعد التفجيرات التي ارتكبها مهجرون يهود ضد القطارات والفنادق الأوروبية في العام 1947[4].

لم يقتنع كثير من اليهود المهجرين بتعاليم الصهاينة، ولذلك فإنهم قُوطعوا ونُبذوا، وخُفّضت مقادير مؤونتهم، وتعرضوا في بعض الأحيان للأذى. وعندما أخذت مهجَّرة يهودية في معسكر بيرغن بلزن [في ألمانيا] تردد الفكرة القائلة بوجوب فتح البلاد كلها وليس فلسطين وحدها هوجمت جسمانيا «وتعرضت للجر أسفل الدرج». أما الرجال الذين رفضوا الالتحاق بالمليشيات فقد تعرضوا للضرب أحيانا. وجرى تدريب المهجرين لتنظيم هجرات جماعية إلى فلسطين - وهي عملية أُعطيت صفة الاستعجال في أواخر العام 1945 - وعلى الإصرار على القول للجنة التقصي الإنجليزية - الأمريكية: إلى فلسطين فقط[5].

ولذلك فإن اللجنة قُوبلت، عندما زارت مخيمات المهجَّرين اليهود في أوائل العام 1946، بأعلام صهيونية وإعلانات تقول: جوابنا للجنة الإنجليزية - الأمريكية هو: فلسطين أو الموت. وقالت اللجنة «إنها جُوبهت حيثما ذهبت باليهود يصرخون أو يغنون: إلى فلسطين، إلى فلسطين»، ويهددون «بموجات من الانتحار» إن حُرموا من ذلك. وكان ما توصلت إليه اللجنة لا يكاد يصدق: ففي تحول تام أصرت نسبة تتراوح بين 90 و100 في المائة من المهجَّرين على أنهم يجب أن يذهبوا إلى فلسطين. وعندما سُئلوا عن بدائل لفلسطين يمكن أن يفكروا فيها كرروا معا أن بديلهم الوحيد هو الانتحار الجماعي. وعندما ذُكر خيار الذهاب إلى الولايات المتحدة، وهي الوجهة المفضلة تاريخيا، رفضوا بحجة أنهم لن يكونوا آمنين فيها. وادعت اللجنة في العلن أنها لم تعرف كيف توصل اليهود في المخيم إلى تلك الفكرة»[6].

لكن لئن ذُهلت اللجنة من تعصب المهجرين فإن أعضاءها الأمريكيين حصلوا على ما كانوا يودون سماعه. فعندما اقترحت بريطانيا على الولايات المتحدة تشكيل لجنة كهذه لإيجاد حلول للأزمة

وافقت الولايات المتحدة من حيث المبدأ على تشكيل لجنة مشتركة، ولكنها رغبت في تحويل التركيز في المصطلحات المستخدمة من المشكلة العامة

المتعلقة باليهود المهجّرين إلى المشكلة الخاصة بدخولهم إلى فلسطين، وحاولت في واقع الأمر أن تزيل كل إشارة إلى البلاد التي يمكن أن يستوطنوا فيها غير فلسطين[7].

وفي أواخر العام 1946 ذكرت «MI5» «يبدو أن التدريب شبه العسكري في المخيمات اليهودية يجري يوميا»، وأن معسكر المهجرين في بيرغن بلزن، وهو معسكر «يتكون من نحو 11 ألف يهودي» أصبح «دولة شبه مستقلة» تحدت سلطة الحلفاء. وقد فر بعض هؤلاء الناجين من المخيمات وعادوا إلى السكنى في أوروبا، وهو ما ضاعف من مخاوف الوكالة اليهودية من أن السلام يسبب الأذى للمشروع الصهيوني[8].

وقد شكل الأيتام من ذوي الخلفية اليهودية الذين تبنتهم عائلات أوروبية خرقا آخر في القصة الصهيونية. فقد كان الحل بالنسبة إلى هؤلاء الأطفال من وجهة نظر إسحاق هاليفي هيرتسوغ، كبير الحاخامات اليهود في فلسطين منذ العام 1937، هو اختطافهم. وقد أبعد آلاف الأطفال اليهود بالقوة من البيوت التي تبنتهم وأنقذتهم بعد وفاة آبائهم قبل سنوات، ونُفّذ الاختطاف أحيانا بمساعدة جنود اللواء اليهودي المسلحين[9].

امتدح الحاخام هيرتسوغ «إنقاذ» الأطفال، وسافر في العام 1946 إلى أوروبا على مدى ستة أشهر لتقصي أماكنهم. كان العدد الذي وضعه نصب عينيه عشرة آلاف طفل في رحلة الاختطاف هذه، ولكنه عندما وصل إلى أوروبا وجد مقاومة عنيفة من قبل المنظمات اليهودية المحلية. فجمعية معونة الأطفال مثلا كانت تشمل 600 طفل يعيشون في بيوت مسيحية، ولكن تلك الجمعية لم تشأ أن تجعل منهم أيتاما مرة ثانية. لكن هيرتسوغ صب جام غضبه عليها لأنها «لم تفعل شيئا لأخذ الأطفال»، واستخدم سلطته للوقوف ضدها وتمكن من انتزاع 250 من الأطفال من بيوتهم[10].

بعد ذلك واجه هيرتسوغ مقاومة فرنسية، «فالتقى برئيس وزراء فرنسا وطلب منه إصدار قانون يجبر كل عائلة فرنسية على التصريح بالمعلومات الدقيقة عن كل طفل عندها» بغرض الكشف بالقوة عن الأطفال اليهود وأخذهم منها - وهي حركة كافكاوية لفكرة «الفصح» فيما يخص هؤلاء الأطفال الذين نجوا من النازيين.

لكن «كان عليه الاكتفاء بألف إلى ألف وخمسمائة طفل» لأخذهم من بيوتهم ووضعهم في مدرسة تلمودية إلى «أن يحين وقت نقلهم إلى فلسطين»[11].

كذلك شكلت سويسرا صعوبة واجهت الحاخام هيرتسوغ؛ بسبب التأثير الذي يمارسه من دعاهم «بالاندماجيين» اليهود، لاسيما السيد بلوخ، زعيم الجالية اليهودية. لكن هيرتسوغ انتصر عليه واضطر بلوخ إلى الاستقالة. واتصل هيرتسوغ بالدوائر الحكومية لاسترجاع 600 طفل من البيوت التي تبنتهم. لكنه أعرب عن خشيته من أن «اليهود السويسريين لا يعتمد عليهم» لتنفيذ الاختطاف، ولذلك اقترح «تشكيل لجنة من اليشوف (أي من فلسطين) للتأكد من تسليم الأطفال[12].

وفي بلجيكا واجه الحاخام هيرتسوغ، مجددا، عقبة تمثلت في «لجنة... أغلبية أعضائها من الاندماجيين». كانت اللجنة على علم بأربعمائة عائلة تبنت أيتاما من اليهود، ولكنها لم تكن مهتمة بمطالبته بـ«إنقاذهم»، ولذلك لجأ هيرتسوغ إلى رئيس الوزراء، وإلى ولي العهد، وإلى الكاردينال الكاثوليكي، وإلى وزير العدل، وحصل على الدعم القانوني لإجبارهم على إعطائه قائمة تشمل الأطفال. وعندما رفضت اللجنة اليهودية الإفصاح عن المعلومات مارس هيرتسوغ ضغطا شديدا عليها فاضطرت إلى تسليمه قائمة بأسمائهم، ولكنها لم تزوده بعناوينهم. فلجأ إلى السلطات لتعطيه الصلاحية القانونية الكاملة لإجبار اللجنة اليهودية على الإفصاح عن العناوين ليتمكن من تسلم الأطفال وتسفيرهم إلى فلسطين[13].

وفي هولندا سبب الوضع شعورا أشد بالإحباط لأن الهولنديين «عاملوا اليهود معاملة حسنة جدا في أثناء الحرب». فقال الهولنديون له إن انتزاع الأطفال من بيوتهم سيكون مصدر قلق عظيم بسبب تشكل علاقات عاطفية قوية بينهم وبين العائلات التي تبنتهم. وعلى رغم ذلك فإن هيرتسوغ لجأ إلى الحكومة «لسن التشريعات القانونية اللازمة» لانتزاع الأطفال من عائلاتهم.

وفي بولندا واجه هيرتسوغ مزيدا من الشيء نفسه. فغادرها محبطا لأنه لم يتمكن من «إنقاذ» أكثر من نصف الأيتام اليهود الذين اعتقد أن عددهم يبلغ 4 آلاف. وكان الوضع في بريطانيا العظمى أسوأ. فقد فشل الحاخام في كسب دعم يهودها لمساعيه «لأن الاندماجيين هناك لا يبدون قدرا كافيا من الفهم». واستنتج أن اليهود «يجب ألا يتعرضوا لأساليب اليهود غير الصهاينة»[14].

كان هؤلاء الاندماجيون في نظر هيرتسوغ يقضون على الأطفال بمواجهة مصير أسوأ من الموت. فقد قال، في محاولة منه لتسويغ الاختطاف، إن اليهودي الذي تجري تنشئته على أنه مسيحي يواجه مصيرا «أسوأ من القتل الجسماني». لكن حتى هذا التطرف الذي أبداه هيرتسوغ لا يفسر ما كان يحدث فعلا. فبينما كان هيرتسوغ يحاول «إنقاذ» الأيتام اليهود من عائلاتهم غير اليهودية، كان الصهاينة يخربون البيوت اليهودية التي تبنت ناجين يهودا، والسبب الوحيد لذلك هو أن تلك البيوت لم تكن موجودة في فلسطين.

وفي أغسطس 1945 طالب النشطاء اليهود في بريطانيا حكومتهم بالسماح لألف من الأطفال الذين نجوا من الحرب ولم يكونوا قد وجدوا بيوتا تؤويهم بعد بالهجرة إلى إنجلترا. وكان من بين المنظمين أولئك الذين أشرفوا على عملية «نقل الأطفال» في العام 1939 والتي أنقذت حياة الكثير من الأطفال اليهود. فوافقت بريطانيا ونقل أول ثلاثمائة طفل إلى إنجلترا، حيث استقبلهم أعضاء من الحركات الشبابية اليهودية، ومعلمون، وعاملون مدربون في مجال التمريض وفي الأمور المتعلقة باللاجئين. ثم ألحق هؤلاء الأطفال بالعائلات التي تبنتهم وتلقوا اهتماما فائقا من الجالية اليهودية المحلية، وتلقوا زيارات متكررة من الزعماء المحليين والحاخامين[15].

ولكن الزعماء الصهاينة أوقفوا العملية بالقوة عندما وصلت كلمة «النقل» إلى مسامعهم، وبقي السبعمائة الآخرون في دور الأيتام لكي يُعرضوا لكسب عطف العالم من أجل فتح أبواب فلسطين لإرسالهم إلى هناك، لتثبيت حقائق على الأرض. فقد سمح بن غوريون باستعمال القوة لوقف النقل إلى بيوت يهودية في بريطانيا، حتى حينما تحدث الأطباء عن الوضع المزري في المخيمات، وعن شح الطعام، والحرارة، ونقص العناية الطبية. إذ لم تكن القوة الدافعة الحقيقية لذلك إنقاذ الأطفال اليهود من بيوت مسيحية تكون الحياة فيها «أسوأ من القتل الجسماني» وفق تعبير الحاخام هيرتسوغ، بل هو تجميع مادة إنسانية صافية عرقيا لشعب من المستوطنين. وقد تعرض برنامج إنقاذ مشابه في فرنسا لعرقلة مماثلة[16].

كان بعض الأطفال قد بلغوا منتصف العقد الثاني من العمر، ويفهون ما حدث فهما تاما. وقد كتب هؤلاء رسائل للزعماء الصهاينة الذين سيطروا على حياتهم.

وبينوا أنهم فقدوا أي أمل بأن أهاليهم أحياء، وأنهم حصلوا على فرصة لحياة جديدة في إنجلترا وللدراسة في لندن، وطلبوا ألا يُحرموا من هذه الحياة الجديدة - ولكن بلا فائدة. فقد مُنع الأطفال، في خطوة إضافية لتأمين وضعهم، من البحث عن أقارب لهم نجوا من الحرب خوفا من أن يعيدوا تمتين روابطهم بأوروبا[17].

كذلك خرّب الزعماء الصهاينة في الولايات المتحدة ما كان من الممكن أن يكون أكبر برنامج لإعادة التوطين في مرحلة ما بعد الحرب. فعندما عرض الرئيس روزفلت خطته «للهجرة السهلة لنصف مليون من الأفراد الذين تعرضوا للأذى في أوروبا» على صديقه مورس إرنست، الذي شارك في إنشاء اتحاد الحريات المدنية الأمريكي، قال إن الولايات المتحدة ستفعل ما تفعله بريطانيا إن فتحت هذه أبوابها. فذهب إرنست إلى لندن، نيابة عن روزفلت، في شهر فبراير من العام 1944، وذلك عندما بدأ الهجوم الكاسح الثاني. قَبِلَ البريطانيون اقتراح روزفلت ووافقوا على قبول 150 ألفا إذا قبلت الولايات المتحدة العدد نفسه. فتحمس روزفلت وقال: «150 ألفا إلى إنجلترا و150 ألفا إلى الولايات المتحدة - وابحث عن مكان آخر يستوعب 200 ألف أو 300 ألف [في دول أميركا اللاتينية وأستراليا]، وسنتمكن حينئذ من البدء في توطين نصف مليون من هؤلاء المساكين»[18].

لكن لم يطل العمر بمشروع الإنقاذ هذا أكثر من أسبوع واحد. فقد قال روزفلت لإرنست بعد أن أطلق عبارة ساخرة عن ستيفن وايز: «القيادة الصهيونية المهيمنة في أمريكا ترفضه رفضا باتا». وهنا بدأ إرنست الذي أذهله هذا الكلام بمحاولة إقناع أصدقائه الصهاينة لقبول فكرة الهجرة المفتوحة، ولكنه «كثيرا ما جوبه بتهمة محاباته للحركة الفلسطينية» والخيانة[19].

استمر هذا العنف «السلبي» ضد الناجين اليهود على رغم فضحه في وسائل إعلام لها من التأثير ما لصحيفة «نيويورك تايمز». فقد شكا ناشرها سولزبيرغر علنا ونشر أقواله في الصحيفة قائلا:

> لقد تحول اليهود المساكين الذين يعيشون في مخيمات المهجرين في أوروبا إلى رهائن لا يفديهم إلا إنشاء دولة إسرائيل... لماذا يعلق مصيرهم - بحق الله - بنداء واحد لإنشاء الدولة مادام الجميع يعترف بأن يهود أوروبا قد عانوا معاناة تفوق الوصف؟[20].

وعندما حدث انفجار في عيد رأس السنة الجديدة، في العام 1946، وأتى رجال الشرطة إلى 84 شارع دزنغوف في تل أبيب، تبين أن الانفجار حدث بالمصادفة بين متفجرات منظمة ليهي، وسبب الكشف عن مخبأ في سرداب البناية. وهناك وجد البريطانيون مخزنا يضم مسدسات وقنابل يدوية ومتفجرات، «وكميات كبيرة جدا من الكيماويات ومعدات المختبرات، وبزات لرجال الجيش والشرطة والطيران».

لكن كانت الوثائق التي وجدت هناك أشد إثارة للاهتمام. فقد ذكر بعضها أهدافا قريبة التاريخ. كان من بين الوثائق خطة مبنى محكمة القدس وصور لها، ولمحطة القطار، وللمطبعة الحكومية. وكشفت وثائق أخرى عن أن ليهي شكلت حلقات وصل (أو مخبرين مرغمين) مع جهاز الشرطة، والمسؤولين الحكوميين، والحراس، وأنهم كانوا يبحثون عن عملاء بين الجنود، والبحارة، والفنيين، والمشتغلين في الإذاعة وخطوط التلفونات، وبين أصحاب المصانع. وتابع أعمال ليهي خارج فلسطين يهود أجانب، وعملاء أرسلوا إلى الخارج. وكان تدريبهم والاجتماع بهم يجري في الكنس، والمدارس، والمخازن، والشقق، والمصانع، وورشات العمل، والدوائر، والبيارات، وسقائف التعبئة. وقد اغتالت المنظمة الضابط الذي كتب التقرير عمّا اكتُشف[21].

نشر مركز تجنيد اليشوف إعلانا يوم عيد رأس السنة يدعو فيه «كل الشابات والشباب الذين وُلدوا في العام 1928» إلى مراجعته. وكان خمسمائة من المجندين الجدد قد انضموا إلى «مجموعة اللواء اليهودي» هذه في الشهر السابق (ديسمبر 1945)، وسينضم مائتان أو ثلاثمائة آخرون قريبا. كان القسم الأكبر من اللواء اليهودي موضوعا للأخبار الآتية من أوروبا: فقد ساد الاعتقاد بأنه لم يكن بعيدا عن «40 طنا من أسلحة قوات التحالف ضُبطت في جنوب فرنسا». وكان اللواء يثير المشاكل في فلسطين أيضا: فقد ورد في تقرير للقائد السير برنارد باجت أن «الأدلة تشير بوضوح إلى أن جنودا بريطانيين يهودا (من جنود اللواء اليهودي؟) في القوات البريطانية «كانوا يشكلون تهديدا للأمن» إلى حد ارتكاب جرائم القتل بحق زملائهم من الجنود ورجال الشرطة، مما يؤكد تحذيرات «Y32». وبما أنه كان من غير الممكن التمييز بين الجنود اليهود وأولئك الذين زرعتهم المنظمة الصهيونية فقد دعا باجت إلى تسريح جميع اليهود من الخدمة «بأسرع وقت ممكن»[22].

في اليوم الثاني من العام 1946 انفجرت رسائل ملغومة في تل أبيب وحيفا معلنة أن هجمات 27 ديسمبر قبل ستة أيام كانت عملية مشتركة بين ليهي والإرغون. غير أن المنظمتين كانتا بحاجة إلى المال، ولذلك خصص يوم 12 يناير لجمع الأموال. وفي الساعة العاشرة والدقيقة العاشرة من صباح ذلك اليوم نسفت الإرغون، بمعونة البالماخ وفق ما ذكره سيركس، قطار الركاب الواصل بين حيفا والقدس على مبعدة ميلين من الخضيرة، وأدى الانفجار إلى انقلاب عربات القيادة وأغلب العربات الأخرى. وبينما كان القطار المنسوف يزحف إلى أن توقف «فتح ما يقرب من 70 يهوديا، من بينهم نساء، مزودين بالبنادق والرشاشات، النيران عليه من الجانبين». فقد تناهى إلى علم هؤلاء المهاجمين أن القطار يحمل مبلغ 35 ألف ليرة فلسطينية هي رواتب العاملين في السكك الحديدية والحراس الذين لم يتمكنوا حتى بعد تخليص أنفسهم من الحطام من منع السرقة التي ارتكبها هذا العدد الكبير من المسلحين. وقد استخدم الفلفل للتعمية على أثر خطاهم عند الهرب، مما جعل المحققين يفقدون الأثر في منتصف الطريق بين المحطة والخضيرة. (كتب السير ألن كننغهام الذي تسلم وظيفة المندوب السامي بعد اللورد غورت في برقية مشفرة مقتضبة: «يقلقني أن يقع مبلغ كبير من أموال الحكومة في أيدي الإرهابيين»). أما في يافا فقد أضافت سرقة السوق العربي لصرف الذهب 6 آلاف ليرة أخرى فارتفعت حصيلة ذلك اليوم إلى 41 ألف ليرة[23].

في الساعة الثامنة من مساء يوم 19 يناير اتصل موظف في شركة كهرباء القدس بمحطة الكهرباء ليخبر بأن قفل المحطة الفرعية قد خُلع. وبعد قليل «أوقفه يهودي مسلح وأمره بمغادرة المكان»، ثم نسف خمسة يهود (من بينهم فتاة) المحطة». وبعد قليل تعطلت أجهزة الراديو عن العمل عندما جرى تفجير محطة الإذاعة الفلسطينية في القدس بأربع قنابل. وبينما كان الهجوم جاريا كانت جماعات أخرى من اليهود المسلحين (ومن ضمنهم فتيات) يتخذون لأنفسهم مواقع في شارع القديس بولس، وطريق الملكة مليساند، والشوارع الفرعية القريبة... وكان ثلاثة أو أربعة يهود منبطحين على الأرض وأمامهم رشاش برن... وكان هنالك ثماني فتيات يجثمن إلى جانب الجدار (مع أسلحتهن)، وكان اليهود يرتدون ثياب المعركة ويعتمرون الخوذ الفولاذية. أما الفتيات فكن يرتدين قمصانا زرقاء وسراويل قصيرة من الخاكي[24].

وعندما فتحت مجموعة رشاش برن النار على دورية عسكرية «حدث قدر من الفوضى» رافقتها تفجيرات بالقنابل اليدوية، والزجاجات الحارقة، والألغام، وسببت الشظايا جروحا بعيدا عن أماكن الانفجارات. وأطلق أفراد المليشيا المتجولون النار على نائب مدير مركز الشرطة فأصابوا ساقيه، في شارع القديس بولس؛ بحيث صار من الضروري بتر إحدى الساقين. ثم جاءت مجموعتان من المهاجمين تتكون إحداهما من خمسة عشر فردا، والثانية من ثمانية أفراد، وأخذتا بالتحرك داخل الأزقة وخارجها. وكانت الساعة قد ناهزت التاسعة والنصف عندما حاول مساعد مدير الشرطة تعطيل أحد الألغام، ولكن اللغم كان مفخخا فقتله الانفجار وجرح شخصا آخر. وعندما حضر رجال الجيش بأعداد كبيرة تحول الإرهابيون إلى قناصة يطلقون النار من الشوارع ومن فوق الأسطح، فقتلوا طالبا في مركز الشرق الأوسط للدراسات العربية، واستولوا على سيارة أجرة بعد أن أطلقوا النار على رأس السائق. واعترفت منظمتا الإرغون وليهي بالمسؤولية المشتركة عن الأعمال الإرهابية التي قامتا بها تلك الليلة[25].

زاد قلق البريطانيين بسبب عجزهم عن التعرف على اليهود الذين يزرعهم الصهاينة بين الموظفين اليهود، عندما نسف مركز حرس الشواطئ في غيفات أولغا ليلة 20 - 21 يناير. لم يحدث هجوم - بل أعاد «عمال» من البالماخ تشييد البناية بعد تفجيرها قبل شهرين (في نوفمبر)، وزرعوا القنبلة الجديدة في الجزء الذي أعيد بناؤه. فكما ورد في تقرير كننغهام: «زرعت المتفجرات في جدران البناية بمعونة العمال اليهود الذين عهدت إليهم مهمة إصلاح ما أحدثه هجوم اليهود المسلحين السابق من ضرر». أما التفجير الجديد فقد دمر البرج وجرح سبعة عشر شخصا، مات أحدهم متأثرا بجراحه.

وتعرضت محطة الرادار الواقعة على جبل الكرمل للهجوم أيضا في ذلك اليوم غير أن «الهجوم فشل، وأفلت المنفذون»، وفق كلمات الهاغانا. والسبب هو أن آليات التفجير المستخدمة في هجوم حيفا كانت «صناعة محلية معيبة» وفق ما تبين للبريطانيين، وأن التفخيخ فشل. وقد كتب سنيه، قائد الهاغانا، رسالة إلى القيادة البريطانية يهنئ فيها الجندي الذي تمكن من تعطيل عمل القنبلة.

وانتهى شهر يناير بنجاح صغير، وفشل ذريع كان من شأنه أن يكون مضحكا لو ورد في قصة من صنع الخيال. ففي محاولة للحصول على أموال نفذتها منظمة

ليهي أو الإرغون يوم الخامس والعشرين من الشهر سرق «عشرون يهوديا مسلحا» ما قيمته 6 آلاف ليرة من مادة قابلة للبيع أو المبادلة هي خيوط النسيج. وبعد ذلك بثلاثة أيام استولى سبعة عشر عضوا من أعضاء الإرغون على أربعين رشاشا آليا وما يزيد على خمسمائة رشاش ستن في هجوم على قاعدة تابعة لسلاح الطيران البريطاني في عاقر [الرملة] ولكن الشاحنة المسروقة غرزت في أرض حرثت حديثا في أثناء العودة، فاضطروا إلى تركها والهروب بسيارة جيب[26].

تابعت المليشيات الثلاث نشاطها في شهر فبراير. فقد هاجمت الإرغون قاعدة سلاح الجو في تل أبيب في الثالث منه، وهاجمت الهاغانا مركز الشرطة في صفد وحراسه في الخامس منه. وفي هجوم على معسكر في أغروبانك يوم السادس منه قتلت منظمة ليهي ثلاثة مدنيين (يهودا) وجنديين وطبيبا، وخلفت عددا من الجرحى. كما لغم المهاجمون، على عادتهم، طريق الدخول لقتل أي شخص يأتي لمساعدة الضحايا. واستخدمت الإرغون بعض هذه الأسلحة المسروقة للهجوم على ورشة سكة الحديد في حيفا مساء السابع عشر، وهو ما أثبت تعاون العصابات في تلك الفترة. بل لقد امتدحت حيروت، وهي النشرة الإخبارية التي تصدرها منظمة الإرغون، ذلك «الأسبوع المجيد» من العمل المشترك بين المنظمات الثلاث (الإرغون وليهي والهاغانا) «والدعم الذي تتلقاه من الشبيبة اليهودية المتحدة أجمع»[27].

كان مدير مركز الشرطة في حيفا في ذلك الوقت هو ريمند كافيراتا، الذي كان قد ساعد قبل سبعة عشر عاما في حماية الضحايا باضطرابات الخليل المعادية لليهود في العام 1929، ولكن العصابات اتهمته فيما بعد بالقسوة في معاملته لليهود المتهمين بالإرهاب. ولذلك كان المكلفون باغتياله من منظمتي ليهي والإرغون في انتظاره عند نحو الساعة 8:25 من صباح يوم 15 فبراير عندما مرت سيارة ترافقه على طريق جبل الكرمل على مقربة من حيفا. فقد اعترضت شاحنة سير السيارة في أثناء اقترابها. «وكان كافيراتا يستعد لتخفيض السرعة عندما انتبه شرطي بريطاني لوجود رشاش مخفى تحت المعطف المطري الذي يرتديه يهودي قريب»، كما ورد في برقية أرسلها كننغهام. زاد سائق كافيراتا سرعته ونجح في الالتفاف حول الشاحنة. ثم ظهرت شاحنة ثانية وأخذت تلاحقه وهي تطلق الرصاص بكثافة، ولكن الشرطة

ردوا على الشاحنة ونجا كافيراتا. وعاد مدير الشرطة الملاحق إلى إنجلترا، وهناك حاول أعوان ليهي البحث عنه ليقتلوه فيما قيل، ولكنهم فشلوا في مسعاهم.

كانت أسماء كبار الشخصيات البريطانية الموضوعة على قائمة الاغتيال تزداد عددا، وكان وزير الخارجية البريطانية بفن بالذات مايزال مستهدفا، على أن يجري قتله إما في إنجلترا على يد عملاء يرتبطون بجريدة تدعم المتشددين تطبع في مانشستر أو في أثناء زيارة وزير الخارجية لمصر. وكان المختص بشؤون الاغتيال في منظمة ليهي يعمل على تجنيد «اللاجئين الذين وصلوا من فورهم، وكان بعضهم ممن سُرِّحوا من الجيشين البريطاني والبولندي»[28].

اكتُشف في 18 فبراير مخبأ آخر لمنظمة ليهي، في الشقة العليا من المبنى الرقم 3 في شارع هاشومر في تل أبيب. ومن بين ما وُجد هناك «جهاز إرسال من النمط الأمريكي» أعد للإرسال على موجة تستخدمها ليهي، «وسماعات آذان من النمط الأمريكي»، «ومكبرات صوت من النمط الأمريكي». وبعد يومين، في الوقت الذي أثار ظهور رحلات الاستكشاف الراجلة من جديد أعصاب الجيش العربي، نسف رجال البالماخ محطة الرادار التابعة لسلاح الطيران البريطاني، بعد شهر واحد من الهجوم السابق، فجُرح عدد من الناس جروحا بالغة في البناية التي لحقت بها أضرار كبيرة. وكان رجال البالماخ نشطين أيضا في الليلة التالية، فألقوا قنابل على مركز الشرطة في شفا عمرو وكفار فتكن وسارونا خلفت أربع نساء وطفلا واحدا في حالة هلع بين الركام. وقُطع التيار الكهربائي عن مدينة جنين بكاملها بعد ظهر اليوم التالي (أي الثاني والعشرين) تمهيدا لهجوم على مركز الشرطة فيها، لكن كان في المركز مولد ففشل الهجوم.

تجمع أربعون ألفا أو خمسون ألفا من المستوطنين ومن مسؤولي الوكالة اليهودية في تل أبيب يوم الرابع والعشرين لتكريم أربعة من محاربي البالماخ الذين قُتلوا في أثناء اعتداءات شنوها قبل أيام. وكان بين الجماهير عدد من مسؤولي الوكالة اليهودية، ومنهم بن غوريون نفسه، وكان هؤلاء المسؤولون «لا يحرصون في العادة [بتعبير الوثائق البريطانية] على ربط أنفسهم بالأنشطة الإرهابية». دُفن القتلى بوصفهم أبطالا «قوميين»[29].

قال المندوب السامي «إن أشد جزء من الذَنَب تطرفا هو ذلك الذي يهز الكلب». فقد ألهبت الوكالة اليهودية مشاعر اليهود الشباب من الجنسين بوسائلها

الدعائية التي لا تنقطع بحيث تلقت المنظمات الإرهابية التأييد بانضمامهم إليها وتعاطفهم معها». وقد خلقت الوكالة في وضع سيتكرر فيما بعد في دولة المستقبل درجة من الهستيريا في المستوطنات جعلتها تتخلى عن خيار التخفيف من الإرهاب، «وخضعت لإغراء مزيد من التطرف» بمبالغاتها هي[30].

وفي آخر أسبوع من فبراير في الولايات المتحدة أعلنت المنظمات الصهيونية مبادرة خارقة للعادة هي «استعدادها لتسجيل يهود أمريكيين من الشباب للهجرة إلى فلسطين» لاستغلال الأعداد التي أتاحها البريطانيون، والتي كان المقصود منها المهجرين اليهود من أوروبا. وقد تلقى المشروع «الدعم الكامل» من المنظمة الصهيونية الأمريكية، وزعماء من أمثال أبا سلفر. وكان معنى ذلك أن كل يهودي أمريكي يُرسل إلى فلسطين يحرم يهوديا أوروبيا مهجرا من تلك الفرصة، وهي فرصته الوحيدة للبقاء، وفق ادعاء المنظمة نفسها. ولم يطل الأمر بالمواطنين الأمريكيين المهاجرين إلى فلسطين حتى فجروا السفينة المسماة إمباير لايفغارد (Empire Lifeguard)(*) (انظر ص 248 كذا وكذا أدناه[31].

وفي الخامس والعشرين من الشهر نفسه هاجم نحو خمسين من أعضاء الإرغون «يرتدون ثياب المعركة أو ثيابا عربية» مدارج الإقلاع والهبوط التابعة لسلاح الجو البريطاني في كل من اللد وبتاح تكفا وقسطينة [بغزة]. وتقول السجلات البريطانية إن ست عشرة طائرة دُمّرت وإن خمسا منها أُعطبت بحيث يتعذر إصلاحها، ولكن الإرغون أنكرت صحة هذه الأرقام، وقالت إنها دمرت «طائرة قاذفة للقنابل من ذوات الأربعة محركات وعددا من المقاتلات». وكان أحد قادة الهجوم، وهو دوف كوهين، ينتمي إلى المغاوير البريطانيين (الكوماندوز).

وعندما صد هجوم على معسكر الجيش العربي في جبل كنعان تبين أن المهاجمين جاءوا من مستوطنة بيريا. وقد وجد البريطانيون إلى جانب المخزون المتوقع من الأسلحة والمتفجرات كمية من الوثائق التي تضم «تفاصيل وافية عن القرى العربية، عن عدد السكان ومصادر المياه، وعدد الماشية فيها»، فضلا عن عدد كبير من الرسوم، والخرائط، والملاحظات عن الأحواض، والآبار، والجسور، ومراكز الشرطة، وأعمدة

(*) وتعني: حراس الإمبراطورية. [المترجم].

التلغراف، وارتفاع الأسيجة، والمعلومات الطبوغرافية. ولم يكن من قبيل المصادفة أن ترافق هذه المعلومات تفاصيل في يوميات الرحلات الاستكشافية التي ينفذها المستكشفون. وقد شمل دفتر اليوميات الفترة الواقعة بين 4 مارس و19 أبريل من العام السابق (1945)، وفيها أجرت فرق المراقبة من هؤلاء «المستكشفين» التابعين لهذه المستوطنة وحدها إحدى عشرة رحلة. وكان كل فريق يتكون من خمسة أعضاء يختارون من مجموعة من تسعة. وكانت هنالك وثائق أخرى تفصل القول في الإجراءات الأمنية لهذه المجموعة التي دعت نفسها «جزءا لا يتجزأ من «ألف»»، وهو تحالف يضم الإرغون والهاغانا[32].

وحدث تخفيف متفاوت في درجة العنف في أثناء وجود اللجنة الإنجليزية - الأمريكية. لكن أول هجوم كبير أكد تحذيرات المسؤولين العسكريين من أنهم دربوا أفراد اللواء اليهودي ليعودوا فيما بعد إلى فلسطين بصفتهم غزاة. ففي السادس من مارس «سهل جنود تابعون للواء اليهودي في معسكر صرفند «موجودون داخل المعسكر» دخول أربعة عشر يهوديا يرتدون زي الجنود المحمولين جوا. وجرح هؤلاء عاملة تعمل في مجال الرعاية العامة جرحا بالغا، وأسروا – وفقا للإرغون - عددا من الضباط والجنود البريطانيين. وبعد يومين قُبض على جندي (تابع للواء اليهودي؟) وهو يؤوي عضوين من أعضاء الإرغون وينقل كمية من الجلغنايت، ومعدات التفجير والأسلحة الأوتوماتيكية ورشاشات ستن، وبدلات المعركة. وفشل عدد من محاولات الهجوم يوم الخامس والعشرين: منها تفجير الجسر الواقع على حدود يافا وتل أبيب، وهجوم على جسر لسكة الحديد قرب محطة القطار في رحوفوت، وتفجير محول كهربائي. وكانت ألغام وعوائق طريق قد وضعت لتأخير وصول سيارات الطوارئ إلى تل أبيب في حالة نجاح الهجمات. وحدثت ثلاث حوادث أخرى دامت إلى ما بعد منتصف الليل، نفذ الأخيرة منها «4 يهود متخفين بثياب عربية على شاطئ البحر في بات ين، جنوبي يافا»[33].

دام الهدوء النسبي الذي التُزم به في أثناء وجود اللجنة الإنجليزية - الأمريكية أربعة أيام أخرى بعد مغادرتها إلى مساء اليوم الخامس، أي الثاني من أبريل، عندما جرى تخريب واسع للبنية التحتية لسكة الحديد. وهوجمت البيوت والجسور الواقعة بين يبنة [الرملة] وعرب صقرير [غزة]، وهوجمت

الخطوط الواقعة على جانبي محطة القطار في يبنة، «وتعرضت الجسور هناك وفي عرب صقرير إلى تخريب شديد». ولُغّمت الطرق التي تؤدي إلى المحطة، وقُطعت خطوط التلفون، وجُرح عدد من رجال الشرطة، وهوجمت الدوريات، ونُسف جسر النعمان قرب عكا، واستهدُفت محطات القطار الواقعة بين يفنة (Yavne) وأشدود. «وهوجمت القطارات وأُحرقت على يد اليهود»، وأدى ذلك إلى جرح خمسة (جراح أحدهم خطيرة)، وقُطعت خطوط السكك الحديدية في عدة أماكن قرب مستعمرة مشمار هايام. وعند جسر نعامين جنوب عكا أوقف يهود بثياب عربية حارسا من الشرطة، بينما نسف عشرون يهوديا الجسر. وبعد الساعة العاشرة من تلك الليلة بقليل هاجم المسلحون محطة إسدود للسكك الحديدية بين المجدل ويبنا فقتلوا شرطيا ونسفوا القاطرة. وحدثت هجمات أخرى يوم الثالث لكنها أُفشلت عندما تمكن البريطانيون من ملاحقة «نحو 30 يهوديا جنوب بات يام في نحو الثامنة والنصف صباحا، كان بعضهم يرتدي ثيابا عربية. وبعد ثلاث ساعات اكتشفت المراقبة الجوية مجموعة من ثلاثين. ومن الأسلحة التي كانوا يحملونها رشاشات برن، وستن وتومي فضلا عن «48 قنبلة يدوية محلية الصنع». وهاجمت منظمة الهاغانا قطار حيفا - اللد يوم الخامس من أبريل وسرق أفرادها 6 آلاف قذيفة مدفع[34].

وفي 13 أبريل، بعد الظهر بقليل، «نفذ ستة رجال يرتدون زي أفراد اللواء اليهودي ويستعملون سيارة نقل عملية سرقة مستودع مركز النقاهة التابع للجيش في ناتانيا. وبعد أربعين دقيقة «هاجم يهود مسلحون يتراوح عددهم بين العشرة والخمسة عشر ويتخفون بزي «المتعاونين الطليان» معسكر عطلات الجيش في ناتانيا (ذكر تقرير منفصل أن العدد كان عشرين رجلا يرتدون زي أسرى الحرب الإيطاليين). كانوا كلهم من رجال الإرغون. وفجّروا الجسر الواصل بين ناتانيا وكفار فتكن ليضمنوا سلامة الهروب، فأدى التفجير إلى جرح الفريق الموجود في سيارة الشرطة. وقد قُبض على أحد المهاجمين قرب الجسر ومعه قنبلة تستخدم للتفخيخ[35].

عندما ظهر رقيب بريطاني يرتدي الزي الحربي في مركز شرطة رامات غاب (غان) في الثالث والعشرين كانت لديه أخبار مهمة: قُبض على «عرب» وهم يسرقون

مؤسسة عسكرية قريبة. بعد ذلك ظهر «جنود بريطانيون في المركز ومعهم «سجناء عرب». وما إن دخلوا حتى تبين أن الرقيب والجنود والعرب ليسوا سوى حصان طروادة من تدبير الإرغون. وبعد أن سيطروا على البناية تمكن عامل الاتصالات اللاسلكية (اليهودي) من الانسلال إلى غرفة الاتصالات وإغلاق الباب بالمزلاج. فما كان من المهاجمين إلا أن كسروا الباب وأوقفوا جهاز الإرسال، ولكن بعد فوات الأوان - فقد كانت رسالة طلب النجدة قد فُهمت، وأُرسلت تعزيزات من الجيش والشرطة. قتل المهاجمون في أثناء الهروب فلسطينيا يعمل في المراقبة الجوية، وجرحوا رقيبين آخرين، وهربوا مع أسلحة متنوعة وسبعة آلاف طلقة. وهاجمت منظمة الإرغون بالتزامن مع هذه العملية (ربما لصرف النظر عن هذه العملية) محطة القطار في تل أبيب. فقد انفجرت فيها أربع قنابل هزت قاعة الانتظار، لكن «أحد الإرهابيين اليهود جُرح في أثناء إشعال القنبلة وأُلقي القبض عليه»[36].

عند نحو الساعة 8:45 من مساء 25 أبريل ألقى أعضاء في منظمة الإرغون قنبلة على الأشخاص في موقف السيارات التابع لفرقة المظليين في تل أبيب، وعندما انفجرت قتل عشرون أو ثلاثون يهوديا مسلحا بثياب مدنية «كل من رأوه»، محتمين بنيران أعوانهم من البيوت المجاورة. وبعد أن قتلوا الحراس دخلوا الموقف «وأضاءوا مصابيحهم في وجوه النائمين في الخيام وقتلوهم بلا تردد، وأنهوا عملهم بقتل شخصين آخرين في موقف السيارات. ثم أتت إشارتان من زملاء لهم وُضعوا في البيوت المجاورة فُهمتا على أنهما إيعاز بالعودة وإشارة إلى نجاح العملية. ثم صدر صوت من بوق مرتين، وصدر ضوء وأُطفئ عدة مرات من نافذة عالية. وكانوا قد لغموا الطرق المؤدية إلى المكان على عادة أتباع الإرغون، «فعطّلوا وصول فرق المعونة الطبية للجرحى». وقالت نشرات الإرغون في الصباح: «انسحب رجالنا بعد أن حققوا هدفهم بأسلحتهم والأسلحة التي استولوا عليها... عاد كل مقاتلينا إلى قاعدتهم سالمين. وكانوا قد أوقعوا إصابات قاتلة بين أفراد العدو». أما البريطانيون فوصفوا ما حدث بأنه «هجوم مدبر لئيم قُصِد منه إيقاع أكبر عدد من الضحايا». واستمرت عمليات القنص وإلقاء القنابل على السيارات[37].

أوشك البريطانيون على فقدان أعصابهم بسبب ما كاد يكون كارثة يوم الأول من مايو 1946 (عيد العمال)، وذلك عندما اكتشفوا متفجرات على السفينة شفرون

مربوطة بحيث تنفجر في مخزنها. كانت السفينة، وفقا لما ورد في برقية من كننغهام، «تحمل ثلاثة عشر من ضباط الصف البحريين اليهود من الإسكندرية إلى حيفا لتسريحهم، وعندما اكتُشفوا على الشاطئ كانت لدى أحدهم قنبلة خيطت بثيابه وكان لدى آخرين متفجرات مخبأة بالطريقة نفسها. (بعد عدة أشهر ستنقذ السفينة شفرون نحو 800 مهاجر يهودي تحطمت سفينتهم عند جزيرة سيرنا اليونانية الصغيرة)[38].

ومجددا، أثبتت رسائل التُقطت حديثا أن الوكالة اليهودية كانت تتعاون مع الإرغون - وأن بن غوريون نفسه كان قائد الأوركسترا أحيانا. قالت إحدى الرسائل الملتقطة عن «الوكالة اليهودية وسياسة 241»(*):

> إن الـ 241 والإرغون وضعا خططا لأعمال ضد التجهيزات العسكرية في إمك إسرائيل والجليل وشارون. وستنفَّذ هذه الخطط عند تسلُّم التعليمات من بن غوريون في أمريكا[39].

وقالت برقية أخرى ملتقطة من سنيه إلى شخص اسمه «دانيال» في لندن: «أرجو أن تخبر بن غوريون بنص ما أذاعته كول إسرائيل (العائدة إلى الهاغانا) المرسلة طيا، مع ملاحظة أن الإذاعة تمت بناء على طلب من شرتوك (شاريت)»[40].

> زودت هذه الرسائل الملتقطة البريطانيين بأدلة قاطعة على تورط الوكالة اليهودية في الأعمال الإرهابية... فقد كان [كل من بن غوريون، وشاريت، وسنيه، وجوزيف، وغيرهم] يديرون، ويخططون، وينظمون، تحت غطاء مناصبهم في الوكالة اليهودية، العمليات التخريبية من كل الأنواع في جميع أنحاء البلاد، ويوجهون [نشرات الإذاعة] التي تمتدح العمليات الإرهابية من تخريب وقتل بعبارات التمجيد، ويطلقون فيضا من الدعاية الشريرة التي تشبه في مستواها ألمانيا النازية. كذلك كشفت [هذه الرسائل الملتقطة] أن منظمتي الهاغانا والبالماخ ساعدتا منظمتي شتيرن والإرغون [في هجماتهما][41].

لذلك اقترح بعض أعضاء اللجنة الإنجليزية - الأمريكية إلغاء الوكالة اليهودية؛ بسبب تورطها المباشر في الأعمال الإرهابية. وعندما تسرب خبر هذا الاقتراح، حذَّر

(*) يشير هذا الرقم إلى عدد المتهمين بالإرهاب الخاضعين لتعليمات الطوارئ. [المؤلف].

فايتسمان من النتائج بالحديث عن وضع رؤيوي: إلغاء الوكالة سيعني تدمير الهيكل الثالث، وآخر أمل لليهود «في جميع أنحاء العالم»[42].

وعلى رغم أن البريطانيين ظلوا يخشون أن اتخاذ إجراءات أقوى ضد الإرهاب سيؤدي إلى «خلق فجوة مع الأمريكان» (وفقا لتعبيرهم) فإنهم لخصوا الأدلة المتنوعة التي جمعوها ضد الوكالة اليهودية في كتيب ليسوغوا حملاتهم على مكاتبها ومستوطناتها. أما الوكالة فوصفتها بأنها «خليط من البرقيات المزعومة»، وذلك عقب إصدار وزارة المستعمرات الكتيب بعنوان «بيان يتضمن معلومات عن أعمال العنف في فلسطين» بعد شهرين، أي في يوليو[43].

حدثت اعتداءات على المدنيين وبدت بلا معنى، وقدّر البريطانيون أنها من عمل شبان يهود يتدربون بعد أن جُندوا حديثا. وفي 14 مايو سيطر عشرة مستوطنين على مقهى في بتاح تكفا ليسرقوا سيارة جيب، ولكنهم أحرقوها عندما فشلوا في تشغيلها، بينما سرق آخرون سيارة جيب في تل أبيب المجاورة بعد أن أطلقوا الرصاص على ساق السائق. ثم عاد المحترفون في اليوم التالي وسرقوا 100 ألف طلقة للأسلحة الصغيرة من قطار خاص بسلاح الجو وهو في طريقه من عكا إلى وادي الصرار (نهال سوريك). أما السرقة التي تمت تحت تهديد السلاح لبنك في نابلس في 20 مايو فكانت من صنع الإرغون وفق شكوك البريطانيين، وتؤكد وثائق الإرغون هذه الشكوك. وبعد يومين استهدفت قنابل الهاون موقعا للشرطة في نتانيا[44].

وفي السادس من يونيو حرر أتباع ليهي زميلا محبوسا لهم بينما كان يُنقَل إلى عيادة طبية للمعاينة، وجرحوا رقيبين، كانت جراح أحدهما بالغة. لم يكن المريض شخصا عاديا من أفراد ليهي، بل كان إسرائيل إلداد، وهو من المختصين في الاغتيالات، وسوف يشارك بعد سنتين من هذه الواقعة في اغتيال الكونت برنادوت. وفي هذه الأيام سُميت مستعمرة إسرائيل إلداد الواقعة قرب هيروديون في الضفة الغربية باسمه.

تسارعت الأعمال الإرهابية في العاشر من يونيو بهجمات على ثلاثة قطارات للركاب. ففيها كلها «توزع يهود مسلحون يتخفون بالزي العربي بحيث يوجد واحد أو اثنان منهم في كل عربة». وفي نحو الساعة السادسة والنصف من مساء يوم الإثنين

ذاك أوقف «أحد الركاب» قطارا قادما من القدس إلى يافا في مكان متفق عليه مسبقا، على مبعدة 3,8 كم من محطة تل أبيب بجذب سلك الاتصال. ووفقا للاتفاق هاجم ثلاثون يهوديا، منهم خمس نساء، القطار وأجبروا الركاب كلهم على النزول منه، ثم نسفوه ودمروا خمس عربات بالكامل وجرحوا شرطيا إضافيا مؤقتا TAC(*).

وبالتزامن مع هذا الهجوم تقريبا وقف قطار متجه إلى القدس من اللد عندما سحبت فتاة سلك الاتصال وشوهد أناس على السكة وهم يلوحون بعلم أحمر. وعندما توقف استقبله نحو خمسة عشر من الإرهابيين على شاحنة، ثم سكبوا على عربات الركاب البنزين وأشعلوا فيها النيران، بحيث لحقها الدمار التام.

وبعد ساعة من هذين الهجومين، أي نحو السابعة والنصف، أوقف «راكب» قطارا يسير بين اللد وحيفا بسحب سلك الاتصال. وقد وصف راكب «حقيقي» المجموعة المهاجمة بأنها تتكون من «أربعة رجال وأربع فتيات، تقل أعمارهم جميعهم عن خمس وعشرين سنة، ولا تزيد أعمار الفتيات على ست عشرة سنة» ثم أخرجت قنبلة من سلة غداء وفجرت في العربة التي تسحب القطار، لكن المهاجمين انسحبوا؛ ربما لأنهم كانوا مكشوفين وخافوا أن تكون أخبار التفجيرين الآخرين قد انتشرت[45].

وعندما اكتشف موظف فلسطيني من موظفي السكك الحديد صباح اليوم التالي متفجرات يتراوح وزنها بين 50 و60 باوندا على السكة جنوب غرب اللد، تتبع السلك الكهربائي المتصل بها إلى أن وصل إلى بيارة برتقال وباغت واضعيها الثلاثة الذين كانوا يرتدون أزياء عربية، وهم من أتباع منظمتي الإرغون وشتيرن. كانت القنبلة معدة لتنفجر عند مرور القطار الليلي الآتي من القنطرة بعد نصف ساعة.

أما المتفجرات الموصولة بالسكة قرب الخضيرة فلم تُكتشف، لذلك فإنها انفجرت وفصلت الخط. وفي تل أبيب قاد انفجار إلى اكتشاف 64 قنبلة مصنوعة محليا في 57 شارع مزراحي «ب»، معظمها موضوع في صناديق ومعد للانفجار. وفي حيفا أسفرت محاولة اغتيال ضابط شرطة المنطقة يوم الرابع عشر عن جرحه جرحا بالغا.

(*) كلمة TAC اختصار لعبارة Temporary Additional or Assistant Constable أي «شرطي إضافي مؤقت». [المترجم].

وفي مساء ذلك اليوم أدى انفجار قنبلة ألقيت على المقهى المركزي في السوق العربي إلى حدوث إصابتين[46].

وحدثت هجمات شلّت الحركة على الطرق وجسور السكك الحديد عند الحدود الفلسطينية أو بالقرب منها في ليلة 16-17 يونيو، وكان أسوأها الهجوم الذي تعرض له جسر اليرموك على خط الحجاز بين الحمة وسمخ، وكان من العسير إصلاحه إلا بعد إعادة بنائه، وهو الأمر الذي كان من المقدر أن يستغرق سنة. وكما قال كننغهام في تقريره المرسل إلى ج. هـ. هول، وزير الدولة لشؤون المستعمرات:

> يتشكل الجسر من ثلاثة أقسام يمتد أوسطها مسافة خمسين مترا فوق واد عميق. وقد نُسِف الجزء العلوي من العمودين اللذين يرفعان العوارض بطريقة جعلت الجزء الأوسط ينهار إلى قعر الوادي...

وفي تلك الليلة «نسفت جماعة كبيرة من اليهود جسر السكة الحديد في منطقة الزيب الواقعة شمالي عكا»، ولكن إحدى القنابل القوية انفجرت أبكر مما يجب، «لأن جسم أحد المهاجمين وبقايا عدد كبير من الآخرين وجدت بالقرب من الجسر». ووجدت ست حقائب مملوءة بالجلغنايت عند جسر في شارع قريب. كذلك أُصيب الجسر الرئيس عند وادي غزة، ولكن بما أنه بني من الخرسانة المدعمة بالحديد فإن الانفجار لم يؤد إلى انهياره، وكان في الإمكان إصلاحه. كذلك هاجم المخربون البدو المقيمين بالقرب من المكان[47].

واجهت جسور الطرق المصير نفسه. فقد نُسف جسر ألنبي «بعد هجوم لا هوادة فيه، دام أربعين دقيقة، وقامت به مجموعة من نحو عشرين يهوديا»، وقُذفت البناية المشرفة على الحدود بالقنابل. ودُمِّرت دعامة الجسر على الجانب الفلسطيني من نهر الأردن، «ونتيجة لتدمير تلك الدعامة فإن الطرف الفلسطيني من الجزء الأوسط من الجسر، وهو يزن نحو 200 طن يرقد الآن على شاطئ النهر. وقد تتبعت كلاب الشرطة أثر مهاجمي جسر ألنبي وقادتهم إلى المستوطنة اليهودية كيفوتسات ها هوغيم، ولكن المستوطنين، رجالا ونساء، منعوا الجنود من القبض عليهم، حيث انبطحوا على الأرض متشابكي الأذرع والسيقان»، بينما هاجمت النساء الجنود بالعصي.

كذلك جعلت القنابل الطرف الفلسطيني من جسر الشيخ حسين ينهار في النهر ودمرته بالكامل. وفي جسر بنات يعقوب (على الحدود الشمالية) ألقيت القنابل

على الجسر الواقع على طريق دمشق، فانهار فوق النهر «فأصبح، بسبب التشويه والالتواء، ركاما لا نفع فيه». وحاول ضابط مختص بتعطيل القنابل تابع لسلاح الهندسة الملكي أن ينقذ الجسر في منطقة جسر دامية قرب الجفتلك، ولكن القنبلة انفجرت في أثناء نزع فتيلها فقتلته ودمرت الجسر حسبما أراد واضعوها.

استمرت هذه الهجمات الليلية المكثفة بتفجير الجسر ومجرى الماء على الطريق الواقع شمال متولا، والجسر الواقع على طريق وادي غزة. وتابع المخربون تخريبهم الليلي في مختلف أرجاء القطر بسلسلة من القنابل التي ألقوها هنا وهناك لتعطيل أعمال الإغاثة.

وقد حملت هذه الحملة كل أمارات الإرغون أو التعاون بين منظمتي الإرغون وليهي، ولكنها أثبتت أيضا أنها من تدبير منظمة الهاغانا التابعة للوكالة اليهودية. ووفقا لما قاله ڤايتسمان فإن شاريت طلب من الهاغانا أن تنفذ الهجمات ليعطي البريطانيين ركلة في المؤخرة، بينما تابع تأكيده لهم أن «فلسطين يهودية» ستكون «أقوى عون للقوة البريطانية في هذا الجزء من العالم»[48].

كان لدى صحافيَّيْن متعاطفَين مع الوكالة اليهودية - أحدهما اسمه سايمن يعمل لمصلحة يونايتد پرس، والآخر عرف باسم غوتغترو (أغلب الظن أنه إرخ غوتغترو، من وكالة أسوشيتد پرس) بطاقة لحضور حفلة موسيقية تحييها الأوركسترا الفلسطينية (وهي التي ستصبح فيما بعد فرقة إسرائيل فلهارمونك) ليلة 17 يونيو، لكن لم يحضر أيهما تلك الحفلة. فعندما جاء يوم الحفلة اتصل أحدهم من الوكالة «وأوحى» لكل منهما بأن تلك أمسية يجدر بالمرء أن يقضيها في البيت. ولذلك لم يذهب أي منهما. وفي الساعة التاسعة والنصف، وبينما الحفل ماضٍ في برنامجه هاجم نحو ثلاثين من المسلحين بالقنابل والرشاشات مشاغل السكة الحديد في حيفا الواقعة في خليج حيفا وزرعوا فيها عددا من القنابل. «وبعد عدد من الانفجارات المجلجلة... أخذت الكشافات الضوئية الواقعة على جبل الكرمل تعمل، وانطلقت الطائرات الليلية لتبحث... وتتابعت الانفجارات حتى وقت متأخر من الليل، وظلت النيران مشتعلة حتى مطلع الشمس. وكانت النتيجة تدمير آلات عظيمة الأهمية للسكك الحديد عطلت أعمال الصيانة بحيث صارت الهجمات الإرهابية اللاحقة أخطر. ولُغِّم الطريق المؤدي إلى المشاغل لتعطيل أول المستجيبين، ولذلك فإن

سيارات بلدية حيفا للإطفاء التي انطلقت لإخماد النيران فُجّرت ونتج عن ذلك جرح عدد من رجال الإطفاء في السيارات المدمرة. وظلت طلقات القناصة، وتفجيرات القنابل اليدوية، وغيرها من القنابل تعكر سكون الليل.

في اليوم التالي امتدحت الهاغانا الهجمات الأخيرة متباهية عبر إذاعة كول إسرائيل بأن الحكومة لم تعد تسيطر على أي جزء من فلسطين: كان المحاربون قد نشروا الفوضى حتى في «الأجزاء العربية الخالصة من البلاد» وصولا إلى الحدود. ومن الواضح أن الوكالة اليهودية كانت تعلم مقدما أن من مصلحة صحافيين معينين أن يبقيا في البيت[49].

وفي الساعة الواحدة والثلث من بعد ظهر يوم 18 يونيو «انطلق اثنا عشر يهوديا برشاشات تومي غن» بأربع سيارات أجرة وشاحنتين خفيفتين إلى نادي الضباط في نادي هياركون في تل أبيب. وبعد أن قطعوا خطوط الهاتف وأقفوا السير «تجولوا في أنحاء غرفة الطعام وتفحصوا القطع المعدنية الموضوعة على الأكتاف» وأمسكوا بخمسة من كبار الضباط. وعندما حاول اثنان منهم المقاومة ضربوهما على الرأس بماسورة من الرصاص. وفي نحو الثالثة والربع «جاء يهود مسلحون بسيارة أجرة» وحاولوا اختطاف ضباط آخرين، ولكنهم اكتفوا بإطلاق الرصاص على أرجلهم عندما نجحوا في المقاومة. واختطف ضابط ثامن في القدس، لكنه استطاع التخلص من قيوده وتمكن من الهروب من البيت الواقع في شارع موسى، حيث كان محتجزا.

عندما وصل خبر الاختطافات إلى لندن كان من رأي المسؤولين العسكريين أن المحادثات الجارية مع الوكالة اليهودية حول رفع عدد المسموح بهجرتهم إلى فلسطين يجب إيقافها إلى أن يُطلق سراحهم، ولكن المسؤولين في الحكومة رفضوا ذلك احتراما للولايات المتحدة. وانتهت الحادثة في الرابع من يوليو بقتل ثلاثة من الرجال المتبقين بواسطة الكلوروفورم ووضعهم في صندوق شبيه بالتابوت وتركهم في زاوية بين شارع شيدال وروتشيلد على مرأى من مئات المارة، الذين «لم يبد على أي منهم أنه اعتبر الأمر جديرا بالملاحظة، ولم يكن في الإمكان الحصول على معلومات منهم» كما اشتكى البريطانيون.

وفي مساء يوم الاختطافات (18 يونيو) لاحظ سائق القطار وجود أعلام حمراء على السكة قرب كفار جندس، على مبعدة ميلين من اللد. لكن السائق لم تغب عنه

حيلة الإرغون هذه فمضى من دون أن يتوقف، فانفجرت قنبلة تحت القطار وأخذ أفراد الإرغون يطلقون النار على القطار من الجانبين[50].

كان شاريت يفيض ثقة وهو يخاطب الدورة غير العادية للجنة التنفيذية للوكالة اليهودية في اليوم التالي. فقد أكد لأعضاء اللجنة أن التأثير السياسي في الولايات المتحدة «سيكفي لإجبار الرئيس على التصرف بقوة وسرعة» لمصلحة الصهاينة، والرئيس الأمريكي يعلم أن تهديدات العرب لا قيمة لها وأن قدراتهم العسكرية صفر... ولسوف نستغل الضغط الأمريكي على الحكومة البريطانية إلى الحد الأقصى»، وأكد أهمية الفترة السابقة للانتخابات في الولايات المتحدة، و«اعتماد بريطانيا العظمى على الولايات المتحدة» من أجل الحصول على قرض ما بعد الحرب. وتابع شاريت كلامه عن مهجّري أوروبا اليهود على أنهم ملك للوكالة: يجب ألا يسمح لهم بالتوجه إلى أي مكان في المستقبل غير فلسطين[51].

وفي تلك الأثناء بدأ ظهور منظمة إرهابية جديدة تدعى أوتسراي ها ماغيفا - ومعناها الحرفي «موقفو الوباء»، وهذا «الوباء» هو الصداقات التي تنشأ بين اليهود وغير اليهود والخطر الذي تشكله هذه الصداقات على «نقاء الدم اليهودي». وقد ألحقت هذه الجماعة الإرهابية الأذى بفتاة يهودية معاندة عندما ألقت عليها «الأسيد»، وسببت لها العمى في إحدى عينيها[52].

وأثارت سرقة مجوهرات في 26 يونيو نفذتها جماعة «من 30-40 يهوديا» (ربما كانوا من الإرغون) تكهنات تقول إن هذه السرقات ارتكبت بالاتفاق (الاضطراري) مع المالكين الذين يعيدون شراء المسروقات بأموال شركات التأمين. وفي هذه الأثناء حصل البريطانيون على أدلة جديدة على قدرات الوكالة اليهودية على التجسس: فقد التقطوا رسالة تاريخها 27 يونيو من الوكالة اليهودية في واشنطن، موجهة إلى إلعازر كابلان في لندن تضم تفاصيل عن لقاء سري جرى بين أعضاء اللجنة الإنجليزية الأمريكية قبل ثلاثة أيام[53].

كانت منظمتا الإرغون وليهي نشطتين في إيطاليا، وصدرت مجلة أسبوعية عنوانها La Risposta (الجواب)؛ في فلورنسا تحت شارة الإرغون تدعو إلى الإرهاب وتأسيس «حكومة يهودية» خارج فلسطين. وكان محرر المجلة كورادو تادسكي قد عمل في فرع الحرب النفسية ونشر ترجمة لنشرة عنيفة صادرة عن الإرغون ظهرت

أصلا في الولايات المتحدة. وفي 22 يونيو نشرت الصحيفة المعنونة Rome Daily American (الصحيفة الأمريكية اليومية في روما) التي تصدر باللغة الإنجليزية مقابلة مع عضو من أعضاء ليهي «هدد فيها السفير البريطاني في إيطاليا وغيره من المسؤولين الحكوميين بالاغتيال عندما تتعارض أنشطتهم مع القضية اليهودية، ووصف بتفاصيل بليغة التدريب الذي يتلقاه الإرهابيون اليهود في روما»[54].

وفي الشمال كان نشاط الإرغون في تجنيد الأتباع يتسارع تسارعا وصفه البريطانيون بأنه «نشاط محموم» تقوم به العصابة الإرهابية بين المهجّرين اليهود في المنطقة الأمريكية من النمسا. إذ شجعت منشورات متعددة اللغات الشباب اليهود على «الالتحاق بالحملة المقدسة من أجل فلسطين عظيمة مستقلة». وسمي مخيم للمهجرين في سالزبورغ - پارش «فلسطين الجديدة» وجرى تنظيمه على هيئة روابط قومية صهيونية. وقد لخصت «متروپا»، وهي نشرة تنشر تلخيصا استخباراتيا، الوضع على النحو الآتي:

الروابط الموجودة في باد غاستاين تضم مجموعة من القوميين الفلسطينيين المتعصبين الذين ينظمون ليشكلوا وحدات من إرغون زفاي ليئومي، ويشكل هؤلاء المتعصبون اليهود مشكلة أمنية مستمرة[55].

وفي پكنغ، في المنطقة الأمريكية من ألمانيا، أجرت مجموعة مشابهة، ولكنها أقل عددا تتكون من نحو 250 عضوا تدريبات منتظمة من أجل الوصول إلى فلسطين بأي وسيلة ممكنة. وامتلأت شوارع پراغ بملصقات تصدرها الإرغون تدعو فيها إلى مساندة «الكفاح اليهودي في فلسطين»، وتنهي دعوتها بالقول: «المجد لروسيا وأمريكا وتشيكوسلوفاكيا»، وقد شكلت هذه الأخيرة طريقا رئيسا للسلاح المتجه إلى إسرائيل[56].

توقفت خطوط الهاتف عن العمل في جانب كبير من فلسطين عند الساعة 3:45 من صباح يوم 29 يونيو. فقد بُدئت حملة كبرى لقمع الإرهاب أعطيت اسم «عملية أغاثا». واعتبر البريطانيون أغاثا «إعلانا للحرب على العناصر اليهودية المتطرفة»، واتخذت إجراءات خارقة للعادة للحفاظ على سريتها، إذ لم يبلغ الرئيس الأمريكي ترومان بها إلا قبل سبع ساعات من البدء بها، وهو توقيت عُد كافيا من الناحية الديبلوماسية «مع الحرص على ألا تصل الرسالة إلى البيت الأبيض

إلا بعد أن يفوت الوقت عند تسريبها ويصبح عديم الفائدة». ولكن على رغم الاحتياطات القصوى التي اتُّخذت «فإن قدرا كبيرا من المفاجأة قد ضاع «بسبب التسريب الذي تم من خلال القنوات العسكرية لأجزاء من الخطة الأصلية». وقد شمل التسريب «القائمة السوداء التي تضم أسماء من سيجري توقيفهم»، وهي قائمة «أُلصقت على الجدران في كل أنحاء تل أبيب»، مما سبب إحراجا واضحا للبريطانيين. وقد خشي البريطانيون أن تؤدي القائمة «إلى نتائج لا تحمد عقباها لنا إذا وجدت طريقها إلى أمريكا»[57].

كان موشيه سنيه مثلا قد أُبلغ وهرب، وعندما سيطر الجنود البريطانيون على مكاتب الوكالة اليهودية «كان من الواضح أن وثائق عديدة قد أزيلت من الخزائن الفولاذية [القاصات]». غير أن ما بقي من الوثائق «جعل من الواضح أن الوكالة كانت تشرف على منظمة واسعة للتجسس» وأن «مكاتب الوكالة اليهودية كانت بمنزلة مراكز لمنظمة ضخمة لسرقة الوثائق الديبلوماسية ذات السرية القصوى والوثائق العسكرية والشرطية»، بما في ذلك المعلومات عن أفراد الشرطة والملخصات الاستخبارية الأسبوعية. وقد وُجدت ستة تقارير سرية من أجهزة المخابرات البريطانية، بما في ذلك ملاحظة موجهة إلى بن غوريون تقول: «مرفق مع هذه الرسالة تقرير من المخابرات الأمريكية. وهي تثير الاهتمام لأنها تكشف عن موقف وزارة الخارجية [الأمريكية]». ويفسر امتلاك الوكالة اليهودية هذه الوثائق الأمريكية السبب الذي جعل ستيفن وايز ممثل الوكالة في الولايات المتحدة يمارس ضغوطه على ترومان لكي ينأى بالسياسة الأمريكية عن وزارة الخارجية التابعة له، وهو ما فعله رئيس الولايات المتحدة - ونفى الشائعات التي تحدث عنها وايز، وأكد له «بكل ولاء وإخلاص» دعمه «للهجرة اليهودية إلى فلسطين»[58].

لم تشمل حملة أغاثا من الناحية الرسمية «البحث عن الأسلحة بالتحديد»، ولم يجر هذا البحث إلا «بمحض المصادفة». وسواء أكان ذلك صحيحا أم لم يكن، أو كان الهدف منه حماية المخبرين وتقليل عنصر الخطر من حصول المستوطنات المستهدفة على تحذير مسبق فقد جرى تفتيش إحداها، وهي مستوطنة مشق ياغور. وقد اكتشفت فيها ثلاث خبايا كبيرة وثلاثون من الخبايا الصغيرة على رغم الطرق المعقدة التي استخدمت لإخفائها. ومن المخابئ الكبيرة:



عملية أغاثا، مشق ياغور، 29 يونيو، 1946. صورة جندي بجانب سي- سو.
يقع موضع ارتكاز العارضة الخشبية فوق فوهة التهوية لمخزن كبير من الأسلحة المخبأة تحت سطح الأرض.

كانت فتحة مجرى الهواء في المخزن [كما في الصورة] تؤدي وظيفة العمود الذي توضع فوقه خشبة السي- سو. ويجري الدخول لأي من هذه المخازن بواسطة عربة صغيرة فوقها حجر من حجارة الرصف تنزل إلى الأسفل بواسطة عجلة مسننة ثم تدفع على لوح مائل.

وكانت الخبايا الأصغر «قد أخفيت بمهارة» هي أيضا:

مداخلها مخفاة تحت حجارة الرصف، أو القمامة، أو خلف قطع مثبتة بجدران الغرف لكنها قابلة للتحريك. وقد وُجد مخزنان من هذا النوع في زريبة الأبقار، ومخزن في غرفة الأطفال، وبُني عدد آخر من هذه المخازن لتكون جزءا من جدران المجاري.

كانت الأسلحة المكتشفة «من أصول متباينة جدا، تتراوح بين مدافع الهاون الألمانية من قياس 80 ملم إلى فتائل التفجير البولندية، والقنابل اليدوية المخبأة بصناديق البيرة». وجاء كثير من هذه الأسلحة من بريطانيا والولايات المتحدة، ولم

يكن أصل بعضها معروفا، وتفتقر إلى العلامات التي تدل على صانعيها، ويبدو أنها «صنعت في فلسطين عن طريق عقد خاص مع دولة أخرى» من قبل صانعين «حريصين على إخفاء هويتهم». ولربما وجدت هذه الأسلحة طريقها إلى فلسطين من خلال السرقات الكثيرة التي ارتكبتها العصابات الصهيونية من مخازن الأسلحة الأمريكية المنتشرة في أوروبا. فقد كان معروفا، على سبيل المثال، أن المنتسبين السابقين إلى اللواء اليهودي كانوا قد أخفوا «كميات ضخمة من العتاد الحربي في أجزاء يقصد منها تقسيم الأكواخ وغيرها في إرساليات من معسكر للجيش الأمريكي إلى فلسطين[59].

شكّت منظمة الهاغانا في أن اكتشاف الأسلحة في مشق ياغور لم يكن ضربة حظ، وانصب الشك على يهوديين هما فروبند وپاپانك. كان پاپانك تشيكيا عاش في مستوطنة ياغور قبل الحرب، ثم عاد ليحارب في الجيش التشيكوسلوفاكي على رغم الضغوط التي مارستها الوكالة اليهودية عليه لكي لا يفعل ذلك. وبعد أن صُرف من الخدمة عاد إلى حيفا، وهناك سكن مع فروبند.

كان پاپانك في زيارة لأصدقاء له في ياغور عندما أغار البريطانيون على المستوطنة، ويبدو أن هذا التزامن (الذي يبدو أنه جاء مصادفة) جعل منظمة الهاغانا تعتقد أنه هو الذي زوّد البريطانيين بالمعلومات. ولذلك فإن أتباع الهاغانا خدروهما يوم 3 يوليو واختطفوهما، ثم خدروهما في اليوم التالي ونقلوهما ثانية. وبعد أسبوع أُخلي سبيل فروبند، أما پاپانك فقد عُذِّب، وضُرِب، وأُحرِقت أجزاء، بينها مناطق حساسة من جسمه، من أجل الحصول على «اعتراف» منه. ومن ثم وجدته محكمة الهاغانا أو «المحكمة العليا للحركة السرية» مذنبا «بالخيانة العظمى». لكن الحظ ابتسم له فجأة. ففي الطريق إلى مكان إعدامه صادفته ومرافقيه نقطة تفتيش، فصار لزاما عليهم أن يخفوه، وعند تلك اللحظة هرب، فأعاده البريطانيون إلى تشيكوسلوفاكيا، بينما أعلنت إذاعة كول إسرائيل أن «محكمة الشعب اليهودي قررت نفيه»[60].

اتصف رد فعل العصابات الإرهابية على أغاثا بالسخرية اللاذعة من العجز البريطاني. وكان البريطانيون لايزالون يدرسون آثار العملية عندما نسف إرهابيو الإرغون بقيادة مناحيم بيغن جناحا من فندق الملك داود في القدس يوم 22 يوليو. وقد حظي التفجير بموافقة منظمة الهاغانا وتعاونها وجاء توقيته ليتوافق «مع

وجود أكبر عدد ممكن من الناس في البناية» كما لاحظ تقرير بريطاني مصدوم. كان ذلك «قتلا جماعيا» كما وصفه كننغهام، «أزال جانبا كاملا من الخدمات العامة»: فقد شمل القتلى الذين بلغ عددهم 91 قتيلا واحدا وأربعين فلسطينيا (لاحظ أن البريطانيين أنفسهم وصفوا هؤلاء القتلى بالفلسطينيين وليس العرب)، وثمانية وعشرين بريطانيا، وسبعة عشر يهوديا، وأرمنيين، وروسيا واحدا، ومصريا واحدا. وبلغ عدد الجرحى واحدا وستين.



تفجير فندق الملك داود في 22 يوليو، سنة 1946

بدأت تلك العملية المخطط لها بدقة متناهية عندما أزاح أتباع الإرغون بالملابس العربية موظف الاستقبال، بينما جمع غيرهم من «العرب» بقية العاملين في الفندق وحشروهم في الطابق السفلي. ثم جيء بأوعية الحليب المملوءة بخمسمائة باوند من مادة شديدة الانفجار إلى الطابق السفلي للفندق من الطريق المؤدي إلى مطعم لا ريجانس، ووضعت مباشرة تحت المقهى، وضُبط توقيت انفجارها بحيث يكون بعد الظهر بنصف ساعة، وهو موعد الغداء. لكن موظفي الأمن سرعان ما أحسوا

بوجود دخلاء، وربما كان في وسعهم اكتشاف القنابل وإخلاء الفندق - ولكن أتباعا آخرين للإرغون يرتدون أيضا ملابس عربية نفذوا تفجيرا تمويهيا بين الفندق ومقر رابطة الشبان المسيحيين (دعاها بيان الإرغون فيما بعد بالقنبلة التحذيرية)، ثم هربوا بسيارة صالون.

عند الساعة الحادية عشرة من تلك الليلة أصدرت منظمة الهاغانا أمرا عاما ينص على اتخاذ إجراءات متعددة لحماية المسؤولين عن المذبحة: يجب استخدام أسماء مستعارة وعدم إبراز بطاقات هوية. على من تحوم حولهم الشكوك ألا يبيتوا في بيوتهم الحقيقية. على الفرق المسلحة أن تعود إلى مستوطناتها إلى أن تهدأ الأمور. وإذا ما وجد البريطانيون مخبأ للأسلحة فيجب تنفيذ هجوم على مبعدة كيلومتر واحد على الأقل من مكان المخبأ (للتضليل فيما يبدو).

يقول تقرير دعاه البريطانيون «موثوقا» إن ممثلين لمنظمات الإرغون وليهي والهاغانا اجتمعوا في تنفيذ؛ أي في 21 يوليو في منطقة سْديروت چن في تل أبيب للتخطيط للعملية، وكان الحاضرون مناحيم بيغن وناثان فريدمن يلن وموشي سنيه، وإتسحاك إش- شاده (فلدمن). ويقال إنهم قرروا أي عصابة ستتولى الهجوم بالقرعة.

في اليوم التالي لأشهر هجوم إرهابي شُن في عهد الانتداب «ألصق الشباب اليهود بيانات تمتدح التفجير على جميع جدران تل أبيب ومتاجرها». غير أن الحادثة «جعلت عددا من الناس في هذا البلد يزودون السلطات بالمعلومات عن الإرهابيين المحتملين في فلسطين» على مدى الأيام العشرة التي تلت ذلك الهجوم[61].

لكن قيل - بغض النظر عن قصة القرعة - إن بيغن أخبر الكنيست بعد أربع سنوات بأن بن غوريون نفسه هو الذي أمر بنسف فندق الملك داود، وأنه طلب من بيغن أن يجعل الإرغون «تتحمل تبعات الجريمة في نظر العالم من أجل تبرئة الوكالة اليهودية». وهذا الكلام تدعمه وثائق من داخل الوكالة تثبت أن موشي سنيه كان على علم مسبق بالهجوم على فندق الملك داود، وأن «حركة المقاومة اليهودية» (الهاغانا والوكالة اليهودية) يمكنهما إنكار العلم بالهجوم، كما يؤكده «الأمر العام» الذي أصدرته منظمة الهاغانا لحماية المهاجمين[62].

في 24 يوليو أصدرت منظمة الإرغون، بعد الاستنكار الدولي، بيانا تلوم فيه البريطانيين على الهجوم الذي تعرض له الفندق، وتعبر عن أسفها على وجود يهود

بين القتلى، وتدعي أنها أجرت اتصالات تليفونية مع الفندق من أجل إخلائه. أما الوثائق البريطانية فتنفي نفيا قاطعا ورود مكالمات في وقت يسمح بالإخلاء، وهو ما تدعمه مقابلة أجراها مؤلف هذا الكتاب مع أحد الذين نجوا من التفجير. كما أن ادعاء الإرغون يتناقض مع توقيت الانفجار بحيث يصادف الوقت الذي يكون الفندق فيه في أشد الأوقات ازدحاما.

ولكن بغض النظر عن قيمة الاتصالات بوصفها دفاعا أخلاقيا فإنه من غير المعقول أن يظل أي شخص في البناية إلى أن تنفجر، ولا حتى موظفو البدالة الذين يتلقون المكالمات. لقد كان البريطانيون مدركين تمام الإدراك قيمة الفندق بصفته هدفا سياسيا: وكانت الاحتياطات الأمنية في البناية، وفقا لوثيقة يعود تاريخها إلى ما قبل التفجير بسبعة أشهر بالضبط، «تشمل كل ما يمكن عمله من غير إعلان الحرب المفتوحة وفرض حالة الحصار». أما «تحذيرات» الإرغون فلم تكن قابلة للتصديق، إذ قامت هذه المنظمة الإرهابية بإلقاء قنابل زائفة لصرف النظر عن الهدف الحقيقي[63].

يبقى تفجير فندق الملك داود مثالا يرمز للإرهاب في حقبة الانتداب، وتستشهد كتب التاريخ به على أنه أفظعها. لكن هذا ليس صحيحا، فقد كان تفجير السفينة پاتريا في العام 1940 أشد تدميرا بثلاث مرات؛ لأن عدد القتلى كان 267، ولأن الجريمتين تتطابقان من حيث الادعاء بأن ارتكابهما لم يكن يقصد منه أن يؤدي إلى قتلى. أما تلك الأعمال التي اعترف مرتكبوها بأن القتل هو الهدف فإن واحدا منها على الأقل، وهو ذلك الذي استهدف سوقا فلسطينية، أدى إلى قتل عدد أكبر (نحو 120)، وهو ذلك الذي جرى في 6 يوليو من العام 1938، وكذلك المذابح التي سترتكبها الجيوش الإسرائيلية فيما بعد في قرى مثل دير ياسين، وهي المذابح التي راح ضحيتها عدد أكبر من ضحايا الهجوم على فندق الملك داود. ما الذي يجعل الهجوم على فندق الملك داود رمزا لإرهاب الحقبة السابقة لإنشاء الدولة؟ السبب فيما يبدو هو قابلية هذا التفجير للانسجام مع الرواية الصهيونية: إذ كان من الممكن أن تعد البناية هدفا عسكريا لأنها كانت مقر الإدارة التابعة لوزارة المستعمرات البريطانية، خلافا للهجمات الأخرى التي كانت أشد فتكا[64].

قالت إذاعة «صوت النضال الصهيوني»، بعد تفجير فندق الملك داود: «سنمضي في طريقنا، طريق الآلام، طريق الحرب». أما صحيفة داڤار اليومية التي تصدر بالعبرية فقالت إن الهجوم «لن يغير النضال الصهيوني»، ولكن النضال من أجل «الخطط السرية للصهيونية» سيكون «أفظع وأمرّ». أما الإرغون فقد أشارت في نشرتها الإخبارية «حيروت» إلى حملتها الإرهابية بوصفها «الحرب العالمية الثالثة». أما بالنسبة إلى الفلسطينيين فقد أكد الهجوم مخاوفهم من أن «الحكومة لن تتمكن من حماية العرب وأملاكهم من الإرهابيين اليهود» (وفقا لما جاء في تقرير بريطاني).

ومن المفارقات المضحكة أن العميد إلتد كليتن كان يقول مازحا عن مدح الصهاينة للإرهاب: إننا قد نرى يوما مناحيم بيغن رئيسا للمنظمة الصهيونية - ولم يدر في خلده أن بيغن سيصبح في يوم من الأيام رئيس وزراء إسرائيل وسيُمنح جائزة نوبل للسلام. وقد كتب هذا الذي شهد الحربين العالميتين ما يلي:

> أليس هنالك ما يقنع الناس في [بريطانيا] أننا في تعاملنا مع الصهيونية السياسية إنما نتعامل مع شيء أساسه العاطفة، وشهوة القوة، وكراهية الغرب، وأنه ظالم في جوهره...[65].

استدعت وحشية الهجوم على فندق الملك داود عملية ضخمة لمحاربة الإرهاب رُمِز إليها باسم «شارك» (سمك القرش). ففي صباح 30 يوليو أحاط عشرون ألفا من الجنود الذين جاء أكثرهم من الفرقة السادسة المحمولة جوا بمدينة تل أبيب وفتشوا 100 ألف من سكانها وفق تعليمات «تتطلب الانتباه للنساء الكاذبات والمرضى الكاذبين». وفي الأيام الأربعة التالية اكتشفت الحملة خمسة مخابئ للأسلحة، وتبين أن الكنيس الأكبر في تل أبيب، الواقع عند الرقم 110 في شارع ألنبي هو المكان الذي استعمل مخبأ لكمية كبيرة من الأسلحة، ومن معدات التزييف، ومليون دولار (وفق بعض التقارير) من السندات الحكومية المزيفة. كما وُجد مخبأ كبير آخر للأسلحة خلف جدار فارغ في حمام مدرسة فنية.

ظلت منظمة الإرغون تكسب الأتباع، ومعها منظمة ليهي وإن بدرجة أقل، من المنشقين عن منظمة الهاغانا. وقد أعطيت ثلاثة أسباب لهذا الانشقاق: الغضب من خيانة الهاغانا لبعض أتباع الإرغون بإبلاغ البريطانيين عنهم (الخيانة على أساس التنافس وليس على أساس الأخلاق في رأي كولك)، والغضب من التساهل

في الإجراءات الأمنية، وهو ما مكن البريطانيين من الحصول على وثائق «وكميات كبيرة من المعلومات عن المنظمة»، و«الاشمئزاز من إنكار الوكالة [اليهودية] علاقتها بالهاغانا وكل ما أنجزته». وقد حصلت الإرغون على قدر كبير من القوة، وادعت، على سبيل المثال، أن تخفيف الحكم بالإعدام على إرهابيين وغير ذلك من التنازلات «جاءت لتهدئة المعارضة الأمريكية [التي يحركها فرع الإرغون في الولايات المتحدة] في ضوء القرض الأمريكي لبريطانيا». من جهتها وعدت الهاغانا بـ «نشاط أكبر في المستقبل»[66] لوقف هذا الخروج من صفوفها للالتحاق بصفوف المنافسين.

بدأ شهر أغسطس بتفجير سكة الحديد بالقرب من پتاح تكفا. وفي اليوم الثاني من الشهر استيقظ سكان مدينة سالزبورغ في النمسا ليجدوا أن مدينتهم «قد امتلأت بملصقات بعشر لغات» تشجع اليهود الشباب على الانضمام إلى منظمة الإرغون والذهاب إلى فلسطين، وهذا ما وصفه البريطانيون بـ «الخطة المدبرة المستمرة المنظمة لخلق دولة صهيونية بالقوة، باستغلال آلام أناس سيئي الحظ».

حُشروا في سفن مزدحمة غير صالحة للإبحار، من دون طعام يكفيهم، وفي أوضاع بالغة السوء، وجيء بهم عبر البحر الأبيض المتوسط، مدفوعين بعقيدة زُرعت فيهم مفادها أن هذا هو سبيلهم الوحيد للسلامة[67].

لقد احتاج زرع تلك العقيدة إلى بث الرعب بحرب لا نهاية لها، وفكرة تقول إن الخلاص من هذا الرعب لا يتحقق إلا بمجيء دولة صهيونية ذات مواصفات توراتية (حرفيا وجغرافيا). ولذلك نشرت صحيفة «الكفاح اليهودي» في ذلك الشهر رسما كاريكاتوريا يظهر الفرقة السادسة المحمولة جوا وهي ترسل يهودا هدهم الجوع إلى غرف الغاز، ورئيس الوزراء أتلي وبفن وهما يحطمان آخر أمل لليهود في البقاء بأخذهما مقصا (أي التقسيم) إلى خارطة لفلسطين وشرق الأردن[68].

عندما وصلت سيارة الإسعاف التابعة للصليب الأحمر إلى المستشفى الحكومي في يافا يوم 11 أغسطس، نزل منها خمسة من موظفي المستشفى - أو هذا ما دلت عليه ألبستهم - وطلبوا من المسؤول مكان عضوي الإرغون اللذين كانا يتلقيان العناية الطبية، فشك الحرس فيهم وطلب تعزيزات. وهنا حدث تبادل إطلاق النار بين الجانبين، ولكن المتنكرين الخمسة تمكنوا من الهرب بسيارة الإسعاف المسروقة.

وفي اليوم الثالث عشر من أغسطس أدى تغيير في السياسة البريطانية إلى صب

مزيد من الوقود على نار الإرهابيين. فحتى ذلك التاريخ لم يكن المهاجرون غير القانونيين يُمنعون من النزول إلى أرض فلسطين، بل كانوا يحجزون في معسكر عثليث إلى أن يطلق سراحهم وفق النسبة المسموح بها آنذاك، وهي 1500 شهريا (وهي تتجاوز ما سمح به الكتاب الأبيض). وبما أن هذه السياسة افترضت السماح بهجرة صهيونية لا حدود لها، فقد ارتئي أنها تتعارض مع القرار الذي قد يُتّخذ حول مستقبل فلسطين، لذا فإن السياسة الجديدة اقتضت أن يؤخذ المهجَّرون إلى مخيمات في قبرص إلى أن يتخذ ذلك القرار، واستُثني من هذه السياسة المرضى والأطفال والحوامل.

كانت الحوادث الإرهابية التي وقعت بين حين وآخر في هذا الشهر من النوع غير الخطير نسبيا. فمن بين عدد من الحوادث التي حدثت في 16 أغسطس نذكر أن منظمة ليهي ألقت قنبلة على مطحنة للدقيق في تل أبيب لأن صاحبها رفض التبرع. وفي 21 أغسطس وضع ثلاثة سباحين ينتمون إلى منظمة الهاغانا قنابل في سفينة اسمها Empire Rival (ند الإمبراطورية) في ميناء حيفا؛ فأحدث الانفجار خرقا فيها طوله ثماني أقدام وعرضه ثلاث أقدام. وفي الساعة العاشرة ليلا بتوقيت فلسطين من يوم 29 أغسطس أعلنت بريطانيا تخفيف حكم الإعدام عن ثمانية عشر إرهابيا من أعضاء ليهي، عقب وصول تحذيرات استخبارية مفادها أن موجة كبيرة من الأعمال الإرهابية والاغتيالات ستحدث إذا ما نُفّذت الأحكام. كذلك شهد شهر أغسطس دعوات لإقامة تجهيزات يهودية قادرة على التعامل مع الانشطار الذري في فلسطين[69].

وفي سبتمبر أنتج بيتر بيرغسن مسرحية بن هخت المعنونة «ميلاد علم»، وقد ضم الممثلون مارلون براندو وبول موني، وذهب ريعها إلى منظمة الإرغون التي جرى تصوير إرهابها تصويرا رومانسيا. وقد تمكن بيرغسن، بحركة تسويقية ذكية جمعت بين المهارة والمفارقة، من خطب ود الأمريكيين التقدميين لتقبل قضيته القائمة على التفوق العرقي وذلك برفضه التمثيل في أمكنة تقوم على الفصل العنصري (بين البيض والسود). أما رئيس الجامعة العبرية يهودا ماغنس، الذي كان في الولايات المتحدة آنذاك، فقد استنكر تمجيد العنف اليهودي، فرد عليه هخت بأن سخر من «اليهود بالملابس الأنيقة والأدمغة المرغوبة».

المقدمة

التعقيدات الغيبية وغيرها من الأساطير

النازي نازي سواء أكان يهوديا أم غير يهودي، وإنه لشعور زائف عند اليهود أن يدينوا النازية ويرضوا بالفاشية اليهودية.

احتجاج عبَّرت عنه جماعة اشتراكية يهودية اسمها Hashomer Hatzair في 13 مارس من سنة 1946 في اجتماع سري للهاغانا، المنظمة التي شكلت نواة جيش الدفاع الإسرائيلي[1].

ننوي أن نهاجم ونحتل ونحتفظ إلى أن نحصل على أرض فلسطين وشرق الأردن كلها لنجعلها إسرائيل الكبرى. وهذا الهجوم هو الخطوة الأولى.

تصريح صحافي أصدرته في 13 أبريل من سنة 1948 منظمة الإرغون الإرهابية بقيادة مناحيم بيغن رئيس الوزراء الإسرائيلي فيما بعد، تعليقا على مذبحة دير ياسين التي كانت

«تحوّل الإرهاب الصهيوني إلى عمليات عسكرية إسرائيلية، والفلسطينيون الذين كانوا يحاولون العيش في بيوتهم وعلى أراضيهم إلى متسللين، بينما أصبح آلاف اليهود، الذين نُقِلوا على عجل إلى بيوت مسروقة، مواطنين»

في هذه الأثناء دعا بفْن إلى عقد مؤتمر بين الزعماء العرب والصهاينة لبحث مستقبل فلسطين، فوافقت الدول العربية على الحضور بينما رفض ممثلو الفلسطينيين، فقد تمسكوا بحق تقرير المصير، لذا فإنهم لم يروا ثمة ما يستوجب البحث، ورفضت الوكالة اليهودية الحضور لأن بريطانيا رفضت الشروط المسبقة ورفضت الإفصاح عن اقتراحاتها مقدما. وقد كتب بفْن: «لو سُرِّب مثلا أننا كنا على استعداد للنظر في التقسيم» - وهذه كلمة أصبحت مترادفة مع قيام الدولة الصهيونية - «لغيّر اليهود أساليبهم، بعد أن أوصلونا إلى تلك النقطة، وضغطوا على الولايات المتحدة للحصول على فلسطين كلها».

كان من بين الشروط المسبقة التي وضعتها الوكالة اليهودية للحضور السيطرة على اليهود في العالم: فقد طالبت بالحصول على السيطرة على من هم اليهود الذين يمكنهم الحضور من أي بقعة من العالم وبغض النظر عن الجنسية. وعندما سُئلت غولدا مائير (كانت تعرف بغولدا مايرسن في ذلك الوقت) عن هذه النقطة في مقابلة صحافية لجأت إلى كلام يعوزه المنطق، وانتهت إلى القول إن الوكالة اليهودية هي التي تنطق باسم اليهود. أما الشروط المسبقة الأخرى التي وضعتها الوكالة اليهودية فقد رأى فيها رئيس الوزراء أتلي حيلة للوم العرب ولتحاشي وضع يضطر اليهود فيه إلى تأييد التقسيم – وهذا ما عكسته حركة اقترحها بن غوريون يمكن فيها استغلال التقسيم من دون الدعوة إليه. وهكذا كان ممثلو الدول العربية هم الحاضرين الوحيدين إلى مؤتمر لندن. فقد قاطعه الفلسطينيون سلميا، بينما قاطعته الصهيونية بمنتهى الغضب[70].

«هذا هو احتجاجنا على مؤتمر لندن»، بهذه العبارة الغاضبة المطبوعة على الآلة الكاتبة عبرت منظمة الإرغون عن موقفها، وأعلنت أنها شاركت في حملة التفجيرات المكثفة التي بدأت يوم الثامن من سبتمبر ودامت ثلاثة أيام، وهو ما عبرت عنه صحيفة «التايمز» في عنوانها الرئيس بقولها: «يوم من التفجيرات الفظيعة في فلسطين، الإرهاب عشية مؤتمر لندن». فبعد تفجير بعض الجسور فجّر الإرهابيون البرج المسؤول عن التحكم في الخطوط التابع لسكة الحديد قرب حيفا؛ فدمروا البناية وقتلوا طفلا فلسطينيا كان قريبا منها. وأستمر تفجير شبكة السكك الحديد طوال الليل، ونسفت خطوط الاتصال بين فلسطين وشرق الأردن، وانفجرت

قنبلة عند جسر لسكة الحديد قرب حيفا بينما كانت المحاولات تجري للتخلص من قنبلة أخرى، ونُسف ممر مستوٍ قرب مصفاة البترول قرب حيفا، وقُطعت ثلاثة أنابيب للنفط، وأُشعلت النيران في النفط المنسكب. وفُجِّر الخط الحديدي الواصل بين اللد والقدس في المنطقة الواقعة بين بتير والقدس، ودُمِّر الخط الرئيس الواصل بين حيفا والقنطرة في أماكن متعددة منه بواسطة عدد من التفجيرات، وسببت ستةُ تفجيرات قرب طرشيحة (عكا) تخريبَ الخط الواصل بين حيفا وبيروت، فيما اكتُشفت قنابل أخرى هناك وعلى الخط الواصل بين اللد وتل أبيب وفُجِّرت، وهو ما أنقذ حياة بعض الناس وإن لم ينقذ البنية التحتية، وظل البريطانيون يبحثون عن مزيد من القنابل ويتفادون مزيدا من الهجمات[71].

«رقيب يقتله اليهود»، هذا هو العنوان الذي استخدمته صحيفة «التايمز» للإخبار عن اغتيال منظمة ليهي للرقيب ت. غ. مارتن صباح يوم التاسع من سبتمبر في حيفا انتقاما لقبضه على إسحاق شامير، أحد قادة العصابة (كان هذا الشخص الذي سيتولى رئاسة وزراء إسرائيل مرتين في المستقبل قد تخفى بزي حاخام أرثوذكسي ملتح).

في تلك الليلة ذهب «يهود بزي الجنود» بسيارتين إلى دائرة رقابة الأغذية، وبعد أن قتلوا الحارس اشتبكوا مع ضابط الأمن المحلي في حيفا، وهو الرائد دزمند دوران، الذي كان يتناول طعام العشاء مع زوجته في شرفة المنزل. نسف الإرهابيون - وكلهم من منظمة ليهي - البيت فدفنوا بذلك الزوجين وشخصا آخر على الأقل تحت الركام. لم يمت دوران مباشرة. واستمر هذا الفيض من الاغتيالات مستهدفا وسائل الاتصالات والمواصلات، وكل من هو مسؤول عن الأمن العام، وعمال الإغاثة: فقد نُسفت سيارة إسعاف جاءت لمساعدة الجرحى شمالي الخضيرة[72].

وعندما وقفت سيارة جيب كانت قد أرسلت للتحقيق في انفجارات حدثت في قيسارية وطولكرم ويتاح تكفا بسبب الألغام، لم يكن ذلك سوى فخ، إذ لم يكد ينزل الرقيب من السيارة حتى أُطلِق الرصاص عليه فقُتل. وبعد خمس عشرة دقيقة ألقيت قنبلتان على سيارة جيب تمر من رامات هادار. ولُغِّمت طرق عديدة جنوب رحوفوت، وجُرِح ضابط وجندي قرب كفار فتكن، واكتُشفت عبوات ناسفة على خط السكة الحديد الواصل بين اللد وكفر جنس، وهزت الانفجارات محل

شيلوش على طريق يتاح تكفا. وأُلقيت قنبلة على عربة قطار (ترولي) تحمل عمالا مدنيين قرب راس العين فانحرفت عن سكتها، ونُسِفت السكة في منطقة الخضيرة وزخرون بنيامين. واستُهدِفت القطارات المدنية قرب بتير وقرب قلقيلية بالقنابل مثلما استُهدفت سكة محاذية لمجرى مائي قرب رحوفوت. وكان الدير اليوناني على مشارف القدس مسرحا لتبادل إطلاق النار بين الإرهابيين والشرطة. وأُرسِل ثمانية آلاف من العساكر البريطانيين إلى تل أبيب ورامات غان المجاورة، ولكن «الفظائع اليهودية» (بتعبير كننغهام) استمرت.

ملأت عبارات التباهي بالأعمال الإرهابية التي نفذتها منظمة الإرغون للتعبير عن مناهضتها لمؤتمر لندن ما أذاعه راديو «صوت صهيون المحارب» يوم 11 سبتمبر، بينما استخدمت منظمة ليهي نشراتها لذكر قائمة بإسهاماتها. وكانت القوائم تكشف عن الاختلافات في فلسفة العصابتين الإرهابيتين: فقد نفذت الإرغون الجانب الأكبر من التدمير الجماعي، بينما ركزت ليهي على أهداف أصغر وعلى الاغتيالات.

استهدفت الإرغون فرعي البنك العثماني في كل من يافا وتل أبيب يوم 13 سبتمبر فقتلت شخصين في أثناء تنفيذها هجوما لتحويل الانتباه على المركز الرئيس للشرطة في يافا. فقد وصل المهاجمون بواسطة سيارتي جيب إلى الشارع الرئيس في شارع بطرس في يافا وألقوا قنابل حارقة أصابت المارة عندما اشتعلت. وفي الوقت نفسه هاجمت جماعة أخرى مركز الشرطة الواقع في الطرف الآخر من الشارع، وهاجمت جماعة ثالثة البنك العثماني. وأعلنت نشرة أخبار أذاعتها محطة «كول إسرائيل» أن الهجمات كانت جهدا مشتركا بين الإرغون وليهي. وذكرت صحيفة «الكفاح اليهودي» في لندن أن «المنظمتين هاجمتا بنوكا في مدن مختلفة في فلسطين» وقتلتا أربعة من العرب. وفشلت محاولة لنسف سكة الحديد قرب قلقيلية يوم 18 سبتمبر، ولكن الإرهابيين زادوا من ثرائهم في اليوم التالي بارتكاب «سرقة نهارية جريئة» (كما وصفها البريطانيون) لكل ما عرضه مؤتمر عقده مصدرو المجوهرات في تل أبيب[73].

وعند الساعة 12:50 من ظهيرة يوم 20 سبتمبر فُجرت محطة القطار الشرقية في حيفا فدُمِّر جانب كبير منها، فضلا عن بعض عربات القطار والدكاكين القريبة. وبعد ثلاثة أيام نُصب كمين لقطار محمل بالنفط، كان يسير على الخط الواصل بين حيفا

والقنطرة شمالي الخضيرة، وأُلقيت عليه القنابل، وهوجم بالرشاشات الأوتوماتيكية. «خرج ثلث القطار عن مساره بواسطة متفجرات يجري التحكم فيها من بعد... وفتح المهاجمون النار على حراس القطار، وحاولوا إشعال النفط باستخدام الطلقات الحارقة». وقُتل حارس في هجوم على جسر يقع على فرع اللد - يافا، وفي 27 سبتمبر «هاجم حشد مكون من 400 يهودي» حافلة ركاب فلسطينية في يافا بالحجارة.

أخذت الكلاب تستخدم الآن لاكتشاف أشياء مخفاة عجزت الأدوات الكاشفة عن المعادن لدى مدربيها عن اكتشافها بعد أن كانت استُخدمت في تتبع الأثر. تشير الكلاب المدربة إلى اكتشاف «خبيئة» بنبش التراب من فوق البقعة المشكوك فيها ثم بالجلوس أو الارتماء فوقها، وإذا حالفها النجاح كوفئت بقطعة من اللحم. في روهاما وجد كلب يدعى دمبو جهاز إرسال لاسلكي، ووجد كلب يدعى ركس شيئا غريبا في دوروت. وعند حفر المكان الذي عينه ركس وجد البريطانيون بابا خشبيا تحت طبقة من التراب عمقها ثلاث أقدام ونصف القدم، يخفي تحته كمية كبيرة من الرشاشات الخفيفة والثقيلة والبنادق القصيرة ومدافع الهاون وغيرها من المعدات العسكرية، وهكذا استحق كل من دمبو وركس نصيبه من اللحم.

مشّط البريطانيون ميناء حيفا يوم 29 سبتمبر استجابة لإخبارية معينة فاكتشفوا جهازا مصنوعا بمهارة فائقة قوامه ذراع وزنبركات كان بإمكانه حمل 50 باوندا من المتفجرات، بجانب سفينة تتزود بالوقود إلى جانب حاجز عند رصيف البترول في حيفا. وأغلب الظن أن الأهداف المقصودة هي المدمرات البريطانية التي تتزود بالوقود هناك. وكما في حالة السفينة شقرون قبل أربعة أشهر كانت المتفجرات موضوعة بحيث تشعل مخزن الذخائر في السفينة. وعندما أُصيب جيب بلغم صغير مساء اليوم التالي على الشارع الواصل بين حيفا وتل أبيب تمكن السائق من مواصلة السير بينما قفز واضعو اللغم من مخابئهم وأمطروه بنيران أسلحتهم، لكنهم لم يحدثوا سوى جرح طفيف. وفي تلك الأمسية أوقف الإرهابيون سيارتهم إلى جانب ضابط بريطاني يركب دراجة بخارية وقتلوه بأن أطلقوا عليه الرصاص من رشاشاتهم الأوتوماتيكية[74].

اقترحت سبع من الدول العربية التي تتشكل منها الجامعة العربية والحكومة البريطانية خطة جديدة في أواخر سبتمبر لإنهاء المذابح والانتداب. وضعت الخطة

الخطوط العريضة لحكومة فلسطينية ديموقراطية تتكون من اليهود والعرب ومن كل الأديان، مع حرية أن يكون رئيس الدولة من العرب أو اليهود. وكان واضعو الخطة واثقين بأنها تتفق مع المبادئ العالمية الخاصة بتقرير المصير. وقد سلم بفن بنفسه «المقترحات الخاصة بدولة ديموقراطية وضعها العرب» إلى وزير الخارجية الأمريكي بيرنز لئلا تكون الولايات المتحدة جاهلة بها. لكن الصهاينة رفضوها رفضا باتا وأصروا على أنهم لن يقبلوا بأقل من «دولة يهودية» في كامل فلسطين التاريخية[75].

زار موسى العلمي، الذي عمل مع اللاجئين بعد طرد الفلسطينيين من فلسطين في العام 1948 على تخضير صحراء أريحا، زار بفن في أواخر العام 1946. وقد وصفه بفن بأنه «صادق، مخلص، على استعداد تام للمساعدة». لام العلمي كلا من الصهيونية ووعد بلفور لأنهما دمرا قرونا من التعايش بين يهود المنطقة ومسيحييها ومسلميها، ولكنه أكد عدم الجدوى من النظر إلى الماضي. صار المستوطنون حقيقة واقعة، ويريد الفلسطينيون أن يعيشوا بسلام معهم - ولكن على قدم المساواة. أما «هذه الحركة باتجاه فلسطين فليست سوى رأس حربة»، وليست فكرة التقسيم سوى تكتيك[76].

لقد «اكتمل اضطهاد الصهيونية لليهود، وأصبح خوفهم منها كاملا» - هذا ما حذر منه «يهودي أمام جمهور من أعضاء ناد خاص»، وهو تحذير سجلته وثائق وزارة الحرب. وتابع كلامه بقوله إن المسار الذي تنتهجه الصهيونية «يمكن أن يكون كارثيا على اليهود وعلى سلام العالم أجمع». وقارن، كما فعل شهود آخرون، تجنيد الهاغانا للشباب تحت سن العشرين بحركة الشباب عند هتلر:

> على كل صبي بلغ السادسة عشرة أن ينضم إلى الهاغانا. فإن رفض فإن حياته في المدرسة ستكون بالغة الصعوبة ويُحرم من التدريب المهني ومن فرص العمل. وإن رفض الأهل فإن على [هؤلاء الصبية] أن يخدعوهم وأن يستجيبوا سرا لداعي الواجب. كذلك يجري تسجيل الأطفال من سن العاشرة في الأحزاب السياسية - كل ذلك يحدث بعد ثمانية عشر شهرا من قضائنا على هتلر إلى الأبد[77].

ويتحدث حتى الحاخامات الأرثوذكس من خبرتهم الشخصية عن خوفهم على وظائفهم وحياتهم، فمن الصعب جدا التوفيق بين الدعوة إلى فتح أبواب فلسطين

بالقوة بينما يقف الصهاينة ضد الملاذات الآمنة في غيرها. الصهيونية لم تقم قط على فكرة «آلام شعبنا» بل على أهداف سياسية. وتحدث المتحدث عن حالة أستراليا للتمثيل على كيفية استخدام المهجّرين «أدوات للدعاية لسياسة القوة» التي تتبعها الصهيونية:

> ليس ثمة من خيانة يمكن تخيلها أفظع ليهود أوروبا المعذبين من رفض الصهاينة السياسيين في أستراليا العرض الكريم الذي تقدمت به الحكومة الأسترالية لفتح شواطئها[78].

اتفق تقرير بريطاني مع هذا بقوله إن «اليأس» استُغلّ لغمر البلاد [فلسطين] بأكثرية يهودية. ورُفِض أي نوع من الإغاثة للمهجرين اليهود المعذبين سوى فلسطين. وانتشرت قصص عن الفظائع البريطانية «بلغ من تشويهها أنها لم يكن بالإمكان تبينها» لتمكين الولايات المتحدة من ممارسة الضغط على بريطانيا. لكن كانت هناك في الحقيقة «أعداد كبيرة من اللاجئين اليهود في أوروبا ممن أرادوا الهجرة إلى مناطق أخرى من العالم حيث الظروف المعيشية أسلم وأفضل مما هي عليه في فلسطين»، وذلك وفق ما ورد في تقرير استخباراتي بريطاني مستقل في سبتمبر، ولذلك فإن الصهيونية شنت حملة دعائية «وشيئا أشبه بالتهديد» لـ «إبقاء شعلة الصهيونية متقدة». وهكذا «يُدفع بالبقية الباقية من اليهود إلى الصعود إلى سفن قذرة متهالكة باستغلال اليأس والتعاسة الإنسانية» وبوعد لا يمكن للصهاينة أن يوفوا به[79].

في الليلة الأخيرة من سبتمبر وقعت سيارة جيب عائدة من ناتانيا إلى تل لتونسكي في كمين، وأُلقيت عليها قنبلة مولوتوف، ثم أُمطرت بوابل من الرصاص، فأصيبت فتاة في ظهرها. وأُردي رجل ينتمي إلى لواء المظليين الأول قتيلا بالقرب من بِتاح تكفا بإطلاق الرصاص عليه من سيارة عابرة. ثم ظهر تكتيك جديد، لعله من عمل منظمة ليهي، فقد وضعت لافتة بجانب الطريق كتبت عليها كلمة «ألغام» إلى جانب ستة ألغام غير حقيقية مصنوعة من صناديق الأحذية. وعندما توقفت إحدى المركبات لدى رؤية التحذير وقعت في المصيدة وقُتل من فيها. وقد فسر البريطانيون قتل «صناديق الأحذية» هذا بأنه يؤكد معلومات (أكدتها منشورات ليهي فيما بعد) تقول إن ليهي أخذت توسع من نطاق أساليبها لتشمل «أهدافا أقل أهمية» وضحايا بلا تعيين[80].

وبالفعل جاء شهر أكتوبر بحملة أعنف من الاغتيالات التي شنتها منظمة ليهي وفضلت أن يكون ضحاياها من الموظفين الذين يقضون وقت عطلتهم. ففي اليوم الأول من الشهر اغتالت ضابط صف تابعا للفرق المحمولة جوا، وحاولت قتل أشخاص في سيارة جيب على طريق حيفا - تل أبيب ولكنها فشلت. وفي اليوم التالي نسفت منظمة الإرغون بيت امرأة (يهودية) رفضت تمويلها. وفي السادس من الشهر فتحت الرشاشات الأوتوماتيكية نيرانها على شخصين تابعين لسلاح الجو وصلا من فورهما إلى فلسطين، فقُتل أحدهما مباشرة بينما كانت حالة الثاني حرجة، وكانت طريقة الهجوم مما عرفت به منظمة ليهي. فقد أطلق أتباعها الرصاص على الضحيتين من الخلف ثم اختفوا مباشرة «إلى مكان مناسب في حي يهودي» كما قال تقرير بريطاني. ورافقت العدد المتزايد من الاغتيالات زيادة مماثلة في ألغام الطرق التي سببت سقوط قتلى آخرين.

لم يحتفظ البريطانيون بسجلات عن هجمات المستوطنين اليهود المستمرة على الفلسطينيين إلا لماما لتأكيد أنها مستمرة. ففي هجوم وقع في تلك الليلة (6 نوفمبر) «طعنت مجموعة من الشباب اليهود عربيا في وقت الظهيرة عند شاطئ البحر». وقد وصف ملخص استخباري بريطاني هذه الحادثة بأنها «شبيهة باعتداءات كثيرة» ارتكبها اليهود ضد العرب[81].

شهدت فلسطين بعد يومين (أي في 8 نوفمبر) «عمليات تلغيم واسعة للطرق والسكك الحديد... على يد الإرهابيين اليهود». وفي واحدة من هذه العمليات أمكن تحاشي الأسوأ: فعلى الرغم من حدوث انفجار واكب مرور أحد القطارات على بعد 30 ميلا إلى الجنوب من حيفا على خط حيفا - القنطرة، فإن ما انفجر لم يكن سوى فتيلة التفجير، أما القنبلة الأكبر بكثير فلم تنفجر. ولُغِّم الطريق المؤدي إلى مقر الحكومة في القدس، وأُصيب مدني فلسطيني بلغم أرضي في حي الشيخ جراح على طريق جبل سكوبس، وفُجِّرت سيارة فلسطينية في تل أبيب.

و«فُجِّرت عبوة ناسفة كبيرة الحجم» كهربائيا على طريق القدس - يافا فنسفت شاحنة وقتلت اثنين من ركابها الخمسة وجرحت الباقين جروحا بالغة. وانتظر المهاجمون أول المستجيبين، الذي كان شرطيا، فقتلوه هو الآخر، ثم اختفوا في مستعمرة غفات شاؤول. ولُغِّمت ثلاث طرق أخرى، وكانت نتيجة ذلك إصابة

واحدة أخرى على الأقل، كان ضحيتها مدني فلسطيني. وبُترت أرجل بعض الناس بالألغام التي زرعت في الطريق الواصل بين يافا وبيت دجن، واكتُشفت ألغام أخرى على الطرق الواصلة بين پتاح تكفا وفلهلم (تدعى الآن بناي أتاروت)، وبين تل أبيب وپتاح تكفا وشرقي كربوت بيت - «وهي شرايين حركة السير في جميع أنحاء القطر»، وفق وصف منظمة الإرغون لإنجازات ذلك اليوم. من جانبها ادعت منظمة ليهي المسؤولية عن سلسلة من الهجمات في 9 نوفمبر شلّت فيها الحركة على الطرق بما زرعته من ألغام، وهاجمت السكة الواصلة بين حيفا والقنطرة، وفجرت قنبلة على طريق القدس - يافا، فقتلت شخصين وجرحت ستة آخرين[82].

و«هاجمت عصابة كبيرة من اليهود موقعا للتدريب العسكري» في نحو الساعة الواحدة بعد منتصف ليلة 11 نوفمبر، وسرقت أنواعا مختلفة من المسدسات والقنابل اليدوية والحربات إلى جانب ثلاث شاحنات. وجاء اليوم الثاني عشر بهجوم فاشل بالقنابل اليدوية، والثالث عشر بسرقة ناجحة لأجور العمال العاملين في شركة ياهالوم للمجوهرات، وهي شركة كان مالكها قد رفض دفع «اشتراكاته» لمنظمة ليهي. ولغمت العصابة الإرهابية الطرق في عدد من القطاعات يوم الرابع عشر ودمرت شاحنة تابعة للشرطة وجرحت ركابها. وعندما تعطل خط خدمة التلفونات المركزي في حيفا في تلك الليلة أمكن تتبع الخلل إلى ياركونا حيث كان «نحو 8 يهود» يحاولون وصل قنبلة بطرف السلك بواسطة فتيل قابل للسحب، بحيث يقتل الرجل الذي سيرسل لإصلاح الخلل.

بيد أن ليهي أحرزت نجاحا أكبر بعد مرور يومين، فبعد أن خرّبت خط التلغراف الرئيس بين حيفا وتل أبيب، لغمت في اليوم السادس عشر السلك بالألغام التي انفجرت عندما وصل المختصون بإصلاح الأعطال. وهكذا أصبح لزاما على كل من يسعى إلى الحفاظ على فلسطين مجتمعا تسير فيه الأعمال بشكل طبيعي أن يشعر بالخوف، وعندما اغتيل المفتش بروس في اليوم التالي على طريق يافا في القدس بعد أن حكمت عليه «محكمة الهاغانا» بالإعدام، «امتنع أي من السكان في ذلك الشارع» الذين شاهدوا عملية الاغتيال «أن يفضي بأي معلومات عن المسألة» وفق ما ورد في شكاوى البريطانيين.

لم يكن البريطانيون واثقين بعد التلغيم الواسع للطرق في ليل 17 - 18 نوفمبر بكون المسؤولية تقع على الإرغون أم على ليهي. فمع أن تلغيم الطرق كان في

العادة من أعمال الإرغون فإن ترقيب القنابل كان يُقصد منه القتل وليس القتل عرضا في أثناء التدمير. ويتعزز شكهم هذا من سجلات ليهي التي تذكر عمليات التلغيم في أربع مناطق وهجوما على نقليات للجيش. كانت ليهي قد وسعت من نطاق عملياتها.

وفي يوم 20 من الشهر نسفت تلك المليشيا سيارة جيب تابعة للجيش (وصفتها ليهي بأنها شاحنة) قرب ريشون ليتسيون، واختارت مكانا قرب بيت دجن بين مصنع للثلج وبناية لتخزين الأطعمة المثلجة. وقد وُجِد راكبا السيارة على قيد الحياة التي كانت قد أصبحت حطاما، ولكنهما كانا يعانيان جراحا بالغة وحروقا خطيرة، وسجحات عديدة وعددا من الأماكن المكشوطة. وتلت ذلك حوادث أقل خطورة مثل قطع السلك الواصل بين حيفا وتل أبيب. وفي اليوم التالي هاجم الإرهابيون قطارا قرب القدس فدمروا عربتين ثقيلتين، وهاجموا شاحنة للجيش قرب حيفا، ونسفوا سيارة جيب قرب ريشون ليتسيون، أسفرت عن إصابة شخصين بجراح بالغة.

حرّفت القنابل قطارا عن سكته الواصلة بين القدس واللد يوم الثاني والعشرين، وهوجمت شاحنة عسكرية قرب حيفا يوم الثالث والعشرين، وألقيت القنابل على ثلاث من نقاط التفتيش في القدس يوم الرابع والعشرين فقتل شخصان وجرح أحد عشر. كما تعرض جسر قرب الخضيرة للتفجير، وقطعت الأسلاك الواصلة بين القدس وبيروت وتلك الواصلة بين القدس والقاهرة. وخلال النهار دفنت ليهي عددا من القنابل في مناطق متفرقة، ولكن البريطانيين شكوا أن ليهي كانت تخطط للقيام بعدد من الاغتيالات، فأجروا تغييرات في توزيع قواتهم في اللحظات الأخيرة. أما أسوأ الهجمات التي كانت تنتظرهم تلك الليلة فقد نجاهم الحظ منها عندما أبت قنبلة «شيطانية ضخمة» مملوءة بالشظايا أن تنفجر[83].

سارعت الوكالة اليهودية، بعد أن أفزعتها إشاعات تتحدث عن التقسيم، في إقامة مواقع خارجية في النقب وجنوب فلسطين، وفي منطقة الحولة في الشمال لضمان المناطق التي توقعت أن تقع على الجانب الفلسطيني. وكانت الوكالة، وفق ما ذكر كننغهام، «تغرس مزيدا من المواقع الخارجية في منطقة لم يكن من المحتمل إعطاؤها لهم في أي خطة للتقسيم» بغض النظر عن التكاليف. فقد أنفقت، على

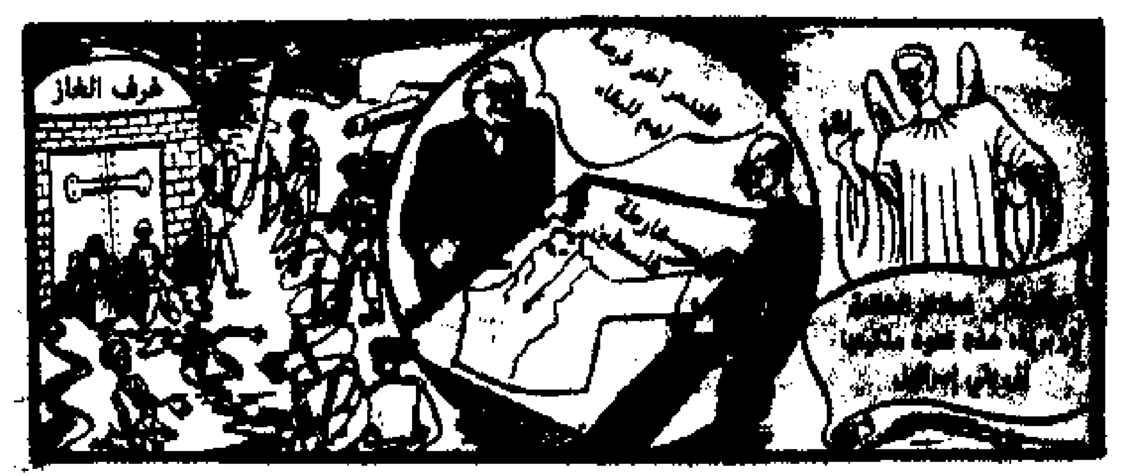
سبيل المثال، نحو 30 ألف باوند إسترليني لمد أنبوب ماء طوله 25 - 30 كيلومترا من أجل إنشاء موقعين خارجيين جديدين في عمق منطقة كانت واثقة بأنها ستكون على الجانب الفلسطيني من التقسيم.

جعل شبح التقسيم عضو مجلس الشيوخ السابق غاي جيليت، وكان في ذلك الوقت يقضي سنته الثانية في خدمة أنشطة الإرغون في الولايات المتحدة، ينشر إعلانات خلاصية ضخمة في الصحافة موجهة إلى هيئة الأمم المتحدة التي كانت قد أُنشئت حديثا. جاء في الإعلانات قوله «إن مصير العبرانيين ظل منذ زمن طويل مقياس الحضارة»، وظل تقرير ذلك المصير «أقدم عمل لم يُبَتّ فيه في التاريخ». والطريقة الوحيدة «لإنهاء هذا العمل» هي تسليم فلسطين للصهاينة[84].

وعندما عقدت المنظمة الصهيونية الأمريكية مؤتمرها السنوي في 26 أكتوبر، عبر رئيسها أبا سلفر عن تنديده بأي بحث في التقسيم - قال عنوان صحيفة «نيويورك تايمز»: «سلفر يطالب بفلسطين كلها» - وطالب بـ «العمل الشجاع الذي لا هوادة فيه» للحصول عليها كاملة. وشدد سلفر على «أن الحركة الصهيونية يجب أن تتمسك بالقول إنها ليست حركة هجرة أو لاجئين، بل حركة لإعادة بناء دولة يهودية للشعب اليهودي» - ومن هنا جاء حماس الصهاينة الأمريكيين لإعطاء الأمريكيين تصاريح هجرة كان يقصد منها أن تكون من نصيب المهجَّرين الأوروبيين. فالأمريكيون الأصحاء أقدر على استعمار البلاد(*) من الناجين المساكين من ويلات الحرب[85].

(*) العبارة الأصلية هنا هي made better colonists. كان من الممكن ترجمة العبارة بالقول: أقدر على إعمار البلاد. لقد حرصت باستمرار على عدم تحميل الكلمات والمصطلحات ظلالا من المعاني لم يقصدها المؤلف. لكن يرد في الكتاب مصطلحان متقاربان هما مصطلح settlement (مستوطنة) وما يتّصل بهذا المصطلح من كلمات مثل settle (يستوطن) وsettler (مستوطِن). أما هنا فالمصطلح الوارد في الكتاب هو colonists، وهو مصطلح له صلة بالتاريخ الأمريكي. فالتسمية الغالبة لاستيلاء الأوروبيين البيض على الأراضي الأمريكية العائدة لسكانها الأصليين هي أنهم colonists وأن ما أنشأوه هو colonies. لكن الكلمة توسّعت وأعطتنا مصطلح colonial ومصطلح colonialism. وأما colonial فأغلب استعمالاته تنحصر في وصف أسلوب العمارة الذي ساد في حقبة من حقب التاريخ الأمريكي، بينما اختلط مصطلح colonialism بمصطلح imperialism، بحيث يصعب التمييز بينهما أحيانا. وقد انعكست هذه الصعوبة على اللغة العربية فعُرِّبت imperialism بصيغة «الإمبريالية» وأخذت colonialism تدخل إلى اللغة العربية بصيغة «الكولونيالية». من أين جاءتنا كلمة «الاستعمار» إذن؟ وهل colonisers (أو colonizers بالتهجئة الأمريكية) مطابقة لكلمة settlers؟ الكلمة الأخيرة فُرِّغت من أحمالها السياسية تماما عن عمد لأن هؤلاء الـ settlers يندر أن يستوطنوا أرضا تخلو من السكان. وهذا على الأقل مثال على توجيه القوي للغة لتعني ما يريدها أن تعنيه. [المترجم].

من دان إلى بئر السبع، ومن جلعاد إلى البحر - كانت لنا وستعود



وزير الخارجية إرنست بفن (إلى اليسار) ورئيس الوزراء كلمنت أتلي يقسمان فلسطين إلى قسمين بمقص، ويعطيان الصهاينة أقل مما طالبوا به وهو كل فلسطين وشرق الأردن. وعلى اليسار لم تنته الحرب بعد، والبريطانيون هم النازيون، والفرقة السادسة المحمولة جوا ترسل اليهود إلى غرف الغاز. عن مجلة The Jewish Struggle، أغسطس 1946.

قتلت منظمة ليهي جنديين في هجوم على شاحنة قرب فلهلم، إلى الشرق من تل أبيب، أو ما يقع الآن إلى الشمال الشرقي من مطار بن غوريون. وكانت منظمة الإرغون نشطة هي الأخرى، فقد نسف أتباعها سيارات على طريق حيفا - يافا ثم هربوا إلى مستوطنة غان حاييم، بينما نسف آخرون شاحنة مدنية فلسطينية وسيارة عسكرية بريطانية في منطقة الشيخ جراح من القدس، فقتلوا شخصين على الفور وتركوا أربعة في وضع سيئ، ثم اختفوا باتجاه الأحياء اليهودية المجاورة.

افتتحت عمليات التفجير الأوروبية ليلة الثلاثين من أكتوبر بإلقاء القنابل على السفارة البريطانية في روما. لكن تلك الحادثة لم تكن سوى هامش على يوم حافل في فلسطين. بدأ اليوم عند الساعة 5:45 صباحا عندما نسف «المتطرفون الصهاينة» (كما وصفتهم صحيفة «نيويورك تايمز») شاحنة في القدس فقتلوا جنديين وجرحوا سبعة عشر، بينهم أربعة في حال خطيرة. وكان التفجير من القوة بحيث اشتعلت النيران في الشاحنة التي خلفها ودمرت بذلك حمولتها من البطانيات والفراش، وقذفت بالشاحنة فوق الرصيف، وسببت انقلاب شاحنة مدنية فلسطينية محملة بالعنب لسوق المدينة. ودفع التفجير بإحدى الضحايا قذفا مسافة 30 ياردة (وكانت ليهي قد تباهت بهجوم مشابه يوم 27 أكتوبر، ولكن ربما كان التاريخ غير صحيح). وسبب هجوم آخر انحراف قطار حيفا - اللد عن سكته، وأوقع بشاحنة في شرك

من الأسلاك المتشابكة منصوبة على الطريق، ونسفت سيارة جيب أصيب فيها شخصان، ودمرت شاحنة بلغم فجر كهربائيا، فقتل شخصان. واكتشفت كمية كبيرة من الأسلحة تضمنت متفجراتها ما تحتاجه من فتائل لقنابل الأسيد في مستوطنة غفات شاؤول في كوخ قرب مصنع للبسكوت[86].

عند نحو الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم الثلاثين من شهر أكتوبر وقفت سيارة أجرة خضراء عند محطة القطار في القدس وخرجت منها فتاة وهي تحمل ثلاث حقائب مملوءة بمواد شديدة الانفجار، وذهبت إلى غرفة الحجز وأهملت الحقائب. وعندما عادت أطلقت النار على مدني فلسطيني ساوره الشك فيها وحاول إيقافها. ولم تكد تعود إلى السيارة التاكسي حتى شرع رفاقها بإطلاق النار على منطقة المحطة بينما أخذت السيارة تبتعد مسرعة.

سحب رقيب من الشرطة إحدى الحقائب إلى الخارج وفجرها بالمسدس، وعاد ليكرر العملية مع الحقيبتين الأخريين، فانفجرت الحقيبة الثانية، وأردته قتيلا، ودمرت غرفة الانتظار، ومكتب مدير المحطة، ومكتب الحجز، ومكتب السفريات العسكرية.

ثمة حاشيتان غريبتان لهذا الهجوم. فقد نشرت جريدة «پالستاين پوست» ادعاء من منظمة الهاغانا تقول فيه إنها أرسلت أحد أعضائها للتخلص من المتفجرات، ولكنه تأخر وقتل في تبادل للنار بين رجال الشرطة وعصابة سيارة الأجرة. ولكن الهاغانا كانت تعرف أن حقائب كتلك كانت مفخخة، بينما لا تذكر الروايات الأخرى أحدا سوى الفلسطيني الذي تصادف وجوده هناك. وأما اللغز الثاني فهو أن البريطانيين قبضوا على أربعة من المهاجمين، بينما اختفى الخامس المعروف باسم يناي (ولكن اسمه الحقيقي كان هانس راينهولد). وقد خمّنت منظمة الإرغون أنه هو المخبر، فتتبع أعوانها الشخص الذي ظنوا أنه يناي في بلجيكا في مايو اللاحق وحاولوا اغتياله، ولكنهم لم يفلحوا[87].

وهكذا انتهت ساعات النهار من يوم الثلاثين من أكتوبر. لكن في ليلة 30 -31 من الشهر، أي بعد أربعة أشهر من استخدام العصابات الصهيونية لوسائل الاتصال الإيطالية للتهديد بالقيام باعتداءات على أرضها، دمرت الإرغون السفارة البريطانية في روما بحقيبة ملغمة فجرت بواسطة أداة توقيت. وحطم التفجير

النوافذ في منطقة واسعة، وأحدث أذى كبيرا لمبنى مدرسة عبر الشارع تديرها راهبات. وتختلف الروايات حول الإصابات، ولكن رجلا تصادف أنه كان في طريقه هناك عندما انفجرت القنابل «بلغ من سوء إصابته أنه لم يكن من الممكن سؤاله عما حدث». وبما أن أحدا لم يدّعِ المسؤولية فإن وسائل الإعلام خمّنت أن الفاعلين هم الشيوعيون والصهاينة. أما الحزب الشيوعي فقد اتهم الفاشيين. لكن عددا من المراسلين الأمريكيين العاملين في روما تلقوا بعد أربعة أيام (4 نوفمبر) «بيانا من القيادة العليا لمنظمة الإرغون في إرتس إسرائيل» يدعي المسؤولية عن تفجير السفارة:

> سنستمر في محاربة البريطانيين الذين يستعبدوننا، وما الهجوم على السفارة البريطانية في روما سوى بداية الحملة العسكرية التي سيشنها اليهود في الشتات.
>
> فليكن الله في عوننا. - الإرغون، نُشِرَتْ في أرض الشتات يوم 2 نوفمبر[88].

كانت مراكز اللاجئين اليهود في جنوب إيطاليا، وفق ما يقوله البريطانيون، «معاقل فائقة التنظيم والقوة للصهيونية المتطرفة». كانت هنالك أربعة مخيمات في كعب إيطاليا تابعة لإدارة الأمم المتحدة للإغاثة وإعادة التأهيل، وكانت تشكل بمجموعها «مقاطعة صهيونية في الأراضي الإيطالية... ويعتقد أنها ممتلئة بالأسلحة المُخفاة»، ولكن السلطات الإيطالية كانت تخشى، بطبيعة الحال، من التبعات السياسية لاستثارة معركة مع تلك الإدارة. وقد أدركت اللجنة الإنجليزية الأمريكية مدى تطرف تلك المخيمات عندما زارتها في فبراير السابق - لا بل إن بعض أعضاء اللجنة وجدوا عجلات سياراتهم ممزقة. وأجبر التفجير الذي جرى في روما السلطات على «وضع إدارة المخيمات تحت السيطرة المناسبة، لأن الشكوك حامت حول تمويل الإرهاب ببيع المؤن التي تقدمها إدارة الأمم المتحدة للإغاثة وإعادة التأهيل في السوق السوداء. وقد خشي البريطانيون، كما هو دأبهم، من إثارة حنق الأمريكيين «لأننا إن فعلنا فسنكسب عداوتهم إلى جانب عداوة الإرهابيين اليهود». وتحاشى كل من الجانبين البريطاني والإيطالي تفتيش المخيمات اليهودية خوفا من ردود الفعل العنيفة، واستغلال ذلك لدى الجمهور الأمريكي[89].

نشرت الصحف الإيطالية بعد سبعة أسابيع من تفجير السفارة ما دعاه البريطانيون ببيان «أوحت به السلطات الرسمية». قال البيان إن يهودا غرباء من

مخيمات المهجرين، ومنهم واحد من المخيم القريب من أوستيا، أقاموا مكتبا مزيفا لمراسلين في مكان قريب من السفارة. ثم جاء «نحو عشرين شخصا من فلسطين بتعليمات مفصلة حول طريقة التنفيذ، وكان الأمر المكتوب مُخفَى تحت نعل حذاء». وبعد الهجوم انتقل مكتب الإرغون إلى مكان آخر مع كل معداته، ولكن رجال الشرطة تمكنوا من الإمساك بحقيبتين ممتلئتين بالوثائق والمنشورات الدعائية، وقد دونت بها تعليمات خاصة بكيفية استخدام المتفجرات مكتوبة باللغة الألمانية ومترجمة إلى اللغة العبرية... لكن المؤكد أن أهم الأشخاص المشتبه فيهم تمكنوا من الهرب، باستثناء الشخص الذي قتله رجال الشرطة الإيطاليون في أثناء المحاولة[90].

بعد مضي خمس سنوات طلبت الحكومة الإسرائيلية من بريطانيا الضغط على إيطاليا بعدم ملاحقة الإرهابيين؛ بدعوى أن ملاحقتهم «ستستعيد ذكريات مريرة من الماضي». وكانت النتيجة إجراء محاكمة غيابية شكلية لثمانية من المشتبه فيهم يعيشون في إسرائيل. وفي 17 أبريل من سنة 1952 أصدرت محكمة روما حكما على زعيم العصابة موشي ديتل بالسجن ستة عشر شهرا وعلى سبعة آخرين من المشاركين في التفجير بالسجن مددا أقصاها ثمانية أشهر، ثم ألغيت هذه الأحكام المخففة. وقد لخصت صحيفة الديلي إكبرس هذه القضية على النحو التالي:

> صدرت هذا اليوم أحكام مخففة لم تلبث أن ألغيت بالعفو، بحق ثمانية من اليهود المتهمين بتفجير السفارة البريطانية في روما في نوفمبر العام 1946. لم يظهر أي من المتهمين، وقيل إنهم يعيشون في إسرائيل[91].

أخذ البريطانيون يقللون من أعداد مصابيهم نتيجة للهجمات الإرهابية بُعَيْد نسف سفارتهم في روما - أو هذا ما زعمته ليهي. فقد تباهت نشرتها الإخبارية بأن «العدو أصدر للمرة الأولى أعدادا كاذبة عن المصابين. ونحن نعلم علم اليقين أن أعداد الإصابات التي تكبدها البريطانيون تفوق تلك التي كشفوا عنها رسميا». وفي الوقت نفسه سخرت مجلة «الكفاح اليهودي» من كل من يهودي منوهين وبرونسلاو هوبرمان لمشاركتهما في العزف في قاعة ألبرت الملكية، وقارنتهما بموشي الذي رقص وغنى لظالميه في بولندا في القرن السابع عشر. ولقد كان في ذكر عازفي الكمان المشهورين معا بعض الغرابة. فقبل عشر سنوات كان هوبرمان قد أسس الأوركسترا الفلسطينية، وكان يهودي منوهين ابن موشي منوهين، الذي أصبح بعد

حضوره للمدارس التلمودية في القدس والمدارس المتشددة في كل من هرتسليا وتل أبيب ناقدا مفوها مشبوب العاطفة للصهيونية[92].

تعود التهديدات بشن الهجمات الصهيونية الإرهابية ضد بريطانيا على أرضها إلى أوائل العام 1944 على الأقل (الإرغون) والعام 1945 (ليهي). واستَنْزَل حتى ونِستن تشرشل المتحمس للصهيونية غضب ليهي عندما ندد باغتيال اللورد موين، وأشير إليه على أنه مستهدف في العام 1945. ووردت إخباريات في ذلك الخريف تحذِّر من أن منظمتي الإرغون وليهي ستسعيان إلى التسلل إلى بريطانيا بصفة بحارة وعمال خدمات في السفن التجارية التي تصل الموانئ البريطانية من شرقي البحر الأبيض المتوسط. وجاءت تحذيرات أخرى عن التسلل في المؤسسات البحرية بسرعة. فقد علم البريطانيون باستعداد وكلاء للسفن السويدية والنرويجية في ميناء پيريوس اليوناني لترتيب أوراق العبور للأشخاص باحتسابهم أفرادا من طواقم السفن، وأن الإرهابيين الصهاينة سيستغلون ذلك للدخول إلى بريطانيا. وجاء شهر يناير من العام 1946 بأول تأكيد لخطط محددة وضعتها ليهي لاغتيال بڤن، ثم توسعت قائمة المستهدفين في فبراير.

وذكرت التقارير الاستخبارية أن خمس خلايا تابعة لكل من الإرغون وليهي سوف تذهب إلى لندن، في حال ما إذا جرى تأكيد أحكام الإعدام بحق ثمانية عشر عضوا من ليهي، وهو ما أسهم في تخفيف الأحكام عشية انعقاد مؤتمر لندن. وتلقى عدد من المسؤولين البريطانيين، بمن فيهم وزير المستعمرات آرثر كْريچ جونْز، تهديدات بالقتل في رسائل مؤرخة في برشلونة، ولكن خاتم البريد يشير إلى أنها صادرة من لشبونة، تدعي أنها من منظمة ليهي. وهددت أغلبية هذه الرسائل بأن «إعدام الخنازير البريطانية القذرة» «سيجري قريبا بوسائل صامتة جديدة». وفي تلك الأثناء منحت الولايات المتحدة موشي سْنيه إذنا لدخول البلاد، وهو أمر وصفه البريطانيون بأنه «نصر آخر تحققه جماعات الضغط. وهكذا قيل إن سْنيه وبن غوريون غادرا فرنسا إلى نيويورك على متن طائرة أمريكية يوم الثامن والعشرين[93].

في الساعات التي تلت هجوم روما (في 31 أكتوبر) فجرت شاحنة على مبعدة ميلين من پتاح تكڤا، فقتل اثنان وجرح آخران جراحا بالغة. وسارت شاحنة أخرى

فوق لغم مزروع على الطريق فانفجر قرب إزْ غانيم (حيفا)، وهوجمت دورية شرطة متنقلة شمالي تل أبيب. وفي اليوم الأول من نوفمبر فجر لغم أسفل قطار للبضائع على الطريق الواصل بين حيفا والقنطرة ما بين الخضيرة وبنيامين، فدمر جسرا إلى جانب تدمير القطار. ومع ذلك فإن البريطانيين، الذين كانوا يخشون ردود الفعل العنيفة من المستوطنات، شرعت في اتباع سياسة وصفتها جريدة التايمز بأنها «السياسة الرسمية القاضية بإدارة الخد الآخر».

وفي يوم 2 نوفمبر فشلت محاولة لتخريب أنبوب للنفط قرب جسر كيشون في - فقد اكتشفت القنبلة المربوطة بالأنبوب، وأبعدت، وفُجرت. ثم جرى تفجير شاحنة قرب يافا أدى إلى احتراقها، ما أسفر عن جرح عشرة أشخاص، كانت جراح ثلاثة منهم خطيرة. وجرى تفجير كهربي لشحنة ناسفة عند معبر مائي تحت الطريق، كما وقعت شاحنة في كمين مصنوع من أسلاك متشابكة، وأجبرت على الخروج من الطريق شمالي يتاح تكفا، وفجر جسر على الطريق الواصل بين حيفا وتل أبيب قرب تلموند، وهوجمت سيارات قرب الخضيرة وفي القدس. وفي الشمال، أنشئت مستوطنة مناهضة للتقسيم في الحولة كان قد خُطط لها[94].

كان العنوان الرئيس لجريدة «فلسطين» اليافاوية في اليوم التالي: «اليهود يواصلون نشاطهم الإرهابي»، وفي ذلك اليوم فجر الإرهابيون قطارا على السكة الحديد الواصلة بين حيفا والقنطرة جنوبي قلقيلية، فقتلوا فلسطينيين وجرحوا سبعة جنود، وفجروا قطارا على السكة الحديد الواصلة بين اللد وتل أبيب قرب قرية بتير. وعندما خُرب سلك التلغراف الواصل بين القدس وبيروت لم يتمكن المهندسون من تحديد موقع الانقطاع المدفون في الأرض، ولذلك اضطروا إلى استبدال ما طوله ثمانية كيلومترات من الأسلاك.

وفجّر الإرهابيون قطار النفط الرقم 57 على السكة الحديد الواصلة بين حيفا والقنطرة قرب قلقيلية يوم الخامس من الشهر، ثم هاجموا القطار وحصن محطة القطار. وفُجّرت سيارة على الطريق الممتد بين بيت دَجَن وريشون لتسيون، كما ألقيت القنابل على سكة القطار قرب كريات حاييم، وفُجر لغمان كهربائيا أسفل قطار كان يسير على خط حيفا - القنطرة، وقطعت أسلاك الهاتف ثانية. وفي السادس من الشهر لغمت منظمة الإرغون قطارا عسكريا يسير على خط حيفا -

القنطرة، وألقت منظمة ليهي قنابل على قطار حيفا - القاهرة في السابع منه ما أدى إلى خروج عربتين عن السكة، ثم فَجّرت السكة في كل من نين وشت ها تكفا يوم الثامن منه[95].

ثم جاءت فترة بدأت تظهر فيها قنابل أشد إحكاما وفتكا. فقد ادعت الإرغون في نشرة إذاعية أُذيعت في نوفمبر تطويرها قنابل أشد إحكاما، بعد أن تمكن «خبراؤها العسكريون» من تطوير نوع جديد من الألغام التي لا يمكن إزالتها، ويمكنها أن تعطل أي شبكة للسكة الحديد. وقالت النشرة إن اللغم يمكنه تعديل نفسه أوتوماتيكيا لتدمير القطارات الثقيلة والخفيفة. ويمكن لهذه الألغام أن تدفن تماما، وإن في الإمكان تفخيخها لتقتل أي شخص قد يكتشفها، وإنها تعمل وفق الخطة التي وضعت لها: فقد قتل شخصان وجرح عدد آخر من الناس عندما اكتشفت القنبلة الأولى[96].

استرخت الأعصاب قليلا بما وصفه ضابط أمن تابع للقوة الجوية المحمولة بأنه «نتيجة مضحكة» لفلسطيني يقع بيته ضمن منطقة كانت تستخدم للتدريب. كان الرجل قد أصبح معروفا منذ زمن، وكره البريطانيون أن يطردوه. فاستغلوا الفرصة لتخفيف القيود الأمنية ولإيلاء الثقة بشخص مدني، فأعطوه مفتاحا للباب العسكري، وأوكلوا إليه مهمة «التأكد من أن الباب مغلق بإحكام» بعد عودته كل يوم من حقله الذي يقع خارج المعسكر[97].

تلقى رجال الشرطة في صباح التاسع من نوفمبر مكالمة هاتفية من مجهول تفيد بوجود مخزن للسلاح في بيت مهجور. فذهب أربعة منهم للتفتيش، ولم يكادوا يدخلون البيت المفخخ حتى انفجر وقتل الرجال الأربعة – وهو ما وصفته منظمة ليهي بانتقامها من رجال الشرطة الذين يحاولون «ملاحقة الأسلحة العبرانية». وقد أرخت المنظمة الإرهابية تقريرها باستعمال كلمة «تشري»، أي الاسم العبراني للشهر، للحفاظ على الصلة التوراتية المدعاة.

وفي اليوم التالي كانت محطة العين للسكة الحديد هي الهدف الرئيس التالي. فقد دخل أربعة من اليهود بزي رجال الشرطة وزرعوا قنابل على هيئة حقائب في مكتب رئيس المحطة بعد أن وضعوه تحت تهديد السلاح ثم غادروا. قُتِلَ فلسطيني واحد وجُرح عدة أشخاص آخرين في محاولة التخلص من القنابل، ودُمرت المحطة

تدميرا كاملا. كذلك قطعت كابلات التلغراف التي تصل القدس ببيروت ثانية، ودُمر ثمانون مترا من السكة الحديد على خط حيفا - اللد[98].

«الإرهابيون يقولون: لن يقف في طريقنا شيء» - هذا ما صرخت به العناوين الرئيسة في جريدة «الديلي هِرَلْد» اللندنية يوم 11 نوفمبر، فيما كانت حربهم لتركيع فلسطين ماضية قدما. فقد دمرت محطة القطار في روش ها عين، وفجرت السكة قرب قلقيلية، وخُربت عربتان قرب تل أبيب، وقُطعت أسلاك التلغراف، وهُوجمت شاحنة تابعة للسكة الحديد قرب القدس. وفي إنجلترا أغلقت اسْكوتْلَنْد يارْد أبوابها عند افتتاح البرلمان «فيما يراقب المخبرون تحسبا لوجود الإرهابيين [اليهود] الذين ربما هربوا إلى البلاد واختلطوا بالجماهير المحتفلة بيوم الذكرى في وايتهول». وكان على رأس المشبوهين امرأة في الثانية والثلاثين قيل إنها «خطيبة عضو بارز من أعضاء منظمة الإرغون. ووفقا لما جاء في الأخبار فإنها دخلت البلاد بجواز سفر بريطاني، بينما قالت منظمة ليهي إن الجواز مزور. وادعت نشرة ليهي لشهر ديسمبر 1946 أن جواز السفر الذي استخدمته «خطيبة السيد إرغون» «أصدرته دائرة الجوازات التابعة لمنظمة ليهي»[99].

عدت المليشيات الأسلوب القلق الذي غطت به وسائل الإعلام البريطانية الإرهاب الصهيوني دليلا على نجاحها. ومما زاد من قلق البريطانيين استمرار «المشكلة الأمنية التي يثيرها وجود من يشك في كونهم إرهابيين يهودا ضمن قوات صاحب الجلالة»[100].

ادّعت منظمة ليهي، في معرض وصفها لإنجلترا بأنها «تعيش تحت تهديد الإرهاب»، أنها مسؤولة عن محاولتين لنسف مقر وزارة المستعمرات، وبدا أنها تلمح - على نحو غامض - إلى أن «اليهود» حاولوا تسميم آبار الماء في لندن، كأنها تستعيد الكذبة المعادية للسامية التي أشيعت في القرون الوسطى. فقد قالت نشرتها لشهر نوفمبر إن سبب الرعب في لندن «لم ينشأ من الخوف من الآبار المسممة على رغم أن اليهود معنيون بهذا الأمر». لكن ليهي ربما كانت تشير إلى نية تسميم المياه الألمانية على يد «نَقَم»، الجماعة الإرهابية المكونة جزئيا من جنود تابعين للواء اليهودي. فقد قيل إن «نَقَم» زرعت عملاء لها في محطات تصفية المياه التابعة لخمس مدن ألمانية هي ميونخ، وبرلين، وفايمار، ونورمبيرغ، وهامبورغ،

وأنهم كانوا على استعداد لتسميم المياه لقتل الألمان بأعداد هائلة. لكن أفشلت عملية تسليم السموم، غير أن «نقم» نجحت في قتل بضع مئات من الموقوفين الألمان بعد أن تمكن أحد عملائها من الحصول على وظيفة في مخبز يزودهم بالخبز، ومن تلويث الخبز بالزرنيخ[101].

كان الإرهاب الذي يستهدف السكك الحديد قد أصبح داء مستفحلا في فلسطين، فاضطرت القطارات إلى قصر حركتها على ساعات النهار وعلى تزويد كل منها بعربة مصفحة خاصة. بدأ كل نهار «بدورية تباشر عملها منذ الفجر بتمشيط الخطوط بحثا عن قنابل»، وفق الوصف الذي قدمته وكالة «أسوشييتد پْرس» للوظيفة التي عُرفت باسم «دورية الانتحار». فلم تقتصر مغامرة من أوكلت لهم المهمة على الوقوع ضحايا للقنابل المفخخة فقط، بل على تعريض أنفسهم لنيران المفخخين أيضا. ففي الساعة الخامسة من صباح اليوم الثالث عشر قُتل ستة أفراد - أربعة فلسطينيين وبريطانيان - في كمين نصبته الإرغون لدورية من هذه الدوريات التي كانت تبحث عن الألغام. وفي وقت لاحق من اليوم نفسه جرح رجل إطفاء وشرطي عندما فجرت ألغام بقاطرة وثلاث عربات تفجيرا كهربائيا، كذلك فجرت قنبلة موصولة بسلك كهرباء في شارع القديس جورج في القدس، فجرح عشرة من رجال الشرطة، جراح ثلاثة منهم خطيرة. وكانت منظمة ليهي على عهدها هي الأخرى فاغتالت اثنين من رجال الشرطة في ساعات النهار. وفي اليوم الخامس عشر استخدم أصحاب القنابل لغما يُفَجر من بُعد لتفجير مجرى مائي تحت الطريق بهدف تفجير عربة تقوم بعمل الدورية على الخط عند الكيلو 44 على الخط الواصل بين حيفا واللد قرب بنيامين. وكانت جراح ثلاثة من الضحايا خطيرة.

وفي الولايات المتحدة نافست لجنة النشاط السياسي من أجل فلسطين - التي كانت قد أنشئت في فبراير السابق على يد الحاخام باروخ كورف؛ الذي لم يطل به الوقت حتى اشتهر أو شهِّر به - نافست تلك اللجنة ببلاغتها بلاغة بيرْغْسن المعروفة في وسائل الإعلام. وأشار أحد إعلانات كورف الصحافية إلى إن بريطانيا لم تكن بالسوء الذي كانت عليه النازية فقط، بل أسوأ. كانت بريطانيا تدير «معسكرات اعتقال» لليهود «أسوأ من جحور ألمانيا النازية حيث ذهبت الملايين إلى حتفها». لا

يمكن لأحد أن «يبقى مسيحيا» و«يقبل» بعذاب ستة ملايين من الرجال والنساء والأطفال اليهود وتعذيبهم وقتلهم»، وكادت الكلمات توحي بأن الهولوكوسْت لايزال مستمرا ويُدار من لندن.

نجح كوزْف، كما نجح بيرْغسن، في اجتذاب المتعصبين بالعزف على قلة عدد اليهود، وهدد كل من عداهم بتلطيخ سمعتهم بمعاداة السامية أو المسيحية. ثم ذهب أبعد من ذلك قائلا إن على المسيحيين أن يخافوا ليس على سمعتهم فقط، بل على حياتهم أيضا لأن بريطانيا «سرطان خبيث لن ينجو منه أحد في نهاية المطاف». ولكن مهما كان الطُعم الذي لجأ إليه كورف فإن الحل موجود: اضغط على حكومة الولايات المتحدة لإلغاء قرض ما بعد الحرب لبريطانيا ما لم تُذعن لمطالب الصهاينة[102].

بدأت عمليات العنف يوم 17 نوفمبر عند الساعة 5:20 صباحا عندما اكتشف عامل قنبلة على خط حيفا - القنطرة قرب كفر سركين، واستحقت محاولته حماية القطار الأول في ذلك الصباح حكم الإعدام من منظمة الإرغون: فقد قتلته الآلية التي تمنع رفع القنبلة وجرحت شخصا آخر. واكتشف لغم آخر بعد خمس وخمسين دقيقة (الساعة 6:15) على السكة الضيقة قرب حيفا. وبعد نصف ساعة انفجر لغم تحت قطار يسير على خط حيفا - القنطرة بين رحوفوت ويبنة. ولكن «أغرب الحوادث» في نظر البريطانيين كانت تلك التي لم ينفجر فيها اللغم إلا عند مرور العربة السابعة عشرة من قطار يجر إحدى وثلاثين عربة. ولربما كان السبب أن السائق خاف من الهجوم الذي اعتادت المليشيات شنه بالتزامن مع انفجار اللغم فمضى في سيره. وكانت النتيجة أن العربات الخمس عشرة التي خرجت عن السكة سببت تدمير مسافة ميل من الخط الحديدي في أثناء جرها خارجه. ووجدت قنبلة رابعة على الفرع الواصل بين يافا واللد خارج تل أبيب. أما أسوأ هجوم في ذلك اليوم فقد وقع في المساء حينما فجّر الإرهابيون ثلاث سيارات مدنية، وسيارة بريطانية على طريق حيفا - يافا. وهو ما أسفر عن قتلِ ثلاثة من رجال الشرطة في العشرينيات من العمر ورقيب من سلاح الجو، كانوا عائدين من السينما، على الفور، وجرح ستة أشخاص. وكان التفجير من القوة بحيث «سُمِعَ دويه في كل من يافا وتل أبيب»، وفق ما ذكرته جريدة «فلسطين».

كان العاملون في مجال الأمن الذين اكتشفوا قنبلة في اليوم التالي (الثامن عشر) على خط حيفا - القنطرة على علم بميل الإرهابيين إلى التفخيخ، ولكن القنبلة تفوقت عليهم، فقتل أربعة منهم وجرح ستة، وفقد أحدهم عينيه الاثنتين. ووجد البريطانيون أن استعمال عدد من آليات منع اللمس المثبتة على القنبلة المفردة هي من الخصائص الجديدة التي تتميز بها الإرغون. ومع مضي الوقت في ذلك اليوم انفجر لغم ضغط على الخط الواصل بين اللد ورحوفوت، فأخرج القطار عن سكته ونتج عن ذلك جرح السائق. وفُجر لغم تحت قطار يصل ما بين اللد ويافا، وفجر آخر تحت عربة للتحقق من وجود ألغام. لكن اكتشاف إرهابيين في أثناء وضعهم الألغام على طريق قريب من غفَات شاؤول منع مزيدا من حوادث التفجير[103].

فلسطين تخضع «لتوقف تام لحركة القطارات» - هذا ما تباهت به منظمة الإرغون نتيجة للتخريب الذي ارتكبته يوم التاسع عشر من نوفمبر. قتل شخص وجرح أربعة، جراح أحدهم خطيرة بينما هم يحاولون تعطيل قنبلة في كفار(*) سركين، وقتل شرطي في تل أبيب، وفُجر لَغَم تحت قطار يسير على خط حيفا - القنطرة، واكتشف المزيد من الألغام على الخط نفسه، وكذلك على الخط القريب من بنيامينا(**) وقرب بتير، وفشلت محاولة لنسف سيارة شرطة. وفي القدس حطم لغم أرضي زجاج الشبابيك، ولم يعرف عدد الإصابات. وندد كننغهام «باستمرار العمليات الإرهابية التي تحصد الضحايا يوميا تقريبا»، بينما فقدت مجموعة من رجال الشرطة أعصابها فثارت ثائرتهم في تل أبيب، وهو ما أدى إلى تزويد وسائل الإعلام بمادة دسمة تعبر فيها عن مناهضتها لبريطانيا[104].

نسفت منظمة الإرغون مبنى دائرة ضريبة الدخل في القدس ودمرته يوم العشرين من الشهر، فقتل شرطي (يهودي) وجرح تسعة أشخاص آخرين. وفي الثامنة مساء «أطلق شابان يركبان دراجتين هوائيتين» النار على شيمون أزولاي، الذي يبلغ الثانية والعشرين من العمر بينما كان يسير مع زوجته وابنهما، فجرحاه جرحا بالغا في حادثة عدت جريمة سياسية لأن الرجل كان يحمل جواز سفر بريطانيا،

(*) وردت هذه الكلمة بتهجئتين:Kafr في ص 166 وKfar في ص 167. ولا يرد اسم هذه المستعمرة في كتاب الخالدي. [المترجم].

(**) ورد هذا الاسم سابقا بصيغة بنيامين. [المترجم].

وكان ينوي الذهاب إلى لندن في غضون أسبوع. واغتيل الشرطي موشي بن بزاليل يوم 21 نوفمبر لرفضه التعاون مع ليهي، وخُرِّب خط السكة الحديد الذي يصل يافا باللد. وصدرت عن منظمة الهاغانا، في ذلك اليوم، رسالة غريبة لم يكن من الممكن التحقق من صحتها، جاء فيها أن لغما كبيرا كان قد زرع في طريق مانيلا Manilah في القدس في محاولة لنسف المكاتب الحكومية، ولكن المنظمة «أرسلت طواقمها فأزالوا اللغم من دون أن يلحظهم أحد». ونسف خمسة عشر مترا من السكة الحديد في شت ها تكوا(*) يوم الثالث والعشرين، وهوجمت سيارة عسكرية قرب بيتْدَجن(**) يوم الخامس والعشرين. وفي الثلاثين من نوفمبر لغمت الطرق في عدد من مناطق القدس، وهُوجم موقع للشرطة في منطقة المستشفى بالقنابل والرصاص والقنابل اليدوية. وعنونت صحيفة «نيويورك تايمز» صفحتها الأولى بعبارة «القدس تهزها القنابل والرصاص والإرهاب المتجدد». أما صحيفة «التايمز» فقالت: «اليهود يهاجمون اليهود»[105].

في الأول من شهر ديسمبر كتبت أم رسالة للحكومة تقول فيها بعد مقتل ابنها: «هذه جريمة قتل ولا شيء غير ذلك»، وهي واحدة من رسائل كثيرة تلقاها أعضاء البرلمان من آباء، وزوجات، وإخوة يحتجون فيها على مقتل أحبابهم على يد الصهاينة:

> بأي حق يُقتل أبناؤنا الذين ذهبوا ليحاربوا بشجاعة من أجل بلدهم، بعد أن أخذوا من دراستهم، وبيوتهم، وكل شيء عزيز عليهم، وتعذبوا من دون شكوى؟[106].

اليهود في فلسطين «يكرهون رجالنا» - هذا ما كتبته أم أخرى وإن يكن ببلاغة أقل:

> علينا أن نضع هؤلاء الإرهابيين تحت السيطرة... هلا أخرجتم شبابنا من فلسطين قبل أن يجري تفجيرهم وتصبح أجسادهم هباء منثورا؟[107].

وعندما اجتمع مجلس المسيحيين واليهود في لندن في أوائل ديسمبر اتخذ قرارا بالتنديد «بالإرهاب اليهودي»، ووجه رئيس أساقفة كانتربري النقد للولايات المتحدة بقوله: «لا أظن أن ثمة ما يجعلنا نحس بأننا تلقينا من الجهة الثانية من المحيط الأطلسي أي عون لتخفيف الوضع». واشتكى كننغهام أيضا من ازدياد شعور

(*) وردت سابقا بصيغة تكفا. [المترجم].

(**) وردت سابقا بكلمتين منفصلتين. [المترجم].

الإرهابيين بالثقة المستمدة «من الضغط الفعال الذي يمارسه الصهاينة في أمريكا على الإدارة الأمريكية...»[108].

وفي محاولة لحماية الناس من القنابل؛ وضع البريطانيون نشرة محدودة تضمنت «ملخصا موجزا عن الأساليب الحديثة التي يستخدمها الإرهابيون اليهود في ألغامهم ومفخخاتهم». فقد فككوا أنواع المتفجرات التي استطاعوا اكتشافها كاملة، وحللوها هي وطرق تفخيخها، ووصفوها ووضحوها بالرسوم. لكن الكتيب شدد على ضرورة التعامل بحذر مع كل آلية تفجير باعتبارها آلية جديدة... «لا تثقوا بأي شيء... فبعد أن تكتشفوا طريقة معينة للتفجير، ابحثوا عن طريقة ثانية، وثالثة لأن طرق التفجير يندر أن تستَخدم فرادى». لقد سبب استخدام طرق التفجير الثنائية والثلاثية هذا قتل عديد من العاملين في عمليات الإنقاذ[109].

استهلت منظمة ليهي هذا الشهر الأخير من العام 1946 بتلغيم الطرق بألغام مملوءة بمسامير البرشام(*). وكانت تنثر الحجارة وقطع الزجاج المكسور أحيانا فوق اللغم لزيادة التأثير. وقد قُتل ركاب سيارة جيب، وعددهم أربعة، في حادثة تفجير وقعت عند الساعة 11:45 صباح يوم 2 ديسمبر قرب شارع الأخوات السبع، كما قُتل اثنان على الأقل وجرح ثلاثة آخرون جراحا خطيرة في هجمات لم تتوقف ليلة 2 - 3 ديسمبر. كانت القنابل موضوعة على طريق الجِمال على جانب الطريق، أو مدفونة تحت التراب، موصولة بسلك يمتد إلى منطقة مجاورة. وفي اليوم الثالث من الشهر جُرح عضو من أعضاء العصابة في أثناء ارتكابه عملية فاشلة لسرقة أموال من لجنة اللاجئين البولنديين، فأخذه رفاقه إلى المستشفى وأجبروا العاملين فيه على إجراء عملية له تحت تهديد السلاح، ثم أخذوه معهم[110].

في صباح اليوم الخامس من ديسمبر وصلت شاحنة من تلك القادرة على حمل ثلاثة أطنان بعد مغادرتها ورشة التصليح في تل أبيب إلى معسكر صَرَفَنْد، يقودها يهودي طويل أشقر أبرز هوية وبطاقة عمل. وقضى دقيقتين وهو يعمل داخل الشاحنة، ثم «عبث بمحرك السيارة»، وقال للحراس إنه ذاهب إلى مؤسسة القوات

(*) «مسامير البرشام» من قاموس المورد، أما المعجم العسكري الموحد الذي أصدرته جامعة الدول العربية فيعطي مقابل rivet كلمة «دسار»، وهذه الكلمة يشرحها المعجم الوسيط بأنها المسمار. [المترجم].

البحرية والبرية والجوية (NAAFI)، وغادرهم. وقَتَل انفجار الشاحنة المحملة بالمتفجرات شخصين في الحال وجرح عشرين، منهم خمسة مدنيين، كما دمر عددا من البنايات القريبة من المعسكر، والمخصصة للعلاج الطبي والعمليات.

وأدى هجوم بالقنابل والأسلحة الرشاشة على مركز المستشفى للشرطة إلى جرح شرطي جراحا خطيرة، وهُوجم منزل آمرِ الشرطة بالقنابل، ولكن إهمال المهاجمين أدى إلى فشل ما كان يمكن أن يكون أسوأ هجوم في ذلك اليوم. «فقد كان موكب تابع للإرهابيين يتكون من شاحنة محملة بما يزيد على 400 باوند من المتفجرات ومن سيارتي أجرة خلفها» يسير في شارع الأنبياء في القدس لمهاجمة مركز القيادة الجوية. وكان الإرهابيون في السيارة الثانية على وشك إلقاء القنابل عند نقطة الشرطة لصرف النظر عن المهمة الكبيرة، ولكنهم اصطدموا بجزيرةِ سير في الشارع فأدى ذلك إلى انفجار الألغام التي كانوا ينقلونها، فقُتِل اثنان من المهاجمين. وهنا أدرك الإرهابيون الآخرون أن الانفجار لا بد أنه أثار انتباه البريطانيين، فتوقفوا وفخخوا سياراتهم وهربوا. وبالفعل، لم يطل الأمر بالبريطانيين حتى وصلوا إلى المكان. لكنهم افترضوا أن أي محاولة لإزالة المتفجرات من السيارات ستكون بمنزلة الانتحار، ولم يكن أمامهم من خيار سوى تفجير السيارات المكونة من شاحنة وسيارتي أجرة في مكانها، وهو إجراء سبب أذى كبيرا للمنازل الفلسطينية المجاورة.

وبعد أيام من الهجوم الفاشل على مركز القيادة الجوية أقلعت ثلاث طائرات هاليفاكْس من المطار الحربي، وسط ظروف جوية خطرة، لإلقاء أغذية وملابس وأدوية لمهاجرين غير شرعيين يهود تحطمت سفينتهم عند جزيرة سيرينا. فأعطت الوكالة اليهودية لقائد العملية ثلاثة صناديق بيرة عرفانا بالجميل، ولكن هذا العرفان بالجميل لم يطل به العهد: فمع أن بريطانيا جاءت بالجرحى والنساء والأطفال إلى فلسطين من دون النظر إلى الأعداد المسموح بها فإنها أتت بالرجال غير المصابين إلى قبرص، فأصدرت الوكالة تحذيرا من هجمات إرهابية انتقامية[111].

جاء شهر ديسمبر بقدر من الهدوء النسبي في التفجيرات الخطيرة التي تستهدف خطوط السكة الحديد - وكان ذلك نتيجة لصفقة تجارية عقدتها منظمتا الإرغون وليهي مع أصحاب البيارات اليهود الذين احتاجوا إلى القطارات في موسم قطف

الحمضيات. لكن العصابتين أصدرتا نشرات تؤكد للجمهور أن الهجمات على السكك ستعود عند انتهاء موسم الحمضيات.

كذلك خفت الهجمات الخطيرة على البريطانيين نسبيا مع افتتاح المؤتمر الصهيوني في بازل في 9 ديسمبر. لكن الجماعات الإرهابية لم تكن بلا عمل. فقد ذكرت المخابرات البريطانية «أن اليهود خلال فترة الهدوء النسبي هذه حولوا انتباههم إلى العرب واليهود غير المحبوبين». فبعد يومين من انعقاد المؤتمر اختطفت منظمة الهاغانا طفلين وقتلت المختار الذي حاول مساعدتهما في قرية سَلَمَة، تلك القرية التي سوتها الجيوش الصهيونية بالأرض ومحتها من الوجود بعد سنة وربع السنة. وجاء العنوان الرئيس في صحيفة «نيويورك تايمز» في تلك المناسبة على النحو التالي: «الفلسطينيون العرب يقررون البدء بإضراب عام احتجاجا على إرهاب الصهاينة»، ذلك أن الفلسطينيين نظموا مقاومة تتجنب العنف وصفتها وزارة الحرب بأنها «لا تخل بالنظام». ولاحظ كننغهام أيضا مدى انضباط الفلسطينيين، ولكنه خشي من أن «تؤدي أي تحرشات أخرى يقوم بها اليهود» إلى «ردود أفعال فردية»[112].

وليس من قبيل المصادفة أن «صِلّة وصل حسنة الاطلاع» أخبرت البريطانيين أن الزعماء الصهاينة كانوا يبثون دعاية تقول «إن الحل الواقعي الوحيد لمشكلة «العرب» في فلسطين» (وهنا أضيفت كلمة [كذا]) هو نقل «العرب» خارج فلسطين، ونقل يهود الشرق الأوسط وشمال أفريقيا إلى فلسطين[113].

لم ينقطع العنف الصهيوني الموجه ضد اليهود «غير المتعاونين»، إذ سجلت أربع محاولات اغتيال لمدنيين يهود على يد العصابات الصهيونية في مدى عشرة أيام من شهر ديسمبر، ثلاثة منها بسبب رفض الأشخاص تمويل الإرغون: الأولى في 6 ديسمبر، تبعتها أخرى بعد يومين؛ عندما وجد سيلغ كونن من نتانيا مادة متفجرة موصولة بمجمع الانفلات(*) في شاحنته، وثالثة يوم 18 ديسمبر عندما ذهب شخص اسمه جيكبسن من منطقة رحوفوت ليقود سيارته الأمريكية الجديدة فرأى قنبلة تحت سيارته وقد اتصل بها مِصْهر(**) مشتعل.

(*) من المعجم العسكري الموحد مقابل exhaust manifold. أما ميكانيكيو السيارات فيقولون ببساطة «المَنفولد». [المترجم].

(*) من المعجم العسكري الموحد مقابل fuse. وأغلب الظن أن «فيوز» التي يستعملها الميكانيكيون هي التي ستسود. [المترجم].

تدل الحادثة الرابعة على أن أخبار العنف الصهيوني ضد اليهود لم تُتداول تداولا واسعا لأن الخوف مَنَعَ الضحايا من التصريح به. فمثلا كان حاييم كْلير، من سكان نتانيا، قد استنكر علنا أساليب الإرهاب وسياسته، ولذا فإن سيارته نُسفت مساء 8 ديسمبر. ولكنه بعد أن اشتكى للشرطة عاد فغير موقفه: رفض أن يتكلم عن الموضوع، وانتقل إلى «عنوان غير معروف في تل أبيب»، فسجلت حادثة النسف رسميا على أنها «حادث». وفي حالة أخرى، كان يروفخام واردِيمان شخصا ميسور الحال يملك دارا للسينما، لكنه غادر بسرعة إلى الولايات المتحدة بعد أن رفض الخضوع لابتزاز الإرغون. وكما قال شخص من المنطقة، كان الإرهاب الصهيوني «مهنة» تخلو من أي «هدف أعلى» مزعوم[114].

صادف يوم 24 ديسمبر انتهاء مؤتمر بازل وانتهاء فترة الهدوء في أعمال العنف. فعندما انطلقت «عصابة من نحو 80 من اليهود الشباب في رحوفوت تحت قيادة زعيم لهم» في تلك الليلة يعربدون ضد من يرتدون الملابس العسكرية لم تحاول الشرطة اليهودية الخاصة أن توقفهم. ثم «هجمت عصابة من عشرة شباب يهود» على أربعة جنود، ولكن أوقفتهم قوات الشرطة الفلسطينية. وفي اليوم التالي، وهو يوم عيد الميلاد، فجر الإرهابيون شاحنة، فقتلوا شخصين وجرحوا عشرين. وفي 26 ديسمبر وقعت سرقة أخرى لمصنع مجوهرات (على يد الإرغون)، كما جرى هجوم على مقر شرطة المنطقة في رحوفوت في 30 ديسمبر.

عبرت منظمة ليهي عن غضبها بعبارة «ليس اليهود من قبيلة الزولو»، وذلك في مجموعة نشرات ظهرت في الأسبوع الأخير من ديسمبر، تتهم فيها البريطانيين بمعاملة اليهود تعاملها مع «السكان المحليين» في أفريقيا - وهي شكوى ترددت لدى مختلف أطياف الصهاينة، من أشد العصابات الإرهابية تعصبا إلى فايتْسمان «المعتدل». والمناسبة الراهنة لهذا الكلام جَلْد بريطانيا شابا أدين بحادثة سرقة لأحد البنوك في 13 سبتمبر تضمنت أعمالا للقتل. وكان الرد الانتقامي اختطاف أربعة من رجال الجيش وجلدهم يوم 29 ديسمبر، اختُطف أحدهم من مقهى ريشون (مقهى تيريزا في ريشون ليتسيون)، والثاني من فندق المتروبول (في ناتانيا)، واثنان من فندق أرمون (في تل أبيب).

أوردت صحيفة «نيويورك تايمز» خبر الاختطافات المنسقة بقولها «إن النظام الإرهابي في فلسطين يهدد بالاتساع على نحو خطير»[115].



رجلان كتبت لهما النجاة من لغم على الطريق يقفان إلى جانب سيارتهما المدمرة لكي تلتقط لهما صورة (نحو العام 1946)

6

«حامية محاصرة»، 1947

لن يقبل الصهاينة في فلسطين على المدى البعيد الترتيبات الخاصة باقتسام الأراضي التي تقتضيها التسوية القائمة على التقسيم. سيمضون في شن حملة دعائية قوية في الولايات المتحدة وأوروبا، وستستمر المطالبة بمزيد من الأراضي مع تدفق المهاجرين اليهود إلى القسم اليهودي.

(تقرير سري أعدته وكالة المخابرات المركزية بتاريخ 28 نوفمبر 1947، وهو اليوم السابق لقرار الأمم المتحدة القاضي بالتقسيم)[1].

«هددت نشرات الإرغون بإضرام جحيم في العالم كله إلى أن يُستجاب لمطالبها، واعترف المسؤولون البريطانيون، سرا، بأن الإدارة المدنية في فلسطين كانت بمنزلة حامية محاصرة»

وهكذا حلّت السنة المصيرية، العام 1947، وهو العام الذي بشّر «بمقاومة أشد من قبل» من جانب الوكالة اليهودية تجاه أي دعم لمقاومة الإرهاب، وبزيادة مدى الهجمات وعددها. فقد

عاد كثيرون ممن كانوا ينتمون إلى اللواء اليهودي إلى فلسطين والتحقوا بالمليشيات، وانخرط بعضهم في عمليات الاغتيال في أوروبا، وساعد بعضهم في عمليات اختطاف الأيتام اليهود من العائلات التي تبنتهم. كما ذهب بعضهم إلى الولايات المتحدة «سعيا وراء التأثير في الرأي العام في الولايات المتحدة عبر منظمات المحاربين القدماء والأفراد». واستمر تدفق الأموال من الولايات المتحدة، وعندما لجأ البريطانيون، مجددا، إلى القنوات الديبلوماسية لوقف عمليات التبرع لمنظمة الإرغون، أدى تسريب الخبر عن هذه المحاولة إلى نشرها على أنها «ضغط بريطاني» ضد «منظمات الإحسان» اليهودية. أما المجلس الأمريكي للديانة اليهودية فقد حذّر من عواقب «الانخراط في تأييد دولة يهودية ذات صبغة قومية عرقية، سواء أكان هذا الدعم مباشرا أم غير مباشر» خلافا للمبادئ السامية التي يؤمن بها الأمريكيون. وتنبأ ذلك المجلس بأن «الغيتو» الذي يسعى الصهاينة إلى فرضه على أنفسهم «باستعمال السلاح وبحشر أنفسهم في أرض أخرى» سيسبب قدرا كبيرا من الأذى لليهود[2].

وذكرت المخابرات البريطانية «أن الملتحقين بالإرغون يزدادون بسرعة» لأن الطلبة كانوا يضطرون إلى سماع أقوال الإرغون «بعد إخراس المعلم بإرهابه أو بوسائل أخرى». ومن الوسائل الأحدث التي تستخدمها المنظمة الإرهابية لاستقطاب الأشخاص «استعارة» غرفة العرض في دور السينما حيث يجد الحضور أن الأفلام التي أتوا لمشاهدتها قد قوطعت لعرض دعايات الإرغون[3].

استخدم الإرهابيون في هجوم ضخم في الثاني من يناير قاذفات اللهب ضد الأشخاص والبنايات والسيارات في القدس والجليل وتل أبيب، حيث تبين أن شرطة المستوطنات اليهودية تتعاون مع الإرغون. فقد ذكر البريطانيون الآتي:

> عند الساعة السادسة مساءً من يوم 2 يناير قال الخفراء اليهود [المكلفون بحراسة] بوابة سترس هاوس [وهي البناية التي تضم المقر العسكري البريطاني] للخفير إن حراسا آخرين آتون ليحلوا محلهم. لكن ذلك لم يكن صحيحا. فقد اختفوا، وبعد تسع دقائق أتى ثلاثة يهود يحملون قاذفات اللهب، يتسلح اثنان منهم برشاش قصير لكل منهما، والثالث بمسدس وأخذوا بإطلاق الرصاص[4].

تبين أن بعض الهجمات التي خُطط لها على سترس هاوس كانت طموحة أكثر من اللازم: فقد وصل حملة قاذفات اللهب، تحت وابل الرصاص المنطلق من بناية

مجاورة، إلى الطرف الشمالي للبناية، بينما وُجِّه مجرى زيت الوقود نحو موقف السيارات الذي كان يراد إشعاله بقاذفات اللهب، ولكنهم فشلوا. وذكرت صحيفة «نيويورك تايمز»: «أن أربعين أو أكثر من الإرهابيين الموجودين على سطح بناية تقابل سترس هاوس» فتحوا النيران على الطابق الثالث من المقر بالرشاشات والأسلحة الخفيفة، «ولكن ذلك الطابق لم يكن هو الطابق المطلوب، ولذلك فإنهم لم يصيبوا أحدا سوى عامل في المطبخ». توفي واحد على الأقل من جرحى ذلك اليوم بعد وقت قصير. لكن كان من بين من جُرحوا جراحا أقل خطورة «امرأة تعمل في الحانوت العسكري» اسمها روزا هيرش من تل أبيب قالت من دون تفكير عندما أصيبت: «زوجي قال لي ألا أذهب إلى سترس هاوس هذه الليلة». كان زوجها قد هرب عندما ذهب رجال الشرطة للتحقيق معه[5].

وفي القدس فشلت الهجمات التي استهدفت دار الأيتام السورية ووحدة القوات الجوية بالقنابل في إحداث أضرار كبيرة، لكن دار الأيتام كانت أقل حظا عندما هوجمت بعد شهرين. وأُلقيت قنابل على مأوى عسكري وعلى ساحة تابعة لورشة تابعة لسلاح الجو، وزُرع لغم أرضي في منطقة الشيخ جراح. وفي الخضيرة أدى الهجوم الذي تعرض له معسكر سلاح الهندسة الكهربائية والميكانيكية إلى جرح فلسطيني جرحا بالغا، وهوجم فريق الإطفاء، ونُسفت سيارتا جيب. ودُمرت حاملة رشاش برن بواسطة لغم أرضي قرب حيفا قُتل بسببه شخص واحد وجُرح أربعة. وهوجم معسكر للجيش قرب مستعمرة كريات حاييم بالقنابل والأسلحة الأوتوماتيكية. ونُسفت سيارة تاكسي بلغم مزروع على طريق حيفا - تل أبيب، واستهدف لغم آخر سيارتين تابعتين للفرقة السادسة المحمولة جوا. وفي تل أبيب هوجم مأوى للشرطة ونقطة عسكرية بقنابل الهاون والنيران الأوتوماتيكية، فجُرح أربعة أشخاص، جراح أحدهم خطيرة. وهزّ عدد من الانفجارات شوارع المدينة، وفُجرت سيارة شرطة مصفحة فجُرح شخصان[6].

استُخدم في هجمات ذلك اليوم نوع جديد من ألغام المنثار(*) استخداما «عالي الفاعلية»، ربما بهدف التجربة «لأنه كان من عادة الإرهابيين تجربة تجهيزاتهم

(*) هذا المصطلح من المعجم العسكري الموحد الذي يعرف كلمة shrapnel بقذيفة المنثار، وكذلك عبارة shrapnel shell. [المترجم].

الجديدة قبل أن يتوسعوا في إنتاجها». كانت الإرغون تنتج هذا النوع الجديد الأشد فتكا من الألغام بحجمين، أحدهما بثمانية عشر باوندا من المتفجرات مع ثمانية عشر باوندا من «قراضة المعادن»(*)، أما الثاني فيتكون من أربعة وعشرين باوندا من المتفجرات واثنين وعشرين باوندا من «قراضة المعادن». وكانت هذه الألغام تستهدف البشر ووسائل الاتصال، وهي صيغة مبكرة من قنابل السهم المميتة التي تستخدمها إسرائيل في هذه الأيام. في تلك الليلة (2 يناير) انفجرت قنبلة من هذا النوع بين سيارتي جيب[7].

وفي وقت مبكر من صباح اليوم التالي أصاب لغم آخر من ألغام المنثار سيارة في موضع قريب من بتاح تكفا، واستهدف ثالث «ناقلة مدنية قرب مخزن التبريد» الواقع قرب ريشون وبيت دجن، الذي شهد وقوع ثلاث هجمات سابقة، غير أن العملية لم تصب هدفها. وعند الساعة 7:20 في ذلك الصباح انفجر لغم من هذه الألغام الجديدة تحت سيارة جيب، وأدى ذلك إلى نقل ثلاثة أشخاص إلى المستشفى. وفي اليوم التالي (4 يناير) نسفت شاحنة تابعة للشرطة العسكرية على طريق القدس - بيت لحم، وجُرح شخصان عندما نسف لغم شاحنة في حيفا[8].

فشلت الألغام مرتين في جرح أحد في صباح 5 يناير – مرة ضد سيارة بريد عند الساعة 5:15، وأخرى ضد سيارة ركاب مدنية بعد ثلاث ساعات – ولكن «النجاح» الذي تحقق في ذلك اليوم كان من نصيب الهاغانا التي فجرت ثلاثة منازل (عشوائيا فيما يبدو) في قرية صفد شمالي بحيرة طبرية، فقد قُتل في تلك العملية أربعة عشر فلسطينيا. وفي يوم 6 يناير هاجمت منظمة الإرغون محطة القطار في الخضيرة، ونسفت سيارة عسكرية على طريق اللد - بتاح تكفا قرب بتاح تكفا[9].

وفي إيطاليا هددت الإرغون بمهاجمة «المراكز العصبية» ما لم تساعد الحكومة الإيطالية على تنفيذ المطالب الصهيونية، وفي 10 يناير انفجرت كراسات ملغمة في ثماني مدن إيطالية كبيرة، ولكن تلك الكراسات لم تكن متقنة الصنع، فأُتلفت الكراسات في عملية التفجير. وأُلقي القبض على شخصين في أثناء زرع القنابل في

(*) «قراضة المعادن» هذه من المعجم العسكري الموحد، أما المغني الأكبر فيعربها تعريبا لا يقل طرافة هو «شراب النار» بينما يقترب قاموس المورد من العربية الشائعة فيقول: «الخردة»، وفي العراق يعربونها: «سِكراب». استعملت عبارة المعجم العسكري الموحد التزاما بالمبدأ الذي ألزمت به نفسي منذ البداية. [المترجم].

ميلان وپادوا، وكان كلاهما من مخيمات المهجرين التي تديرها الصهيونية. وسببت سلسلة من التهديدات للمصالح الأمريكية والبريطانية في إيطاليا قدرا من الذعر، ولكن هذه التهديدات لم تُنفذ[10].

وفي حين خصصت المنظمة الصهيونية في أمريكا 800 ألف دولار لشن حملة دعائية جديدة، عاد بن غوريون من أوروبا من «مهمة سلام»، وقرأ بيانا لتحديد الأهداف من إذاعة تل أبيب، ولم يشر من قريب أو بعيد إلى مشكلة الإرهاب. وأوقف أتباع منظمة ليهي في تلك الأثناء صاحب سيارة شفروليه للخدمات، وانطلقوا بها - وهذه حادثة معتادة، بل يبدو أنه كان يتعين على سائقي سيارات الأجرة أن «يتقبلوا» إعارة سياراتهم للإرهابيين، وعُد ذلك جزءا من متطلبات المهنة - بيد أن حوادث الاستيلاء على السيارات هذه كثيرا ما كانت تنبئ بهجوم وشيك.

في اليوم التالي، وهو يوم الأحد المصادف 12 يناير، ذهبت السيارة بعد تحميلها بالمتفجرات إلى المقر الرئيس لشرطة المنطقة في حيفا. هرب السائق، ورأى الحراس الفتيل المشتعل، ولكن الوقت كان أقصر من اللازم، فانفجرت السيارة في أثناء إخلاء المنطقة. قُتل في الحادث بريطانيان وفلسطينيان على الفور، وكان وضع اثنين من بين الجرحى الاثنين والستين حرجا، وكانت جراح عدد آخر خطيرة. وبينما كانت منظمة ليهي التي تبنت الهجوم تتباهى بأن «رجالنا لم يصب منهم أحد»، اغتال أفراد العصابة حارسا من حراس السكة الحديد قرب حيفا. وعندما واجه البريطانيون بن غوريون بمسألة الإرهاب المستمر وتواطؤ الوكالة، أعطاهم ردا جديدا: إذا استعملت الوكالة «القوة المادية» لوقف الإرهاب «فستكون النتيجة أن يقتل الزعماء اليهود أنفسهم بأنفسهم»[11].

كان أولئك الزعماء يوسعون من مدى شبكتهم الاستخبارية. فإلى جانب الشبكة الواسعة من المخبرين المزروعين في أماكن مختارة بعناية، وفضلا على التنصت على المكالمات، استخدمت محلات يزورها الجنود ورجال الشرطة البريطانيون (بل صُممت لتكون) أماكن لعمليات التنصت، واستُخدمت العاملات في مجال الجنس للحصول على معلومات خاصة عن «زلات» معينة ارتكبها «زبائن» من النوعية المطلوبة. وعندما وجد البريطانيون أن بعض اليهوديات اللواتي يستخدمهن مدير فندق أرمون في نهاريا لاصطياد الزبائن كن «واسعات الاطلاع» على بعض المعلومات الاستخبارية

الحساسة، فإنهم مارسوا الضغط عليه للاستغناء عن خدمتهن في الفندق، لكن ذلك كان من دون طائل، فقد تابعن عملهن في مهنة التجسس واستغنين عن الفرص التي يتيحها الفندق لأن العصابة لم تترك لهن فرصة الاختيار، كما علم البريطانيون[12].

في 26 يناير أوردت صحيفة «الديلي تلغراف» خبرا يقول إن «الإرهابيين اليهود أجروا ضربة أخرى هذه الليلة عندما اقتحموا منزل السيد هـ. إ. كولنز، وهو مصرفي بريطاني، وضربوه حتى فقد وعيه، وخدروه، ونقلوه في كيس». كان الرجل في الواقع في شقة صديقة (يهودية) تقع في شارع ماميلا في القدس، ولم تتمكن هذه الصديقة من الاتصال بالشرطة إلا بعد أن أطلق المختطفون سراحها؛ بعد نحو أربعين دقيقة عند الساعة 5:50 مساء. وعلى الرغم من إدراك وسائل الإعلام البريطانية استهداف المدنيين إذا ما أدوا أي دور لتمكين المجتمع الفلسطيني من العمل، فإنها فوجئت باستهداف الإرهابيين لكولنز؛ لأنه كان موظفا في مصرف يديره يهود بريطانيون.

أما عملية الاختطاف الأكثر صلفا فقد حدثت في اليوم التالي، أي في السابع والعشرين من يناير، وذلك عندما اختطف ثمانية رجال مسلحين من منظمة الإرغون القاضي رالف وِنْدَم من قاعة المحكمة في تل أبيب. كان أربعة من الثمانية يستمعون إلى مجريات المحاكمة داخل القاعة. وكانت أسلاك الهاتف قد قُطعت، ووُضعت جميع مكاتب البناية تحت تهديد السلاح. عند هذه النقطة بالذات اعترف المسؤولون البريطانيون بأنه ليس ثمة من هو في مأمن من الإرهاب الصهيوني في فلسطين، وأنه من الضروري تسفير النساء البريطانيات وأطفالهن والموظفين البريطانيين غير الضروريين. وبالفعل أصدر المندوب السامي كننغهام أمرا بتنفيذ هذا التسفير.

أكدت منظمة الإرغون أنها تحتفظ بشخصيتين مهمتين رهينتين لإجبار البريطانيين على وقف حكم الإعدام بالمدعو دوف غرونر، وهو ما كان مقررا تنفيذه في 28 يناير، وهو طلب مكيافيلي غريب من جانب الإرغون؛ لأن غرونر رفض في النهاية عرضا ينقذ حياته كان البريطانيون يريدون تقديمه، وقيل إن «انتحاره» جاء بناء على تعليمات من الإرغون[13].

«يهود فلسطين يتلقون إنذارا»، هذا ما قالته صحيفة «الديلي تلغراف»؛ «إنذار يعطي اليهود 48 ساعة لتحرير البريطانيين»، هذا ما قالته صحيفة «نيوز كرونكل». ويمثل هذان العنوانان ما نشرته الصحف البريطانية، بينما كان مصير

الرهينتين مجهولا، ولكن ما حسم الموضوع لم يكن إنذار البريطانيين بل إنذار الإرهابيين: فقد أوقف البريطانيون إعدام غرونر وجرى تحرير الرهينتين، وأعطت الحكومة وسائل الإعلام انطباعا يقول إن غرونر قدم التماسا للمجلس الاستشاري الخاص، لكنه لم يفعل.

احتُفظ بالقاضي ونَدَم في بناية صغيرة منفصلة، وأُعطي نسخة من الرواية الصهيونية التي نُشرت حديثا من تأليف آرثر كستلر بعنوان «لصوص الليل». ولم يتعرض للمعاملة السيئة، على عكس كولنز، الذي عُذب من دون سبب. وعندما استعاد كولنز وعيه من الكلوروفورم وجد نفسه معصوب العينين، مربوط الفكين، مغطى بكيس، وينقل فوق أرض غير مستوية إلى كهف أرضه طينية ويتسرب الماء من سقفه باستمرار. وكانت حروقه التي سببها الكلوروفورم من الشدة بحيث تعذر عليه تناول الطعام. وقد حاول طبيب من الإرغون أن يخيط الجرح الذي أصابه في الرأس، ولكن معاملة آسريه له ظلت «وحشية خشنة»، وفقا لوصفه. وأخبره آسروه بأنه سيُشنق إن شُنق غرونر.

أُجبر كولنز، بعد أن أُوقف إعدام غرونر، على توقيع إقرار بأنه عومل معاملة حسنة. ثم عُصبت عيناه واقتيد عبر أرض مغطاة بالحجارة والبرك لما يقرب من نحو نصف ساعة، وتُرك. لم يُشف كولنز قط، ومات بسبب الكلوروفورم.

مشّط البريطانيون ضاحيتين من ضواحي القدس بحثا عن المختطفين الذين قيل إنهم أعضاء في «الفرقة السوداء أ»، ولكن الوكالة اليهودية نددت بالبحث وقالت: «إنه يغير الوضع تغييرا يفوق التوقعات»[14].

كان مجلس العموم يصغي لشخص سُجن بسبب رفضه المشاركة في الحرب العالمية الأولى لتعارضها مع معتقداته، وأشرف على إنقاذ مئات اليهود من تشيكوسلوفاكيا بعد توقيع اتفاقية ميونخ عندما أصغى لآرثر كريج جونز في اليوم الذي كان تنفيذ حكم الإعدام مقررا فيه، وهو يفسر سبب عجز بريطانيا عن مواجهة الاختطافات. قال جونز لمجلس العموم:

> يحتاج كبح الإرهاب إلى تعاون فعال يقدمه الشعب اليهودي كله، كما يحتاج إلى تعاون الوكالة اليهودية المباشر، وهو ما يؤسفني القول إننا لا نتلقاه[15].

ظلت المدارس المصدر الأول لاستقطاب الشباب ما بين الخامسة عشرة والتاسعة عشرة، ولم تكن لدى المعلمين قدرة على حماية تلاميذهم. وكانت منظمة Va'ad Leumi تتحدث خلف الأبواب المغلقة عن «سيطرتها، وقدرتها على الإكراه، والتخويف، والتهديد، والابتزاز، واستخدام القوة ضد المعلمين، والطلبة، ورجال الشرطة، والسُّواق، وغيرهم»، ولكن الوكالة اليهودية رفضت مساءلتها. أما رئيس المجلس القومي اليهودي JNC ديفد ريمز، عضو الكنيست في المستقبل، فقد اعترف بأنهم

> يجبرون اليهود على الالتحاق بهم وعلى مساعدتهم ضد ما تمليه عليهم ضمائرهم. ويجد الناس أنفسهم مجبرين على المساهمة بالمال والجهد ضد إرادتهم... كذلك يجد التلاميذ في المدارس وفي الحركات الشبابية أنفسهم مجبرين عن طريق الضرب والتهديد على الالتحاق بهذه التنظيمات. كما يجبر مديرو المدارس والمعلمون على نحو مشابه[16].

قرر البريطانيون في ضوء هذه الأدلة التي تثبت تورط الوكالة اليهودية بالإرهاب أن يتحدوها: بأن تثبت أنها مؤهلة لأن تكون نواة الدولة المتحضرة الوليدة، «فدعوا الوكالة اليهودية ومنظمة Va'ad Leumi إلى دعوة الشعب اليهودي للمعاونة في القبض على أعضاء الجماعات الإرهابية الذين ارتكبوا جرائم القتل وغيرها من الجرائم منذ مدة طويلة». قال البريطانيون إن ذلك هو السلوك الذي يليق «بأي دولة متحضرة». أما رد الوكالة فكان إن عمل ذلك «يتعارض والمصالح السياسية اليهودية»[17].

أعاد بن غوريون في لقائه مع «اللورد المستشار»(*) قوله إن الوكالة اليهودية لن تتعاون في وضع حد للإرهاب ما لم تستجب بريطانيا لمطالب الوكالة، وتكرر الشرط نفسه في الاجتماعات التي عقدتها منظمة Va'ad Leumi. وفي الجهة الأخرى من المحيط الأطلسي كتب رئيس أساقفة نيويورك عن

> الغضب المتنامي إزاء الفظائع الغادرة اللئيمة، والدعاية اليهودية المنتشرة في جميع أنحاء العالم. فهناك غضب له ما يبرره ليس ضد الإرهابيين أنفسهم

(*) أو Lord Chancellor، وهذا منصب قديم لمسؤول في الحكومة البريطانية يعيّنه الملك بناء على ترشيح رئيس الوزراء، ويعمل في وظيفة أشبه بوزير العدل، وكان أيضا يرأس مجلس اللوردات. غير أن رئاسة مجلس اللوردات أسندت إلى شخص يُلقب بـ Lord Speaker في التعديلات الدستورية التي أجريت في العام 2005. [المترجم].

فقط بل ضد الدعم الذي لا يعبأ بالنتائج أو القيم، والذي يتلقونه من يهود الولايات المتحدة وغيرها[18].

ثم كرر رئيس الأساقفة السؤال الذي طرحته بريطانيا: كيف ستسيطر الوكالة اليهودية على الدولة اليهودية بينما هي تتقاعس عن كبح الإرهاب الآن؟ لخص المراسل الدبلوماسي لصحيفة «الديلي تلغراف» الوضع، بينما كانت المذبحة التي ارتكبتها الهاغانا في 5 يناير والتي راح ضحيتها أربعة عشر فلسطينيا في صفد لاتزال حديثة العهد على النحو الآتي:

لقد أثار تضخم مطالب اليهود، من مأوى روحي متواضع إلى دولة يهودية يسعون الآن إلى إيجادها بالإرهاب، مشاعر الغضب لدى العرب[19].

أما صحيفة «التايمز» فقد وصفت الوضع وصفا عبرت فيه ليس عن مخاوف الفلسطينيين فقط، بل عما كان واضحا لدى الكثيرين من تصرفات الوكالة اليهودية: سيعطي إنشاء الدولة لـ «اليهود رأس جسر يمكنهم من التوسع غير المحدود»[20].

جاءت الخطوة التالية في هذا «التوسع غير المحدود» في السابع من فبراير عندما انطلق مئات من مليشيا الهاغانا «بموكب من الشاحنات جنوبا في هذا اليوم، وأنشأوا ثلاث مستوطنات يهودية جديدة قرب الحدود المصرية»؛ استباقا لقرار التقسيم. وفي «السامرة» (التقرير البريطاني استخدم التسمية التوراتية لما هو في الوقت الحاضر جزء من الضفة الغربية) تابع المستكشفون المشاة جمع المعلومات الاستخبارية تحضيرا للمواجهة التي كان يعرف الجميع أنها وشيكة. كذلك بقي التوسع داخل لبنان هدفا هو الآخر. فقد بحث يوريل هايد، وهو مسؤول من الوكالة اليهودية كان مقره في لندن آنذاك مع كولك، مع مسؤول آخر هو إلياهو إيشتاين (إيلات) - الذي سيصبح بعد سنة واحدة أول سفير في الولايات المتحدة - هدف استيعاب لبنان ضمن إسرائيل[21].

عندما وصلت السفينة المسماة «ميركا» وعلى ظهرها مهاجرون غير شرعيين ميناء حيفا يوم 9 فبراير، وهي رحلة موّلتها «جماعة بيرغسن» التابعة لمنظمة الإرغون في الولايات المتحدة، «لوحظ» وفقا لتعليق البريطانيين «أن عددا كبيرا من الركاب، رجالا ونساء، قد أظهروا من الانفعال ما بلغ حد الهستيريا، وكان من الواضح أنهم كانوا يحاولون التأثير في المراسلين الكثيرين الذين كانوا يتفرجون على المشهد». ثم هاجم

هؤلاء الركاب؛ الذين كانوا في وضع بالغ القبح من القذارة، البريطانيين بالزجاجات المكسورة والعلب الفارغة، بحيث أصيب عدد من الجنود بجروح. ولكن وفقا لما وصفه ضابط أمن القوات الجوية المحمولة بأنه «مصدر يوثق به» (ويبدو أن التقارير البريطانية الداخلية صادقة وصريحة فيما يتعلق بموثوقية مصادرها)، ويبدو أن «قدرا معقولا من المحافظة على الشروط الصحية قد تحقق» في أثناء الرحلة. غير أن الأوامر صدرت قبل يوم من الوصول إلى اليابسة «لتحويل السفينة إلى زريبة خنازير» للأغراض الدعائية. وقد اتفق ذلك التقرير مع تقارير أخرى عن المخيمات في قبرص.

كانت رحلات الهجرة في أثناء الحرب كلها أشبه بالكابوس، ولم تكن بها حاجة إلى اصطناع البؤس. ولكن تقريرا منفصلا يقول إن هناك كثيرا مما يثبت «تشجيع جو الفاقة والبؤس والقذارة» في آخر يومين يسبقان اعتراض السفينة أو رسوها، وذلك بعد رحلة تتصف بالالتزام الدقيق بالنظام والنظافة. وليس في أي من الوثائق البريطانية ما يشير إلى الاستهانة بمأزق المهجرين الأوروبيين، ولكن البريطانيين أخذوا يميزون بين الضحايا اليائسين الذين تستغلهم الصهيونية لأغراضها، والمهاجرين الذين تفضلهم الوكالة اليهودية للمهاجرين ذوي الأبدان القوية الذين يصلحون لإنشاء المستعمرات، فهناك «تفاوت كبير بين الصورة المطبوعة» التي تصورها دعاية الوكالة؛ ويظهر فيها الناجون الضعفاء اليائسون من الحرب وهم يصلون إلى سفنها، وبين الأوروبيين والأمريكيين الذين في الأغلب ما تختارهم، وهم من فئة الشباب الذين يمتلئون حيوية، «ويُتَوقع منهم أن يكونوا مستعمرين مثاليين» أو أعضاء متعصبين في المليشيات. أما ركاب سفنها المزدحمة فالهدف منهم خلط «مسألة المهجرين في أوروبا بمسألة السكان اليهود في فلسطين، وهما مسألتان مختلفتان تمام الاختلاف»[22].

في ليلة 11 فبراير استخدمت منظمة الإرغون قنابل المولوتوف لحرق ناديين للشباب في هاشومر هاتسئير، وهي حادثة تذكر بحادثة شبيهة بها وقعت في 12 فبراير 1944 ارتكبتها منظمة ليهي. وتؤكد هذه الحادثة وغيرها اعتقاد أن التدخل اليهودي الفعال لمحو الإرهاب سيقود لا محالة لحرب أهلية؛ وفقا لما ورد في تقرير المكتب الرئيس لطيران الشرق.

وفي 13 فبراير وصلت شقيقة دوف غرونر إلى فلسطين لتحاول إقناعه بالتوقيع على الالتماس الموجه إلى المجلس الاستشاري الخاص، والذي قد ينقذ حياته، ولكن

المحاولة فشلت. وفي ذلك اليوم أغرقت التفجيرات سفينتين، وادعت منظمة الهاغانا مسؤوليتها في اليوم التالي، ولعدة أشهر أخرى لم يعد من الممكن تمييز أفعالها عن أفعال الإرغون.

وفي 18 فبراير فجّرت منظمة ليهي شاحنة قرب حديقة الحيوانات في القدس بالتحكم من بعد، فجُرح خمسة أشخاص، عُدت جراح اثنين منهم خطيرة، ونسف لغم سيارة أخرى على طريق حيفا - يافا، مقابل مستعمرة غان حاييم. وأغلب الظن أن هذه الألغام لم تُكتشف لأنها وُضعت على هيئة علامات تدل على المسافة، كما حدث في اليوم التالي (أي التاسع عشر)، عندما اكتُشفت علامتان من هذا النوع وتبين أنهما لغمان على طريق غزة - رحوفوت، كانا متصلين بجهازي تفجير في بيارة مجاورة.

انفجرت ألغام أخرى في حيفا خارج سينما موريه، وقُذفت قنابل على شاحنتين عسكريتين على جبل الكرمل، وتعرض المجال الهوائي(*) في عين شيمر لقصف بمدافع الهاون والأسلحة اليدوية، وخُربت أنابيب النفط قرب العفولة (حيفا) - لكن البريطانيين شكروا الله لأن «خلية التخريب في العفولة» كانت رديئة التدريب، فلم ينتج من محاولتها التخريبية فقدان كمية كبيرة من النفط. كذلك أدى العمل غير المتقن إلى تقليل الضرر الذي حدث للمجال الهوائي. وقد جاء في التقرير البريطاني عن الحادث بعد فحص المدافع التي ثُبتت في المكان: «ليس هذا من بين أفضل منجزات الإرغون الفنية». وكانت فتاة تتكلم بلهجة أمريكية قد اتصلت بالمراسلين لتنسب العملية إلى منظمتها. لكن الهجمات المتكررة على أنابيب النفط أدت إلى شح الكميات المتاحة، حيث تبين أن بعض مواضع التسريب التي اكتُشفت بعد فترة، ناتجة من تفجيرات.

وقد بشر اليوم الأخير من أيام شهر فبراير، بشهر دموي مقبل، إذ شهد ذلك اليوم وقوع تفجير لوكالة حيفا للملاحة؛ الواقعة في الطابق الثالث من بنك باركليز، خلّف قتيلين وسبعة جرحى جراحهم خطيرة، وبعضهم أصيب بكسور في الجمجمة. وقد «نفذ العملية يهوديان يرتديان بدلة رسمية من الخاكي، ويحملان مخلاتين

(*) هذا المصطلح من المعجم العسكري الموحّد مقابل مصطلح airfield. أما التعريف باللغة الإنجليزية فيقول إنه منطقة مستوية مزودة بمدارج صلبة السطح يمكن للطائرات أن تقلع منها أو تهبط عليها. [المترجم].

عسكريتين، ودخلا البناية على مهل وهما يتحدثان». كان القتيلان يهوديين، وهذا ما جعل منظمة ليهي تنشر قصة مختلقة عن «موظفين عبرانيين» أجبرهما «الضباط الأعداء» على إزالة القنبلة[23].

عند الساعة 10:45 صباح ذلك اليوم اصطدمت السفينة غير الشرعية أولوا بالشاطئ عند راس الكروم. وبعد أقل من ساعتين، وقبل أي إعلان عن الرسو السيئ، ذُهل البريطانيون عندما رأوا ملصقات تحث اليشوف على العمل ضد البريطانيين لأنهم سجنوا كل ركاب السفينة الـ 1350 الذين قفزوا إلى الماء - فيما قالت الملصقات - بعد أن رست السفينة عند بيت غاليم. وتبين فيما بعد أنه كان من المخطط للسفينة أن ترسو عند بيت غاليم، ولكن الخطأ في الحساب جاء بها إلى راس الكروم، ما أدى إلى عدم حدوث السيناريو المخطط والمتمثل في أن يقفز مئات اللاجئين إلى الماء. كانت الملصقات قد وُزعت في الوقت المتفق عليه قبل معرفة ما حدث. وقد ساورت الشكوك البريطانيين في مراسلة فضولية لجريدة «هاماشكيف» بدا أنها مطلعة جيدا على المعلومات، فعرضوا عليها أن يأخذوها إلى مكان الحادث من دون أن يعطوها تفاصيل كثيرة. وعندما أدركت أن مرافقيها لم يكونوا متجهين إلى بيت غاليم اغرورقت عيناها بالدموع. وقد كان من بين «اللاجئين الأوروبيين» على ظهر أولوا مستوطنون من الولايات المتحدة[24].

في هذا الوقت هددت نشرات الإرغون بإضرام «جحيم» في العالم كله إلى أن يُستجاب لمطالبها، واعترف المسؤولون البريطانيون، سرا، بأن الإدارة المدنية في فلسطين كانت بمنزلة «حامية محاصرة». ففي اليوم الأول من مارس بدأ «الجحيم» عند الساعة 3:20 عصرا؛ وذلك عندما تعرض نادي غولدشمت للضباط في القدس لهجوم متقن التخطيط، فأسفرت التفجيرات عن مقتل أربعة عشر شخصا على الفور، كان عشرة منهم من المدنيين، بينما جُرح ستة عشر شخصا آخرون. وبينما كان الإرهابيون يحرثون بشاحنتهم بوابة البناية، خرج منها أحدهم تحت حماية الأسلحة الأوتوماتيكية المنطلقة من خمسة أماكن: منها اثنان في كنيس يشوروم، ومقر الوكالة اليهودية، ومطبعة بيكوفسكي، ومكان آخر لم يُحدَّد. وزرع ذلك الإرهابي قنبلة فسفورية، بينما قذف آخرون حقيبة من نافذة مجاورة، وزرعوا قنابل حول البناية. ثم هرب الإرهابيون بينما دمر انفجار كبير «الطرف الجنوبي من البناية، فانهار ودفن عددا ممن هم فيه»[25].

وعند الساعة 6:45 من ذلك المساء زرع ستة يهود مسلحين متفجرات في موقف سيارات القوات البحرية في حيفا فدُمرت أربع عشرة سيارة. وبعد دقيقتين من بدء ذلك الهجوم انفجر لغم تحت سيارتين عند خربة بيت ليد، وفي تمام الساعة السابعة أُصيبت شاحنة بلغم أرضي في كريات حاييم على طريق حيفا - عكا. وسبب هذان التفجيران إصابة بعض الأفراد بجروح، ولكن لم يُقتل بسببهما أحد. وبعد عشر دقائق أُطلقت ثماني قذائف هاون باتجاه معسكر قرب خربة بيت ليد، فقتلت شخصا وجرحت ثلاثة. وبعد نصف ساعة من الهدوء انفجر لغم أرضي عند الساعة 7:45 على طريق حيفا - يافا قرب پتاح تكفا، وتبعته بعد خمس عشرة دقيقة ثلاث هجمات متفرقة. واستُخدمت المخزونات القديمة من المتفجرات في الهجوم على شاحنة قرب كريات موتسكن - وهي المتفجرات التي وصفها البريطانيون بأنها «سابقة لعصر القنابل المحشوة بالخردة»، فلم تسبب جروحا خطيرة.

وقد شاهد عدد من الناس سيارة جيب وهي تُنسف بلغم محشو بالخردة موضوع على شكل علامة كيلو في حيفا في ذلك اليوم (1 مارس). شاهدوها وهي تسير على الطريق مع سائقها القتيل وتصطدم بكومة من الحجارة، وتنقلب، ثم تنفجر محترقة. قُتل ثلاثة من ركابها، بينما يبدو أن الرابع نجا مع جراحه الخطيرة. كان من بين شهود العيان زوج يهودي وزوجته «يكنسان الزجاج المكسور بهدوء»، وعندما وصل مسؤول الأمن في الوحدة 317 من القوات المحمولة جوا بعد دقيقتين قالا، كالعادة، إنهما لم يريا شيئا. لكن كانت هناك شاهدة عيان أخرى، لم تكن معروفة للبريطانيين آنذاك: «مجموعة من اليهود الشباب»، من بينهم امرأة وُجدت بعد أشهر مع رجل من الوحدة 317 من القوات المحمولة جوا. قالت المرأة لعضو من هذه الوحدة إنها شهدت [حادثة تفجير الجيب في الأول من مارس]، وتطوعت بالإدلاء بالمعلومات وهي في الحالة الحميمة، وكانت التفاصيل متطابقة تماما مع الوصف الذي أعطاه الفلسطيني... وعندما ركض المخرب على مبعدة أقدام قليلة في شارع هرتسليا، قالت: «انظر، ذلك هو الشخص الذي فعلها»، فقال لها مرافقها: «اسكتي، واهتمي بأمورك الشخصية». ثم دخلت الجماعة إلى مقهى قريب كما

كانت النية، بينما كانت أجسام الجنود البريطانيين مطروحة في مكان ما إلى جانب طريق الجبل، ولم تُكتشف بعد.

وفي هجمات أخرى في الأول من مارس: فُجرت سيارة على الطريق الواصل بين رحوفوت وريشون لتسيون (8:35)، ونُسفت أخرى بلغم أرضي على طريق حيفا - يافا، وقُتل في هذا الحادث شخصان (11:15)، كما أُلقيت قنابل على مركز الشرطة في رحوفوت. وفشلت محاولة لقصف معسكر للجيش في الخضيرة بواسطة مدفع هاون مُخفى في بيارة برتقال - إذ انفجرت القنبلة الأولى في ماسورة المدفع. وعند نحو الساعة 11:45 فُجرت سيارة استكشاف بلغم أرضي على طريق رحوفوت - غزة، وأضافت بذلك ثلاثة قتلى وشخصا جريحا بجراح خطيرة إلى قائمة الضحايا. كان عدد القتلى ثلاثة وعشرين، وعدد الجرحى خمسة وعشرين، وكان ثلاثة عشر من الموتى من المدنيين[26].

في اليوم التالي (2 مارس)، نُسفت «شاحنة بدفورد قادرة على حمل ثلاثة أطنان» بلغم فُجّر كهربائيا عند ساحة مستديرة قرب الخضيرة بينما كانت الأحكام العرفية قد أُعلنت في أجزاء من فلسطين. واستمرت الفوضى يومي 3 و4 مارس، وجُرح فيها تسعة أشخاص - خمسة بريطانيين وأربعة فلسطينيين - جراح خمسة منهم خطيرة، من جراء الهجمات الصهيونية المستمرة. كما جُرح ثلاثة رجال جروحا بالغة عندما نُسفت شاحنتهم العسكرية قرب ريشون لتسيون، وجُرح عمال مدنيون عندما اصطدمت شاحنتهم بلغم فُجر كهربائيا قرب الرملة. وأُلقيت قنابل على حانوت تابع لمعسكر في حيفا من سيارة أجرة مسروقة، وتعرض معسكر قرب الخضيرة لهجوم بالرشاشات والأسلحة الصغيرة، وهاجم «يهود مسلحون» مكتب الحجز التابع لسينما أوريون في القدس.

في الخامس من مارس أصيب عابرو سبيل بجراح بعدما أُلقيت قنابل على سيارة للشرطة العسكرية في شارع من شوارع القدس، وجُرح خمسة أشخاص في هجوم على معسكر للجيش على طريق الخضيرة-غقات أولغا. ونُسفت سيارة مدنية تسير بين ريشون ولتسيون(*) بلغم أرضي، فقُتل شخص وجُرح آخر. «ووضع يهودي مجهول» حقيبة بنية في مبنى دائرة التخمينات البلدية في حيفا، فانفجرت - «على

(*) ورد اسم هذه المستعمرة بهذه الأشكال:

Rishon le Zion (p. 185), Rishon Lezion (p. 184), Rishon and Le Zion (p. 185), Rishon LeZion (p. 188).

عادة الحقائب في فلسطين» كما قال موظف الأمن بسخريته المريرة. وفي اليوم التالي جُرح خمسة جنود في هجوم على معسكر الجيش الواقع على طريق الخضيرة - غفات أولغا. وكانت قنبلتان قد أُلقيتا في موقف السيارات ولم تنفجرا، وعند تحليلهما تبين أنهما تحتويان على مادة متفجرة أمريكية وعلى خردة[27].

ظهرت في الولايات المتحدة في ذلك الشهر إعلانات يملأ كل منها صفحة كاملة تدعو إلى مقاطعة بريطانيا من أجل أن توقف ما أسمته «الحرب البريطانية للقضاء على الشعب اليهودي» التي يشنها وارثو حملات هتلر للقضاء على اليهود، وتُدعى الجهة التي نشرت الإعلانات «الصهاينة التعديليون المتحدون في أمريكا» United Zionists-Revisionists of America (*). أما في بريطانيا فإن السلطات التي كانت تراقب من يُظن أنهم إرهابيون صهاينة راح يساورها قلق متزايد عن نيات هجمات وشيكة في لندن، ولكن اللغة المنتقاة بعناية لم تترك مجالا لأي إجراءات. ما الذي يُفهَم على سبيل المثال من محادثة ملتقطة أجرتها خلية إرهابية مشكوك في أمرها يوم 21 فبراير تتضمن كلاما عن نقل شيء إلى بريطانيا بطائرة صغيرة؟ وحتى مما ورد في المحادثة: «حتى في تلك الحالة، يجب أن ننقله... أن نجلبه من موقع الهبوط» وننتظر ردا من فلسطين «عما إذا كانوا يريدون تنفيذه»[28].

وقد كان القلق في محله، ففي 7 مارس انفجرت قنبلة في نادي المستعمرات ودائرة الرفاه الاجتماعي للمستعمرات الواقعة في 6 شارع القديس مارتن، فأحدثت دمارا كبيرا لهيكل المبنى، وأدت إلى جرح عدد من الناس. في ذلك المساء غادر رجل لا يُعرف اسمه من فرنسا فندقه الواقع بالقرب من محطة فيكتوريا ومعه حقيبة، وزار أبراهام أبراهامز المحرر المشارك للجريدة الجديدة التي يصدرها حزب «الصهيوني الجديد» بعنوان جوش ستاندرد في شقته الشخصية. وقد استطاعت الرقابة البريطانية أن تسجل محادثة بين أبراهامز وزوجته قبل منتصف الليل بقليل حاول فيها الزوج التهرب من تفسير السبب الذي يدعوه إلى الاحتفاظ بحقيبة الزائر إلى حين عودته. اعترف بأن فيها قعرا مزيفا، ولكنه لا يخفي «سوى أوراق من خارج البلاد»[29].

(*) هذه ترجمة حرفية للعبارة الإنجليزية، لكن معناها يتضح إلى حد ما إذا أخذنا هذا التعريف أساسا للفكرة: تشير الصهيونية التعديلية إلى فريق من الحركة الصهيونية يشكل أساس اليمين الإسرائيلي غير الديني، وهو المنافس الأيديولوجي لصهيونية حزب العمال. وهذه التعديلية هي الأساس الذي يقوم عليه حزب الليكود. وترتبط هذه التعديلية باسم جابوتنسكي، ولذلك فقد تصح ترجمة العبارة بالصهيونية المتشددة أو المتطرفة. [المترجم].

جاءت «روايات تعتمد على القرائن» عن كيفية تفجير «نادي المستعمرات» من فرنسا بعد أيام قليلة عندما ادعت منظمة ليهي مسؤوليتها. فقد قيل إن روبير مزراحي - الذي كان يحظى برعاية جان پول سارتر؛ المناهض للاستعمار والمعاضد للصهيونية، على رغم ما في ذلك من مفارقة - قيل إن روبير مزراحي هذا ارتدى جاكيت خيطت به متفجرات. وأغلب الظن أن ياكوڤ إلياڤ (ليڤشتاين) هو الذي صنع تلك القنبلة، إذ ربما كان هو المسؤول عن تطوير الرسائل المفخخة التي استُعملت في موجة من الاعتداءات الصهيونية على الشخصيات العامة[30].



تفجير نفذته منظمة ليهي لسيارة مدنية (في الجزء الأمامي من الصورة)، ولسيارة شرطة (إلى اليسار من الجزء الخلفي منها)

الصورة مختومة بختم يعود إلى الفرقة السادسة المحمولة جوا، تاريخه مايو 1947

وفي فلسطين نسفت سيارة ضباط عسكرية مقطورة على طريق حيفا - يافا قرب الخضيرة فجُرح شخصان، وذلك في يوم تفجير نادي المستعمرات في لندن. وفي الثامن من مايو أُلقيت قنابل على معسكر للجيش في حيفا ومعسكر للشرطة في سارونا فجُرح الموجودون فيهما. وهوجم معسكر المشاة في تل أبيب بوابل من رصاص الأسلحة الصغيرة فقُتل أحد الحراس، وفُجرت سيارتان، كما أُطلقت النيران على شرطيين بثياب مدنية فقُتل أحدهما على الفور. وأسفر إلقاء قنابل على دورية في القدس عن إصابة ثلاثة أشخاص بجراح خطيرة، فيما سقط وابل من رصاص

الأسلحة الخفيفة على مركز الشرطة في يافا. واستمرت الهجمات حتى التاسع من الشهر، وفيها قُتل شخص وجُرح ستة عندما هوجم معسكر قرب الخضيرة بالأسلحة الأوتوماتيكية والقنابل. وهوجمت شاحنة شرطة قرب خربة بيت ليد، وخُربت خطوط الهاتف في حيفا والجليل الأعلى[31].

ذكرت صحيفة «نيويورك تايمز» في 9 مارس «أن الصهاينة كلهم يؤيدون الإرهابيين»، وتابع المراسل قوله: «إن زعيما صهيونيا بارزا يعترف في مجالسه الخاصة بأن منظمة الإرغون بقنابلها ورشاشاتها، وليست الوكالة اليهودية، هي التي تملي السياسة على يهود فلسطين، وبأن الإرهابيين يعودون إلى الذوبان بين السكان بعد أن يفعلوا فعلهم من دون الخشية من فضح أمرهم للسلطات». وما لم يعرفه مراسل صحيفة «نيويورك تايمز» هو أن البريطانيين سعوا، بعد أن لاحظوا الصلة بين تكتيكات الصهاينة وتكتيكات دول المحور التي هُزمت في الحرب، إلى الاستعانة «بعدد صغير من الضباط الذين كانت لديهم معرفة فنية ونفسية بالإرهاب، بعد أن مارسوه بأنفسهم على ما يمكن وصفه بالجانب الإرهابي في البلاد التي كانت تحت احتلال الأعداء في الحرب الأخيرة»[32].

وقد تعرض مبنى دار الأيتام السوري في القدس لهجوم رهيب في 12 مارس. ففي وقت مبكر من صباح ذلك اليوم أحدث الإرهابيون الصهاينة فجوة في سور للدار يبلغ ارتفاعها اثنتي عشرة قدما، ثم قاموا بهجوم تضليلي بينما كانوا ينقلون ثلاثة أكياس من الجلغنايت المعدة للانفجار. وعندما انفجر الكيس الأول «هز كل مبنى من مباني الدار الكبيرة، وأسقط كثيرا من الأولاد عن أسرّتهم». ثم تبع ذلك الانفجار «صوت يثير الغثيان ينبعث من الحجارة المتساقطة عندما انهار جزء كبير من البناية من الداخل ودفن من فيه تحت الغبار والأنقاض. وقد جُرح كثيرون، واستسلم أحدهم لجروحه في الحال تقريبا». لكن المذبحة المستهدفة لم تكتمل أهدافها: فقد كان هنالك مسؤول بريطاني ممن لم يصب بجروح لاحق المهاجمين ومنعهم من تفجير كيسي الجلغنايت الآخرين[33].

في اليوم نفسه (الثاني عشر) هُوجم معسكر للجيش قرب كركور بالقنابل والأسلحة الرشاشة، كما استُهدفت شاحنة عربية بلغم على طريق غزة قرب ريشون لتسيون، ونسفت سيارة تابعة لوزارة الحرب بلغم مزروع على جانب الطريق قرب سارون، وهوجمت سيارات قرب طولكرم، وعلى طريق حيفا - يافا.

مهما كانت طبيعة الصفقة التي عقدتها منظمة الإرغون مع مزارعي الحمضيات اليهود لتجنيب السكك الحديد ويلات الإرهاب في موسم الحمضيات، فإن أمدها كان قد انتهى. ففي الثالث عشر من الشهر فجّر الإرهابيون لغما تفجيرا كهربائيا لنسف قطار محمل بالبضائع جنوب القدس، قرب بيت صفافا، فقتل مهندس القطار ومساعده الفلسطينيان. وفي شمال اللد اختفى الإرهابيون خلف المشهد ليشاهدوا خمسة ألغام متصلة وهي تنفجر في قطار للنفط، ما أدى إلى انحراف تسع عشرة عربة من عرباته عن السكة، وتدمير 500 ياردة منها، وبعدها انطلقوا من مخبئهم وأمطروا القطار بوابل من رصاصهم على مدى خمس عشرة دقيقة. أما في تل أبيب فقد تعرض بنك تولت أشراي للسرقة، وذلك ربما للحصول على أموال للتسلح.

وفي الرابع عشر من الشهر نسف أربعة من أعضاء الإرغون خط النفط الخام التابع لشركة النفط العراقية والواصل بين حقول النفط العراقية والمصب في حيفا. وقد لاحظ البريطانيون «أن اختيار الأهداف ووضع العبوات يظهر قدرا لا بأس به من المعرفة النظرية لدى المخربين». كما فُجر لغمان تحت قطار للبضائع على خط اللد - غزة قرب بير يعقوب. ودمر نادي الضباط ومخزن المواد الغذائية في الخضيرة على يد الإرغون يوم الخامس عشر[34].

تابعت الإرغون أهدافها المنتقاة بعناية من أنبوب النفط يوم السادس عشر من مارس بتفجير خط النفط الخام التابع لشركة النفط العراقية قرب كفار حوسديني[*] (حيفا)، وسبب التفجير فقدان كمية كبيرة من النفط. كما استمرت الهجمات على البريطانيين بتفجير سيارة عسكرية فأصيب أربعة أشخاص. وحدثت حادثة أخرى في ذلك اليوم خارجة عن المألوف: تمثلت في إلقاء القنابل على قاعة المؤتمرات الصحافية التابعة للوكالة اليهودية والوكالة السياحية الواقعة عن شارع بن يهودا في القدس. ولم يتبنَ أحد المسؤولية عن الهجوم على الوكالة، ولكن الإرغون وجهت اللوم «للحكم البريطاني النازي». وليس من قبيل المصادفة فيما يبدو أن ممثلا للوكالة اليهودية في رومانيا اتصل بالقنصلية البريطانية بعد يومين، من مسافة

(*) يرد الاسم في الصفحة التالية بصيغة كفار حاسيديم وهي الأصح في رأيي، لكن لا ترد أي من الصيغتين في كتاب وليد الخالدي بصيغتيه العربية والإنجليزية. [المترجم].

ألف ميل، لقراءة بيان طلبت الوكالة اليهودية في فلسطين منه أن يقرأه للتعبير عن التعازي الخالصة لعائلات ضحايا الإرهاب - وهو بيان ربما قُصد منه أن يقرأ في شارع بن يهودا؟

أصيبت سيارة جيب بلغم في طبرية في ذلك اليوم (الثامن عشر)، بينما فشل لغم آخر، أُعد من دون إتقان، في الانفجار. وقد لاحظ البريطانيون بالفعل قدرا من التدني في نوعية الأعمال التي ترتكبها الإرغون، وهو ما نسبوه إلى اعتقال كثير من خيرة العاملين في المنظمة، ولاضطرارها إلى تكليف بعض الأعمال لقليلي الخبرة[35].

قُتل شرطي وجُرح ستة في 19 مارس عندما ألقيت قنبلة على مجموعة من رجال الشرطة والجنود قرب مركز الشرطة التابع لزخرون يعقوب في حيفا. وعند الساعة 2:45 من صباح اليوم التالي فشلت قنبلة فُجرت من بعيد في إصابة أهدافها، المتمثلة في رقيب وثلاثة من الشرطة. ووضع «ستة يهود مسلحين» بنك فلسطين للخصميات المالية تحت تهديد السلاح وسرقوه يوم 24 مارس «مستعينين فيما يبدو بأعضاء من العصابة كانوا موجودين في البناية من قبل». وعندما «ألقت مجموعة من اليهود قنبلة على سيارة مجموعة من الشرطة» بعد ثلاثة أيام، تمكن رجال الشرطة من قذف القنبلة خارج السيارة فجرحت اثنين من المارة. فتحول المهاجمون إلى استخدام الأسلحة النارية وقنبلة لهب فجرحوا شرطيا.

وعند نحو الساعة 9:05 صباحا من اليوم التالي (الثامن والعشرين) قاد «خمسة من اليهود الشباب بالزي العربي» شاحنة إلى خليج عكا، وخرج منها ثلاثة أشخاص وساروا إلى منطقة «مراقبة بعناية»، حيث كان ثمة سبعة أنابيب تغذية موضوعة معا فوق الأرض فوضعوا متفجرات تحت كل منها. وجاء الانفجار بعد عشر دقائق، فاشتعل النفط والبنزين، وبعد خمس عشرة دقيقة سببت حرارة الحريق تفجيرين آخرين. وفي تل أبيب «قتل ستة من الشباب اليهود المسلحين بالعصي» شرطيا برتبة عريف[36].

ظهر في ذلك اليوم هدف جديد لا يتفق مع الأهداف الأخرى: ففي كريات حاييم (في منطقة حيفا) فجر صمام أنبوب المياه وغرفة التفتيش، ولكن تخريب خط المياه لم يكن عملا متقنا، وهو ما شكل دليلا آخر على النقص الذي كانت تعانيه الإرغون في الرجال القادرين على تزويدها بالمعونة المناسبة. وبعد ستة أيام

«دخلت مجموعة من اليهود بيتا عند كريات حاييم قرب حيفا وأوسعوا يهوديا مدنيا ضربا». وكان ذلك عند الساعة الثانية والنصف من صبيحة يوم 3 أبريل. وفي بحر اليوم نفسه تعرض ما لا يقل عن ستة عشر يهوديا آخرين للضرب بالطريقة نفسها. وكان الأذى الذي لحق بثلاثة منهم من الخطورة بحيث نُقلوا إلى المستشفى. وعند الضغط على الضحايا نمى إلى علم البريطانيين أن الإرغون كانت أرسلتهم لتخريب أنبوب النفط، ولكنهم فجروا أنبوب الماء الرئيس عن طريق الخطأ. كان الضرب الذي تعرضوا له عقابا لهم، وفي اليوم الذي ضُربوا فيه أُرسل آخرون فأدوا المهمة بنجاح وخربوا أنابيب النفط عند كفار حاسيديم(*) [37].

في 29 مارس أُطلق الرصاص على ضابط ومفتش شرطة بينما كان كل منهما على ظهر جواده فقتلا. وهاجم الإرهابيون سيارة قرب الرملة، وخرّبت منظمة ليهي أنابيب النفط قرب العفّولة وقرب حيفا.

أما أسوأ هجوم ضرب أنابيب النفط في فلسطين فقد جاء بعد يومين، أي في آخر يوم من أيام شهر مارس، وذلك عندما نسفت خزانات النفط التابعة لشركة شل - مكس (Shell-Mex)(**). فقد هزت الانفجارات منطقة الساحل في حيفا جميعها ودمرت قرابة 20 ألف طن من النفط، وأحدثت اضطرابا في كميات المخزون من النفط، وسببت حرائق استعرت على مدى ثلاثة أسابيع وأحدثت دمارا واسعا على مدى ربع ميل من ساحل البحر الأبيض المتوسط. وهنا أيضا أعلنت ليهي مسؤوليتها، وذكرت في نشرتها الرقم 5 أن محاربيها نجحوا في اختراق منطقة الحراسة المشددة، «وعادوا إلى قواعدهم سالمين من دون خسارة». لم يعد نشاط ليهي مقتصرا على التفنن في الاغتيال، بل أصبحت تنافس الإرغون والهاغانا في مجال التدمير الواسع وتتفوق عليهما[38].

واستمر كل من موظفي القطاع العام وعائلات الضحايا في الكتابة للحكومة البريطانية؛ للتعبير عن إحباطهم في ضوء وجود قوات بريطانية يبلغ تعدادها مائة ألف، فيما تعجز عن مواجهة الإرهاب الصهيوني. ومن الرسائل التي تمثل هذا

(*) كفار حاسيديم: اسم مستعمرة يهودية تقع قرب الهربج، جنوب شرق حيفا. [المترجم].

(**) كانت هذه شركة مشتركة بين شركة شل الهولندية وشركة البترول البريطانية تبيع المشتقات النفطية بعلامة تجارية واحدة.[المترجم].

الإحباط الذي أصاب القوات التي أنيطت بها مهمة الحفاظ على السلامة العامة رسالة كتبها شرطي سابق:

نسمع باستمرار عن تأجيل تنفيذ حكم الإعدام [الصادر بحق الإرهابيين اليهود]... هل فعلنا ذلك مع العربي؟ لا. لقد حرقنا بيته، وشنق العرب بالعشرات، ولكن يبدو أن ثمة شعورا بأننا نخاف من اليهود. من الحقائق المعروفة جيدا أنك لن تحصل على أي تعاون مع اليهود في محاولتك وضع حد للإرهاب... نتهمكم بعدم تنفيذ واجبكم لأنكم تتأثرون بالدعاية الأمريكية واليهودية[39]. (التأكيد موجود في الأصل).

كان هذا جواب كريج جونز:

أولا هنالك فروق كبيرة بين الاضطرابات العربية التي حدثت بين العامين 1937 و1939 والمنظمات الإرهابية اليهودية التي نراها في هذه الأيام. كان المتمردون العرب مجموعات متفرقة من الفدائيين الذين يعملون في المناطق الريفية، أما منظمة الإرغون وعصابة شتيرن، وهما المنظمتان الإرهابيتان العاملتان في هذه الأيام، فهما منظمتان سريتان تتكونان من مخربين مدربين يبلغ عددهم بضعة آلاف، وهم مندمجون في سكان المدن[40].

قال جونز وغيره من الشهود إن السكان العرب عرضوا المساعدة في مكافحة الإرهاب، وهو ما تشهد به الوثائق البريطانية التي تعود إلى تلك الفترة. فكما قال جونز: «تلقت قوات الشرطة والجيش مثل هذا التعاون إلى حد ما في أثناء الاضطرابات، وتمكنت من الوصول إلى المذنبين». أما اليهود فإن مؤسسات مجتمعهم اتخذت قرارا «بعدم التعاون في هذا الأمر، وقوبلت قوات الأمن بالرفض البات من قبل المدنيين اليهود لإعطاء أي معلومات قد تكون متوافرة لديهم... لقد حافظت المؤسسات اليهودية على هذا الموقف الرافض للتعاون»[41].

أما كننغهام فكتب من القدس يقول: «هذا وضع يطلق فيه الرصاص على رجل من رجال الشرطة [على يد إرهابي يهودي]، فينطرح جريحا في الشارع بجانب صف من الركاب الذين ينتظرون الباص من دون أن يرفع أحدهم إصبعا لمساعدته». وينسى أولئك الذين لا يفهمون سبب عجز مائة ألف جندي في مواجهة الإرهاب أن «استعمال القوة العسكرية يأتي لمساعدة السلطة المدنية التي تؤدي وظائفها».

كان وضع المتفجرات عند جدران إحدى البنايات تحت غطاء من الرصاص [وهو أسلوب تتبعه العصابات الصهيونية] طريقة استخدمها الألمان بنجاح في العام 1940 ضد أقوى التحصينات في أوروبا... وتتحسن فرص نجاحها، كما يحدث في فلسطين، عندما يقرر السكان معا لأغراض سياسية ألا يميزوا أنفسهم عن أعضاء الجماعات المهاجمة، تلك الجماعة التي تظهر ضمن السكان المدنيين في أي لحظة، وتكون لديها القدرة على المبادرة، وتتمتع بكل ما يحتاج إليه نشاطها للنجاح فيه[42].

جاء شهر أبريل بما كان يجب أن تكون أخبارا طيبة جدا للمهجَرين اليهود وذلك عندما نوقش مشروع القانون US Bill H.R. 2910 في واشنطن. قصد مشروع القانون أن يتيح المجال لأربعمائة ألف من المهجرين من ألمانيا والنمسا وإيطاليا على مدى أربع سنوات فوق النسبة المعتادة. وأيدت وزارة الخارجية دخول المهجرين اليهود، وامتدحه المجلس (غير الصهيوني) الأمريكي للديانة اليهودية. لكن لم تدعمه أي من المنظمات الصهيونية ذات الصوت المسموع التي تُعرف بقدرتها على المبادرة، فمات مشروع القانون[43].

في اليوم الأول من أبريل، وبينما كانت النيران على الساحل المحاذي لحيفا تستعر من هجمات ليهي على مخزونات النفط، دخل إرهابيان يهوديان غرفة السيطرة في محطة القطار في نهاريا (في الجليل) وقتلا المهندس العسكري وسرقا بعض الأسلحة، وتمكن أربعة من رجال الشرطة من النجاة من الاغتيال في ذلك اليوم بينما قتل مدني في أثناء محاولة فاشلة لاغتيال رقيب. وفي قبرص في اليوم التالي ألقى فصيل الباليام، وهو الفصيل البحري من البالماخ التابع للهاغانا، القنابل على سفينة النقل البخارية البريطانية المسماة أوشن فغر.

«وزرع الإرهابيون لغما على زاوية طريق الجبل في حيفا يوم 3 أبريل في وضح النهار، وعلى مرأى من اليهود المحليين. ونسفوا شاحنة تحمل أغذية، فجرحوا اثنين بجراح خطيرة، وكان الهجوم على مرأى من عدد من يهود المنطقة الذين كانوا يتناولون طعام الإفطار في شقق تطل على المشهد»[44].

وفي بريطانيا كان القلق قد ساور المخابرات البريطانية منذ زمن حول اجتذاب اليهود الشباب للتطرف على يد المنظمة المتطرفة المسماة «بيتار» في موقعها شمالي

مدينة لندن. وقد وصف بيرسي سلتو، المدير العام لفرع MI5 آنذاك، «حركة الشباب اليهود المتطرفة» هذه بأنها «تحمل صفات شديدة الشبه في بنيتها وخصائصها بحركة الشباب التي أنشأها هتلر». وفيها كان الأطفال تحت سن العاشرة يوضعون في قسم يدعى «شواليم»، وأولئك الذين تتراوح أعمارهم بين العاشرة والسادسة عشرة في قسم يدعى «بيتار زئيرار»، ومن تتراوح أعمارهم بين السادسة عشرة والثالثة والعشرين في قسم يدعى «دارغات هاليجيون».

كان من بين من رعتهم «بيتار» إرهابي الإرغون دوف غرونر الذي ظل البريطانيون يؤجلون تنفيذ الحكم بإعدامه خوفا من العواقب. وعندما أوقف تنفيذ الحكم بغرونر في أواخر شهر يناير كان تشرشل يعلم أن وقف التنفيذ لم يأتِ بناء على استرحام قدمه غرونر، كما قيل لوسائل الإعلام، بل لكي تطلق الإرغون سراح الرهينتين هـ. إ. كولنز والقاضي وندم. (سأل تشيرشل آرثر كريچ جونز: «أليس من الخطورة بمكان الانحراف عن المجرى الطبيعي للعدالة بسبب تهديدات بالقتل تأتي من إرهابيين يحتجزون رهينتين؟» غير أن البريطانيين استنفدوا مع حلول شهر أبريل كل الوسائل التي تعفيهم من تسليم الإرغون «شهيدا» منهم. وقد كان غرونر شهيدا صنع صنعا: فقد رأى الإرهابيون، وعلى رأسهم بيغن، أن غرونر سيكون أقوى لدولة الاستيطان إن نُفذ حكم الإعدام فيه، ولذلك أقنعوه بألا يتعاون مع التأجيلات التي كانت ستؤدي إلى الإبقاء على حياته، وذلك للتأكد من أنه سيعدم، وهو ما حدث في 16 أبريل[45].

تطلبت الأيام السابقة «لاستشهاده» إجراءات أمنية مشددة عندما وصلت إلى إنجلترا يوم 11 أبريل غلبرتة إليزابث لازارس (المعروفة أيضا باسم بتي كنوت)، وهي الحفيدة الشابة المدربة للموسيقار ألكساندر سكريابن. قبل المسؤولون عن الهجرة قصتها: جاءت لتزور شخصا اسمه چن چان ينغ من كلية ترنتي كانت التقته في باريس. وبعد أربعة أيام تظاهرت أنها بحاجة إلى الذهاب إلى المرحاض، فتعدت حراس وزارة المستعمرات وهي تحمل قنبلة ثقيلة الوزن مخفاة في معطفها، ووضعتها في المرحاض ملفوفة بنسخ من جريدة «إيڤننغ ستاندرد» وجريدة «الديلي تلغراف» («اليمينيتين المتشددتين» وفق ما قال مفتش من اسكوتلند يارد). وعندما غادرت رأت عاملة التنظيف تدعى لزي هارت البقجة وفعلت ما لا ينبغي عليها أن

تفعله، إذ أخذت تزيل الأوراق المستخدمة للفها. لكن اللحظة التالية مرت من دون كارثة. لم تكن القنبلة مفخخة. وكما فسرت دائرة اسكوتلند يارد فيما بعد، كان أحد عقربي الساعة قد ضغط عليه أكثر من اللازم – فتوقفت الساعة قبل حلول ساعة الصفر. ولولا ذلك لأحدثت القنبلة فجوة في جدار وزارة الحرب كتلك التي عطلت فندق الملك داود، على رغم أن ذلك ربما كان من باب المبالغة. ومن الغرابة بمكان أن الساعة كانت عليها بصمة موجودة في سجلات البريطانيين، وهي بصمة عضو ليهي المشهور إلياف، وهذا ما قاد إلى الفكرة المستبعدة، وهي أن القنبلة كانت من قبيل التوبيخ، وقصد منها ألا تنفجر. وكان التولاميت [نوع من الديناميت] المستخدم يحمل ختم مصنع المتفجرات الموجود في سان مارتان دي كارو في فرنسا، وهو نوع تطابق فيما بعد مع متفجرات اكتشفت في منزل الحاخام باروخ كورف في باريس بعد هجوم جوي فاشل على لندن[46].

قالت منظمة ليهي في نشرتها الصادرة في شهر يونيو «إن القنبلة التي زرعها محاربونا في وزارة الحرب البريطانية في لندن ربما اكتشفت قبل انفجارها. ولكنهم «اخترقوا قلب الإمبراطورية»، ولم يتمكن رئيس اسكوتلند يارد من الوفاء بوعده العلني «بالقبض على الإرهابية في غضون 48 ساعة». كانت لازارس قد تسللت عائدة إلى فرنسا بالفعل.

لم تُفضِ الأدلة (التضليلية) التي حصل عليها البريطانيون إلى شيء: كان «يهودي بولندي يدعى بفنغر» هو مصدر إخبارية وصلت البريطانيين من جيبوتي عن طريق شركة غيلاتلي هانكي فحواها أن من كان خلف التفجير الفاشل يهودي أمريكي يدعى رسپي أو سكرپسكي يحمل جواز سفر من جمهورية الدومنيكان، يذكر فيه أن صاحب الجواز ولد في منشوريا. وبينما كانت بريطانيا تبحث عن الإرهابي، استمرت التهديدات بالتفجير أو بالموت بإزعاج السفارات والقنصليات في جميع أنحاء العالم – في شيكاغو وأثينا وبوغوتا وبوينس آيرس وسانتياغو وتونس[47].

وبينما كانت آخر الحرائق التي اشتعلت بعد الهجوم على تنكات شركة شل - مكس في فلسطين تنطفئ أخذت الطرق نفسها تشتعل، إذ راحت الإرغون تسكب البنزين على الشوارع بعد تلغيمها قبل أن تعود إلى إشعالها في وجود الدوريات المتحركة. وأصبحت الهجمات «الثانوية» أو الفاشلة من الكثرة بحيث لم تعد تحظى

إلا بذكر عابر في السجلات البريطانية، كتلك القنبلة التي اكتشفت وعطلت في سينما عدن في القدس يوم 16 أبريل. وبعد يومين (أي في الثامن عشر) «جاء ثمانية من اليهود بشاحنة» إلى الرقم 61 في محطة تضميد الميدان التي ترفع علمين بارزين للصليب الأحمر، «وقتلوا الحارس البريطاني وزرعوا المتفجرات في المبنى الخاص بمنطقة نتانيا»، وفجروا غرفة الفحص المحاذية بقاعة المرضى. وادعت الإرغون المسؤولية عن العملية.

وفي تل أبيب اغتال الإرهابيون شرطيا باستعمال الأسلحة وإلقاء قنبلة، فقتلوا مدنيا أيضا. واستهدف السعاة العسكريون في حيفا من سيارة صالون في شارع هرتزل، واستهدف آخرون في شارع الملك جورج. وادعت الإرغون أنها هي التي لغمت القطار قرب رحوفوت في ذلك اليوم، كما استهدفت عينة عشوائية من العسكريين برصاص قناصة يطلقون النار من سيارة مختطفة في حيفا يوم التاسع عشر.

وفي 20 أبريل نسفت شاحنة تابعة للجامعة العربية بلغم على طريق حيفا - عكا قرب كريات موتسكن، وألقيت القنابل على مخزن للصليب الأحمر فجرح العديد من الناس، واكتشف لغمان أرضيان في حيفا أحدهما مملوء بكمية كبيرة من المتفجرات الإيطالية ودفن بكوم من الزفت. وفي رامات زيف نسف لغم شاحنة من نوع شيروود فورسترز، وأدى الانفجار إلى جرح أربعة أشخاص، وفي القدس اكتشف لغم اتخذ شكل علامة الكيلو. أما أشد الهجمات خطرا في ذلك اليوم فقد استهدفت سينما المعسكر في مستشفى النقاهة في نتانيا حيث ألقيت قنبلة بينما كان الحضور الذين يناهزون المائتين يتأهبون للمغادرة. وقد جرح أربعة أشخاص، جراح أحدهم خطيرة، مع أن النتيجة كانت مخيبة لآمال من ألقى القنبلة في ضوء الهدف المقصود. وفي اليوم التالي (وهو الحادي والعشرون) نسفت شاحنة عسكرية بلغم على طريق خربة بيت ليد - حيفا[48].

جاء يوم 22 أبريل للإرهابيين بحالات ثانوية من الفشل. فقد وجد رجال الشرطة سائق سيارة أجرة، وسائق شاحنة، وشخصا اختطف في تل أبيب، وحرروهم. وفي القدس أخطأت قنبلة يدوية ألقيت على سيارة عسكرية هدفها، كما أخطأ لغم في حيفا استهدف سيارة للجيش. وأفشل هجوم بالقنابل على معسكر صرفند[49].

لكن حالات الفشل هذه لا تذكر إزاء النجاح الكبير الذي تحقق في ذلك اليوم، ألا وهو تلغيم قطار القاهرة - حيفا، وقتل ثمانية من ركابه على الفور، وجرح ستة آخرين جراح ثلاثة منهم خطيرة.

في صباح اليوم التالي استدعى المندوب السامي كننغهام الذي كان يتميز من الغيظ بن غوريون. وبعد أن عبر زعيم الوكالة اليهودية عن تنديده بالهجوم، ورفضه لطلب التعاون الذي تقدم به العميد سأله كننغهام إن لم يكن رفضه غريبا في ضوء البحث الجاري في الأمم المتحدة للوضع في فلسطين، فأجاب بن غوريون «بسيل من الحجاج»، وقال لكننغهام إن البريطانيين «لايزالون ملزمين بتفسير الانتداب كما يراه اليهود». وفي تلك الأثناء جرى تفجير شاحنتين أخريين في ذلك اليوم على طريق اللد - يتاح تكفا، فأصيب أربعة أشخاص، وكان المهاجمون قد عززوا التفجيرات بالأسلحة الأوتوماتيكية[50].

أثارت الهجمات أسئلة جديدة في البرلمان حول حماية خطوط السكك الحديد ضد الإرهاب اليهودي. وكان من بين الإجراءات المضادة للإرهاب المتبعة قبل الثاني والعشرين «الفحص المتكرر للخطوط، وتسيير الدوريات، ووضع الحراس، وحصر حركة السير بساعات النهار. كذلك كانت جميع التحركات خارج المناطق المبنية تحظر كلما تطلب الوضع». لكن كان هنالك اعتراف بأن «استعمال الإرهابيين للألغام التي تُفجر من بعد يجعل الإجراءات الاحترازية ضد التخريب أمرا بالغ الصعوبة»[51].

جاء اليوم الرابع والعشرون من أبريل بتفجيرات متفرقة وبحادثتين غريبتين دخل في الأولى منهما خمسة يهود مسلحين فندقا في تل أبيب «وسألوا إن كان فيه بريطانيون». واختُطف رجل أعمال بريطاني ثم أطلق سراحه «بعد أن تبين أنه يهودي». وفي حيفا فخخ بيت بقصد قتل الشرطي الذي قد يُستدعى للتحقيق فيما يبدو - وهذا أسلوب أتقنه أعضاء ليهي. ولكن الخطة فشلت عندما دخل عضو من أعضاء الهاغانا ذلك البيت من دون علم بما ينتظره فانفجر فيه اللغم. وفي صباح اليوم التالي (25 أبريل) عند نحو الساعة 8:55 أوقف يهودي، كان يرتدي زي شرطي فلسطيني، سيارة بريد وتلغراف، وبمجرد وقوفها ظهر ثمانية إرهابيين واختطفوا السائق وموظف البريد، واقتادوهما إلى منطقة بناي براق، حيث وضعوهما تحت تهديد السلاح، ثم تركوهما مقيدين[52].

وأغلب الظن أن هذه السيارة هي تلك التي استعملتها ليهي في هجومها على معسكر سارونا الذي بدأ بعد ساعة وعشرين دقيقة، عند نحو الساعة 10:15 عندما دخل اثنان من أتباعها بزي الموظفين إلى سارونا بسيارة كتلك السيارة - على رغم أن البريطانيين لا يربطون بين الحادثتين. ساورت الشكوك الحرس في البداية، لكنهم لم يلاحظوا ما هو غير اعتيادي، وبدا أن إذن الدخول لكل من الرجلين كان صحيحا. أوقف هذان «العاملان» سيارتهما بين بنايتين تضمان بدالة التلفون ومكتب الشركة. ثم عادا إلى البوابة ومعهما سلم وأسلاك، وقالا إنهما سيصلحان كابل التلفون خارج الموقع. لم يطل الوقت حتى حدث الانفجار عندما غادرا، فاهتز المعسكر وتهاوت البنايتان. وقال البريطانيون إن خمسة أشخاص قتلوا وجرح ستون، جراح بعضهم خطيرة، ولكن ليهي سخرت من هذه الأرقام، وقالت إن «أعداد الموتى فاقت بكثير العدد الذي أفصح عنه»، وأضافت أن «محاربينا عادوا إلى قواعدهم سالمين» بعد أن زرعوا متفجرات ثقيلة أخرى قبل المغادرة[53].

وسلمت حيفا في ذلك اليوم من تفجير، بعد أن انفجرت العبوة المتفجرة في حاملها، فقتلته. وفشل هجوم آخر في القدس عندما قُبض على الإرهابي وهو يضع لغما في شجرة. واستمرت الحوادث المعتادة التي تسمى «ثانوية»: قنابل يدوية تقذف على سيارات، أو الاستيلاء على سيارات أجرة، وهلم جرا. وفي السادس والعشرين اغتالت ليهي أ. إ. كونكوست، رئيس قسم التحقيقات الجنائية في حيفا.

ووقعت ثلاث هجمات مختلفة في صباح اليوم التالي في مدة لا تتجاوز ثلث الساعة. جاء الهجوم الأول عند الساعة 10:30 عندما فجر لغم من بعيد تحت قطار محمل بالبضائع على طريق اللد - يافا قرب تل أبيب. وبعد خمس عشرة دقيقة استهدف قطار آخر للبضائع على خط حيفا - القنطرة قرب بنيامينا، وعند الساعة 10:52 نسفت محطة القطار في الرملة فدمرت تماما. وفي اليوم التالي أُلقيت قنبلة على سيارة تابعة للشرطة العسكرية في القدس، فجرح مدني. وفي الثلاثين من الشهر وجد لغم أرضي كبير مدفونا تحت طريق يافا في ضواحي القدس فأُبطل بسلام. كان اللغم مكونا من صفيحتي نفط تتسع كل منهما لأربعة غالونات من البنزين وفيهما كمية كبيرة من المتفجرات وحديد الخردة[54].

وفي اليوم الرابع من مايو أزاح النجاح في هزيمة الأمن في سجن عكامايو كل الأعمال الإرهابية المعتادة عن صدارة المشهد. بدأت العملية بدخول «جماعة من اليهود المسلحين الذين كان بعضهم يرتدي الزي العسكري البريطاني» إلى سوق عكا بوسائط نقل بريطانية. ولم يطل الوقت حتى انطلقت الانفجارات، ولعلع دوي الرصاص من كل جانب، ودوت أربعة انفجارات ضخمة في الحمامات التركية المتاخمة للسجن. كان ذلك الهجوم أكثر من مجرد ضربة لقوات الأمن البريطانية؛ فقد أدت إلى الغوص في أعماق النفس لدى الحكومة في لندن، لأنه كشف للملأ ضعف السيطرة التي تبقت لبريطانيا في فلسطين. وبعد ثلاثة أيام تعين على المسؤولين أن يشرحوا لمجلس العموم والشعب البريطاني كيف يمكن لمؤسسة محصنة تحصينا شديدا أن تهاجم من دون أن يتعرض المهاجمون للعقاب»[55].

في الواقع كانت رسالة المندوب السامي كننغهام حول الهجوم بمنزلة الاعتراف بأن «السلطات المدنية والعسكرية كانت عاجزة عن إخماد الإرهاب [اليهودي]». لكن على رغم الغضب الشديد الذي كانت الحكومة تشعر به فإنها خشيت من أن تقرير كننغهام قد تكون له عواقب، «لاسيما في الصحافة الأمريكية»؛ لأنه تناول «الخلفية السياسية العامة في فلسطين، وألقى فيه اللوم الشديد على السكان اليهود وقياداتهم»[56].

هوجمت معسكرات الجيش في اليوم نفسه الذي شهد هجوم سجن عكا، وزرعت الألغام على الطرق في مناطق واسعة، ونسفت شاحنة قرب كريات حاييم. وفي 8 مايو دمرت مَحال خمسة من التجار اليهود بقنابل حارقة لرفضهم المساهمة في تمويل الإرغون. وبعد أربعة أيام، أي في 12 مايو، قُتل شرطيان وتعرض قطار لنقل العمال للتخريب. وسمعت نداءات للفلسطينيين لكي يقاوموا خطر الإرهاب الصهيوني المتعاظم، بل سمع حديث عن «يقظة عربية»، لكن لا يبدو أن الفلسطينيين «تواقون لزعزعة السلام الآن أكثر من قبل»، كما لاحظت المخابرات البريطانية.

كانت منظمة الأمم المتحدة الوليدة الكائنة في ضاحية ليك سَكْسس بولاية نيويورك تسعى إلى معالجة انهيار فلسطين. اعترض ممثلو جامعة الدول العربية على «المطالبة الصهيونية بأن تقيّم حل المسألة الفلسطينية على أساس تشرد مهجري

أوروبا اليهود» (9 مايو)، بينما طالبت منظمة الإرغون بإعطائها كل فلسطين وشرق الأردن لإنشاء دولة يهودية (14 مايو). وفي هذه الأثناء كان أتباعها قد ألقوا قنابل على معسكر صرفند وعلى سكة الحديد الواقعة شمالي الخضيرة، غير أنهم عانوا أيضا فشلين: في محاولة تفجير المحكمة العسكرية في القدس وتفجير خط للسكة الحديد غرب الخضيرة[57].

في 15 مايو اكتُشف لغم على خط حيفا - بيروت قرب عكا. انفجر هذا اللغم في أثناء تفكيكه فقتل ضابطين وجرح ثلاثة، جراح أحدهم خطيرة. ونسف قطار بضائع قرب رحوفوت. وكان الركاب، عربا ويهودا، هدف محاولة التفجير التي جرت قرب بيت غاليم لأنهم كانوا موظفين في مستودع للجيش بالقرب من حيفا. وقد وضعت القنبلة بحيث يسقط القطار عن ممره المرتفع، ولكن السائق النبيه رأى شيئا غير طبيعي أمامه فأوقف القطار قبل أن يثور اللغم. كما اكتشف لغم على الفرع الواصل بين اللد والقدس في الوقت المناسب. وفشلت أيضا محاولة لتلغيم السكة قرب تل أبيب. وقُتل شرطي في اليوم التالي، وجرح ثلاثة أشخاص بواسطة قنبلة محشوة بالخردة فجرت من بعد في حيفا[58].

لكن أغلب الظن أن القراء المحنكين لصحيفتي «نيويورك هرلد تريبون» و«نيويورك پوست»، من أتباع الإرغون، قد فوجئوا حينما قرأوا دعوات يملأ كل منها صفحة كاملة لتمويل الإرهاب في فلسطين. اتخذ الإعلانان شكل رسالة مفتوحة إلى الإرهابيين الفلسطينيين بقلم الكاتب المسرحي بن هخت، وتخلى فيه كاتبه عن أي ادعاء بوجود أهداف «عسكرية»، وأشاد حتى بتلغيم القطارات. وقال هخت فيما كان يمكن أن يعد تعبيرا قبيحا عن معاداة السامية إن يهود أمريكا يسعدهم سماع أخبار الإرهاب - باستثناء «اليهود الأغنياء»، الذين يسخر منهم.

> كلما فجرتم مستودعا بريطانيا، أو حطمتم سجنا بريطانيا، أو نسفتم قطارا بريطانيا إلى عنان السماء، أو سرقتم بنكا بريطانيا، أو أمطرتم الخونة البريطانيين، غزاة وطنكم، بوابل من رصاصكم وقنابلكم، فإن يهود أمريكا يحتفلون في قلوبهم بيوم عطلة. أيها الأصدقاء الشجعان، يمكنني أن أتصوركم وأنتم تتساءلون: «مادام يهود أمريكا يقفون خلفنا، لماذا لا يمدوننا بالعون والمال؟» الواقع يقول إن نسبة صغيرة من يهود أمريكا

لا يقفون خلفكم بعد... ومن سوء الطالع أن هذه النسبة الصغيرة تضم اليهود الأمريكيين الأغنياء كلهم...»[59].

لقيت دعوة هخت للإرهاب تأييدا من المعلق الصحافي المعروف وولتر ونچل، أما البريطانيون فقد تقدموا، مجددا، باحتجاج لدى الولايات المتحدة لسماحها بنشر إعلانات كهذه، وحتى لعدم إلغاء السماح للجماعة الإرهابية بالاستفادة من الإعفاء الضريبي. أما الرد المذهل الذي جاء به ترومن على جمع الأموال للإرهاب على أرضه فقد تمثل في أنه من الأفضل عدم «شحن العواطف» في فلسطين، بينما جاء رد الجهات الحكومية المعنية قائلا: إن إلغاء السماح للجماعة الإرهابية بالاستفادة من الإعفاء الضريبي «سيثير مزيدا من القلاقل أكثر مما يستحق الأمر»[60].

وذكر أحد العاملين في حكومة نيويورك ستي أن «أصحاب المناصب العليا» في حكومة المدينة «كثيرا ما وسعوا» مدلول التعليمات لتساند مواقف اليهود المتشددين، وهي تعليمات يجري الالتزام بها بشدة في غير ذلك من الأمور. وعندما بدأت جبهة جديدة تدعى لجنة إغاثة فلسطين بإرسال مبالغ كبيرة إلى فلسطين، أثارت طبيعة تحويلاتها إلى فلسطين «تساؤلات» حتى بين أعضاء مجلس بلدية نيويورك برئاسة وليم أودواير، وهو المجلس الذي يساند الصهيونية (لا بل يساند منظمة الإرغون). ومع ذلك فإن محاسب المدينة تلقى أمرا بعدم ذكر هوية من يتلقى المال في فلسطين «لأسباب واضحة»، وسُجل هدف اللجنة بأنه «نشر المعلومات العامة عن فلسطين»[61].

حدثت مقاومة محدودة في فلسطين في تلك الأثناء من منظمة يهودية تدعى «عصبة مقاومة الإرهاب» اتهمت الإرهابيين «باستعمال أساليب النازيين نفسها» ولذلك فإنها ستؤدي باليهود إلى المصير الذي لقيه النازيون. وأغلب الظن أن البريطانيين كانوا على صواب عندما خمنوا أن أعضاء العصبة ينتمون إلى الحزب الاشتراكي هاشومر هاتسئير. لكن يبدو أن هذه العصبة لم يطل بها العمر فلم يكن لها تأثير يذكر، وبقيت أشبه بالهامش المطمور[62].

فشلت محاولة لقتل أربعة من رجال الشرطة يركبون سيارة تابعة لقسم التحقيقات الجنائية صباح يوم 20 مايو، ولكنها أتبعت بهجوم ناجح مساء ذلك اليوم. فعند الساعة 8:15 «دخل عدد من اليهود المسلحين مقهى عربيا، وفتشوا

الموجودين. وعندما غادروا وضعوا لغما في البناية، ثم أطلقوا عددا من الرصاصات فقتلوا عربيا واحدا» وجرحوا الآخرين، كانت جروح ثلاثة منهم خطيرة. وعندما جاء العسكر فإنهم دمروا اللغم في موقعه، وكانت النتيجة تدمير المقهى بالكامل. وعند نحو الساعة التاسعة، أي بعد خمس وأربعين دقيقة تقريبا من البدء بالهجوم على المقهى، «دخل خمسة وعشرون يهوديا مسلحا مخيم سروراكة العربي قرب بِتاح تكفا وفتحوا النيران على السكان فقتلوا عربيا واحدا»، وزرعوا لغما أرضيا عند مغادرتهم. واستمرت عمليات تلغيم السيارات المعتادة، كتلك التي استهدفت موكب سيارات في تل أبيب بقنبلة فجرت من بعد.

جاء اعتقال خمسة من أعضاء ليهي الشباب في باريس بعد يومين (أي في 22 مايو) بدليل جديد يتعلق بتفجير وزارة المستعمرات في لندن يوم 11 أبريل. فقد كان لدى أحد الخمسة، واسمه جاك مارتنسكي مواد لصنع قنبلة ساد الاعتقاد بأنها تتصل بذلك الهجوم[63].

هوجمت محطتان للقطار وسكتان للحديد في 27 مايو: محطة الرملة (وقد دُمرت)، ومحطة قرب زخرون يعقوب، وخط حيفا - القنطرة قرب بنيامينا، وخط اللد - يافا قرب تل أبيب. وفي اليوم التالي أمكن إلى حد كبير إفشال الهجوم الذي استهدف موقع أنابيب شركة النفط العراقية ومكتبها في ميناء حيفا، إذ لم ينتج عن الهجوم سوى جراح بسيطة لرقيب في الشرطة وانفجار أنبوب ماء قطره 10 إنشات. وهوجم مجمع الورش التابعة للقوات الجوية في القدس بالقنابل يوم 3 يونيو. وفي 4 يونيو نسف قطار يسير على خط حيفا - القنطرة شمالي بنيامينا، كما ألقيت قنابل على خط اللد - يافا. وفي اليوم التالي ألقيت قنابل على محطة القطار في عثليث، وعلى أنبوب النفط الواقع في الشمال الشرقي من جلمة[64].

وفي أوروبا استمرت معركة الصهاينة من أجل اليهود المهجرين. وسرع موفدو الهاغانا، بحجة تقديم المعونة، من وتيرة حملتهم لإقناع «هؤلاء الأفراد المقتلعين بأن أملهم الوحيد للحصول على مستقبل محترم يتمثل في الانضمام إلى الحركة الصهيونية»، وفق ما ورد في سجلات المخابرات البريطانية. ومن بين من قاوموا الصهاينة الجبهة الديموقراطية اليهودية التي مقرها بوخارست، إذ قالت إن المبعوثين الصهاينة أقنعوا العائلات اليهودية ببيع ممتلكاتهم في هذه الدنيا من أجل الهجرة،

ليكتشفوا في النهاية أنهم معدمون مهملون في البلاد المجاورة. وقد وصفت برقية من وزارة الخارجية، أرسلت في مايو، الوضع بأنه

> نصب ينظمه ويموله صهاينة الولايات المتحدة الذين لا يواجهون أي خطر، بل يبذلون الوعود الزائفة للمهجرين في البلاد الأوروبية ويقنعونهم ببيع أملاكهم للسفر إلى «الأرض التي تفيض لبنا وعسلا»، ثم يحشرونهم في سفن مزدحمة لا تصلح للإبحار، من دون اكتراث بشروط الحياة أو السلامة[65].

قالت منظمة الهاغانا إن تكلفة «نقل اللاجئ عبر البحر الأبيض المتوسط إلى فلسطين» تبلغ 200 دولار لكل شخص، منها 40 دولارا لنقل الشخص على اليابسة من ألمانيا، و10 دولارات رشاوى، و150 دولارا لكل شيء آخر: فقدان السفينة، تعويضات، تأمين. كانت التمويلات والحسابات كثيفة، واستثمر في المشروع عدد من الأشخاص، ولكن من دون ترك آثار ورقية. ففي واحدة من هذه المعاملات الغامضة دعم شخص يوناني الجنسية يعمل «قوادا في الإسكندرية» إحدى رحلات الاستيطان هذه بدفع رسوم الميناء؛ التي كان يجب دفعها في بريطانيا من خلال شركة ملاحة سويدية. (عرف المقر الرئيس لشركة الشرق للملاحة الجوية «الصهيوني» تعريفا ظريفا بأنه «يهودي يدفع ليهودي ثانٍ لينقل يهوديا ثالثا إلى فلسطين».)

أخذت الحملة التي بدأتها الوكالة لتهجير يهود شمال أفريقيا منذ يناير في العام 1943 على الأقل (انظر ص 98 وص 198 أعلاه) تؤتي أكلها. فقد وصلت إلى فلسطين سفينة ترعاها الهاغانا لا تحمل مهجّرين يهودا من أوروبا، بل تحمل يهودا من شمال أفريقيا. كذلك تلقى البريطانيون معلومات استخبارية عن سفينة مهاجرين أوروبيين ستصل «لمقابلة الهيئة المكلفة بتقصي الحقائقUNSCOP(*)» ولتنقل ما يزيد على ستين من الصحافيين الذين سيرافقونها - تلك السفينة التي سيتبين أنها تلك المدعوة66 (Exodus)(**).

في فرنسا انطلق خبير المتفجرات ياكوف إلياف بمعية غلبرتة لازارس النشيطة لأداء مهمة جديدة باتجاه بروكسل. غير أن الحظ لم يسعفهما هذه المرة عند الحدود

(*) United Nations Special Committee on Palestine، وسوف أستعمل المختصر «أنسكوب» كما جرت العادة مع بعض منظمات الأمم المتحدة كالأنروا واليونسكو واليونسيف... إلخ. [المترجم].

(**) اسم هذه السفينة مستعار من اسم الكتاب الثاني من كتب الكتاب المقدس المعروف بسفر الخروج. [المترجم].

البلجيكية يوم 2 يونيو، إذ جذبهما الموظفون الذين شكوا فيهما جانبا ووجدوا أربع عشرة إصبعا من المتفجرات «مخفاة على جسم المرأة» (في مشدها). ووجدوا تحت القعر المزيف لحقيبتها فتائل التفجير وبطاريات الإصبع، وست رسائل مفخخة «مطابقة لتلك التي أرسلت إلى بريطانيا من تورين»، وهو ما أكد شك البريطانيين في أن الرسائل المتفجرة المرسلة من إيطاليا تعود أصولها إلى فرنسا. أما إلياف فكان يحمل مزيدا من البطاريات، ولكن قيل إنه تمكن من التخلص من ساعة كانت ستثبت جرمه لشبهها بالساعة التي استخدمت في القنبلة التي لم تنفجر في وزارة المستعمرات وكانت تحمل بصمته[67].

تراوحت مراتب الإرهابيين من الزعماء الانتهازيين الذين لا يهتمون بشيء سوى أنفسهم إلى الناجين الذين جرحتهم الحرب، وشكلوا ضحايا سهلة القياد. كانت غلبرتة لازارس في سني مراهقتها ما بين العامين 1940 و1944 قد التحقت بالمقاومة الفرنسية باسم بتي كنوت، وكانت قد جرحت بلغم أرضي. وقبل سنة من إلقاء القبض عليها، كانت قد تلقت مكالمة تلفونية من مجهول للقاء في Café de la Paix في باريس تتصل بمنظمة «للمقاومة اليهودية» - ليهي. ونتيجة لتدريبات العصابة اختلطت عليها المواقع الحربية واختلط الأعداء، ولم تنته الحرب في نظرها. كانت تؤدي المهمات المطلوبة منها بكفاءة عالية، ولذلك كلفت بلقاء أشخاص لا تعرفهم - أحيانا من الرجال، وأحيانا من النساء - وتعليمات لنقل حقيبة. كانت في العادة لا تعرف محتوياتها. ويبدو أن القبض عليها، والتحقيق الذي أجرته الشرطة البلجيكية معها، والسنة التي قضتها في سجن الأحداث قد جعلتها تدرك أن الأمور تغيرت وأن الحرب انتهت.

ساعدت قصة السفينة Exodus في تغيير مشاعر الناس لمصلحتها - كما غيرت مشاعرهم نحو أشخاص يصعب على المرء أن يتعاطف معهم من أمثال الحاخام كورف. انتقلت لازارس في العام 1951 إلى بئر السبع، وافتتحت فيها أول ناد ليلي أسمته «الفرصة الأخيرة». وسواء قصدت أن يشير الاسم إلى الموقع الجنوبي للمدينة أو إلى أملها الأخير في أن تعيش حياة طبيعية، فإن تلك التسمية اكتسبت معنى خاصا في سيرتها الذاتية. فبعد أربعة عشر عاما توفيت لازارس من سكتة قلبية في سن السابعة والثلاثين[68].

بعد يومين من القبض على لازارس وإلياف على الحدود البلجيكية وصل ظرف يحمل أختاما إيطالية إلى بيت هارولد مكمايكل، المندوب السامي المتقاعد، الذي كان قد عاد إلى بريطانيا قبل ثلاث سنوات. وبينما كان مكمايكل يفتح الظرف رأى قطعتين من الورق المقوى بينهما «كمية من مادة تشبه القهوة» وأسلاكا، فتوقف. وكان مكمايكل ذا تجربة تمكنه من أن يدرك على الفور أنه كان محظوظا فلم يفقد حياته: وكثيرا ما كان ورق الكربون يخفي ما بداخل الظرف، ولو فتح الورق الأبيض حوله لاكتملت الدائرة المتصلة بفتيلة التفجير.

كانت الرسالة التي تلقاها مكمايكل واحدة من عدد من الرسائل الصهيونية المفخخة التي أُرسلت إلى عدد من المسؤولين البريطانيين في إنجلترا في أوائل شهر يونيو، ومنهم إيرنست بفْن ورئيس الوزراء في المستقبل أنتوني إيدن. وكانت القنبلة التي قصد منها أن تصل إلى عضو البرلمان آرثر غرينوود قد ذهبت إلى شخص آخر يحمل الاسم نفسه، وهو مالك لمحل لغسل الملابس في جبسي هل. (تبين أن صاحب المغسلة أذكى من بعض أعضاء البرلمان، فنبه رجال الشرطة.) وبدأت سكرتيرة أحد أعضاء البرلمان بفتح رسالة مرسلة إلى رئيسها، ولكنها شعرت بالحرارة فألقت بالرسالة في سطل ماء وُضع بالقرب منها تحسبا واحتياطا[69].



رسالة مفخخة من ليهي كما تبدو من الداخل وفيها كيس من المتفجرات مع فتيلة التفجير - أزيلت البطاريات - أُرسلت إلى لندن، 1947 - 1948

كان ونستون تشرشل أحد المستهدفين في هذه الهجمة الجديدة من الرسائل المفخخة القوية التي تواردت في 7 يونيو، وجاءت عشرون منها من تورين. وكان من بين من تلقوا رسائل من هذا القبيل قائد القوات البحرية اللورد فريزر والمدير العام لمصلحة البريد. وقد وصلت رسالة إلى نايروبي فاكتشف أمرها وجرى تحليلها: كانت تشبه تلك المرسلة من إيطاليا، وتتكون من صفائح من الجلغنايت موضوعة بين قطعتين من الورق المقوى، مع أسلاك التفجير المثبتة بصمولات صغيرة[70].

كذلك تلقى الرئيس ترومان، الذي كان لموقفه الداعم للصهيونية دور حاسم في مستقبل فلسطين، رسائل مفخخة في ذلك الصيف. وعندما استُدعي واحد من كبار العاملين في قاعة البريد من عطلته بسبب تراكم البريد الناتج عن المسألة الفلسطينية، لم يكن سبب الاستدعاء هو حجم المراسلات بل لأن بعض الرسائل التي كانت تصل إلى غرفة البريد الخاصة بالرئيس «كان من الواضح أنها أُرسلت لتقتل»[71].

استجابت الأمم المتحدة لطلب بريطاني وعينت اللجنة الخاصة بفلسطين التابعة للأمم المتحدة (أنسكوب) للنظر في الوضع المتدهور في فلسطين وللتقدم بتوصيات للحل – أو لإيجاد مخرج لبريطانيا إن شئنا الدقة. وكانت الوكالة اليهودية قد أعدت للجنة من دون علمها حلقة واسعة للتجسس، اكتُشفت مخطوطاتها بين أوراق منظمة الهاغانا التي اكتشفها البريطانيون في القدس في 3 أغسطس. وكانت بعض الكلمات المستخدمة عبارات تورية كما في حالة «أوتيل» التي حسب البريطانيون أن معناها الوكالة اليهودية، ولكن لم يكن ثمة ما يدعو إلى اعتبار هذه التوريات شفرة مقصودة.

تشكلت الحلقة من ثلاث شبكات: شبكة «السواقين»، وشبكة «الخدم»، وشبكة «المسرح». احتاجت شبكة السواقين إلى خمسة من الجواسيس، ولكن وُظف سادس ليحل محل سائق اللجنة الذي تصادف أنه فلسطيني. وتولى السواقون الخمسة الآخرون «الإخبار يوميا عن تحركات أعضاء اللجنة واجتماعاتهم... إلخ»، وفق ما يرد في المخطوطات، ولكن «مما يؤسف له أن السواقين لم تكن لهم معرفة كافية باللغة [الإنجليزية؟] ولذلك فإنهم لم يستغلوا موقعهم الخاص استغلالا كاملا». ومما قلل أيضا من فاعليتهم أن السيارات كانت مزودة بفاصل زجاجي بين السائق والركاب، بحيث أصبح الإصغاء صعبا. غير أن أحد الجواسيس

السواقين رافق أحد أعضاء اللجنة إلى بيروت في رحلة كان من الممكن أن تكون مثمرة. كذلك نهجت شبكة الخدم النهج نفسه «بغرض متابعة اجتماعات أعضاء اللجنة مع أشخاص متنوعين».

أما أفضل الشبكات إنتاجا فكانت شبكة المسرح المكونة من النساء فقط. «فقد تمكنا بالتعاون التام مع خدمة التبادل العام للعمالة [الهستدروت؟] من تشغيل خمس عاملات في بناية كديما(*). أما ماذا كانت جاسوسات المسرح يعملن بينما يخدمن أعضاء لجنة الأنسكوب المكونة من الرجال فقط فلا ترد عنه تفصيلات، باستثناء ملاحظتين: كان يجب أن يكنّ مثقفات، والأهم من ذلك أن يكن «جريئات». وكانت عملية اكتشاف المرشحة المناسبة صعبة:

كان الوقت المتاح للحصول على أولئك الفتيات قصيرا جدا - نجحنا في الدفع بثلاث فتيات واثنتين أخريين بناء على توصية من أشخاص قريبين منهما - ولكن تبين أنهما لم تكونا جريئتين بما يكفي، وكان مستواهما التعليمي أقل من الثلاث الأخريات.

أما الفتيات الثلاث ذوات التعليم الأفضل والجرأة الكافية فقد كن على قدر كبير من الأهمية. إذ جئن بمادة وفيرة من الدرجة الأولى. وتمكنا من خلالهن من تسلم رسائل بنش وتقاريره وأسئلة السير عبدور وأسئلة ساندستروم وكذلك البرقية التي أرسلها هود إلى حكومته(**). أظهرت الفتيات إخلاصا عظيما وتفهما وقدرا كبيرا من المخاطرة، وهذه أمور تستحق التسجيل.

وعلى رغم أن الفتاتين اللتين لم تكونا جريئتين بما فيه الكفاية كانتا أقل إنتاجا فإنهما «لم تشكلا عقبة، وفُرّغت معلوماتهما على يد الفتيات الأخريات». وبعد انتهاء المهمة واجهت الوكالة «عدم وجود مجموعة خياطة [؟](***) من خريجات المدارس الثانوية أو الجامعات يعرفن الإنجليزية معرفة جيدة». حاول «العاملون

(*) بيت كديما: مجمع بنايات في القدس بناه البريطانيون قبل سنتين لإيواء عائلات الضباط البريطانيين، ولكنه استخدم سكنا لأعضاء لجنة الأنسكوب في أثناء وجودها في فلسطين. [المؤلف].

(**) لم أتمكن من تحديد هوية Bancz هذا. السير عبدور هو السير عبدالرحمن ممثل الهند. القاضي إميل ساندستروم ممثل السويد. ج. د. ل. هود ممثل أستراليا. [المؤلف].

(***) التساؤل هنا موجود في الأصل، وهو عن معنى العبارة - ولعل المقصود وضع المعلومات المتجمعة معا بحيث يكون لها معنى معقول. [المترجم].

في تسيير الأمور» الإسهام في أعمال الخياطة، ولكن لم يتسن لنا استقطاب عدد من الطالبات لتنفيذ المهمة إلا بعد انتهاء الامتحانات في الجامعة»[72].

عقدت الأنسكوب أول اجتماع علني للاستماع لأقوال الشهود في القدس يوم 17 يونيو. وكانت هذه اللجنة هي اللجنة التي ستقرر مصير فلسطين، ولكن معظم أعضائها كانوا (وفق ما قاله مراسل «نيويورك تايمز» ألبرت كلفتن دانيل، الذي تزوج ابنة الرئيس ترومان فيما بعد) «يجهلون أبسط الحقائق عن البلد [فلسطين]»، «ويجهدون للحصول على المعلومات». وكان مسؤولو الوكالة اليهودية من أمثال شاريت موجودين لتزويد الأنسكوب «بالمعلومات»، وظل ضباط ارتباطها على صلة وثيقة باللجنة طوال مدة الزيارة.

كان السير عبدالرحمن، ممثل الهند، الوحيد من بين أعضاء اللجنة الذي حاول أن يبدأ نقاشا في فحوى الأمور، كما حصل فيما بعد في مقر الأمم المتحدة في نوفمبر، لكن شاريت حرف النقاش عن مساره (وفق تعبير «نيويورك تايمز»). كان الحاضرون يجلسون حول منضدة من خشب الماهوغني على شكل حدوة الحصان في بناية جمعية الشبان المسيحيين. قال شاريت من دون مواربة: إن الوكالة اليهودية لن تقبل بالمساواة («الوحدة») مع الفلسطينيين. وسوغ هذا التمييز لأعضاء الأنسكوب بقوله: «إن فلسطين مدينة بوجودها إلى كونها المكان الذي ولد فيه الشعب اليهودي». وأنكر التطهير العرقي الذي قد يخشى مستمعوه، أو مستمعوه البريطانيون على الأقل، حدوثه عما قريب، وادعى أنه «لم تُزَل قرية واحدة من خريطة فلسطين بسبب الصهاينة - وهذه الإشارة إلى الخريطة تثير التأمل، إذ لن يطول الوقت قبل أن تُزال القرى غير اليهودية من كل من الخريطة والأرض.

فاتح أحدهم كارتر ديفدسن، وهو صحافي أمريكي آخر أرسل إلى فلسطين لتغطية أخبار زيارة اللجنة، سرا، ومعه رسالة من قائد الإرغون مناحيم بيغن: أراد بيغن أن يرتب لقاء سريا مع أعضاء اللجنة. نقل ديفدسن الطلب إلى رئيس اللجنة ساندستروم فوافق. وفي 24 يونيو ذهب ديفدسن وثلاثة من أعضاء اللجنة هم السيد ساندستروم، والدكتور ديفد هو، والدكتور رالف بنش «للكزدرة» فالتقوا في سيارة أجرة متفق عليها. أخذتهم السيارة إلى شارع مظلم وتركتهم هناك. ثم «تقدمت فتاة جميلة ونطقت بكلمة السر المتفق عليها، وساروا في طرق ملتوية إلى

أن وصلوا إلى سيارة أجرة أخرى سارت بهم قرابة ربع الساعة عبر طريق غير مُضاء إلى مكان اللقاء مع بيغن واثنين من مساعديه.

أقسم بيغن لممثلي الأنسكوب «إن سلام العالم سيتعرض للتهديد إن ووفق على التقسيم»، وإن لم يعد الوطن العبري بكامله إلى «مالكيه الحقيقيين». وتفاديا لأي سوء فهم عما يضمه هذا الوطن، فإنه يشمل «المنطقة الممتدة بين البحر الأبيض المتوسط والصحراء شرقي الأردن، من دان إلى بئر السبع».

سألت اللجنة: «ولِمَ لا نلجأ إلى الديموقراطية البسيطة؟» فوافق بيغن، ولكنه قال إن الأرض كانت فيها دولة يهودية قبل ثلاثة آلاف سنة، ولذلك فإن الدم اليهودي في جميع أنحاء العالم هو مواطنو فلسطين. واليهود كلهم في جميع أنحاء العالم هم الناخبون. ولكن ماذا يحصل لو أن اليهود في العالم أجمع لم يصوتوا وفق ما أراد؟ أجاب بيغن بأن توسع في أبعاد «الناخبين اليهود» مما هو جغرافي إلى ما هو دنيوي، وقال إن هذا التصويت لن يكون مشروعا لأن «الشعب» اليهودي يضم اليهود كلهم في الأجيال المقبلة كلها، ولذلك فإن أي أغلبية «من جيل اليهود هذا» لا قيمة لها إن صوتت ضد المصالح الصهيونية.

أُبقِي هذا اللقاء مع الإرهابي الذي يتصدر اسمه قائمة المطلوبين خارج تقرير اللجنة، ولم يُعترف به إلا بعد أن كشف ديفدسن عنه بعد شهر لصحيفة «نيويورك تايمز». وأعدت العصبة اليهودية نسخة رسمية من هذا اللقاء، وكانت النسخة الأولى مطبوعة على الآلة الكاتبة في «مقر الشتات الرئيس لمنظمة الإرغون بتفويض من القيادة العليا في إرتس إسرائيل» بعنوان «مؤتمر الإرغون والأنسكوب»، ويبدو أن الصفحات الأربع عشرة قد أرسلت إلى البريطانيين من لندن[73].

لم يُحدِث وجود الأنسكوب سوى توقف جزئي للعنف الصهيوني. ففي الثالث من يونيو أُلقيت القنابل على مكتب القوة الجوية الملكية الموجود في موقع المستشفى الإيطالي، ولُغِّم قطاران في الرابع منه، كما فُجِّر كل من محطة القطار في عثليث وأنبوب النفط العائد لشركة النفط العراقية في الخامس منه، فحدث في التفجير الأول دمار واسع، وضاع ما مقداره 800 طن من النفط الخام في الثاني[74].

في 9 يونيو توقف خط الهاتف في بركة غال غِلْ للسباحة في رامات غان، في نحو الساعة الخامسة مساء، ودخل «سبعة يهود مسلحين بالرشاشات القصيرة

والمسدسات» واختطفوا رقيبا وشرطيا. وعندما قذفوا قنبلتي دخان لإخفاء وجهتهم لاحظ أحد الشهود «عشرة رجال وفتاة واحدة» وهم يجبرون الأسيرين على الدخول إلى شاحنة مسروقة. ثم أصدرت منظمة الهاغانا بيانا تأمر فيه اليشوف بعدم تزويد البريطانيين بأي معلومات عن الاختطاف، على أن يمد «مؤسسات اليشوف الأمنية» بها. وعند ظهيرة اليوم التالي طوق البريطانيون مستوطنة كريات شاؤول وحرروا الرجلين، وكان آسروهما قد قالوا لهما إن مصيرهما يعتمد على نتائج المحاكمات الجارية للمتهمين من أعضاء الإرغون. وكان من بين الأسلحة المُكتشفة رشاش قصير طراز تومسن، «وقنابل من النمط الأمريكي». وهاجمت الجماعة الإرهابية مكتب وكالة «رويتر» في تل أبيب يوم 12 يونيو، وفي مساء ذلك اليوم نفذت تفجيرين استهدفا تحذير يهوديين غير متعاونين، أحدهما تاجر خمور والآخر صاحب محل للأدوات المعدنية اتُهِم بأنه يشتري الحليب من الفلسطينيين.

في تلك الأثناء كانت الإرغون مشغولة بحفر نفق يصل إلى قيادة الجيش في بيت الحمضيات في تل أبيب من سرداب في بناية مجاورة. فقد كانت المنظمة تستهدف بيت الحمضيات منذ وقت طويل، وكان من شأن النفق الذي يبلغ طوله 250 - 300 قدم أن يعطيها موقعا قاتلا. وكما هي عادتها فخخت العصابة عملها بحيث يقتل أي فضولي يفتقر إلى الحذر، ولذا انفجرت قنبلة وقتلت عضو الهاغانا زئيف وبر عندما اكتشف النفق في الساعة الحادية عشرة من صباح 18 يونيو. وسُمِع الانفجار من الخارج فنَبَّه البريطانيين. وهنا عملت الوكالة اليهودية على تضخيم صورة البطل القتيل الذي ضحّى بحياته لإنقاذ حياة البريطانيين، وعلى رغم أن «إنقاذ حياة البريطانيين» جاء نتيجة غير مقصودة لتجسس الهاغانا «لمنع أي حادثة كبيرة في أثناء زيارة الأنسكوب» فإن النتيجة كانت إنقاذ حياة البريطانيين فعلا. ولذا حضر ممثل عن البريطانيين الجنازة بكل احترام[75].

في 22 يونيو وقع مساعد مدير الشرطة مغشيا عليه بعد أن تلقى ضربة من «أربعة رجال وفتاة» بأنبوب من الحديد في فرع القدس من مركز الكتب الأردني. ولكن المهاجمين هربوا بعد أن دق تاجر قريب جرس الخطر. وفي مساء ذلك اليوم نسفت قنبلة صغيرة مدخل المدرسة الإنجليزية للبنات في شارع شبتاي ليفي في

حيفا وقُصد من ذلك ردع الأمهات اليهوديات عن إرسال بناتهن إلى مدرسة أجنبية. وتبين بعد اكتشاف مصنع لرشاشات ستن وذخائرها يوم 20 يونيو «أن ذلك المصنع كان واحدا من سلسلة من هذه المصانع» التي تشرف عليها الهاغانا. وبعد يومين أُفشِلت محاولة لاختطاف ضابط السيطرة على الحدود في القدس.

وفي مساء 24 يونيو سمع انفجار صغير في بيت قريب من فندق سالڤيا مقابل المحاكم العسكرية في القدس. ولما كان البريطانيون على علم بميل الإرهابيين إلى الإيقاع برجال الشرطة في بيت ملغم فإنهم امتنعوا عن الدخول إلى أن ظهر ضوء النهار، ووجدوا أن شكهم كان في محله: فقد وجدوا في الداخل فرشة، فلم يعبثوا بها بل ربطوها بحبل وسحبوها عن بعد إلى مكان بعيد بما يكفي خارج البناية. وعندما انفجرت دمرت السور بكامله. وكان ثمة درج مفخخ في منضدة أيضا[76].

في 25 يونيو اقتحم إرهابيون شقة في القدس يقيم فيها ضابط ارتباط الأنسكوب وضربوه بأنبوب على رأسه، فقاوم محاولاتهم لتخديره بالكلوروفورم لمدة كافية لأن يتملص منهم ويخرج ويؤشر لسيارة عسكرية تصادف مرورها من هناك، وبذا أفشل عملية اختطافه. لكن المهاجمين أطلقوا الرصاص على السائق في أثناء هربهم. وفي دفُن في بريطانيا أثارت سرقة متفجرات من مقلعين للحجارة مزيدا من الشعور بالقلق. وقد استُنتِج من خلال التنصت على المكالمات أن المتفجرات كانت ستستعمل في أعمال إرهابية في بريطانيا خدمة للأهداف الصهيونية[77].

وأُطلِق الرصاص على أربعة من الجنود في هجومين منفصلين يوم السبت المصادف 28 يونيو. واستخدم المهاجمون المنتمون إلى منظمة ليهي سيارة أجرة («مستعارة كالعادة») لكي يتجهوا بها إلى مطعم أستوريا الواقع في شارع هالتس في حيفا لإمطاره بوابل من الرصاص، فقتلوا ضابطا وجرحوا اثنين. وكان المطعم معروفا بازدحامه بالضباط البريطانيين في أمسيات السبت، وكان «يُعرف عن صاحبة المطعم اليهودية أنها صاحبة نظرة معتدلة» حول القضية الفلسطينية. وفي شارع ألنبي في تل أبيب أُطلق الرصاص على أربعة ضباط بريطانيين من الخلف، بالطريقة التي تتسم ليهي بها. وقد نجا واحد منهم. وانفجرت عدة قنابل في القدس خلف مقهى ڤيينا، وفي التاسع والعشرين من الشهر هوجم جنود وهم يستحمون قرب هرتسليا. ويعتقد أن اثنين منهم قد أصيبا بجراح لا شفاء منها.

ومع تنامي القناعة بصدق الادعاءات بأن تفخيخات الإرغون غير قابلة للإيقاف وُجدت قنبلة على الخط الواصل بين كفر سانير وعثليث، نتج عنها تدمير ستين ياردة من السكة. وزادت ليهي من التفنن في التفخيخ فأخذت توزع نشرات تنفجر إذا أُحرقت[78].

أدى تسلل الإرغون إلى مخيمات المهجّرين الأوروبية إلى جعل أوروبا جبهة من جبهات الإرهاب. فحاول مهجرون تشبعوا بالأفكار الصهيونية أن يلغموا في شهري مايو ويونيو القطارات التي تستخدم السكة الحديد الرئيسة بين برلين وهانوفر، ولكن المتفجرات اكتُشفت قبل وقوع الكوارث المقصودة. وجاء أول الدلائل على مصدر القنابل مع محاولة تفجير القطار السريع الواصل بين هانوفر وهامبورغ في 28 يونيو. كانت القنبلة من النوع المعتاد: 30 كيلوغراما من الجلغنايت المستخدم في المقالع، مع جهاز تفجير كهربائي. وكان جزء من الورق المستخدم لتغليف اللغم يحتوي على كتابة عبرانية، وأمكن إرجاعها إلى نشرة تدعى Unsere Stimme (أي «صوتنا») من مخيم بلزن. وقد حدد هذا الورق وقصاصات أخرى من ورق التغليف مصدر المتفجرات في بوخم في منطقة الرور، حيث قادت سجلات كبير العمال مع تحقيقات أخرى في هانوفر إلى توقيف أربعة أشخاص، اثنان منهم من المنطقة المجاورة واثنان من ميونخ. «ومع أن الإرهابيين أحجموا عن الإدلاء بمعلومات» فإن واحدا منهم أكد فيما بعد أن قيادة العمليات الأوروبية التي تقوم بها الإرغون تقع في باريس، «مع مقر فرعي في ميونخ، وأن العمليات جميعها تدعمها المنظمة الصهيونية المتحدة» ذات الميول المتطرفة[79].

شهد الأسبوع الأول من يوليو «عددا من الاغتيالات ومحاولات الاغتيالات التي استهدفت الجنود البريطانيين» انتقاما من ليهي؛ لاختفاء عضوها البالغ من العمر ستة عشر عاما ألكساندر روبوفتس، (أو قتله بحد زعمها) على يد الرائد روي فاران يوم 6 مايو. (ظلت ليهي تعتقد أنه كان مذنبا على رغم تبرئة فاران من اشتراكه في الجرم - وربما كانت محقة في ذلك). ولكن اليومين 18 و19 يوليو وضعا فلسطين في عناوين الأخبار الرئيسة مع وصول السفينة المحملة بما يفوق طاقتها المسماة پرزدنت وورفيلد إلى حيفا، وعلى متنها 4515 شخصا من اليهود المهجرين، الذين لم يكونوا على علم بأنهم يمثلون على مسرح شاسع يمتد من ألمانيا إلى أرض الميعاد

يشمل نظارتُه العالمَ. وكان وصولها قد رُتِّب لوسائل الإعلام العالمية وليتزامن مع زيارة الأنسكوب. كانت السفينة نفسها مجرد قطعة مساعدة على المسرح - أعاد ممولوها تسميتها وألقوا عليها اسم إكسودس (الخروج) لما في ذلك من إشارة إلى الكتاب المقدس. وامتدح بن غوريون ركابها بقوله إن بطولتهم تفوق بطولة اليهود الذين تمردوا وماتوا في غيتوات أوروبا. أما بريطانيا، وفقما حيكت القصة، فقد رفضت السماح لهؤلاء الناجين من الفاشية بأن ينزلوا إلى أرضهم الموعودة التي تمثل أملهم الوحيد بالبقاء. وهنا وجدت بريطانيا نفسها عالقة في كارثة علاقات عامة هي الأسوأ منذ أن تولت الانتداب.

لم يؤخذ البريطانيون على حين غرة ولكن كان عليهم أن يختاروا بين «محاولة الصهاينة التي لا تقف عند حد لاستغلال آلام أناس تعساء لخلق موقف يجعل التوصل إلى حل نهائي أمرا بالغ الصعوبة» وبين «السماح بانطلاق عاصفة دعائية عن الفظاعة»، فاختارت الخيار الثاني[80].

دعا بن غوريون حادثة الإكسودس «مشهدا ضخما مهيبا» مع ما في كلمة «مشهد» من دلالات. ندد بقرار بريطانيا إعادة من نجوا من الهولوكوست بالقوة «إلى بلاد النازيين». ولكن كانت تلك كذبة، إذ كان هو وزعماء صهاينة آخرون من أجبروا الناجين على العودة إلى ألمانيا. فقد عرقلت الوكالة اليهودية المساعي لإرسال الركاب إلى ملجأ آمن في بلد آخر كالدانمارك. ولولا الوكالة اليهودية لكان بوسع ركاب الإكسودس أن ينزلوا في جنوب فرنسا. وكما قالت الأستاذة إديت زرتال كان هؤلاء الناجون من الهولوكوست في هذا الوقت الورقة

> القوية في يد الصهيونية، وكلما زاد عذابهم زادت فاعليتهم السياسية والإعلامية. إذ لم تكتف الزعامة الصهيونية بعدم بذل أي مساع لإنقاذ هؤلاء اللاجئين من العودة المؤلمة إلى ألمانيا، بل إنها اتخذت خطوات واضحة لمنع أي حل سوى العودة إلى ألمانيا[81].

عندما نزلت الستارة في نهاية الفصل الأخير من مسرحية الإكسودس سارع بن غوريون إلى نسيانهم. فقد قال بنفاد صبر عندما سئل عنهم: «هذه قصة انتهت» - ذلك «لأننا لم نعد مصدر إثارة» وفق ما قال أحد ركاب الإكسودس السابقين. وفي السنوات اللاحقة استغلت إسرائيل الهولوكوست درعا لحماية

الدولة من الانتقادات الموجهة إلى سياساتها ذات التوجه القومي التوسعي، بينما أخذت تعامل الناجين «باستعلاء... كأنهم مواطنون من الدرجة الثانية»، بتعبير أحدهم. تسرق الدولة بانتظام التعويضات الألمانية المدفوعة للناجين الذين ظلوا يعيشون حياة الفقر، وأخذ بن غوريون يضعهم في مواقف يُفهَم منها أنهم مرتكبو الفظائع التي ارتكبها العسكر وذلك ليحمي سمعة الدولة (انظر ص 353 على سبيل المثال.[62].

وُزِّع ركاب الإكسودس في رحلة العودة إلى أوروبا على ثلاث سفن، ورافق ضابط بريطاني من الفرقة السادسة المحمولة جوا الركاب على واحدة منها تدعى رنيميد پارك، وكتب وصفا لما رأى في الرحلة ومدى سيطرة المسؤولين الصهاينة على الركاب المهجرين. «لا يمكن وصف هؤلاء المهجرين بأنهم صهاينة مهما شطح بنا الخيال»، ولكن فلسطين كانت الخيار الوحيد الذي عُرِض عليهم في المخيمات التي يهيمن عليها الصهاينة. «كانوا جميعا قد لُقِّنوا ماذا يقولون» وكانوا على استعداد «لترديد العبارات السياسية الفارغة» المطلوبة. وقد نجوا في البحر تحت رحمة «منظمة نازية صغيرة مزودة برجال ذوي عضلات، يقود كل جماعة منها هتلر صغير، وعلى رأسها جميعا هتلر كبير» - أو هذا هو الاسم الذي أُطلِق على قائد الإكسودس موردخاي روسمان. كان المهجَّرون يعيشون في رعب من «المنظمة». فمثلا «جاءت امرأة مسنة وقد ارتسم العذاب على وجهها». جاءت «على رغم صلابة شخصيتها، في صباح أحد الأيام وقد تجلت على ملامحها علامات الرعب الشديد» عندما اتُّهِمت من قبل نظام الحكم السائد على السفينة بأنها «متعاونة» - متعاونة بمعنى أنها تتعاون مع المستشفى الذي يديره البريطانيون على السفينة. قالت «متلعثمة من الخوف» إنها إن ظلت تعمل حتى الساعة الحادية عشرة ستُقتَل». هل سيحميها البريطانيون؟ لا، البريطانيون «لا يفهمون»؛ قد يحمونها في أثناء الرحلة، ولكنها إن استمرت في الخدمة في أثناء الرحلة «فإن النظام «سيقتلني فيما بعد». أمضت بقية الرحلة بصمت من دون الاختلاط بأحد.

عندما وصلت السفن الثلاث بمهجريها؛ الذين كانوا على ظهر الإكسودس، إلى ميناء دي بوك الواقع في جنوب فرنسا، مُنح الجميع حرية النزول إلى فرنسا بدلا من إتمام الرحلة إلى ألمانيا. غير أن مسرحية الإكسودس تطلبت صور المهجرين وهم

يُعادون بالقوة إلى ألمانيا، ولذا فإن «التهديدات والدعايات الصهيونية» استُخدمت لضمان عدم نزول المهجرين من السفينة إلى فرنسا كما ذكر بيان رسمي عنها (وهو ما أكده بيان من منظمة الهاغانا نفسها).

كان رد البريطانيين على ذلك إقامة «مركز سري» في [مستشفى] السفينة لتهريب أي من مهجري الإكسودس في ميناء دي بوك ممن يكون على استعداد للمغامرة باستثارة غضب الوكالة اليهودية «وتقطيعه إربا إربا في قعر السفينة» لتعريضه قصة الإكسودس للخطر. عاد زوجان كانا قد هربا من السفينة «أوشن فگر» على هذا النحو لاستعادة أغراضهما «من دون أن يدركا أن سرهما قد افتضح». لذلك هوجما وكانا سيقتلان من غير شك على يد «الأشقياء» الذين كلفوا بتلك المهمة لو لم يهرع أحد عشر رجلا لتخليصهما من بين أيديهم... وقد هوجم هؤلاء الرجال الأحد عشر «بعلب اللحم والزجاجات المكسورة»، ولكنهم تمكنوا من تخليص الضحيتين من بلطجية الوكالة، بعد أن فقدا وعيهما. وقد نجوا كلاهما... ولما خشيت الوكالة أنه سيكون من الصعب تفسير الحادثة إن تسرب خبرها إلى الصحف، فقد ألفت قصة تقول إن الزوجين كانا من عملاء الغستابو أخذا على السفينة لتقديمهما إلى العدالة.

لم يقف البريطانيون مكتوفي الأيدي بل تابعوا الموضوع مع الوكالة اليهودية. اتصلوا بغولدا مائير (مايرسن) لتجنيب المهجرين رعب العودة إلى ألمانيا: لم لا يذكر ممثل الوكالة اليهودية في ميناء دي بوك أن بإمكان المهجرين النزول من السفينة في ذلك الميناء وأنهم ليسوا مجبرين على العودة إلى ألمانيا؟ فما كان من مائير إلا السخرية من الفكرة، فقالت كأن قولها هو الجواب: «لا يمكن ليهودي أن يفكر في نصح يهودي آخر بأن يذهب إلى أي مكان سوى فلسطين»[83].

في مساء 11 يوليو التقى رقيبان بالزي المدني هما مارفن پيس وكلفرد مارتن في مقهى پيناتي في نتانيا بصديق هو أهارون واينبيرغ وجلسا عند منضدة قريبة من الأوركسترا «وعب الثلاثة قدرا كبيرا من البيرة» (وفق ما ورد في تقرير بريطاني). وكان الحديث وفقا لواينبيرغ ذا طبيعة عامة، بينما كانت مشاعر رواد المقهى الآخرين «عدائية صامتة». وبعد مغادرة المقهى في نحو الثانية عشرة والنصف قرر

واينبيرغ مرافقة الرقيبين إلى أن يصل إلى بيته. وبينما هم ماضون في طريقهم في شارع هربرت ساميول قرب مقهى ريمون «جاءت سيارة ووقفت أمامهم، وخرج من السيارة ستة يهود مسلحين برشاشات قصيرة ومسدسات. اختطف الرجال الثلاثة وعُصبت أعينهم وخُدروا. وبعد ذلك ترك واينبيرغ في بيارة برتقال مقيد اليدين والرجلين. وتعرض البحث المكثف عن الرقيبين للتعطيل بواسطة المعلومات الكاذبة أو التضليل المتعمد فيما يبدو. وبقي مصيرهما مجهولا ثلاثة أسابيع[84].

وفي يوم 16 يوليو استُهدفت شاحنتان تحملان جنودا وتسيران على طريق تكفا - اللد بلغمين فُجّرا كهربائيا فقُتل شخص وجُرح ثلاثة، جراح أحدهم خطيرة. وعلى طريق حيفا - تل أبيب شمال پتاح تكفا، فُجّر لغم تفجيرا كهربائيا بجيب فأصيب أربعة أشخاص. وانفجر لغم في القدس فجرح ثمانية أشخاص، كما فُجر لغم تفجيرا كهربائيا بسيارة لنقل الأشخاص على طريق حيفا - يافا.

في 18 يوليو نُسفت شاحنة بلغم فُجر كهربائيا قرب كفار بيلو (رحوفوت)، فقتل رقيب وجرح ثلاثة أشخاص آخرين. وضربت القدس بقنابل يدوية متفرقة، وبقنبلة حارقة، ونيران الأسلحة الأوتوماتيكية، فجُرح ثلاثة أشخاص، جراح أحدهم خطيرة (وهو مدني). وفي اليوم التالي اغتالت ليهي شرطيين بملابس مدنية في حيفا، بإطلاق النار عليهما من الخلف كالعادة. وقُتل مدني. ونسفت شاحنة في القدس فجُرح خمسة مدنيين وثلاثة عسكريين، كما قُذفت قنابل حارقة على السيارات[85].

وعندما أُلقيت قنبلة على شرطي في الشارع العام، ولم تنفجر، حاول الشرطي إلقاء القبض على الفاعل، ولكن الجمهور العدواني هاجم الشرطي وساعد الفاعل على الهرب. ونقرأ في السجلات شكوى البريطانيين من أن شهر يوليو لم يأت بأي أمل للاعتقاد بتعاون اليشوف لإعادة النظام إلى البلد[86].

وفي اليوم نفسه في لندن - وهو 19 يوليو - ازدادت مخاوف البريطانيين من استمرار الإرهاب اليهودي المحلي. كان هاري آيزاك پرسمن، وهو «شخص بارز في الدوائر اليهودية في شمال لندن»، يمتلك سيارتين ظل يضعهما في مرآبين متجاورين على شارع فيرهولت يمكن إغلاقهما إلى ما قبل أسبوعين، أي إلى 6 يوليو. وفي ذلك اليوم قال لسائقه إن أحد المرآبين قد أجر، ولذلك فإن إحدى السيارتين ستبيت في موقع آخر حصل عليه خلف شارع چيرچ.

في اليوم التالي (7 يوليو) اتصل پرسمن بليو بيلا، وهو شخص كان البريطانيون يعتقدون أنه «أحد المسيطرين» على خطط الهجمات الإرهابية المحلية. كان البريطانيون يصيخون السمع: كان پرسمن يريد الدخول إلى المرآب «لأنني اضطررت إلى إبقاء بعض الأغراض فيه، بعض أغراض سائقي، وبما أنه شخص فضولي فإنني أرغب في أخذ أغراضي من هناك». مضى اثنا عشر يوما من دون أن يحتاج السائق إلى دخول المرآب. ولكنه في 19 يوليو أراد أن يستعمل مفاتيح إنجليزية كان قد وضعها هناك لأنه ينوي غسل السيارتين. ذهب إلى باب المرآب فوجد أن القفل مقفل ولكنه لم يوضع في كلتا الحديدتين اللتين تغلقان الباب. فتح الباب فوجد بدلا من المفاتيح الإنجليزية أربعا وعشرين قنبلة وثلاثا وعشرين فتيلة تفجير. هنا أخبر السائق شرطيا يركب حصانا. ومع أن كمية من الكتابات التي تنشرها الإرغون كانت بانتظار الشرطة في شقة پرسمن فإنه ادعى الجهل بأمرها: كان المرآب قد استؤجر منه[87].

تحولت الجهود للبحث عن أشخاص كانت المخابرات البريطانية تتعقبهم، ولاسيما ليو بيلا، وبوريس سينير، وأبراهام أبراهامز، وشونيل پونيمونسكي، وپول هومسكي، وإرك پرنتس، وموريس كاپلان، وسرل روس، والمتشدد(*) إسرائيل لفشتس من جنوب أفريقيا. وكان من الواضح أن هؤلاء الرجال يفترضون أنهم مراقبون وأن مكالماتهم تُسجل، فتصرفوا على هذا الأساس، وتكلموا بلغة يبدو عليها أنها لغة طبيعية. وبدا أن پونيمونسكي؛ المشتبه به في سرقة المقلع، يعبث مع رجال الشرطة «ليجعلهم يظهرون كالحمقى». كان كثير الأسفار، ولكن تفتيش حقائبه لم يكشف عن شيء يدينه - وجد معه في إحدى المرات «قرابة عشر علب صغيرة من موانع الحمل الأمريكية الزائدة».

(*) يصعب - بطبيعة الحال - نقل المصطلحات الخاصة بثقافة ما إلى ثقافة أخرى. ففي السياق العربي الإسلامي يعني التشدد عدم التهاون في أمور يعتبرها العرب والمسلمون جوهرية لهويتهم العربية أو الإسلامية. لكن الكلمة كثيرا ما تستخدم استخداما سلبيا في هذه الأيام لتعني التطرف أو الميل إلى العنف والإرهاب. كلمة Revisionist التي وضعت مصطلح التشدد مقابلا لها يشرحها قاموس كولنز على النحو الآتي:

Judaism) (usually capital) an ultra - nationalist form of Zionism that arose in Palestine in the) 1940s

أي: «(في الديانة اليهودية) شكل متطرف في توجهاته القومية من الصهيونية نشأ في فلسطين في الأربعينيات من القرن العشرين». ولذلك فإن التشدد بالمعنى السلبي ينطبق على المصطلح الإنجليزي، مع أننا يجب ألا ننسى أن المعاني وظلالها لا توجد في فراغ، بل في سياق تاريخي ثقافي سياسي. [المترجم].

في صبيحة اليوم التالي لانكشاف مخبأ المرآب أجرى بيلا اتصالا هاتفيا بسينير في فندق والدورف، وتكلم بلغة وصفها المتنصتون البريطانيون بأنها لغة مقنعة قلقة، وقال له إن «شيئا ما قد حدث». ثم عاد بيلا، الذي كان يمتلك طائرة أوستر وكان يتلقى دروسا في الطيران، واتصل بمدربه في كيمبرج، وسأله إذا ما كانت الأحوال الجوية تصلح للطيران، فأجيب بالإيجاب، ولكنه عاد فقال إنه لن يأخذ الدرس في ذلك اليوم. وكانت المخابرات البريطانية على علم بأن سينير في رحلاته الجوية بين إنجلترا وفرنسا كان يجري حالات من «الهبوط الاضطراري» لا يخبر عنها في بعض الحقول للحصول على أشياء مجهولة أو لإنزالها هناك. وكان بيلا في ذلك الوقت شديد الرغبة في إرسال شيء في الساعة 11:30 صباح اليوم التالي (21 يوليو)، شيء لم يفصح عنه يتعلق بطائرة الأوستر[88].

جاء 20 يوليو بمزيد من الهجمات بالقنابل ومدافع الهاون والألغام والأسلحة الرشاشة على السكك الحديد. فمع حلول الساعة التاسعة صباحا اكتشفت «الدوريات الانتحارية» خمس حالات منفصلة من سكك ملغمة. وعند الظهر انفجرت قنبلة أمام قطار للبضائع على خط حيفا - القنطرة. وبعد ساعة فُجر لغم تفجيرا كهربائيا على طريق يافا - حيفا شمال الخضيرة، فقتل شخصا وجرح اثنان جروحا بالغة. وأطلق الرصاص على شرطي يقوم بواجبه في المستشفى من بيت مجاور. كما أطلق ثلاثة من إرهابيي ليهي الشباب الرصاص على شرطيين من الخلف بينما كانا يسيران على شارع هيهالوتس في حيفا، فمات كلاهما على الفور.

وكانت حيفا، مجددا، هي المكان الذي بدأت فيه هجمات اليوم التالي عندما هاجم «يهود مسلحون بالرشاشات والقنابل» عند الساعة 1:30 صباحا محطة رادار، وبعد ساعتين فجر «يهود مسلحون» مرسلا لاسلكيا فدمروه ولغموا الطرق القريبة منه. ونُسِفت سيارة جيب بلغم فُجِّر كهربائيا، فقُتِل صبي (يهودي) وجُرِح ستة أشخاص. كما جُرح شخص فلسطيني بجرح بالغ بسبب انفجار لغم، ولغمت الطرق تلغيما واسعا، وانفجرت قنبلة على طريق حيفا - يافا قرب الخضيرة. وأُلقِيت قنابل على أنابيب النفط التابعة لشركة النفط العراقية قرب العفولة وقرب كفار يهوشع (حيفا). ولكن قنبلة أخرى في حيفا اكتُشفت في الوقت المناسب ودُمِّرت... وفي اليوم التالي (22 يوليو) انفجر لغم كهربائيا أسفل شاحنة عسكرية، وأُلقيت قنابل على

شاحنة فلسطينية، كما سُمِع دوي إطلاق الرصاص على سيارة تابعة لسلاح الجو الملكي فجُرِح اثنان أحدهما مدني. وأُلقيت قنبلة حارقة على سيارة تابعة لسلاح الجو الملكي في القدس، واحترق مدنيان بواسطة قنبلة حارقة استهدفت سيارة للشرطة، كما هوجمت وحدة الشرطة المكلفة بحراسة المستشفى. وتذكر السجلات البريطانية كثيرا من الهجمات التي يقوم بها قناصون، أو تُستخدم فيها الألغام والقنابل اليدوية، والتي كانت تفشل في إحداث جروح ولكنها نجحت في الحفاظ على الشعور السائد بالخوف بلا انقطاع[89].

ومن الهجمات الإرهابية ذات الدلالة الخاصة - وهي هجمة تطلبت تخطيطا مكلفا كثير التفاصيل، واستغرقت من التحضير على مدى أشهر، ولكنها لم تخدم أي غرض، وخاطرت بحياة مئات اللاجئين اليهود - تفجير الوكالة اليهودية للسفينة البريطانية إمباير لايفغارد في 23 يوليو. فقد كانت السفينة تفعل ما أراد الصهاينة فعله: وهو نقل اللاجئين اليهود (وبعض المستعمرين(*) الأمريكيين الذين يحلون محل المهجرين المستهدفين) إلى فلسطين من أجل الاستيطان الدائم. لم يكن ثمة ما يُكتَسب، ولا حتى التسويغ المتعصب الذي أنتجه تفجير السفينة پاتريا. لكن الوكالة وضعت حياة كل من كانوا على متن السفينة تحت رحمة دقة مؤقت أداة التفجير، وتقلبات الأنواء البحرية، والتأخيرات التي تنتاب الرحلات البحرية ولا يمكن التنبؤ بها.

وقد نفذ التفجير مستوطنون صهاينة من الولايات المتحدة استعملوا أذون دخول بريطانية قُصد منها أن يستخدمها مهجرون أوروبيون، بالتعاون مع الهاغانا. كان «المهاجرون» الأمريكيون قد بدأوا رحلتهم من ميامي في سفينة أخرى اسمها هاتكفا، وصعدوا إلى السفينة إمباير لايفغارد في قبرص إلى جانب مهجري الحرب الذين كانوا يعيشون هناك انتظارا لدورهم في الهجرة إلى فلسطين. واحتاجت المؤامرة إلى عدد من الناس لتهريب كمية كبيرة من المتفجرات المطلوبة، خبأوها في أكياس صغيرة أسفل ظهورهم، أو في أنابيب معجون الحلاقة، أو في الحقيبة اليدوية التي تحملها الممرضة، وحتى في الكرسي المخصص للمعاق. وفي قبرص علِم أحد أفراد

(*) أي colonists بالمعنى الذي ارتبط بالأوروبيين الذين استعمروا أمريكا: بنوا مستعمرات. [المترجم].

الهاغانا المستوطنين الأمريكيين كيفية صنع القنبلة. وقيل إنه أخفى أداة التفجير التي تشبه القلم في شرجه.

كذلك درّب أفراد الهاغانا الشخص المناط به التفجير على وسائل التفخيخ المؤقت بحيث لا يستطيع أحد إيقافه بعد تشغيله - بمن فيهم هو نفسه. وإذا ما سببت المادة الحمضية (الأسيد) إذابة قفيز الإبطاء أسرع مما قُدِّر له، أو إذا ما تأخر وصول السفينة أكثر من اللازم، فإن العملية ستتحول إلى عملية انتحارية. وكاد ذلك يحدث بالفعل. فقد أوقفت السفينة خارج حيفا لإجراء الفحص الطبي، وكانت حمولتها البشرية محصورة فوق القنبلة، ولم يكن القبطان البريطاني يدرك أنهم يجلسون على قنبلة طافية.

انفجرت القنبلة بينما كان الركاب ينزلون من السفينة، فأحدثت خرقا من ست أقدام في ثلاثة من هياكلها، وأشعلت نارا مستعرة في غرفة المحرك، تطلبت قدوم رجال الإطفاء على السفينة، بالإضافة إلى أولئك الذين أتوا من خارجها لكي يخمدوها. وقال كننغهام في تقريره الأولي الذي أصدره بعد ساعات قليلة من الانفجار إنه يعتقد أن الحادث لم يؤد إلى فقدان أحد، أما المصادر الأخرى (ومنها المصادر الصهيونية) فقد ذكرت أن خمسة وستين شخصا قُتلوا فيما أصيب أربعون بجراح. وبغض النظر عن الأرقام فإن التفجير كان إرهابا من أجل الإرهاب. لقد قامرت الوكالة بحياة مئات اللاجئين وحياة بحارة السفينة لتسخر من البريطانيين سخرية عبثية لا تخدم غرضا[90].

تعقدت عمليات إخلاء لاجئي إمباير لايفغارد بنيران القناصة وقنابلهم الحارقة وتلغيم الطرق في جميع أنحاء فلسطين. وبينما كانت السفينة المعطلة ترقد في قعر ميناء حيفا الذي يبلغ عمقه ثماني وعشرين قدما، لُغِّمت شاحنة عسكرية في حيفا فقُتل شخص واحد وجرح ثلاثة بجروح خطيرة، ونُسفت شاحنة أخرى قرب رحوفوت، فجُرح تسعة أشخاص، مات اثنان منهم متأثرين بجراحهما. وأُلقيت القنابل على مجموعة بنايات تابعة لمدرسة يستعملها العسكر، فجُرح شخص واحد، وأُلقيت قنابل على موقف للسيارات في حيفا، فجُرح ثلاثة، ونُسفت سيارة إسعاف بلغم على طريق حيفا - يافا قرب خربة بيت ليد، أسفر عن مقتل شخصين وإصابة آخرين بجروح خطيرة. وبعد أن نُسف خط السكة الحديد قرب غزة وجد البريطانيون أن

الإرهابيين تركوا كمية من الألغام الأرضية، والقنابل، والمتفجرات، وقنابل الهاون، وأجهزة التفجير، تدل على أن خططا تخريبية أشد طموحا قد أُحبطت.

شهد يوم 24 يوليو ثلاثة تفجيرات أخرى أحدث أحدها دمارا واسعا في خط حيفا - القنطرة قرب زخرون يعقوب، وتمثل آخر في عملية سطو على محل مجوهرات نفذتها منظمة الإرغون أو ليهي، وثالث في هجوم آخر على مطعم الضباط. لكن ما شكل ما دعاه أمن الفرقة الجوية المحمولة بأنه «محاولة شاملة من جهة اليهود للتعاون على خلق حالة من الإرهاب» هو مجموعة الأحداث الصغيرة التي يبلغ عددها من الكثرة حدا يجعل ذكرها فرادى متعذرا[91].

وقد ضربت «موجة الإرهاب» تلك ألمانيا في 26 يوليو عندما هاجمت «الإرغون في أرض الشتات» قطارا بريطانيا في هانوفر. وعلى رغم أن البريطانيين وصفوا القطار بأنه عسكري فإن الإرغون افترضت أنه مدني، فيما يبدو، لأنها أجبرت البريطانيين بهجومها على قطار هانوفر على «حماية منشآتها المدنية» في جميع أنحاء العالم.

وكان التركيز على الأهداف المدنية واضحا في فلسطين في ذلك اليوم نفسه: فقد قُتل رجلان يعملان في إصلاح الآلات، وجُرح ثمانية آخرون في أثناء محاولتهم إصلاح كابل كان قد خربه الإرهابيون وفخخوه لاستهداف أي مجموعة من العمال قد تُرسل لإصلاحه. ولاحظت وزارة الحرب «أن المخربين أخذوا يلجأون إلى إجراءات جديدة تستهدف حياة من يعملون على إصلاح ما خربوه؛ بإخفائهم وسائل التفخيخ والألغام»[92].

وفي اليوم نفسه استهدفت الهجمات التخريبية دائرة إصدار الهويات في تل أبيب؛ مثلما استهدفت جسرا خشبيا للقطار – وكان ذلك الجسر الخشبي قد وُضع مؤقتا بدلا من الجسر الأصلي الذي كان قد دُمر في هجوم سابق. وأما المحاولة التي جرت في ذلك اليوم لنسف قطار حيفا -القنطرة قرب نس تسيونا فقد أُفشلت.

في 27 يوليو جُرح شخصان، جراح أحدهما خطيرة، في انفجار لغم استهدف شاحنة عسكرية على خط اللد - يافا. وعندما اكتشف عامل من عمال السكة لغما على الخط جنوبي الخضيرة، تعرض لهجوم من واضعيه الذين كانوا يراقبون الموقع. وفي القدس هوجم موكب سيارات بالقنابل اليدوية والرشاشات فجُرح اثنان، جراح أحدهما خطيرة. وانفجرت قنبلة مؤقتة امتلأت بقطع حديدية في السينما الصيفية

في تل لتونسكي يوم 28 يوليو، فخلفت ثماني إصابات. واستهدف الإرهابيون سيارتين بتفجير لغم تفجيرا كهربائيا على طريق غزة قرب كفار بيلو، وأُلقيت قنبلة على سيارة في القدس، وهوجمت سيارة شرطة بلغم ووابل من الرصاص. وفي اليوم التالي هوجمت نقطة تفتيش عند دوار عكا الواقع على طريق حيفا - عكا ودُمرت، واستُهدفت سيارة شرطة بقنبلة يدوية، وانفجر لغم فدمر جزءا كبيرا من خط السكة الحديد الممتد بين حيفا والقنطرة قرب عثليث. وقُتل شخصان وجُرح ثلاثون في 30 يوليو بلغم فُجّر كهربائيا قرب الخضيرة. أما القنبلة التي وُضعت في حي رومينا في القدس فقد أمكن تعطيلها بنجاح[93].

وقد تلقت قيادة الشرطة في يافا، عصر ذلك اليوم، اتصالا هاتفيا من مجهول عن رقيبين كانا قد اختُطفا في 11 يوليو. وكان رجال الشرطة قد تتبعوا عددا من الإخباريات من دون نتيجة، ولكن المتصل عيّن المكان الذي يمكن فيه اكتشاف الجثتين بدقة. وعند الساعة 7:40 في صباح اليوم التالي، الذي وافق آخر أيام شهر يوليو، ذكر أعضاء دورية الشرطة في مستوطنة نتانيا أن الجثتين شوهدتا معلقتين من شجرتين في غيضة من شجر الكينا تابعة للحكومة في أم عليقة.

وعند الساعة التاسعة وجد البريطانيون جثتي الشابين اللذين بلغ سن أحدهما عشرين عاما والآخر واحدا وعشرين عاما كما وعد المتصل. (قدر رجال الشرطة أن ما أراده الإرهابيون في الأصل تعليق الجثتين في مكان مكشوف، ولكنهم أدركوا أن في ذلك مغامرة كبيرة.) كذلك افترض رجال الشرطة أن منظمة الإرغون لغمت المنطقة فاستخدموا كاشفات الألغام قبل الاقتراب من الجثتين، ولكنهم لم يفطنوا إلى أن الإرهابيين ربما فخخوا الجثتين. لذلك فإن الجثة انفجرت في وجه الضابط الذي اقترب لتحرير الضحية الأولى من الأنشوطة[94].

لم يكن اكتشاف حالتي الشنق هاتين سوى البداية لقلاقل يوم 31 يوليو. فقد نهبت الحشود اليهودية في تل أبيب بنك باركليز ودائرة البريد ودائرة ضريبة الدخل. وقُلبت سيارة تابعة للقوات الجوية الملكية وأُضرمت فيها النيران، وأُوقفت سيارة شرطة ورُجمت بالحجارة، وسحب حشد من الحشود سائقا تابعا لقوات خدمة الجيش من سيارته، وأضرموا النيران في السيارة ومنعوا فرقة الإطفاء من إخمادها – وكان ذلك في الشارع الذي سُمّي باسم بلفور في تل أبيب. وفي القدس هوجم موقع

عسكري وموقع للدفاع بالأسلحة الأوتوماتيكية والقنابل. وفُجر لغم كهربائيا تحت قطار بين زخرون يعقوب وبن يمدينا، فانحرفت القاطرة عن سكتها وعربة مقطورة، فأتلفت مسافة خمسين مترا من السكة. واكتُشِفت ألغام على طريق يافا- اللد وعلى طريق حيفا - تل أبيب.

لم يكن قتل الرقيبين حدثا استثنائيا في الحصيلة اليومية في فلسطين من الناحية الإحصائية، لكن طريقة القتل وما تحمله من رموز استثارت حفيظة المتعصبين للانتقام. في تلك الليلة تصرف من نصّبوا من أنفسهم حماة للديار في قوات الجيش والشرطة وقتلوا خمسة أشخاص، وفي إنجلترا أشعل خبر إعدام الرقيبين حملة تخريب دامت خمسة أيام، وتعرض اليهود للاعتداء، وكُسرت نوافذهم، ورُسم الصليب المعقوف على محالهم التجارية.

كانت الهجمة البريطانية المعادية لليهود هذه مجرد مثال واحد على دورة العداء للسامية التي تحقق للصهيونية ما تسعى إليه وتعمل على إدامته. فإن قبل المرء ادعاء الصهيونية بأنها لا تنفصل عن اليهود واليهودية فإن جرائمها تصبح جرائم اليهود، وهذا يسوغ تجدد العداء للسامية الذي تعتمد الصهيونية عليه.

كذلك استمرت معارك العداء للسامية في الصحافة إلى جانب الصهيونية المتطرفة. فقد أشادت مجلة The Jewish Struggle بالإرهاب الصهيوني وهددت بأن «كل جماعة في الشتات ستصبح مركزا للتمرد». ومما زاد من قلق السلطات البريطانية كتابات الصحيفة ذات التوجه النازي The Protestant Vanguard، وهي صحيفة كان البرلمان قد ناقش الحكمة من إغلاقها في العام 1945. فقد أصر ناشرها «على أن من حق أي بريطاني أن يتخذ موقفا معاديا لليهود إن أراد، واقترح على المسؤولين الذين لا يعجبهم هذا الرأي أن يشتروا منه نسخة من بروتوكولات حكماء صهيون وغيرها من الكتابات التي تحرض على الكراهية. أما في الولايات المتحدة فإن مساعي العصابات الإرهابية لجمع الأموال من أجل «تحرير» «إرتس إسرائيل» لم تتوقف، فيما نسبت الصحيفة المسماة Christian Patriots كل الحروب التي حدثت منذ الثورة الفرنسية إلى مؤامرة يهودية. ولئن بدا على السطح أن النازية الجديدة التي تنادي بها The Protestant Vanguard والصهيونية العنيفة التي تنادي بها The Jewish

Struggle على طرفي نقيض فإن هنالك من يقولون إنهما شكلان من أشكال العداء للسامية[95].

في 2 أغسطس فجرت الإرغون رسائل ملغومة في بتاح تكفا فجرحت أربعة أشخاص وهاجمت دورية عسكرية وناديا لأفراد القوات الجوية الملكية في القدس. وفي اليوم التالي نُسف جسر على السكة الحديد التي تصل حيفا بالقنطرة قرب رحوفوت فقُتل فلسطيني وجُرح آخر. وفي أوروبا في تلك الليلة (3 أغسطس) فجرت الإرغون فندق ساكر بحقيبتين وُضعتا في السرداب الذي يُخزّن فيه الفحم. وفي تل أبيب قُتل محاسب بنك باركليز، وهو يهودي من السفرديم، في عملية سطو نفذها «سبعة رجال مسلحين وامرأة واحدة [من الهاغانا]». ولُغمت نقطة تفتيش في القدس، ولكن اللغم اكتُشف ودُمر[96].

ودخل مسلحان يتكلمان العبرية إلى قسم العمل في القدس في اليوم التالي (5 أغسطس) وأودعا قنبلة، ثم غادرا. وبعد إخلاء العمارة وصف الموظفون مكان القنبلة لرجال الشرطة. دخل أربعة منهم، وتمكنوا من اكتشاف موقع القنبلة، ومما يؤسف له أنهم وبينما يحاولون إزالتها، قتل الانفجار ثلاثة منهم على الفور، بينما أصيب الرابع بجرح بالغ، وتعرضت البناية لأذى كبير. وبعد يومين (7 أغسطس) سبب لغم على طريق حيفا - القنطرة، بين راس العين وقلقيلية، حرف تسع عشرة عربة بترول، كما سبب لغم فُجر كهربائيا قرب الخضيرة جرح أربعة في سيارة لضباط الجيش. وفي ضواحي القدس استُعملت قنبلة في محاولة لاغتيال ضابط منطقة بيت لحم، واكتُشف لغمان على طريق قريب من بتاح تكفا، بينما نُسف جزء من السكة الحديد قرب غزة[97].

كانت إحدى الحيل المفضلة لدى العصابات الإرهابية التخفي في زي «العرب»، ولكن العصابات بالغت في استخدامها. فوفقا لما ورد في السجلات البريطانية لذلك اليوم، تحدى الحراس العرب في مركز شرطة العجمي في يافا رجلا يرتدي زيا عربيا ويقود جملا، فهرب الرجل فألقي القبض عليه بمعاونة الناس. فتبين أنه يهودي يمني، ويحمل كيسا يحتوي قنابل وأجهزة تفجير. كما وُجد على السلتين الموجودتين على ظهر الجمل لغمان[98].

في 8 يوليو سطا ثمانية يهود (من الإرغون) مسلحين بأسلحة أوتوماتيكية على بنك هاشارون التعاوني في راماتغان. وألقت الإرغون قنابل على قطار القاهرة - حيفا

في اليوم التالي فقتلت المهندس، وهو يهودي من تل أبيب، وخلّفت اثنين من الركاب بجراح حرجة. وكان ذلك الهجوم غير عادي من حيث إنه ارتكب في سهل ليس فيه مكان للاختباء، وهذا ما جعل في الإمكان القبض على اثنين من المهاجمين الثلاثة، كان أحدهما في الخامسة عشرة والثاني في التاسعة عشرة. أما الثالث فقد تمكن من الهرب بعد أن أمطر المكان بوابل من رصاص رشاشه[99].

في 10 أغسطس هوجم مقهى الحواري، وهو مقهى يملكه يهودي ويشاركه عربي في ملكيته، ويقع في الضواحي الشمالية من تل أبيب قرب قرية عربية، بأسلحة أوتوماتيكية وقنابل يدوية. وقد قُتل في الهجوم أربعة يهود وفلسطيني واحد على الفور، وجُرح ثمانية أشخاص، جراح ثلاثة منهم خطيرة. ولم يتمكن البريطانيون من تحديد هوية المهاجمين الخمسة - هل استهدف الصهاينة المقهى لأن مالكه اليهودي عمل مع عربي؟ أم هل استهدفه العرب لأنه كان ملكا ليهودي؟ ألقى كل جانب اللوم على الآخر، ونتج عن الخلاف «من طعن ورجم وإطلاق للرصاص وعمليات حرق» مقتل تسعة أشخاص، منهم أربعة من اليهود وأربعة من الفلسطينيين، وواحد لم تُعرف هويته، فيما جُرح ثمانية وأربعون فلسطينيا وثلاثة وعشرون يهوديا.

وردت إخبارية في اليوم الذي حدثت فيه حادثة المقهى في القدس تفيد بوجود قنبلة مزروعة داخل دائرة ضريبة الدخل، فأُخليت الدائرة قبل حدوث الانفجار. وفي حيفا أمكن تحاشي هجوم كان سيحدث لولا إهمال الإرهابي: فقد كان الإرهابيون التابعون لمنظمة ليهي يقودون سيارة تاكسي مسروقة عندما انفجرت إحدى قنابلهم بالمصادفة. ووُجِد الثلاثة في مكان قريب من الانفجار يعانون جراحا مختلفة، وكانت يد أحدهم قد اختفت. وفي غزة هوجمت سيارة عسكرية بين نصيرات وجولس[100].

كانت عملية نسف السكة عند نعيم جنوبي غزة واحدة من العمليات الناجحة في مقابل عدد من الهجمات الفاشلة الأخرى. فقد أُفشلت عملية سطو على بنك في القدس (ربما للحصول على أموال للتسلح)، كما فشل هجوم بقنبلة معبأة بالخردة الحديدية ضد دائرة البريد في حيفا. وفي اليوم التالي تمكن رجال الشرطة والجيش من صد هجوم على قيادة الشرطة في القدس. واكتُشفت قنبلة فسفورية في شارع بن يهودا في القدس، كما اكتُشف لغم على طريق القدس - بيت هاكرم وفُجر من دون خسائر[101].

وفي أعالي جبال الألب النمساوية في ليلة 12 أغسطس(*) غادر قطار مذِّلك(**) المحطة الموجودة في مالنتز يحمل 130 رجلا و40 امرأة، بالإضافة إلى فريق لتشغيل القطار يتكون من نحو خمسة أشخاص متجها إلى سبتال. كان القطار يسير ببطء، صعودا على طريق يميل إلى الأعلى. وبعد مرور عشرين دقيقة من مغادرة القطار مدينة مالنتز خرج القطار من نفق جبلي ووصل إلى جسر منحدر. عند تلك النقطة انفجرت قنبلة تحته - ولكن ما كان يُتوقع له أن يكون نجاحا صهيونيا إرهابيا مدهشا على خطوط السكك الحديد تعرض للفشل. قال أحد الركاب وهو يستعيد الحادث:

> «وجدت نفسي مطروحا على أرضية القمرة، وبدا لي من وضعي ذاك أن العربة سارت مسافة من الطريق مع سلسلة من الخضات التي انتهت بوقوفها التام. وعندما تمكنت من الوقوف ثانية وجدت العربة معوجة إلى حد كبير، ولكنني تمكنت من المضي عبر الممر إلى باب العربة، وصعدت إلى السكة متفاديا الأسلاك الكهربائية المتدلية من فوقها»[102].



قطار مذِّلك بعد محاولة الإرغون الفاشلة لنسفه وإسقاطه عن الجسر إلى قعر الوادي مساء 12 أغسطس 1947

(*) تشير سجلات الإرغون في كستر إلى هجومين نفذتهما الإرغون في أوروبا في منتصف شهر أغسطس من العام 1947، ولا يتوافق أي منهما مع هذا الهجوم الموثق جيدا من حيث الزمان والمكان. الأول في 13 أغسطس «قرب «لنز» التي تبعد نحو 200 كم عن مكان هجوم مالنتز. والثاني في 14 أغسطس يشار إليه على أنه وقع في النمسا. ولم يتمكن مؤلف هذا الكتاب من التحقق من هذين الهجومين. (انظر كستر: الإرغون، ص 194 و275).

(**) يبدو أن هذا النوع من القطارات كان مخصصا لنقل الجنود البريطانيين في أثناء الحرب العالمية الثانية. [المترجم].

لقد خُطط الهجوم ليحدث كارثة – كان المقصود من اختيار الإرهابيين هذا الممر الجبلي البعيد أن يسقط القطار إلى الهاوية التي تقع تحته، وأن يأخذ معه 175 من الركاب - بمن فيهم عساكر الحلفاء والمدنيون التابعون لهيئة الحلفاء الخاصة بالنمسا - إلى موت محقق. ولكن اللغم الأكبر فشل، وانفجر اللغم الأولي تحت عربة الأمتعة بدلا من انفجاره تحت القاطرة، ولذا فإن القطار لم يسقط من فوق الجسر. وعلى رغم أن الأمر قد خيب آمال الإرغون، فإنها وزعت منشورات في مخيمات اليهود المهجرين في منطقة سالزبورغ ادعت فيها مسؤوليتها عن الحادث.

اعتُقل أربعة من المهجرين بسبب الهجوم، وكان ثلاثة منهم قد جاءوا من المنطقة التابعة للولايات المتحدة، بينما جاء الرابع من المنطقة التابعة للبريطانيين. وكان أول المعتقلين فتى في السابعة عشرة من العمر، ويعمل في شرطة مخيم من مخيمات المهجرين ويقيم في فندق الباد أدلشلوس في باد غاشتاين (منطقة الولايات المتحدة). وقد اعترف بأنه كان يراقب المكان. وكان قد بلغ من شهرة باد غاشتاين(*) أنها غدت مرتعا للصهيونية المتطرفة، ما دعا اللواء هاري كولنز، قائد المنطقة الأمريكية من النمسا، إلى منع المدنيين البريطانيين من الذهاب إلى هناك[103].

بعد ساعتين ونصف الساعة من تفجير القطار انفجرت قنبلة من نوع «الشيطان الأحمر» خارج مكتب قائد معسكر اللواء 138 في فُلدن بالنمسا. وتبع ذلك تهديد بالتفجير يوم 15 أغسطس أدى إلى إخلاء فندق ساكر Sacher، وهو الفندق الذي كان قد قُذف بالقنابل قبل اثني عشر يوما. وتبعت ذلك سلسلة من التهديدات بالتفجير يوم 19 أغسطس استهدفت المفوضية الأمريكية في فيينا، ومنزل وزيرها المفوض، ومحطة للطاقة في المنطقة الأمريكية، ودارا للسينما في المنطقة البريطانية، والموقع الذي كانت تنشر فيه الجريدة البريطانية باللغة الألمانية، وفندق ساكر مجددا[104].

أعيد النظر في السياسات المتعلقة بمكافحة الإرهاب عقب هجوم مدلك. وكان الإجراء الأول من قائمة من ثمانية إجراءات «الطلب من النمساويين نقل مخيمات اليهود أبعد ما يكون عن خطوط المواصلات». وتمثل الإجراء الثاني في تغيير قاعدة

(*) كلمة «باد» تعني «منتجع». لكن الكلمة أصبحت جزءا من اسم البلدة لأنها اشتهرت بهذه الصفة. [المترجم].

العشرين دقيقة التي تسبق فيها القاطرة الاستكشافية التي تستخدم لاستكشاف وجود قنابل على الطريق القطار نفسه، لأن ذلك الإجراء كان من شأنه إخبار الإرهابيين بموعد قدوم القطار. وقد كانت القاطرات الاستكشافية عالية التكلفة على الحلفاء بسبب التهديد الإرهابي: إذ كانت تستهلك نحو خمسة وعشرين طنا من الفحم الحجري كل يوم[105].

كان العسكريون البريطانيون والأمريكيون في أوروبا يواجهون مخاطر دائمة من المهجرين الذين يعيشون في مخيمات يديرها الصهاينة. وقد شدد لوشس د. كلي، قائد القوات الأمريكية في أوروبا، وحاكم المنطقة الأمريكية في ألمانيا، على خطر هذا العنف الذي يتعرض له جنود الحلفاء؛ في حديثه مع أعضاء الأنسكوب، عندما التقاهم في برلين يوم 13 أغسطس، وهو اليوم التالي لهجوم مالنتز على مبعدة 550 كم إلى الجنوب. قال العميد كلي لذلك الوفد إن المهجرين اليهود من أوروبا الشرقية يجب أن يُرسَلوا إلى فلسطين بسرعة - لأن أفرادا من القوات الأمريكية تعرضوا للضرب والسرقة والقتل على أيديهم، ولأن العداء للسامية كان يتصاعد بشدة في الوحدات الأمريكية المنتشرة في المنطقة الأمريكية في النمسا وألمانيا نتيجة «لسلوك أولئك المهجرين العنيف، الإجرامي، المناهض للروح الاجتماعية». وعبر كلي عن خشيته «من ردود الفعل العفوية العنيفة من جانب الجنود الآخرين» إذا استمر هذا الوضع، وأيّد هذه الأقوال السير براين روبرتسن، نائب الحاكم العسكري البريطاني، بقوة.

كانت الوكالة اليهودية على علم تام بالعنف الذي كانت ترعاه في مخيمات المهجرين. إذ كان إلنيزر كابلان، أمين صندوق الوكالة، قد أخبر الماپاي (حزب العمال) في أكتوبر بأنه علم «من مصدر موثوق» أن التقارير العسكرية الأمريكية التي قُدمت إلى ترومان كانت «متشائمة جدا» فيما يتعلق بالقلاقل السائدة في المعسكرات الصهيونية، وأن الولايات المتحدة كانت تخشى من أنها ستضطر إلى استخدام القوة لكبحها[106].

في 13 أغسطس، أي بعد هجوم مدلك بيوم واحد، أطلق يهوديان النار من سيارتين عابرتين قرب پتاح تكڤا على رجل فلسطيني وتركا الجثة على جانب الطريق. وفي اليوم التالي اختطف اليهود حارسا فلسطينيا في مصنع قرب رامات غان وطعنوه طعنات قاتلة ثم رموا جثته في بيارة برتقال[107].

اقترح بعض المسؤولين البريطانيين مقاطعة الحمضيات التي ينتجها اليهود إلى أن تبدي الوكالة اليهودية تعاونها ضد الإرهاب، ولكن هذا الاقتراح وُضع على الرف لأربعة أسباب: مصالح رجال الأعمال البريطانيين؛ لأن الدفعات الخاصة بالمحصول كانت قد دُفعت مسبقا، وصعوبة التحقق من مصدر الفواكه، والخوف من أن المقاطعة ستزيد من الأعمال الإرهابية، واليقين من أن المقاطعة ستزود حملات الدعاية في الولايات المتحدة بمادة يستغلونها[108].

تعرض حارسان فلسطينيان آخران للطعن حتى الموت، على يد عصابة من اليهود قرب يافا يوم 15 أغسطس. كان أحدهما في الثالثة عشرة من العمر. وفي يافا خرب ثلاثة يهود دكانا يملكه فلسطيني وسكبوا الكاز على محتوياته، ولكن بعض السكان اليهود في المنطقة تدخلوا ومنعوهم من حرق الدكان. وانفجرت قنبلة تحت قطار للبضائع قرب الخضيرة، وهاجم اليهود فلسطينيا على طريق يافا - القدس وأحرقوا سيارته[109].

وقد وقع هجوم من أشد الهجمات دموية في ذلك اليوم قرب بتاح تكفا؛ حيث «اقتربت مجموعة مكونة من 30 - 35 يهوديا، يرتدون قمصانا من الخاكي والبنطلونات القصيرة ويحملون الرشاشات، من بناية يملكها عربي في بيارة برتقال قريبة من بتاح تكفا»، كما ورد في التقرير البريطاني الرسمي. «وعند اقتراب اليهود من البناية انقسموا إلى جماعات أصغر، ودخل عدد منهم داخل البناية وراحوا يطلقون الرصاص في كل الاتجاهات. قُتل أربعة فلسطينيين رميا بالرصاص، ثم «دُمرت العمارة تدميرا كاملا تقريبا بتفجير ربما كان كهربائيا. ويعتقد أن 3 ذكور و4 إناث دُفنوا تحت الركام». وقد أكدت الجثث التي انتُشلت من تحت الأنقاض هذا العدد: كانت لخمسة أطفال وأبويهم. ورفعت ضحية أخرى قُتلت خارج العمارة عدد القتلى إلى اثني عشر. وادعت منظمة الهاغانا مسؤوليتها. وبعد يومين اختطفت عصابة من اليهود فلسطينيا من مقهى في تل أبيب قرب الحدود مع يافا، وأخذه أفرادها إلى زقاق قريب وطعنوه حتى الموت[110].

وبذا يكون صيف العام 1947 بداية المرحلة الأخيرة من المشروع الصهيوني، وهو المشروع الذي مازال قائما بعد عقود سبعة. كانت بريطانيا قد أعطت المشروع اعترافا واستقلالا ذاتيا، ودافعت عنه ضد المقاومة المحلية، وغدت الآن الظالم

الاستعماري الذي صورت الصهيونية نفسها على أنها حركة تحرير وطني منه. وعلى رغم أن تصويت الأمم المتحدة لم يكن قد حدث بعد، فإنه لم يكن ثمة شك في أن عهد الانتداب شارف على نهايته. وتحولت بريطانيا إلى متآمر مهزوم لا يسعى الآن إلا إلى النجاة بجلده بأسرع ما يمكن. وبغض النظر عما يمكن لقرار الأمم المتحدة أن يكون فإن الفلسطينيين ظلوا هم «المشكلة» الأخيرة.

في تسوية الحسابات الأخيرة وجدت كل من الإرغون وليهي نفسيهما في منافسة مع الهاغانا من أجل الحصول على اعتراف العالم تمهيدا للحصول على السلطة. وكانت النتيجة أن كلا من الإرغون وليهي استغلتا المذبحة التي ارتكبتها الهاغانا بحق الفلسطينيين لتصورا نفسيهما كأنهما البديلان اللذان يتصرفان وفقا للمبادئ العالية. وفيما غدا الفلسطينيون هم من تستهدفهم المليشيات الثلاث على نحو متزايد، وزعت كل من الإرغون وليهي منشورات تندد بقتل الهاغانا «النساء والأطفال العرب الذين يقعون خارج النزاع السياسي» وتَصِم «بالخيانة» كل يهودي يؤذي أي عربي. أما الهاغانا فقد اتهمت الإرغون بأنها تحتاج إلى مسوغ جديد لوجودها مادامت الدولة الصهيونية على وشك الظهور فيما يبدو، وعينت مائة من أعضائها «لضرب المبتزين من الإرغون أمام الناس». وذهب شاريت إلى الولايات المتحدة وقال لوسائل الإعلام إن الوكالة اليهودية «كانت تحاول تنظيم حملة تنوير بين اليهود لكي يفتحوا أعينهم على الناحية المخادعة لدى بيرغسن (الفرع الأمريكي من الإرغون). وكان يكمن بين ثنايا هذا الصراع على السلطة التنافس بين بن غوريون وبيغن، وهو صراع سينتهي بحرق بن غوريون سفينة ألتالينا التابعة لبيغن مع ما كانت تحمله من أسلحة في يونيو 1948، وهي حادثة استغلها بن غوريون بذكاء تحت غطاء المبادئ[111].

في 16 أغسطس فجر الإرهابيون قرب القدس قنبلة موقوتة في قاعة للألعاب في تل لتونسكي، فجرحوا ستة أشخاص. لكن ما كان ذا مغزى أكبر ولو لم يكن على الدرجة نفسها من الإثارة هو أن بعض الفلسطينيين قذفوا حجارة على باص يهودي قرب حيفا، وفي اليوم التالي أطلقوا ثلاث رصاصات على حافلة يهودية على خط القدس / يافا - وكان ذلك إيذانا بأن رفض الفلسطينيين مكافأة الإرهاب الصهيوني؛ الذي دام قرابة عقد من الزمان، قد أخذ ينفد. هوجم فلسطيني على شاطئ تل

أبيب، وحصلت مواجهات أخرى يومي 18 و19 أغسطس. وفي 20 أغسطس هاجم ستة من اليهود صاحب مقهى يهوديا لأنه شغّل فلسطينيين.

وعندما اكتُشفت كمية من الأسلحة تابعة للهاغانا في مدرسة يهودية غلفت الوكالة هذا الاكتشاف المحرج بحكاية تقول إنه «كان المأمول من تلك الأسلحة» أن تُستعمل ضد الإرهاب. وأطلق القناصة اليهود الرصاص من فوق الأسطح على سيارات الشرطة، واكتُشف لغم (من الإرغون) على خط السكة الحديد قرب غزة وأُبطل مفعوله. وفي 21 أغسطس جرح لغم على الطريق قرب نتانيا شخصين، كانت جراح أحدهما خطيرة. وقبل منتصف ليلة 26 أغسطس جُرح ثلاثة يهود في منطقة السامرة عندما تحدوا إرهابيين من ليهي دخلوا القرية لتوزيع نشرات. وتابعت ليهي تهديداتها للموظفين المدنيين اليهود، وعندما أُلقي القبض على أحد أعضائها وهو يحمل قنبلة فسفورية بعد هجوم فاشل على بنك مقدسي في ذلك الشهر تبين أنه ابن مساعد مدير الشرطة[112].

برز مخطط إرهابي يتصف بالغرابة في سبتمبر من العام 1947. فقد كان الحاخام باروخ كورف، وهو مواطن أمريكي، يجمع الأموال لكي يحقق، بتعبيره، «أعظم خروج منذ فرعون» بوساطة منظمته، وهي لجنة العمل السياسي من أجل فلسطين. ووفقا للإعلانات التي كانت تُنشر في جريدة «نيويورك پوست» في شهر مارس لجمع الأموال، كانت طائرات دي سي 4 ستقوم بأربع رحلات ذهابا وإيابا، يوميا «من ميناء معين في أوروبا» لنقل النساء والأطفال اليهود إلى مناطق سرية مؤقتة للهبوط في فلسطين بينما يهبط الرجال الأقوياء بوساطة المظلات لمساعدتهم. لكن كورف أعطى صيغة مختلفة في مقابلة مع صحيفة نيويورك صن: سيهبط اليهود بالمظلات في أنهار الشرق الأوسط وبحيراته حيث ستلتقطهم زوارق مزودة بتوربيدات لتهريبهم إلى فلسطين.

كانت الأموال في الحقيقة تموّل (وفقا لما ورد في تقرير المخابرات البريطانية) «مشروعا لغارة جوية على لندن» من فرنسا، «وفي أثنائها ستلقى منشورات باسم عصابة شتيرن بالإضافة إلى قنابل شديدة الانفجار». وقد استأجر كورف لهذه المهمة طيارا أمريكيا اسمه رجينالد غلبرت، ولكن اختياره كان سيئا: فقد أخبر غلبرت السلطات الفرنسية، وعندما وصل هو وكورف برفقة جودث روزنبيرغ (التي تقول

بعض المصادر إنها انسلت إلى بلجيكا عندما قُبض على إلياف ولازارس) إلى مطار توسو لو نوبل أُلقي القبض عليهم. لكن كورف عومل معاملة متساهلة بسبب التعاطف الذي خلفته حادثة إكسودس، وأُطلق سراحه بعد فترة قصيرة. ثم عاد فيما بعد إلى الأضواء الباهرة عندما أصبح مدافعا مرتفع الصوت عن ريتشارد نيكسون في فضيحة ووترغيت[113].

قد لا يكون هجوم كورف آخر هجوم إرهابي فاشل على لندن. فقد ذكر مخبر يعمل في الفرع الخاص بمدينة غلاسغو أنه علم عن «يهود [في بريطانيا] متلهفين للحصول على «المادة» بأسرع وقت ممكن»، ومن الأفضل أن تكون مادة TNT أو الجلغنايت «للتمثيل على ما يمكن أن يحدث في فلسطين»، ربما بالإشارة إلى قرار الأمم المتحدة. وعند الساعة 3:30 بعد ظهر يوم 3 سبتمبر انزلق طرد من الحزام الناقل [للطرود البريدية] في مكتب البريد التابع للجنوب الغربي وانفجر، فجُرح اثنان من العاملين في مصلحة البريد. ووُجد في الركام ما بدا أنه جزء من ساعة[114].

وعندما وصلت السفن الثلاث التي تحمل من كانوا ركاب سفينة الإكسودس إلى هامبورغ ألصق أحد المهجرين (أو أحد مرافقيهم) قنبلة بسفينته المسماة إمباير رايڤل، كانت ستُحدث خرقا فيها بعرض ست أقدام. لكن القنبلة اكتُشفت وأزيلت، فحطمت ما يقرب من اثنتي عشرة نافذة من نوافذ البنايات القريبة عندما انفجرت في الخارج. وفي اليوم التالي في حيفا، حيث رفض إدخال ركاب الإكسودس، انفجرت أربع قنابل في المصافي المتحدة ذات الحراسة المشددة. وأشارت الأدلة إلى أن الموظفين اليهود سهّلوا الهجوم من الداخل. وفي هذه الأثناء وزعت جماعة إرهابية تدعى لاميري، قالت رئاسة القوات البريطانية إنها «أشد جماعة من جماعات الهاغانا تطرفا»، نشرات تدعي فيها أن «العرب» يستعدون للتمرد، ربما في شهر أكتوبر.

وفي 26 سبتمبر قُتل ثلاثة من رجال الشرطة كانوا ينقلون نقودا من بنك باركليز في تل أبيب إلى الخزانة في القدس، وذلك على يد عشرة أو أكثر من رجال ليهي، فحصلوا للعصابة على مبلغ 150 ألف جنيه إسترليني. وقُتل شرطيان آخران في أثناء الملاحقة. وتابعت الإرغون تسليتها الخاصة بها والمتمثلة في السطو على دور السينما لعرض دعايتها على شاشاتها لتنوير المشاهدين مع إذاعة أغاني الإرغون «الوطنية» المسجلة على أسطوانات[115].

قالت صحيفة «نيويورك تايمز» في وصفها للهجوم الفظيع على قيادة شرطة المنطقة في حيفا بعد ثلاثة أيام (29 سبتمبر) عندما جربت الإرغون قنبلة ضخمة جديدة قوامها برميل من القطران «قذفته آلة خاصة من شاحنة»: أطلق شرطي عربي صوت صفارته، وفي اللحظة التالية نُسف جسمه بحيث تقطع قطعا صغيرة». وقد ضُبط توقيت الانفجار بحيث يتوافق واليوم الأول من عيد السكوت(*) فقَتل اثني عشر شخصا من الشرطة والمدنيين وجَرح أربعة وخمسين، جراح ثلاثة عشر منهم خطيرة، وكان ستة من القتلى فلسطينيين، بينهم امرأة.

بعض رجال الوحدة الصغيرة الذين يؤدون واجبهم في غرفة المساعد مُزقوا تمزيقا... ولم تنج أي بناية قريبة من التصدع، وطارت أجزاء من الأجساد إلى مبعدة خمسين ياردة عبر كنغز وي (شارع الملوك)[116].

كان «رد الفعل العام» على هذه المذبحة في المستوطنات اليهودية، وفقا للتقرير العسكري، «هو الإعجاب بالطريقة التي نُفذت بها الجريمة البشعة، ولم يكن لدى المستوطنين أي قدر من الأسف على ما حدث للقتلى والجرحى».

استمرت الهجمات الروتينية من دون توقف. ففي ذلك اليوم نفسه ضرب انفجار الجانب الخلفي من دائرة الهجرة في القدس، وفُجر لغم من تلك المحشوة بالخردة الحديدية تحت سيارة جيب على طريق اللد - يتاح تكفا، فجُرح شخصان. واختبأ الإرهابيون في مكان قريب وأخذوا يطلقون الرصاص على من أتوا للتحقيق. وفي 30 سبتمبر فجر «قُطّاع الطرق اليهود» (وهذا التعبير جزء من المحاولة الجديدة التي أخذ العسكريون يستخدمونها لحرمانهم من أي بريق قد يرتبط بكلمة «الإرهابيين») لغما تحت قطار القاهرة - حيفا جنوبي حيفا. ونُسفت شاحنة تحمل ثلجا في رحوفوت في الأول من شهر أكتوبر، وفي اليوم الذي تلاه فُجر لغم تحت شاحنة تابعة للواء المظليين على مبعدة ميل شمالي الخضيرة[117].

وعند الساعة 10:15 من مساء يوم 6 أكتوبر، اقتربت مجموعة مكونة من خمسة عشر إلى عشرين إرهابيا من خيمتين فلسطينيتين، وانتشروا على هيئة نصف دائرة حولهما، وأطلقوا عليهما 160 طلقة - وكان ذلك مقدمة للهجوم ذي الشعب

(*) هذه هي الكلمة العبرانية، أما في العربية فإن ما يقابلها هو «عيد المظال» أو «المظلات». [المترجم].

الثلاث المعروف بالخطة «د»، التي وُضعت لتفريغ القرى الفلسطينية من سكانها في غضون أشهر قليلة. هرب الفلسطينيون القريبون طلبا للأمان، ولكن المهاجمين قتلوا اثنين آخرين في أثناء الهروب.

وعلى الرغم من تزايد العنف ضد الفلسطينيين فإن حلول شهر أكتوبر لم يأت معه بالتمرد الفلسطيني المتوقع. وكانت خيبة الزعماء الصهاينة، الذين احتاجت خططهم إلى الانتصار على فلسطين باسم الدفاع عن النفس «تهديدا عربيا»، بادية للعيان بحيث لاحظها التقرير العسكري البريطاني خلال فترة الأسبوعين المنتهيين في 10 أكتوبر:

لايزال اليهود يبدون علامات القلق لأن غياب القلاقل [الفلسطينية] يعني تحكم الزعماء العرب في الجماهير.

وسواء أكان اليهود على صواب في عزو «غياب القلاقل» إلى «الزعماء العرب» أم لم يكونوا، فإن الفلسطينيين لم يكونوا يستجيبون للعنف. حدث بالفعل اضطراب فلسطيني في ذلك الشهر، ولكنه لم يكن موجها ضد اليهود. فقد ادعت «لجنة الكفاح العربي» مسؤوليتها عن قنبلة أحدثت تخريبا بسيطا في القنصلية الأمريكية يوم 13 أكتوبر - وهي حادثة منفصلة لم يتبعها شيء - وقد وصفها العسكريون البريطانيون بأنها «تعبير عن الاستياء» من تصرف الولايات المتحدة في الأمم المتحدة.

وقد لجأت الإرغون إلى أسلوب جديد يوم 18 أكتوبر، ربما استوحته من اختراع ليهي للنشرات المعبأة بالمتفجرات: إذ أخذت تنشر رايات في تل أبيب والقدس تتصل بمتفجرات يراد لها أن تقتل العامل المرسل لإزالتها. وفي علامة أخرى على المواجهة المقبلة التقت منظمتا الإرغون وليهي خارج تل أبيب في 23-25 أكتوبر للاتفاق على التكتيكات(*) المشتركة لمقاومة التقسيم[118].

لم ينقطع استغلال العاملات في مجال الجنس في شبكة التجسس، ولكن إحداهن أدلت بشهادة للبريطانيين في شهر نوفمبر عرضتها لمخاطر كبيرة. فهي وزميلاتها لم يكنّ يتعاونّ طواعية، إذ كنّ يواجَهْن برجال يعرِّفون أنفسهم بأنهم «مخابرات

(*) tactics: «المعجم العسكري الموحد»: تعبئة (تكتيك). «المورد»: التكتيك، طريقة، نهج. «المغني الأكبر»: حسن مداورة (مع أن هذا القاموس يستعمل كلمة تكتيك عند tactical وtactician.) أما التعبئة فيستعملها «المورد» و«المغني الأكبر» مقابلا لكلمة mobilization، وهي تختلف تمام الاختلاف عن التكتيك. [المترجم].

عصابة شتيرن». أما البريطانيون فكانوا يرون أن أولئك الرجال لم يكونوا ينتمون إلى منظمة ليهي بل يستخدمون اسم ليهي لأنه اسم يخيف أكثر من «الهاغانا» أو «الإرغون». قيل لأولئك النساء إن الدولة اليهودية آتية عما قريب، وعند إنشائها سيُقَدمن للمحاكمة «بسبب مضاجعة الأعداء»، ويُدَنَّ، ويُعْدَمن - هذا إذا لم يُغْتَلن «ويطلَق عليهن الرصاص من دون تردد للتعاون مع الأعداء». لكن «مخابرات عصابة شتيرن» كانت تعطيهن الآن فرصة النجاة بجلدهن بالتعاون «لأنهن يُقِمْن صلات واسعة مع عدد كبير من الضباط والرجال الذين تلعب الخمرة في رؤوسهم ويعانون الكبت الشديد»، ولذا فإنهن قادرات على التوصل إلى ما عندهم من معلومات وأفكار.

أدرك البريطانيون «أن صاحبة النادي الليلي، أو فتاة المقهى، أو المومس تخضع بسهولة، ويمكنها أن تزود المنظمة بقدر كبير جدا من المعلومات الشخصية والرسمية فيما يتعلق بأنشطة العسكريين البريطانيين». فأي امرأة يمكنها أن تختلط بفئات مختلفة من الرجال لأن هؤلاء النساء «يعملن في هذا المكان أو ذاك وفقا لعدد الزبائن الذين يحصلن عليهم لمنفعة الإدارة». كانت العملية من السعة والتنظيم بحيث إنهن كن يُعْطَين استبانة مطبوعة لملئها بعد زيارة كل زبون.

طلبت الاستبانة من الجاسوسات المتعاونات الحصول على المعلومات الشخصية والعسكرية المتوقعة، واستعمال المحادثة لتعيين أي بريطاني يعبر عن تعاطفه مع القضية ويمكن توظيفه. قيل للنساء أن يعملن على «استغلال أنشطتهن استغلالا كاملا» للحصول على كل ما يمكن الحصول عليه من المعلومات «وأن يلتزمن بالتعليمات بدقة». ويجب أن تكون المعلومات التي يحصلن عليها واضحة، ودقيقة، وموضوعية. وجرى تشجيعهن أيضا على إبداء تعليقاتهن وآرائهن التي قد تكون ثاقبة، على أن تكون هذه منفصلة وموضوعة في عمود مستقل «للتعليقات الخاصة». وسيقوم أعضاء من «مخابرات عصابة شتيرن» بزيارة النساء لجمع الاستبانات كل عشرة أيام[119].

جاء شهر نوفمبر بإعلان جريء من الوكالة اليهودية: كانت تسعى إلى تشكيل «قوة مشمار» للقضاء على الإرهاب. وعلى رغم الشكوك التي حامت حول توقيت

هذه الخطوة قبيل اتخاذ الأمم المتحدة قرارها حول مستقبل فلسطين فإن البريطانيين أبعدوا رجال الشرطة والجيش من المنطقة لكي لا يتدخلوا في أعمال هذه «القوة» المناهضة للإرهاب، تلك القوة التي قالت الوكالة إنها ستؤسسها في غضون عشرة أيام. لكن هذه القوة لم تؤسّس على الإطلاق[120].

وظل رجال الشرطة يُستهدفون، حتى في فترة الاستعداد لقرار الأمم المتحدة. فقد قُتل شرطي يهودي في بيته في القدس يوم 3 نوفمبر، وجُرح شرطي في مركز الشرطة الشمالي بجراح خطيرة. وفي تل أبيب أُطلق الرصاص على شرطيين من الخلف، وتُركا مطروحين على الأرض من دون أن يكترث بهما أحد، إلى أن جاءت دورية بريطانية بعد خمس وعشرين دقيقة. وقد تُوفيا كلاهما. وبعد أن جيء بشخصين حامت حولهما الشكوك في حادثة منفصلة إلى مركز الشرطة في أياك «جاء نحو عشرة يهود مسلحين بالمسدسات والرشاشات القصيرة» وسيطروا على المركز وأطلقوا سراح صاحبيهم. وفي 12 نوفمبر أُطلق الرصاص بكثافة من رشاش تومسن قصير على خمسة رجال من دائرة التحقيقات الجنائية كانوا موجودين في مقهى هاس في حيفا فقُتل واحد منهم وجُرح ثلاثة جراحا خطيرة.

في ذلك اليوم حصل البريطانيون على إخبارية قادتهم إلى «مدرسة إجرام» تديرها منظمة ليهي في بيت في منطقة رعنانا. دخل البريطانيون فجأة «وأخذوا السفاكين على حين غرة» على رغم وجود الحراس المدججين بالسلاح في بيارة مجاورة للبرتقال. قفز «أعضاء ليهي من الرجال والفتيات من النوافذ والأبواب» وأخذوا يهاجمون بأسلحتهم المتنوعة والقنابل، ولكن أمكن التغلب عليهم. وكان من بين المتدربين «أطفال في نعومة أظفارهم»، مات بعضهم في المعركة.

وفي 13 نوفمبر أُلقيت ثلاث قنابل يدوية داخل مقهى رتز في شارع الملك جورج فقُتل اثنان وجُرح خمسة وعشرون بجراح خطيرة. واستُهدف شرطيان، واغتيل أحدهما على الفور، وجُرح الآخر جراحا بالغة. أما أشد الهجمات فتكا في ذلك اليوم فحدثت في حيفا، حيث قُتل أربعة مدنيين بريطانيين لدى مغادرتهم سينما أرمون. كانوا عمالا في مجال النفط، وهذا سبب استهدافهم: كان ثلاثة منهم موظفين في شركة شل، وكان الرابع يعمل لمصلحة شركة سوكوني (التي تدعى موبيل الآن).

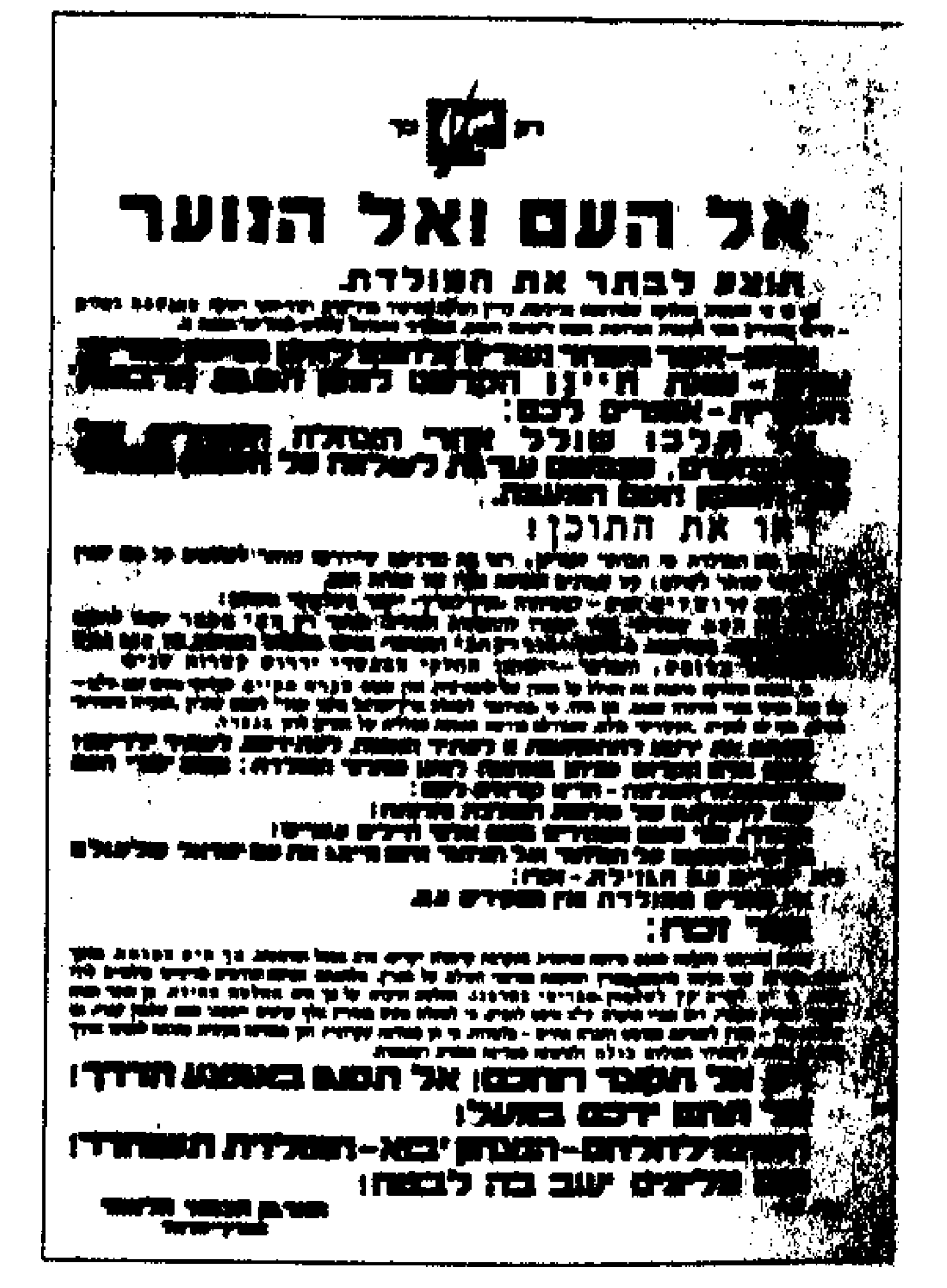
في 14 نوفمبر قُتل جنديان كانا يسيران في ساحة المستعمرة في تل أبيب، وقُتل شرطيان يسيران في شارع يافا في القدس. وفي بريطانيا ظل موظفو البلدية Town Clerks(*) يتلقون نشرات الإرغون المرسلة من تل أبيب والتي تحذر من أن التدخل في خطط الإرغون سواء من البريطانيين أو العرب سيقود إلى حملة إرهابية على أرض بريطانيا نفسها. وفي تلك الأثناء تشكلت العصبة العبرانية في بريطانيا، وهي جماعة وصفتها الـ M13 (وهذا اسم لقسم ملغى من مديرية المخابرات العسكرية البريطانية) بأنها الصيغة اليهودية من بلاطجة موزلي، في إشارة إلى السير أوزوالد موزلي، المنادي بالتفوق العرقي والمتعاطف مع النازيين. كانت هذه العصبة امتدادا للجنة الأمريكية العبرانية للتحرر الوطني.

رست سفينة المهاجرين المسماة ألياه في وقت مبكر من يوم 16 نوفمبر، وعلى متنها المستوطنون المفضلون لدى الوكالة. لم يكونوا من مساكين أوروبا، بل كانوا «نحو 300 من الشباب اليهود المختارين بعناية، المخصصين للخدمة مع الهاغانا».

عند الساعة 4:30 من صباح 20 نوفمبر «دخلت جماعة تتكون من ستة من اليهود المسلحين بيتا عربيا في رعنانا»، وأعدموا خمسة أشخاص وصفهم البريطانيون بأنهم «عرب لا يؤذون أحدا»، لكن ليهي اتهمتم اتهاما باطلا بأنهم مخبرون للبريطانيين. مات أربعة منهم على الفور، بينما مات الخامس بسبب جراحه. في هذه المرة رد بعض الفلسطينيين فجرحوا خمسة في حافلة يهودية[121].

بيد أن الخبر الأهم لفلسطين جاء في التاسع والعشرين من نوفمبر.

(*) موظفو بلدية لندن Town Clerks of London: منصب في مجلس لندن البلدي يتولى شاغله مسؤولية حفظ السجلات الرسمية وتنفيذ قرارات المجلس. [المحررون].



אל העם ואל הנוער

תוצע לבתר את המולדת.

אור את התוכן!

נشرة أصدرتها الإرغون تندد فيها بالتقسيم، صيف العام 1947

القسم الثالث:

موطئ قدم

7

التقسيم: «الإجراء المؤقت»
1947 - 1948

[لا يدرك الأمريكيون] مدى الرفض الذي يواجهه التقسيم بصفته حلا نهائيا لدى الصهاينة في فلسطين [ولا الاعتقاد السائد بينهم بأنهم] لا يمكن أن يكتفوا بفلسطين كلها فقط، بل سيأخذون شرق الأردن، وجزءا من سورية ولبنان، وأجزاء من العراق، وأجزاء من مصر أيضا.

(كيرمت روزفلت، الابن، حفيد ثيودور، مخاطبا الكلية الحربية الوطنية في واشنطن، 1948)[1].

«عندما غادر بن غوريون في أواخر العام 1941 مدينة لندن، فتّش البريطانيون حقيبته سرا فوجدوا وثيقة عنوانها «ملخص السياسة الصهيونية»، وفيها كتب أن اقتراح التقسيم سيكون خطأ يتعذر إصلاحه»

لو أن الهيئة العامة للأمم المتّحدة التزمت في 29 نوفمبر من العام 1947 بالمبادئ التي ينصّ عليها ميثاقها لهزمت القرار الرقم 181، الذي حرم فلسطين من حقّ تقرير المصير، وكافأ الإرهاب الصهيوني الذي ظلّ يتعاظم على مدى

سنوات. ولكن إدارة الرئيس ترومان استعملت - بكلمات سَمْنَر وِلز، نائب وزير الخارجية - كلَّ أشكال الضغط، المباشر وغير المباشر، للتأكد من أن أغلبية الثلثين قد تحققت. وعندما تحققت أغلبية الثلثين سمحت الولايات المتحدة بالمضي في التصويت. وبذلك اتُّخذ قرار الجمعية العامة الرقم 181 غير الملزم، وهو قرار أوصى بتقسيم فلسطين إلى بلدين ناشئين، يكون الأكبر منهما من نصيب الأقلية اليهودية، والأصغر للأغلبية الفلسطينية التي تتشكّل في معظمها من المسلمين والمسيحيين، بينما يبقى جزء مركزي صغير يتكون من القدس وبيت لحم منطقة دولية تديرها الأمم المتحدة. وقد وصف ألكساندر كادوغن، رجل الدولة البريطاني الذي عُرف بمعارضته فكرة تهدئة النازيين، القرار الرقم 181 بأنه «يبلغ من ظلمه الصارخ للعرب» أن من الصعب أن نرى «كيف يمكن التوفيق بينه وبين ضميرنا»[2].

جاء التقسيم - ومن ثم إيجاد دولة إسرائيل - خضوعا للإرهاب الصهيوني. وكانت الأنسكوب قد اقترحت إنشاء دولة فدرالية واحدة في فلسطين، وهو اقتراح كان سيقبله الفلسطينيون على رغم الخشية المسجلة في أوراق الوزارة البريطانية من أن ذلك لن «يغلق الباب أمام التقسيم في نهاية المطاف». وكان من شأن الصهاينة «من الناحية الثانية أن يضاعفوا الإرهاب اليهودي» في حال اتخاذ قرار كهذا، بحيث يغدو قرار الدولة الواحدة «غير قابل للتنفيذ».

كذلك جاء إعطاء الدولة الجديدة جزءا أكبر من الأرض مما يحق لها أخذه نتيجة الخوف من العنف الصهيوني. وقد افترض أولئك الذين قرروا مستقبل فلسطين أن الدولة الإسرائيلية الجديدة لن تلتزم بقرار التقسيم؛ ولذا فقد أملوا أنهم بإعطائها قدرا أكبر من الأرض منذ البداية سيؤجلون عدوانها. ذلك «أن رغبة إسرائيل في التوسع»

> قد تظهر أبكر إذا ما شغلت الدولة اليهودية مساحة أصغر، وسيكون الشعور بالرغبة أقوى إن لم يرض اليهود بالحدود[3].

لكن سياسة التهدئة هذه فشلت في تأجيل «رغبة إسرائيل في التوسع» إلى ما وراء التقسيم.

لم تكن الاحتفالات التي وصفها كننغهام بـ «الاحتفالات الهستيرية بالنصر» في التسويات التي أعقبت اتخاذ قرار التقسيم 181، احتفالات بالحصول على دولة صهيونية في أكثر من نصف فلسطين. بل جاءت بالأحرى لأن القرار 181 «كان

خطوة أولى نحو دولة يهودية بأوسع حدودها التاريخية [التوراتية]». ولم ينظر اليشوف «إلى الدولة الحديثة إلا بوصفها بشيرا بأمور أعظم... إنهم غير قانعين بحجمها ويتطلعون إلى الحصول على الأرض الكاملة». وقد عبر مئير غروسمان، رئيس الصهاينة المتحدين، والمتشددين اليهود في أمريكا «عن أسفه العميق»؛ لأن الأمم المتحدة قررت تقليص الأراضي القومية اليهودية من 44 ألفا إلى 5.500 ميل مربع – حيث يشير الرقم الأكبر إلى الادعاء الصهيوني بحق اليهود في أجزاء كبيرة من بلاد المشرق(*)، وليس فلسطين فقط.

تفاوتت الصحافة التي تصدر باللغة العبرية في درجة انضباطها في التعبير، ولكن رسالتها كانت واحدة: قالت صحيفة «هابوكر»: «إن على شباب اليشوف أن يدفنوا في أعماق قلوبهم حقيقة أن الحدود لم تعيَّن إلى الأبد». كانت هذه الفكرة هي الفكرة الضمنية الدائمة «فيما كانت حشود ضخمة من اليهود المحتفلين تملأ الشوارع»، حشود قالت عنها تقارير المخابرات البريطانية إنها «تغني وترقص... كأنها انتصرت في حرب – وكانت المشاهد في القدس تذكر بيوم النصر في أوروبا، واستمرت على نحو مذهل قرابة يومين كاملين»[4].

عندما اقترح التقسيم بجدية قبل عقد من الزمان في العام 1937 أكد بن غوريون للجنة التنفيذية الصهيونية «أننا سنلغي التقسيم بعد تأسيس الدولة ونتوسع لنضم فلسطين كلها». وكتب لابنه يقول:

> السؤال الحاسم هو: هل سيؤدي إنشاء الدولة اليهودية [في جزء من فلسطين فقط] إلى الإسراع في تحويل هذا البلد إلى بلد يهودي أم إلى تأخيره؟ أنا أفترض... أن إقامة دولة يهودية على جزء من الأراضي [أي التقسيم] ليست النهاية، بل البداية... ستزداد قدرتنا على التمدد في البلد إن حصلنا على الدولة(**).

(*) الكلمة الأصلية هنا هي Levant، وهذا هو تعريفها في American Heritage Dictionary of the English Language للتذكير: منطقة تقع على الشاطئ الشرقي من البحر الأبيض المتوسط، إلى الشمال من شبه الجزيرة العربية وإلى الجنوب من تركيا، وتضم كلا من إسرائيل والأردن ولبنان وفلسطين وسورية. [المترجم].

(**) شككت المطبوعة «كاميرا» [التي تتابع ما يتعلق بالحركة الصهيونية] في صحة هذه الفقرة التي يكثر الاستشهاد بها، وقد اضطلع محررو «مجلة الدراسات الفلسطينية» (JPS) بترجمة نقدية جديدة للرسالة الكاملة، والنصّ المقتبس أعلاه مأخوذ من هذه الترجمة [المؤلف]. انظر:

"JPS Responds to CAMERA's call for Accuracy: Ben-Gurion and the Arab Transfer," in Journal of Palestine Studies, Vol. XLI, No. 2 (Winter 2012), 245250-.

وقد سمع أدولف آيخمان في أثناء زيارته للمستوطنات الصهيونية في أكتوبر من تلك السنة الشيء نفسه من مضيِّفه فيڤل پولكس من الهاغانا: «لن نكاد نحصل على الدولة حتى نبدأ بدفع الحدود خارجها كما نشتهي»[5].

عندما غادر بن غوريون في أواخر العام 1941 مدينة لندن إلى الولايات المتحدة فتش البريطانيون حقيبته سرا فوجدوا وثيقة عنوانها «ملخص السياسة الصهيونية»، وهي بمنزلة خطط بن غوريون للمستقبل. وفيها وصف كيف أن التقسيم سيستغل استغلالا سلبيا؛ كتب أن اقتراح التقسيم سيكون «خطأ يتعذر إصلاحه»؛ يجب أن يُستخلص الحصول على الدولة من عرض التقسيم. وبعد ذلك يجب توسيع الدولة إلى نهر الأردن على الأقل، وإلى شرق الأردن إن كان ذلك ممكنا.

ولربما كان من أشد الأمور دلالة إشارة بن غوريون إلى الفلسطينيين بعبارة «العرب الذين صادف أنهم في فلسطين» - من الواضح أن «النقاء العرقي» كان من بين الأمور التي ينوي تحقيقها[6].

في العام 1944 «ازداد تصلّب جميع أطياف الرأي اليهودي» ضد التقسيم كما قال السكرتير الأول في القدس. واتخذ المجلس الصهيوني الداخلي ومجلس اليشوڤ المنتخب قرارات في ديسمبر من تلك السنة «شددت على نحو خاص على رفض التقسيم»[7].

تساءل وزير الخارجية البريطاني تساؤلا إنكاريا يقول:

«هل يمكننا أن نصدق، لاسيما بعد قراءة آخر مذكرة من الوكالة اليهودية، أن الصهاينة سيقبلون الحدود النهائية المقترحة؟ يبدو أن من المحتوم أنهم سيملأون الدولة بأكثر من طاقتها الاستيعابية، وبذا يثبتون أنهم يحتاجون إلى مزيد لكي يتمكنوا من الحصول على مساحة يمكن أن يعاش فيها»[8].

ونشرت صحيفة «جوش ستاندرد» صفحة كاملة للتنصل من التقسيم وذلك قبل شهر واحد من تصويت الأمم المتحدة. قالت الصحيفة: «بغض النظر عما يمكن لحفنة من الصهاينة أن يوقعوا عليه أو يتعهدوا به في الأمم المتحدة فإن ذلك سيبقى خاضعا للرفض القاطع للتقسيم وللكفاح من أجل وحدة إرتس إسرائيل» في فلسطين التاريخية كلها. وتمثل معارضةُ التقسيم بما تتصف به من حماس واندفاع قوةً في الرأي العام اليهودي «لا تقبل المهادنة»[9].

وفي لندن ساوت «الكفاح اليهودي» بين التقسيم والقضاء المبرم على «العرق» اليهودي. وفي فلسطين نددت إذاعة «صوت صهيون المحارب» Voice of Fighting Zion بالتقسيم بما أذاعته من تعليقات شديدة اللهجة، وترأس رئيس بلدية تل أبيب إسرائيل روكاخ حركة لمناهضة التقسيم. وفي الولايات المتحدة سخرت المنظمة الصهيونية الأمريكية من الوكالة اليهودية لأنها كانت على استعداد لمناقشة التقسيم. أما من الناحية العملية فقد اتفقت كل من الإرغون وليهي مع براغماتية بن غوريون: التقسيم معناه الدولة، والدولة هي السلاح الذي سيستولي على البقية[10].

وقبل شهر من موافقة الأمم المتحدة على التقسيم حذرت وكالة المخابرات الأمريكية من أن الدولة الإسرائيلية لن تلتزم بالتقسيم، ولن يلتزم بها حتى «الصهاينة المحافظون». أما الصهاينة «المعتدلون» فسيستولون على فلسطين كلها غرب نهر الأردن، بينما سيحارب من هم أقل منهم اعتدالا للاستيلاء على الأردن إلى جانب أجزاء من سورية ومصر[11].

اعتقد ممثلو الدول العربية في الأمم المتحدة أن عدالة قضيتهم أمر بديهي، وشددوا على أنهم لا يطلبون معروفا ولا يقيمون دعواهم على وعود من أحد، فحق الاستقلال يقوم بدلا من ذلك

> على المبادئ السامية التي كان المفترض [بعد الحرب العالمية الأولى] أن تحكم تنظيم العلاقات الدولية، وأن تكون أساس بنيان المدنية الحديثة، ورفض كل أفكار الغزو، والاعتراف بحق تقرير المصير.

وافق كيرمت روزفلت (الابن) على ذلك، وشهد في كلية الحرب الوطنية بأن معظم الحجج العربية التي قدموها دعما لقضيتهم في فلسطين مأخوذة من الفكر الديموقراطي الأمريكي. لكن بن غوريون أكد أن هذه المبادئ تلغيها الاستثنائية اليهودية. وقال للأمم المتحدة إنه ليس لترك أجداده المزعومين فلسطين قبل وقت طويل أهمية «لأننا لم نتخل عنها»، ولم يعترض أحد على استعماله ضمير المتكلمين الذي يجافي المنطق. وبدا من بُعد هذا الادعاء عن المعقول للمفاوضين العرب أنه لا يستحق التفنيد:

> ماذا سيقال إذن عندما يُبذل جهدٌ لإعادة ساعة التاريخ عشرين قرنا إلى الوراء للتخلي عن بلد بحجة ارتباط تاريخي عابر به؟

كذلك عندما أعاد بن غوريون الحجة القائلة إن اليهود سيجلبون للعرب حضارة أرقى، لم يكن لدى ممثلي الفلسطينيين سوى أن يقولوا ما هو بديهي:

> حتى لو صحّت الفرضية التي تقوم عليها هذه الحجة، فإنها حجة لا أخلاقية تسوغ اعتداء الأقوام المتقدمة على تلك التي تقل عنها تقدما.

وقال روزفلت الشيء نفسه تقريبا:

> إن كنت تسعى إلى تقرير الحق في أرض ما على أساس من يقدر على استغلالها بكفاية أعلى فإن النتائج ستكون سلسلة كارثية من التغييرات والثورات العالمية. ولئن كانت هذه نظريتنا، فعلى أي أساس واجهنا النازيين على سبيل المثال؟

ثم أضاف روزفلت قوله إن الفكرة التي يقوم عليها رأي بن غوريون غير صحيحة. فقد أُجلي الفلسطينيون من الأرض على يد مستوطنين يتلقون دعما خارجيا ولا يتوقعون رد هذا الدعم.

لم يواجَه بن غوريون من أعضاء الأنسكوب بقدر كبير من النقاش النقدي في الاجتماعات التي عقدها باستثناء المناقشات التي أثارها السير عبدالرحمن. وعندما أحاط بن غوريون أسئلة السير عبدالرحمن بجدار من الكلام غير المترابط عن فظائع البريطانيين تمسك السير عبدالرحمن بموقفه، وقال: «لن ننتهي من هذا النقاش بعد مضي شهرين إن تابعتَ هذا النوع من الجدل. لا مانع عندي أن نمضي شهرين أو سنتين»، ولكن بن غوريون تابع خطبه التعطيلية إلى أن غيّر رئيس الجلسة المطيع موضوع الكلام.

قال زعيم الوكالة اليهودية للجنة: «إن علاقات اليهود في هذا البلد لا يمكن الحكم عليها بتطبيق قاعدة تنطبق على بلد آخر»، واتهم كل من لا يتفق معه بأنه نازي. وقال: «ثمة سبب واحد يدعو الموجودين هنا إلى القول: لا، لن نسمح لليهود بالعودة»، ولتعيين ذلك السبب عاد إلى النازيين الذين قتلوا اليهود. وعندما تركت عودته هذه إلى الفكرة الخلاصية من دون أن يتحداها أحد، قال إن «حق اليهود» في فلسطين موجود منذ 3500 عام[12].

في اليوم السابق لتصويت الأمم المتحدة على قرار التقسيم عززت وكالة المخابرات المركزية تحذيراتها السابقة:

سيأمل حتى الصهاينة المحافظون أكثر من غيرهم الحصول على النقب كاملا، وعلى الجليل الغربي، ومدينة القدس، ومن ثم فلسطين كلها. أما المتطرفون فلا يطالبون بفلسطين كلها فقط، بل بشرق الأردن أيضا. وقد قالوا إنهم سيرفضون الاعتراف بأي حكومة يهودية تقبل بأقل من ذلك، وسيتخذون خطوات عدوانية للحصول على مآربهم[13].

عندما أُقر القرار 181 «انطلق متطوعون من الشباب اليهود يحملون صناديق لجمع النقود في شوارع حيفا... وأخذوا يهددون الناس لشراء أعلام [صهيونية] أنتجت على عجل لقاء مبالغ كبيرة». وفي الجولة الثانية من هذه الحملة أخذوا أسماء الذين رفضوا الشراء.

أما ممثلو الدول العربية في الأمم المتحدة - الذين كان طلبهم بعرض قانونية التقسيم على محكمة العدل الدولية قد رُفض - فقد استغلوا الساعات الأربع والعشرين التي أعطيت لهم لوضع اقتراح بديل أخف لهجة. فاقترحوا - بلا فائدة - إنشاء دولة ديموقراطية واحدة بدستور وصفته جريدة «التايمز» بأنه دستور يشبه دستور الولايات المتحدة[14].

اندلعت أعمال عنف متناثرة بين الجماعتين العرقيتين في الأيام القليلة التي تلت تصويت الأمم المتحدة. فقد أُلقيت القنابل على بيوت الفلسطينيين ومقاهيهم وصفوف ركاب حافلاتهم، وعلى إحدى دور السينما، وازداد العنف المناهض لليهود الذي كان قد عاد إلى الظهور في منتصف أغسطس عندما صيغت مقترحات الأنسكوب صياغة رسمية. لكن بدا أن أغلبية الفلسطينيين استسلموا للديناميات الجديدة، وأرادوا المضي في حياتهم. وقد وصف كننغهام «ردود الفعل العربية الأولى» بأنها «عفوية تفتقر إلى التنظيم... أقرب إلى التعبير عن السخط على قرار الأمم المتحدة منها إلى الهجمات المقررة على اليهود».

كانت أهم أسلحة العرب، وفقا لقول كننغهام، هي «العصي والحجارة»، وكان المتوقع أن تهدأ الاضطرابات لولا أن المستوطنين زادوا من تحرشاتهم. «كانت الهيئة العربية العليا بكاملها حتى ذلك الوقت، لاسيما المفتي» تدعو إلى المقاومة التي تتفادى العنف - أي إلى المقاطعة - «ولم تكن تفضل اندلاع الاضطرابات الخطيرة». واستشهد البريطانيون بعدة أمثلة «زار فيها مختارو القرى العربية

المستوطنات اليهودية المجاورة وأكدوا أنهم يرغبون في البقاء على علاقة طيبة مع جيرانهم اليهود»[15].

أما المقاومة الفلسطينية ضد البريطانيين، التي كانت قد توقفت منذ العام 1939، فقد عادت إلى الظهور على نطاق ضيق على رغم أن قوات الأمن البريطانية قالت «إنها يجب ألا تعتبر... جزءا من خطة مدبرة، وفي كثير من الحالات اعتذر المختارون بشدة عن أي تخريب أو إصابات... كان العرب بمجموعهم غير راغبين في بدء الأعمال العدوانية».

اتصف الاحتجاج الذي قام به الفلسطينيون عقب التصويت على التقسيم بأنه سلمي. ففي 5 ديسمبر حمل نحو 1300 فلسطيني من غزة - مسلمين ومسيحيين، رجالا ونساء - رايات كُتبت عليها عبارة «يسقط ترومان، يسقط التقسيم». وتظاهر بالقرب من خان يونس ما بين 3 آلاف و4 آلاف فلسطيني لمدة أربع ساعات، ثم أرسلوا وفدا للحديث مع الشرطة. ومشى ألف فلسطيني في موكب هادئ في كفار سابا ضد التقسيم[16].

كان تحدي الوكالة اليهودية للقرار 181 باديا للعيان بعد ما لا يزيد على أسبوع واحد من التصويت، وذلك بقرار الوكالة القائل «إن عددا من المؤسسات الوطنية، ومنها الحاخامية العليا» لن تكون داخل الحدود التي كانت قد وافقت عليها، بل ستكون في القدس بشكل غير قانوني، في المنطقة الدولية التي تديرها الأمم المتحدة.

تكشف تقارير المخابرات البريطانية التي يعود تاريخها إلى منتصف ديسمبر أن البريطانيين أنفسهم اعترفوا، بعد وقت قصير من التصويت على التقسيم، بأن وعد الأمم المتحدة بإنشاء دولة فلسطينية كان من قبيل الخداع. فقد حذر تقرير سري من «الاستيلاء غير القانوني على الأرض في فلسطين من قبل اليهود لإقامة مستوطنات جديدة» على أراض خُصصت لفلسطين. وقال تقرير بريطاني آخر بصراحة، ولم يمض أسبوعان على القرار 181، إن الدولة الفلسطينية الموعودة لن تظهر إلى الوجود، وإنه «لا يبدو أن دولة عربية فلسطينية سيكون لها كيان».

تضاعفت الهجمات ضد الفلسطينيين. ففي 12 ديسمبر ألقى اليهود (الإرغون؟) قنبلة على حافلة فلسطينية في حيفا، فقُتل أربعة أشخاص، وفي يافا ألقت الإرغون قنبلة في مقهى فلسطيني، فقُتل صبي في الحادية عشرة من عمره، وجُرح ثلاثة صبية آخرين أعمارهم أقل من اثنتي عشرة سنة. وكانت القدس مسرحا لهجمات

مشابهة. ففيها «ألقى ستة شباب يهود قنابل في مكتبي سيارات للأجرة، وفي مقهى، وفي الشارع». وفي تلك الأمسية «هاجم يهود متنكرون بزي الشرطة قرية شعفاط العربية» في ضواحي القدس، وألقوا القنابل على بيتين. وفي اليوم التالي (13 ديسمبر) هاجم حشد من اليهود يملأ 4 شاحنات [قرية] «اليهودية»(*) فقتلوا ستة من الفلسطينيين على الفور وجرحوا عددا آخر. وبعد ثلاثة أيام أطلقت ليهي النار على رقيبين كانا يمشيان في ساحة صهيون في القدس فماتا كلاهما.

وفي 18 ديسمبر هاجم إرهابيو البالماخ بقيادة ييغال ألون، قائد الجيش ورجل الدولة الإسرائيلي فيما بعد، قرية كانت تعد أجمل قرية في فلسطين، وهي قرية الخصاص التي يقطنها سكان مسيحيون ومسلمون وتقع على هضبة تشرف على بحيرة الحولة. بدأ الهجوم نحو الساعة التاسعة مساء، عندما قاد أفراد من الهاغانا شاحنتيهم عبر هذه القرية الشمالية، ونسفوا المنازل بمن فيها من سكان نائمين «حيث دُفن الضحايا تحت الركام ولم تُكتشف جثثهم إلا هذا اليوم بعد بحث أجراه رجال الشرطة»، كما ذكرت صحيفة «نيويورك تايمز» في اليوم التالي، كان عدد الفلسطينيين الموتى الذين سُجيت جثثهم خمسة عشر، منهم خمسة أطفال.

سوّغت منظمة الهاغانا الهجوم بقولها إنه للدفاع عن النفس – وهو قول فنده العسكريون البريطانيون بلا تردد بقولهم: «إن القرويين لم يستخدموا أي أسلحة للدفاع عن النفس، وإن القرية لم تكن تملك سلاحا ناريا على حد علمهم». كان البريطانيون على صواب، فالأرشيف الصهيوني يقول إن المذبحة ارتكبها ألون من أجل «التجربة». لم تطرد الجيوش الصهيونية سكان الخصاص إلا جزئيا في تصفيات العام 1948، ولكنهم في 5 يونيو من العام التالي أجبروا قرويي الخصاص على الصعود إلى الشاحنات وأنزلوهم في البرية.

لم تعد أي من الوكالة اليهودية أو منظمة الهاغانا تتظاهر بالهلع من الهجمات الإرهابية، بل أخذت تتباهى على غرار منظمتي الإرغون وليهي بأن عدد الإصابات المدنية كانت أكبر بكثير مما اعترفت به السلطات البريطانية. وعندما شنت الهاغانا

(*) يرد في فهرس كتاب «كي لا ننسى» لوليد الخالدي أن اليهودية (قرية)، ثم يقول: انظر العباسية [حيفا]. أما في كتابه All That Remains فيحيلنا إلى العباسية في يافا. [المترجم].

هجوما جديدا بعد منتصف الليل بقليل صباح يوم 20 ديسمبر على قرية قزازة هذه المرة ادعت المنظمة أنها قتلت أكثر من الشخص الواحد الذي ذكرته الأخبار. بل إن التسابق في الإرهاب بين العصابات الإرهابية أصبح سباقا باتجاه التعصب، ولذا فإن مظاهرة التأييد التي أقامتها الجماعة المسماة «أمريكان من أجل الهاغانا» في مركز مانهاتن في نيويورك في 23 ديسمبر أفسدها محتجون يتهمون المليشيا بـ «المهادنة».

وفي ليلة عيد الميلاد، هاجم الإرهابيون أربعة جنود بريطانيين في أثناء مغادرتهم مقهى في تل أبيب، فخلّفوا قتيلين وجريحين. وبعد عيد الميلاد بيوم واحد قُتل سائق إنجليزي في المدرسة الثانوية الإنجليزية للبنات في حيفا، بعد نصف سنة من انفجار قنبلة في المدرسة الثانوية الإنجليزية للبنات التي وُصفت بأنها «أجنبية». كذلك أوكل بن غوريون للهاغانا مهمة القيام بـ «حملة كبرى لتقليل نسبة العرب بين سكان الدولة الجديدة»[17].

ذكر كننغهام في برقية أرسلها في ذلك الشهر أن الهاغانا التابعة للوكالة اليهودية

> كانت مسؤولة عن هجمات عنيفة على القرى العربية نتجت منها وفيات كثيرة جدا (تشمل نساء وأطفالا) ودمار للممتلكات. ووجه أعضاء الهاغانا نيران أسلحتهم نحو الشرطة البريطانية والجنود الذين يحاولون استعادة النظام. وقد كان الإرهابيون اليهود مسؤولين عن هجمات لا مسوغ لها على رجال الشرطة العرب والبريطانيين وعلى الجنود. وعلى رغم أن الوكالة اليهودية تندد في الظاهر بتلك الهجمات فإن من المعروف أنها تتعاون مع زعماء الإرهابيين...[18].

وازدادت منظمة ليهي تطرفا هي الأخرى مادامت فرصة الغوص في فوضى ما بعد الانتداب، المملوءة بالفرص، قد لاحت. فقد أخذت هذه العصابة الإرهابية، بكلمات أحد أفراد الفرقة الجوية السادسة:

> تشن هجمات بالغة الفظاعة على القرويين العرب، ولم تكن تميز فيها قيد أنملة بين امرأة أو طفل عندما تلوح الفرصة للقتل[19].

وجاءت مع حملة الذبح هذه حاجة متزايدة إلى تجريد الضحايا من إنسانيتهم. فقد صور رسم كاريكاتيري رسمه الفنان التشكيلي آرثر شيك مثلا «عربا» أغبياء، سفاحين، يبرزون الصليب المعقوف وهم يعارضون ما كانوا يكافحون من أجله - الحرية والديموقراطية[20].



رسم كاريكاتيري يقوي السعي إلى تجريد الفلسطينيين من إنسانيتهم بينما كان التطهير العرقي على يد القوات الصهيونية جاريا. من رسم الفنان المعروف آرثر شيك الذي يرسم الصور التوضيحية للكتب والصور الكاريكاتيرية السياسية في مجلة The Legionnaire، «صوت اللواء اليهودي»، لندن، 13 فبراير 1948.

جاءت الحملة الحاسمة لاستثارة حرب أهلية عرقية على شكل ثلاث هجمات بـ «القنابل الطائرة» نفذتها منظمتا الإرغون والهاغانا في الأسبوعين الأخيرين من العام 1947. أصابت «القنبلة الطائرة» الأولى باب دمشق يوم 13 ديسمبر، فقتلت سبعة فلسطينيين وجرحت أربعة وخمسين، أعقبتها هجمة أشد فتكا على باب دمشق يوم 29 ديسمبر. وقد وصفت صحيفة «نيويورك تايمز» هذا الهجوم الثاني بقولها «إن قنبلة أطلقتها منظمة الإرغون الإرهابية اليهودية من سيارة أجرة مسرعة هذا اليوم؛ قتلت أحد عشر عربيا وشرطيين بريطانيين، وجرحت ما لا يقل عن اثنين وثلاثين

عربيا عند باب دمشق في القدس»، وكان كثير منهم من النساء والأطفال. وقد توفي عدد آخر من الجرحى فيما بعد[21].

تمثل رد فعل الفلسطينيين على مذبحتي باب دمشق في إقامة نقاط تفتيش في المدينة القديمة تحت إشراف البريطانيين، وهو إجراء «أقرت الحكومة بأنه إجراء معقول للدفاع عن النفس من جانب العرب بالنظر إلى الفظائع التي ارتكبتها منظمة الإرغون» - غير أن الوكالة اليهودية استغلت هذا الإجراء الدفاعي ضد الهجمات، وادعت «أن 1800 يهودي يعيشون داخل المدينة القديمة قد حوصروا، وجُوعوا، وأنهم على وشك أن يُذبحوا». وفي 29 ديسمبر شنت الإرغون هجوما بحريا على يافا بعد أن قتل الإرهابيون جنديا في معسكر تل لتونسكي[22].

قال تقرير عسكري بريطاني ينتهي في الأول من يناير «إن الاستفزاز الذي يمارسه اليهود ضد الفلسطينيين استمر خلال الأسبوعين الماضيين إلى درجة غير مسبوقة. وعلى رغم أن الفلسطينيين لم يبدأوا بحملة انتقامية من جراء الفظائع التي ارتكبت في الهجومين السابقين على باب دمشق، فإن ذلك لا ينطبق مع الأسف على ما حدث في حيفا، حيث جاءت القنبلة الطائرة الثالثة التي كانت الشرارة قبل الأخيرة للبدء بـ «الحرب الأهلية» بين اليهود والعرب. كانت حيفا - وفقا لما لاحظته «هاشومر هاتسئير» - هادئة حتى 30 ديسمبر، وهو اليوم التالي للهجوم الثاني على باب دمشق، عندما شنت الإرغون هجومها بالقنبلة الطائرة الثالثة ضد ما يقرب من مائة من العمال الفلسطينيين خارج مصفاة المدينة، فقتلت ستة منهم على الفور وجرحت ما يقرب من أربعين. كان هدف الهجوم شبيها بالهجومين الآخرين - وهو استثارة الأعمال الانتقامية كما قالت «هاشومر هاتسئير» من دون مواربة، وهذا هو ما حدث في هذه المرة ضد موظفي المصفاة اليهود الذين قتل واحد وأربعون منهم في غمرة الهياج ضد اليهود[23].

في مناسبتين منفصلتين غامر أفراد يهود بتحذير بريطانيين معينين من أنهم مستهدفون للاغتيال وأن عليهم المغادرة، ولكن اغتيالات العاملين في المؤسسات العامة استمرت. فقد قُتل شرطيان، عمر أحدهما تسعة عشر عاما وعمر الآخر عشرون، في سوق ماهان يهودا بواسطة لغم فُجر كهربائيا في 30 ديسمبر. وقتلت منظمة الإرغون شرطيا خارج مطعم فنك في القدس ليلة عيد رأس السنة، كما وُجد

أربعة بريطانيين، ذهبوا معا إلى تل أبيب في ليلة عيد رأس السنة، مقتولين بالرصاص في سيارتهم الجيب المحطمة. كان الأربعة قد دخلوا بارك هوتيل في شارع هياركون عندما أطلق الرصاص على الأول، وحينما حاول الثلاثة الآخرون نقله بسرعة إلى المستشفى أُطلق الرصاص على اثنين آخرين وعلى السائق.

كانت الهاغانا هي التي جعلت ليلة عيد رأس السنة حاسمة، أو بداية ما يدعى «الحرب الأهلية» والتطهير العرقي لفلسطين. فلم تكد الساعة تدق معلنة بدء العام الجديد وفُتحت زجاجات الخمر للاحتفال بمقدمه، حتى ذبحت مليشيا الوكالة اليهودية ستين فلسطينيا في بلد الشيخ، ومنهم كثير من النساء والأطفال، وهاجمت وادي رشمية قرب حيفا، وطردوا كل من لم يكن يهوديا ونسفوا بيوتهم. ويقول إيلان بابيه إن الصهاينة نفذوا هذين الهجومين لاختبار رد الفعل البريطاني – وكان رد الفعل ذاك هو «النظر إلى الجهة الأخرى»، وهو ما أثلج صدر الوكالة اليهودية.

استُهدفت كل من يافا والقدس في اليوم الأول من العام 1948. فقد تعرض حي القطمون في القدس إلى هجوم بالقنابل «على يد ما يقرب من 30 يهوديا مسلحا، زرعوا ألغاما وألقوا قنابل يدوية»، بينما انطلقت الإرغون عبر يافا وأطلقت النار على الفلسطينيين الجالسين خارج مقهى. قتلت العصابة اثنين من رواد المقهى وجرحت تسعة قبل أن تجتاز نقطة تفتيش بسيارتها المسرعة وتختفي في تل أبيب. وفي اليوم نفسه وضعت «مجموعة صغيرة من اليهود» قنبلة داخل مجموعة من الشقق خلف محطة شل للبنزين، فدمرت عددا منها[24].

في 3 يناير 1948 ثبت ما كان يقال عن أن الولايات المتحدة كانت مصدرا رئيسا للقنابل التي كانت تنشر الخراب في فلسطين. فبينما كانت الصناديق المتجهة إلى المستوطنات اليهودية في فلسطين تحمل على ظهر السفينة إكسكيوتر الواقفة إلى جانب الرصيف في نيوجيرسي في ذلك اليوم سقط صندوق كُتب عليه «قطع آلات صناعية مستعملة» فانفتح وكُشف ما بداخله: سايكلونايت. وكان هنالك خمسة وعشرون صندوقا مثله. وقد وصف العسكريون البريطانيون محتوى الصناديق على النحو الآتي:

> تشكلت الشحنة الكاملة من 65 ألف باوند من مادة السايكلونايت المتفجرة... وفي المخازن التي جاءت منها هذه الشحنة وجد رجال الشرطة 5200 سكين

للقتال، وحديدا معدا للتصنيع، وآلات تصلح لإنتاج الأسلحة... وفي يومي الخميس والجمعة التاليين صادرت مقاطعتا ألستر ومونموث في ولاية نيويورك 110 أطنان من السايكلونايت الذي قيل إنه متجه إلى الدولة اليهودية[25].

وقد كتب الصحافي سام بوب بروور - الذي كان متزوجا من امرأة، هربت فيما بعد مع العميل المزدوج كم فلبي، ابن جون فلبي، الذي حاول مع فايتسمان «شراء» فلسطين - أن نقاطا للتفتيش أقيمت على كل مداخل المدينة «من أجل اعتراض الإرهابيين المحتملين [اليهود]» بسبب ارتفاع حوادث الإرهاب الموجه ضد العرب في يافا. لكن رجلين بالزي العربي يقودان شاحنة محملة بالبرتقال لم يثيرا الشك عندما دخلا يافا في 4 يناير واتجها صوب الميناء. ثم قصدا بشاحنتهما زقاقا بين بنك «باركليز» وبناية الهيئة الوطنية العربية، وأوقفاها هناك، وانطلقا بسيارة كانت تنتظرهما. ولم يمض وقت طويل على القنابل المخبأة بين البرتقال حتى انفجرت فدمرت «السراي القديم» في ساحة برج الساعة، «وهزت المدينة وكسرت الأبواب على مبعدة أكثر من ميل». قُتل في التفجير أربعة عشر شخصا على الفور وجُرح نحو مائة، ثم استُخرجت اثنتا عشرة جثة أخرى من تحت الأنقاض، بعد أن استمر عمال الإنقاذ في عملهم إلى وقت متأخر من الليل. أي إن الإرهاب نجح، فقد «راح السكان المحليون» وفقا لما ورد في تقرير بروور «يطلقون النار على كل من له مظهر يثير الشك؛ لأن الجريمة الفظيعة أرعبتهم».

ادعت منظمة ليهي مسؤوليتها عن التفجير، ولكن الهاغانا هي التي تولت عملية تفجير فندق سميراميس في القطمون في اليوم التالي (5 يناير) فقتلت ستة وعشرين شخصا ينتمي معظمهم إلى عائلتين مسيحيتين، وجرحت العشرات، ونسفت بيوتا خاصة في أثناء انسحابها. وكان من بين القتلى مانويل أيندي سالازار إي ترابسيدو، نائب القنصل الإسباني. ألقى المهاجمون الذين كانوا يرتدون ثيابا أوروبية، قنبلة داخل البناية من أجل التمويه، ثم استغلوا الربكة التي أعقبت ذلك لزرع القنبلة التي انفجرت بعد دقيقة.

أمضى الجنود البريطانيون تلك الليلة بجوها البارد كالثلج وبشآبيب المطر التي لا تنقطع في تمشيط الدمار بحثا عن أحياء. وفي صباح اليوم التالي وصفت فتاة اسمها هالة السكاكيني المشهد بقولها:

ظل الناس طوال اليوم ينقلون ممتلكاتهم وينتقلون من بيوتهم إلى أماكن آمنة في القطمون أو إلى حي آخر غيره. ذكّرنا حالهم بالصور التي كنا نشاهدها للاجئين الأوروبيين خلال الحرب. كان الناس مذعورين[26].

في 7 يناير أمكن إخراج امرأة حية أخيرة من بين الركام، كانت قد حُصرت طوال ست وثلاثين ساعة إلى جانب جثة ابنها ذي الخمس عشرة سنة. واجه المسؤولون البريطانيون الغاضبون الوكالة اليهودية، وشددوا على أن العرب لم ينظموا أي هجوم على أي بناية فيها نساء وأطفال، على عكس منظمة الهاغانا وغيرها من الجماعات الإرهابية اليهودية. كان البريطانيون يعرفون المكان، ولذا فإنهم وصفوا ادعاء الوكالة بأن الفندق كان قاعدة للإرهابيين العرب بأنه «لا أساس له». غير أن الإرهابيين الصهاينة تابعوا هجماتهم، ونسفوا أربع عشرة بناية أخرى إلى أن شن 5 آلاف من «الفدائيين» الصهاينة حملتهم الأخيرة، كما قال الباحث الفلسطيني وشاهد العيان سامي هداوي، واحتلوا الحي «وقد أُجبر كل من كانوا من غير اليهود على ترك المكان»[27].

أُلقيت «قنبلة طائرة» أخرى في 7 يناير. فقد قذف خمسة من اليهود يستعملون سيارة مصفحة تابعة لشرطة إحدى المستوطنات رزمة متفجرة مملوءة بقطع الحديد في أثناء انطلاقهم عبر باب يافا، فقُتل خمسة عشر فلسطينيا على الفور، وجُرح أربعون من الفلسطينيين والبريطانيين الذين يُعتقد أن بعضهم مات بسبب الجروح. ووفقا لما رواه شهود العيان فإن السيارة اتجهت إلى طريق ماميلا، وألقت قنبلة أخرى وهي تسير بسرعة عالية. ولما كانت السيارة ملاحقة من قبل الشرطة فإنها، فيما يبدو، أُصيبت بانفجار القنبلة، فتوقفت عند جدار المقبرة الإسلامية. كان فيها ثلاث عشرة قنبلة لم تُستخدم بعد[28].

أدلى ألكساندر كادوغان بشهادته أمام الأمم المتحدة في ضوء التطهير العرقي المتنامي بقوله:

> إن القصة اليهودية القائلة إن العرب هم المهاجمون وإن اليهود هم الذين يتعرضون للهجوم لا يمكن قبولها[29].

زادت المخاوف المتجددة من الإرهاب الصهيوني في أوروبا من الضغوط على إمكانيات الحلفاء. ففي 6 يناير حذر فيلق المخابرات المضادة التابع لجيش الولايات

المتحدة البريطانيين من هجوم صهيوني آخر على قطار مِذلك في النمسا بهدف «الانتقام» لسجن إرهابي يهودي. وعلى رغم أن إجراءات إضافية كانت قد اتُخذت بعد حادثة أغسطس 1947؛ التي كادت تتحول إلى كارثة، وذلك بتسيير ثلاث عربات فارغة أو أربع، أو عربات تحميل مجهزة بالكامل متصلة بالقاطرة على خطوط ڤيينا الليلية وغيرها من الخطوط المهددة، فإن التحذير أدى إلى زيادة في المراقبة على طرفي النفق.

لم يكد شهر واحد ينقضي على «دفش»(*) إدارة ترومان قرار التقسيم في الأمم المتحدة حتى وجدت نفسها تعاني شيئا شبيها بندم الشاري(**). اقترحت تلك الإدارة على بريطانيا سرا أن تعلن الولايات المتحدة تغيير موقفها إذا ما ألغت بريطانيا انسحابها من فلسطين، وبقيت هناك لتصريف شؤون البلد إلى موعد الانتخابات الرئاسية الأمريكية في نوفمبر. أما بريطانيا فقد سخرت من هذا الاقتراح، ومن انعدام الشعور بالمسؤولية لدى الإدارة الأمريكية. وظهرت إعلانات نشرتها منظمة الإرغون تملأ صفحة كاملة في صحف الولايات المتحدة تتنبأ بأن بريطانيا لن تفي بما وعدت، وتقول إن فلسطين تمر بمرحلة من الفوضى، وإن الأمم المتحدة لا يليق بها أن تظهر بمظهر العاجز عن اتخاذ القرار في هذه المرحلة المبكرة من رسالتها المهمة؛ لأن هذا التردد هو ما أضعف عصبة الأمم وأدى إلى انقراضها.

انكشفت حيرة الإدارة الأمريكية بعد شهرين من التصويت. ففي 27 يناير كتب جيمز رستن في صحيفة «نيويورك تايمز» مقالا ذكر فيه «الاعتقاد السائد على نطاق واسع في كل من وزارتي الخارجية والدفاع بأن قرار الرئيس ترومان مساندة قرار تقسيم فلسطين جاء نتيجة لقوة المنظمات الداعمة للصهيونية في مراكز سياسية أساسية في البلاد». وقد تنبأت مصادر رستن بأن إسرائيل لن تقف عند حدودها،

(*) المعاجم تعطي كلمة «دَفَرَ» للتعبير عن المعنى، أما «دَفَشَ» فهي الكلمة العامية الفلسطينية المستخدمة للتعبير عن دفع الشيء بقوة، باستعمال القدم عادة. ومن الطريف أن الكلمة ترد في «المغني الأكبر»، وهو قاموس كثيرا ما تظهر فيه النكهة الفلسطينية، كما قد نتوقع من حسن الكرمي. ويقول «المورد» «دَسَرَ»، وكذلك «المعجم الوسيط». أما معجم هانس فير فيعطي «دفَسَ» بالسين وليس بالشين للتعبير عن المعنى نفسه. كلمة «دفع» تؤدي المعنى طبعا، ولكنها تخلو من ظلال المعاني التي تحتويها الكلمات الأخرى، الأقرب إلى كلمة shoved المستعملة في النص. [المترجم].

(**) هو شعور المشتري بالندم بعد شراء شيء باهظ الثمن، أو شعوره بأنه ليس في حاجة إليه، أو أنه قد اسْتُغفل، أو أنه لا يستحق ما دفعه لشرائه من ثمن. [المترجم].

«وبأن الدولة اليهودية المستقلة بمجرد أن تنشأ» ستسعى لكسب دعم الولايات المتحدة «لسياستها الخارجية». وفي هذه الأثناء باعت بريطانيا للوكالة اليهودية إحدى وعشرين طائرة أوستر[30].

في أوائل فبراير جربت إدارة ترومان تكتيكا آخر لإعادة عقارب الساعة إلى الخلف ونقض القرار 181. فقال وزير الدفاع روبرت لفت للبريطانيين إن الولايات المتحدة «تساورها الشكوك» في «الصلاحية الدستورية» للتقسيم، «وأوضح بشكل قاطع أن حكومة الولايات المتحدة تعيد الآن النظر في الموضوع كله». ولكن اقتراحه بأن تشكل هيئة خاصة لإعادة النظر في التقسيم «ملأت الجميع بالذهول» لأن «تقلبات» الولايات المتحدة كانت تفضي إلى التشكيك في مصداقية الأمم المتحدة[31].

في الأمم المتحدة وزعت الوكالة اليهودية مذكرة عن الأفعال العدوانية العربية وطلبت من المجتمع الدولي أن يتدخل إلى جانبها ضد العدوان المزعوم. صحيح أن جيوشا عربية ستدخل إلى فلسطين، ولكن ذلك لن يحدث قبل مضي ثلاثة أشهر ونصف الشهر، وذلك بعد أن احتلت جيوش الصهاينة كثيرا من الجزء المخصص من التقسيم للفلسطينيين. أما الجماعات الفدائية العربية الصغيرة (كما وصفها كننغهام) التي أتت لإيقاف تقدم الصهاينة فسرعان ما هُزِمت، وبذلك «زوَّدت الصهاينة بحجة تقول إنهم كانوا يدافعون عن أنفسهم ضد العدوان العربي».

ومع ذلك فإن المذكرة المؤرخة في 2 فبراير اتهمت الجامعة العربية بأنها «تقوم بحملة تهديدات، وتحريض، ودعاية»، «وأن أعمالا عدوانية» نُظِّمت حديثا وأشرفت عليها حكومتا سورية ولبنان ضد سكان فلسطين من اليهود؛ وأعادت ما ذكرته في الجزء الأول بإشارتها إلى تهديدات واستعدادات للعدوان في فلسطين تجري في جميع الدول الممثلة في الجامعة العربية. ولجأت المذكرة إلى إجراء حساب توراتي، وقالت إن الجزء الذي خُصص للصهاينة (56.5 في المائة من مساحة فلسطين) لم يزد على ثمن ما «وُعِدوا» به، وأن سبعة أثمان تلك المساحة قد فُرِّط فيها لتهدئة العرب[32].

كان إفراغ القدس من سكانها العرب من أولويات بن غوريون؛ من أجل مقاومة القرار 181 الذي يقضي بتدويل المدينة المقدسة، ولذا فإنه أصدر أمرا للهاغانا بطرد غير اليهود من أجزاء من القدس وإحلال اليهود محلهم. أما اليهود الذين لم تكن لديهم رغبة في هذا الاستبدال السكاني فقد أُرهِبوا، وعندما فشل هذا الإجراء

أُجبروا رغما عنهم على الصعود إلى الشاحنات، ونُقلوا حيث أريد لهم. وقد جرى ذلك بسرعة، فبعد مضي يومين شكر بن غوريون مجلس الماباي على المناطق التي أصبحت «يهودية 100 في المائة»، وتباهى بأنه أعاد المدينة إلى عهودها التوراتية[33].

عند هذه النقطة، أي قبل انتهاء الانتداب بثلاثة أشهر، كان البريطانيون والأمريكيون يعلمون علم اليقين (إن كانوا اعتقدوا غير ذلك في أي يوم من الأيام) أن الفلسطينيين لن يحصلوا على الدولة التي وُعِدوا بها[...].

عززت تقديرات وكالة المخابرات المركزية في شهري فبراير ومارس تحذيراتها السابقة: سيتجاهل الصهاينة القرار 181 وسيسعون إلى إنشاء دولة في فلسطين وشرق الأردن كلها[34].

كان يهود كثيرون يعيشون في فلسطين، ويحاولون منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية العودة إلى مواطنهم الأصلية في أوروبا، أو الذهاب إلى موطن جديد في الولايات المتحدة أو أستراليا، وكان هؤلاء يتعرضون «لأشكال متنوعة من الضغط» (وفقا لتعبير وزارة الخارجية) على يد الصهاينة للبقاء في فلسطين. أما مغادرة بريطانيا الوشيكة فقد جعلت الوكالة اليهودية تشتد في «ملكيتها» لليهود، فأعلنت أنها تسيطر على «خروج كل الأشخاص اليهود بين السابعة عشرة والأربعين» بغض النظر عن جنسيتهم. وادعت الحق في تجنيد الناس بحجة أنهم يهود، ومن ضمنهم مواطنو الولايات المتحدة. وهذا ما دعا الولايات المتحدة إلى الاحتجاج. وروقبت وكالات السفر، والأماكن العامة، وأماكن دور السينما للقبض على «المتهربين». وعندما اكتشفت منظمة الهاغانا أن الابن الأكبر لإحدى العائلات اليهودية لم يكن موجودا في فلسطين صادرت البيت. وكان ابن عائلة يهودية أخرى قد ذهب إلى إنجلترا فاستولت الهاغانا على بيت العائلة وأجبرتها على دفع 4 آلاف دولار (تعادل ما يقرب من 40 ألفا في العام 2015)، وأعطتها مهلة ستة أسابيع لإعادة الابن إلى فلسطين، وإلا فإن غرامة إضافية قدرها 8 آلاف دولار ستُفرض إلى جانب عقوبات أخرى.

في أواخر شهر فبراير حاول ما يقرب من مائتي مواطن أمريكي أن يصعدوا على سفينة في حيفا للبدء برحلة العودة إلى بلادهم، ولكن بما أنهم كانوا يهودا فإن الهاغانا احتلت منصة التحميل، وأخذ أفرادها يلقون بجوازات السفر في البحر إلى أن أوقفها جنود البحرية البريطانية. وأقامت الهاغانا مراكز للتجنيد في مدن مثل

ليدز، ومانشستر، وليفربول، وغلاسغو، ولندن. كما أقيم مركز آخر سرا في سوق ماركس وسبنسر في لندن[35].

في 22 فبراير هزت الانفجارات شارع بن يهودا في واحدة من أشد الهجمات ضد اليهود دلالة في تلك الحقبة. وقد رافق الجريمة توزيع منشور من «العصبة البريطانية فرع فلسطين» يستعمل لغة شديدة الشبه بلغة مجلة «الطليعة البروتستانتية» ذات التوجه النازي الجديد. وقد عبر المسؤولون البريطانيون في جلساتهم الخاصة عن إحساسهم بأن مرتكب التفجير بريطاني متمرد معروف لديهم[36].

فجرت ليهي قطار القاهرة - حيفا قرب رحوفوت في 29 فبراير فقتلت أربعة وعشرين شخصا (يبدو أنهم مدنيون فلسطينيون) على الفور، وجرحت واحدا وستين شخصا أدت جراح ستة منهم إلى وفاتهم. وكان هدف ليهي التالي عمارة السلام: أدى نسفها يوم 3 مارس إلى مقتل أربعة عشر فلسطينيا[37].

لم يعد استهداف البريطانيين، الذين كانوا تواقين إلى التحرر من فلسطين، يخدم أي هدف تكتيكي في أواخر العام 1947، ولكنه لم يتوقف: كان إرهابا بلا هدف واضح. فبعد أن فجر الإرهابيون پارك هوتيل في فيينا يوم 19 مارس، وقتلوا ثمانية آخرين من البريطانيين العاملين في فلسطين، ووسعوا مجال عملهم؛ بحيث أخذوا يستهدفون البريطانيين الذين كانوا يتعافون في المستشفيات، أخذ القلق يساور الوكالة اليهودية من أن «البريطانيين قد يضطرون في نهاية المطاف إلى الاصطفاف مع الفلسطينيين لصد الهجمات اليهودية». ولذلك حافظت الوكالة على الزمام بأن وجهت «الاستياء اليهودي» ضد البريطانيين لما يُدعى «جماعة فاران» داخل القوات البريطانية، وهي جماعة قيل إنها جماعة من لجان الأمن الخاصة التي يقودها الرائد فاران المكروه[38].

وزع الوفد العربي مذكرة بعنوان «مذكرة سوداء عن الوكالة اليهودية والإرهاب الصهيوني» ردا على مذكرة الوكالة اليهودية التي أصدرتها في فبراير وتدعي فيها أن العرب يمارسون العدوان. وقالت هذه المذكرة إن الوكالة اليهودية تتعامل مع العصابات الإرهابية، وحذرت من أساليبهما «القمعية».

> لقد عمل الصهاينة عن سابق قصد وتصميم على مفاقمة مشكلة اللاجئين [اليهود الأوروبيين]. استغلوا معاناتهم لكسب تعاطف العالم مع الصهيونية، [وشكّلوا أيضا] عصابات لاختطاف الأطفال وإرسالهم إلى فلسطين.

ووصفت المذكرة الأساليب التي يستخدمها الصهاينة لتلقين الشباب اليهودي، وهي وسائل صنعت جيلا من المتعصبين اليهود، وكيف أن المنظمات الإرهابية الصهيونية «تسرق، وتبتز، وتقتل اليهود».

كان البريطانيون قد وثّقوا ذلك كله توثيقا وفيرا. لكن المذكرة ذهبت أبعد من ذلك واتهمت الصهاينة «بإنشاء مختبرات للحرب الجرثومية». وقد ثبت أن هذا القول صحيح. فمختبر بن غوريون المسمى «الفيلق العلمي التابع للهاغانا» مكّن جيوشه من تلويث آبار القرى الفلسطينية بالتيفوئيد والزحار(*) «للتأكد من أن العرب لن يتمكنوا من العودة للعيش في هذه القرى من جديد» كما قال نعيم جيلادي فيما بعد، وهو أحد المشاركين في الهجمات البيولوجية.

في أوائل شهر مايو حقنت الهاغانا جراثيم التيفوئيد في قناة المياه التي تغذي بئر كابري الذي يروي مدينة عكا، فسبب ذلك وباء سارع بالتطهير العرقي والاستيلاء على تلك المدينة التي كانت تقع على الجانب الفلسطيني من التقسيم. ولم تكن لقاحات التطعيم كافية، فانتشر المرض في أوائل مايو إلى القرى المجاورة.

وأضافت برقية من كننغهام، كانت سرية آنذاك، بعدا جديدا للسؤال عن سبب شح لقاحات التطعيم المضادة للتيفوئيد. فقد اشتكى كننغهام «من تسويف المختص اليهودي بعلم الجراثيم وتعطيله» الحصول على اللقاحات المطلوبة لاحتواء تفشي الوباء.

وسواء أكان عالم الجراثيم ذاك شخصا زرعته الهاغانا، أم كان يعمل بمبادرة شخصية منه، فإن الحرب البيولوجية على عكا «بلغ من نجاحها»، وفقا لما ذكر العضو السابق في العصابة، «أن الهاغانا أرسلت فريقا بالثياب العربية إلى غزة» لشن هجوم جرثومي آخر هناك. وبالفعل أُلقي القبض، في السابع والعشرين من مايو، على اثنين من أعضائها - بعد أن أصبحا جنديين في جيش دولة إسرائيل التي يبلغ عمرها أسبوعين - وهما يضعان علبتين من بكتيريا التيفوئيد والزحار في آبار غزة[39].

كان تنظيم «الجيش اليهودي»، الذي شكلت الهاغانا قاعدته الأساسية، «يشبه تنظيم الجيش الألماني السائد في العامين 1935 و1936» وفقا لما ذكرته المخابرات البريطانية. وقد وصفته وكالة المخابرات المركزية بأنه «جيش جاهز عندما تقوم

(*) الزحار: مرض وبائي يصيب الجهاز التنفسي وهي المقابل لما أطلق عليه الكرمي في معجمه «دوسنطاريا»، واسماه البعلبكي في معجمه «ديزنطاريا». [المترجم].

الدولة اليهودية في فلسطين»، وقدرت تلك الوكالة أن مجموع أعضاء الهاغانا عند اتخاذ قرار التقسيم يبلغ ما بين 70 ألفا و90 ألفا، مع القدرة على حشد 200 ألف جندي، وأن لديها ما يكفي من الأسلحة الحديثة لتسليحهم جميعا. وكان خمسة آلاف منهم على استعداد دائم بصفة كوماندو أو مغاوير (البالماخ). وقُدرت أعداد الإرغون وليهي بثمانية آلاف وخمسمائة على الترتيب. وكان لكل من الهاغانا والإرغون تنظيمات مخابراتية ممتازة، لاسيما الإرغون التي تتمتع بالسرية العالية لأنها تستخدم نظام الخلايا. ويكتمل عدد أفراد الجيش بالمجندين الجدد (ومنهم من يأتون من الولايات المتحدة أو من المملكة المتحدة) والمهجرين اليهود من أوروبا، ونحو 5 آلاف جندي من اللواء اليهودي[40].

وصف يراخميل كهانوفيچ، وهو جندي مختص بالرمي بالرشاش في وحدة النخبة التابعة للپالماخ، مهمات التطهير العرقي التي كانت تنفذ في أوائل العام 1948 قبل دخول العساكر العرب إلى فلسطين:

> طهرنا قرية فلسطينية إثر أخرى وطردناهم.. فهربوا إلى بحيرة طبرية... أطلقنا الرصاص، قذفنا قنبلة هنا وأخرى هناك

وأطلقوا النار عليهم بينما هم يهربون بالقوارب. وأوصاهم قائد البالماخ ألون - بعلم بن غوريون - باستعمال الفؤوس وليس الرصاص كلما كان ذلك ممكنا «لئلا يسمع» الموجودون في مركز الشرطة البريطاني. وكانت أوامرهم تقضي بـ «ألا يتركوا أثرا».

> نعم، تقدموا إلى القرية، اطردوا أهلها، تجمعوا لتناول شيء من الطعام، ثم امضوا إلى القرية التالية[41].

وشهد كهانوفيچ شهادة تدعم أقوال من كُتبت لهم النجاة بقوله إن أفراد البالماخ كانوا يقتلون كل من يختبئ في المساجد أو الكنائس. وكانت الأسلحة المضادة للدروع تُستخدم للقضاء على من يلجأون إلى الكهوف:

> دعني أصف لك ماذا يفعل هذا السلاح - تجعله يبدو لك كأنه لوحة جميلة رسمها رسام. تفكر. يحدث فجوة بهذا الحجم في كل جسم يتحطم على الجدران من الضغط الذي يحدثه في الداخل[42].

وكان القتل من نصيب أي شخص يحاول الهرب. كم كان عدد القتلى الناتج عن القذيفة الواحدة؟ «عدد كبير. يتحول المكان إلى بهو فارغ بأجساد ملتصقة

بالجدران». بعد أن أعطى بن غوريون أمره بطرد من بقوا أحياء، بدوا «أشبه باللاجئين اليهود وهم يمشون من ألمانيا». كان الفلسطينيون يُقتَلون للتسلية لأن مشاهدتهم وهم يُجبرون على المشي

كانت مملة... كانت هنالك بقرة تركض، وكان هنالك شخص يلاحقها، فأطلقت الرصاص عليهما معا[43].

تحدث عن عرب يتظاهرون بأنهم يهود حفاظا على حياتهم، وهو ما يذكِّر بما كان يفعله المورانوس في إسبانيا في الحقبة التي أعقبت العام 1492. أعدم بعضهم، كالطبيب «الذي حسبنا أنه يهودي أتى إلى هنا، وروسي لديه أفكار مثالية» ثم وجدنا أنه لم يكن يهوديا. وعندما افتضح أمر طبيب غير يهودي آخر قطعوا خصيتيه. ثم ألمح هذا العضو السابق في البالماخ إلى فظائع أخرى لم يكن على استعداد لذكرها[44].

كان الاغتصاب سلاحا يُستعمل باستمرار في عمليات التطهير التي ارتكبتها إسرائيل في العام 1948 في فلسطين. وقد وثَّق المؤرخ الإسرائيلي بني موريس اثنتي عشرة حالة اغتصاب لفتيات فلسطينيات قام بها الجيش الإسرائيلي في العام 1948، ولكنه نبه إلى أن هذه الحالات «غيض من فيض». وحتى في الحالات التي بقيت فيها البنات على قيد الحياة (فقد قتلهن الجنود أحيانا، هن وآباءهن وإخوتهن) فإن قلة من الحالات سُجلت، ولكن تلك التي وصلت أخبارها أسماع بن غوريون كانت هائلة العدد بحيث ورد ذكرها كثيرا في يومياته[45].

كانت قد مضت أربع سنوات منذ أن عطل الصهاينة الأمريكيون خطة الرئيس روزفلت لإيجاد ملجأ آمن لليهود الأوروبيين (أنظر ص 147). لكن موريس إرنست، مبعوث روزفلت لمتابعة الخطة، لم ييأس. فقد اقترح خطة جديدة تعرض على المهجرين اليهود الأوروبيين المتبقين (الذين قُدر عددهم بربع مليون) ملجأ آمنا في عدد من الأقطار، وتقابل مع بفن في 9 أبريل لبحث الموضوع. قال إرنست لبفن إنه وروزفلت شعرا على الدوام بأن سبب المشكلة الفلسطينية هو رفض الصهاينة السماح «بحل المشكلة اليهودية بكاملها». فذكَّره بفن «بأن تلك كانت الفكرة التي قدمها للرئيس ترومان، وللسيد بيرنز وللإدارة الأمريكية». وقد أكد إرنست صحة ذلك القول، فمضى بفن في حديثه:

سألته [أي إرنست] عن السبب الذي لم أحصل فيه على جواب، فقال إن الأمر يتعلق بالوكالة اليهودية. ففي مجالسهم الداخلية ظلوا دائما يتمسكون بالقول إنهم إن سمحوا بتغيير وجهة اليهود للاستيطان في أماكن أخرى، فإن محاولاتهم لجمع الأموال لمتابعة حملتهم من فلسطين ستتأثر على نحو خطير. تلك كانت حقيقة الأمر[46].

وبينما كان إرنست وبفن يتحدثان في لندن في 9 أبريل، كانت الإرغون على مبعدة 3600 كيلومتر تعمل بالتنسيق مع الهاغانا على محو قرية دير ياسين الفلسطينية. لم تكن دير ياسين أول قرية فلسطينية تُخلى من سكانها على يد الجيوش الصهيونية، ولم تكن الأخيرة بكل تأكيد. ولكن الإرهاب الذي حل بدير ياسين اتخذ قيمة رمزية لكونها بادية للعيان في المناطق المحيطة بالقدس وبسبب وجود الشهود. وتباهت الإرغون بأن الإرهاب الذي طُبع في الأذهان سارع في إخلاء القرى الفلسطينية الأخرى من سكانها، ولا شك في صحة هذ القول[47].

قال تقرير استخباراتي بريطاني إن دير ياسين أزيلت من الوجود

> مع كل ما رافق العملية من وحشية. جُردت النساء والأطفال من الملابس، ووُضع الجميع في صف واحد، وصُوروا، ثم ذُبحوا.

أما الذين اعتُقلوا في السجون فقد تعرضوا «لوحشية لا تصدق». وكان من بين الشهود الأوائل رئيس الوفد الدولي للصليب الأحمر في فلسطين، وهو جاك دي رنيير، الذي وصف جنود الإرغون عندما وصل إلى القرية على النحو الآتي:

> كانوا شبابا، بل كان بعضهم في مرحلة المراهقة، ذكورا وإناثا، مدججين بالسلاح: مسدسات، ورشاشات، وقنابل يدوية، وسيوف في أيديهم. وكان معظمهم لايزال ملطخا بالدماء. وكانت ثمة فتاة جميلة، بعينين إجراميتين، أطلعتني على بقعة الدم على جسدها، عرضتها كأنها غنيمة حرب.

أصر دي رنيير على دخول بعض البيوت:

> هنا كانت عملية «التنظيف» قد أُجريت بواسطة الرشاشات والقنابل اليدوية. واستُكملت بالسكاكين. كان ذلك واضحا لكل ذي عينين... سمعت شيئا أشبه بالتنهيدة. نظرت في كل اتجاه، وقلبت الأجساد،

فوجدت في آخر المطاف قدما صغيرة كانت لاتزال دافئة الملمس. كانت قدم بنت في العاشرة، مزقتها قنبلة يدوية، ولكنها لاتزال حية... كان المنظر نفسه يتكرر في كل مكان... كان في القرية 400 شخص، تمكن خمسون منهم من الهرب وبقوا على قيد الحياة. أما البقية فقد تعرضوا لمجزرة نُفذت بدم بارد، ذلك أن هذه العصابة [الإرغون] كانت، كما لاحظت بنفسي، شديدة الانتظام، ولا تعمل إلا وفق ما تتلقاه من أوامر.

وكما قال أحد أعضاء البالماخ، فإن من بقوا على قيد الحياة،

وهم نحو خمسة وعشرين رجلا، وُضِعوا في شاحنة نقل لعرضهم في «موكب نصر»؛ على غرار مواكبِ النصر الرومانية، عبر حيي مهانه يهودا وزخرون يوسف [في القدس]، ثم أُخذوا إلى مقلع حجارة يقع بين غفآت شاؤول ودير ياسين، وهناك قُتلوا رميا بالرصاص بدم بارد.

لقد غدا النصب الإسرائيلي التذكاري للهولوكوست ياد فا - شم الموقع الذي يحد رماد جثة دير ياسين.

بعد مضي ثلاثة أيام على المذبحة ضمت منظمة الهاغانا منظمة الإرغون تحت جناحها، ويُنسب للحاخام الأكبر هيرتسغ – الذي أجرى عمليات اختطاف ضخمة لليتامى اليهود قبل سنتين – فضل ترتيب هذا التزاوج[48].

أدت مراوغة إدارة الولايات المتحدة حول التقسيم إلى احتجاجات مساندة للصهيونية وإلى خطب حماسية من جانب بعض الزعماء السياسيين. وعندما هاجم الصهاينة المتطرّفون مشروع إعادة إعمار أوروبا بوصفه عدوًّا للصهيونية، فإن زعماء التيّار الصهيوني السائد، الذين شعروا بالخجل من ذلك الهجوم، تنصّلوا منه على رغم أن معارضة المشروع كانت تعبّر عن مشاعر الوكالة اليهودية منذ نهاية الحرب. وحتى أواسط شهر أبريل كانت الولايات المتحدة لاتزال تحث المملكة المتحدة على تأجيل خروجها من فلسطين، ولكن البريطانيين قالوا إنهم هم الذين سيذهبون ضحية موجة الإرهاب المقبلة؛ نتيجة للضغط الهائل الذي مارسته الولايات المتحدة لدفع الخطة التي مثلت الحد الأقصى من المطالب الصهيونية لأن تقر في الأمم المتحدة.

لخص بقْن بعبارات تدل على نفاد الصبر الكارثة كلها على النحو الآتي:

لو أمكن إقناع اليهود بأن المبدأ القائل إن الفرد الواحد له صوت واحد ينطبق في فلسطين على العرب واليهود على حد سواء كما يحدث في كل مكان آخر لانحلت مشكلاتنا[49].

لكن ترومان جدد دعمه للتقسيم، وفقا للمصادر الأمريكية التي استشهدت بها بعض الوثائق البريطانية، «بعد أن أقنع بأن عليه أن ينحني لقدرات اليهود على جمع الأموال إلى أن يحين موعد الانتخابات». وقد تكشف في أوائل الخمسينيات أن «انحناء» ترومان وصل إلى حد التدخل في القضاء عندما اتُّهم عملاء إسرائيل (وأُدينوا) بانتهاك قوانين الحياد[50].

كانت منظمة الهاغانا، التي كان بن غوريون قائدها الأعلى الفعلي، تنتج مدافع هاون تسميها دافيكا، تحتوي على 60 باوندا من المتفجرات، تطلقها إلى مسافة تبلغ نحو 300 ياردة، وبراميل متفجرة مملوءة بالمفرقعات والقطع الحديدية والزجاج والمسامير، مصممة لقتل أكبر عدد ممكن من سكان القرى الفلسطينية، ولإثارة الرعب فيها. ومن الطرق الأخرى التي اتبعتها الهاغانا وضع المتفجرات حول المنازل ليلا بينما الناس نيام، ومن ثم إشباع القطع الخشبية بالبنزين، وإشعالها بإطلاق الرصاص عليها من بعد.

كان التخويف - أي الإرهاب النفسي - سلاحا فتاكا آخر من أسلحة التطهير العرقي. فكانت «التسجيلات المرعبة» تدوي من مكبرات الصوت مطلقة إنذارات تحذيرية للباقين من أنهم سيلاقون مصير دير ياسين. وكانت الإشاعات عن الأوبئة أمورا تصدق في ضوء تسميم الهاغانا للآبار، كما شاع اللغط بأن جيوش الصهاينة تستعد لاستخدام القنبلة الذرية ضد القرى العربية(*).

(*) تقول الرواية الصهيونية إن السلطات العربية قالت للفلسطينيين في الإذاعة أو بمكبرات الصوت أن يخلوا أراضيهم، وإن الفلسطينيين «أطاعوا»، لذا فإنهم فقدوا حق العودة. هذه ادعاءات لا قيمة لها. كل الشعوب لها الحق المطلق في ترك بيوتها في أثناء الصراع (بل حتى في أيام السلم)، بغض النظر عمن قال لهم أن يفعلوا ذلك - كل ما على المرء أن يطبق هذا الكلام على أي شعب آخر أو مكان لفضح هذا الكلام المتهافت. ثم إن هذه الادعاءات نفسها غير صحيحة. فالسجل التاريخي يقول إن القادة العرب كانوا يرجون السكان ألا يرحلوا. وقد استخدم الإسرائيليون على نحو خاص رواية نُسبت إلى كبير أساقفة الجليل الأرثوذوكسي في كتبهم وفي شهادتهم في الأمم المتحدة للادعاء بأن الفلسطينيين تلقوا أوامر الإخلاء (كأن ذلك له أي قيمة). ولكن كبير الأساقفة نفسه ذكر كتابة أن كلماته كانت تعني شيئا مختلفا تماما - بل مناقضاً - لما وصفه بـ «التخرصات والتزييفات» التي لفقها القائمون على الدعاية الإسرائيلية. انظر على سبيل المثال مقالة إرسكين ب. چايلدَرز بعنوان «الرغبة الصامتة: من مواطنين إلى لاجئين» في كتاب «التحوّلات» لإبراهيم أبو لغد. [المؤلف].

في 21 أبريل بدأت الجيوش الصهيونية بحملتها الحاسمة النهائية لتطهير حيفا عرقيا. وأبرق كننغهام يقول إن قتالا ضاريا بدأ منذ الظهر:

هجمات اليهود على المواقع العربية المتقدمة عند تل البرج(*) ودرج الأنبياء وعلى بدالات الهاتف ناجحة. اشتعلت النيران في بيت خوري، ورئاسة سكك حديد فلسطين، هي وسجلاتها. واستولت القوات اليهودية على بيت سلمة وعلى مواقع طريق المحطة - تل البرج، وهي تقترب الآن من مربع خمرة. النيران في الميناء التي سببتها قنابل الهاون أُخمدت. قتال عنيف مستمر في السوق الذي يقال إنه مهجور[51].

وبينما كانت المليشيات الصهيونية تدفع الفلسطينيين باتجاه البحر كان سفير الولايات المتحدة يقول لبڤن على مبعدة 3600 كيلومتر في لندن «إن شعور اليهود» هو «لماذا يوقفون الحرب مادام لديهم كل هذا العدد من الرجال المدربين وكل هذه الذخائر، وماداموا في وضع يمكنهم من كسب المعركة، ومادام مبتغاهم [الأرض الواقعة وراء خط التقسيم] في مرمى النظر؟». في تلك الأثناء كانت زوارق الإنزال البريطانية تنقل من نجا من الفلسطينيين إلى عكا[52].

التقى السفيرُ رئيسَ الوزراء أتلي ووزير خارجيته في 28 أبريل، أي قبل أسبوعين من إعلان قيام دولة إسرائيل. لم يختلف المجتمعون على أن العدوان يأتي من الصهاينة (اليهود)، وعلى أن الفلسطينيين لم يتخذوا إجراءات دفاعية. ومع ذلك

فإن سياسة الولايات المتحدة كانت تقضي بعدم السماح لأي قُطر عربي بمساعدة إخوانهم العرب في أي مكان، بينما تقضي بمساعدة أمريكا لليهود على سحق العرب داخل فلسطين، وبالسماح للمذبحة بالاستمرار، ومن ثم بأن تطلب من الحكومة البريطانية أن تكبح [ملك الأردن] عبدالله [الذي لم يكن قد فعل أكثر من حفر الخنادق في أراضيه، ولكنه لم يفعل شيئا].

ذكّر الجانب البريطاني السفير الأمريكي بأن اليهود تجاهلوا كل الطلبات التي طلبتها الأمم المتحدة منهم، وبأنهم كانوا يهددون بمهاجمة القدس. ولكن السفير الأمريكي وقف إلى جانب الموقف الصهيوني وحذّر من «أن العواقب قد تكون خطيرة

(*) اسمها عند وليد الخالدي خربة البرج. [المترجم].

جدا إن تمسكت بريطانيا بموقفها الحالي [المنتقد للصهاينة]» - ولعله كان يلمح إلى التهديد الدائم بسحب القرض الأمريكي لحقبة ما بعد الحرب[53].

هاجمت المليشيات دير القديس سمعان ومنطقة القطمون في القدس ليلة 29 - 30 أبريل، وفي مساء 30 أبريل قبل الساعة السابعة بقليل أُطلق وابل من الرصاص على سيارتي إسعاف عليهما صليب أحمر بارز كانتا في طريقهما لنقل الجرحى من المنطقة - وهذا مشهد سيتكرر فيما بعد في الهجمات الإسرائيلية على لبنان وغزة. وفي الأيام القليلة التي تلت ذلك حاول البريطانيون أن يواجهوا هجوم الإرغون على سكان يافا - وفشلوا.

قال كننغهام في تقريره:

> لا بد من أن أوضح أن قصف الإرغون للمدينة بمدافع الهاون كان عشوائيا قُصد منه خلق الذعر بين السكان المدنيين. لم يكن الهجوم هجوما عسكريا[54].

تعرف البريطانيون على قنابل الهاون التي استخدمها اليهود لأنها من صنعهم (ماركة «إيلي» البريطانية)، وهذه معلومة ركزوا عليها لدحض أي ادعاءات بأن القذائف التي أُطلقت في القدس من النبي صمويل (وهي منطقة كانت مليشيا البالماخ تحاول الاستيلاء عليها) يمكن أن تكون قد جاءت من العرب لأن تلك القنابل كانت من صنع بريطاني.

كان المشهد في يافا تكرارا لما حدث في حيفا. فقد أحاطت القوات الصهيونية الفلسطينيين من ثلاث جهات - والرابعة هي البحر - فأنقذ البريطانيون، الذين عجزوا عن إيقافهم، كل من تمكنوا من إنقاذهم بواسطة زوارق الإنزال. ورفعت الإرغون نجمة داود على المدينة وسلمتها إلى الهاغانا، ومن ثم إلى الوكالة اليهودية، التي أقسمت ألا تعيد إنشا واحدا من هذه المدينة التي تقع على الجانب الفلسطيني من خط التقسيم. وحين أُسقط في يد البريطانيين فكروا في تقصير مدة الانتداب وإخلاء المكان قبل الموعد المعلن، وهو 15 مايو. وبعد نصف قرن من الزمان نشرت وزارة الدفاع الإسرائيلية كتابا سوّغت فيه التطهير العرقي في يافا بوصفها لها بأنها سرطان يتقيح وسط السكان اليهود[55].

وعندما رأى كننغهام أن وسائل الإعلام تروي وحشية التطهير العرقي على يد الصهاينة بوصفه «نجاحات عسكرية يهودية» أرسل برقية إلى من كان على صلة بهم من البريطانيين والأمريكيين، وقال إن هذه «النجاحات» كانت في واقع الأمر

> عمليات أساسها قصف النساء المرعوبات وأطفالهن المذعورين بقنابل الهاون.

وكان اليشوف (المجتمع اليهودي في فلسطين) مدركين تمام الإدراك ما يجري باسمهم ومؤيدين له. وساد «بين اليهود أنفسهم شعور بالكبر والصلف» وهم يتباهون بقدرتهم على تقرير مصير الفلسطينيين. وأضاف كننغهام أن «الإذاعات اليهودية» (ويبدو أنه قصد بها إذاعة كول إسرائيل التابعة للهاغانا) تشبه في المحتوى والأداء إذاعات ألمانيا النازية. وكتب بعد أسبوع أن

> اليهود لايزالون مبتهجين، ومشغولين بحملة العدوان المحسوب، المقرون بالوحشية[56].

وذكر تقرير مخابراتي بريطاني:

> أن الآلة الداخلية للدولة الإسرائيلية تكاد تكون مكتملة، وتضم موظفين لرقابة الصحف وكل ما يحتاج إليه النظام الشمولي، بما في ذلك القيّم على أملاك العدو للتصرف في الأراضي العربية[57].

لقد كانت مصادرة الأراضي على أساس الإثنية (العدو) جزءا من آلية الدولة الجديدة منذ ولادتها. أما المستوطنون اليهود فإن تقارير المخابرات تذكر صورا عن سكان جُن جنونهم:

> زاد اضطهاد اليشوف لليهود المسيحيين (أي الذين تحولوا إلى الديانة اليهودية) وسواهم من الذين لا يتوافقون مع الخط القومي زيادة ملحوظة، ووصل في بعض الأحيان إلى مستويات تذكّر بالقرون الوسطى[58].

وعرقلت سلسلة من التفجيرات الموجهة ضد البريطانيين وضد العرب مجرى الحياة في نيويورك ولندن في الأشهر السابقة لإعلان دولة إسرائيل. فقد اكتُشفت قنبلة في المكتب العربي في چلسي (لندن) في 21 يناير، وفي 23 فبراير زُرعت قنبلة أكبر عليها «علامات يهودية» في بناية تشغل وزارة المستعمرات جزءا منها، على مبعدة خمسين ياردة من ساعة بغ بن[59].

وسبّب تحذير من قنبلة إغلاق محطة ڤكتوريا مساء 3 مارس، وبعد ذلك بعشرة أيام تسلمت طائرة بريطانية متجهة إلى نيويورك رسالة لاسلكية تدعي أن قنبلة قد زُرعت على متنها، وكان من بين ركابها السكرتير المساعد لوزير الخارجية.

وفي أثناء تغيير الطيار وجهةَ الطائرة للعودة بها إلى لندن تلقت بناية الإمپاير ستيت في نيويورك التهديد الثالث بوجود قنبلة عندما اتصلت امرأة من محل «غذْنِي» للصرافة (في بروكلن) وقالت إن البناية «ستُنسَف». وكانت الطوابق التي فتشها رجال الشرطة تضم القنصلية البريطانية العامة. وتعرض ما لا يقل عن خمسة مكاتب عربية للتهديد بوجود قنابل في شهر مايو، ومنها مكتبا الوفدين السوري والمصري للأمم المتحدة، ومكتب القنصل اللبناني العام، والقنصلية العراقية، ومدير الجريدة العربية «الهدى»[60].

أما القنابل الحقيقية فقد انفجرت من دون تحذير. ففي 3 مايو تلقى ركس فاران، وهو رسام هندسي في الوست مِدلَندز مجلدا معنونا باسم ر. فاران ينبئ عنوانه بأنه يضم أعمالا لشيكسبير، ففتحه، وبعد لحظة كان قد فارق الحياة. كان الطرد البريدي - وهو هدية من منظمة ليهي - موجها فيما يبدو لأخيه روي الذي حكم عليه بالبراءة في قضية اختفاء مراهق كانت ليهي قد جندته. وبعد سنوات ادعى أعضاء ليهي أن ركس البريء كان هو المستهدف، وأن «الخطأ» مثّل طريقتهم الملتوية لتعذيب روي. وإذا ما نظرنا إلى الاختصار «ر» وأنه كان بالإمكان معرفة أن روي لم يكن موجودا فإن حكاية ليهي تغدو معقولة[61].

ذكرت مذكرة داخلية في وزارة الخارجية الأمريكية في اليوم الذي قُتِل فيه ركس فاران، أي قبل انتهاء الانتداب باثني عشر يوما:

> أن اليهود سيكونون المعتدين الفعليين على العرب. لكنهم سيدّعون أنهم لا يفعلون شيئا سوى الدفاع عن أنفسهم. وإذا ما قُدّمت مساعدة عربية من خارج فلسطين فإن اليهود سيهرعون إلى مجلس الأمن بدعوى أن دولتهم تتعرض للاعتداء المسلح، وسوف تُستخدم كل وسيلة ممكنة للتغطية على حقيقة أن اعتداءهم المسلح على العرب في الداخل هو سبب الهجوم المضاد من الجانب العربي[62].

وأصدرت وكالة المخابرات المركزية تحذيرا جديدا حول الأمن الداخلي مفاده أن أعوان الصهيونية يتقمصون شخصيات عسكرية أمريكية وشخصيات تعمل في شركات الطيران الأمريكية، إلى جانب عمليات النقل السرية والشبكة الدولية المكونة من الموظفين الذي اشترُوا بالمال، إن كل هؤلاء يشكلون تهديدا لأمن الولايات المتحدة[63].

ولما كان مواطنو الولايات المتحدة المنضمون للمليشيات الصهيونية يخالفون القانون الأمريكي بالشكل الذي كان عليه آنذاك، فإن بعض أعضاء مجلس الشيوخ حاولوا تمرير تشريع يجعل الخدمة في هذا الجيش الأجنبي قانونية. وما يثير العجب أكثر أن «العصبة الأمريكية من أجل فلسطين حرة» التابعة لمنظمة الإرغون جمعت عددا من أعضاء مجلس الشيوخ من الحزبين الرئيسين في أوائل مايو في محاولة منها لرعاية مبادرة من ست نقاط. وكان الهدف من ذلك شيئا لا سابقة له: وهو الاعتراف بسيادة إسرائيل على أي أراض يمكن لمليشياتها أن تستولي عليها خارج خط التقسيم، حتى قبل ظهور الدولة إلى الوجود[64].

وفي صباح 11 مايو في لندن تلقى الفريق السير إيفلن باركر إسطوانة من النوع الذي ترسل فيه المجلات، مرسلة من داخل البلاد. ولكن كانت زوجة هذا القائد العسكري السابق في فلسطين وخادمتها يقظتين بما فيه الكفاية لكي تشكا في صحة العلامة التي تذكر اسم المتجر د. هـ سمث، وما لاحظتاه من وجود طوابع بريد زائدة على الحاجة. أخذت الزوجة تفك أغطية الإسطوانة، فتبينت لها نسخة من المجلة الأمريكية «نيوز رفيو»، ولكنها توقفت عندما اشتمت رائحة تشبه رائحة السائل المطهر ورأت أسلاكا وشريطا لاصقا أسود. لم تكن هذه هي المرة الأولى التي يتعرض فيها باركر لمحاولة الاغتيال. فقد كان إيزر فايتسمان، وهو طيار سابق في سلاح الجو البريطاني وابن أخي حاييم فايتسمان (وقد تولى مثل عمه رئاسة دولة إسرائيل) قد حاول اغتياله بزرع الألغام في الطريق الموصل إلى بيته.

استهدفت موجة جديدة من الرسائل الملغومة عددا من المسؤولين البريطانيين في فصل الربيع ذاك. وكان من بين من تلقوا رسائل من هذا النوع ونستون تشرشل، ورئيس مجلس العموم، وإرنست بفن، وفلب نويل - بيكر، وأولفر ستانلي، والفريق أول بحري اللورد فريزر، وأنتوني إيدن. وقد حمل إيدن الرسالة طوال اليوم في حقيبته معتقدا أنها نشرة من وايتهول [أي الحكومة] يمكنه فتحها فيما بعد. لكن تحذيرا من الشرطة وصله في الوقت المناسب[65].

كانت الرسائل الملغومة الجديدة مصممة بحيث تنفجر في الماء للتغلب على الطريقة المتبعة لتعطيلها. واحتوى كثير منها على «باكيت» يحتوي على مادة سيانيد الصوديوم السامة لضمان القتل إن أصيب الشخص بجرح غير قاتل.

وقد أُزيل الكيس الأهم الذي يضم المتفجرات في الرسالة الملغومة المرسلة إلى ونستون تشرشل وفُجّر في ظروف تحت السيطرة. وأدى التفجير إلى ثني صفيحة من الفولاذ سمكها ربع إنش (ثلاثة أرباع الإنش؟)(*)، وتوصل المختصون إلى أن فتائل التفجير المرسلة من إيطاليا في العامين 1947 و1948 كانت من صنع أمريكي، ومنها دوپونت، وكانت قوات الحلفاء قد خلّفت كميات كبيرة منها في إيطاليا. وأدى خلل ما، هو في العادة بطارية ضعيفة، أو انقطاع أحد الأسلاك، إلى عدم انفجار الرسالة الملغومة. واستمرت هذه الموجة من الإرهاب الموجه ضد بريطانيا من أجل الإرهاب بحد ذاته. إذ لم يكن للطموحات الصهيونية السياسية ما تكسبه من الأهداف البريطانية بعد مغادرة البريطانيين[66].

في 14 مايو، أي في الساعات الأخيرة من الانتداب، واجه فلسطينيو حيفا الذين هربوا إلى عكا الجيوش الصهيونية ثانية عندما استولت قوات الهاغانا على تلك المدينة التي كانت تقع خلافا لحيفا على الجانب الفلسطيني من خط التقسيم(**). وبالتزامن مع ذلك استولت الإرغون على خمس قرى أخرى كان المفروض أن تكون ضمن الدولة الفلسطينية. ولم يعترف حتى الإعلان الذي جعل من إسرائيل دولة في تلك الليلة بأي حدود وطنية (فقد حدد إسرائيل جغرافيا بالعبارة التوراتية «إرتس إسرائيل»). وسرعان ما قفزت الإدارة الأمريكية واعترفت بالأمر الواقع بعيد منتصف الليل بقليل، وتبعتها إيران بسرعة (مع أنها كانت قد صوتت ضد التقسيم). أما روسيا(***)، فقد سبقت غيرها لتصبح أول شعب يمنح إسرائيل اعترافا قانونيا في 17 مايو.

(*) تقول شهادة أدلى بها الدكتور واتّس في 12/TNA, EF 5 إن القنبلة أحدثت ثنيا في صفيحة من الفولاذ سمكها ¼ من الإنش. لكن هنالك وثيقة أخرى («الرسائل الملغومة»، 16 يونيو 1947) تقول إن سمك الصفيحة كان ¾ الإنش. [المؤلف].

(**) كانت بريطانيا قد نشرت تقديرا غير صحيح لعدد سكان حيفا من العرب جعله خمسة وثلاثين ألفا. لكن المسؤولين اعترفوا في أحاديثهم الخاصة بأن ذلك العدد يساوي نصف العدد الصحيح، وهو نحو سبعين ألفا من العرب المسيحيين والمسلمين، ولكنهم ناقشوا مخاطر تصحيح العدد والتنبيه إلى الخطأ بحجة «أن أذى كبيرا سيحصل في الشرق الأوسط إذا ما استُغلّ هذا الخطأ الذي ارتكبه قسم المعلومات التابع لنا». انظر من بين مصادر أخرى، TNA, CO 537/3860, "63", "65" red،
رسالة من م. پ. پرستن تاريخها 6 مايو، ورسالة من و. ب. أزبورن تاريخها 1 مايو. [المؤلف].

(***) هذا ما ورد في الكتاب، لكن روسيا كانت جزءا من دولة أكبر اسمها الاتحاد السوفييتي، ولا يعقل أن تصدر روسيا وحدها اعترافا من هذا النوع. وقد كنت سمعت غروميكو فيما بعد في نشرة أخبار في التلفزيون وهو يصحح متحدثا في الأمم المتحدة يشير إلى روسيا بقوله: «الاتحاد السوفييتي» مرتين على الأقل. [المترجم].

تباهت منظمة ليهي في بيان إذاعي بثته يوم 3 يونيو بأن اعتراف ترومان السريع بإسرائيل «لم يأت نتيجة لما يؤمن بصوابه»، ولكن لأنه «كان يحتاج إلى الصوت اليهودي» - مع أن «الصوت اليهودي» لا يمكنه من الناحية السكانية أن يفسر خضوع ترومان للصهاينة. وقد دُهش مورس إرنست، الذي كان قد استثار غضب الصهاينة الأمريكيين عليه لمحاولاته الساعية إلى فتح أبواب الولايات المتحدة للهجرة اليهودية، وكان قد وصف نفسه بأنه «يعارض أي ربط بين الدين والدولة، أو بين العرق والدولة» - دُهش عندما طُلب منه «أن يمثل مصالح الدولة اليهودية»[67].

في منتصف يونيو بينت وزارة الخارجية لواشنطن ضرورة تعيين حدود دائمة، وإلا فإن إسرائيل «ستتخطى حدودها» بمعونة الدولارات الأمريكية، و«ستتوسع». كذلك أعادت وكالة المخابرات المركزية تحذيراتها «من تزايد التصلب الإسرائيلي»، و«تنامي الشعور بالاكتفاء الذاتي والثقة بالنفس لدى الإسرائيليين، وهو ما ينبئ باستعدادهم لأخذ زمام الأمور بأيديهم من دون الالتزام بقوانين الأمم المتحدة». لا بل إن الدولة الجديدة بدأت تعُدُّ الأمم المتحدة مصدر إزعاج «يمنعها من التوسع» إلى ما وراء حدودها، بينما يبدو أن «الدول العربية» - وفق أقوال وكالة المخابرات المركزية - «متعاونة إلى حد كبير مع الوسيط ومع الأمم المتحدة»[68].

استمرت الحملة ضد بريطانيا إلى ما بعد الانتداب. ففي أوائل يونيو، أي بعد أسابيع من تخلي بريطانيا عن الحكم ومن مغادرتها التامة تقريبا، ظهرت حملة اكتسبت حيوية جديدة ضد بريطانيا في الولايات المتحدة تقودها لجنة تدعى «لجنة أبناء المقاطعين من أجل الحرية»، وهي لجنة دعت نفسها بهذا الاسم تيمنا باسم مجموعة من عهد الثورة الأمريكية. كانت هذه اللجنة تعمل من 106 غرب الشارع رقم 70، وموّلت إعلانات تملأ صفحة كاملة في نيويورك تصب غضبها على بريطانيا لما زعمت أنه «الغزو المستمر لإسرائيل». وقالت إن كل الأمريكيين الطيبين سيشاركون في مقاطعة بريطانيا؛ وعندما ترى لندن «الحبر الأحمر» الناتج(*)، فإن هذا «الشعب المكون من التجار والمحاسبين» (وهي الصفة التي تلصق عادة باليهود) سيجبر على التوقف عن «تدمير إسرائيل».

(*) المقصود: مقدار العجز في الموازنة.

وقد أخذت دعوات المقاطعة مأخذ الجد بحيث أقلقت الشركة العملاقة فلب مورس للسكائر عندما أدركت أن بعض الناس ظنوا أنها شركة بريطانية (وهي كانت كذلك حتى العام 1919). فنشرت الشركة إعلانا ملأ صفحة كاملة أكدت فيه للقراء أنها شركة أمريكية، وأعادت طباعة رسالة من «لجنة أبناء المقاطعين من أجل الحرية» تؤكد فيها أن الشركة ليست مستهدفة بالمقاطعة[69].

كانت بريطانيا تشتري تسعة ملايين «سحّارة» من الحمضيات من فلسطين كل سنة، نصفها من الفلسطينيين ونصفها من اليهود. ولكن بلغ من سعة استيلاء المليشيات على أراضي الفلسطينيين وبياراتهم ومعداتهم أن الجانب الأكبر من الإنتاج كان مسروقا، وهذا ما حدا المسؤولين على التفكير في مصادر أخرى بدلا من شراء بضاعة مسروقة[70].

وفي لندن جعلت القنبلة التي أُرسلت إلى إيفلن باركر المسؤولين يراقبون أفعال شخص اسمه مونتي هارس، ويسكن في 14 غرافل لين، شرقي لندن، إذ كان يتصل بمنظمة الإرغون، ويدير دكان بقالة ورثه عن أبيه. وتعززت الشكوك عندما ملأت شقته من الداخل أدخنة سوداء كثيفة يوم 15 أغسطس، فاضطر هارس إلى إبقاء الباب مفتوحا ليتبدد الدخان، وليخترع تفسيرا لشخص من المارة أقلقه ما رأى. لكن بقي رجال الشرطة يراقبون من دون أن يتدخلوا إلى أن اعتقلوه يوم 28 أغسطس، فمنعوا بذلك «موجة من الحرائق والتخريب في إنجلترا»، بما في ذلك الخطط الخاصة بتفجير سيارات الجيش. لكن كان هنالك آخرون أفلتوا من الاعتقال: فقد اشتعلت النيران في سفينتي جنود غادرتا ساوثهامبتن في وقت قريب من ذلك وساد الظن أنهما تعرضتا لطرود ملغومة زرعها المتطرفون الصهاينة الموجودون داخل بريطانيا[71].

كذلك كانت المخابرات البريطانية تتابع سرل روس، المدير التنفيذي لمتجر الفرو سويرز وولز الذي يدر أرباحا عالية في شارع أوكسفورد، وكان يعتقد أن روس يرأس شبكة التجسس التابعة للوكالة اليهودية في المملكة المتحدة. واعتقدوا أيضا أن لإسرائيل مخبرين «في كل قسم مهم من أقسام الحكومة [في المملكة المتحدة]»، وأنها تتصل أيضا بـ «أشخاص في سفارة الولايات المتحدة في لندن، يزودونه [أي روس] بتقارير سرية أمريكية»[72].

عيّنت الأمم المتحدة فولك برنادوت، وهو ديبلوماسي سويدي كان قد تمكن من إنقاذ 30 ألف يهودي من معسكرات الموت الألمانية، للتوسط في الفوضى السائدة في فلسطين. ومع أن برنادوت كان يرى - وفقا للمبادئ التي يؤمن بها - أن الحل الأفضل يتمثل في إنشاء اتحاد عربي يهودي، فإن الإدارة الأمريكية عارضت الفكرة «بسبب المعارضة الشرسة التي أبداها الصهاينة الأمريكان وسط حملة الانتخابات الرئاسية»، كما ورد في تقرير لكلية الحرب الوطنية، أفرج عنه بعد حرب العام 1967[73].

وقد أخذ برنادوت يعمل على وضع خطة ثانية، وقال فيما يتعلق بالفلسطينيين الذين طُرِدوا من أراضيهم بسبب انتمائهم العرقي:

> سيكون مما يتنافى مع مبادئ العدالة الأساسية أن يُحرم هؤلاء الضحايا البريئون من حق العودة إلى بيوتهم بينما يُسمح للمهاجرين اليهود بالتدفق إلى فلسطين.

لم يُخفِ برنادوت عزمه على التوصية بجعل القدس منطقة منزوعة السلاح وفقا للقرار 181، وهذا بالذات هو ما أدى إلى تهديدات جديدة بالإرهاب في أوروبا أصدرتها منظمتا الإرغون وليهي في أوائل شهر أغسطس، وإلى تهديدات شبه مكشوفة لحياة برنادوت:

> نحن هنا نحذر مراقبي الأمم المتحدة، جنرالات برنادوت وموظفيه وجنوده، الذين قد يرسلون لنزع سلاح القدس ولإقامة إدارة غير يهودية - هذا غير ممكن ولن يكون[74].

نفذت منظمة ليهي ما كانت تعهدت به في 17 سبتمبر، وهو اليوم التالي لفراغ برنادوت من وضع خطته لإحلال سلام فلسطيني- إسرائيلي: فقد استعملت اسم «جبهة أرض الأجداد» واغتالت برنادوت ومراقبا آخر من الأمم المتحدة، بمعرفة القوات العسكرية الإسرائيلية ومباركتها الضمنية.

عبرت الحكومة الإسرائيلية في العلن عن أسفها لاغتيال الوسيط، ولكنها عرقلت أي تحقيق في الجريمة. وكان هذا الاغتيال، وهو الأشهر من بين الاغتيالات الصهيونية، قد حدث في شارع مزدحم، ولكن إسرائيل لم تطوق المكان إلا بعد 24 ساعة من وقوع الاغتيال ولم تحقق مع شهود. وبدا أن المشكوك فيهم من منظمة ليهي

غير مكترثين فيما يتعلق بالقبض عليهم، ثم حولوا «سجنهم» إلى احتفال مختلط، اكتملت عناصره بالبيرة والحرية لزيارة المقاهي المحلية إن هم أرادوا.

كان عدم اكتراث مرتكبي الاغتيال باعتقالهم مثالا مبكرا على التحول العميق الذي أتى به ظهور الدولة الصهيونية إلى الوجود. كانوا يعلمون أن مصيرهم لن يكون مصير قتلة اللورد موين. فقد أُطلق سراحهم بعد وقت قصير حتى بعد أن رفضوا التخلي عن الإرهاب، ومن ثم تُرك للحكومة السويدية أن تحقق في الجريمة. وكما قال القنصل البريطاني العام فإن الزعماء الإسرائيليين أطلقوا سراحهم ليس لأنهم في الحقيقة رحبوا بالجريمة فقط، «بل لأنهم خافوا على أرواحهم هم أيضا، ولأنهم كانوا يعلمون بأنهم لن يستطيعوا الاحتفاظ بهم في السجن». كان المفروض أن تبقى خطة برنادوت الجديدة طي الكتمان إلى أن تُعرض على الهيئة العامة، ولكن عندما اغتيل برنادوت فإن بن غوريون حصل، بواسطة شخص أمريكي كان على صلة به، على نسخة منها[75].

وصل ناثان يلن - مور، الذي استند صيته القبيح السابق على صلاته بالنازيين وعلى اشتراكه في قتل اللورد موين، إلى الكنيست. وبعد سبع سنوات التحق مهندس الاغتيال إسحاق شامير بالموساد، وأصبح فيما بعد رئيسا لوزراء إسرائيل - مرتين[76].

بعد ستة أيام من اغتيال برنادوت، أي في 23 سبتمبر، غادرت طائرة رابيد تابعة للخطوط الجوية العربية مطار بيروت متجهة إلى عمان، وهي تطير على خط مسارها المعهود. وبعد أن قطعت نصف المسافة بقليل، أخذها المسار إلى الشاطئ الشرقي (السوري) من بحيرة طبرية، التي يتجه شاطئها جنوبا، وهو الذي اتبعه قائد الطائرة. وبعدما بلغت منتصف البحيرة تقريبا أخذت الطائرة تتجه باتجاه الشرق قليلا نحو عمان فدخلت المجال الجوي للأرض التي تقع تحت حكم إسرائيل، وهي منطقة أقيمت عليها مستوطنة عين غف - وهذا موقع خارجي بعيد أنشئ في العام 1937 عندما قدمت لجنة پيل اقتراحا بالتقسيم، وكان هذا الاقتراح قد وضع هذه المنطقة في الدولة الفلسطينية - وعندما فعلت الطائرة ذلك قامت مقاتلة إسرائيلية بمهاجمة طائرة الركاب الحمراء.

هبط قائد الطائرة نوورز إلى مستوى 5000 قدم في محاولة لتفادي الهجوم، وتحول إلى أقرب مجال جوي أردني، وحاول أن يقوم بهبوط اضطراري في أحد

الحقول. لكن الطيار الإسرائيلي لاحق طيارة الرابيد الصغيرة وهاجمها مرتين أخريين، فقتل ثلاثة أشخاص، منهم مراسلان هما جون نكسن من الـ BBC، وديفد وودفرد التابع لجريدة «ديلي تلغراف»، وكان من بين الثلاثة الناجين الذي أصيبوا بحروق الدكتور أوفد سلرز، مدير المدرسة الأمريكية للآثار في القدس. وقد سوّغت إسرائيل إسقاط طائرة الركاب غير المسلحة بدعوى أنها دخلت مجالها الجوي، ولكن إسرائيل كانت تقوم بعمليات مسلحة يوميا فوق الأردن دون الخشية من عقاب، وظلت تفعل ذلك حتى الخمسينيات. وبعد سنتين أجبرت إسرائيل طائرة رابيد أخرى تابعة للخطوط الجوية العربية على الهبوط في أثناء طيرانها فوق النقب في طريقها إلى مصر.

هذا الافتقار لأي رد على إسقاط إسرائيل القاتل لطائرة ركاب غير مسلحة فوق أراضي شعب آخر، مثله مثل مصير الأشخاص الذين اغتالوا برنادوت، مثال مبكر على القوة غير العادية التي تكتسبها الدولة. فلو كانت الحادثة نفسها قد وقعت قبل خمسة أشهر لاستثارت غضب العالم بصفتها فعلا لا مسوغ له من أفعال الإرهاب العالمي[77].

تمثل قصتا القريتين الفلسطينيتين دير ياسين والدوايمة مثلين عما حدث «قبل» و«بعد»، ويوضحان قوة وضع الدولة في مقابل تصورها العقلي. ففي ما يمكن وصفه بالرأي العالمي يعد محو دير ياسين في 9 أبريل، أي قبل إعلان الدولة بخمسة أسابيع، إرهابا، لا بل إنه سرعان ما أصبح رمزا للوحشية العنصرية. أما المذبحة الأفظع، وهي المذبحة التي وقعت بعد خمسة أشهر ونصف الشهر من إعلان الدولة، في 28 أكتوبر في قرية الدوايمة - وهي قرية وصفتها المخابرات الإسرائيلية بأنها «سلمية جدا» - لكنها لم تذكر إلا أنها «عملية عسكرية».. هذا في حال أنها ذُكِرَت. وفي تلك الأثناء وقعت «حالات عديدة تشبه حالة دير ياسين» كما قال يغآل يادين رئيس العمليات. لكن الصهيونية أخذت تتحدث الآن باللغة الجديدة(*) التي تفبركها الدول القومية[78].

كانت الإرغون، وهي منظمة يُعترف بأنها منظمة إرهابية، هي التي ارتكبت فظائع دير ياسين، أما مذبحة الدوايمة فقد ارتكبتها الكتيبة 89 من كتائب الجيش

(*) الكلمة التي يستخدمها المؤلف هنا هي newspeak، وهي كلمة ابتكرها جورج أورول في روايته الشهيرة «1984»، ويصف فيها الرطانة التي تفرضها الدولة الديكتاتورية على ما يُقرأ ويُكتب ويقال في العلن. [المترجم].

الإسرائيلي – الجناح العسكري من دولة ذات سيادة. اقترب الجنود من القرية من ثلاث جهات (الخطة دال)، «وقفزوا من سياراتهم المصفحة وانتشروا في طرقات القرية وهم يطلقون النار على كل ما شاهدوه»، كما قال أحد الناجين. ووفق ما قاله أحد الجنود، أخذت كتيبته تطلق النار من أعلى الأسطح:

ورأينا العرب يتراكضون في الأزقة تحتنا. فتحنا النار عليهم... ورأينا من موقعنا العالي سهلا فسيحا يمتد شرقا... يغطيه آلاف من العرب الهاربين... أخذت رشاشاتنا تثرثر، وتحول هروب [اللاجئين] إلى هزيمة منكرة[79].

أجبر الجنود، بناء على أوامر صدرت لهم، كثيرا من أهل القرية على الدخول في البيوت، ثم نسفوها بمن فيها، أما الذين تمكنوا من الهرب فقد لجأوا إلى المسجد، بينما اختبأ آخرون في كهف قريب. وفي اليوم التالي كانت أجساد الرجال والنساء والأطفال تملأ الشوارع. كانت أجساد ستين ممن لجأوا إلى المسجد مسجاة على أرضه، وكان خمسة وثمانون من الرجال والنساء والأطفال الذين هربوا إلى الكهف قد قُتلوا جميعا، وكان من بين مئات القتلى 175 امرأة وطفلا. وشهد جندي شارك في الهجوم بقوله:

الأطفال قتلهم [الجنود الإسرائيليون] بكسر جماجمهم بالعصي. لم يسلم بيت من القتل... وتباهى جندي بأنه اغتصب امرأة ثم أطلق النار عليها وقتلها. وأُمِرَت امرأة تحمل طفلها الوليد بتنظيف الساحة التي كان الجنود يتناولون طعامهم فيها. ثم أطلقوا الرصاص عليها هي وطفلها[80].

واجهت عشرات من القرى داخل إسرائيل ووراء خط التقسيم هذا المصير نفسه. ففي اليوم التالي، أي في 29 أكتوبر، كانت قرية صفصاف في منطقة الجليل أول قرية تسوّى بالأرض، فيما عُرف بعملية حيرام. وعلى رغم أن الوثائق الإسرائيلية لاتزال خاضعة للسرية فإن ضابطا أفاد بأن السكان كانوا قد «رفعوا الراية البيضاء»، بينما كان جيش الدفاع الإسرائيلي يهاجم بفصيلتين من السيارات المصفحة وسرية دبابات من اللواء السابع. رُبِط اثنان وخمسون رجلا وقُتِلوا رميا بالرصاص، واغتُصب عدد من النساء – ومن بينهن صبية في الرابعة عشرة – ثم قُتلن وتُركن في غيضة من الأشجار، «ومن بينهن امرأة تمسك بطفلها القتيل». وقابل أهالي قريتين أخريين هما عيلبون والفراضية، الجنود بـ «الرايات البيضاء»،

فأطلق الجنود النار عليها، «وبعد أن قتلوا ثلاثين شخصا جعلوا البقية يمشون على الأقدام». وفي قرية صالحة(*)، رفع السكان الراية البيضاء، ولكن «حدثت هناك مذبحة كبيرة» راح ضحيتها من 60 إلى 70 شخصا[81].

ظلت الولايات المتحدة مكانا مهما يقصده المسؤولون الصهاينة - الإسرائيليون الآن. وظلت شحنات ضخمة من الأسلحة وغيرها من المعدات العسكرية تتدفق من الولايات المتحدة إلى إسرائيل، وكثيرا ما كان ذلك يجري عن طريق رشوة الدول الديكتاتورية في أمريكا اللاتينية. كان تدي كولك هناك في العام 1948. وكان ضباط المخابرات البريطانية يعتقدون أنه كان يشتري دبابات وأجهزة رادار، وينظم جهازا للتجسس. أما سنيه، الرئيس السابق للهاغانا، فقد ذهب إلى الولايات المتحدة في أكتوبر ليطلب من الشعب إيقاف خطة برنادوت «لأنها ستحرم الدولة اليهودية من إمكانية الوجود». أما بيغن، الذي وضع اللوم في مقتل برنادوت على الأمم المتحدة لأنها لم تعط كل فلسطين وشرق الأردن للصهاينة في العام 1947، ما أدى إلى أن يصبح مطلوبا عند منظمة ليهي للتخلص منه، فقد ذهب إلى الولايات المتحدة للحصول على الدعم للاستيلاء على ما بقي من فلسطين[82].

استُقبِل بيغن باحتفاء كبير في نيويورك فرافقه موكب سيارات باذخ مر من المنطقة التي تُعرض فيها الملابس في مانهاتن ليُستقبَل استقبالا رسميا في بهو المدينة. وتمازح رئيس البلدية أودواير عن كون بيغن إرهابيا مطلوبا، وقال إن قسم الشرطة في نيويورك يغنون له. وانتقد بيغن برنادوت الذي اغْتِيل بسبب محاولته تقييد السياسة التوسعية الإسرائيلية، وانتقد ألبرت آينشتاين لأنه واحد من واحد وعشرين أكاديميا يتهمونه بأنه «يدعو صراحة إلى إنشاء دولة فاشية»، واتهم المجلس الأمريكي للديانة اليهودية بأنه يعادي السامية لأن المجلس انتقده. ثم دعا بيغن أمام جمهور يصفق له إلى استخدام العنف للاستيلاء على مزيد من الأراضي:

> المعركة لم تنته بعد؛ لم يتحقق هدف النصر بعد. سنستمر في القتال... إلى أن تتحرر إسرائيل [التوراتية] كلها، وإلى أن يعود شعبنا بكامله إلى بلده.

(*) لعل المقصود الصالحية من قرى صفد. [المترجم].

وفي فندق «الدبلومات» في نيويورك نشر بيغن الرسالة نفسها أمام 200 من الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 10 و23، وكلهم أعضاء في جمعية الشباب المسماة بريث ترمبلدور، ويقفون بزيهم الرسمي وقفة الاستعداد. وخاطب جمهورا في كارنيغي هول، مع وجود جماعة صغيرة تعبر عن احتجاجها. كذلك استنكر بعض كبار رجال الدين من أمثال هنري سلون كوفن، والأب جون لافارغ، والحاخام لازارون وجوده هناك. وعندما أثيرت مسألة دير ياسين رد بيغن بأن القرويين هم الملومون لأنهم قاوموا عندما غزتهم منظمة الإرغون (وهذا تفسير لاتزال دولة إسرائيل تستعمله).

وبينما كان بيغن يتكلم في نيويورك كانت القنصلية البريطانية العامة في القدس تقول بقدر من السخرية المريرة «إن العرب الذين ظلوا في فلسطين حصلوا على صفقة بائسة... فقد جُرِّد العرب الباقون في إسرائيل من أملاكهم، ونُسِفَ كثير من القرى من دون اكتراث بأهلها أو دُمِّرَت بعد أن نهبها اليهود». ونسبت إسرائيل الدمار إلى «مناوشات» حربية، «ولكن هذا التفسير عار عن الصحة» وفق ما قال تقرير القنصلية العامة. وقد أكد المراقبون الدوليون الموجودون في المكان من أفراد الصليب الأحمر وغيرهم «هذا التدمير العابث للأملاك العربية على يد اليهود»[83].

أعلن بن غوريون، في أثناء مكوث بيغن في نيويورك، سياسته التي كانت أمرا واقعا دائما: وهي أن إسرائيل لن تلتزم بالقرار 181. وسعى بيغن، في أثناء توقفه في باريس، إلى الحصول على دعم لـ «إتمام الكفاح من أجل تحرير فلسطين بأكملها». وعندما عاد إلى إسرائيل حشد الجماهير من أجل الحصول على «أرض الآباء غير المقسمة». واستطاع بحملته الساعية إلى الاستيلاء على بقية فلسطين أن يحصل بسرعة على 14 مقعدا في الكنيست لحزبه الجديد حيروت في أول انتخابات تجري في البلاد. وأعلن تنديده بأي «توافق مع الأمم المتحدة»، وحذر من اندلاع موجة جديدة من الإرهاب إن بقيت القدس منطقة دولية[84].

قبلت الحكومة المصرية قرار مجلس الأمن القاضي بوقف الحرب الدائرة بين مصر وإسرائيل في النقب، ولكن (كما ورد في أوراق الحكومة البريطانية) «بدلا من أن تلتزم السلطات اليهودية ببنود القرار احتفظت بمواقعها الجديدة، وشنت حملة جديدة ضد المصريين في 22 ديسمبر»، وفي الشمال رفضت الانسحاب من الأراضي

اللبنانية. ولكن «على رغم الرفض الواضح للسلطات اليهودية للامتثال» فإن مجلس الأمن فشل في اتخاذ الإجراء الذي يستتبعه هذا الرفض. وقال البريطانيون إن حصانة إسرائيل نابعة «من عدم رغبة الولايات المتحدة في أن تُربط بإجراءات يمكن أن تعتبر عدائية» لإسرائيل، ومن نجاح ممثل إسرائيل في إرباك الناس بخلط قرارين منفصلين من قرارات الأمم المتحدة[85].

قال تقرير القائم بأعمال الوسيط لمجلس الأمن إن إسرائيل هي وحدها الملومة في الحرب الدائرة في الجنوب، إذ لم يقم الجانب المصري بأي أعمال استفزازية، ومنعت إسرائيل موظفي الأمم المتحدة من مراقبة العمليات الجارية في جنوب فلسطين. وكان ذلك ذروة الاتجاه التعطيلي من جانب إسرائيل. وادعت تقارير تلقتها الأمم المتحدة يوم 29 ديسمبر أن القوات الإسرائيلية اقتحمت غزة، ولكن الأمم المتحدة لم تتمكن من التحقق منها لأن إسرائيل منعت مراقبيها، ولذا أرسلت بريطانيا طائرة استطلاع في 30 ديسمبر، فوجدت أن القوات الإسرائيلية توغلت مسافة 20 ميلا داخل غزة؛ ثم جاءت تقارير أخرى تؤكد هذا القول.

كانت كل من الولايات المتحدة والأمم المتحدة على علم بالطلعات البريطانية الاستطلاعية، ووافقتا على الحاجة إلى المعلومات الدقيقة عن العدوان الإسرائيلي. شوهدت عمليات توغل جديدة بقوات كبيرة في 6 يناير، وكذلك في صباح اليوم التالي. أرسلت بريطانيا أربع طائرات من نوع سبتفاير للتفتيش والتصوير، فاستجابت إسرائيل بإسقاطها جميعها في الأراضي المصرية. ونجا ثلاثة من الطيارين بالهبوط بالمظلات، وساعدهم بدو المنطقة، ولكن الإسرائيليين قبضوا على اثنين منهم، أما الرابع فقد قال شاهد عيان بدوي إنه أُطلِق عليه رصاص الرشاشات أثناء الهبوط. أرسلت بريطانيا أربع طائرات سبتفاير أخرى ترافقها خمس عشرة طائرة من نوع تمبست لمعرفة مصير الطائرات الأخرى. وطارت حتى وصلت إلى مدينة رفح، وعند عودتها هاجمتها الطائرات الإسرائيلية وأسقطت طائرة تمبست واحدة، وقُتِل طيارها. كان اثنان من طياري القوات الجوية الإسرائيلية في هجوم ذلك اليوم، وهما چالمرز غدلن وجون ماكلروي من مواطني الولايات المتحدة وكندا على التوالي، وكانا يحاربان في جيش أجنبي ويطلقان النار على طائرات تابعة لبلد حليف[86].

لم يكن من قبيل المصادفة أن نظر بن غوريون كان يتجه إلى الأرض المجاورة. فقد وعد بالإسراع في تحويل بئر السبع، التي كانت الأمم المتحدة قد جعلتها من نصيب الفلسطينيين، إلى «مدينة عبرانية»، ورد على مطالب الأمم المتحدة بأن تنسحب إسرائيل من احتلالها غير القانوني لها بأن وعد بالسيطرة عليها عبر «أضخم برنامج استيطان جرى في فلسطين في أي وقت واحد»، ووضع خططا «لإقامة سلسلة من المستوطنات شبه العسكرية في المنطقة التي يجري الاستيلاء عليها [من الفلسطينيين] كلها»[87].

دقّت آن مَكورمِك، المراسلة الحربية ذات القلم السيّال لصحيفة «نيويورك تايمز»، جرس الموت لحل الدولتين في مقال نشرته في منتصف شهر يناير 1949. فبعد أن وصفت كيف أن إسرائيل «تخطت» خط التقسيم، وأنها «تدّعي ملكية الأراضي التي استولت عليها»، قالت إن فلسطين لم تعد موجودة: «الموجود هو إسرائيل وبقية الأراضي المكتظة التي لا هي بالدولة ولا يمكنها أن تكون دولة».

كتبت صحيفة «مانشستر غارديان» في 10 فبراير 1949، عندما أعلنت الدولة الجديدة عفوا عاما غير مشروط عن «أربعين عضوا من أعضاء عصابة شتيرن المسجونين وعن كثيرين آخرين مختبئين»: «تصر إسرائيل على أن تكسر قلب أصدقائها». وكان من بين من أطلق سراحهم قتلة الكونت برنادوت - على رغم أنهم رفضوا (كما قالت الصحيفة بأسف) أن يتخلوا عن الإرهاب. وقد كتب سِرل ماريوت في مذكرة بريطانية داخلية يقول إن إطلاق إسرائيل غير المشروط سراح أشهر إرهابييها «اعتراف لئيم بأن الحكومة الإسرائيلية نسيت قتل برنادوت، وهي حادثة أعتقد أنها تواطأت فيها»[88].

وُقّعت اتفاقية للهدنة لوضع حد للحرب في 24 فبراير، وحددت بوضوح أن خط وقف إطلاق النار المتفق عليه - وهو ما عرف فيما بعد بالخط الأخضر، وفي اللغة السياسية السائدة فيما بعد «بحدود العام 1967» - «يجب ألا يُفهم منه بأي معنى من المعاني أنه الحد السياسي أو الجغرافي». لم يكن ذلك الحد اعترافا بشرعية الوضع القائم لما استولت عليه إسرائيل مما يقع وراء خط التقسيم، بل هو خط مؤقت لإنهاء حالة الحرب. كان رد فعل شاريت هو ما يُتوقع منه: كان حينئذ عضوا في الكنيست، وتنكر لأي التزام حتى بخط وقف إطلاق النار، وقال إن أراضي إسرائيل ستتحدد بما «هو في قبضتها» وليس بخط التقسيم أو أي خط آخر[89].

تناثرت مصداقية الولايات المتحدة تحت ركام القرار 181. كان الفلسطينيون ينظرون بإعجاب إلى الولايات المتحدة ومبادئها السامية، ولكن ذلك الاحترام تحطم، فعندما سعت بعثة كنغ وكرين لفهم رغبات شعوب الشرق الأوسط في العام 1919 كان الناس ينظرون إلى الولايات المتحدة على أنها الأمة التي تحمل أنبل المبادئ.

وفي سنوات الانتداب تحدث كيرمت روزفلت عن احترام الفلسطينيين للمُثُل الأمريكية، «عن حق شعب يعيش على أرضه في تقرير مستقبل تلك الأرض بانتخابات حرة لا تُفرض فرضا». يمكن للمرء أن يتحدث مع مزارع في قرية عربية صغيرة في فلسطين لم ير أمريكيا في حياته، ولم يتصل بالحياة الأمريكية بأي شكل من الأشكال، ولكنه عرف خلال السنوات الأخيرة أن الناس الذين أعجب بهم أكثر من غيرهم في محيطه العربي المباشر، أو في المحيط العربي الأكبر، أنهم أناس تلقوا تعليمهم في مدارس أمريكية، وحدثوه عن المواقف الأمريكية في السياسة، وفي النظام العالمي، وفي كرامة بني البشر.

> كانت صدمتهم الناتجة من خيانة أمريكا لتلك المبادئ في فلسطين أقصى أشكال خيبة الأمل التي رأيتها في أي مكان في العالم. فعلى رغم أنه لم تتح له فرصة الاتصال بالأمريكيين فإنه بنى هذه الصورة المهيبة لما تمثله أمريكا، ثم تنحدر الدموع على وجهه وهو يحدثك عن خيبة أمله فيما فهم أنه السياسة الأمريكية[90].

وفي يناير 1951، أي بعد مرور سنتين ونصف السنة على قيام دولة إسرائيل، أوردت وكالة المخابرات الأمريكية من العراق شيئا مشابها لهذا عن سقوط الولايات المتحدة من الصورة البهية السابقة. فقد «ظلت المُثُل الأمريكية المشاهدة على المسرحين الأمريكي والعالمي تخلق الثقة بالولايات المتحدة بصفتها القوة العالمية الوحيدة القادرة على الالتزام بمبادئ الحق والعدل» إلى أن انتهت الحرب العالمية الثانية. ولكن خيانتها تلك المبادئ جعلتها «أكثر الشعوب نفاقا».

لقد غدت فلسطين قضية أكبر من ذاتها، أصبحت «الخط المرسوم على الرمال» بين قرون من الغزو والشوفينية العنصرية، وبين عالم مستنير كان يُفترض أنه تعلم دروسا ثمينة من حربين عالميتين كان من شأنهما أن تطلعانا على العالم الأخروي.

زرعت عصبة الأمم جذور الدولة الإسرائيلية بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، بينما كانت الصهيونية تنكر أن هذا هو الهدف. وبعد ثلاثة عقود، أي بعد انتهاء الحرب الثانية، اعترف قرار التقسيم بنصف الحقيقة: نعم، ما يطالبون به هو دولة استيطان تقوم على أساس العرق، ولكن سيُترك شيء من الأرض للفلسطينيين أنفسهم، وفي داخل الدولة الصهيونية، سيتمتع غير اليهود بحقوق متساوية. ولكن التقسيم كان، شأنه شأن وعد بلفور، حركة إستراتيجية، وكذبة.

اعترفت المخابرات البريطانية في أوائل العام 1948 بأنه «ليس ثمة من فرق جدي» بين مواقف الوكالة اليهودية ومواقف العصابات الإرهابية فيما يتعلق بالتقسيم:

لم يكن التقسيم سوى «إجراء مؤقت»[91].

8

إسرائيل بلا حدود(*)

«تطلب نجاح الرواية الصهيونية محو مئات القرى الفلسطينية؛ فأزالوها من الخرائط بالمعنيين المجازي والحرفي، وزرعت إسرائيل فوق رمادها أشجارا، أو بنت قرى جديدة أعطتها أسماء جديدة»

• لا يتحرج الزعماء الإسرائيليون الآن من التعبير، وإن كان بشكل غير رسمي عادة، عن مطالبتهم بإمبراطورية تتوسع باستمرار. وحدودهم الحالية ليست في نظرهم سوى موطئ قدم.

(تقرير لوكالة المخابرات المركزية كُتب بعد مضي أحد عشر شهرا على إعلان الدولة. وعبارة «حدودهم الحالية» لا تشير إلى الحدود التي وافقت عليها إسرائيل في القرار 181، بل إلى خط الهدنة الذي ضم أكثر من نصف الأراضي التي خُصصت للدولة الفلسطينية، والذي افترض أنه مؤقت)[1].

(*) صيغ هذا العنوان على شاكلة العبارة الشائعة: «أطباء بلا حدود» وأمثالها. [المترجم].

ملاحظة: ما يُعرف اليوم بالضفة الغربية يُدعى «الأردن» في معظم الوثائق التي تعود إلى ما بعد العام 1948؛ لأن المملكة ضمتها حتى العام 1967. لكنني أشير إليها بعبارة «الضفة الغربية» للتوضيح إلا إذا كنت أقتبس من مصدر ما. وليس هنالك من حاجة إلى التوضيح في حالة غزة، التي كانت آنذاك تحت الحكم المصري، لأن الاسم قديم.

خلّف العام 1948 ما يقرب من مليون فلسطيني مبعد عن بلده بسبب انتمائه العرقي، وأكثر من أربعمائة قرية مُحيت من الوجود، وحُطمت حياة من لم يشملهم الاقتلاع المباشر. هذه الكارثة - أو النكبة - كانت بالنسبة إلى الصهاينة «تبسيطا يبلغ حد الإعجاز لمهمتنا» بكلمات ڤايتسمان. فقد تظاهر - كما فعل بن غوريون - كأن ما أُنجز قد حدث من تلقاء نفسه بتدخل غير مفهوم من القدر. وقد صفقت الصحافة الإسرائيلية للتطهير العرقي لغير اليهود، وتنبأ وزير الخارجية الإسرائيلي بأن «الانتخاب الطبيعي»(*) سيحيل اللاجئين إلى «ركام بشري، إلى حثالة الأرض»[2].

كان منهج الدولة الجديدة يقوم على تثبيت الدعائم: فمنعها عودة اللاجئين إلى أراضيهم، وسرقتها الشاملة لأملاكهم، واسْتمرار العنف الذي تمارسه ضدهم - كل ذلك ضمن وجود «التهديد» الذي ستستشهد به لتسويغ مزيد من العدوان والتطهير العرقي. وقد قال المسؤولون البريطانيون الذين رأوا بأم أعينهم الكارثة التي توقعوها: «لن ينفع أي قرار تتخذه الأمم المتحدة» لجعل الإسرائيليين يعيدون الأراضي التي استولوا عليها وراء خط التقسيم، «ولن يمنعهم من التوسع في موطئ القدم الذي حققوه»[3].

لكن كان من رأي جهاز المخابرات البريطاني MI5 أن حاجة إسرائيل إلى اعتراف قانوني سيجبرها على الموافقة على حدود ثابتة.

اعترف الأمريكان والروس حتى الآن بما لا يزيد على الوضع القائم لدولة إسرائيل. أما الوضع القانوني فلا يمكن أن يوجد إلا بعد تعيين الحدود...[4].

كان هذا الكلام منطقيا. فكيف يعترف أي شعب بشعب آخر من غير معرفة ما هو هذا الشعب الآخر؟ ولكن في هذه الأيام، وبعد عدة عقود من حصول إسرائيل

(*) تشير العبارة إلى نظرية داروين عن أن البقاء يكون من نصيب الأصلح. [المترجم].

على الاعتراف القانوني من معظم دول العالم، فإنها لاتزال تتوسع من دون حدود وطنية، بينما يُطلب من الفلسطينيين أن «يعترفوا» بهذا الجار الذي يحتل أراضيهم ويهاجمها، ويرفض أن يقول أين سيتوقف، هذا إن كان سيتوقف.

تنبأ تقرير لوكالة المخابرات المركزية في مارس بعواقب هذه السيادة من دون تعيين الحدود. وكان عنوان التقرير ينبئ بالمستقبل: «كارثة طويلة الأمد»:

> كان معنى إنشاء دولة إسرائيل بالقوة، مع ما رافقه من إرهاب مورس على الحكومات العربية من قبل الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي، أن صيحة النصر الإسرائيلية قد اكتملت، ولكنها لم تقدم حلا لشيء. ولو عُينت حدود لدولة إسرائيلية، مهما كانت، وضمنتها الدول الكبرى، فلربما عاد السلام إلى المنطقة. أما الآن فلدينا، على العكس، دولة منتصرة لا تحدها حدود، دولة تصر على ألا توضع لها حدود. إن الشرق الأدنى مقبل على اضطراب عميق تثيره إسرائيل قد يمتد على مدى عقود...[5].

وبعد ثلاثة أشهر أشارت وكالة المخابرات المركزية إلى أن عدم تعاون إسرائيل مع الجهود الرامية إلى إحلال السلام الدائم، سواء في مؤتمر لوزان أو في المحادثات مع سورية والأردن، كان تكتيكا للاستمرار في التوسع. كذلك حذرت وزارة الخارجية الأمريكية من النيّات التوسعية التي لا يضبطها ضابط لدى إسرائيل. ورفضت بريطانيا تصديق نية إسرائيل لتحقيق السلام لأنها لم تتوقف عن انتهاك الهدنة، وكانت «تدعي ملكية كل ما وقع تحت سيطرتها خلف خط التقسيم، وكذلك قطاع غزة».

قال روفن شيلوه، أول مدير للموساد، للولايات المتحدة إن إسرائيل لن تتخلى عن أي أرض استولت عليها. وعندما ضغطت السلطات البريطانية في تل أبيب عليه في مسألة الحدود أجاب بأنه سيكون من حق إسرائيل دائما أن تستولي على مزيد من الأرض عند الضرورة. لم يكن «التجمع» قد اكتمل بعد، وفقا لقول الماپاي باستعمال الكلمة «الخلاصية» المفضلة - أو بعبارة موشي دايان المباشرة: «لم نقرر بعد إن كانت حدودنا الحالية [حدود الهدنة، لا التقسيم] تكفينا...»[6].

ظلت إسرائيل تطبق الأحكام العسكرية على أساس عرقي طوال السنوات الثماني عشرة الأولى من وجودها، رسميا، وفترة أطول من ذلك في الواقع - مع

استثناء اليهود من تلك الأحكام. إذ كان يُطلب من غير اليهود أن يحصلوا على أذون من الحكومة العسكرية لمغادرة قريتهم لأي سبب، وهذا ما أصاب جوانب الحياة اليومية العادية، المدنية والعائلية والاقتصادية، بالشلل. وكان المزارعون أو التجار الممنوعون من الوصول إلى الأسواق؛ لأنهم من غير اليهود، مضطرين إلى بيع منتجاتهم للتجار اليهود بأسعار أقل بكثير من أسعارها الحقيقية. وعندما كان الأزواج أو الآباء الفلسطينيون يحصلون على الإذن بترك القرية للعمل؛ فإنهم كانوا يعيشون في خوف دائم مما قد يفعله الجنود أو المستوطنون الإسرائيليون لعائلاتهم بينما هم بعيدون عنها[7].

قال سرل ماريوت في تقرير كتبه من حيفا في أوائل العام 1949 «إن السكان العرب يعيشون في حالة رعب»:

لا يستطيع العمال [غير اليهود] أن يصلوا إلى أماكن عملهم إلا إذا حصلوا على بطاقة هوية في دائرة معينة، حيث يتعين عليهم أن يتركوها فيها. وبعد عدد من الساعات يُعْتَقلون لأنه ليست لديهم بطاقات تثبت هويتهم. وقد اختفى عدد من الشباب العرب أخيرا... البيوت العربية كثيرا ما يجتاحها يهود مسلحون، ويزداد خوف الرجال العرب من الذهاب إلى العمل بسبب ما قد يحدث لعائلاتهم في غيابهم...[8].

وحذر ماريوت قائلا: «ينبغي إحاطة الهيئة العامة للأمم المتحدة علما بالطبيعة الوحشية للبلد الذي يطلب الانضمام الآن إلى عضويتها».

وقد قُبلت عضوية إسرائيل في الأمم المتحدة، على رغم سلوكها «الوحشي» وتحديها للهيئة الدولية في 11 مايو. فقد هدّأت الاعتراضات بوعود الالتزام، ولكنها نكثت بهذه الوعود بعد أربع وعشرين ساعة من دخولها عضوية هذه الهيئة الدولية. إذ نقلت مكاتب الحكومة إلى القدس مباشرة، بعد منع الأمم المتحدة هذا الأمر بالذات، (لأن القدس لا تقع في إسرائيل) ومضت قدما في «تطهير» عرقي للأرض التي تسيطر عليها[9].

إن التقدير الرقمي لعدد الفلسطينيين الذين تعرضوا للتطهير العرقي في العام 1948، وهو 750 ألفا، هو رقم مضلِّل؛ لأنه أقل بكثير من الرقم الحقيقي (قال آيزنهاور إنه 900 ألف)، إذ إنه لا يشمل سوى أولئك الذين دُفع بهم إلى ما وراء خط الهدنة، والذين تقع بيوتهم وحقولهم بكاملها في الجانب الإسرائيلي من ذلك الخط.

لكن ذلك الخط يجافي الطبيعة والمنطق لأنه كان مجرد إجراء، قصير الأجل، لوقف إطلاق النار، وهو خط يقع بكامله على الجانب الفلسطيني من خط التقسيم. (ولا يمكن للمرء في هذه الأيام إلا أن يرى الشبه بين ذلك الخط «والجدار الفاصل» في هذه الأيام). لقد عُزلت ثمانون قرية فلسطينية يقع بعضها فيما أصبح الضفة الغربية، ويقع بعضها الآخر في الجانب الإسرائيلي الذي كان قد توسع منذ وقت قريب، ففُصلت البيوت عن الأراضي التي كان الأهالي يزرعونها ويرعون ماشيتهم فيها. ومع حلول العام 1952 كان ربع سكان الضفة الغربية الذين لم يُصنَّفوا «لاجئين» يتضورون جوعا نتيجة لتعنت إسرائيل، «وكانت هنالك نسبة كبيرة أخرى من السكان ليست أفضل حالا، وقد لا يمضي وقت طويل قبل أن ينحدر هؤلاء إلى مستوى أدنى من ذلك»، كما جاء في تقرير بريطاني[10].

تصلح قرية قلقيلية، وهي قرية ظلت تعيش على مدى أجيال على بيارات البرتقال فيها، للتمثيل على هذا الوضع. فقد وقع خط الهدنة بين بيوت أهل القرية على الجانب الذي يحكمه الأردن من ناحية، وبياراتهم التي تقع على الجانب الذي تحتله إسرائيل، ولذلك فإن «أهالي قلقيلية» (بكلمات السير جون باغت غلب[*]، الجندي البريطاني، والباحث، والمؤلف الذي قاد الجيش العربي) يتضورون جوعا في بيوتهم ويمكنهم أن يروا بيارات برتقالهم على مبعدة ثلاثمائة ياردة من بيوتهم».

يُقتل كثير من هؤلاء المساكين في أثناء قطف برتقالهم وزيتونهم فيما وراء الخط... فإذا ما شاهد حرس الدورية اليهودية أحدهم، أطلق الرصاص عليه فورا من دون سؤال[11].

كما لا يشمل التقدير الرقمي للاجئين أعداد أولئك الذين طُردوا من بيوتهم، ولكنهم بقوا في إسرائيل أو في الأراضي الفلسطينية التي تسيطر عليها إسرائيل. فقد تابعت إسرائيل الاستيلاء على أملاك غير اليهود، ومع حلول أبريل من العام 1949 كانت قد وضعت 150 ألف مستوطن يهودي في بيوت فلسطينية مسروقة - ولا يشمل ذلك البيوت الفلسطينية التي سرقها مستوطنون أفراد تحت حماية الدولة، كما يحدث هذه الأيام في كل من الخليل والقدس الشرقية[12].

(*) كان يُعرف في الأردن باسم غلوب باشا.

من أمثلة حملات التطهير العرقي «غير الرسمية» التي مورست في حيفا بعد حصول إسرائيل على صفة الدولة حملة بدأت في الساعة السادسة من صباح يوم 7 أبريل من العام 1949. فقد توجهت جماعات يبلغ عددها نحو مائة جندي إسرائيلي مسلحين بالرشاشات القصيرة (التوميغن) واقتحمت الحي العربي؛ بيتا بيتا، للاستيلاء على بيوت غير اليهود، تحت رقابة الشرطة الإسرائيلية. وتلقى أصحابها «معاملة قاسية مهينة» حتى بعد إخراجهم من بيوتهم. وقد أخبر الشهود البريطانيون الولايات المتحدة بذلك، ولكنهم ترددوا في إبلاغ هيئة المصالحة التابعة للأمم المتحدة؛ خوفا من أن «يوصف أولئك المساكين بأنهم ألعوبة بيد البريطانيين»، ما قد يسيء إلى وضعهم أكثر... وللأسباب نفسها قدم الزعماء العرب النصيحة للقرويين بعدم القيام بأعمال احتجاجية.

واستُخدِم كثير من الفلسطينيين الذين تعرضوا للتطهير العرقي وطُردوا من بيوتهم من غير الذين أجبروا على الذهاب إلى ما وراء خط الهدنة، من قبل إسرائيل في العمل الإجباري، واضطروا إلى اللجوء إلى الأكواخ أو الكهوف[13].

ولم يطل الوقت كثيرا بعد حصول إسرائيل على عضوية الأمم المتحدة، حتى راح سلاح الجو يقصف اللاجئين في الضفة الغربية؛ ويقتل الرجال والنساء والأطفال والماشية. ولم يكن بإمكان الأردنيين أن يقاوموا؛ لأنهم لم يكونوا يمتلكون قوات جوية آنذاك. سُجلت سبع غارات في العام 1950 وصفها غلَب بقوله: «قصفت الطائرات المقاتلة الإسرائيلية الفلاحين والرعيان (وكثير منهم نساء وأطفال) وقطعان الماشية في الخليل». لكن معاهدة الدفاع المنعقدة بين بريطانيا والأردن، خففت من شدة القصف بعد العام 1950، على رغم استمرار انتهاكات سلاح الجو الإسرائيلي للمجال الجوي للضفة الغربية[14].

ظل الخوف من العنف العرقي الذي تمارسه الدولة يهيمن على حياة مواطني إسرائيل غير اليهود. وحتى وجود مراقبي الأمم المتحدة لم يكفل حمايتهم من الاعتقال على أيدي الجنود الإسرائيليين، ووضعهم في مناطق محاطة بالأسلاك الشائكة لنهب بيوتهم («سلب اليهود مشغولاتهم الذهبية ونقودهم» وفقا لما جاء في تقرير لشاهد من شهود الأمم المتحدة) قبل إجبارهم على تجاوز خط الهدنة[15].



عائلة من اللاجئين الفلسطينيين، 1951

ومن الأمثلة التي وُثقت بشكل جيد قرية أبوغوش، التي لم يسع أهلها إلى التعايش مع المستوطنين الصهاينة فقط في عهد الانتداب، بل ساعدوهم بين العامين 1947 و 1948. لكن لم تكد دولة إسرائيل تقوم حتى تحول أهالي أبوغوش إلى ضحايا الطرد الجماعي وحالات «الاختفاء». وفي «رسالة مفتوحة إلى سكان إسرائيل» كُتبت في 10 يوليو من العام 1950 قال القرويون إن جيش الدفاع الإسرائيلي كثيرا ما

طوّق القرية واختطف النساء والأطفال وأرسلهم إلى صحراء النقب، حيث واجهوا الموت... جمعوا نساءنا وشيوخنا وأطفالنا ومرضانا، وعميانِنا، والحبالى من نسائنا، باستعمال القوة والضرب وأخذوهم إلى مكان مجهول، ونحن لانزال نجهل ما حدث لهم[16].

كان النظام القضائي الإسرائيلي، ولايزال، شبكة معقدة من المرايا المنصوبة بزوايا ذات دلالات عرقية يُقصد منها الإيهام بالتناسق والعدالة. ولكنه في واقع الأمر منشور متغير الألوان باستمرار مكون من تمييز رسمي، إداري، يفرض الأمر الواقع. ويعطينا تاريخ قريتين مسيحيتين في أقاصي الشمال - هما كفر برعم وإقرت - لمحة توثق جيدا واقع المواطنين غير اليهود الذين كانوا يسعون إلى الاحتماء بذلك النظام. ففي عهد الانتداب عُرف عن أهل القريتين ميولهم الودية تجاه المستوطنين اليهود، والمساعدة في تهريب المهاجرين اليهود الآتين عبر لبنان للدخول غير القانوني لفلسطين. وفي العام 1948 حاول القرويون إظهار ولائهم لنظام الحكم الجديد؛ فقابلوا جموده بخبز طازج وملح عندما وصلوا لاكتساح فلسطين. ولكن عندما أجبرتهم إسرائيل مع ذلك على إخلاء قريتيهم لأنهم لم يكونوا يهودا فكروا بأن ينتصفوا باللجوء إلى النظام القضائي. فما كان من جيش الدفاع الإسرائيلي إلا أن قصف القريتين وسواهما بالأرض. ولكن القرويين تمسكوا بالمضي عبر المحاكم الإسرائيلية، ولكن قيل لهم حينها إنهم لم يعد بإمكانهم العودة إلى القريتين بسبب الوضع «الأمني». ولكنهم مضوا في السعي من خلال النظام، وطلبوا من الحكومة الاحتفاظ بحقهم في ملكية الأرض من أجل العودة إليها عندما تحل النواحي الأمنية. وفي المقابل، بنت إسرائيل مدينتين لا يسكنهما إلا اليهود، على أنقاض القريتين المسروقتين[17].

تطلّب نجاح الرواية الصهيونية محو مئات القرى الفلسطينية من الناحيتين الفيزيائية (أي المادية) والميتافيزيائية (أي المجردة) - فأزالوها من الخرائط بالمعنيين المجازي والحرفي. وزرعت إسرائيل فوق رمادها أشجارا، أو بنت قرى جديدة أعطتها أسماء جديدة ذات صبغة توراتية لتحل محل الأسماء العربية. وفي يوليو من العام 1949 عيّن بن غوريون لهذا الغرض أول لجنة حكومية لوضع الأسماء الحكومية، وقد أصبح بعض أعضاء هذه اللجنة أشخاصا مهمين في علم الآثار الإسرائيلي الذي يستهدف خدمة «السرد» الإسرائيلي للتاريخ[18].

وقد ظل اليهود ضحايا هم أيضا. فإلى أن تمكنت إسرائيل من التخلص من 300 ألف فلسطيني آخر في العام 1967، فإن أشد حالات التطهير العرقي في مرحلة ما بعد العام 1948 كانت تلك التي مورست على يهود شمال أفريقيا والشرق الأوسط. فكما كتب نعيم جيلادي؛ الذي كان طرفا من أطراف الحركة الصهيونية السرية

في العراق: «لم يهاجر اليهود من البلاد الإسلامية إلى إسرائيل راغبين». وقال في شهادته إن «اليهود قتلوا يهودا لإجبارهم على المغادرة». وكان أشد أعمال التطهير فظاعة تدمير إسرائيل للمجتمع اليهودي ذي الأصول القديمة في العراق، حيث شكل اليهود، حتى وقت التطهير الصهيوني لهم، ثلث سكان بغداد.

أصدرت الحكومة الإسرائيلية في منتصف أكتوبر من العام 1949 «تقارير مثيرة للقلق الشديد من موجة جديدة لاضطهاد الأقلية اليهودية في العراق». وحذرت المنظمة الصهيونية العالمية من مذابح مقبلة، وسرعان ما تأكد ذلك - أو هكذا بدت الأمور. فقد بدأت «المذبحة» في 8 أبريل من العام 1950 بقنبلة يدوية ألقيت من سيارة مسرعة على مقهى مشهور اسمه الدار البيضاء، ورافقت ذلك منشورات تحذيرية تطالب اليهود بالهرب من العراق.

قال كبير الحاخامات ساسون خدوري إن اليهود عاشوا في العراق بسلام، وزار السفارة الأمريكية على أمل إخماد موجة الفزع. غير أن الشعور بحالة الطوارئ كان من القوة بحيث عرضت إسرائيل نقل السكان اليهود قاطبة بالطائرات إلى الدولة الجديدة. ودعت الحملة اليهودية المتحدة «كل شخص متفهم في الولايات المتحدة» إلى التبرع للمجهود، مشددة على أنهم كانوا «في سباق مع الزمن» لإنقاذ اليهود الذين لم يصلوا بعد إلى بر الأمان في إسرائيل. وقد بدا أن السباق حقيقي، إذ وقعت سلسلة من التفجيرات على مدى أربعة عشر شهرا استهدفت المركز الثقافي الأمريكي في بغداد، ومكتبة مركز المعلومات الأمريكي، وشركة سيارات يملكها يهود، وبعض المنازل اليهودية. وكان أسوأ هجوم هو ذلك الذي تعرض له الكنيس اليهودي المسمى مسودا شم - توفي في 14 يناير من العام 1951، الذي كان من بين ضحاياه صبي في الثانية عشرة صُعق بالكهرباء عندما أسقطت القنبلة سلكا عالي الفولتية عليه[19].

أخذ العراقيون يتخلون عن موطنهم القديم بعشرات الآلاف؛ ليتحولوا إلى مستوطنين في دولة إسرائيل، لأنهم صدّقوا أن العنف المعادي لليهود يثبت ما تقوله التحذيرات. ولم يفتْهم الربط الصهيوني الإجباري بين أحداث الوقت الراهن والإيحاءات التوراتية: كانوا يمثلون هروب 42360 يهوديا من العراق إلى القدس قبل 2500 عام عندما حرر الملك الفارسي قورش اليهود الذين كان قد سباهم نبوخذنصر.

وقد أُطلق على عملية النقل الجوي اسم «علي بابا»، وهو الذي تعرف على العبارة السرية «افتح يا سمسم» في كتاب «ألف ليلة وليلة»، واستخدم هنا للإشارة إلى فتح باب إسرائيل لهم[20].

تحقق النقل الجوي بسرعة. ففي مايو من العام 1950 جرى التعاقد مع شركة الشرق الأوسط للنقل الجوي، وفي العشرين منه وصلت أول حمولة من اليهود العراقيين إلى إسرائيل. لكن طائرتي الشركة الصغيرتين لم تكونا كافيتين للأعداد الكبيرة من اليهود الذين تقطعت بهم السبل في بلد تخلوا فيه عن بيوتهم وجنسيتهم - ومع ذلك أصرت إسرائيل على ألا تتولى أي شركة طيران أخرى هذه المهمة العاجلة للهجرة الإنسانية المزعومة. فأصدرت إسرائيل بيانا ردا على النقد باستخدام عبارة كان من شأن الوكالة اليهودية أن تصب عليها غضبها قبل سنوات قليلة مضت: فقد قالت إنها تقوم «بعملية استيعاب منظمة» للمهاجرين الجدد، وإن هذه العملية المنظمة صادف أنها «سعة الطائرتين اللتين تستخدمهما شركة الشرق الأوسط للنقل الجوي». وعندما حل شهر سبتمبر بلغ من كثرة عدد اليهود الذين كانوا ينتظرون، بعد هربهم من «العنف الإسلامي»، أن حالة من الطوارئ الإنسانية في العراق بلغ من سوئها (بكلمات أحد الشهود البريطانيين)

> أنني لا يمكنني أن أضيف إلا أن الآلاف منهم يواجهون الموت جوعا، بعد أن باعوا كل ممتلكاتهم وصرفوا آخر فلس فيها على أمل المغادرة بسرعة. لقد ثبت أن شركة الشرق الأوسط للنقل الجوي لا تستطيع تلبية حاجات الوضع[21].

وحتى بعد أن «سبب مجيء فصل الشتاء جعل وضع أولئك اليهود أسوأ»، لم تتابع إسرائيل منع أي معاونة فقط، بل هددت باحتجاز أي طائرة تحاول مد يد المساعدة - وبالفعل كانت قد احتجزت طائرتين عائدتين لشركة طيران العُقاب المحدودة البريطانية عندما هبطتا في مطار اللد بعد أن جلبتا يهودا من طهران.

ما الذي دعا إسرائيل إلى ادعاء وجود أزمة حياة أو موت لإنقاذ اليهود من مذبحة على أيدي مواطني بلادهم، وإلى تهديد البلاد الأخرى إن سعت لإنقاذهم حتى عندما تبين أن «الأزمة» خلّفت عشرات الآلاف منهم بلا مأوى، يعانون البرد والجوع؟ فمادامت إسرائيل تمنع أي شركة طيران أخرى باستثناء شركة الشرق

الأوسط للنقل الجوي فإن المال لم يكن هو السبب. فمهما بلغ حجم التبرعات في هذا «السباق مع الزمن» فإن شركة الشرق الأوسط للنقل الجوي لم يكن بإمكانها نقل اللاجئين بأسرع مما كانت قادرة عليه.

لعل بعض الهواجس عما كان يدور في العراق قد تجلى في سلسلة التفجيرات التي حدثت في قرى نابلس والقدس الشرقية في سبتمبر (1950)، وهي تفجيرات حيّرت الأردنيين فشكوا بأن وراءها شيوعيين أو محاربين يدينون بالولاء للمفتي، ولكن تبين فيما بعد أنها عمليات تخريب وتجسس إسرائيلية. وهكذا تبين أن العنف الذي استهدف اليهود كان خدعة إسرائيلية استوردت فيها حقائق على الأرض بينما هي تروج للقصة التي تصور العالم مكانا لا يرحب باليهود. كانت شركة الشرق الأوسط للنقل الجوي صناعة إسرائيلية أُسست بالتشارك بين إلعال ومالك شركة طيران ألاسكا، باستعمال اسم يخفي هويتها[22].

في صيف العام 1950 تعرف لاجئ فلسطيني على إسرائيلي من عكا في بغداد، فقاد اعتقاله إلى آخرين، ومع حلول شهر يونيو من العام 1951 إلى تفكيك عملية العراق. فقد تمكنت الشرطة العراقية من اكتشاف كمية كبيرة من الأسلحة والخرائط والمواد الصهيونية، بما في ذلك 426 قنبلة يدوية، و33 رشاش توميغن، و186 مسدسا، و24764 طلقة، و97 علبة مخزن رشاش، و32 خنجرا موزعة على ثلاث من الكنس اليهودية في بغداد وفي منزلين. وقادت اعتقالات أخرى إلى محاكمة شخصين آخرين ارتكبا عمليات تفجير دبرتها منظمتان دعتهما قوات الشرطة شورا وتنوا. وكتب أحد المتهمين في وثائق مصادرة أن تفجير المقهى الذي بدأ به الذعر كانت له «نتائج ممتازة جدا»، وهنأ زملاءه على هزيمة أولئك اليهود الذين حاولوا مقاومة الهستيريا. وقد اعتُبرت تلك الخلية الصهيونية، التي بدأ تدريب أفرادها في سن الثالثة عشرة، مسؤولة عن التفجيرات التي استهدفت اليهود في العراق.

رد المؤتمر اليهودي العالمي على ذلك بأن ادعى أن الفضيحة كانت جزءا من مؤامرة ضد اليهود، ووجه اللوم إلى الإخوان المسلمين. ولكن الشرطة العراقية كانت على صلة بالسفارة الأمريكية، وكان موظف من وكالة المخابرات المركزية موجودا، وراقب البريطانيون الإجراءات بعناية هي والأدلة والبروتوكول وحتى مؤهلات رئيس المحكمة. وقال الشاهد البريطاني پ. أ. رودس: إن المحاكمة أُجريت من دون تحيز،

وإنه لم يكن ثمة ما يدعم ادعاءات إسرائيل بأن المتهمين قد عُذبوا أو أنه كان هنالك أي إجراء «غير عادي» في المحكمة. وكتب يقول إنه «لم يكن ثمة ما يدعو إلى الشك في أن المتهمين الرئيسين كانا مذنبين فيما أُسند إليهما من تهم». كانت المتفجرات التي استُخدمت في التفجير مطابقة لتلك التي وجدت في مخابئ الأسلحة، وكانت المنشورات قد كُتبت على آلة طابعة وُجدت بحوزة المتهمين. وكان بين الوثائق رسالة من يغآل ألون، الذي سيصبح فيما بعد قائد قوات جيش الدفاع الإسرائيلي ووزير الخارجية، يعبر فيها عن سعادته لنجاحه في نقل الأسلحة إلى العراق[23].

حُكم على المتآمرَين الرئيسَيْن بالإعدام، وعلى خمسة عشر من المتواطئين الواحد والعشرين بأحكام تتراوح بين السجن مدى الحياة والسجن خمسة أشهر (في حالة ثلاث من الفتيات)، بما في ذلك مدة التوقيف. وبُرئ ستة من المتهمين.

في إسرائيل استقبلت مخيمات لاجئين كئيبة ما يقرب من مائة وعشرين ألفا من اليهود الذين كانوا مواطنين عراقيين بعد تطهيرهم العرقي على يد إسرائيل، وساء وضعهم عندما دُمرت مئات من خيامهم بعاصفة قوية هبت عليها في منتصف ديسمبر. وبذا تمكنت الصهيونية من تدمير جماعة يهودية نشيطة، يعود تاريخها إلى ألفين وخمسمائة سنة سابقة من أجل دولة من المستوطنين[24].

وعندما انكشفت فضيحة لافون بعد سنوات قليلة (انظر ص 358 أدناه) علق وزير الدفاع الإسرائيلي بقوله إن الطريقة جُربت في العراق أولا. ودافع تدي كولك، الذي كان مقربا من رئيس الوزراء بن غوريون آنذاك، عن التطهير العرقي ليهود العراق بقوله «إن من الأفضل لأي قطر أن يكون متجانسا».

لم يكن هذا الكلام مما يسر الولايات المتحدة سماعه. فقد قال جورج مغيه (McGhee)، أحد مسؤولي وزارة الخارجية: «إن أخذ اليهود من جميع أنحاء العالم إن كانوا يواجهون الشدائد شيء، لكن خلق الظروف التي تؤدي إلى هجرة اليهود من أماكن يعيشون فيها بسلام شيء آخر». ولذا حذر ج. لويس جونز، أحد المسؤولين في وزارة الخارجية، إسرائيلَ عندما وجهت أنظارها نحو يهود إيران، بقوله إن الولايات المتحدة لن تنظر بعين الرضا عن خلق ظروف الخروج من إيران وفق الطريقة التي استُعملت في العراق». وترفض إسرائيل الإفراج عن الوثائق المتعلقة بتلك العملية[25].

كذلك توجهت أنظار إسرائيل إلى سكان شمال أفريقيا من اليهود لإرواء ظمئها من المستوطنين من ذوي الأصول العرقية الصحيحة. ووفقا لوصف عضو الهاغانا هانا براون الذي أُرسل إلى إيلات في العام 1952 لاستقبال اليهود العرب وليعلمهم اللغة العبرية؛ فإن المهاجرين الآتين من شمال أفريقيا لم يكونوا قد تركوا بيوتهم بسبب الاضطهاد بل بسبب إجبار إسرائيل لهم. وبما أن هؤلاء لم يكونوا أوروبيين «فقد جرى رشهم بمادة الـ دي دي تي في ميناء الدخول، ثم حُشروا في مخيمات استقبال شديدة البدائية»، وأرسلوا للخدمة في الجيش ثلاث سنوات، ووُضِعوا في المناطق الحدودية لامتصاص أكبر قدر من الأذى الذي قد ينتج من هجمات محتملة عبر خط الهدنة[26].

على رغم أن زعماء إسرائيل كانوا يحتاجون إلى يهود شمال أفريقيا والشرق الأوسط (المزراحي / المشارقة)، بوصفهم أناسا يحتلون أمكنة لغيرهم وللحفاظ على الأرض، فإنهم نظروا نظرة احتقار نحو هؤلاء اليهود من ذوي البشرة السمراء بوصفهم من طبقة أدنى، تسبب لهم الإحراج. وقللت الدولة من «المشكلة» باختطاف الآلاف من المواليد المشارقة وإعطائهم للأزواج الأوروبيين (الأشكناز) من ذوي البشرة البيضاء، وبإخبار الأبوين بأن الوليد قد مات. وقد ظلت هذه السياسة متبعة – وهي سياسة ينطبق عليها تعريف الأمم المتحدة للإبادة الجماعية – طوال العقد الأول من تاريخ إسرائيل.

ترفض إسرائيل فتح السجلات المتعلقة بحالات الاختطاف، ولم يكن الآباء، مهما بلغ من اختلاط الأمر عليهم فيما يحيط «بموت» مواليدهم، قادرين على إثبات شيء. ولكن الاستياء المرير من اقتلاعهم، ومن المعاملة التي جُوبهوا بها، جعل اليهود المشارقة يشكلون جماعة مقاومة اسمها «الفهود السود». «ماذا فعلت يا بن غوريون؟»، هذا ما قالته أغنية غناها ضحايا التطهير المعادي لليهود. «ليتنا أتينا على حمار ولـما نصل بعد! أواه، يا لها من ساعة سوداء! فلتذهب الطيارة التي أتت بنا إلى هنا إلى الجحيم!».

والمفارقة الكبرى في اقتلاع إسرائيل يهود الشرق الأوسط وشمال أفريقيا من أوطانهم، أن الدولة تستعمله لتسوية الحسابات مقابل التطهير العرقي الذي مارسته ضد الفلسطينيين. فالتطهير ضد اليهود يوازن التطهير ضد الفلسطينيين – هذا النوع

من المنطق يقول إن الظلم نفسه مورس على العرقين، ولذا فإن الفلسطينيين ليس لديهم ما يشكون منه[27].

كان الفلسطينيون الذين اقتُلِعوا من ديارهم قد تلقوا تأكيدا من المجتمع الدولي لحقهم القاطع بالعودة إلى ديارهم. وكانت الضرورة الأخلاقية لهذا التأكيد أمرا في غاية الوضوح، وفي 11 ديسمبر من العام 1948 اتخذ مجلس الأمن قرارا ملزما رقمه 194 ليعيد تأكيد ذلك الحق. لكن إسرائيل قتلت في سنواتها الأولى نحو خمسة آلاف فلسطيني حاولوا العودة. كما قُتل آخرون في الغارات التي شنتها إسرائيل على الضفة الغربية وغزة[28].

زار ألك كيركبرايد، السفيرُ البريطاني في عمان، مدينة نابلس في الضفة الغربية في صيف العام 1950، ووصف الوضع هناك بأنه «يقبض النفس حقا». فقد استولت إسرائيل على أخصب أراضيها، وصار من الضروري الآن استيراد السلع عبر بيروت وبتكلفة عالية. كان مرض الملاريا ينتشر، وكان اللاجئون محشورين في خيام غير صالحة لا تحميهم من برد الشتاء. ومع ذلك ساد الهدوء والنظام في الضفة الغربية، أو «ما يوحي بأن الأمور عادية» كما قال غْلَب.

> تشير إحصائيات الجرائم إلى أن معدلها أقل مما كان عليه إبان الانتداب - على عكس إسرائيل فيما يبدو، فهي تشهد موجة من الجرائم. والنسبة المتدنية للجريمة في فلسطين تستدعي التأمل بسبب الانحدار الكبير في مستوى المعيشة منذ أيام الانتداب ووجود عشرات الآلاف من اللاجئين الذين فقدوا منازلهم[29].

أما حال غزة فقد كان أسوأ بكثير. فقد وصف شخص ينتمي إلى طائفة الكويكرز(*) يعمل في مجال المعونة الإنسانية الناس في قطاع غزة بقوله

> إن لديهم حقولا لا يسكنها أحد... وهم يحرثونها من يأسهم حتى أقرب نقطة من الخطوط اليهودية... وهم بعملهم هذا يتحدون تصميم اليهود الذين قتلوا العديد من الرجال والنساء والماشية والجمال والحمير، وما إلى ذلك[30].

(*) هذا هو الاسم الشعبي لهذه الطائفة. أما اسمها الرسمي فهو جمعية الأصدقاء.

ووصف شاهد كويكري آخر «الكهوف والخيام والزرائب البائسة» التي سُميت «بيوتا» منذ طردهم. وكان جيش الدفاع الإسرائيلي متبلد الأحاسيس: «فقد قضى بالفناء التام» على أولئك الذين حوّلهم إلى لاجئين في غزة، وذكر الصليب الأحمر أن ما معدله عشرة أطفال كانوا يموتون كل يوم من الجوع والبرد. وقد دفع اليأس بعض اللاجئين إلى المغامرة بالعبور ليلا إلى الخليل (في الضفة الغربية)، والمرور بجثث الحيوانات المتفحمة التي تذكرهم باستمرار بأنهم معرضون للنسف بالألغام الأرضية حتى قبل أن يغامروا بالمرور من أمام جيش الدفاع. أما الذين نجحوا في العبور فقد استُقْبِلوا في الخليل بوضع أقل مأساوية وبوباء التيفوس. وفي حادثة وقعت في مـايو من العام 1950 ورويت من غير تفسـير، «وصلـت طائـرتان مصريتـان من دون إنذار سابق إلى قلندية (في الضفة الغربية) وأنزلتا حمولتين من اللاجئين الغزيين على مدرج المطار. وفي الشمال رويت قصص أخرى عن الوضع اليائس: فالأشخاص من غير اليهود الذين أجرت إسرائيل عليهم عملية التطهير العرقي بإجبارهم على الذهاب إلى جنوب لبنان «كان عليهم أن يتحدوا نيران جيش الدفاع الإسرائيلي عند عبور الخطوط للبحث عن شيء يأكلونه» في أرض كانت ملكهم - هذه الكلمات لمستوطن إسرائيلي[31].

قُدرت قيمة الأراضي التي سرقتها إسرائيل من الفلسطينيين بعد أشهر قليلة من تأسيسها بخمسين مليون ليرة فلسطينية، وما سرقته من الأموال بمبلغ يتراوح بين 4 و5 ملايين ليرة. وعندما أمرت الأمم المتحدة إسرائيل بإعادة الأموال إلى أصحابها ردت إسرائيل بأنها ستفعل ذلك إن أعادت أي دولة عربية أموالا عربية (فلسطينية) لأصحابها «على أساس التعويض المتساوي». وكان المفاوضون العرب سعداء للموافقة على ذلك، ولكن إسرائيل ادعت أن صيغة القرار تفرض عليها إعادة ما يساوي المبلغ الذي حجبته الدول العربية. ولم يكن لدى أي من الدول العربية ما يساوي ذلك المبلغ باستثناء دولة واحدة. وكان المبلغ صغيرا، فأهمل المشروع[32].

يثبت التحليل الاقتصادي في الواقع أن الدولة الإسرائيلية تدين بوجودها نفسه إلى سرقتها الشاملة لممتلكات الفلسطينيين الدنيوية - الأرض، والبيوت، والأرصدة،

والأموال، والمزارع، ومقالع الحجارة، و10 آلاف إيكر(*) من كروم العنب، و25 ألف إيكر من بيارات الحمضيات، و10 آلاف مؤسسة تجارية، ومزارع الزيتون، والآلات. وعلى رغم إدخال أموال ضخمة إلى إسرائيل، وادعائها بالكفاءة الحديثة، فإن الفلسطينيين في آخر المطاف هم الذين أنقذوا إسرائيل من أن تولد ميتة؛ واليوم تجني إسرائيل فوائد هائلة من سرقتها المصادر الفلسطينية الطبيعية، وسيطرتها على قطاعات الاقتصاد الفلسطيني، والضرائب، والسياحة، والواردات، والصادرات[33].

وعلى رغم أن العصابات الإرهابية التي كانت تمارس نشاطها في عهد الانتداب توقفت عن عملها بهذا المسمى، فإن بعض منتسبي منظمة ليهي القدماء شكلوا مجموعة إرهابية جديدة اسمها مملكة إسرائيل (أو تسرفين السرية)، واستكملت صفوفها بشباب يبلغون من العمر 16 - 18 سنة، من الذين نشأوا وهم يسمعون عن الأساطير البطولية للعصابة. وقد تضمن برنامج المملكة تفجير القنصلية التشيكية (5 ديسمبر 1952)، والمفوضية السوفييتية (9 فبراير 1953)، ومحاولتين لاغتيال كونراد أديناور (28 مارس و24 يونيو 1952)، وهجوما على عازف الكمان ياشا هايفتس لأنه أدخل في برنامجه سوناتا للكمان من تأليف ريخارت شتراوس (16 أبريل 1953). لقد قُبض على عملاء منظمة مملكة إسرائيل ووضعوا في السجون بسبب حملة الإرهاب هذه، ولكن لمدة قصيرة: إذ خففت إسرائيل أحكامهم على عادتها.

عاد اسم الإرغون إلى الظهور بين الحين والآخر، في إنجلترا مثلا في صباح 25 يوليو من العام 1952 عندما تلقى هارولد مكملن تهديدا جديدا لحياته («ليلا أو نهارا، ماشيا أو نائما»، عليه إمضاء I.Z.L.) بعد أن كان قد استُهدف برسالة ملغومة قبل خمسة أعوام. وعلى رغم أن تقريرا بريطانيا صدر في تلك السنة وصف الإرغون بأنها لاتزال «تحتفظ بقوتها» فإنه ليس ثمة من أدلة تثبت أنها كانت أكثر من علامة تجارية، أو هوية تلصق بمبادرات فردية من الإرهاب الـممارس خارج سيطرة الدولة[34].

لم تدم بقايا مليشيات الإرهاب التي كانت سائدة في عهد الانتداب طويلا، ولم يكن لها دور تؤديه في السياسة التوسعية للدولة، باستثناء منظمة «مملكة

(*) الإيكر = نحو 4 دونمات. يقول «A Dictionary of Modern Written Arabic» من تأليف هانس فير: إن الدونم في فلسطين يساوي 900 متر مربع، أي إن الإيكر يساوي نحو 4.5 دونم.

إسرائيل» التي اتخذت سياسة الحماية خارج سلطة القانون عند خط الهدنة في الضفة الغربية. وكان التوسع من مسؤولية المؤسسة العسكرية الإسرائيلية التي كان الملتحقون بها يؤخذون للتدريب في دوريات تجوب المناطق الفلسطينية «من أجل التغلب على ضمائرهم»، بعبارة الجماعة السلمية المهمشة أغودات إيهود، وللاعتياد على القتل التعسفي. وعندما سمع الأهالي «بالتدريب» الذي يتلقاه أبناؤهم، وطلبوا من أغودات إيهود أن توصل شكاواهم إلى الحكومة من دون ذكر الأسماء، زعم بن غوريون، الذي تدل يومياته على أنه أمر بتلك المهمات، أن تلك الاتهامات «من صنع الخيال ولا أساس لها»[35].

مضت إسرائيل في سياسة طرد غير اليهود «وفق نزوات الشرطة الإسرائيلية أو الإدارة المحلية» كما قال السفير كيركبرايد، وبجعل حياة أي عربي من التعاسة بحيث «يستحيل على أي عربي أن يفكر في قضاء حياته تحت الحكم الإسرائيلي». ولكن «إن قللت القصص المبكرة عن سوء المعاملة من عزم اللاجئين السابق على العودة إلى ديارهم» فإنها لم توقفهم. لقد حاول كثيرون على رغم توقعهم للضرب، والتعذيب، والاغتصاب، والقتل. وفي منتصف العام 1949 تحدث ضابط مخابرات في جيش الدفاع الإسرائيلي عن «مئات» الفلسطينيين الذين حاولوا العودة إلى قراهم في الجليل الغربي، (وهذه منطقة كان المفروض أنها جزء من فلسطين وليس من إسرائيل)، فاعتُقلوا «وجرت تصفيتهم بأوامر عسكرية» - بعد ربطهم في الأشجار وإطلاق الرصاص على الرؤوس، وهي إحدى الطرق التي وُثقت... وقد تبين للمؤرخ بني مورس لدى دراسته الأرشيف الصهيوني الذي أفرج عنه:

> أن الجنود الإسرائيليين اعتادوا ضرب المتسللين المقبوض عليهم [أي الذين حاولوا العودة إلى ديارهم] وتعذيبهم، واغتصابهم أحيانا، أو قتلهم[36].

واستمر ذلك بلا رادع أو عقاب لأن «الاتجاه السائد لدى عامة الإسرائيليين أن حياة العرب رخيصة»، وأن قتل المتسللين العرب، وتعذيبهم، وضربهم، واغتصابهم لم يكن بالأمر المستهجن إن لم يكن مباحا...[37].

لم يضع حصول إسرائيل على وضع الدولة حدا لاغتصاب الفلسطينيات على يد الجنود الإسرائيليين؛ ففي العام 1950 أشار بن غوريون إلى كتيبة من كتائب جيش الدفاع بـأنها «تميل» إلى اغتصاب البنات العربيات وقتلهن[38].

في 22 أغسطس 1949 اختطف الجنود الإسرائيليون فتاة بدوية بعد أن أطلقوا نيران أسلحتهم الآلية للتسلية؛ فقتلوا رجلا أعزل كان يهرب نحو قمة كثيب رملي، وقتلوا ستة من جمال البدوي. أخذوا الفتاة التي قدر عمرها بعشر سنين، ولكن ربما كانت في الخامسة عشرة، إلى معسكر جيش الدفاع الإسرائيلي، وأخذوا يذلونها أمام الجميع، فعروها، وجعلوها تقف تحت ماسورة المياه، وغسلها الرجال بالصابون، ثم اغتصبها ثلاثة جنود. وبعد وجبة يوم السبت وجد آمر الفصيل نفسه منخرطا فيما كان الجنود يفعلونه: أمر الجنود بقص شعرها، وغسلوا ما بقي منه بالكاز، وبعرضها عارية على الموجودين تحت ماسورة المياه، ثم اغتُصبت الفتاة جماعيا على مدى ثلاثة أيام، بحيث فقدت الوعي أحيانا. ثم أمر الآمر بالتناوب على اغتصابها: تغتصبها المجموعة (أ) في اليوم الأول، فالمجموعة (ب) في اليوم الثاني، فالمجموعة (جـ) في اليوم الثالث.

عندما انتهوا منها حفروا قبرها على مرأى منها، قبل أن يطلقوا النار عليها[39].

عادت هذه الجريمة النكراء إلى الظهور في العام 2003 في الصحف الإسرائيلية والبريطانية، ورويت كأنها سر اكتُشف حديثا من غياهب الظلام، خطأ يؤسف له من أخطاء الدولة الوليدة، فظيع ولكنه لم يتكرر. لقد أهينت الدولة على حساب الناجين من الحرب الأخيرة؛ كان الجنود تابعين لجيش الدفاع الإسرائيلي حقا، ولكنهم كانوا من مهجري الحرب العالمية الثانية، ولذلك فهم مختلفون «من مستوى أدنى مهنيا وأخلاقيا»، كما قيل. ولكن منظمة البالماخ التابعة لبن غوريون كانت مشهورة بالقتل والاغتصاب الجماعيين، واستشهد الجنود بكون «الضباط المثقفين» شديدي الرغبة في المشاركة في هذه الجرائم البشعة؛ ولذا فإن العنف الأقسى الذي ارتكبته دولة الاستيطان ضد الفتاة كان استغلال ذكراها لتبرئة الدولة شعائريا، بنسج قصة قتلها حول الخطيئة الأصلية التي ارتكبها قريب ضال، ودفن تلك الخطيئة في صحراء النقب إلى جانب الضحية التي لا اسم لها[40].

اختطف جنود إسرائيليون ثلاثة أطفال: بنتين وصبيا، من قطاع غزة يوم 16 مارس 1950، واغتصب الجنود البنتين اغتصابا جماعيا، ثم قتلوا الأطفال الثلاثة. وعندما رد القرويون على هذه الجريمة البشعة بكمين نصبوه لسيارة من سيارات جيش الدفاع الإسرائيلي «دافعت» إسرائيل عن نفسها فقصفت القرية بمدافع

الهاون. وأسرت دورية إسرائيلية امرأة فلسطينية تبلغ من العمر ستة وعشرين عاما قرب خط الهدنة، بعد خمسة أشهر في 15 أغسطس، واتهمت بقطف الفاكهة من الجانب الإسرائيلي من الخط (على الرغم من أن البستان ملك لعائلتها). وأخذت إلى مركز للشرطة؛ حيث اغتصبها أربعة من رجال الشرطة. وعندما أكد الصليب الأحمر ووكالة الغوث التهمة، اتهمت إسرائيل اللجنة الدولية للصليب الأحمر بأنها تنشر «دعاية مناهضة لإسرائيل»، ودعت إلى طرد ممثل الصليب الأحمر[41].

وكانت ثمة منظمة أخرى كثيرا ما اختلفت معها إسرائيل، وهي البعثة المختلطة للهدنة التي شكلتها الأمم المتحدة للإشراف على الهدنة التي أنهت حرب العام 1948. وكانت هذه البعثة مكونة من أربع منظمات منفصلة للإشراف على الحدود التي فرضها الواقع لإسرائيل - لبنان، وسورية، والأردن، ومصر. وكان لكل قطر من الأقطار الخمسة ممثل، وكان مراقبو الأمم المتحدة يراقبون الحدود ويحققون في الشكاوى. وتثبت الوثائق أن الشكاوى كانت تجد آذانا صاغية، وأن المحققين كانوا منصفين مدققين، على الرغم من أن هذه البعثة لم تكن تملك سلطة التنفيذ. ومن بين أولى القضايا التي حققت البعثة في أمرها تلك التي عرفت بحادثة وادي عربة؛ ففي الأيام الأولى من يونيو 1950 أخذ سبعة وثمانون شخصا من الرجال والصبيان نصف العراة يأتون من الحدود الغربية لجنوبي الأردن، وهي صحراء وادي عربة إلى الجنوب من البحر الميت. كان هؤلاء هم مجموع من نجا من نحو 120 «متسللا» ألقت إسرائيل القبض عليهم في أجزاء مختلفة من الأرض التي تسيطر عليها، ودخلوا هذه الصحراء نحو موت محتمل. قضى ما يقرب من 34 منهم نحبهم، ومنهم فتاتان على الأقل، إحداهما لم تتحمل الصحراء، والثانية قتلها جيش الدفاع الإسرائيلي رميا بالرصاص عندما حاولت الهرب من مسيرة الموت[42].

أجرت إسرائيل مسيرات إجبارية مثل هذه خلال عمليات التطهير العرقي التي أجرتها في العام 1948، وفيها حصد الموت أطفالا وشيوخا على الطريق. لكن الطرد عبر وادي عربة كان استثنائيا، حيث إن كثيرا من الضحايا كتبت لهم النجاة عندما وجدهم البدو أو دوريات الجيش العربي، ووثقت قصصهم وثبتت صحتها. وتقدم لنا هذه القصص، بعد مضي عامين على تمتع إسرائيل بصفة الدولة، اختبارا لا مثيل له لمسألة «المتسللين» الفلسطينيين، من هم، ما دوافعهم، وكيف تعاملت إسرائيل

معهم، وكيف روت الصحف الإسرائيلية موضوعهم؟ وبما أنهم اعتُقلوا في مساحة واسعة، وعلى مدى أشهر عديدة، فإن في إمكاننا القول إنهم يشكلون عينة تصلح لأن تمثل هؤلاء التعساء. لقد أجرى ثلاثة مؤرخين مقابلات مع الناجين: ممثل عن الصليب الأحمر، ومراقب بلجيكي من البعثة المختلطة للهدنة، ومراسل من صحيفة «الأوبزيرفر» من المملكة المتحدة. تبين من 49 مقابلة أن عدد الناجين 51 فردا. وعززت قصصهم بعضها بعضا[43].

في أواخر مايو كان السجناء قد جمعوا في معسكر يقع في كترة Katra قرب رحوفوت (معسكر اعتقال... يدار وفق المنهج النازي)، وفق وصف السفير كيركبرايد للمعسكر. كانوا جميعا يعانون سوء التغذية، وكثير منهم قد تعرضوا للتعذيب. وفي صبيحة يوم الأربعاء، 31 مايو، عصبت أعينهم ووُضعوا في شاحنتين، من دون ماء أو طعام، وجرى التوجه بهم جنوبا؛ ترافقهم ثلة من الجنود أمام الشاحنتين وخلفهما. وفي وقت متأخر من ذلك اليوم وصلوا معسكرا عسكريا قدروا أنه قريب من بئر السبع، وصادف أن رأتهم امرأة إسرائيلية من كيبوتس جنوبي عند وصولهم[44].

> وصلت شاحنتان مملوءتان بعرب معصوبي الأعين (رجال ونساء وأطفال)... كانت الطريقة التي حشر بها العرب معا في الشاحنتين لاإنسانية. ونحن الذين كنا نقف جانبا لم نلاحظ أي سوء تصرف من العرب، الذين كانوا جالسين مرعوبين، يكاد أحدهم يضطجع فوق الآخر. ثم صعد [جندي أو أكثر] وأخذ... يضرب [العرب] على أعينهم المعصوبة، وعندما انتهى مشى فوق أجسادهم جميعا، وفي النهاية ضحك ضحكا مجلجلا مع شعور الرضا عن بطولته...

وأنهت المرأة من الكيبوتس كلامها بالقول: «أتساءل: ألا يذكرنا هذا بتصرفات النازيين نحو اليهود؟». وبعد أن تحمل السجناء عناء الرحلة في الحر طلبوا ماء ليشربوا، جاء الجنود الإسرائيليون بالماء، وكانت عصابات الأعين قد أزيلت لكي يروا، «وسكبوه على الأرض أمام العرب». ولم يسمح لأي من ركاب الشاحنتين الذين يبلغ عددهم نحو ستين شخصا بالنزول «ولا حتى للتبول».

أُعيد تعصيب أعينهم، ومضت بهم الشاحنتان ساعات أخرى، وعند منتصف الليل أزيلت أعصبة الأعين، فوجدوا أنفسهم في صحراء «تخلو من السكان تماما»، وأمرهم الجنود بالمشي عبرها. وكما ورد في تلخيص المقابلات:

بدا أن الاتجاه الذي طلب منهم اتباعه هو الجنوب الشرقي، وقيل لهم إن أي شخص يتجه شمالا سيقتل رميا بالرصاص، ثم طُبِّق هذا الإجراء واقتيد الرجال بمجموعات من أربعة أفراد لكل مجموعة. وكلما انطلقت مجموعة في اتجاه الظلام، أطلق اليهود صليات من الرصاص[45].

وقد وصف الذين أجروا المقابلات المكان بأنه «واحد من أشد الأمكنة حرارة ووحشة وعزلة في العالم»، وتكثر فيه الأفاعي والذئاب والضباع، وهو ما يعزز الظن بأن الأفراد المفقودين ربما أكلتهم الحيوانات المفترسة». كان أقرب موقع من المكان الذي أُطلق سراحهم فيه هو ذهل، على مبعدة عشرة أميال، ولكن أحدا لم يكتشفه قبل مرور 36 ساعة؛ لأنه كان يقع في شمال شرق الشمال «ومشى آخرون مسافة من 25 إلى 28 ميلا، وصعدوا سلسلة من الجبال يبلغ ارتفاعها 3 آلاف قدم قبل أن يصلوا إلى منطقة مأهولة مجاورة للشوبك»[46].

كانوا جميعا منهكين من الجوع والعطش. وكان كثيرون منهم يعانون آلام التعذيب، كالضرب والجلد بالسياط، وتكسير الأسنان بأعقاب البنادق. وكان لا بد من ترك بعض الكبار الذين انهاروا على الطريق قبل أولئك الذين كانوا لايزالون محتفظين بوعيهم للحفاظ على من كان معهم من الأطفال.

كان يمكن لحادثة وادي عربة أن تمضي من دون أن تلفت الانتباه لو لم يكن الصحافي فلب توينبي مارا بعمان، وسمع بمن كُتِبت لهم الحياة. فقد نشرت صحيفة «الأوبزيرفر» وصفه المرعب للحادثة، الذي قارن فيه بين النظام الإسرائيلي والنظام النازي في ألمانيا، على الرغم من أنه كان في السابق من مناصري الصهيونية[47].

من هؤلاء «المتسللون»؟ كان جميع من كُتِبت لهم الحياة وأجريت معهم المقابلات باستثناء أربعة منهم (وهم يشكلون ما نسبته 42.5 في المائة من الذين أجبروا على السير في الصحراء)؛ ممن تعرضوا للتطهير العرقي في إسرائيل. وكانوا يحاولون إما الوصول إلى الضفة الغربية من غزة، وإما إلى بيوتهم، في محاولة للانضمام إلى عوائلهم، أو لاستعادة شيء يخصهم (كالنقود المخبأة أو الحبوب). وكان الجوع الناتج عن سياسة إسرائيل في التطهير العرقي هو الدافع المشترك، آباء أو أبناء يحاولون إنقاذ عوائلهم. وبالنسبة إلى اثنين من الأربعة الآخرين كانت مسيرة الصحراء هي التطهير العرقي الذي تعرضا له؛ كانا قد أفلتا من التطهير العرقي الذي

حدث في العام 1948. أما الاثنان الآخران فإن المصادفة هي التي جاءت بهما. كان أحدهما سودانيا يحج إلى مدينة الخليل، وكان الآخر طالبا في الأزهر بالقاهرة، في طريقه إلى الطيرة للحصول على مبلغ من المال لإكمال دراسته.



ناجون من عبور صحراء وادي عربة، في 2 و3 يوليو 1950. يقول تعليق المخطوطة على الصورة: «مجموعة اكتُشفت للتو، تسقيهم دورية تابعة للجيش العربي ماء».

كررت صحيفة «الجروزالم پوست» إنكار الحكومة بعد أن نشر توينبي الفضيحة. قالت: شكّل هؤلاء «المتسللون» خطرا عظيما على إسرائيل، ولكنهم عوملوا معاملة حسنة. وكانوا قد أُطلق سراحهم أمام موقع للجيش العربي أمامهم مباشرة، قبل غروب الشمس بثلاث ساعات. وبينما كانت إسرائيل تنكر كل شيء في العلن، فإنها حاولت تهدئة الولايات المتحدة بادعائها أنها شكلت لجنة تحقيق - وبالفعل صدرت مذكرة إسرائيلية داخلية تنصح الحكومة بـأن «تعد بتشكيل لجنة تحقيق من أجل تهدئة الأمور»[48].

في هذه الأثناء استمر طرد من ليسوا يهودا؛ فقد عرف أن 5548 شخصا قد دُفعوا إلى ما وراء خط الهدنة في نصف العام المنتهي في يناير 1951، بمعدل شخص واحد كل 47 دقيقة. أما الفظائع فقد عملت الحكومة على «تبييضها»؛ إلى درجة

إصدار تزييف لأقوال الضحايا، وقال غلَبْ «إن الوحشية أعم من أن تنسب إلى سادية الجنود العاديين فقط»؛ فعندما ألقى جنود جيش الدفاع الإسرائيلي ليلة 20 أكتوبر 1950 القبض على سبعة فلسطينيين في قرية الجش في الجليل الأعلى، وهي قرية أغلب سكانها مسيحيون، وعذبوهم بحيث أصيب بعضهم بجروح خطرة، فإنهم فعلوا ذلك تحت قيادة الحاكم العسكري المحلي[49].

وفي 2 نوفمبر دخلت دورية إسرائيلية قوامها 12 جنديا مسافة 400 متر داخل الضفة الغربية، ووجدوا ثلاثة أطفال [بنتين وصبيا] من قرية يالو، وهم يجمعون الحطب. وعندما رآهم الأطفال هربت البنت التي تبلغ من العمر 8 سنوات، بعد أن أصيبت بطلقة في فخذها. وسحب الجنود الطفلين الآخرين، وهما أخ وأخته، ويبلغان من العمر 12 سنة و10 سنوات، لحظة قدوم أبيهما وعمهما إلى المكان. وأجبر الطفلان، وفق وصف غلَبْ للحادثة، على النزول إلى ساقية قريبة، ورشهما أحد الجنود برشاش ستن، بينما كان بقية الجنود يتفرجون. كان كل ذلك على مرأى من الرجلين اللذين وقفا عاجزين عن فعل شيء على الحدود، على بعد مئات قليلة من الأمتار»[50].

كان الصبي قد تُوفي بطلقات في رأسه وطلق في كتفه، أما البنت - فخرية محمد علي عليان - فقد أصيبت بسبع طلقات، ولكنها كانت لاتزال تتنفس. وما كاد الجنود يذهبون حتى أسرع أبوها في نقلها، بينما حمل العم الصبي المتوفى. عاشت فخرية عدة ساعات أخرى تكفي لأن تروي ما حدث للسلطات.

كانت هذه الحادثة، مثلها مثل حادثة وادي عربة، غير عادية من حيث إنها حصلت على شهود وتوثيق، ووصل خبرها إلى الصحافة البريطانية، فشكلت بذلك مشكلة علاقات عامة لإسرائيل؛ فقد سئلت أسئلة عنها في مجلس العموم، ولم يقنع إنكار المؤسسة الصهيونية البريطانية سوى قلة من الناس. وأكد مراقبو خط الهدنة والأمم المتحدة الحادثة، كما أكدتها الوثائق الإسرائيلية الداخلية، كما عرفنا بعد عقود. أما قرية الأطفال فإن إسرائيل طهرتها عرقيا وسوتها بالأرض في العام 1967، وأقامت على بقاياها وبقايا القريتين المجاورتين، دير أيوب وبيت نوبا، ما يعرف الآن بمتنزه كندا[51].

استُهدفت يالو ثانية بعد ثلاثة أشهر في 29 يناير 1951؛ فقد حل على القرية نحو 16 جنديا جاءوا من جهتين مختلفتين في الوقت نفسه، وهم يهاجمون بإطلاق

الرصاص والقنابل اليدوية، وهاجم الجنود الإسرائيليون منطقة طولكرم ليلة 2 فبراير، وفي اليوم التالي قتل جيش الدفاع ثلاثة فلسطينيين في هجوم على قرية الصفا.

أصبحت الهجمات أجرأ؛ ففي 7 فبراير دخل الجنود قرية شرفات، قرب القدس، ونسفوا بيتين، وقتلوا ثلاثة عشر شخصا وجرحوا خمسة. وكان اثنا عشر من القتلى من النساء والأطفال، وكان أكثر القتلى دون الخامسة عشرة. ثم جاء دور بيت نوبا وعمواس، وأدركهما - بعد ست عشرة سنة - ما جرى ليالو، إذ أخلتهما إسرائيل من السكان، ودمرتهما، وصادرتهما «وفي الساعات الأولى من صباح يوم 9 فبراير تسللت دورية إسرائيلية مسافة كيلومترين داخل الأراضي الأردنية، وهجمت باستخدام رشاشات برن وستن، وألقت قنبلة داخل أحد البيوت؛ فقتلت رجلا وابنه وابنته. ويبدو أن القتلى قد استُهدفوا من دون تعيين، إذ لم يقدم أحد تفسيرا لهذه الحادثة»[52].

في جلسة الهيئة المختلطة للهدنة، في وقت لاحق من ذلك اليوم، أصر المندوب الإسرائيلي على وضع مذبحة شرفات في آخر جدول الأعمال، وانسحب من الاجتماع عندما لم يُوافَق على الطلب. وأكد مكتب المعلومات التابع للأمم المتحدة أن الهجوم نفذه الجيش الإسرائيلي بآليات تابعة للجيش الإسرائيلي، ولكن «بالنظر إلى موقف الوفد الإسرائيلي فإنه من غير المحتمل أن تتمكن الهيئة المختلطة للهدنة من عمل شيء»[53].

وقد جاء التفجير «بعد سلسلة متصاعدة من الهجمات على القرى العربية»، كما ذكرت صحيفة «المانچستر غاردين». وقالت الصحيفة، بعد سنوات من مساندتها القوية للصهيونية، إن إسرائيل تتخذ الآن «سياسة إرهابية مدروسة» ضد الفلسطينيين، بينما دافعت صحيفة «هآرتس» عنها، على الرغم من اعترافها بأن الضحايا أبرياء. ومن أشد الأمور دلالة أن هذه الصحيفة الليبرالية ادعت أن الأحداث «ربما تسوغ استيلاء إسرائيل على فلسطين العربية»، أي أن على إسرائيل أن تضم الضفة الغربية (التي تضم القدس الشرقية) وغزة[54].

حاول المسؤولون الأردنيون، بعد أسبوع من مذبحة شرفات، أن يقيموا تعاونا بشأن الحدود، فالتقوا في القدس العميد موردخاي ماكلف، أحد الذين شاركوا في عملية حيرام، ولم يمض وقت طويل حتى عُيِّن رئيسا للأركان. وعندما وجه ماكلف

اللوم إلى «المتسللين» طلب أعضاء الوفد الأردني مزيدا من المعلومات؛ فما كان من العميد إلا أن «لوح بحركة نبيلة من ذراعه، وقال إنه مستعد لمسامحتنا». كذلك عندما سئل ممثل إسرائيل في أحد الاجتماعات: لماذا يجعلون من الصعب على الهيئة المختلطة للهدنة أن تتحقق من الادعاءات الإسرائيلية؟ أجاب: ما الذي يدعو إسرائيل إلى أن تعطي أي تفاصيل مادام العرب يعرفون ما فعلوا؟[55].

نشر الصحافي كولن ريد، المعروف بتقاريره الاستقصائية، تحليلا لتعامل إسرائيل مع الهيئة المختلطة للهدنة في يناير من العام 1951. وجاءت استنتاجاته مماثلة للاستنتاجات التي تحتويها وثائق الحكومة البريطانية التي لم يكن في إمكانه الاطلاع عليها؛ فقد وجد «أن السياسة المتبعة هي أن التفاصيل لا تنشر أو تروى للسلطات. لا يسجل شيء سوى الاتهام، وغالبا ما يكون ذلك في وقت متأخر بحيث تصعب المتابعة». وعمدت إسرائيل باستمرار إلى تنويع ادعاءاتها بحيث لا تتطابق أي روايتين؛ تتغير حتى أسماء الأماكن، بحيث يظهر الادعاء الواحد كأنه عدة ادعاءات. وسجلت الادعاءات بعد مضي خمسة أشهر بعد وقوع الحوادث المزعومة تصحبها شكاوى مصطنعة عن العدوان الفلسطيني، بحيث «تصبح القضية غير مفهومة» للصحافة. ولم يكن يرافق الادعاءات تواريخ تشير إلى وقت الحدوث أو رفع الشكوى، وكانت الشكاوى تقدم على شكل مجموعات. وباستخدام هذه الوسائل أخضعت إسرائيل اتهامات الفلسطينيين «لإجراءات تعطيل مدروسة بعناية»[56].

في 2 أبريل 1951 هاجمت دورية إسرائيلية أربعة فلسطينيين يجمعون حطبا قرب الخليل. تمكن اثنان منهم من الهرب، ولكن مفتشي الهيئة المختلطة للهدنة واللجنة العالمية للإنقاذ استطاعوا إحضار جثتي الاثنين الآخرين، ويبلغ أحدهما الثامنة عشرة، فيما يبلغ الآخر الثانية والستين من العمر. كان جيش الدفاع الإسرائيلي قد قطّع أعضاءهما التناسلية، وسلخ الجلد عن مؤخرتيهما، وطعن جنبيهما بالحراب، وأطلق رصاص رشاش الستن على جمجمتيهما[57].

في مايو 1951 كرر بن غوريون، في نيويورك، رفض إسرائيل تناول قضية الأراضي الفلسطينية التي سرقتها إسرائيل، مما يقع خلف خط الهدنة، وقال إنها ستستولي على كل المناطق المنزوعة السلاح أيضا. وكانت إسرائيل تجفف بحيرة الحولة بشكل غير قانوني في الشمال، ومضت في فعل ذلك متحدية الأمم المتحدة وتهديد الولايات

المتحدة بالعقوبات، وهذان ثبت عدم جدواهما. وقد بدا للحظة من الزمن أن إسرائيل قد تمادت في أفعالها عندما سرقت قطع غيار للطيارات من سفينة أمريكية، وهو ما حدا وزارة الخارجية الأمريكية على وقف صادرات الأسلحة إليها. ولكن سرعان ما اتُخذ إجراء معاكس؛ فقد أعد الكونغرس الأمريكي منحة غير مشروطة قيمتها 150 مليون دولار أمريكي، وهذا ما جعل وزير العمل الأمريكي مورس توبن الذي كان آنذاك في إسرائيل يقترح أن تكون المنحة مشروطة بالتزام إسرائيل بقرارات الأمم المتحدة. ولكن ذلك فشل أيضا[58].

كانت قرية إدنا قد تعرضت لعدة هجمات في السابق قبل أن يغزوها الجنود الإسرائيليون في 23 مايو، مجددا. وفي 11 يوليو قذفت مجموعة من ستة إلى ثمانية من الجنود الإسرائيليين قنابل يدوية داخل بيت في خربة نجار، الواقعة على مبعدة كيلومترين داخل أراضي الضفة الغربية، فقتلوا بنتا في الثامنة من عمرها، وجرحوا أخاها وأمها. ودخلت دورية إسرائيلية الطرف الجنوبي الشرقي من البحر الميت يوم 25 سبتمبر ونسف جنودها بيتا في قرية غور الصافي، فقتلوا بنتا في الثانية عشرة وأمها بينما كانتا نائمتين في الداخل، وجرحوا صبيا وامرأتين أخريين[59].

وفي أواخر العام 1951 تكشفت مأساة تشبه حادثة وادي عربة، وتعطينا فكرة عن حاجة الدولة الإسرائيلية إلى تهديد خارجي ملموس، وإلى إرهاب يخدم سياستها التوسعية، وعن تشويهها الأخبار والمعلومات. فقد بدأت باغتصاب فتاة إسرائيلية من بلدة المالحة وقتلها.

في 4 ديسمبر اختفت ليا فستنغر، وبعد اثنين وعشرين يوما اكتشفت جثتها في كهف. لم تحدث هجمات لأن مياه المطر غمرت المنطقة، ولم يكن ثمة أدلة أو مشبوهون. لكن التهمة لفقت أوتوماتيكيا ضد «المتسللين العرب». وعندما قتلت امرأة في القدس يوم 30 ديسمبر وجهت قوات الشرطة الإسرائيلية (المعروفة بقلة أفرادها، وبأنها منهكة القوى) التهمة إلى «المتسللين العرب»؛ لأن أحدهم ادعى أنه «رأى رجالا يرتدون ملابس خاكي ممزقة» في المنطقة.

لكن الجرائم الإسرائيلية المحلية كانت قد بلغت من الشيوع حدا جعل جريدة «الجروزالم بوست» تحذر، عند اكتشاف جثة ليا فستنغر، من استعمال «المتسللين» أكباشا للفداء.

«لقد بلغت حوادث القتل والاغتصاب والسرقة مستويات مخيفة، ولم يعد في الإمكان نسبة هذه الأحداث كلها إلى متسللين، أو إلى بقايا ذهان الحرب بين المهاجرين أو كبار السن». لقد كان ذلك، إلى حد كبير، نتيجة ما شاع بيننا من احتقار عام للقانون، ومن عدم الاكتراث به... نحن نواجه الآن وضعا سياسيا لا يتورع الناس فيه عن ارتكاب الجرائم مهما بلغ من فجاجتها أو طبيعتها المرضية[60].

«يتحول التعصب إلى عنف بالغ السهولة في إسرائيل»، حيث بلغت جرائم القتل المحلية في العام 1951، وفق تقرير بريطاني، ما يفوق المعدل السائد في إنجلترا بأربع عشرة مرة. ومع ذلك فإن الأردن، الذي كان يدرك أن سكان الضفة الغربية هم الذين تدور حولهم الشكوك، طلب من إسرائيل «ما لديها من أدلة عن القتلة لكي يتخذ الإجراءات المناسبة»، فردت إسرائيل بأنه «لا داعي لأن يتعب العرب أنفسهم بالأدلة»؛ لأن «لدينا وسائلنا الخاصة في التعامل مع أمور كهذه»[61].

استعملت هذه الوسائل ليلة عيد الميلاد الشرقي، في 6 يناير 1952، وكان قوامها ثلاث هجمات تحيط بمدينة بيت لحم، قصد منها أن تتزامن مع بداية الموكب الكبير في منتصف الليل، في اتجاه كنيسة المهد، في هذه المنطقة التي تقطنها أغلبية مسيحية؛ فقد نسفت دورية إسرائيلية بيتا قريبا من بيت جالا؛ الواقعة على مبعدة كيلومترين من بيت لحم. وفجرت دورية أخرى بيتين يبعدان كيلومترا واحدا إلى الشمال من بيت لحم، قرب دير مار الياس الأرثوذوكسي. وعبرت دورية ثالثة من دوريات جيش الدفاع الإسرائيلي مسافة ثلاثة كيلومترات على امتداد اللطرون وفتحت النيران على قرية عمواس (بعد خمس عشرة سنة سويت عمواس بالأرض بناء على أوامر من إسحاق رابين).

وقد صادف أن بعض أعضاء البرلمان البريطاني كانوا موجودين لمرافقة موكب ليلة عيد الميلاد، ولذا كان ثمة شهود من الخارج على المذبحة. وكان القائد الأمريكي للهيئة المختلطة للهدنة إ. هـ. هتشسن موجودا أيضا. كتب هتشسن يقول: «لا يمكن أن يطول العمر بإنسان طولا يجعل إحساسه يتبلد لمرأى منظر كذلك»، منظر الرجال والنساء والأطفال وهم يذبحون[62].

نثر الإسرائيليون منشورات مطبوعة بآلة استنساخ في بيت جالا ومار إلياس تقول إن الهجمات جاءت ردا على اغتصاب فتاة إسرائيلية وقتلها في 4 ديسمبر. كانت المنشورات متطابقة باستثناء اسم القرية المتهمة[63].

لم تكن إسرائيل قد سمّت المشتبه بهم في قتل ليا فستنغر، ولم يحدث ذلك، حتى عندما قدم ممثل الأردن في الاجتماع التالي للهيئة المختلطة للهدنة أسماء الضحايا في مذبحة ليلة عيد الميلاد. وحينما قدم أسماء الأموات وقعت عملية احتيال غريبة؛ تحت سمع الهيئة المختلطة للهدنة وبصرها:

> بعد عدة دقائق من تقديم مندوب الأردن أسماء سكان البيوت التي نسفت إلى الهيئة المختلطة للهدنة، غادر أحد المندوبين الإسرائيليين الغرفة وعاد بورقة تضمنت أسماء ثلاثة أشخاص زعم أنها أسماء قتلة الفتاة الإسرائيلية؛ كانت الأسماء تخص أصحاب البيوت التي جاء بها المندوب الأردني، وكانوا ضحايا الهجوم، ثم قال رئيس الوفد الإسرائيلي: «كانت لدينا أسماء الأشخاص الذين ارتكبوا [الاغتصاب والقتل]، ولكنني لم أرد إعطاءكم إياها سابقا»[64].

وبذا تكون إسرائيل قد جعلت ثلاثا من ضحايا ليلة عيد الميلاد مغتصبي ليا فستنغر وقتلتها بعد موتهم، ثم أعلنت إسرائيل بعد توزيع الأسماء على وسائل الإعلام أن البيوت التي نسفت في ليلة عيد الميلاد «بدا أنها يسكنها المتسللون الثلاثة الذين أعطت إسرائيل أسماءهم للوفد الأردني بوصفهم مسؤولين [عن الجريمة]». وعندما طلب من راماي، ممثل إسرائيل، أن يحضر المسؤولين عن المذبحة، قال إن الهيئة المختلطة للهدنة مسؤولة عن منع الأحداث فقط. ولم يكن بوسع إسرائيل أن تقوم بأي محاولة لاكتشاف قاتل الفتاة الفعلي؛ لأن المحاولة كان من شأنها أن تناقض كذبتها الرسمية. وقد ساور رئيس لجنة الهيئة المختلطة للهدنة الشك في أن فظائع ليلة عيد الميلاد قصد منها استثارة ردود فعل عربية لكي تستغلها إسرائيل في الخارج[65].

بعد أسبوع من مذبحة بيت لحم، أي في 13 يناير، أمسك تسعة من جنود جيش الدفاع الإسرائيلي بأب وابنه يعملان في أراضي كريمسان، المنطقة القريبة من بيت لحم والمشهورة بنبيذها «وأخذوهما إلى المنطقة الإسرائيلية وذبحوهما».

وبعد خمسة أيام قتل ثلاثة قرويين يعملون في أرض مزروعة بالخضار (على الجانب الإسرائيلي بموجب اتفاق) بالطريقة نفسها «بعد أن اقتيدوا بضع مئات من الأمتار داخل الأراضي الإسرائيلية [أي لجعلهم «متسللين»]، وأطلق عليهم الرصاص من كثب». واستُخدم الأسلوب نفسه في قتل قرويين آخرين في اليوم التالي. وسُجل ما بين شهري فبراير ومايو تسعة وثلاثون هجوما إسرائيليا على الضفة الغربية؛ كانت نتيجتها قتل مدنيين منهم مزارعون نيام في حقولهم، واستهداف مراقبين من الأمم المتحدة، وسرقة ماشية، واختطافات[66].

في 7 مايو دخلت دورية إسرائيلية مكونة من نحو 32 جنديا مسافة كيلومتر واحد داخل الأراضي الأردنية؛ بين قفين ونزلة عيسى، وفتحوا النار على الحصادين من مبعدة نحو 200 ياردة، وكان من بينهم امرأة في الستين أضعف من أن تتمكن من الركض. وفي ليلة 20 مايو وضعت دورية إسرائيلية لغما متأخر الفعل لصق بيت يقع في أطراف قرية قفين (شمال غرب فلسطين). وعندما انفجر اللغم، عند نحو الساعة الواحدة والنصف من بعد منتصف الليل، قتل صبي في السادسة عشرة وطفلان يبلغان من العمر خمسة وستة أعوام مباشرة، كما توفي رضيع عمره عام ونصف العام، في أثناء إخراجه من تحت الركام؛ كان الأب نائما في حقله بعد أن ترك ابنه ذا الستة عشر عاما للعناية بالعائلة في غيابه. وكما حدث في بيت لحم البعيدة خلّف المهاجمون وراءهم منشورات تقول إن التفجير جاء انتقاما لقتل فتاة يهودية (ربما تكون ليا فستنغر). وانضم أحد كبار المراقبين، وهو بلجيكي، إلى أولئك الذين يحذرون من أن إسرائيل تهاجم لخلق حرب:

> يعمل اليهود على زيادة التوتر والقتل لاستثارة الجيش العربي لكي يرد، ليلومونا بعد ذلك، وليبدأوا الحرب ثانية[67].

بلغت العلاقات بين إسرائيل والأمم المتحدة وضع الأزمة في يونيو من العام 1952، فيما يتعلق بجبل سكوبس، وهي منطقة في شمال شرق القدس تقع على الجانب الفلسطيني من خط الهدنة، ولكنها منطقة احتلتها إسرائيل. وقد تساهلت الأمم المتحدة مع احتلال المنطقة بشرط خلوها من التجهيزات العسكرية؛ لكن إسرائيل كانت تحفر الخنادق على امتداد الجبل وتهرب الأسلحة للمنطقة، متحدية طلبات الأمم المتحدة بالتوقف. وقد ضبطت في 4 يونيو عندما كان موكب من

السيارات يتجه نحو الجبل، على حدود الأمم المتحدة، عند بوابة ماندلباوم، وأدخل أحد الحراس التابعين للأمم المتحدة قضيب اختبار في أحد براميل الزيت التي كانت تنقلها، فاصطدم السيخ «بشيء ثقيل مُخفًى تحته». وعندما أنزل البرميل من الشاحنة لفحصه تظاهر السائق الإسرائيلي بأن محرك سيارته يعاني مشكلة، فدفع الشاحنة ليجعلها تنحدر في اتجاه نقطة التفتيش الإسرائيلية، ثم قفز وهرب ببقية الأدلة.

اتخذ القرار بعد مداولات طويلة بفتح البرميل المحجوز على مرأى من المراقبين الدوليين، ومن ممثلين لكل من إسرائيل والأردن، يوم 20 يونيو عند الساعة الثانية عشرة والنصف. وتقرر الاحتفاظ بالبرميل حتى ذلك اليوم في حمام مغلق تابع لمقر الهيئة المختلطة للهدنة.

غير أن الاجتماع لم يتم: ففي ظهيرة اليوم الموعود، كما قال القائد هتشسن، انفتح باب مكتب الهيئة المختلطة للهدنة ودخل منه ثلاثة ضباط إسرائيليين وهم يحملون مسدساتهم، ويرافقهم جنديان يحمل كل منهما رشاش تومسن قصيرا في وضع الاستعداد[68].

استولى الإسرائيليون على مكتب الأمم المتحدة، ومنعوا فحص البرميل، وأبدلوا مفتاح الهيئة المختلطة للهدنة بمفتاح من عندهم، ووضعوا حراسا على موظفي الأمم المتحدة، وتولوا الرد على مكالمات الأمم المتحدة. أما وقد استولت إسرائيل على الهيئة المختلطة للهدنة فإن موظفيها ظلوا يراقبون ما يجري عند الباب، وأخذوا يتناوبون طوال الليل لكي لا يفوتهم شيء مما كان يجري. وكانت الخطوة الإسرائيلية التالية نشر ستار من الدخان للتغطية على ما حدث: فأصدرت مذكرة تطلب فيها «استبدال موظفي الأمم المتحدة الذين شاركوا في هذه الحادثة المشينة».

عُيِّن يوم جديد، هو العاشر من يوليو، موعدا لفتح البرميل، بوجود العميد الأمريكي وليم رايلي، قائد منظمة مراقبة الهدنة. ولم يكن لدى إسرائيل اعتراض على المضي في العملية مادام رايلي يتولاها. أدخل رايلي قضيب الاختبار، وأكد أن البرميل يخفي ممنوعات، ولكن ما أدهش الجميع هو أنه قرر إعادته إلى إسرائيل من دون فتحه «على الرغم من المعارضة الشديدة التي أبداها رئيس الهيئة المختلطة للهدنة العقيد دي ردر de Ridder وسلون، وعلى رغم الآراء التي أبداها جميع أعضاء



جنود إسرائيليون مسلحون يمنعون المراقبين الدوليين وأعضاء بعثة الهدنة المشتركة التابعة للأمم المتحدة من فحص برميل الزيت الذي كانت إسرائيل تستخدمه لنقل الأسلحة إلى جبل سكوبس في انتهاك لاتفاقية الهدنة

الهيئة تقريبا». وكما فسر هتشسن، جعل تصرف رايلي جهود حفظ السلام بكاملها غير ذات معنى، لأن انتهاكات إسرائيل لم تتبعها أي عواقب. ولما تبين أن «انتصار» إسرائيل في حادثة البرميل مثّل مرحلة جديدة من مراحل التعنت الإسرائيلي، حذر البريطانيون في القدس وزارة الخارجية من «أن استخدام إسرائيل القوة قد عاد عليها بفوائد جمة، وأتوقع أن تكون النتائج ذات أثر بعيد»[69].

وبينما كان المسؤولون يصفون احتلال إسرائيل لجبل سكوبس بأنه إجراء شاذ خطير، راحوا يعبرون عن يأسهم وعجزهم عن «كبح جماح إسرائيل». اقترح بعضهم

إيقاف قوافل الأمم المتحدة لجبل سكوپس إلى أن تبدي إسرائيل تعاونها، ولكن ذلك لم يتبع لأن إسرائيل كانت سترد بعنف. ووفق ما قاله القائد هتشسن الذي كان - وفق اعترافه - قد ذهب إلى الشرق الأوسط متعاطفا مع إسرائيل «لو كان الأردنيون هم من ارتكب هذه الأفعال لطنطنت بها إسرائيل في عناوين الصحف من بغداد إلى فرزنو [بولاية كاليفورنيا]»[70].

تابعت إسرائيل سياسة التطهير العرقي «السلبية» لمن لم يكونوا يهودا. فقد ذكرت وكالة المخابرات المركزية في أواخر العام 1952 «أن إسرائيل تنوي أن تجعل حياة العرب الباقين فيها من الصعوبة بحيث سيسعون كلهم إلى الهجرة»، ومن بين الطرق السلبية إجبار البدو على توقيع «طلبات» للهجرة إلى الأردن، وإلا فإنهم سيطردون للعيش في الصحراء التي لا تنتج شيئا إن رفضوا. ومن الطرق الأخرى التي شاهدها هتشسن كسر جيش الدفاع الإسرائيلي قناني البيرة المملوءة بالبنزين على سنامات جمالهم، بحيث يشتعل الحيوان حيا ويصبح جلده غير صالح للاستعمال. وتمسك موشي دايان بفكرة الخطر الوجودي، ووفقا لرئيس بلدية القدس فيما بعد تدي كولك، كان موشي دايان وجنوده يلاحقون البدو بسيارات الجيب، ويطلقون عليهم النار، ويقتلون عددا منهم لاستثارتهم للهجوم على دوريات الجيش «كان هذا ما يريده دايان»؛ ليعطيه «سببا» للقيام بـ «حملة تنظيف». واستمر استيلاء اليهود الإسرائيليين على بيوت الفلسطينيين من دون عقاب، نظرا إلى ادعاء إسرائيل أنها «لا تستطيع إخراج يهودي من بيت دخله»[71].

استمرت أحداث قصة جبل سكوپس التي تفوق الخيال في غرابتها ليلة 13 ديسمبر 1952 عندما قُبِضَ على جنود إسرائيليين وهم ينقلون كمية من الأسلحة عبر الحدود. تمكن الجنود من الهرب، لكنهم خلفوا وراءهم ست لفائف من تلك التي يستخدمها الجيش الأمريكي مملوءة بألف رصاصة من رصاص البنادق، وألفين من رصاص الستنغن، وست قنابل هاون من عيار 81 ملم، وست قنابل هاون من عيار إنشين، وثلاث بطاريات جافة بقوة 90 ڤولتا، وأربع وعشرين قنبلة يدوية، وعلبة من أسلاك التفجير، كانت كلها في طريقها إلى جبل سكوپس. وقد حاول الإسرائيليون - خلال الليل - أن يستعيدوا الأسلحة مرتين، ولكن أمكن صدهم.

ظلت الهيئة المختلطة للهدنة تحاول طوال اليوم التالي (14 ديسمبر) الاتصال بالسلطات الإسرائيلية، ولكن قيل لها باستمرار إنه ليس هنالك من يمكنه التكلم معهم، أي مع بعثة الأمم المتحدة المكلفة بحفظ السلام، البعثة التي كانت قد أفسدت من فورها عملية ليلية لتهريب أسلحة إلى منطقة محتلة. ثم جاءت أساليب التشويش في اليوم التالي عندما تقدمت إسرائيل بما وصفه هتشسن بأنه «ربما كان أسخف ادعاء تلقته الهيئة المختلطة للهدنة طوال أدائها لمهمتها: لم يكن المجرمون إسرائيليين بل «لصوص أردنيون» سرقوا ذخائر من مستودع إسرائيلي وجرحوا جنديا إسرائيليا.

ومما يحسب للهيئة المختلطة للهدنة أنها تعاملت مع ذلك الادعاء بجدية، وطلبت من الإسرائيليين التقدم بأدلتهم وإطلاع المفتشين على ما حدث. وبعد أن تبين أن الادعاء كان مهزلة، وأصدرت الهيئة المختلطة للهدنة بيانا وجهت فيه اللوم إلى إسرائيل على خرقها الهدنة، ردت إسرائيل بشن حملة عالمية ضد رئيس البعثة دي ردر. ثم صار لزاما على دي ردر أن يستعين بحراس لحمايته. واستمرت المضايقات. ومع أن دي ردر حافظ على ثبات موقفه فإن الأمم المتحدة لم تثبت. وأعفي من منصبه بسبب ما دعاه هتشسن بالضغوط الإسرائيلية المستمرة على الأمم المتحدة.

وصف جون ولسن «ستارة الدخان اللفظية» عندما ترك الوفد البريطاني في تل أبيب في منتصف العام 1953 بقوله إن المسؤولين الإسرائيليين «اصطنعوا لغة تسبب الغثيان... الجو مشحون بالكلام الدعائي... تختلق قصص وحملات صحافية مضللة، والرقابة تمنع تداول الأخبار الصادقة». ولاحظ عدد من المراقبين كيف أن الدولة الإسرائيلية تتبع أسلوب الوكالة اليهودية باستثارة الهستيريا، وذلك بتكييف الأخبار التي اختلقتها هي، واتخاذ إجراءات ضد تهديدات من صنعها هي»[72].

كان العام 1953 هو العام الخامس من الاقتلاع والفقر وانقطاع الحياة المدنية الطبيعية. وفي مثل هذا الوقت تقريبا تمكن الإرهاب الإسرائيلي الموجه ضد من كان قد جعلهم لاجئين من تحقيق النتيجة المحتومة، التي يبدو أنها كانت مقصودة؛ فقد أصبحت عمليات الانتقام الفلسطينية تشكل تهديدا. وبتعبير غلَبْ «حول الإرهاب اليهودي المتسلل إلى مسلح»:

المتسللون هم أولئك الذين حرموا من أملاكهم وبلادهم... وخلق حشد هائل يقرب من مليون شخص من المحرومين الذين كانوا لايزالون، بعد أربع سنوات من المعركة، ممنوعين من العودة إلى أراضيهم وقراهم المهملة، أو التي أعطيت للمهاجرين الإسرائيليين، وفصل القرى عن أراضيها، كل هذه الأمور هي من صنع إسرائيل، التي أوجدت جماعة لا أرض لها تعاني يأسا يصعب التحكم فيه على أطرافها[73].

لم تحمل السلاح طوال الفترة السابقة لأزمة السويس سوى قلة من المتسللين، ولم يكن هدف من تجاوزوا خط الهدنة إحداث الأذى، بل كان المتسللون العاديون، وفقا لما قاله السفير البريطاني في الأردن جفري فرلونغ، أبناء فقراء يخاطرون بحياتهم بهدف السرقة.

كان باديا أن إسرائيل تُصعِّد الشعور باليأس كلما لاحت الفرصة؛ انسجاما مع أهدافها التوسعية؛ ففي قلقيلية (الضفة الغربية) كان عدد من العائلات التي تعيش في فقر مدقع بالقرب من خط الهدنة، وتعتمد على حوض ماء وحيد يقع، وفق الهيئة المختلطة للهدنة، داخل مسافة العشرين ياردة من الخط الوهمي. وعندما جرى تعيين الخط بوضوح وقع الحوض على مبعدة ثلاث ياردات داخل الجانب الإسرائيلي. لم تكن إسرائيل تستعمل الحوض، أما بالنسبة إلى العائلات التي اقتلعتها إسرائيل من موطنها فكان الماء يعني البقاء، ولذلك فإن الهيئة المختلطة للهدنة طلبت السماح للعائلات باستعمال الحوض؛ لكن إسرائيل رفضت، وقال ممثلها لدى الهيئة المختلطة للهدنة إن أي عربي يعبر الخط في اتجاه الماء سيقتل رميا بالرصاص.

استمرت الغارات الإسرائيلية على الضفة الغربية من دون انقطاع؛ فقد أرسل جيش الدفاع الإسرائيلي مجموعتين من المظليين إلى إدنا (في منطقة الخليل) وفقّمة ليلة 22 يناير 1953 مزودين بأوامر تقضي بنسف البيوت وقتل ساكنيها، ولكن مهمتهم فشلت لأن الحراس الوطنيين اكتشفوهم. أما الهجمة الثانية على فلمة (بعد ستة أيام) فقد حققت نجاحا أفضل. وفي 25 فبراير قتلت دورية تابعة لجيش الدفاع خمسة رعاة، كان أصغرهم في الثالثة عشرة، وشوهوا جثثهم وسرقوا قطيعهم المكون من 177 خروفا[74].

وجاء يوم 22 أبريل بما عُرف بحادثة القدس؛ التي تبادل الأردنيون والإسرائيليون فيها الاتهامات بالبدء بصدام دموي عند مغيب الشمس على امتداد خط الهدنة. كان قرار الأمم المتحدة الرسمي انتهى إلى استحالة البت في من بدأ بإطلاق النار. لكن كل الأدلة أشارت إلى إسرائيل؛ من وجهة نظر القنصل البريطاني العام في القدس، وموظفي الأمم المتحدة، والقنصلين الأمريكي والبريطاني في عمان. كان الجنود الإسرائيليون يعلمون بالقتال مقدما؛ إذ يحذر جندي إسرائيلي يؤدي واجبه العسكري في موقع متقدم في 21 أبريل «السيدة صديقته» (وفق وصف القنصل البريطاني لها)، التي تعمل في دير فرنسي يقع على الحدود، من الذهاب إلى حديقة الدير في اليوم التالي (أي 22 أبريل) «لأن المنطقة ستشهد تحركات عسكرية». وحذّرت المرأة رئيسة الدير. هذا من جهة، ومن الأمور الأخرى التي استشهد بها أن إطلاق الرصاص كان منذ اللحظة الأولى منسقا على مدى منطقة واسعة. وكما قال الضابط المسؤول عن التحقيق «إنه بالنظر إلى خبرته ألعسكرية» لم يكن مفهوما لديه «كيف يمكن لهذا التنسيق أن يحدث في التوقيت نفسه وعلى مدى واسع من الجانب الإسرائيلي من غير إشارة متفق عليها مسبقا».

كان من رأي السفير فيرلونع أن العميد رايلي - العميد الذي أنقذ إسرائيل من حادثة البرميل في الصيف السابق - هو الذي جعل الأمم المتحدة عاجزة عن البت في المسألة لأنه «يبدو أنه لجأ إلى إخفاء بعض الأدلة» بحجبه معلومات ليست في مصلحة إسرائيل عن الأمم المتحدة. بعد ذلك رفض رايلي التحقيق فيما قيل عن هجوم إسرائيلي على بيت سيرا في 17 مايو، وهو رفض جاء - وفق غلّبَ - بناء على طلب من إسرائيل[75].

في 20 مايو اخترقت مجموعات صغيرة من الإسرائيليين الضفة الغربية، وهاجمت خمس قرى من قرى طولكرم. ووفقا لما قاله البريطانيون في عمان ونابلس «زرعوا ألغاما على الأبواب والنوافذ، ثم قذفوا بقنابل داخل البيوت من النوافذ، ثم وجهوا رصاص رشاشاتهم على الأبواب». وفي الليلة التالية نسف الإسرائيليون بيتا في جبع قرب القدس، فقتلوا امرأة وطفلا. ولكن إسرائيل رفضت أن تسمح للهيئة المختلطة للهدنة بالتحقيق، بحجة أن القضية داخلية تخص الأردن. واقترح دي ردر تعديل إجراءات الـهيئة «بحيث تسمح للمراقبين بالتحقيق في الأحداث، على رغم اعتراض

أحد الجانبين بأن الحادثة لا تشكل انتهاكا لاتفاقية الهدنة»؛ وافق الأردن، ورفضت إسرائيل. وأخيرا، ادّعت إسرائيل وجود هجوم فلسطيني وضعت تاريخه موافقا لتاريخ هجماتها على طولكرم وجبع، بحيث «توازن» الوضع، ثم رفضت إجراء الهيئة المختلطة للهدنة للتحقيق في اتهامها هي. ومن بين الهجمات المستمرة، استهدفت أربع قرى لأربع ليالٍ على التوالي بين 20 – 23 مايو، وفي 24 مايو قُتل فلسطينيون كانوا مجبرين على الاختباء بالكهوف[76].

توصلت الهيئة المختلطة للهدنة إلى نتيجة مفادها أنه لا أدلة تربط جريمتي قتل ارتكبتا في بيت جبرين في 8 أغسطس والضفة الغربية، ولكن «الهجمات الانتقامية جاءت بسرعة». ففي ليلة 11 – 12 أغسطس ذكر تقرير صادر من الأمم المتحدة أن «القوات العسكرية الإسرائيلية استخدمت الألغام الناسفة «ونسيفات بانغلور»، وقنابل الهاون من عيار 2 إنش، والرشاشات، والأسلحة الخفيفة «للهجوم على وادي فوكين وصوريف وإدنا. وقد دلت الجثث التي مزقتها الطلقات عند الأبواب، والثقوب الكثيرة التي أحدثتها الرشاشات في أبواب المنازل المنسوفة، على أن السكان أجبروا على البقاء في الداخل إلى أن نسفت بيوتهم فوق رؤوسهم».

ذكر العقيد الأمريكي ت. م. هنكل أن القوات الجوية الإسرائيلية عادت إلى قصف غزة في يوليو 1953، وكان هذا هو الصيف الذي بدأت فيه صفوة المليشيا الإرهابية المعروفة بالوحدة 101 حملاتها. ففي 28 أغسطس قاد آرييل شارون الشاب (واسمه آنذاك شاينرمان) الوحدة 101؛ في هجوم على مخيم البريج للاجئين في غزة، في بحث مزعوم عن «متسللين، وهو هجوم وصفته الهيئة المختلطة للهدنة بأنه «مثل يثير التقزز من جرائم القتل الجماعية». فقد قتل في ذلك الهجوم ثلاثة وأربعون رجلا وامرأة وطفلا من الذين كانت إسرائيل قد مارست عليهم التطهير العرقي قبل خمس سنوات، وجرح اثنان وعشرون آخرون، باستعمال الأسلحة الأوتوماتيكية، والقنابل اليدوية، والقنابل الحارقة.

رفض أحد أفراد الوحدة 101 أن يشارك في مذبحة البريج بسبب وحشيتها، وعندما سأل بعض الجنود شارون عن سبب قتله العشوائي للنساء أجاب بأن الضحايا «عاهرات» عربيات. وكان شارون معروفا بهذه اللغة التي تجرد ضحاياه من إنسانيتهم – فقد أورد مراسل الهآرتس أوزي بنزيمان استجابة شارون بالضحك

وهو يراقب ضابطا ذا رتبة صغيرة وهو يعذب فلسطينيا متقدما في السن ثم قتله من مسافة قصيرة. وكان يسره أن يبتكر طرقا جديدة لقتل المدنيين كالإيقاع بصبي بدوي وهو يرعى قطيعه.

جاء ستار الدخان الإسرائيلي للتغطية على مذبحة مخيم اللاجئين بعد ثلاثة أيام عندما أعلن راديو تل أبيب هذا الخبر المرعب: هاجم «عرب» مخازن الأنروا في غزة. أدت القصة المطلوب منها، ولكنها كانت قصة مختلقة، «قصة لا أساس لها على الإطلاق»، كما قال لزلي كارفر، القائم بأعمال مدير الأنروا[77].

واستمر هذا النمط من الأحداث. فقد نفت الهيئة المختلطة للهدنة الادعاءات الإسرائيلية القائلة إن قرية أهيزر قرب اللد قد هاجمها متسللون في 7 سبتمبر 1953، وعلى رغم ذلك دخلت أربع دوريات إسرائيلية إلى الضفة الغربية انتقاما، وهاجمت راعيا وسرقت قطيعه، واختطفوا امرأة كانت تجمع الحطب.

ولايزال مصير المرأة التي تبلغ الخامسة والعشرين من العمر، والتي اختطفها جيش الدفاع الإسرائيلي، مجهولا. وعندما طلبت الهيئة المختلطة للهدنة أن يطلق سراح المرأة ردت إسرائيل بأنها ماتت فجأة. وعندما طلب منها إعادة الجثة إلى عائلتها ردت إسرائيل بأنها دُفنت[78].

كانت أنشطة إسرائيل في الجنوب أقل بروزا ولكنها كانت في النهاية أبعد أثرا. هذا ما جاء في إيجاز وضعته وكالة المخابرات المركزية في 20 سبتمبر:

> في الأسبوعين الأخيرين قامت فصائل إسرائيلية بهجمات يومية تقريبا على المنطقة المحايدة، وهاجمت مواطن البدو. وفضلا على ذلك يبدو أنه قد جرى تجاهل إلحاح مراقبي الأمم المتحدة على أن يخرج الإسرائيليون من المنطقة... ويبدو أن حكومة بن غوريون تقوم بتحركات متعمدة للسيطرة على منطقة العوجة المنزوعة السلاح[79].

بدأ شهر أكتوبر من العام 1953 بداية هادئة نسبيا. استنكرت الهيئة المختلطة للهدنة الكمائن الإسرائيلية في العاشر منه، ورفضت الادعاء الإسرائيلي بتعرض إسرائيل لهجوم يوم الحادي عشر لعدم وجود أدلة تثبت ذلك. ولكن عندما ألقيت قنبلة يوم 13 أكتوبر في بيت يقع في بلدة يهود الإسرائيلية فقتلت امرأة واثنين من أطفالها؛ فإن الأردنيين اعترفوا بأن متسللين من الضفة الغربية قد يكونون مسؤولين عن الحادث.

وطار غلب مباشرة إلى القدس والتقى هَچسن، ورتبا معا للإسرائيليين وكلابهم لأن تتبع الأثر أينما قاد. لكن الكلاب فقدت الأثر عند رنتيس، شرق بلدة يهود[80].

غير أن الوحدة 101 التابعة لشارون اقتحمت قرية قبية في الضفة الغربية مساء 14 أكتوبر للانتقام للجريمة التي لم يعرف فاعلها وقتلت تسعة وستين فلسطينيا، نصفهم من النساء والأطفال، ونسفت ما لا يقل عن خمسة وأربعين بيتا. وهنا أيضا أجبر الضحايا على البقاء في البيوت بينما كان يجري تفجيرها. وزرعت الطرق المؤدية إلى بدرس وشقبة بالألغام وقُصفت القريتان. وقال مراقبو الأمم المتحدة الذين وصلوا إلى المكان عند منتصف الليل:

> في نحو الساعة العاشرة ليلا اجتاحت قوة إسرائيلية تقدر بما لا يقل عن 3 سرايا أو 400 جندي قرية قبية... استخدمت القوات قنابل ناسفة، ونسائف بنغلور، وقنابل يدوية، وأسلحة أوتوماتيكية وقنابل حارقة. أما الأشخاص الذين حاولوا الهرب فقد جرى رشهم بالرشاشات[81].

وأما هچسن فقد قال «إن من الصعب وصف التدمير العابث الذي حدث».

> كانت جثة امرأة عربية ملقاة على تل من الركام. وهنا وهناك بين الحجارة كان بالإمكان رؤية يد أو قدم صغيرة بارزة... جثث أبنائها الستة. وكانت جثة الزوج الذي ثقبته طلقات الرصاص مطروحة والوجه إلى الأسفل في الطريق الترابي خلفها[82].

كان شارون ينفذ الأوامر: فالقيادة المركزية كانت قد أصدرت له أمرا «بأن يهاجم القرية وأن يحتلها احتلالا مؤقتا، وأن يحدث فيها الدمار وأكبر عدد من القتلى من أجل طرد سكان القرية من بيوتهم». وتسجل يوميات شاريت الأمر الرسمي للوحدة 101 للهجوم على قبية، وكذلك موافقة بن غوريون على العملية. ولكن قبية تحولت إلى فضيحة جديدة في علاقات إسرائيل العامة، ولذلك فإن بن غوريون أنكر في إذاعة خاصة بكل قوة «القصة المزيفة الخيالية» التي تقول إن الجنود الإسرائيليين ارتكبوا مذبحة. «لقد تفحصنا الوقائع بالتفصيل»، ويمكننا أن نقول على نحو قاطع «إنه لم تغب من معسكرات الجيش أي وحدة من وحداته مهما بلغ من صغر حجمها. ومن أغرب ما قاله بن غوريون، الذي كان يخاطب شعبه والعالم، إن من نجوا من الهولوكوست هم الذين ارتكبوا المذبحة»[83].

وصف القائم بأعمال مدير الهيئة المختلطة للهدنة أحداث قبية بأنها «مذبحة بدم بارد». وأما الولايات المتحدة؛ التي كانت قد أقلقها تعطيل إسرائيل الدائم عمل موظفي الأمم المتحدة ورفضها للتوقف عن تحويل مجرى نهر الأردن، فقد وصفت سلوك إسرائيل بأنه «صادم»، و«أنها منزعجة من سلسلة الأعمال التي تقوم بها إسرائيل على الحدود العربية»، وأن الرئيس آيزنهاور أوقف مبلغ الـ 26 مليون دولار المخصصة لإسرائيل للأشهر الستة الأولى من العام 1954، ويبحث في اتخاذ إجراءات عاجلة من قبل مجلس الأمن بالنظر «إلى عدم فاعلية الاحتجاجات التي قدمت للحكومة الإسرائيلية».

لكن ذلك الموقف لم يدم طويلا. فكما قال بني مورس: «حركت إسرائيل أعوانها في واشنطن بسرعة ونجحت»، وهذا ما جعل المسؤولين الأمريكيين يقلقون «على تأثير ذلك في المستقبل السياسي لآيزنهاور وحكومته». انضم روبرت ف. واغنر إلى الجماعات الصهيونية التي تنعت كل من يدعو إلى التحقيق في مذبحة قبية بمعاداة السامية. وادّعى بن غوريون أنه مضطهد، وقال جوابا على شجب المذبحة: «إن كان من الصعب على المرء أن يكون يهوديا فإن وجود دولة يهودية أصعب». ثم ربط هذه «الصعوبة» بشيء «حدث قبل ألفي سنة في هذا البلد نفسه»، وفسرت «النيويورك تايمز» هذه الإشارة بأنها تلمح إلى ميلاد المسيح[84].

وكما حدث مع هجمات سابقة عمدت إسرائيل إلى تجريم الضحايا فقالت صحافتها إن قبية كانت «وكرا للصوص». لكن ذلك كان كذبا أيضا. إذ لم يرد اسم قبية قط في سجلات الهيئة المختلطة للهدنة أو في أي حادثة منذ توقيع الهدنة قبل أربع سنوات ونصف السنة من ذلك التاريخ. وعندما ناقضت تحقيقات القنصلية الأمريكية والسفارة الأمريكية أقوال بن غوريون، وجّه وزير الخارجية الإسرائيلي اللوم إلى الولايات المتحدة لموقفها الذي لا يتسم بروح الصداقة. وقال إن الولايات المتحدة تشجع «الشهوات العربية»[85].

ذكر شاريت في يومياته أن الهجوم الإرهابي على قبية «أدى إلى تقدم كبير في حياة شارون المهنية». غير أن الفشل في العلاقات العامة الذي سببته المذبحة ظل يلاحق إسرائيل، فاحتاجت إلى شيء من الأحداث التضليلية لتعيد التوازن. حدث من ذلك حادثان، أولهما بعد أحد عشر يوما، والثاني في مارس اللاحق.

ففي 25 أكتوبر اصطدم قطار لنقل البضائع بقنبلة أدت إلى خروج القاطرة وإحدى عشرة عربة فارغة عن السكة. فشنت إسرائيل على الفور «حملة احتجاج عنيفة ضد هذا العدوان الأردني الجديد»، وطلبت من بريطانيا «أن توجه اللوم إلى الأردن على آخر عمل من أعمال العنف هذا مثلما سارعت برد فعلها على حادثة قبية». وشددت الصحافة الإسرائيلية على أن «المتسللين» لم يصادفوا - لحسن الحظ - قطارا مملوءا بالركاب.

غير أن من المؤكد تقريبا أن حادثة القطار كانت عملية تمويه، إذ لم يكن ثمة ما يربط الضفة الغربية بها. وكما قال السفير فيرلونغ: «نحن هنا واثقون بأن الأمر كله من تدبير الإسرائيليين، وأنهم هم الذين أخرجوه بأنفسهم»[86].

كان المقصود من قبية، مثل دير ياسين في العام 1948، أن تقضي على أي أمل لدى الناجين بالعودة إلى الحياة الطبيعية مادامو يعيشون على أرض تريدها إسرائيل. ففي أعقاب قبية ضاعفت إسرائيل من الإرهاب النفسي باستمرارها في إجراء التدريبات العسكرية بالذخيرة الحية على خط الهدنة نفسه، بحيث تصل طلقات طائشة إلى القرى الفلسطينية مثل قرية بدرس، ترافقها الخروقات الجوية التي تمارسها طائرات سلاح الجو الإسرائيلي. ولم يكن أي من ذلك ردا على أفعال أردنية. وساورت الشكوك السفير البريطاني لدى إسرائيل بأن الأخيرة تشجع المستوطنين اليهود على مهاجمة الفلسطينيين، لتعلن لاحقا أنها لا تستطيع السيطرة عليهم – وهذا ما ينبئ بهجمات المستوطنين في الضفة الغربية والقدس الشرقية في هذه الأيام[87].

ليس واضحا ما إذا كانت فرق الاستكشاف مشيا، كتلك التي كانت تستعمل في عهد الانتداب، قد استمرت على مستوى أدنى. ففي أواخر العام 1953 قبض رجال الشرطة الأردنيون على ثلاثة رجال وامرأتين من إسرائيل، ثم قتلوهم عندما حاولوا الفرار. كانوا يحملون خرائط وبوصلات ومطّارات ماء من النوع المستخدم في الجيش، ولكن لم تكن معهم هويات. ادّعت إسرائيل أنهم سائحون في طريقهم إلى البترا، ولكن الغريب أن إسرائيل لم تثر هذا الموضوع مع الهيئة المختلطة للهدنة، ولم تفسر لماذا يظن السياح الإسرائيليون أن بإمكانهم الدخول إلى الأردن، بينما كان القدوم بالاتجاه المعاكس سيعني أن جيش الدفاع الإسرائيلي سيعدم القادمين على الفور[88].

عاد جبل سكوپس؛ الذي كانت إسرائيل قد سلحته بأسلحة تُلقى عليه بالمظلات، إلى الظهور في وسائل الأنباء في 1 نوفمبر 1953 عندما دمرت قنبلة موقوتة جزءا من أنبوب قطره 8 إنشات؛ وهو المزود الوحيد للقدس الشرقية بالماء. وتابع مراقبو الأمم المتحدة آثار الهجوم إلى جبل سكوپس، وهناك منعتهم إسرائيل من إجراء أي تحقيق. وكان تقدير البريطانيين الموجودين في المكان أن العمل التخريبي قصد منه استثارة الفلسطينيين لمهاجمة جبل سكوپس[89].

وشحنت ليلة 21 – 22 ديسمبر بهجمات أخرى. فقد «كسر أربعة إسرائيليين باب أحد المنازل من دون سبب وقتلوا امرأة داخله بالرشاشات، ثم قتلوا عربيين لا يحملان السلاح كانا قد جاءا للمساعدة». كما جرى رش منزلين آخرين بوابل من الرصاص، غير أن ساكنيهما كانوا قد هربوا. كما هوجمت قرية بدوية قرب ترقومية برشاشات الستن ورشاسات قصيرة أخرى وقنبلة يدوية.

وجاء الادعاء «الموازن» يوم 28 ديسمبر، إذ أعلنت إسرائيل أن عربيا قتل إسرائيليا «كان يعمل على تعيين خط الهدنة». فحددت الساعة 17:00 موعدا للاجتماع في مكان الجريمة المزعومة. وذهب ممثل الأمم المتحدة وموفد الأردن إلى المكان، وانتظرا ممثل إسرائيل ساعتين، ولكنه لم يحضر. ثم حُدد موعد آخر في اليوم التالي، ولكن ممثلي الأمم المتحدة والأردن انتظرا الممثل الإسرائيلي بلا فائدة. وفي اجتماع الهيئة المختلطة للهدنة يوم 30 ديسمبر قال الممثل الإسرائيلي عندما سُئل عن سبب عدم الحضور للتحقيق في مزاعمه إنه «تأخر لأسباب لم يكن في الإمكان تفاديها» في المرتين[90].

حدث أشهر هجوم ضد المدنيين الإسرائيليين ليلة 16 – 17 مارس 1954. فقد تعرضت حافلة إسرائيلية تسير عبر ممر العقارب (معاليه أكرابيم) في النقب متجهة من إيلات إلى تل أبيب في رحلة غير معلنة إلى هجوم وحشي. وقُتل في الهجوم أحد عشر شخصا ونجا ثلاثة. أدركت إسرائيل، بكلمات هچسن، أن الجريمة يمكن - «أن تمحو مذبحة قبية من قائمة جرائمها، ولكن إذا أمكن إثبات أن القتلة أتوا من الضفة الغربية أو الأردن، وليس من غزة أو النقب الجنوبي، وهو الاحتمال الأقوى. لكن إسرائيل أصرت مباشرة على موقفها، وسلم مندوبها العسكري هچسن أسماء المجرمين وأماكن وجودهم، مع طلب غريب تمثل في ألا تعطى هذه القائمة

إلى الهيئة المختلطة للهدنة؛ لأن ذلك من شأنه أن يعطل الإجراءات. ومع ذلك فإن غلب وهچسن جارياه، وبدآ بعملية بحث كبيرة خلال نصف ساعة. وقبل منتصف الليل بقليل، وبعد أن عجزا عن إيجاد شخص يمكنه أن يتعرف على الأسماء وسعا من دائرة البحث.

وبينما هما يبحثان اخترعت إسرائيل انقلابا صحافيا من شأنه «أن يجعل الهيئة المختلطة للهدنة أضحوكة ما لم يكن التصويت لمصلحة إسرائيل». وكما قال هچسن: تشكل العنوان الرئيس لجريدة «الجروزالم پوست» الصباحية والمقال الرئيس الثاني في الصفحة الأولى من أكاذيب، مع استشهادات مفبركة زرعت لخلق «حقائق» تقول إن القتلة جاءوا من الضفة الغربية أو القدس، وإن الهيئة المختلطة للهدنة كانت تعلم بذلك. وبعد أن تسلّحت إسرائيل باعتقاد الجماهير المفبرك، مارست «ضغطا لا يطاق» على رئيس الهيئة لكي يصدر قرارا يدين الأردن على الفور، من دون تحقيق - مع تهديد رئيس الوزراء شاريت للرئيس بأنه «لن تعجبه الصحف في اليوم التالي» إن لم تفعل الهيئة ما قيل لها أن تفعله. أما الأردن فقد هيأ متتبعين للأثر، وضباطا، وطائرة للتفتيش، وأرسل قوات للمنطقة المحاذية من الأراضي الأردنية، وعرض مبلغا كبيرا من المال لقاء المعلومات[91].

فشلت محاولة إلصاق التهمة بالضفة الغربية أو الأردن. لم يتخذ أي قرار - بقيت كل الاحتمالات (بما فيها الضفة الغربية والأردن) مفتوحة. انسحبت إسرائيل احتجاجا وبدأت حملة تخويف ضد هچسن، الذي احتاج، على غرار دي ردر من قبله، إلى حرس شخصي. ومنعت إسرائيل موظفي الأمم المتحدة وكلاب الأثر من التجول في موقع الجريمة، وعندما وجدت قطعة وحيدة يمكن أن تكون دليلا على شيء، وهي قلنسوة الرأس التي يستخدمها اليهود وافقت الوصف الذي أعطاه أحد الناجين، والتي وجدت غرب مشهد الجريمة (مما يشير إلى أن المهاجمين أتوا من غزة أو من النقب) فإن مراقبا إسرائيليا أخذها ووضعها باتجاه الشرق من أجل وضع الأردن أو الضفة الغربية في موضع الاتهام. وقال تقرير وكالة المخابرات المركزية إنه لا يوجد دليل يدعم أقوال إسرائيل، وأشارت أربعة مصادر مستقلة إلى عصابة «الكف الأسود»، التي شكلها بدو كانوا ضحايا العنف الإسرائيلي، على أنها هي الفاعل المحتمل. وكما حصل في حادثة مقتل ليا فستنغر، فإن حاجة إسرائيل إلى

تلفيق «حقائق» تخدم أهدافها التوسعية اقتضت ألا يكتشف القتلة الحقيقيون. وهكذا فإن جريمة ممر العقارب بقيت من دون حل[92].

في نحو منتصف ليلة 28 - 29 مارس تخطت قوة إسرائيلية مكونة من 200 رجل شرقي خط الهدنة، لمسافة ثلاثة كيلومترات ونصف الكيلو، وهاجمت قرية نحالين في الضفة الغربية، وقتلت تسعة أشخاص وجرحت أربعة عشر. وعلى عادة عصابات عهد الانتداب في استهداف أول من يرد عليها، وضع الجنود قنبلة وأعدوا عبوة متفجرة نسفت أول سيارة تابعة للجيش العربي جاءت للمكان. كان مراقبو الأمم المتحدة في المكان بعد ثلاث ساعات، ولكن ممثل الجانب الإسرائيلي لم يحضر اجتماعات الهيئة المختلطة للهدنة التي دُعي إليها بشأن الحادث على رغم عدة محاولات لجعله يحضر. وقد عبر القنصل البريطاني العام ت. وايكلي في مذكرة خاصة في يوليو 1954 عن «شكوكه في صدق إسرائيل عندما تتحدث عن السلام... قبل أن تصل حدود إسرائيل الأردن».

> تعززت [هذه الشكوك] بالطريقة المقززة التي تعامل بها السلطات العسكرية والصحافة الإسرائيلية منظمة الإشراف على الهدنة التابعة للأمم المتحدة... إذ لا يمكن تفسير هذه التصرفات إلا بالرغبة في توقف التحقيقات غير المرغوب فيها، وهي التحقيقات التي يجريها موظفو الأمم المتحدة أو يحاولون إجراءها على حدود إسرائيل، بدلا من كونها تعبيرا عن الرغبة في السلام... أما الطلبات الإسرائيلية المتكررة للقاء سلام مع الأردن فما هي إلا حركات تكتيكية بقصد إيصالها إلى مجلس الأمن...[93].

استنتج المقدم البريطاني ر. ج. غامن في تقرير كتبه عن واحدة من الهجمات المستمرة التي يقوم بها جيش الدفاع الإسرائيلي بمدافع الهاون على الضفة الغربية «أن الهدف الإسرائيلي المتعمد هو استثارة الجيش العربي لعبور الحدود للرد»، وهم «بهذا قد ينجحون». كذلك مضت المخابرات الأمريكية في تصوير النوايا الإسرائيلية بأنها قاتمة[94].

وعندما انفجرت قنبلة في مكتب البريد في الإسكندرية يوم 2 يوليو 1954 حامت الشكوك حول قدرة الحكومة المصرية على السيطرة على الإرهاب. وسواء أكان الهجوم من عمل الإخوان المسلمين، كما زعم بعضهم، أم من عمل الشيوعيين،

كما زعم آخرون، فقد كان من الواضح أن مصر لم تكن مستقرة، ولذلك فإن البريطانيين الذين كانوا ينوون سحب قواتهم من المنطقة أخذوا يعيدون حساباتهم. وساءت الأحوال بعد اثني عشر يوما عندما انفجرت قنابل في المركزين الثقافيين الأمريكيين في كل من القاهرة والإسكندرية. وقد قوت هذه الأحداث موقف وزير الدفاع لافون عندما قال في مؤتمر صحافي يوم 19 يوليو إن على إسرائيل أن تتصرف بقوة للدفاع عن نفسها ضد جيرانها، وإن حدود إسرائيل (يقصد خط الهدنة) «يجب ألا تعد غير قابلة للتغيير»[95].

في 23 يوليو استهدف مفجرو القنابل دور السينما في الإسكندرية وساحة في محطة القطار فيها أيضا. لكن موجة الإرهاب الوليدة هذه توقفت فجأة. إذ بينما كان أحد المفجرين يقترب من هدفه، وهي سينما ريو التي يملكها البريطانيون في الإسكندرية، انفجرت قنبلته قبل أوانها. وسرعان ما قُبض على ثلاثة عشر رجلا وامرأة واحدة، اتهموا بالتجسس والإرهاب ضد أهداف مدنية مصرية وأمريكية وبريطانية، ومنها دار للسينما ومكتبة، ومركز ثقافي أمريكي. كانت مصر آنذاك تحتل المقام الأول في أفكار لافون؛ لأن المشتبه فيهم لم يكونوا شيوعيين أو متشددين إسلاميين، بل كانوا يهودا وإسرائيليين. نفذت هذه التفجيرات الوحدة الإسرائيلية 131، التي كانت قد أنشئت في العام 1948 لأغراض تخريبية وللقيام «بالدعاية السوداء»، وقد وصفت وكالة المخابرات الأمريكية ما فعلته تلك الوحدة بأنه «عملية تخريبية ضد منشآت تابعة للولايات المتحدة والمملكة المتحدة، وهي عملية تضليل فاشلة أصبحت تعرف باسم لافون»[96](*).

أشعلت توقيفات مصر اتهامات بمعاداة السامية. وحذّر المدير السياسي للمؤتمر اليهودي العالمي الحكومة البريطانية من نشوب حملة ضخمة ضد اليهود في مصر، وحذّر آخرون من موجة مذابح جديدة. غير أن الحاخام ناحوم، كبير حاخامي الجماعات اليهودية في مصر، رد بالتصريح الآتي:

(*) قيل إن توقيع لافون على الأوامر التي سمحت بالبدء بعملية التعمية هذه مزيف. وكان اسم العملية السري هو عملية سوزانا. وتقول الوثيقة 151273/TNA FO 371 التي أفرج عنها في سيتمبر من العام 2013 إن رئيس المخابرات العسكرية الذي قدم الخطة للافون، وهو بنيامين غفلي، كان آنذاك ملحقا عسكريا في لندن. كذلك تذكر الوثيقة محاولة إسرائيلية مزعومة لاغتيال الرئيس المصري عبد الناصر في العام 1960.

أرى أن من واجبي أن أعلن أنه لا وجود للإرهاب العرقي ضد الجماعات اليهودية في مصر. فالسلطات المصرية، على العكس من ذلك، أظهرت تعاطفها مرارا مع اليهود المصريين، لاسيما في ظل النظام الحالي [أي نظام ناصر][97].

وهذا ما ذكره أيضا ت. و. غارفي من السفارة البريطانية في القاهرة. «معاداة السامية كما هي معروفة في أوروبا ليس لها ما يماثلها» في مصر، «وقد شددت الحكومات المصرية المتعاقبة، ولا سيما هذه، على التسامح الديني». ومع ذلك فإن الحكومة الإسرائيلية ضغطت على بريطانيا للإفراج عن المتهمين «ولتحريك معاضدة الرأي العالمي» ضد المصريين. وقالت محذّرة إنه إذا ما صدر حكم بالإدانة «فإن رد الفعل في إسرائيل سيكون عنيفا جدا». وكان الرأي النمطي في الغرب هو هذا الذي عبّرت عنه صحيفة المانچستر غارديان: إن الاتهامات الموجهة ضد المتهمين لا يمكن تصديقها. «ما الفائدة التي كان يمكن لإسرائيل أن تجنيها» من تفجير المنشآت الأمريكية والبريطانية؟[98].

غير أن الجواب جاء سريعا بالكلمات المباشرة من وكالة المخابرات المركزية: رتبت إسرائيل تفجيرات «عربية» «لتعكير العلاقات بين مصر والغرب». أما محليا فقد استخدمت إسرائيل سيطرتها المحكمة على الأخبار للمحافظة على مصداقية إنكارها، ولم تعترف بالفضيحة لمواطنيها حتى العام 2005، عندما كرمت المشاركين في العملية في حفل في القدس، ومنحت شهادات تقديرية لثلاثة منهم كانوا لايزالون على قيد الحياة. أما الأرشيفات الإسرائيلية المتصلة بالعملية فمازالت سرية[99].

كانت إسرائيل «مصممة على الانتقام» من مصر بعبارة تدي كولك بسبب إعدامها اثنين من مفجري القنابل في «حادثة لافون». وجاءت الأعذار الكاذبة في 23 و25 فبراير 1955 عندما سرقت خرائط ووثائق من منشأة عسكرية إسرائيلية، وقتل شخص يركب دراجة هوائية قرب تل أبيب، وهي حادثة نسبتها إسرائيل إلى متسللين من غزة. ولذا فإن إسرائيل رتبت هجوما وحشيا على المدنيين في غزة في 28 فبراير، وكان هذا الهجوم أشد الهجمات على قطاع غزة دموية منذ حرب 1948[100].

لكن الأعذار التي قدمتها إسرائيل فشلت في تفسير وحشية المذبحة، ولذا فإن بن غوريون اخترع كذبة رسمية لتهدئة الإدانة العالمية. قالت القصة الجديدة إن

دورية مصرية قد نصبت فخا لدورية تابعة لجيش الدفاع الإسرائيلي داخل الأراضي الإسرائيلية، ولذا فإن وحدة إسرائيلية لاحقت العرب داخل غزة للدفاع عن النفس. وصدرت الأوامر للجنود بتكرار القصة لمراقبي الأمم المتحدة إن سُئلوا. أما شاريت فقد شكك في مجالسه الخاصة في أن يصدق القصة أحد، وكان مصيبا في ذلك. فكما ورد في تقرير للسفارة البريطانية في تل أبيب: «لم يخدع الادعاء أحدا، ولذلك تخلوا عنه على الفور». وللمرة الأولى صوت مندوبا كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي لمصلحة قرار يضع اللوم على إسرائيل[101].

لم تنقطع الهجمات الإسرائيلية عبر الحدود في أثناء مؤامرة لافون. فقد حدث واحد منها في 11 سبتمبر 1954 عندما أطلق مستوطنون من تعاونية ميفو بيتار النار على أطفال فلسطينيين يسبحون في بركة تقع في الضفة الغربية على مبعدة نصف كيلومتر من خط الهدنة، فجرحوا صبيين أحدهما في الثانية عشرة والآخر في الثالثة عشرة جراحا بالغة. ولكن لم يتخذ أي إجراء ضد الفاعلين[102].

في صباح اليوم التالي لبدء محاكمة مفجري القنابل في «فضيحة لافون» في القاهرة في 12 ديسمبر 1954 غادرت طائرة ركاب سورية مدينة دمشق في رحلة روتينية مقررة إلى القاهرة. طارت الطائرة غربا فوق لبنان، وبعد أن أصبحت فوق البحر الأبيض المتوسط اتجهت جنوبا. وقدر رجل أعمال أمريكي كان من بين الركاب أن الطائرة كانت تبعد نحو 70 ميلا بعيدا عن الساحل عندما اعترضت مسيرتها طائرات مقاتلة إسرائيلية من دون سابق إنذار وأجبرتها على الهبوط في مطار اللد - وهو عمل من أعمال القرصنة الجوية «لم يسبق له مثيل في تاريخ الممارسات الدولية» كما قالت وزارة الخارجية الأمريكية لشاريت. ادعت إسرائيل أن اعتراض الطائرة جرى فوق أراضيها في عكا (لكن عكا مدينة فلسطينية استولت إسرائيل عليها في العام 1948)، أي ما يقارب ستين كيلومترا جنوب المكان الذي عبرت فيه الطائرة الساحل في طيرانها غربا من دمشق وفق تقدير الشاهد الأمريكي. وكان التفسير المتداول آنذاك لما حدث هو أن إسرائيل أرادت أن تستعمل المسافرين رهائن لاسترجاع الجنود الإسرائيليين الخمسة الذين قبضت عليهم سورية قبل وقت قصير في مرتفعات الجولان وهم يغيرون بطاريات أدوات التنصت الإسرائيلية على خطوط الهاتف السورية[103].

في ديسمبر تسلل إسرائيلي وإسرائيلية إلى الأردن في منطقة تقع جنوبي البحر الميت. وكما حصل في حادثة «سواح البترا» قبل سنتين تصرفت إسرائيل كأن هذين المتسللّين يجب ألا يلاقيا المصير الذي سيلاقيه فلسطيني يتسلل داخل المناطق التي تسيطر عليها إسرائيل. فعندما لم يعودا في فبراير من العام 1955 طلب مراقبو الأمم المتحدة المعونة من البدو المحليين. وتمكن الفريق المكون من البدو ومراقبي الأمم المتحدة من العثور على الجثتين، ولكن لم يكن ثمة ما يشير إلى ما حدث. لكن إسرائيل ردت بأن أرسلت دورية عسكرية دخلت أراضي الضفة الغربية مسافة 15 - 20 كيلومترا، واختطفت ستة من البدو عشوائيا، واصطحبتهم إلى الجانب الإسرائيلي وقتلت خمسة منهم، أربعة بالسكاكين، والخامس بإطلاق النار عليه. وكان أحدهم في السادسة عشرة. أما السادس فقد أعادوه ليخبر بأن القتلى الخمسة قُتلوا انتقاما «للسائحين» الإسرائيليين. نشرت إسرائيل قصة مقتل الشخصين الإسرائيليين نشرا واسعا، وهي قصة لم تُعرف تفاصيلها، ولكن ما يصعب تفسيره هو أن إسرائيل لم تقدم شكوى إلى الهيئة المختلطة للهدنة «بحيث يتمكن مراقبو الأمم المتحدة من البدء في التحقيقات المعتادة». ومنع بن غوريون محاكمة الجنود لقتلهم البدو. وقدّر المقدم ر. ج. غامن أن تكتيك «اختطاف فلاحين منعزلين قرب الحدود وقتلهم في المنطقة الإسرائيلية» سيحل محل الهجمات الأكبر والأقل عددا فوق أراضي الضفة الغربية[104].

تمنى المسؤولون البريطانيون ألا يضطروا إلى الالتزام ببنود معاهدة الدفاع التي عقدوها مع الأردن، وتجنبوا المسألة بتفكيك الكلمات: هل كانت إسرائيل «تهاجم» الأردن أم «تُغير» عليه فقط؟ أما العسكريون فقد أخذوا معاهدة الدفاع مأخذ الجد؛ لأن عدم استقرار الأردن سيسمح للسوفييت بممارسة مكائدهم. ففي أوائل العام 1954، بينما كان المسؤولون عن عملية «لافون» منشغلين بتنفيذ تفجيراتهم، كان البريطانيون يطورون خطة سرية للقضاء على سلاح الجو الإسرائيلي بكامله، إلى جانب المنشآت العسكرية وتلك المخصصة للاتصالات، لوضع حد للاعتداءات الإسرائيلية. وتحضيرا لذلك حركت سرية تتكون من 20 دبابة و100 جندي من منطقة السويس لدعم حاميتها الصغيرة في العقبة[105].

وهذا ملخص للخطط يعود تاريخه إلى 27 أبريل 1955:

شل سلاح الجو الإسرائيلي باستعمال جميع التعزيزات المخطط لها من القواعد الآتية: نيقوسيا، أبوصوير، فايد، عمان، المفرق. القيام بعمليات ضد الأهداف العسكرية في إسرائيل، خصوصا مراكز الاتصالات ومنشآت النفط[106].

كانت بريطانيا تقدم المساعدات العسكرية لإسرائيل، حتى عندما كانت تحتج على جرائم إسرائيل، وتحاسب النفس حول واجبها في الدفاع عن الضفة الغربية. ولم تعترف لنفسها إلا في أكتوبر من العام 1953 «بأن قوة إسرائيل العسكرية كانت في جانب منها مدينة لمعونتنا نحن»، وأخذت تتحدث عن إيقاف هذه المعونة[107].

كذلك جرى التفكير في استعمال القوة العسكرية لوضع حد للعدوان الإسرائيلي على غزة، وعلى تحركاتها داخل منطقة العوجة المنزوعة السلاح التي تقع تحت إشراف الأمم المتحدة، وهي منطقة يشبه شكلها شكل السلحفاة أسفلها هي الحدود المصرية. كانت المنطقة في الحقيقة جزءا لا يتجزأ من غزة، وكان المفروض أن تكون فلسطينية، ولكن ما نعرفه باسم «قطاع غزة» هو كل ما تبقى منها بعد سنة 1948[108].

في أبريل من العام 1955 اقترحت وزارة الخارجية الأمريكية على وزارة الخارجية البريطانية أن على المملكة المتحدة «أن تنظر بسرعة في الإجراء الذي علينا أن نتخذه إذا ما قامت إسرائيل بمحاولة متعمدة لتغيير الحدود مع المنطقة التي تحتلها مصر [أي قطاع غزة]»، حيث يدل الضمير في الفعل «نتخذه» على العمل المشترك بين الولايات المتحدة والمملكة المتحدة. وبعد أربعة أشهر اقترحت وزارة الخارجية بالفعل الاستعانة بالولايات المتحدة في هجوم على إسرائيل لوضع حد لعدوانها على قطاع غزة[109].

كانت إسرائيل تتعامل مع المنطقة المنزوعة السلاح كأنها منطقة خاضعة لسيادتها، فأقامت معسكرا عسكريا (دعته كيبوتس)، وزرعت فيه حقول ألغام (دعتها «غير عسكرية»). ولم يكن لمصر أي ترتيبات عسكرية فيها، ولم تدع ملكيتها لها. لكنها وضعت علامات إسمنتية في الجنوب حددت بها وجهة نظرها حول الحدود المصرية للمنطقة المنزوعة السلاح (ولم تكن دقيقة فيها). وبعد أخذ ورد يوم 2 نوفمبر، استولى الجنود الإسرائيليون على موقع الأمم المتحدة في المنطقة المعزولة السلاح ودمروا الموقع المصري، وقتلوا نحو خمسين مصريا. ثم أجبرت إسرائيل موظفي الأمم المتحدة الذين وضعوا هناك لحفظ السلام على الخروج من



فقرة مجتزأة من وثيقة تاريخها 27 أبريل 1955، من G.H.Q. (أي القيادة العامة) القوات البرية في الشرق الأوسط، إلى وزارة الدفاع، لندن، فيما يتعلق بالخطط البريطانية لمهاجمة إسرائيل(*).

المنطقة على أمل تكرار النجاح الذي حققته في الاستيلاء على جبل سكوپس، لكن أولئك الموظفين راحوا يمارسون نشاطهم من غزة بقدر المستطاع[110].

بعد ذلك نشرت جميع الصحف الإسرائيلية تقريرا يثير الرعب («أوحى به الجيش الإسرائيلي» في تقدير وكالة المخابرات المركزية) لخلق ما دعته الوكالة «بارتفاع درجات حمى الحرب». وقد توقع ذلك التقرير ازديادا كبيرا في القوة العسكرية العربية، وحذّر من تزايد الضعف الإسرائيلي. ثم رفعت إسرائيل من درجات الحمى بنقل الأفراد والمعدات إلى النقب لتقوم بما دعته مناورات يراد لها أن تجرى في شهري يناير وفبراير من العام 1956. ثم نُسجت الأخبار كلها لتكون أخبارا سيئة. وعندما أقيل العميد(**) (الجنرال) غلب من منصبه في مارس، بعد

(*) صورة مستنسخة عن وثيقة مطبوعة. [المترجم].

(**) هذا هو المصطلح الذي يعطيه القاموس العسكري الموحد مقابل رتبة General الواردة في الكتاب. كلمة «الجنرال» شائعة في الصحف، ولكن معناها غائم لأنها تعريب آلي للكلمة. والقاموس المذكور نفسه يقول: إن General تعني «عميدا فما فوقه». وقد وجدت أن «غلب باشا» يدعى فريقا في موقع ويكيبيديا عنه. أما قاموس المورد عربي - إنجليزي فيقول إن الفريق هو lieutenant general، وهو بهذا يتفق مع القاموس العسكري الموحد، ولا يتفق مع قاموس المورد إنجليزي - عربي حيث نجد أن الكلمة تعني: لواء؛ جنرال. أما المغني الأكبر فيضع أمام عبارة general officer (وهي عبارة غير طبيعية) عبارة «ضابط عسكري في رتبة الزعيم (أو أعلى) في القوات المسلحة». صدر القاموس العسكري الموحد عن الجامعة العربية في العام 1970، لكن يبدو أنه لم يوحد، كما كان يرتجى منه! [المترجم].

أن ظل شوكة في خاصرة إسرائيل لوقت طويل، حذرت الصحافة الإسرائيلية من «أن التهديد لإسرائيل تضاعف بشكل خطير مع رحيل غلب»[111].

لكن من المفارقات التاريخية أن «عملية لافون»، التي فشلت، أثرت على مجرى الأحداث في النهاية بحيث تحقق ما كان مرجوا منها تقريبا، ولو بصورة ملتوية. فالمذبحة التي ارتكبتها إسرائيل في غزة في 28 فبراير انتقاما لإعدام اثنين من إرهابيي لافون كانت بمنزلة الشرارة التي أشعلت برميل البارود الغزي الذي أوجدته إسرائيل - وهو ما وصفته وكالة المخابرات المركزية آنذاك بـأنه «200 ألف من اللاجئين الفلسطينيين الذين تملؤهم المرارة ومشاعر الإحباط بعد قضاء ست سنوات في المخيمات»، والذين فشلت الأمم المتحدة في حمايتهم «ضد الهجمات الإسرائيلية». تظاهر لاجئو غزة ضد النظام المصري لعجزه عن حمايتهم، وأوقف ناصر مفاوضات السلام السرية مع إسرائيل، وأوقف البريطانيون والأمريكيون مبادرة «مشروع ألفا» لإيجاد سلام دائم، وتشكلت جماعات الفدائيين التي أخذت تهاجم جنوبي إسرائيل، وأعطت هذه الهجمات بدورها الحجة لاحتلال غزة التالي، والذي قُتِل فيه مئات آخرين من المدنيين. وازداد الضغط على ناصر لشراء أسلحة، ولما عجز عن شرائها من الولايات المتحدة، عقد صفقة مع تشيكوسلوفاكيا. وقال سفير بريطانيا في إسرائيل في تقرير يعود إلى العام 1956 «إن الفكرة القائلة بإن إسرائيل كانت مسؤولة عن قرار مصر في أغسطس أن تقبل أسلحة شيوعية بهجومها على غزة في 28 فبراير 1955 ليست ضربا من الخيال».

خشيت الولايات المتحدة من تأثير السوفييت في المنطقة، وغضبت غضبا شديدا من ناصر (على رغم أن إسرائيل كانت قد اشترت أسلحة من تشيكوسلوفاكيا في العام 1948). وبدا أن آمال ناصر في الحصول على قرض أمريكي لبناء السد العالي في أسوان قد تبخرت، وهذا ما دعاه إلى تأميم قناة السويس. وعندما أعلن ناصر هذا القرار في 26 يوليو فإنه قرر مصيره بيده. فقد سمم علاقته بالغرب وصار «تغيير النظام» هو الحل، ووجه رئيس الوزراء إيدن أنظاره إلى العمل العسكري للتخلص منه[112].

وهكذا فإن بريطانيا انضمت إلى إسرائيل وفرنسا ضد مصر، في العملية المسماة «مسكتير» (الجندي) بدلا من أن تهاجم إسرائيل لحماية الأردن أو مصر، وبذلك بدأت الحرب المعروفة باسم أزمة السويس. غير أن خياري بريطانيا

المتناقضين في الظاهر – تدمير القوى العسكرية الإسرائيلية في مقابل انضمامها معها ضد مصر – بقيا حيين معا. التعليمات المدهشة التالية كتبتها هيئة الأركان:

> إذا ما طُلب تنفيذ هذه العمليات [شل قدرات الاتصال الخاصة بالقوة الجوية الإسرائيلية] بينما يجري الاستعداد لعملية مسكتير [أي الهجوم البريطاني الإسرائيلي الفرنسي المشترك ضد مصر] فإنها [أي الهجمات ضد إسرائيل] ستكون لها الأولوية، ومن ثم سيكون تأخير مسكتير مقبولا[113].

وهذا يعني أن هجوم بريطانيا ضد إسرائيل سيؤجل التعاون مع إسرائيل ضد مصر فيما بعد، ولكنه لن يوقفه بالضرورة. وبعد تأجيل عملية مسكتير، التي كان المقرر لها أن تبدأ في 15 سبتمبر، «لأسباب سياسية» استمر كبار العسكريين البريطانيين بمناقشة الإجراءات اللوجستية، وبتبادل الخطط لهجوم بريطاني على إسرائيل. وإذا ما بدأ الهجوم على إسرائيل فإن سرايا من مالطة، وألمانيا، وقبرص الموضوعة لمصلحة عملية مسكتير ستُستَعمل، من دون التأثير في استعدادها للمشاركة في عملية مسكتير إن تقرر تفعيلها[114].

كذلك لن يحدث العكس: فانطلاق عملية مسكتير ضد مصر لن يعني أن بريطانيا لن تهاجم إسرائيل فيما بعد. وهذا التناقض الظاهر يمكن تلمسه في هذه التعليمات الصادرة من وزارة الدفاع في 18 أكتوبر، أي في وقت لا يتجاوز أحد عشر يوما من غزو إسرائيل لمصر في المرحلة الأولى من عملية مسكتير:

> ندعو الوزراء إلى تحاشي أي نقد لإسرائيل حال البدء بعملية مسكتير إلى حين استسلام مصر، أو إلى أن نتمكن من توجيه الحد الأقصى من جهودنا ضد إسرائيل[115].

ومن بين التعقيدات الكثيرة التي كان على البريطانيين التفكير فيها احتمال مساندة الأردن مصر في أثناء تنفيذ عملية مسكتير، فإن حدث ذلك فإن بريطانيا قد تجد نفسها مضطرة إلى الهجوم على الأردن؛ وبالنظر إلى أن قبرص ستبقى مهمة للعمليتين (مسكتير وإسرائيل) فإن الهجوم البريطاني على إسرائيل قد يؤدي إلى هجوم تقوم به إسرائيل وإلى قتلى فرنسيين على الجزيرة[116].

تابعت إسرائيل هجماتها على الضفة الغربية في أثناء الاستعداد لمعركة السويس، فقد قُتِل نحو عشرين فلسطينيا في غارة على الخليل يوم 11 سبتمبر، وقُتِل نحو

تسعين شخصا بعد هجوم على قلقيلية ليلة العاشر من أكتوبر. لكن الطلب الأردني الجديد للحماية البريطانية، بعد هجوم قلقيلية، لم يعد قابلا لأن ينظر فيه لأن إسرائيل غزت مصر في التاسع والعشرين منه. وبذلك بدأت عملية مسكتير[117].

رافقت التحرك الأول في المؤامرة لزعزعة الاستقرار في مصر مذبحةٌ حسنة التوثيق من المذابح التي ارتكبتها إسرائيل ضد غير اليهود داخل إسرائيل (وليس عبر خط الهدنة في فلسطين). كانت إسرائيل قد فرضت منعا للتجول من الساعة السادسة مساء على قرية كفر قاسم (لأن غير اليهود يخضعون للأحكام العرفية)، ولكن قيل لسكان القرية في الساعة 4:45 من عصر ذلك اليوم إن منع التجول يبدأ مباشرة عند الساعة الخامسة. وكان كثير من القرويين منتشرين في الحقول ولم يكن في الإمكان إعلامهم بالتغيير والعودة في خمس عشرة دقيقة. ولذلك قتل الجنود الإسرائيليون في الساعة التالية اثنين وعشرين طفلا تتراوح أعمارهم بين الثامنة والسابعة عشرة، وثماني نساء (كانت إحداهن حاملا)، وتسعة عشر رجلا بالرصاص في طريق عودتهم من عملهم في ذلك اليوم.

بعد انتهاء أزمة السويس بقيت القوات الإسرائيلية في غزة، وبدأت عملية كبرى لإعدام المدنيين والجنود. وتقول أرقام الأمم المتحدة إن الأسابيع الثلاثة الأولى من احتلال غزة شهدت قُتِل الجيش الإسرائيلي 447 - 550 مدنيا «بدم بارد وبلا سبب واضح» كما قال رئيس الهيئة المصرية الإسرائيلية المشتركة للهدنة. وقتل ما بين 49 و100 من اللاجئين عندما سيطرت على رفح في اليومين الأولين من نوفمبر، وأُعدِم بضع مئات من الأشخاص، نصفهم من اللاجئين منذ العام 1948، عندما احتل الجيش الإسرائيلي خان يونس في 3 نوفمبر. وعندما أشارت إسرائيل إلى «نشاط الفدائيين» لتسويغ احتلال غزة «سخرت» إدارة آيزنهاور من التفسير الإسرائيلي. فردت صحيفة «الجروزالم بوست»، التي عدتها وكالة المخابرات المركزية معبرة عن موقف الحكومة، على ذلك باتهام الولايات المتحدة بأنها «تفتقر إلى روح الصداقة» تجاه إسرائيل وبأنها «تلخص جوهر السياسة الأمريكية ضد إسرائيل».

استخدمت إسرائيل الهجوم على مصر للاستيلاء على سيناء بهدف ضمها إلى أراضيها. وهنا رأى آيزنهاور، «الجنرال» الشهير من أيام الحرب العالمية الثانية، أن إسرائيل قد تجاوزت حدها، وهدد بالتوقف عن دعم إسرائيل إن لم تُخلِ سيناء،

وعلى عكس رؤساء الولايات المتحدة السابقين واللاحقين، لم يتراجع هذا الرئيس عن موقفه. وكانت الشخصيات البارزة في إدارته من أمثال وزير الخارجية دلس تحذّر في مجالسها الخاصة من أن إسرائيل كانت في حقيقة الأمر هي التي تدير سياسة الولايات المتحدة الخارجية، وكان الضغط على آيزنهاور للخضوع لإسرائيل من القوة حتى أنه في 20 فبراير 1957 ظهر على شاشات التلفزيون القومي ليفسر ما كان في أي موقف آخر لا يستدعي التفسير: لماذا يُسمَح لأي شعب بأن يستولي على أراضٍ بالقوة وأن يضمها إلى أراضيه أو أن يفرض شروطا على انسحابه منها. لكن بن غوريون تمسك بموقفه، وقال للعالم إن مطالب آيزنهاور «تضعني تحت ضغط أخلاقي عظيم... بصفتي إنسانا ويهوديا، وهو ضغط العدالة التي كان شعبي يحارب من أجلها». ما كان بن غوريون يلمح إليه هو أن إسرائيل كانت ضحية التمييز «لأننا قليلون، ضعفاء، وربما معزولون». غير أن إسرائيل انسحبت في نهاية المطاف بديبلوماسية إنقاذ ماء الوجه[118].

أرست إسرائيل، مع نهاية حرب السويس، وهي حربها الأولى بعد حصولها على صفة الدولة، أساليب التوسع والتطهير العرقي، وهي الأساليب التي لاتزال تخدمها في هذه الأيام: محافظتها على سياسة التهديد الوجودي، وهي النتيجة الطبيعية لعدوانها واستثارة الآخرين لهذا الغرض؛ واستيلاؤها على الأثر الأخلاقي لمعاداة السامية وللهولوكوست وتبريرها له؛ وتجريدها الفلسطينيين من إنسانيتهم؛ وادعاؤها بأنها دولة اليهود الموعودة؛ وخداعها لسكانها اليهود بميزة الدم الخالص. إن الأساطير التي أثارت الإرهابيين لتنفيذ أفعالهم الإرهابية أصبحت هي ما تسرده الدولة على أنه تاريخها، ولاتزال هذه السردية الأسطورية أقوى أسلحة إسرائيل. ولو أريدَ لهذا الكتاب أن يمضي ليروي تاريخ العقود اللاحقة لتبدلت الظروف والشخصيات، ولكن النفسية والخمول اللذين تتصف بهما حركة الاستيطان المصممة على «استعادة» الأرض «الخالصة عرقيا»، وهي الأرض التي تدعي أحقية خلاصية/ غيبية messianic فيها ستبقى ثابتة.

9

خاتمة:
الانتقال إلى الحاضر

عاد الوضع في إسرائيل - فلسطين بعد أزمة السويس إلى الوضع «الطبيعي» - حيث تعني كلمة «الطبيعي» الوضع الخانق الذي ظل يخنق فلسطين منذ أوائل العام 1948. وفي نظر المجتمع الدولي يعتبر هذا الخنق الذي لا يرحم للحياة الفلسطينية ثابتا، ولهذا فهو يدل على السلام. أما الظلم السائد الذي لا يقبله العقل فيبقى وضعا دائما من العنف؛ الذي ينظر إليه على أنه الوضع الطبيعي، الذي يزداد عنفا، إلى أن تتخذ إسرائيل خطوتها التالية. وعندما جاءت حرب الأيام الستة في العام 1967 عادت إسرائيل إلى التطهير العرقي؛ فطردت ثلاثمائة ألف فلسطيني من أراضيهم. تلك الحرب أتت

«إن الإرهاب - وهو العنف الموجه ضد المدنيين - هو الوسيلة الوحيدة التي يمكن بواسطتها إخضاع شعب راسخ الجذور، وتجريده من إنسانيته، وإخراجه من أرضه. هذه - من غير رتوش - هي حقيقة الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني»

بخنوع أمريكي آخر بعد أن شنت إسرائيل هجوما مركزا مدمرا من الجو والبحر على السفينة لبرتي، وهو هجوم وصفته إدارة جونسن بأنه «حادث» في محاولة منها لإخراس الناجين. واتخذت الأمم المتحدة قرارات جديدة هي أشباح باهتة بالمقارنة مع القرارات السابقة الصادرة في 1948 - 1949 وتجاهلتها إسرائيل. واشتد الخناق على فلسطين والفلسطينيين، وعاد «السلام» العنيف إلى الظهور. وعندما «ضمت إسرائيل القدس الشرقية في العام 1980 صدرت عدة قرارات من مجلس الأمن تطالب إسرائيل بالتوقف عن طرد غير اليهود وعن تدمير المواقع الأثرية غير اليهودية. وعلى رغم أن هذه القرارات حذّرت إسرائيل صراحة من أن اندفاعها إلى خلق «وقائع على الأرض» لن يغير شيئا، فإن هذه القرارات لحقت سابقاتها إلى مقبرة المطالب التي لم يُستجب لها[1].

وبما أن كل تحدٍ جديد مارسته إسرائيل قُوبل بطلبات أضعف فإن النتيجة هي أنها كُوفئت منذ ولادتها على عدم امتثالها لما يُطلب منها. ومع كل قرار جديد ضعيف نجد أن القرارات السابقة التي لم تُنفذ قد نُسيت، وهو ما يعني أن إسرائيل «أُعطيت» الفرق بين القديم والجديد. وهكذا تُعاد عقارب الساعة إلى الوراء في مسألة عدم الامتثال إلى أن يأتي القرار الجديد، الأضعف، الذي لا ينفذ. وتمثل الإنجاز الأكبر لدولة الاستيطان في حصولها على حصان طروادة المعروف بتفاهمات أوسلو، وهي تفاهمات منحت الموافقة الرسمية على كل ما فرضته بالقوة.

لا يدفع الفلسطينيون وحدهم ثمن دولة الاستيطان. فثمة أجيال من شعوب بعض الدول العربية كُتب عليها أن تعيش في ظل أنظمة مؤيدة لإسرائيل تفرضها عليهم أموال الولايات المتحدة وقوتها، وتشكل عقبة كأداء أمام أي تطلعات شعبية نحو الديموقراطية[2].

وخنق غزة على يد إسرائيل - وهو عنف عميق، لا انقطاع فيه، حتى عندما لا تمطرها بالقنابل أو تطلق النار على فلاحيها أو صياديها - وإخضاعها العنيف للقدس الشرقية والضفة الغربية - كل ذلك يسوق على أنه عبء غير مرغوب فيه، يثقل كاهل بلد ديموقراطي محب للسلام يعيش بين جيران غير متحضرين. وقد جرى تكييفنا لنقبل كل ذلك، مثلما جرى تكييفنا لنقبل كل شيء في إسرائيل - فلسطين: الاجتياحات الإسرائيلية هي دفاع عن النفس؛ الفلسطينيون الذين يقاومون الاجتياح

إرهابيون. وفي أعقاب توسع الاحتلال بعد حرب العام 1967 اشتكى أفراهام شالوم، رئيس شن بيت (وكالة الأمن الإسرائيلية) من عدم وجود هدف «لأن الإرهاب (الفلسطيني) لم يكن قد نشأ». وكان تشديد الاستفزاز الإسرائيلي هو الجواب: بعد ذلك قال شالوم: «من حسن حظنا أن الإرهاب زاد».

عندما ترد حماس أو فصائل أخرى في غزة على هجمات إسرائيل فإن إسرائيل تنبه العالم «للهجمات الإرهابية» و«تدافع» عن نفسها بمذابح ضد السكان الذين تحشرهم أسرى في الشريط المحاذي للبحر. وفي أعقاب العملية المعروفة باسم الرصاص المصبوب (ديسمبر 2008 - يناير 2009) خلّفت إسرائيل وراءها ما قيل إنه أسوأ كابوس - كمية ضخمة من الأسلحة غير المنفجرة داخل غزة - لكن إسرائيل ظلت تمنع خبراء الأسلحة التابعين للأمم المتحدة من تعطيل هذا الكم الهائل من الأسلحة المتفجرة التي وضعتها إسرائيل هناك بنفسها. وعملت كل ما في وسعها لمنع تخريبها لتضمن أن هذه الكمية الكبيرة من الأسلحة ستقع في يد حماس، وعلى نحو أخطر لإسرائيل، في يد الفصائل الأخرى - وهذا هو ما حدث. ولم تلبث عناوين الصحف الإسرائيلية أن راحت تشكو من «الإرهاب» عندما أطلق الفوسفور الأبيض إلى جنوب إسرائيل.

بعد مقتل ما يزيد على عشرة آلاف فلسطيني على يد إسرائيل، منذ تفاهمات أوسلو، حصرت وسائل الإعلام الأمريكية حديثها بخيارين: يقدم معظم المعلقين والكونغرس الأمريكي تأييدا مطلقا للهجمات الإسرائيلية، بينما يقول المعلقون المخالفون إن أفعال إسرائيل ربما فاقت المستوى المطلوب - لها ما يسوغها، نعم، ولكن لربما بالغت قليلا في مسألة «الدفاع». أي إن الجدل المتاح ينحصر في مجال السرد؛ أما ما يحدث فعلا فيبقى مكتوما. لا يسأل عن «الدفاع عن النفس». تستشهد إسرائيل بالدفاع عن النفس لمنع إعادة بناء البيوت التي تقصفها ومحطات التنقية التي تدمرها، والأطباء الذين يعالجون الضحايا، والحصول على الطعام والماء الصالح للشرب (95 في المائة منه غير صالح للشرب في غزة الآن)، وأي شكل من أشكال الاكتفاء الذاتي أو الإنجاز[3].

أما تناول جذور ما يسمى «بالصراع» فهو دائما بيد إسرائيل. وليس لدى الفلسطينيين من أمور يفاوضون عليها سوى حقهم الذي لا يمكن تجاهله

بأن يحصلوا على العدالة. لم يحتل أي فلسطيني إسرائيل أو يحاصرها. لم يسيطر أي فلسطيني على من يسمح له ومن لا يسمح له بالدخول إلى إسرائيل، أو يمنع الطلبة الإسرائيليين من متابعة تعليمهم، أو منع الموسيقيين الإسرائيليين من العزف، أو الرياضيين من المنافسة. لم يستولِ الفلسطينيون على مصادر المياه الإسرائيلية، أو قرروا للإسرائيليين من سيكون قادتهم، وما إذا كانوا سيراجعون طبيبا أو يسافرون إلى بلدهم أو يزورون عائلاتهم. لم يمنع الفلسطينيون الأطفال الإسرائيليين من عزف الكمان أو أن تعلم المدارس الإسرائيلية التاريخ الإسرائيلي. لم يمنع أي فلسطيني الإسرائيليين من وضع منضدة أو كتب في قاعة تدريس، أو أن يأكلوا العدس، أو أن يستخدموا الشامبو من غير conditioner - وهذا غيض من فيض مما تمسك به إسرائيل بقبضتها الديكتاتورية.

ليس لدى الفلسطينيين أسرى إسْرائيليون ليطلقوا سراحهم، والأسير الذي كان لديهم كان جنديا غازيا. ولكن بينما تحول القبض عليه (وإطلاق سراحه فيما بعد) إلى حادثة حازت اهتمام العالم فإننا لا نعلم/ أو لا يشغلنا وجود عدة آلاف من المدنيين الفلسطينيين في غياهب السجون الإسرائيلية في أي وقت من الأوقات، بمن فيهم مئات الأطفال، ويجري تعذيب كثيرين منهم، ويُحبس كثيرون منهم مددا غير محدودة من دون تهم. كذلك لا ينشغل بالنا بالغارات الليلية التي يشنها جيش الدفاع الإسرائيلي، في جميع أنحاء الضفة الغربية؛ لانتزاع الشباب النائمين من بيوتهم بحجة مقاومة احتلال إسرائيل لقراهم. وفي هذا السرد المتلون الذي تقوم عليه أخلاقنا ينطبع في أذهاننا أن أسر جندي غازٍ واحد عمل من أعمال الإرهاب بينما لا تفعل العقود من امتلاء السجون الإسرائيلية بالمدنيين الفلسطينيين المختطفين من فوق الأرض الفلسطينية سوى تأكيد التهديد الوجودي العنيف الذي لا تفتأ إسرائيل تردده[4].

وعندما يُطلب من الفلسطينيين أن يتنازلوا فإن ما يعنيه ذلك أن يُعطوا أكثر مما أعطوا - وقد فعلوا حتى هذا، ولكن مادام الهدف السياسي الصهيوني الأصلي الذي لا يقبل التغيير لم يتحقق بكامله بعد، فإن «عملية السلام» ليست سوى خدعة لكسب الوقت، كما كانت دائما. أما الحل فيتطلب تفكيك الظلم، ليس بالعودة إلى العام 1967، بل إلى العام 1947، والتصالح مع الحقيقة بالعودة

إلى أحداث 1914 - 1917. فلم تكد الحركة الصهيونية، وهي حركة قومية عنصرية، تضع أنظارها على فلسطين بصفتها دولة استيطان تقوم على دعوى الأحقية الجينية، حتى أصبح الوصول إلى نتيجة غير تلك المأساة التي نراها في عناوين الصحف في هذه الأيام مستحيلا. إن الإرهاب – وهو العنف الموجه ضد المدنيين – هو الوسيلة الوحيدة التي يمكن بواسطتها إخضاع شعب راسخ الجذور، وتجريده من إنسانيته، وإخراجه من أرضه.

هذه – من غير رتوش – هي حقيقة «الصراع» الإسرائيلي - الفلسطيني.

ADM 116/3690	CAB 129/32-0010	CAB 24/8
AIR 2/98	CAB 129/74-0046	CAB 24/9
AIR 5/1155	CAB 129/75-0035	CAB 24/18
AIR 8/1895	CAB 129/75-0036	CAB 24/22-0017
AIR 81/7	CAB 129/76-0037	CAB 24/24-0003
AN 2/204	CAB 129/77-0027	CAB 24/24-0004
CAB 104/7	CAB 129/9-0019	CAB 24/26-0015
CAB 104/8	CAB 129/9-0023	CAB 24/263-0020
CAB 128/18-0027	CAB 129/9-0025	CAB 24/263-0055
CAB 128/29-0015	CAB 158/1	CAB 24/27-0058
CAB 128/29-0027	CAB 195/02/0058	CAB 24/27-0093
CAB 128/29-0030	CAB 195/13-0057	CAB 24/270-0008
CAB 128/6-0012	CAB 195/14-0006	CAB 24/272-0015
CAB128/6-0013	CAB 195/5-0006	CAB 24/278-0028
CAB 128/9-0006	CAB 195/8-0037	CAB 24/278
CAB 128/9-0030	CAB 21/2567	CAB 23/28-0063
CAB 128/9-0033	CAB 21/58	CAB 24/282-0005
CAB 129/10-0038	CAB 23/4	CAB 24/36-0032
CAB 129/14-0014	CAB 23/4-0001	CAB 24/4-0014
CAB 129/16/0049	CAB 23/4-0019	CAB 27/1
CAB 129.16/3	CAB 23/78-0014	CAB 65/34/21-0001
CAB 129/17-0045	CAB 23/89-0006	CAB 65/48-0009
CAB 129/18-0007	CAB 23/94-0006	CAB 66/13/48-0001
CAB 129/19-0011	CAB 23/97	CAB 66/58-0028
CAB 129/2-0015	CAB 24/1	CAB 67/4/17-0001
CAB 128/21-0012	CAB 24/2	CAB 79/48
CAB 80/98/33	CO 537/3872	CO 733/457/4
CAB 95/14	CO 67/373/9	CO 733/457/5
CN 5/2	CO 730/153/5	CO 733/457/6
CO 1069/732	CO 730/175/10	CO 733/457/9
CO 1069/734	CO 733/190/5	CO 733/458/13
CO 1071/305	CO 733/250/1	CO 733/463/21
CO 1071/306	CO 733/272/12	CO 733/477/3
CO 1071/307	CO 733/275/4	CO 733/477/4
CO 1071/308	CO 733/283/12	CO 733/477/5
CO 1071/309	CO 733/302/6	CO 733/478/1
CO 1071/310	CO 733/316/11	CO 733/478/2

المصادر

CO 323/1603/3	CO 733/333/8	CO 733/478/3
CO 323/1605/2	CO 733/370/11	CO 733/490/3
CO 323/1605/4	CO 733/380/1	CO 733/58
CO 323/1606/1	CO 733/401/19	CO 73325813
CO 323/1606/3	CO 733/415/4	CO 79347
CO 323/1606/3	CO 733/415/4	CO 967/103
CO 323/1607/1	CO 733/420/19	CO 967/96
CO 323/1652/43	CO 733/439/20	CRIM 1/1951
CO 537/1709	CO 733/439/20	DEFE 4/76
CO 537/1711	CO 733/441/4	ED 49/10397
CO 537/1712	CO 733/443/18	EF 5/12
CO 537/1715	CO 733/443/19	FCO 141/14270
CO 537/1720	CO 733/443/21	FCO 141/14271
CO 537/1723	CO 733/444/17	FCO 141/14280
CO 537/1729	CO 733/446/11	FCO 141/14283
CO 537/1814	CO 733/446/4	FCO 141/14284
CO 537/1820	CO 733/449/34	FCO 141/14286
CO 537/1821	CO 733/456/9	FCO 141/14290
CO 537/1838	CO 733/456/10	FCO 141/14292
CO 537/2270	CO 733/456/11	FO 1018/70
CO 537/2285	CO 733/456/12	FO 1020/361
CO 537/2288	CO 733/456/2	FO 1020/1774
CO 537/2292	CO 733/456/3	FO 1020/2279
CO 537/2295	CO 733/456/4	FO 1071/39
CO 537/2297	CO 733/456/6	FO 1093/330
CO 537/2303	CO 733/456/7	FO 1093/444
CO 537/2366	CO 733/456/8	FO 1093/508
CO 537/3854	CO 733/456/9	FO 1103/1087
CO 537/3855	CO 733/457/11	FO 122/3
CO 537/3856	CO 733/457/12	FO 141/1001
CO 537/3857	CO 733/457/13	FO 141/666
CO 537/3858	CO 733/457/14	FO 141/805
CO 537/3860	CO 733/457/2	FO 262/1741
CO 537/3861	CO 733/457/3	FO 371/75402
FO 266/120	FO 371/45386	FO 371/75455
FO 266/306	FO 371/45387	FO 371/82176
FO 369/4021	FO 371/45406	FO 371/82619

FO 371/103121	FO 371/52530	FO 371/82703
FO 371/ 104735	FO 371/52563	FO 371/82706
FO 371/104779	FO 371/60138	FO 371/89806
FO 371/104781	FO 371/60786	FO 371/91376
FO 371/104782	FO 371/61761	FO 371/91383
FO 371/104785	FO 371/61768	FO 371/91385
FO 371/104788	FO 371/61770	FO 371/91386
FO 371/104789	FO 371/61771	FO 371/91387
FO 371/104791	FO 371/61773	FO 371/91402
FO 371/108548	FO 371/61776	FO 371/91692
FO 371/110941	FO 371/61783	FO 371/91715
FO 371/111069	FO 371/61865	FO 371/91725
FO 371/111098	FO 371/61866	FO 371/97020
FO 371/111101	FO 371/61914	FO 371/98484
FO 371/111104	FO 371/61915	FO 371/98490
FO 371/114788	FO 371/64126	FO 371/98392
FO 371/114789	FO 371/67796	FO 371/98493
FO 371/115816	FO 371/67813B	FO 371/98767
FO 371/ 115898	FO 371/68502	FO 608/99
FO 371/115905	FO 371/68504	FO 624/191
FO 371/121692	FO 371/68512	FO 684/10
FO 371/121744	FO 371/68648	FO 78/5479
FO 371/121776	FO 371/68649	FO 800/221
FO 371/121794	FO 371/68650	FO 800/484
FO 371/121804	FO 371/68651	FO 800/485
FO 371/151273	FO 371/68663B	FO 800/486
FO 371/23245	FO 371/68674	FO 800/487
FO 371/32662	FO 371/68697	FO 816/179
FO 371/40125	FO 371/75192	FO 83/1723
FO 371/40126	FO 371/75340	FO 800/484
FO 371/40127	FO 371/75344	FO 881/4907
FO 371/40129	FO 371/75350	FO 905/111
FO 371/40130	FO 371/75365	FO 917/2315
FO 371/40131	FO 371/75376	FO 919/5
FO 371/45376	FO 371/75377	FO 921/156B
FO 371/45377	FO 371/75387	FO 953/728
FO 371/45378	FO 371/75396	FO 954/19A

المصادر

FO 371/45381	FO 371/75397	GFM 33/97
FO 371/45382	FO 371/75399	HO 45/25586
FO 371/45383	FO 371/75400	HS 4/115
FO 371/45385	FO 371/75401	WO 261/566
HW1/2496	KV 5/36	WO 261/571
KV 2/1390	KV 5/37	WO 261/647
KV 2/1435	KV 5/38	WO 261/648
KV 2/2252	KV 5/39	WO 261/656
KV 2/2264	KV 5/4	WO 261/657
KV 2/2956	KV 5/40	WO 261/658
KV 2/3170	KV 5/41	WO 261/659
KV 2/3171	KV2 2251	WO 261/660
KV 2/3176	KV2 2252	WO 274/79
KV 2/3266	OS 3/419	WO 275/27
KV 2/3428	PREM 11/2691	WO 275/29
KV 2/3680	PREM 11/945	WO 275/30
KV 2/3779	PREM 8/1251	WO 275/31
KV 3/41	PREM 8/1275	WO 275/32
KV 3/41	PREM 8/860	WO 275/33A
KV 3/437	TS 27/3127	WO 275/33B
KV 3/438	TS 27/175	WO 275/34
KV 3/439	TS 27/196	WO 275/35
KV 3/440	WO 169/48	WO 275/36
KV 3/441	WO 169/148	WO 275/38
KV 3/56	WO 168/183	WO 275/58
KV 3/67	WO 169/22957	WO 275/64
KV 4/467	WO 169/24225	WO 275/73
KV 5/11	WO 169/23031	WO 275/83
KV 5/14	WO 169/23233	WO 275/86
KV 5/29	WO 169/4334	WO 275/121
KV 5/30	WO 193/68	WO 32/11347
KV 5/31	WO 201/230	WO 32/11352
KV 5/32	WO 208/1705	WO 32/21899
KV 5/33	WO 208/1706	
KV 5/34	WO 261/562	
KV 5/35	WO 261/564	



الهوامش

مصطلحات ومختصرات

- BL = British Library

- المكتبة البريطانية

- CIA = Central Intelligence Agency (US)

- وكالة المخابرات المركزية (الأمريكية)

- JTA = Jewish Telegraphic Agency

- الوكالة التلغرافية اليهودية

- LOC = Library of Congress (Washington, D.C.)

- مكتبة الكونغرس (واشنطن)

- NYT = New York Times

- نيويورك تايمز

- TNA = The National Archive (Kew)

- الأرشيف الوطني (كيو)

- ZOA = Zionist Organization of America

- المنظمة الصهيونية الأمريكية

المقدمة

(1) TNA, KV 5/34, 112a. See also FO 371/68504, 17-18.

(2) TNA, CO 733/477/5, 148

(3) أعمال ليلينثال ومنوهين وبابيه تجدها في الببليوغرافيا. وحول تمديد مدة الحفاظ على سرية الوثائق الصهيونية انظر على سبيل المثال باراك رافيد: «رئيس الوزراء يأمر بإبقاء أرشيف الدولة مغلقا عشرين سنة أخرى»، هآرتس، 28 يوليو 2010.

(4) كان أكثر من نصف اليهود في فلسطين في منتصف القرن التاسع عشر مولودين خارجها. أخذت الأرقام الخاصة بالسكان من

Itamar Rabinovich and Jehuda Reinharz (eds), Israel in the Middle East: Documents and Readings on Society, Politics, and Foreign Relations, Pre-1948 to the Present (The Tauber Institute for the Study of European Jury Series)

نقلا عن المكتبة اليهودية الافتراضية. تاريخ الرجوع إليها 4 نوفمبر 2015. والرقم الخاص بما يقرب من العام 1900 مأخوذ من دراسة للكاتب جَسْتِن مكارثي استشهد بها في الويكيبيديا: «التاريخ الديموغرافي لفلسطين»، تاريخ الرجوع إليها 23 يوليو 2016.

(5) «العروس جميلة ولكنها متزوجة من رجل آخر» برقية أرسلها حاخامان في فلسطين في العام 1897 يخبران فيها عن إمكانية إنشاء دولة صهيونية. انظر:

Ghada Karmi's Married to Another Man (Pluto Press, 2007).

وانظر كذلك:

Benny Morris, Revisted, 5-6

حيث يقول إنه بينما الأدلة لدعم الصهيونية قبل العام 1948 لنقل السكان «واضحة في واقع الأمر» فإن التطهير العرقي الذي حدث في العام 1948 لم يكن «جزءا من خطة شاملة».

لكن هذه الفكرة لا تتفق مع التصميم والتخطيط الذي استغرق سنوات وأدى إلى ما حدث فعلا، ولا تفسر السبب الذي تتمسك إسرائيل من أجله حتى يومنا هذا! برفض عودة اللاجئين مادام ذلك لم يكن مخططا له. والواقع أن موريس «يأسف لأن المهمة لم تكتمل» (في مقابلة أجريت في العام 2004 تحت عنوان «البقاء للأصلح» أجراها معه أري شافت، في جريدة هآرتس، في 8 يناير 2004)، انظر:

haaretz.com/survival-of-the-fittest-1.61345

تاريخ الاطلاع على المقابلة 16 يونيو 2014.

وعن توسع الإنتاجية الفلسطينية توسعا ملحوظا في القرن التاسع عشر قبل مجيء الصهيونية انظر على سبيل المثال:

Smith, Palestine, 22-23.

(6) فيما يتعلق بالاستعمال الشائع لكلمة «الإرهاب» للدلالة على العنف الموجه ضد العسكر يمكن الاستشهاد بتفجير مدينة أوكلاهوما في العام 1995، وموقع البحرية الأمريكية في بيروت في العام 1983، حيث كان المكان الأول حكوميا والثاني عسكريا، وقد أشير إلى كل من التفجيرين بأنه إرهابي.

(7) يؤمن جميع القادة الصهاينة في واقع الحال بهذه الحجج المناهضة للديموقراطية، ولكن يمكننا الإشارة تحديدا في هذا الكتاب إلى فايتسمان القائل إن «العرب» قوم متخلفون، لذلك فإنهم لا يستحقون الحصول على حق التصويت. ويقول هو ويغن: إن اليهود مواطنون في فلسطين بحكم الدم. ويقولون جميعهم بمن فيهم بن غوريون: إن اليهود كانوا أغلبية في مملكة توراتية شاسعة، وهذا يعطي أحفادهم المزعومين الحق في «العودة». ويقول بن غوريون صراحة (بينما يقول الآخرون ضمنيا على الأقل) إن الدولة الصهيونية غير ملزمة بالمعايير التي تحكم أي قوم آخرين. إن القانون الإنساني العالمي يمنع «الأعمال الإرهابية» ضد الأشخاص الذين لا يشاركون في الأعمال الحربية أو توقفوا عن القيام بها. انظر:

https://www.icrc.org/eng/resources/documents/faq/terrorism-faq-050504.htm

تاريخ الاطلاع على الموقع 2 مارس 2015. وهذا هو تعريف هيئة الأركان المشتركة في الولايات المتحدة: الإرهاب هو الاستخدام غير المشروع للعنف أو التهديد باستخدامه، وكثيرا ما يكون الدافع له دينيا أو سياسيا أو معتقدات فكرية أخرى لإشاعة الخوف وإجبار الحكومات أو المجتمعات سعيا إلى تحقيق أهداف هي في العادة سياسية. (المصدر: نشرة مشتركة بعنوان «مقاومة الإرهاب» تاريخها 24 أكتوبر 2014) وانظر لمزيد من البحث عن تعريفات «الإرهاب» (ولا تؤثر اختلافاتها في التعريف الذي اتخذه هذا الكتاب للبناء عليه):

Cihan and Bailes, Introduction to Weapon of the Strong;

كان سولزبيرغر قاضيا أمريكيا مهما في بداية القرن العشرين.

Richard P. Stevens, "Zionism as a Phase of Western Imperialism", in Abu-Lughod, Transformation, 40-41.

TNA, FO 608/99, 281-295, esp. 287-288

Jewish Legion, Report of the Conference...

FO 1093/330. After 48, 12

UNSCOP A/364/Add.2 PV.19 (7 July 1947)

لم يكن كثير من القادة الصهاينة يثقون بالديموقراطية حتى ضمن المجتمع اليهودي. فهي في نظر بن غوريون عدو «لبناء إرتس إزرائيل على يد اليهود»؛ وقال هو وآخرون إن الصهاينة يعرفون ما هو الأفضل لليهود، لذلك فإنهم ليسوا بحاجة إلى أغلبية أصواتهم (انظر على سبيل المثال «مؤتمر بيغن مع لجنة الأنسكوب في هذا الكتاب»، وفي TNA, 39/KV 5، وفي Sternhell, Founding Myths, 190-191).

(8) TNA, FO 371/91715, 29.

لمزيد عن المقارنة بين سياسة الاستيطان الصهيونية واستعمار أمريكا على يد الأوروبيين، انظر مثلا عدد 27 يناير 1947 من صحيفة «النيويورك تايمز». وتمكن هيمنة الدولة الإسرائيلية على اللغة وزارة الدفاع من نشر كتاب يمجد أبشع العمليات الإرهابية التي ارتكبت في عهد الانتداب (Kister, Irgun).

(9) TNA, CO 733/316/11, 4-6. See also Wasif Jawahriyyeh, Storyteller of Jerusalem: The Life and Times of Wasif Jawahriyyeh, 1904-1948 (Olive Branch, 2013), 228-229.

(10) فيما يتعلق بالمعاملة الأخف لليهود، كان (ولايزال) هنالك ادعاء مناقض يستند فيما يبدو إلى تقرير نشر في Jewish Chronicle في 11 فبراير 1944 يدعي وجود حالات تلقى فيها العرب أحكاما أخف من تلك التي تلقاها اليهود على الاتهامات نفسها. كانت تلك القضايا تتضمن امتلاك المسدسات والرصاص. انظر TNA, FO 371/40126: «الفروق في الأحكام الصادرة في فلسطين على اليهود والعرب على المخالفات المتشابهة». وقد علقت برقية رقمها 299 على «ظروف القضايا التي هي موضوع البحث».

(11) قد يحصل المرء على فرق يتراوح بين 2 إلى 3 في المائة في النسب المئوية الخاصة بالتقسيم. والسبب هو أن القرار 181 أقام منطقة دولية تتشكل من القدس وبيت لحم، ولذلك فإن بعض الأرقام تجمع أراضي إسرائيل وفلسطين معا بحيث يكون الرقم أكبر من 100 في المائة، بينما تستبعد بعض الأرقام تلك المنطقة الدولية، وتقسم البقية. انظر صحيفة «النيويورك تايمز» بتاريخ 10 يناير 1949 و19 يناير 1949. وانظر على سبيل المثال FO 800/487, 55 حول ادعاء بريطانيا أنها لم تعد مسؤولة عن حفظ السلام في فلسطين بعد أن قررت إنهاء الانتداب.

(12) فيما يتعلق بإسرائيل والمعونات الخارجية للفلسطينيين انظر أيضا دراسة جوناثان كك (Jonathan Cook, Mondoweiss.) بتاريخ 8 مارس التي يقول فيها إن 78 في المائة على الأقل من المعونات الإنسانية المرسلة للفلسطينيين تذهب إلى الخزانة الإسرائيلية، وأيضا مقالة أميرة هاس في صحيفة هآرتس بتاريخ 2006/10/4 بعنوان «ليست قضية فلسطينية داخلية».

(13) مع أن التقارير البريطانية تستعمل في العادة الكلمة العامة «عربي»، هنالك مثل واضح على الاستعمال المتعمد لكلمة «فلسطيني» في تقرير عن تفجير فندق الملك داود (في يوليو 1946) يستعمل عبارة «موظفين فلسطينيين» (وليس «موظفين عرباء») لتعيين ما يقرب من نصف القتلى. انظر:

TNA, WO 275/58, 6 Airborne Division, Intelligence Summary No. 3 (to 26 July 46).

الفصل الأول

(1) Anstruther Mackay, "Zionist Aspirations in Palestine," The Atlantic Monthly, July 1920.

(2) فلسطين، 3 نوفمبر 1922، نقلا عن Jewish Chronicle.

(3) انظر كتاب «غرباء مواطنون» (Citizen Strangers) تأليف روبنسن، حيث تجد تحليلا للاستعمار الصهيوني الذي مارسته الصهيونية. وانظر حول أوجه الشبه بين الاستعمار الصهيوني ومشاريع الاستيطان التقليدية كتاب: Veracini, Israel and Settler Society . والاقتباس عن بن غوريون في NYT في 8 يناير 1937، وكان هذا الكلام موجّها إلى بعثة پيل، واستعماله كلمة mandate (انتداب) بالإشارة إلى الكتاب المقدّس جاء للتلميح إلى الانتداب البريطاني. وانظر أيضا الإشارة إلى حقّ اليهود في فلسطين الذي يقوم على الانتداب القديم المذكور في الكتاب المقدّس في:

TNA, WO 275/121, Appendix A, The Voice of Israel .

(4) فيما يتعلّق بـ «ڤايتسمان»، انظر CO 537/1711، 29.

وفيما يتعلّق بليهي، انظر:

Pedahzur & Perliger, Jewish Terrorism, 11.

حذّر ڤايتسمان چيرچل في العام 1946 من أن عدم الخضوع للمطالب الصهيونية لإنشاء حكم تسود فيه الأقلّيّة في فلسطين سيعني «تدمير الهيكل الثالث»، وهذا معناه «تدمير آخر أمل لدى مئات الآلاف من اليهود في جميع أنحاء العالم». وقال بن غوريون وهو يتغنى «بأغنية موسى وأبناء إسرائيل القديمة» عن انتصارات جيش الدفاع الإسرائيلي التي «ستصبح جزءا من المملكة الإسرائيلية الثالثة»، وعن «فرق جيش الدفاع الإسرائيلي التي تمدّ يدها للملك سليمان» (انظر: Sand, Invention, 108). والديانة اليهودية والكتاب المقدّس يستخدمان حتى للأسماء التي تطلقها إسرائيل على حروبها. ويجري الاستشهاد بسفر التكوين، وبالمقولة التي ترد فيه عن خلق الكون في ستّة أيّام في تسمية حرب العام 1967 بحرب الأيّام الستة (رابين هو الذي اختار الاسم. انظر: Michael Oren, Six Days of War, 309 [Ballantine, 2003]). وفي مرحلة أحدث عهدا، تشير عبارة «الرصاص المصبوب» في هجمات إسرائيل ضد غزّة في العامين 2008 و2009 إلى احتفال عيد الأنوار (خانكه)، وتشير عبارة «عمود السحاب»، وهو اسم هجومها على غزّة في العام 2012 إلى سفر الخروج. وكان موشي دايان قد ساوى بين حرب السويس وقصة الخروج، وبين حربي 1948 و1967 والنصر على كنعان. انظر:

Sand, Invention, 112;

Zertal, Israel's Holocaust, 93;

وانظر أيضا الوثيقة الصادرة من مجلس النواب الأمريكي في 30 يونيو 1922 ب، بعنوان:

National Home in Palestine for the Jewish People , cont. Pages 9809-9820.

(5) Herzl, Diaries, 283.

وفيما يتّصل بالصراع حول «اللغة الأم» للمستوطنين: أهي العبرية أم اليدشية... إلخ، انظر:

Dieckhoff, Invention of a Nation, ch.3

(6) حول جَيكُب مَلنك انظر:

The Jewish Transcript, Seattle, 11 Feb 1938,

وبعد الاستئناف:

Evening Telegraph & Post, Dundee, Jan 30, 1939,

Nottingham Evening Post, Jan 30, 1939.

وهنالك تقرير وافٍ في:

The Kentucky Jewish Chronicle, Feb 25, 1938;

Grossman, Pious and Rebellious, 68;

Irgun/Torah, KV 5/40, Principles of Hebrew Freedom Mov't.

(7) Ben-Gurion, "The Redemption", Der Yiddisher Kempfer, 39, 16 Nov. 1917 (Quoted from Zertal, 93).

وفيما يخص مايرتسهاغن انظر:

TNA, FO 608/99, 510.

(8) جرى أحدث تأكيد على المواطنة اليهودية في العام 2013. انظر صحيفة «هآرتس» الصادرة في 3 أكتوبر 2013، حيث يقول أحد العناوين: المحكمة العليا ترفض طلب بعض المواطنين تغيير جنسيتهم من «يهود» إلى «إسرائيليين». الحكومة الإسرائيلية لا تعترف بالمواطنة الإسرائيلية، انظر:

Jonathan Ofir, "Israelis Don't Exist" in Mondweiss, 25 March 2016.

وفيما يتّصل باللواء اليهودي والجنسية اليهودية، انظر:

TNA, WO 193/68, Minute Sheet 35, MS, verso.

في بعض الحالات التي رفعها أفراد ضد الدولة حول هذه القضية رفضت الدولة إعطاء الجنسية لـ «يهودي» تحوّل إلى دين آخر وأنكرت الدولة هويته الإسرائيلية على هذا الأساس. وبالنسبة إلى الهاغانا، انظر صحيفة النيويورك تايمز، 8 مارس 1948. بالنسبة إلى رسالة بن غوريون لأموس، 1937، استعملت الترجمة النقدية الجديدة التي قام بها JPS. كلمة obliged تحتها خطّ في الأصل. وانظر الفصل الخامس من Sand, Invention، ففيه تحليل للنظريات الجينية المختلفة التي يجري التطبيل لها منذ منتصف القرن التاسع عشر حول انتساب «العرق» اليهودي بالدم.

(9) السجلّ الحرفي لما دار في اجتماع اللجنة الخاصة بفلسطين التاسع عشر، الذي جرى في مبنى جمعية الشبان المسيحيين، في القدس، فلسطين، يوم الإثنين 7 يوليو 1947، كذلك طبّق بن غوريون الأفكار المتعلّقة بالانتماء العرقي على الفلسطينيين: ففي شهادته أمام الأمم المتّحدة قال إن الفلسطينيين «عرب» وهنالك كثير من الأراضي التي فيها «عرب»، لذا فإنهم (أي العرب) لديهم أرض ذات سيادة ولا يحتاجون إلى فلسطين. وفيما يتّصل بصانعي الخرائط في العصور الوسطى فإن الخرائط التي تمثّل العالم كانت تعتمد على صانعها أو مشاهدها من حيث تمثيلها الأرض كروية تحتل فلسطين فيها موقعا مركزيا بارزا، أو مستوية، وفيها تكون فلسطين في المركز فعلا. عن «صندوق استكشاف فلسطين»، انظر:

Abu El-Haj, Facts on the Ground.

وانظر أيضا:

Begin, Irgun Zvai Leumi, Official Report.

ويتّضح استمرار العقلية التوراتية لصندوق استكشاف فلسطين حتى عهد الانتداب. انظر على سبيل المثال:

TNA, CO 1071/305, Report on his Britannic Majesty's Government on the Administration Under Mandate of Palestine and Transjordan for the

year 1924, 5.

(10) Segev, Complete, 304.

وهنالك في 5/TNA, FO 919 (في ورقة منفصلة) برقية تاريخها 15 يوليو 1938 أرسلها ليمان شاليت (الذي يبدو أنه حضر المؤتمر) تقول إن روزفلت يمكنه أن يمنح كوتا سنوية لليهود الألمان المهاجرين يمكن أن تبدأ مباشرة من دون الحاجة لعرض الموضوع على الكونغرس. الاقتباس من بن غوريون مأخوذ من Rose, Myths, 135، وانظر:

Brenner, 51 Documents, 149 & 159 n23.

وفيه يقول: «لو علمتُ أن بالإمكان إنقاذ جميع الأطفال اليهود الموجودين في ألمانيا بنقلهم إلى إنجلترا، وإنقاذ نصفهم فقط بنقلهم إلى إرتْس إسرائيل لاخترت الخيار الثاني». تقول براون (في Weeds, 66) إن بن غوريون عبّر عن هذه الفكرة «أكثر من مرة»؛ وانظر أيضا Segev, Complete, 394. يلاحظ سغف، على رغم أنه من المتحمّسين للدولة اليهودية، ميل صهاينة عقد الثلاثينيات «إلى أن يروا في يهود أوروبا مادة بشرية ضرورية لتشكيل الدولة، لا أن يروا في الدولة وسيلة لإنقاذ اليهود».

(11) Grodzinsky, Shadow; Irgun, Herzog, TNA CO 537/1705; KV 5/34, 8c; CO 733/415/4, 20-24; CIA, Consequences, 14; Weizmann, TNA, FO 608/99, 281-295; Ben-Gurion, Quigley, Challenge, ch 3; Ernst, So Far So Good, 173-177; also TNA, FO 800/487,110.

وعن حاجة الصهيونية إلى حصر الاستيطان بفلسطين وحدها يقال إن شاريت تحاشى النقد بقوله إنه يرحّب بكلّ الخطط الهادفة لإقامة مستعمرات يهودية في أقطار أخرى غير فلسطين لأن أي محاولة كهذه محكوم عليها بالفشل (انظر: 148/TNA, WO 169, 'Situation Report', 2).

(12) انظر Braun, Weeds, 82-83. وكذلك حديث المؤلّف مع السيّدة براون في لندن في العام 2007.

(13) Masalha, Expulsion, 7; Erskine B. Childers, "The Wordless Wish: From Citizens to Refugees" in Abu-Lughod, Transformation, 166; Richard Crossman, Palestine Mission: A Personal Record (1947), 159, quoted in Quigley, ch 3; Rothschild, TNA FO 608/99, 218.

في لقاء مع المسؤولين البريطانيين في 22 مارس 1919، وعن المقاومة الفلسطينية المبكّرة انظر:

Qumsiyeh, Resistance, 41

(14) عن آشر زفي غنزبيرغ (اسمه المستعار آهاد هَعام) انظر: Menuhin, Decadence, 63-64 وآخرين.

(15) ناثان، انظر النيويورك تايمز بتاريخ 18 يناير 1914 (ولاحظ أيضا «النشاط الصهيوني الاستعلائي» و«الشوفينية الوطنية اليهودية المتوتّرة». وانظر عن إدوَرْد بيرنشتاين:

Wistrich, Ambivalence to Betrayal, 147.

(16) ت. إ. لورنس، رسالة إلى السير مارك سايْكس بتاريخ 9 سبتمبر 1917،

TNA, CO 733/272/12.

المسافر هو لورنس أوليفانت في العام 1882، في سهل مرج ابن عامر، انظر:

Quigley, Challenge, ch 1.

(17) فيما يتّصل بالصندوق القومي اليهودي، انظر على سبيل المثال:

Stein, "The Jewish National Fund, 180-205";

Hope Simpson, ch 5.

(18) Hope Simpson, ch 1.

(19) تأييد أقوال سمپسن: انظر: CO 733/283/12؛ الرقمان 50-51 مكتوبان بخط اليد.
وبالنسبة إلى فئران الحقول انظر:

Simpson, ch 1;

Sharett, TNA, PREM 11/945, 24.

(20) Lewis French, Supplementary Report on Agricultural Development and Land Settlement in Palestine;

TNA, CO 733/272/12

الاقتباس من پاركنسن مأخوذ من الجهة الأخرى المكتوبة بخطّ اليد من ص11.

(21) في ذلك الوقت (1895) كان هرتزل يكتب في سياق مستعمرة صهيونية مقترحة في الأرجنتين. انظر الجزء الأول من يوميّاته، ص88 و90. انظر عن بن غوريون:

Erskine B. Childers, "The Wordless Wish: From Citizens to Refugees", in Abu-Lughud, Transformations, 168. Labour, ibid., 174, and Gershon Shafir, in Elkins/Pederson, Settler Colonialism, 41-46.

وأما الأساليب الأخرى كسكب البنزين على الخضراوات العربية فقد أدت إلى تجويع الأهالي (انظر على سبيل المثال: Pappé, Ethnic Cleansing).

(22) جريدة فلسطين، 25 مارس 1924، في Palestine Chronicle.

(23) فيما يتّصل بالسير إلِسْ كدوري، فحص المؤلِّف وصيَّته الأصلية الموجودة في كيو:

FO 917/2315: TS 27/175

رسالة كتبها ج. إ. شكبيرغ من شارع داوننغ في 24 مايو 1923؛ TS 27/198.

«السيِّدة برتا غوغنهايمر تترك تركات بقيمة 125 ألف دولار أمريكي»، JTA، 14 مارس 1927.
كان مدير الصندوق ستيفن وايز، القائم بأعمال مدير المؤسسة اليهودية للدين بمدينة نيويورك. وبالنسبة إلى رد فعل الصهاينة، انظر:

Segev, Complete, 390-391.

(24) Ben-Gurion, Palestine Royal Commission Notes on Evidence.

(25) دستور الوكالة اليهودية؛ انظر المادة 3، الأقسام د + هـ ومقالة:

John Ruedy, "Dynamics of Land Alienation", in Abu-Lughud, Transformations, 130.

(26) إسرائيل، قانون العودة، التعديل الثاني، 1970، الفقرة 4أ.

(27) عن ريغن انظر على سبيل المثال Lazin, Refugee Resettlement.... وفي هذه الأيام يمكن مشاهدة امتلاك إسرائيل ليهود العالم في منعها لأي يهودي مهما كانت جنسيته من دخول مدينة الخليل العربية القديمة في الضفّة الغربية (فمثلا ذهب المؤلِّف في نوفمبر 1914 للمدينة القديمة لتعليم آلة الكمان، فأوقفه جنود جيش الدفاع الإسرائيلي لأنه رفض أن ينكر أنه يهودي، ولم يُطلَق سراحه إلا بعد أن قال إنه مسيحي).

(28) Herzl, Zionist Writings, 167. Also The World, October 14, 1897, Quoted from Dreyfus, Wagner, 165-166.

(29) London Standard, 6 Sept. 1897, 5.

(30) TNA, CAB 24/28/0063; CAB 24/4/0014, 7.

والنظر عن دعم النازيين للصهيونية: Nicosia, Third Reich, 19-21 على سبيل المثال.

الفصل الثاني

(1) TNA, FO 608/99, 277-288.

(2) TNA, FO 371/68649, 43.

(3) Yitzhak Epstein, The Hidden Question, Aug. 1907

كانت هذه محاضرة ألقيت في المؤتمر الصهيوني السابع في بازل في العام 1905.

(4) Chamberlain, see Abu- Lughod, Transformations, 35, 37;

Herzl, Diaries (Lowenthal), 412, 407;

Herzl, Jewish State;

وللهدف نفسه الذي تبنّاه فايتسمان انظر:

CO 733/443/18, MS '25 To J.S. MacPherson' in upper left;

وانظر أيضا تعليق فايتسمان في:

CO 733/443/18, E 2399/87/31,

من خلف الورقة حول القيمة النفسية لفلسطين في دولة الاستيطان اليهودية؛ وعن هرتزل وهو يدفع باتّجاه الاستيطان في سيناء انظر:

FO 78/5479;

وعن الاقتراح الذي جرى تداوله بعد الحرب العالمية الأولى لجعل قبرص جزءا من «فلسطين الكبرى» انظر:

FO 608/99, letter from David Treitsch.

(5) Cohen, English Zionists and British Jews, 83-84; also Cheltenham Chronicle and Gloucestershire Graphic, 12 Sep 1903.

كانت أفريقيا الشرقية هي الموقع المستهدف المباشر في العام 1903.

(6) قانون الأجانب للعام 1905، الاقتباسات مأخوذة من:

Tomes, Balfour and Foreign Policy, 201;

Cohen, Churchill and the Jews, 19;

Abu-Lughod, Transformation, 45-46;

وقال أسكوث إن لويد جورج ساند الصهيونية لإبعاد الفرنسيين عن فلسطين.

(7) TNA CAB 24/4/0014,4; CAB 21/58; CAB 24/28/0063,3; CAB 24/4/0014, 2; CAB 21/58.

وانظر أيضا الاقتباس من بنتْوِچ Bentwich الذي يخلط فيه بين اليهودية والجنسية. كانت الصياغة الأصلية ستضمن «الحقوق والوضع السياسي الذي يتمتّع به اليهود الراضون عن جنسيّتهم ومواطنتهم في أي بلد آخر رضاء تامّا». وفيما يتّصل بمحاولة الصهاينة جعل وعد بلفور ينصّ على "re-establishment" («إعادة إقامة») بدلا من "establishment" «إقامة» وطن قومي، أشار التقرير الذي أصدرته الحكومة البريطانية الداعمة للصهيونية من دون خجل عن فلسطين وشرق الأردن إلى «إعادة توطين» «الشعب اليهودي» في فلسطين (310.19/TNA,CO 1071).

وعن رغبة فايتسمان في أن يشير وعد بلفور إلى «العرق اليهودي» ("Jewish race") انظر:

Rhett, Balfour, 31-32.

(8) Montefiore, TNA CAB 21/58, 80-81

وانظر رسالة مونتاغيو إلى روبرت سسل، أول فايكاونت سسل أوف چلوود، في سبتمبر

1917، بعنوان «مذكِّرة عن سياسة الحكومة البريطانية المعادية للساميّة» في CAB 0093/27/24. وفيما يتعلّق بالصهيونية ودخول الولايات المتّحدة الحرب العالمية الأولى انظر پاترك بِشْپ الذي يكتب (في 175 Reckoning, K Locations-176) ما معناه «... إن التصريحات المؤيّدة للصهيونية كان يعتقد أنها مفيدة لإغراء الولايات المتّحدة المتردّدة للدخول في المعمعة» من غير تفسير إضافي. وانظر وثيقة من اثنتي عشرة صفحة مطبوعة على الآلة الكاتبة كتبها جيمز أ. مالكولم عنوانها «أصول وعد بلفور: مساهمة الدكتور ڤايتسمان»، لندن، 1944، المتحف البريطاني، أعيد طبعها في العام 1983 من قبل معهد مراجعة التاريخ Institute for Historical Review؛ وانظر أيضا رسالة مالكولم لـ «ڤايتسمان» بتاريخ 18 يونيو 1948 في TNA, KV 2/3171.

(9)Weizmann, CAB 24/4/0014. 5.

(10) اجتماع مجلس الوزراء بتاريخ 3 سبتمبر 1917، انظر:

TNA, CAB 23/4, large 25, 80

(11) TNA, CAB 23/4, large 25, 80; Proskauer, FO 800/486, 137; Strawson, Partitioning Palestine, 33;

وفيما يتعلّق برسالة روتشيلد وڤايتسمان بتاريخ 3 أكتوبر 1917، انظر FO 371/61783، وكتب رقم 59 في الجزء الأعلى إلى اليمين. في هذه الرسالة لاحظ روتشيلد وڤايتسمان أن «دعايتهما الواسعة لفلسطين يهودية» كانت تجري بموافقة بريطانية.

(12) TNA, FO 608/99, 106, 475-484

وكما روى اللواء ڤوينْس في فبراير 1919، كان ڤايتسمان يريد «أن يتمكّن من طمأنة اليهود في جميع أنحاء العالم بأن بلدا يهوديًا سيجري إنشاؤه في غضون سنة أو سنتين [أي بحلول العام 1921]».

(13) TNA, FO 608/99. 106. 114, 153.

يبدو أن عبارة «الكومنولث اليهودي» تعود أصولها إلى المؤتمر اليهودي الأمريكي.

(14) المصدر نفسه، 104.

(15) المصدر نفسه، 513.

(16) أما فيما يتعلّق بعداء ماينرتْسهاغن للسامية، فانظر على سبيل المثال:

Segev, Complete, 95

(17) عن ماينرتْسهاغن انظر TNA, FO 608/99, 514. لم تنشر بريطانيا الوثيقة الخاصة بماينرتْسهاغن لأنها افترضت أنها ستكون الدولة المنتدبة في فلسطين، وهو ما لم يكن رسميًا بعد. وقد قال السير إيرْل رِچَرْدز، من بين كثيرين، صراحة إنه لم يصدر وعدٌ بإنشاء دولة يهودية، وإن أيَّ وعد كهذا يتناقض مع تعهُّدات قُطعت للعرب (4 فبراير 1919). FO 608/99, 15. وبالنسبة إلى الاقتباس عن ڤايتسمان انظر:

FO 608/99, 281-295.

(18) TNA, FO 608/99, 286-288, 281-283

مع تصحيح الأخطاء الطباعية الواضحة.

(19) TNA, FO 608/99, 385, 388, etc.

يذكر إيلان پاپيه ما يبدو أنه أمثلة لاحقة على ذلك: «في العامين 1920 و1921 تحوّلت هذه الاحتجاجات [ضدّ الصهيونيّة] لاسيّما في المدن الكبيرة مثل القدس ويافا إلى احتجاجات عنيفة إما نتيجة للاستفزازات الصهيونيّة، كما حدث في القدس في أبريل 1920... » (انظر ص35 من كتابه The Idea of Israel).

TNA, FO 608/99, 387.

(20) TNA, CAB 21/58, 18; CO 730/153/5

وهذه صفحة مطبوعة على الآلة الكاتبة تبدأ بعبارة Sir S. Wilson، والصفحة غير المطبوعة قبلها، وكذلك الصفحات الأولى المكتوبة بخط اليد من CO 730/153/5.

(21) صحيفة «نيويورك تايمز»، 5 مارس 1919، جرى تسلم رسالة كان في 4 مارس.

(22) في لقاء مع المسؤولين البريطانيين في 22 مارس 1919، انظر:

TNA, FO 608/99, 218.

66. Said, Orientalism, Vintage Books, 1979;

Jaffa Moslem Christian Committee, March 1919, TNA, FO 608/99, 222, 235.

(23) عن منع الكتابات المعادية للصهيونية، انظر:

TNA, FO 608/99, 192, 196, etc..

وعن فايتسمان:

TNA, FO 608/99, 103

وعن روتشيلد:

TNA, FO 608/99, 214, 217

(في لقاء مع المسؤولين البريطانيين في 21 مارس 1919).

وعن حاكم يافا، انظر:

Segev, Complete, 87.

وعن استبعاد المسيحيين والمسلمين، انظر:

Abu-Lughod, Transformation, 58.

وفيما يتعلّق بمنع المقالات المعادية للصهيونية، حتى الأمير فيصل أراد خنقها لحسابات سياسية خاصة به: انظر:

FO 608/99, 196.

ووفقا لكتاب جفريز عن فلسطين (ص312) جعلت محاولات خنق اللغة العربية التي يتكلّم بها أهل البلد بلدية يافا تصدر تعليمات تجعل اللغة العربية إجبارية على كلّ اللافتات (إلى جانب العبرية والإنجليزية)، ولكن اللجنة الصهيونية تدخّلت وأجبرت المسؤولين على إلغاء هذه التعليمات.

(24) عن لانداو انظر:

Reinharz/Schor, Best School, 92-93;

Segev, Complete, 299, 210;

Ben-Yehuda, Assassinations, 66-67, 137-140.

(25) صحيفة «نيويورك تايمز» في 3 ديسمبر 1922. الخطأ المطبعي موجود في الأصل: "The ...word is askew" [بدلا من . The world] المقدّمة كتبها مراسل الشرق الأوسط وليم إلس، وانظر أيضا:

Smith, Arab-Israeli Conflict, 81-82.

King-Crane Report, section E, 3. 1919.

ادّعت وزارة الحرب البريطانية في العام 1947 أنه «ليس ثمة من أحد يعرف» مصير التقرير الذي أعدّه كنغ وكرين بعد أن سُلّم لسكرتارية الوفد الأمريكي في باريس في 28 أغسطس 1919، مع الإيحاء بأنه لو أخذ ببنوده لأنقذ البريطانيين من ورطة وجدوا أنفسهم فيها، انظر:

UK War Office in 1947, WO 261, 566, Fortnightly Intelligence Newsletter No. 37, 1-14 March 47

(26) King-Crane Report, section E, 3.

كانت أغلبية سكّان المنطقة تريد الاستقلال، وكانت رعاية الولايات المتحدة هي الاختيار الثاني، والرعاية البريطانية الاختيار الثالث.

(27) TNA, FO 608/99, 486-488.

تقرير كتبه اللواء هـ. د. ولسن، الإداري الأعلى، تاريخه 16 أغسطس 1919.

(28) تقرير كتبه رئيس الرقباء ج. ن. كامب في 12 أغسطس 1919 في القدس. ومن المفارقات أنه لا ولسن ولا كامب أدرك أن البريطانيين سيضطرّون إلى إرسال مزيد من القوّات للدفاع ضدّ المستوطنين الصهاينة وليس ضد الفلسطينيّين.

(29) TNA, FO 608/99, 511-513.

(30) King-Crane Report; Segev, Complete, 119.

(31) الاقتباس من تشرشل مأخوذ من السجلات الرسمية للدورة الثانية من اجتماعات الهيئة العامّة، الملحق رقم 11، اللجنة الخاصّة التابعة للأمم المتّحدة عن فلسطين، تقرير للهيئة العامة، المجلّد الأوّل؛ وتقرير مجلس الوزراء في العام 1923. انظر:

CO 733/58, 321.

(32) French, Lewis, "Supplementary Report on Agricultural Development and Land Settlement in Palestine", Director of Development, Jerusalem, April 20, 1932; Weizmann, CAB 24/263/0020, 6.

(33) TNA, CO 733/250/1, pencilled "2", "9".

وعن رفض اليهود للعمل مع الفلسطينيين انظر أيضا ما يرد في:

Report on his Britannic Majesty's Government on the Administration Under Mandate of Palestine and Transjordan for the year 1926, 60

حيث ترد الإشارة إلى إضرابات سببها «رفض العمال اليهود للعمل مع العرب» (TNA, CO 306/1071).

(34) رسالة بخطّ اليد من پول سيغل تاريخها 18 يوليو 1937، ألباسيتي، إسبانيا، مكتبة إلمر هومز بوبست في نيويورك. نقلت إلى الحاسوب في 1 نوفمبر 2011. وأنا مدين بالشكر للبروفيسور فرانسس مناسك لتنبيهي إلى هذه وانظر على سبيل المثال TNA, WO 183/169 حيث ترد إشارات إلى العنف والفوضى داخل المستوطنات اليهودية.

(35) Nicosia, Third Reich, 53.

كذلك جعلت المصالح التجارية بعض اليهود يدحضون الادّعاءات القائلة إن النازيين كانوا يسيئون معاملة اليهود. انظر نادان فِلدمان: «اليهود الذن عارضوا مقاطعة ألمانيا النازيّة»، هآرتس، بتاريخ 20 أبريل 2015.

(36) Nicosia, Third Reich, chapter 3, and 50, 63;

Black, Transfer Agreement;

Brenner, 51 Documents;

Polkehn, "Secret Contacts", 72;

وعندما أُعلن عن انتهاء العمل باتفاقية هافارا في 8 سبتمبر 1939 كانت قد حوّلت 35 مليون دولار أمريكي، أي ما يعادل نحو 600 مليون دولار من دولارات سنة 2016 بحسب قيمة الدولار في العام 1936 (انظر الوكالة اليهودية للتلغراف، 10 سبتمبر 1939، انظر:

Brenner, Age of Dictators, Kindle 2559-2561.

أشكر البروفيسور جوزف مساد، أستاذ السياسة والتاريخ الفكري العربي الحديث، على المراسلات الإلكترونية في مايو 2016 فيما يتعلق بالإشارة إلى بْرنَر.

(37) Brenner, 51 Documents, 115-118;

Nicosia, Third Reich, 62.

ليس واضحا إلى أي حدّ كان پولكس يتصرّف مستقلًا أو يمثّل الهاغانا. يقول بْرنَر نقلا عن المسؤول عن سجلّات الهاغانا إن الملفّات الخاصة بپولكس مغلقة، «لأنها محرجة جدّا» (Documents, 111, 117 51). ولا تتّفق الوثائق حول ما إذا كان پولكس قد ذهب إلى مصر برفقة آيخمان أو التقاه هناك ثانية بعد أن سافرا منفصلين.

(38) تقرير اللجنة الملكية الخاصة بفلسطين، الفصل 22.

(39) صحيفة «نيويورك تايمز» في 8 يناير 1937 (لاحظ الخطأ في الاقتباس المأخوذ عن بن غوريون حيث يشير الاقتباس كما ورد إلى برنامج بازل الذي يعود إلى سنة 1897 على أنه يسبق وعد بلفور (1917) بأربعين عاما، بينما هو يعني من غير شكّ قبل هذا اليوم (1937). ومما يثير الانتباه أن ڤايْتسمان كان قبل سنة واحدة قد أخبر مجلس الوزراء أنه لا يذكر أنه استعمل عبارة «سيكون هنالك وطن قومي يهودي» ولذا فإنه أراد أن تُحذف العبارة من السجلّ. انظر:

TNA, CAB 24/263/0020, 6.

(40) Segev, Complete, 403-404;

وهذه ترجمة موريس في كتابه Righteous: «هذا أكثر من دولة وحكومة وسيادة – إنه تثبيت قوم في وطن حرّ».

(41) الصورة الإخبارية للعام 1933 موجودة في TNA, CO 733/333/8؛ وانظر:

Morris, Righteous, chap. 4.

(في الأشهر الستة الأولى من العام 1936 مات نحو 200 فلسطيني، و80 يهوديا، و28 بريطانيا) راجع صحيفة «نيويورك تايمز»، في 27 أكتوبر 1946.

(42) TNA, CO 537/2303, pencilled "12"; red "49" ADM116/3690

"Report of Proceedings 'Malaya' No. 04895/9";

"Report of Proceedings 'Malaya' No. 04967/9";

CO 733/316/11,

الرسالة كتب عليها بخط اليد Dear Eddie (عزيزي إدي) (الرقم 6 بالأحمر)، ص3: تصريح من قبل ف. أ. بَكلي، رقم 9/04895.

بدأت عملية الهدم في الساعة 16:45 يوم الخميس، 25 أغسطس 1938. لم تمنع كاسحات الألغام حتى يناير 1940، انظر:

TNA, WO 169/148, Notes on G.O.C.'s Conference Held at Force Headquarters on 19 Jan 40, 4.

(43) الإرهاب الفلسطيني:

TNA, MS, N. Ollerenshaw, CO 733/477/3, 196-205.

الإرهاب الصهيوني:

CAB 67/4/17/0001, 1;

War Cabinet, Palestine, W.P. (G.) (40) 17 Jan 1940, 3.

وهناك مثالٌ على سجلات الإرغون في ص63 و64 أعلاه.

(44) Morris, Righteous, K Location 3174.

يؤرخ كلّ من مورس وجريدة فلسطين (المعاصرة للأحداث) (كما في Palestine Chronicle) الهجوم على راماتاييم في 17 أبريل (وتعين فلسطين اليوم بأنه يوم جمعة، وهذا يصادف 17 أبريل على رغم أن الإرغون تؤرخه في 16 أبريل (كما في كتاب كستر عن الإرغون)؛ Kister, Irgun, 246 ;17/4/TNA, CAB 67.

(45) يشير تقرير لوزارة الحرب البريطانية تاريخه يناير 1940 إلى حادثة حدثت في 5 أكتوبر 1939 وإلى القبض على 43 فردا مسلّحا من أفراد الإرغون بزيّ موحّد، وإلى اكتشاف كمية كبيرة من الأسلحة والمتفجّرات في مستوطنة قريبة على أنه أوّل تأكيد لوجود الإرغون بصفتها منظمة معيّنة. قد تكون تلك الإشارة بمنزلة التسمية البيروقراطية لتلك المنظمة، ولكن السجلات البريطانية تشير إلى وجود الإرغون بالاسم على أنها مسؤولة عن الهجمات الإرهابية.

TNA, CAB 67/4/17; Kister, Irgun, 246.

(46) TNA, CO 733/370/11,

ولاسيّما البرقية رقم 383، المرجع رقم 38/K/50، وانظر:

Kister, Irgun, 249.

وصحيفة «نيويورك تايمز» في 12 أبريل 1938.

(47) Kister, Irgun, 251; Pedahzur & Weinberg, Religious Fundamentalism, 100-101.

مع حلول العام 1939 عُرف ما يربو على 60 هجوما إرهابيّا ضدّ المدنيّين الفلسطينيّين. يذكر هوفمان في Anonymous المحاولة التي جرت في 21 أبريل للهجوم على الحافلة، ويدّعي أن المهاجمين كانوا يقصدون تفجير حافلة كان من بين ركّابها «عرب» يدّعي المهاجمون أنهم كانوا مسؤولين عن هجوم ضدّ اليهود. لكن حتى لو صحّ الادّعاء بوجود فلسطينيّين مذنبين بين ركّاب الحافلة، وحتى لو تناسى المرء أن الأغلبية العظمى من الضحايا سيكونون من الركّاب الأبرياء، فإن موقف هوفمان يبقى غير مقبول لأن المهاجمين حوّلوا هجومهم إلى حافلة أخرى بعد فشل الأولى، انظر:

k173b, etc.; Bell, 42.

(48) TNA, ADM 116, 3690, No. 191/9862.

وانظر أيضا الصفحات الأولى (غير المرقّمة).

(49) جريدة فلسطين، 7 يوليو 1938، في Palestine Chronicle.

(50) TNA, ADM 116, 3690, No. 191/9862.

وانظر أيضا الصفحات الأولى (غير المرقّمة).

(51) صحيفة «نيويورك تايمز» في 9 يوليو 1938، وانظر:

Kister, Irgun, 251

حيث ترد إشارة إلى هجوم على باب يافا في 10 يوليو، ولكن ربما كان الصحيح 8 يوليو.

(52) TNA, ADM 116/3690, SECRET.H.M.S. "Repulse"

في حيفا، 30 يوليو 1938، بالنسبة إلى هجوم تل أبيب يذكر هوفمان في Anonymous, k1896 أن هجوما وقع في تل أبيب في 23 يوليو 1938 وجُرح فيه 23 يهوديّا.

(53) TNA, KV 5/34, 10AB;

Bell, Terror, 42-43;

Kister, Irgun, 252.

(54) انظر TNA فيما يتعلّق بهجمات الإرغون ضد البريطانيّين مع حلول العامين 1938 و1939. وانظر:

CO 733/456/6, leaf 2, MS annotation;

وفيما يتعلّق باتّخاذ القرار البريطاني حول تمثيل فلسطين انظر على سبيل المثال:

CAB 104/7, Cabinet, "Minutes of a Meeting of Ministers...", 13/10/1938, Annex III.

الفصل الثالث

(1) مقتبس في صحيفة «النيويورك تايمز»، 1944/11/12.

(2) كان جابوتنسكي نشيطا في الولايات المتحدة في العام 1926. انظر:

Medoff, Militant Zionism, 5-6.

(3) عن تأييد منظّمة ليهي لدول المحور انظر:

TNA, KV 5/34, 430x, 'C.O. file 75969 (7a)';

FO 371/40125, Inward Telegram 372.

وعن تعاون النازيين، انظر:

Rogan, The Arabs, 248, and Brenner, 51 Documents.

وعن استغلال ضعف بريطانيا خلال الحرب انظر رسالة يلن - مور المخطوطة في

Brenner, 51 Documents,307.

وهذا لا يختلف عن خطّة بن غوريون إلا في أن بن غوريون يدعو إلى الضرب بعد يوم النصر وليس في أثناء الحرب.

(4) TNA, KV 5/34,7a, KV 5/31, 143a;

WO 275/121, "The Stern Group."

(5) استهداف أي شخص ببزة عسكرية موجود ضمنيًا في معظم وثائق الـ TNA. انظر:

Ben-Yehuda, Assassinations, 190.

وكان معظم مستهدفي الاغتيالات من اليهود كما يتضح من الأعداد، وانظر أيضا:

Friedmann, Crime, 162

(6) TNA, KV 5/34, 72A; FO 371/ 23244.

كانت هنالك أعمال عنف مستمرة ضد المدنيين من الفلسطينيّين والمستوطنين اليهود في أوائل العام 1939، ولم تكن كلها لأسباب سياسية. وثمة سجل تفصيلي في تقارير مكمايكل في

FO 371/23244;

FO 371/23245, 14-15

(7) الكتاب الأبيض المتعلّق بالعنف

FO 371/23245, 15, 20;

FO 371/23244, 83, 85, 88, 89, 109

في 5/18 في تل أبيب قذف المتشددون وأعضاء الرابطة الرياضية (هبوعيل) الحجارة بعضهم على بعض؛ انظر صحيفة «النيويورك تايمز» التي أوردت بتاريخ 1939/5/18 خبرا بعنوان «خمسة وعشرون يتعرّضون للأذى في شغب في فلسطين».

(8) TNA, FO 371/23244, 109, 110;

FO 371/23245, 17, 18; Rex Cinema, KV 5/34, 54a;

يرد الآتي في 371 23245/FO, 18: «فشلت قنبلة ثالثة في الانفجار» (بدلا من «فشلت جزئيًا»). هنالك في مركز الغراس الثقافي في بيت لحم صورتان من سلسلة صور تظهران انفجارا في Riex Movie [المقصود سينما ركس] في العام 1946. غير أن المؤلف لم يتمكن من التحقق من وقوع هجوم على سينما ركس في العام 1946.

(9) TNA, FO 371/23244, 115, 131, 135;

وعن تخريب الاتّصالات انظر أيضا:

Bell, Terror, 48.

(10) FO 371/23244, 131, 135

(تقول هذه الوثيقة إن «امرأة يهودية قُبض عليها وهي تضع قنبلة قرب السجن المركزي في القدس» يوم 9 يونيو 1939، ولكن ربما كانت هذه هي المحاولة التي جرت لمهاجمة السوق العربي)؛ وفيما يتعلّق بمحاولة التفجير التي جرت في 9 يونيو 1939، يذكر تقرير بريطاني آخر أن حادثة جرت قبل عام: «في العام 1938 قُبض على فتاة يهودية في العقد الثاني من عمرها ومعها قنبلة أريد منها أن تنفجر في مكان عام في القدس TNA, FO 371 45382/report by R. Newton)) ولكن ربما كان التاريخ غير صحيح وأن المقصود هو العام 1939؛ وفيما يتعلّق بالأصل اليهودي للقنابل انظر خبرا في جريدة التايمز بتاريخ 10 يونيو 1939 عنوانه قنبلة مؤقتة في سلة».

(11) TNA, FO 371/23244, 141, 142, 146, 152

(تشير هذه الوثيقة إلى هجوم 10 يونيو في طبرية مع قدْر من الغموض حول ما إذا كان القتلى السبعة سقطوا جرّاء ذلك اللغم الأرضي أو أنهم حصيلة هجمات ذلك اليوم).

(12) TNA, FO 371/23244, 141, 142, 146, 148, 154;

فيما يتعلّق بإعدام خمسة قرويِّين في بلد الشيخ، قالت برقية أرسلها المندوب السامي في 14 يونيو 1939 (نصُّها موجود في 371 23244/FO) إن مختار القرية قال إن الفاعلين يهود، وكان ذلك قبل أن تؤكّد العصابة الصهيونية أنها هي التي ارتكبت الجريمة. انظر «مزيد من الإرهاب في فلسطين» في جريدة «التايمز»، 16 يونيو 1939.

(13) TNA, FO 371/23244, 156, 167;

الهجوم على السوق في يونيو لا بدَّ أنه الهجوم الذي ذكره كستر في كتابه عن الإرغون وجعل تاريخه 20 يونيو، وأنه الهجوم الذي يشير إليه هوفمان في كتابه Anonymous والذي يشير فيه إلى k2209 من دون تاريخ. ولا شكّ في أن التقرير البريطاني الذي كتب في اليوم نفسه هو الصحيح.

(14) TNA, FO 371/23245, 21, 22, 23;

TNA, FO 371/23244, 109, 110, 115, 131;

TNA, FO 371/23244, 141, 142, 146, 148, 154, 156, 167, 173, 177, 181, 184;

WO 169/148.

ومن الأمثلة على عمل فلسطينيين للقبض على عصابات فلسطينية انظر 371 23244/FO, 138؛ وكذلك مقال «الإرهاب اليهودي في فلسطين» في جريدة «التايمز» بتاريخ 26 يونيو 1939. وتروي الوثائق البريطانية أمثلة من قرويين فلسطينيِّين يعملون معا للقبض على زعماء العصابات الفلسطينية، وهذا ما لا مثيل له في المستوطنات اليهودية. وانظر TNA, FO 371 23244/ وكذلك 371 23245/FO لمعرفة خلفية العنف الفلسطيني المتناقص والعنف اليهودي المتعاظم.

(15) TNA, FO 371/23245, 24, 25;

FO 371/23244, 179, 186, 190, 198, 213;

وانظر خبرا في جريدة «التايمز» تاريخه 7 يناير 1939 عنوانه «الإرهاب اليهودي: تفجير إجرامي جديد في القدس». وكذلك:

Bell, Terror, 48;

Pedahzur & Weinberg, Religious Fundamentalism, 99-102;

وقد قُتل عريف بريطاني لأنه «كان محتالا مأجورا من قبل الوكالة اليهودية... وهو الخائن الثاني الذي يجري التخلص منه». انظر TNA, KV 5/34.

(16) انظر عن سجلّ الهجمات التي قامت بها الإرغون TNA, KV 5/35, 10AB ، وكذلك كتاب كستر عن الإرغون، 254-256. وهناك اختلاف طفيف عن السجلّ البريطاني موجود في:

TNA, FO 1093/330, "Notes on Illegal Jewish Organizations", 8.

(17) Bell, Terror, 42, 48;

Kister, Irgun, 256-257 (وفيه قتلت الإرغون ستة ضحايا آخرين في 7/20)، 259;

TNA, FO 371/23244, 246, 253;

WO 169/148, "Secret High Grade Cipher Message, red '3a' at upper right;

FO 371/23245, 2.

وهنا نجد أن تاريخ الهجوم الفاشل على لعبة الكريكت هو 6 أغسطس؛

6, 36, 38, 110;

KV 5/34, 10AB (8);

CO 733/415/4. 20-24;

Ben-Yehuda, Assassinations, 155-156;

Bell, Terror, 48;

Pedahzur & Weinberg, Religious Fundamentalism, 99-102.

كان جمهور الحاضرين في الهجوم على لعبة الكريكت (5 أغسطس) يتكوّن «من الرجال والنساء والأطفال من السكان الأوروبيّين».

انظر مقابلة مع منظّمة الإرغون في 15 أغسطس 1939:

KV 5/34. CO 733/415/4. 11-13.

الشخص الذي مثّل منظّمة الإرغون في المقابلة أعطى اسمه على أنه ياردانى.

(18) Kister, Irgun, 256-257 (7/20), 259.

وفيه قتلت الإرغون ستة ضحايا آخرين في:

TNA, FO 371/23244, 221, 246, 253;

FO 371/23245, 2.

وهنا نجد أن تاريخ التفجير الفاشل للعبة الكريكت هو 8/6 ,6 ,36 ,38 ,110؛ مقابلة بتاريخ 15 أغسطس 1939 والشخص الذي أجريت معه المقابلة أعطى اسمه على أنه ياردانى.

KV 5/34, CO 733/415/4, 11-13; KV 5/34, 10AB (8); CO 733/415/4, 20-24; Ben-Yehuda, Assassinations, 155-156;

وفيما يتّصل بالتسويغات التوراتية التي لجأت إليها الإرغون انظر:

TNA, KV 5/34, 10AB.

نبّهت الانفجارات البريطانيين إلى وجود فصيل من الإرغون يجري تدريبات عسكرية الطابع في 18 نوفمبر، يتكوّن من 34 رجلا تتراوح أعمارهم بين السادسة عشرة والخامسة

والعشرين، وامرأتين عمر إحداهما 17 والثانية 18 سنة. كانت تمرينات الإرغون تجري في مستعمرة مشمار هاياردن - انظر:

WO 169-148,

(رسالة عالية التشفير، مكتوب عليها باللون الأزرق في أعلاها 38a).

(19) عن تظاهر الوكالة اليهودية بالتعاون في مجال التجنيد انظر:

TNA, WO 169/148

«الملخص التكميلي الرقم 1»، وهي عبارة يجري تحديدها بعبارة «ملخص المعلومات الاستخبارية» بتاريخ 18 سبتمبر 1940، 2.

(20) TNA, WO 169/183,

تقرير أسبوعي عن التطوّرات (حتى تاريخ 24 فبراير 1940).

منطقة اللدّ، «ملخص المعلومات الاستخبارية»، الأسبوع المنتهي في 24 فبراير 1940؛

الأسبوع المنتهي في 16 مارس 1940.

(21) TNA, WO 169/183,

تقرير أسبوعي عن التطوّرات (حتى تاريخ 9 مارس 1940).

لم يكن من المتوقَّع أن يعيش الشرطي اليهودي، وكان جرحه أبلغ من أن يتمكَّن من أن يدلي بتصريح، ولكن البريطانيين عزوا الاغتيال عقابا على اعتقال مسؤولي الهستدروت (انظر الملخص الاستخباري للأسبوع المنتهي في 16 مارس 1940)؛

التقرير الأسبوعي للفترة المنتهية في 23 و30 مارس 1940.

TNA WO 169/183,

التقرير الأسبوعي عن التطوّرات (حتى 9 مارس 1940).

منطقة اللدّ، الملخّص الاستخباري، الأسبوع المنتهي في 24 فبراير 1940؛

الملخّص الاستخباري، الأسبوع المنتهي في 3 مارس.

(22) TNA, WO 169/183,

تقرير أسبوعي عن التطوّرات (حتى تاريخ 9 مارس 1940)؛

منطقة اللدّ، الملخّص الاستخباري، الأسبوع المنتهي في 24 فبراير 1940؛

الملخّص الاستخباري، الأسبوع المنتهي في 3 مارس.

رسالة من المندوب السامي في 16 أكتوبر 1939.

KV 5/34, 10AB

(23) حول تجنيد الإرغون لأعضاء جدد، انظر:

TNA, KV 5/34, 15a;

Palmach, CO 537/1715, "Memorandum";

حول سرّية الهاغانا واغتيال المخبرين المشكوك فيهم انظر:

WO 275/121, "What's What", item 5;

تذكر TNA (في الموضع نفسه) ضرورة حصر جميع الألمان في يافا والمستعمرات المسوّرة، «خاصة النساء».

(24) TNA, WO 169/148,

وعن Pum انظر:

TNA , WO 169/183,

تقرير أسبوعي عن التطوّرات (حتى تاريخ 11 مارس 1940).

الجندي الذي اغتيل في 11 مارس كان يحمل الرقم 401 من قوة الاستطلاع العسكري المساعدة؛

لاحظ أن بن يهودا يشير في كتابه عن الاغتيالات إلى ثلاثة اغتيالات ارتكبتها الهاغانا في مايو 1940، ومن بينها اغتيال جرى في الحادي عشر منه، ولربما كان ذلك تكرارا.

عن هجمات المحور، انظر:

WO 169/148.

و«السر الرقم 104 والرقم 196» والصفحات التي تلي ذلك.

(25) Patria, CO 733/446/4,

رسالة إلى مكمايكل بتوقيع آلَن روز، أ. ج. مَكْنيل، ل. ج. إدْوَرْدز؛ لا يذكر هوفمان في Anonymous هذا الهجوم بل يذكر الهجوم على فندق الملك داود الأقل دمارا على أنه أشدّ الهجمات دمارا حتى العام 1946.

(26) «يوميّات الحرب» في 14 ديسمبر 1940 في:

TNA, WO 169/148.

وكتاب آرثر كستلر الوعد والتحقّق (Promise and Fulfillment) الذي نشرته شركة مَكْملَن في نيويورك في العام 1949، ص60.

فيما يتعلّق بالحادثة المتفرّعة وعلاقتها بالمسادا انظر مئير چازان: «حادثة پاتريا: المعتدلون في مقابل النشطاء في الماپاي في الأربعينيات»، في مجلة التاريخ الإسرائيلي، المجلّد 22، العدد 2 (خريف سنة 2003)، 61-95 [الناشر فرانك كاس، لندن].

وفيما يتعلّق بالمسادا في «إسرائيل في الكتاب المقدّس»، لا يرد ذكر المسادا في ذلك الكتاب، لكن القصّة المزعومة أوردها يوسيفوس على أنها حدثت في إسرائيل «التوراتية». كلّ المصادر الحديثة (كالويكيبيديا التي اطّلعتُ عليها في 16 يونيو 2016) تقول إن مسؤولية الهاغانا عن التفجير لم يجر التيقّن منها إلا بعد اعتراف من قام بالتفجير، وهو ماردور في العام 1957. ومع أن البريطانيين لم يكونوا واثقين بهوية من قام بالتفجير في تحقيقاتهم الأولى، فإن الوقت لم يطل حتى جرى التحقّق من مسؤولية الهاغانا. انظر مثلا:

TNA, CO 733/457/12,

والملخّص الاستخباري الرقم 45/8، 3-4.

(27) رسالة من مَكْمايكل (C.S. 499) في TNA, CO 733/446/4.

وانظر الوثيقة السرّية، 3-4، الصادرة من قسم التحقيقات الجنائية في القدس بتاريخ 24 أبريل 1945 في:

TNA, CO 733/457/12.

وانظر:

CO 733/457/12

أمور يهودية، الإرهاب، الملخص الاستخباري الرقم 45/8، لا سيما 3-4؛

وانظر:

CO 733/446/4.

مؤرخ بالقلم الأحمر 10 فبراير 1941، يبدأ هكذا: «أعتذر عن التأخير...» كانت هنالك معارضة من القيادة البريطانية لإبقاء الناجين من حادثة پاتريا، خوفا «من أن ينتشر الخبر في جميع أنحاء العالم العربي عن نجاح اليهود في تحدّي قرار الحكومة البريطانية».

انظر:

CAB 66/13/48/0001.

(28) الاقتباس القائل «إن أسلوبه يشبه أسلوب إعلان عن دعوة إلى التصييف في مخيّم

صيفي» مأخوذ من كتاب Frantz & Collins, Black Sea, 78.
وانظر:

TNA FO 371/32662

وقد كتب عليه بخطّ اليد 127:
يقول جيلادي (في كتاب Scandals) إن عدد المسافرين كان 769، بينما يقول كتاب فرانتس وكولنز إن العدد كان 781 (وأغلب الظن أن هذا الرقم هو الأصحّ). تقول السجلات البريطانية كما يقول كتاب فرانتس وكولنز (ص216) إن بريطانيا رفضت السماح لهم بالدخول لأنهم كانوا مواطني بلد في حالة حرب مع بريطانيا جاءوا مباشرة من منطقة معادية. ويلمح جيلادي إلى أن الوكالة اليهودية كان لديها 25 ألف إذن دخول ولكنها رفضت استعمالها لركاب «ستروما». لكن المؤلّف لم يجد أيّ دليل على ذلك في الأرشيفات البريطانية.
انظر:

TNA FO 371/32662, 97

(خلف الصفحة)، على رغم أن روبرت ولتش تحدّث عن رفض الوكالة اليهودية أي وسيلة أخرى لإنقاذ اللاجئين لا يتضمّن ذهابهم إلى فلسطين.
انظر:

TNA FO 371/32662

بخصوص التفسير البريطاني لرفض دخول ركّاب «ستروما». وعن محاولات بريطانيا إدخال الأطفال من سن 11 إلى 16 انظر المصدر نفسه، ص96.
وانظر كذلك:

CO 733/446/11, CO 733/449/34.

سبب الغرق نوقش كثيرا، ولكن أثبتت البحوث التي جرت حديثا واستخراج حطام السفينة إثباتا مقنعا أن سبب الغرق هو طوربيد روسي (Frantz & Collins, Black Sea).
(29) عن تظاهر الوكالة اليهودية بالتعاون في مجال التجنيد انظر:

TNA, WO 169/148

«الملخص التكميلي الرقم 1»، وهي عبارة يجري تحديدها بعبارة «ملخص المعلومات الاستخبارية» بتاريخ 18 سبتمبر 1940، وهذا الملخّص يقول «إن ما يدعى بالتسجيل في بداية الحرب لم يكن سوى حركة سياسية خالصة...».
وفيما يتعلق بالخدمة العسكرية الهيكية انظر:

TNA, WO 169/183,

الملخّص الاستخباري للأسبوع المنتهي في 3 مايو؛

WO 169/4334,

الملحق 1 للملخّص الاستخباري الأسبوعي، للأسبوع المنتهي في 8 أبريل 1942؛
وبالنسبة إلى معارضة الهاغانا الالتحاق بقوّات الحلفاء انظر على سبيل المثال:

WO 169/4334

للأسبوع المنتهي في 10 يونيو 1942؛
كان جابوتنسكي وترمبلدور، من بين آخرين، يسعيان إلى إيجاد جيش يهودي منفصل منذ العام 1914 (انظر 11352/WO 32).
(30) انظر: Gilady, Scandals و330/TNA, FO 1093، وبيان منظّمة ليهي الرقم 41/21 بتاريخ 1 أغسطس 1941، ص3؛

وتستشهد الوثيقة 19/420/CO 733 (التي رفعت عنها السرّيّة بناء على طلب من المؤلف استنادا إلى مبدأ حرية الحصول على المعلومات) بأدلة جديدة على اتصال المفتي بالفاشيين في العام 1940. ولاحظ س. إ. ف. لوك «أن اتخاذ إجراء ما ضدّ المفتي قد بُحث قبل أيام مع وزير الخارجية وتقرّر أن الطريقة الوحيدة للسيطرة عليه هي احتلال العراق عسكريّا»؛ وفي اليوم نفسه قال هـ. ف. داوني إننا قد نتمكن من قصّ جناحي المفتي إن تمكنا من إيجاد حكومة جديدة في العراق. ووزارة الخارجية تعمل على تحقيق ذلك. وعن تحرُّك الصهاينة لنقل يهود العراق إلى فلسطين انظر:

FO 371/98767.

حكم المحكمة الخاصّة عن قضية النشاط الصهيوني في العدد الصادر في 20 ديسمبر 1951 من جريدة The Iraq Times.

(31) «ملاحظات عن المنظمات اليهودية غير الشرعية» في:

FO 1093/330 (11).

(32) TNA, FO 093/330,

ملاحظة عن اجتماع عقد في نيو كورت في جادّة القديس سْوِذِنْز، يوم الثلاثاء 9 سبتمبر 1941، في الساعة الثانية والنصف بعد الظهر.

(33) يقول كتاب بل في ص73 من كتابه الإرهاب إن قنبلة منظمة ليهي «التي فجرت إلكترونيًا [كذا، يقصد كهربائيًا؟] قد انفجرت عبر الشارع وأخطأت الهدف». وفي السنة نفسها حاولت ليهي أن تغتال آلَن سوندرز، وهو مسؤول بريطاني، بسبب دوره في إرسال المهاجرين غير الشرعيين إلى الموريشس وفشلت؛ واغتالت ليهي واحدا من أوائل أعضائها، وهو أبراهام ولنهك بعد أن أطلق البريطانيون سراحه. يقول بعضهم إنه حصل على حريّته لقاء معلومات أعطاها، بينما يقول آخرون إنه حاول التخلي عن العصابة، وكان اغتياله بمنزلة التحذير للأعضاء الآخرين بأن «الموت وحده يحرّر الأعضاء من المنظمة» (انظر كتاب بن يهودا عن الاغتيالات).

كتب هذا بدرجة عالية من التشفير، الإشارة الرقم 35أ:

TNA, WO 169/4334,

المراجعة الاستخبارية الأسبوعية الرقم 9:

CO 733/439/20,

على الجهة الثانية من الورقة التي كتب عليه بخط اليد الرقم 2:

TNA, CO 733/457/938,

على الجهة الثانية من الورقة:

TNA, CO 733/439/20,

رقم 580 سرّي:

WO 169/4334,

المراجعة الاستخبارية الأسبوعية الرقم 14:

Hoffman, Anonymous, K2526.

(34) TNA, CO 733/444/17, FO 371/68697, Ref3/315/48;

for Proskauer, FO 800/486, 137.

(35) التقرير الاستخباري الأسبوعي الرقم 21ك،

TNA, WO 169/4334,

G.S.I. Palestine Base & L of C 1-30 April 1942.

(36) انظر البرقية المشفّرة الرقم 523 في:

TNA CO 733/439/20.

لاحظ أن ثمة ثلاث صيغ على الأقلّ من محاولة اغتيال مَكونل. يقول بن يهودا في كتابه عن الاغتيالات (ص172) مستشهدا بإلياف وهآرتس: إن القنبلة رُكّبت على العجلة الخلفية للسيّارة، وإن الخادم قاد السيّارة للخلف من المرآب نيابة عن مَكونل، وإن القنبلة انفجرت كما أريد لها باستثناء أن الضحية لم تكن هي المقصودة. أما بِل فيقول في كتابه عن الإرهاب (ص73) إن «العربي» أراد استغلال الفرصة للتملّق لرئيسه بفتح باب السيّارة له، ولم يكد يفتح الباب بحركة مبالغ فيها حتى سقطت لفافة صغيرة أمامه وبقي مَكونل «واقفا فوق الجثة الممزّقة». أما مؤلف هذا الكتاب فلم يأخذ بوصف بِل لما فيه من مبالغة عرقية يصعب تصديقها، وفضّل الصيغة البريطانية على صيغة بَن يهودا (القابلة للتصديق من حيث المبدأ) لأنها تعتمد على صيغة عضو ليهي إلياف، بينما كان البريطانيون هم الذين حضروا إلى المشهد وليس ليهي بعد الانفجار. انظر:

WO 169/4334, High Grade Cipher reference 13a;

Weakly Intelligence Review No. 22, 24;

G.S.I. Palestine Base & L of C 1-30 April 1942; 1-31 May 1942; also the Times, 24 April 1942.

(37) TNA, KV 5/34, 15a.

(38) TNA, WO 169/4334, 1942.

والمراجعة الاستخبارية الأسبوعية الرقم 27 المراجعة الاستخبارية الأسبوعية للأسبوع المنتهي في 17 يونيو.

(39) TNA, WO 169, 4334, G.S.I. Palestine ...1-30 Sept 1942, Summary no. 11;

G.S.I. Palestine Summary No. 10;

Weekly Intelligence Review No. 39

وحول خيبة الأمل في المفتي انظر:

WO 169/4334,

المراجعة الاستخبارية الأسبوعية الرقم 9، المنتهية في 21 يناير 1942؛

CO 733/420/19.

وهذه الوثيقة التي رفعت السرّيّة عنها في يوليو 2014 نتيجة لمطالبة المؤلّف بحق الحصول على المعلومات تستشهد بأدلة جديدة على اتصال المفتي الوثيق بالفاشيين الإيطاليين أيضا. وكانت هنالك علائم تدل على أن المفتي الذي ل يزال لقاؤه مع النازيين يستعمل لتلطيخ سمعة الفلسطينيين كان في ذلك الوقت (1942) يخسر مؤيّديه. وكما فسّر أحد أتباعه المتحمسين له في السابق، كان الهدف من الكفاح الحصول على الاستقلال وليس إحلال طاغية محل آخر.

(40) TNA, WO 169/4334, G. S. I. HQ Palestine

الملخص الرقم 12 (1-31 أكتوبر 1942)؛

الملخّص الاستخباري الأسبوعي الرقم 40.

يفترض المؤلّف أن اجتماع 4 أكتوبر الذي تشير إليه هذه الوثيقة ليس هو الاجتماع المشابه (غير المؤرّخ) الذي يشير إليه ملخّص سبتمبر الرقم 11 في الملفّ نفسه (WO 169/4334)) الذي تنتهي معلوماته بالثلاثين من سبتمبر.

انظر حول حديث ڤايتسمان مع آيزيا برلين يوم 18 مارس 1943 أو نحو ذلك التاريخ:
CO 733/443/18, E 2399/87/31

على الجهة الثانية من الورقة من غير عنوان.
(41) TNA, WO 169/4334.

المراجعة الاستخبارية الأسبوعية الرقم 42، الأسبوع المنتهي في 25 نوفمبر 1942؛ الملخّص الرقم 14.
(42) TNA, WO 169/4334.

المراجعة الاستخبارية الأسبوعية الرقم 6، الأسبوع المنتهي في 1 يناير 1942.
CO 733/433/21

رسالة من إلياس ن. كوسا؛ عدد المجنّدين الفلسطينيين مقتبس عند الخالدي، وفي كمبرلي كاتس وسليم تماري: يوميّات شاب فلسطيني 1941 - 1945: حياة سامي عمرو، ص31 (مطبعة جامعة تكساس، 2010).
(43) TNA FO 371/40129, Cipher Telegram No. 117;
CO 733/458/13, Outward Telegram No. 117; FO 1093/330,

فقرة مقتبسة من الملخّص الأمني عن الشرق الأوسط الرقم 131؛ المصدر نفسه، سرّي جدًا،
Reference No. C.S. 573/1, red "31", esp 2.

وفيما يتعلّق بسعي اليهود إلى الحصول على تدريب على العمليّات التخريبية من الحلفاء، هنالك مثلا حادثة تقدّم فيها بعض اليهود من عميلين من العملاء التابعين للإدارة التنفيذية للعمليات الخاصّة، وهي وحدة للتجسّس والتخريب ضد قوى المحور في أثناء الحرب العالمية الثانية، بفضيان إجازة في الدنمارك «طلبا للتدريب في أعمال التخريب» («كانا من ذوي البنية القويّة، أحدهما أشبه بالموسيقار باخ والثاني بالفيلسوف نيتشه»)، انظر:
TNA KV4/467, 294 Liddel Diaries, entry August 13, 1946.
(44) TNA FO 1093/330,

على غرار ما حصل للمندوب السامي؛ المصدر نفسه، رسالة من روبرت سُكُت إلى «عزيزي بويد» من غير رقم، مع عبارة «سرّي جدًا 21 يناير 1942» في أعلى الصفحة.
(45) TNA, KV 5/33, 37a, 38a, 35a

عشر صفحات «من ممثلنا عن فلسطين حول الوضع اليهودي من وجهة نظره». تارخ التقرير هو 28 مايو 1943، ولكن يقال إنه مبني على ملاحظات جرت في يناير. وانظر أيضا:
FO 1093/330

عن آخر نواحي المشكلة الصهيونية العربية في فلسطين، ص6. وعن التهمة التي وجُهت لهنلوك، انظر:
Nigel West, The A to Z of Sexspionage, Scarecrow Press (2009), 132-133.

بُرّئ هنلوك من التهمة.
(46) TNA, FO 1093/330,

الوضع اليهودي، الهاغانا؛
CO 733/458/13, "Dr. Altman"

الرقم 21 باللون الأحمر... إلخ.
(47) الاقتباس من موشي أرنز من تقديمه لكتاب: Baumel, Bergson Boys, xii.
TNA, KV 2/2251/PS; CO 733/458, 13,

الفقرة المقتبسة مأخوذة من مذكّرة قدّمها السيد غرشون أغرونسكي للرقابة من قبل.
FO 371/40129
رسالة بتاريخ 4 سبتمبر 1943. الصديق كان ج. هـ دايلغ، في 3 شارع أنتولسكي (الصحيح أنتوكولسكي)، نيفي بيزاليل، القدس.

(48) المصدر السابق؛ 40129/TNA, FO 371، الرسالة المؤرّخة في 4 سبتمبر 1943؛ الفاصلة الإضافية موجودة في الأصل: «... سان فرانسسكو، هيوستن (تكساس) و... ».

(49) المصدر السابق.

(50) انظر: 40129/TNA, FO 371، وقد كتب الرقم 16 بخط اليد، روبرت سُكّت القائم بأعمال السكرتير الأول.

(كُتبت كلمة organizers هكذا وليس بالتهجئة البريطانية organisers)، كلمة HER كتبت هكذا بأحرف كبيرة في الأصل.

أشير إلى الإعلان في 1705/WO 208، وكتب الرقم 68 بخط اليد، وذُكر أنه منشور في صحيفة «النيورك تايمز» بتاريخ 30 أبريل 1943. لم يجد المؤلف هذا الإعلان على مصدر الصحيفة عبر الإنترنت لهذا التاريخ، ولكن الصياغة محدّدة ولا بدّ أنه ظهر حوالي هذا التاريخ في صحيفة كبرى من صحف الولايات المتّحدة. وعن الصلة بالسلطة اليهودية، انظر:

KV 2/1435, '1642': FO 371/40129,

وقد كتب الرقم 11 بخط اليد، 3 يناير 1944.
ملاحظة عن زيارة للولايات المتّحدة، 3: برنامج بلْتمور.

CO 733/457/5

(51) PICME (British Political Intelligence in the Middle East) WO 208/1705, PIC paper No. 35; TNA WO 208/1705.

تقدير لإمكانية أن يلجأ اليهود إلى القوّة في العام 1944 لتحقيق أهدافهم السياسية (الرقم 46 مكتوب بخط اليد). كذلك كان معارضو نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا يُتّهمون بأنهم يعادون المسيحية (انظر على سبيل المثال: 5-Davis, Apartheid, 4).

(52) كتبت إديت زرتال أن الصهاينة الذين ارتبطوا باليهود المكافحين في الغيتو في وارشو قلّلوا من شأن واقع الحياة تحت الاحتلال النازي. انظر:

Zertal, Israel's Holocaust, 26-29, 35.

وبكلمات قائد البالماخ: «نحن حاربنا هنا، وهم حاربوا هناك». انظر:

Edelman, The Ghetto Fights, published by The Bund, Warsaw, 1945

(53) Zertal, Israel's Holocaust and the Politics of Nationhood, 29-30.

الاقتباس عن إليزر لِفْنه في ندوة عقدت في العام 1966، انظر:

Polkehn, Secret Contacts, 54;

Lilienthal, What Price, 29;

Brenner, 51 Documents, 211-212.

(54) Benner, 51 Documents, 212.

يقول بْرِنّر إن يهودا باور في كتابه: From Diplomacy to Resistance يفسّر سلوك غرونباوم على النحو الآتي: لم يكن لدى غرونباوم أي أمل في إنقاذ يهود أوروبا واعتقد أن الأموال ستضيع هباء، ولكن كان عليه أن يتظاهر بأنه يعمل ما في وسعه.

(55) TNA, CAB 66/37/25, 14;

FO 371/45377, 84;

FO 371/45377, pencil '84';

also see KV2/1435, '1642', esp verso;

FO 1093/330, red '44', Inner Zionist General Council and Non-Cooperation;

يوصف الدكتور سناتور بأنه غير صهيوني.

(56) TNA, FO 1093/330, red '48'; ibid,

آخر نواحي المشكلة الصهيونية العربية في فلسطين (ثمة في الأصل خطأ طباعي واحد: find themselves in anachronism)؛

المطبوعة المعنونة:

US Office of Strategic Services Foreign Nationalities Branch Files 1942-1945 (Congressional Information Service, 1988).

تذكر تقريرين بهذا العنوان هما:

INT-18JE-242 (July 19) and INT-18JE-251 (July 25);

الوثيقة الموجودة في كيو التي استشهدت بها هنا يبدو أنها مسوّدة أسبق من أي منهما. كانت الوثيقتان مربوطتين معا بخيط عندما اطّلعتُ عليهما.

وزارة الحرب:

CAB 66/37/46, 2.

وبكلمات عضو البرلمان المقدَّم فكتر كازالت، كان ينظر إلى المؤسسة الصهيونية في فلسطين على أنها «منظمة تُدار على غرار الغستابو النازية» - 2 أغسطس 1943، CAB 74/13/95.

(57) TNA, FO 1093/330, ibid.

(58) TNA, FO 1093/330, ibid.

(59) TNA CO 733/456/2,

تقرير عن آخر أسبوعين ينتهي في 31 يناير 1944، الرقم 4.

KV 5/36. Herut, no. 59, July 1946;

تتكوّن هذه الوثيقة من تسجيل يومي للتطوّرات الحاصلة في فلسطين؛

TNA, FO 371/ 45377, 84,

حملة العام 1943 لمنع الصداقات بين اليهود وغير اليهود بُدئ بها في سبتمبر. وانظر أيضا Sand, 291.

(60) انظر: TNA, KV 5/39، تقرير عن المؤتمر، 2؛ ولاحظ أيضا: FO 371/40126، برقية داخلية رقمها 695 وفيها يقول مكمايكل في مايو 1944 إن الشعور في فلسطين هو أن الحرب ليست سوى «تعقيد مزعج» للأهداف القومية.

(61) TNA, FO 371/40125

برقية داخلية رقمها 217؛

CO 733/443/18

الرقم 60 باللون الأحمر.

المصدر نفسه، التاريخ 30 أغسطس 1943، على ظهر الورقة، ومواضع أخرى؛

المصدر نفسه، الرقم 50 باللون الأحمر.

قيل إن فايتسمان ادّعى أنه أقنع روزفلت بضمان الأموال اللازمة. كان شرتوك (شاريت) مشتركا. المصدر نفسه، رسالة إلى هَيتر/ كامبل/ رايت؛ أكّد جيرچل أنه كان أصل الفكرة.

المصدر نفسه، الرقم 5 باللون الأحمر، والرقم 6 باللون الأحمر؛ وانظر أيضا:
Monroe, Philby of Arabia, 221-225;
رسالة ڤايتسمان إلى س. ولز، في 13 ديسمبر 1943؛
CO 733/443/19,
المصدر نفسه، مذكرة، الرياض، 20 أغسطس 1943.
(62) TNA, CO 733/456/6,
فقرة مقتبسة من برقية من الشرق الأوسط رقمها 72248/0؛
FO 371/40125, pencilled '32';
CO 733/456/2;
ملخّص استخباري رقمه 44/3؛
CO 733/458/13,
الأعمال الإرهابية للعام 1944 ملخّص؛
CO 733/457/9.
واردة بخط اليد رقمها 143 برقية؛
CO 733/456/6.
تقرير نصف شهري عن منطقة القدس ينتهي في 15 فبراير 1944؛
CO 733/456/2
وعن اللطرون انظر؛
TNA FO 1093/330, red '51' ;
وكذلك برقية واردة رقمها 238.
FO 371/40125, pencilled '33'
(63) TNA, CO 733/456/6,
البرقية الرقم 238.
FO 1093/330,
«فلسطين، الإرهاب اليهودي»؛
CO 733/456/6,
رقمها 205 برقية واردة؛
CO 733/456/2,
تقرير نصف شهري عن منطقة القدس ينتهي في 29 فبراير 1944.
تقرير نصف شهري عن منطقة القدس ينتهي في 15 فبراير 1944.
Kister, Irgun, 257, feb, 1944.
Bell, Terror, 113.
الأعمال الإرهابية للعام 1944 ملخّص؛
CO 733/457/9,
34/KV 5, نشرة الأخبار اليهودية الرقم 10؛
FO 371/40125, pencilled "34",
والبرقيتان الواردتان 217 و238.
FO 1093/330,
مكتوب في أعلى الصفحة: «أماكن لا بدّ أنها يعرفها كثيرون».
(64) صحيفة «التايمز»، في 19 فبراير 1944؛

TNA, WO 208/1705, P.I.C. Paper No. 35, 4;

صحيفة «النيويورك تايمز»، أبريل 1944.

TNA FO 371/40130,

رسالة من زِيجل ياردن (الرقم 64 في أعلى الصفحة).
وعن الزعم بأن الكتاب الأبيض يتعارض والكتاب المقدس، انظر مثلا:

CO 733/456/2

تقرير القدس نصف الشهري للفترة الواقعة بين 16 و31 أكتوبر 1944، وللفترة من 1 إلى 15 سبتمبر 1944، مقال الحاخام الأكبر هرزوغ؛
«الكتابة على الجدار»،193 WO/68، MO/5 ، ورقة منفصلة رقمها 305 عن وقائع الاجتماع (يناير 1944).

(65) Kister, Irgun, 112.

TNA, CO 733/456/6,

برقية واردة رقمها 207
تقرير نصف شهري عن منطقة حيفا ينتهي في 15 فبراير 1944:

CO 733/456/2,

فقرة مقتبسة من برقية من الشرق الأوسط رقمها 72248/0:

CO 733/456/6,

البرقيتان 217 و257:

FO 371/40125,

CO 733/456/6, MS '18'

CO 733/456/6, MS '2' with date 13.2.44 and following page

المصدر نفسه، برقية واردة رقمها 205:

CO 733/456/6, pencilled "133";

المصدر نفسه، وقد طبع عليه بالآلة الكاتبة «(7) الفقرة (1)» تحت ملاحظات بخط اليد.
الأرقام 8 و9 و24 مكتوبة بالأحمر بخط اليد.

CO 733/456/6,

لاحظ أن CO 733/456/9، ملخص الأعمال الإرهابية، وFO 371/40125 البرقية الواردة الرقم 217 تعطيان تاريخ قتل غرين ويوزر على أنه 14 - 15 فبراير بينما تجعله مصادر أخرى أبكر بيوم واحد، ربما بسبب الاختلاف بين تاريخ الهجوم وتاريخ الوفاة نتيجة للجروح التي تعرّضا لها.
ملخّص الأعمال الإرهابية للعام 1944:

CO 733/457/9,

فقرة مقتبسة من برقية من القيادة العليا في فلسطين رقمها 258:

CO 733/458/13,

تقرير نصف شهري عن منطقة حيفا ينتهي في 29 فبراير 1944:

CO 733/456/2,

فقرة مقتبسة من برقية من الشرق الأوسط رقمها 77252/0:

CO 733/456/2,

المصدر السابق، البرقية الرقم 257:

CO 733/456/6, MS "120"

تقرير القدس نصف الشهري للفترة المنتهية في 29 فبراير 1944؛

CO 733/456/2,

فقرة مقتبسة من البرقية الرقم 384؛

CO 733/456/6, MS "56",

البرقية 269؛

FO 371/40125,

Bell, Terror, 114;

تقرير نصف شهري عن منطقة حيفا ينتهي في 29 فبراير 1944؛

CO 733/456/2,

FO 371/40125, pencilled "52";

Kister, Irgun, 258.

(66) انظر «النيويورك تايمز»، 26 فبراير 1944.

TNA, CO 733/457/5

وفقا لرواية شخص يدعى Y 32 في العام 1944.

وانظر ر. ك. كاتلنغ: «ملاحظات عن زيارة إلى الولايات المتّحدة»، ص6. وكذلك:

Brenner, 51 Documents, 198;

CO 733/457/5, Telegram No. 784 ('C.S. 679/7' at top).

شكّل إشراك يهود من غير الصهاينة في الهيئات الحاكمة للوكالة اليهودية بعد العام 1929 مصدرا لمزيد من الدخل؛ انظر:

Abu-Lughod, Transformation, 132;

TNA, CO 733/457/5, R.C. Catling, "Notes..."

(67) أدين بالشكر فيما يتّصل برحلات الاستكشاف الطويلة التي كانت جزءا من العمليات العسكرية لجمع المعلومات عن القرى الفلسطينية وسكّانها قبل سنة 1948 للدكتورة رونا سيلا التي تكرّمت وأطلعتني على معلوماتها بالمراسلات الإلكترونية وفي مقابلة في تل أبيب، في نوفمبر 2012. وقد نشرت الدكتورة هذه المعلومات في كتابها المعنون:

Made Public—Palestinian Photographs in Military Archives in Israel (Israel: Helena Publishing House, 2009);

تقرير منطقة القدس نصف الشهري للفترة المنتهية في 15 فبراير 1944؛

TNA, CO 733/465/2,

البرقية الواردة الرقم 340؛

FO 371/40125

Pappé, in JPS, 11-13;

وانظر أيضا اعتراف رئيس عمليات الهاغانا بوجود «خارطة تشير إلى الطبيعة الاستراتيجية لكل قرية عربية، ونوعية سكّانها»؛ انظر:

Erskine B. Childers, "The Wordless Wish: From Citizens to Refugees," in Abu-Lughod, Transformation, 178);

Pappé, Ethnic Cleansing, 18-22;

لا يربط هذا الكاتب بين الهجمات التدريبية والمستكشفين؛

Quigley, Challenge, ch. 3

FO 1093/330, "Palestine, the Jewish Defense Forces" (pencilled "22"), 5-6.

المركزان المشار إليهما هما «آييليت هشاحر» وعين آهارون «قرب عين غف».

(68) عن المطعم انظر تقرير منطقة القدس نصف الشهري للفترة المنتهية في 15 مارس 1944.

TNA CO 733/456/2

CO 733/456/6, typewritten '(7) Paragraph 1' under MS notes;

تقرير منطقة اللد نصف الشهري للفترة المنتهية في 14 مارس 1944؛

CO 733/456/2,

المصدر نفسه، تقرير منطقة حيفا نصف الشهري للفترة المنتهية في 31 مارس 1944.

6/456/CO 733، البرقيات 340، 362، و3384.

لاحظ أنه في 6/456/CO 733 هنالك ورقة زرقاء مكتوب في أعلاها بالآلة الكاتبة عبارة «2 آذار» يشار فيها إلى قتل شخص يهودي في 15 مارس، وقد افترضت لتفادي احتمال التكرار أن الحادثة هي تلك التي حدثت في 13 مارس. غير أن الوثيقة 7/456/CO 733، التي تحتوي على البرقية الواردة الرقم 1586، تشير إلى مقتل شرطيّين بريطانيين يوم 15 مارس، ولذلك فإنني افترضت أن إحدى الإشارتين ليست مكرّرة.

البرقية الواردة الرقم 362؛

FO 371/40125

ملخّص الأعمال الإرهابية، 1944؛

CO 733/457/9,

قصاصات من الجرائد في 6/456/CO 733، مثلا: «تفجيرات إجرامية في فلسطين»، تسلسل الأحداث، في جريدة «التايمز»، 25 مارس 1944.

Bell, Terror, 115-117.

Kister, Irgun, 258.

(69) فقرة مقتبسة من برقية عالية السرية رقمها 409 من فلسطين بتاريخ 2 أبريل 1944؛

TNA, CO 733/457/5

برقية رقمها 372، خصوصا ما هو مكتوب على الجهة الأخرى من الورقة؛ البرقية الرقم 363؛

CO 733/456/6,

FO 371/40125, No. 363, 372

قال مكمايكل إن «لدى الوكالة فرصة حقيقية لإنقاذ ماء وجهها أمام العالم»، «إذا ما سلّمت المجرم»، وهو أمر لديها القدرة على فعله وليس الرغبة.

(70) فقرة مقتبسة من برقية عالية السرية رقمها 409 من فلسطين بتاريخ 2 أبريل 1944؛

TNA, CO 733/457/5,

CO 733/456/2,

تقرير نصف شهري عن منطقة نابلس حتى 30 نوفمبر 1944؛

CO 733/456/3,

تقرير نصف شهري عن منطقة القدس حتى 31 يناير 1945؛

CO 733/457/12,

الملخّص الاستخباري الرقم 45/8، وخصوصا 3.

يوم 2 أبريل، مخاطبا حملة تبرعات لجلب اليهود إلى فلسطين (فلسطين فقط).

CO 733/456/6, JTA Bulletin Vol. XXV, No. 80

المصدر نفسه، وقد كتب الرقم 17 في الجزء الأعلى الأيمن، وانظر أيضا: 5 34/KV, 608 1/O.F.

وافقت الوكالة اليهودية على «المساعدة» في محاربة الإرهاب إن وافق البريطانيون على إعطائها أذونا عددها 25-50 للحصول على أسلحة، ومن ثم تقوم بالتحقيق من دون ذكر الأسماء، وستزود الوكالة الشرطة البريطانية ببعض المعلومات المحدودة بشرط الموافقة على عدم تفتيش المستوطنات بحثا عن الأسلحة غير الشرعية.

CO 733/456/6.

كتب في الأعلى الرقم 221522 إلى جانب عبارة «برقية مشفَّرة ذات سرية قصوى».

المصدر نفسه، كتب في الأعلى الرقم 436585 إلى جانب عبارة «برقية مشفَّرة ذات سرية قصوى».

وهناك صيغة مكتوبة عن النقاش الذي دار بين زعماء الماباي فيما يتعلّق بالتعاون مع البريطانيين في 1814/CO 537، «كلمة ألقاها إليزر كاپلان ... 22 أكتوبر 1946».

النادي الأنغلوفلسطيني، النشرة الرقم 2، 1944.

(71) الرقابة الفلسطينية، الرقم 57، 3-4 باللون الأحمر؛

TNA CO 733/458/13.

تقرير نصف شهري عن منطقة القدس حتى 31 يوليو 1944؛

CO 733/456/2.

تقرير نصف شهري عن منطقة غزّة حتى 15 مايو 1944؛

FO 371/40126.

البرقية الرقم 695.

تقول هذه البرقية التي أرسلها مكمايكل إن بعض فئات اليشوف كانت غير مرتاحة لموقف حزب العمل لأنها أعطت الانطباع بأن فلسطين لم يعد فيها متّسع. كانت التصريحات العلنية التي تصدر عن المتحدّثين باسم الحركة الصهيونية وتقول إنهم لا ينوون طرد العرب تناقضها أقوالهم خلف الأبواب المغلقة.

(72) البرقية 409، 431، 448، والبرقية المشفَّرة 214749، 223481

TNA, FO 371/40125.

تقرير نصف شهري عن منطقة حيفا من 1 إلى 15 مايو 1944.

CO 733/456/2.

البرقية الرقم 1586؛

CO 733/456/7.

CO 733/456/6. JTA Bulletin, Vol.XXV, No 80,3; ibid., Palcor Bulletin, 3 April 1944, 3;

تقرير نصف شهري عن منطقة اللدّ حتى 15 أبريل 1944؛

CO 733/456/2.

(73) البرقية الرقم 448؛

TNA, CO 733/456/6.

البرقية الرقم 1586، لا سيما خلف الورقة؛

CO 733/456/7.

CO 733/456/2.

تقرير نصف شهري عن منطقة حيفا حتى 31 مايو 1944، وكذلك تقرير نصف شهري عن منطقة اللدّ حتى 15 مايو 1944؛

CO 733/456/6

البرقية الرقم 591؛

Kister, Irgun, 258.

(74) TNA, CO 733/456/6,

برقية واردة رقمها 639؛ توجد علامة استفهام عند التاريخ 17 مايو، ولكن الحوادث الأخرى (الساعة الثانية والنصف صباح يوم 18 مايو) تؤيد صحة التاريخ. كان رجال الشرطة في مركز الشرطة الموجود في رام الله القريبة قد سمعوا الانفجار واتجهوا نحو مصدره فوجدوا العرب المستهدفين، وكان المهاجمون قد تركوا وراءهم كمية صغيرة من الجلغنايت. وقد أشار بل في كتابه عن الإرهاب (ص120) إلى هذه الحادثة إشارة سريعة.

CO 733/456/6,

، كتب عليها بخط اليد واللون الأحمر فقرة من برقية المندوب السامي في فلسطين الرقم 695 بتاريخ 44/5/29 والرقم 78؛

FO 371/40125,

البرقية الرقم 591؛

CO 733/456/2,

تقرير نصف شهري عن منطقة القدس حتى 15 يوليو 1944؛

CO 733/456/7,

البرقية الرقم 875؛

المصدر نفسه، «الأنشطة الإرهابية»، والرقم 109 في الزاوية العليا اليسرى. وانظر فيما يخصّ الهوية العربية؛

CO 733/456/7,

البرقية الرقم 930، الجهة الخلفية من الورقة.

في كتاب كستر عن الإرغون تُعيّن تلك المنظّمة بناية مدمّرة بأنها قيادة المخابرات في منطقة يافا، وهي البناية التي افترضتُ أنها تلك التي تشير إليها وثائق كيو على أنها قيادة شرطة المنطقة.

Bell, Terror, 120.

CO 733/456/7,

البرقية الرقم 1586

FO 371/40126,

البرقية الرقم 695، 875، 930.

(75) TNA CO 733/456/2,

تقرير نصف شهري عن منطقة اللدّ حتى 15 يوليو 1944، وتقرير نصف شهري، القدس، حتى 15 يوليو 1944.

(76) تقرير نصف شهري، القدس، حتى 31 يوليو 1944.

TNA CO 733/456/2,

FO 371/40126,

البرقية الرقم 814؛

CO 733/456/6, pencilled '102'.

(77) TNA WO 193/68, '81E';

وانظر بخصوص اللواء اليهودي؛

CAB 66/51/44,

Sternhell, Founding Myths, 31;

Segev, Complete, 393, quoting from Ben-Gurion, Memoirs, vol. III, 24, 38, 41, 85.

FO 1093/330, red p. "7", esp. 2.

ظلّ بن غوريون يعارض التجنيد العام لليهود لمحاربة هتلر منذ بداية الحرب، بينما كان النازيون يجتاحون بولندا وكانت أحلك أيام اليهود الأوروبيين تقترب؛ لأن ذلك يقلّل مما دعاه بـ «الاعتبارات الصهيونية». أما شاريت، رئيس وزراء إسرائيل في المستقبل، فقد تحدّث وهو يخاطب المجنّدين اليهود في الحرب بعد سنتين من «التحالف المأساوي مع بريطانيا في هذه الحرب» (يقصد أن الحرب ضد دول المحور قد وضعتهم في صفّ واحد مع البريطانيين)، وشدّد على أنهم سوف يتخدمون التدريب العسكري البريطاني ليجعل الشعب الفلسطيني «بحسب حسابنا».

(78) TNA WO 193/68, pencilled 118, SD 2/6005;

CAB 66/27/12;

WO 193/68,

كتب الرقم 305 بخط اليد وباللون الأزرق وملاحظات في أسفل الورقة وعلى الجهة الأخرى منها.

FO 1093/330

آخر نواحي المشكلة الفلسطينية الصهيونية العربية، وخصوصا ص7.

المصدر نفسه، الرقم 1541 سري جدًا من مكمايكل على ظهر الورقة: «الصهاينة المتطرفون يفكّرون في استعمال القوّة المسلّحة لتحقيق أهدافهم. يملكون فعلا كميات كبيرة من الأسلحة غير الشرعية. ما يحتاجون إليه هو التدريب، وستتعزّز قوّة الهاغانا (وهي قوية الآن) بوجود جيش يهودي رسمي». انظر:

CAB 66/27/12; WO 193/68,

سكرتارية الجيش: الإشارة إلى

W.P. (44) 344. A.C.S./B/969;

CO 733/456/2

التقرير نصف الشهري عن منطقة نابلس حتى 30 نوفمبر 1944.

(79) تاريخه 4 مارس 1942، وانظر:

TNA, FO 371/32662, pencilled '93', '101'.

(80) البرقية الرقم 1081:

TNA, FO 371/40127,

كلمة بن غوريون في حيفا في 21 أغسطس 1944:

TNA, CO 733/457/4

وللتمثيل على معارضة بن غوريون للتقسيم انظر 208 WO/1705, 16A' red' من بين أمثلة كثيرة.

انظر مقالة في صحيفة النيويورك تايمز بعنوان «جيش صهيوني؟» بتاريخ 26 يناير 1942؛

TNA, CO 733/456/2,

التقرير نصف الشهري عن منطقة نابلس حتى 30 نوفمبر 1944.

التقرير نصف الشهري عن منطقة يافا حتى 30 نوفمبر 1944.

صحيفة «النيويورك تايمز»، 22 يناير 1942.

تعود فكرة تأسيس «جيش يهودي» لإقامة هوية وطنية قائمة على العرق إلى العام 1914 على الأقل. في يناير 1917 طلب جوزف ترمپلدور من الحكومة البريطانية السماح له بتأسيس كتيبة بلُغة أخذت مفهوم «الأمّة» اليهودية على أنه أمرٌ مسلَّم به، انظر:

TNA, WO 32/11352, red '3A' at top;

FO 371/32662. Pencilled '76';

Ben-Yehuda, Assassinations, 120;

Grodzinsky, 50, etc.

(81) تقرير عن محاولة اغتيال المندوب السامي في فلسطين؛

TNA, CO 733/457/3

TNA, CO 733/457/3,

البرقية الرقم 994؛

TNA, CO 733/457/2,

تقرير نصف شهري عن منطقة اللدّ حتى 15 أغسطس 1944.

كان مكمايكل قد نجا من عدة محاولات لاغتياله، وكان من بين أسلحة المهاجمين التي لم تستخدم قنبلة أمريكية الصنع وجدت قريبا من المكان. وقال أحد المراسلين البريطانيين إن السائق هو الذي أصيب في رئته، ولكنني اعتمدتُ مقولة مكمايكل في:

FO 371/40126.

البرقية الرقم 984.

أما المرافق فقد كان الرائد نِكلز.

(82) قرّر السير هارولد مكمايكل في العام 1943 التوقُّف عن تفتيش المستوطنات اليهودية نتيجة لـ «الاضطرابات الشديدة» التي نتجت عن تفتيش رامات هاكوفش. انظر مثلا:

TNA, CO 733/456/8,

كتب الرقم 14 بخط اليد في الزاوية العليا اليمنى.

CO 733l456/9,

كُتب الرقم 99 بخط اليد بقلمٍ فاتح اللون، رسالة بتوقيع جون أ. روك بتاريخ 4 نوفمبر 1945؛

CO 537/3854,

ملخّص استخباري الرقم 46/2، 2:

FO 371/45377,

يوميّات متتالية عن التطوُّرات السياسية في فلسطين (كتب الرقم 82 بخط اليد في أعلى الصفحة)؛

CAB 158/1,

ملحق تنظيم الهجرة غير الشرعية؛

FO 371/40127,

البرقية الرقم 1081؛

(83) TNA, CO 733/456/7, red no. 111, 113, 114;

FO 371/40127,

البرقية الرقم 1051؛

FO 371/40127,

البرقية الرقم 1235 والبرقية الرقم 1238.

يُشير بل في كتابه عن الإرهاب (ص120) إلى هجمات شنتها منظّمة الإرغون في 23 مارس على ثكنات التحقيقات الجنائية في يافا وأبو كبير ونبقي شعنان. أفترض أن هذه هي نفسها التي أشرت إليها.

(84) البرقية الرقم 1051،

TNA KV 5/34,

FO 371/40127, pencilled '20' top-right;

البرقية الرقم 1288؛

CO 733/456/2,

تقرير نصف شهري عن منطقة اللدّ حتى 31 أغسطس 1944؛

Kister, Irgun, 258

KV 5/34,

البرقية الرقم 1051؛

CO 733/456/2,

تقرير نصف شهري عن منطقة اللدّ حتى 31 أغسطس 1944؛

CO 733/456/2,

تقرير نصف شهري عن منطقة نابلس حتى 30 نوفمبر 1944.

المصدر نفسه، تقرير نصف شهري عن منطقة حيفا حتى 30 سبتمبر 1944؛

CO 733/457/9, red '38'

«النيويورك تايمز»، 29 سبتمبر 1944؛

Kister, Irgun, 259

تذكر TNA هذه السرقة أيضا.

الاقتباس المأخوذ عن آل كابون منقول عن Segev, Complete, 475

عن عصابات الشباب اليهود انظر التقرير نصف الشهري عن منطقة اللدّ حتى 15 أغسطس 1944 في:

TNA, CO 733/456/2

إشاعات عن التقسيم في تقرير نصف شهري عن منطقة اللدّ حتى 31 أغسطس 1944؛

(85) TNA; KV 5/34;

CO 733/456/2;

WO 208/1705, pencilled '9';

WO 208/1705, 17A;

يشار إلى رامات هاكوفش بعبارة «التجربة الأخيرة»، وهذه إشارة إلى ردّ الفعل العنيف من جانب المستوطنين على محاولة البريطانيين تفتيش تلك المستوطنة في نوفمبر 1943. وانظر أيضا:

WO 208/1705, P.I.C. Paper No. 35.

(86) TNA, WO 208/1705, No. 1259;

وعن فايتسمان انظر:

FO 371/40129, 98A.

(87) برقية مشفّرة الرقم 1259؛

TNA, WO 208/1705

«تنبيه مهم» كتب عليه بخط اليد الرقم 4 في الجزء الأعلى الأيمن؛

CO 733/457/9

البرقيات الأرقام 1300، 1299، 23، 1282؛

FO 371/40127

(88) برقية مشفرة رقمها 1259 مرسلة من الموظف المسؤول عن إدارة الدولة؛

TNA, WO 208/1705

(89) برقية مشفرة رقمها 1259؛

TNA, WO 208/1705

تقرير نصف شهري عن منطقة القدس من 16 إلى 31 أكتوبر 1944؛

CO 733/456/2.

(90) البرقية الرقم 1245؛

CO 733/457/9.

(وأيضا 40127/FO 371).

TNA, CO 733/456/2,

تقرير نصف شهري عن منطقة اللدّ حتى 30 سبتمبر 1944؛

(91) TNA, WO 208/1705,

تقدير لإمكانية استخدام اليهود في فلسطين للقوّة في العام 1944 لتحقيق أهدافهم السياسية 4 (سي د. كويليام، 15 فبراير 1944).

(92) September, 1944.

TNA, CO 733/456/2,

تقرير نصف شهري عن منطقة غزّة الرقم 138.

انظر الحاشية عن التكتيك الصهيوني والإسرائيلي المتضمن خلق تهديد لكي تدافع عن نفسها ضدّه.

CO 733/456/2,

تقرير نصف شهري عن منطقة القدس حتى 31 أكتوبر 1944.

(93) قالت برقية سريّة موجّهة إلى وزير المستعمرات إن مستوى هذه الهجمات الفردية يجعل من الواضح تماما أنها «لا يمكن أن تنسب إلى عصابات صغيرة متفرّقة من الإرهابيين، بل تخطط لها وتنفّذها منظمة كبيرة جدًا يمكنها أن تجنّد قوّة كبيرة من الرجال». انظر:

TNA, CO 733/457/9, 'No. 1245';

TNA, CO 733/456/2

تقرير نصف شهري عن منطقة اللدّ حتى 30 سبتمبر 1944.

TNA, CAB 67/4/17/0001, 3.

(94) عن المستكشفين انظر:

TNA, CO 733/456/2.

تقرير نصف شهري عن منطقة نابلس حتى 31 أكتوبر 1944؛

CO 733/456/4.

تقرير نصف شهري عن منطقة الناصرة حتى 31 أكتوبر 1945.

(95) عن الوثائق المحفوظة في كيو عن موين انظر على سبيل المثال:

CO 733/456/2,

CO 733/457/13

ولاسيّما:

FO 141/1001,

وهذه تحتوي على أقوال الشهود.

(96) مناقشة مجلس اللوردات في 9 يونيو 1942، المجلّد 123 (نسخ من) الصفحات 179-210.

(97) Ben-Yehuda, Assassinations, 207;

CIA, N-193:

«صهاينة أمريكيون يتوسّطون لدى السلطات المصرية لمصلحة من اغتالوا موين» في 9 فبراير 1945، رفعت السريّة عن هذه الوثيقة في فبراير 2002.

(98) عن الوكالة اليهودية انظر:

TNA, CO 537/1711, 112;

TNA, CO 537/1712,

«حملة الوكالة اليهودية والهاغانا ضدّ الإرهاب».

المصدر نفسه، ص118.

Ben-Yehuda, Assassinations, 210,

يشير بن يهودا في كتابه عن الاغتيالات إلى هذه الحادثة على أنها «تصفية حسابات».

وعن التعاون المزعوم انظر:

TNA, CO 537/1814

تقرير عن اجتماع المؤتمر الصهيوني العالمي (I.Z.C.) الذي عقد في 29 أكتوبر 1946؛

TNA, KV 3/41

الأنشطة الصهيونية التخريبية، ص22.

KV 2/1435 333B; CO 537/1711,

«تعاون الوكالة اليهودية».

عن فشمَن وغرونباوم، انظر:

TNA, CO 733/457/8,

«رد الفعل اليهودي على مقتل اللورد موين»، 4-5 ش.

«النيويورك تايمز»: «تشرشل يحذّر اليهود لطرد العصابات»، 18 نوفمبر 1944.

عن طوابع البريد، انظر كتاب بن يهودا عن الاغتيالات، ص210. عن هيرزوغ انظر كتاب كستر عن الإرغون، ص121.

الفصل الرابع

(1) Ernst, So far So Good, 176-177.

TNA, FO 800/487, 110

(2) CIA, N-193

(3) TNA, CO 537/1715, 262/10/5/GS, esp. 6;

FO 1093/330,

توحي عبارة Sir W. Battershill في أعلى الورقة من خلفها بأن روزفلت لم يكن يرى أن فلسطين هي أفضل حل لمشكلة المهجرين اليهود، ويقول العقيد هوسكنز إن روزفلت كان يفضل وصاية يهودية مسيحية إسلامية، ولكنه شعر بأن الصهاينة لن يوافقوا.

19/443/CO 733, «القضية الفلسطينية» (77أ بالأحمر)

3/456/CO 733, إلى السكرتير الأول، في 21 أبريل 1945

16A 1705/WO 208, الملاحظة الرقم 1 (16أ بالأحمر)

CAB 66/37/46

14/457/CO 733, رسالة من لِدل إلى إيستوود (1 بالأحمر)

CAB 66/37, p.2

1705/WO 208, ملاحظة الرقم 1 (16أ بالأحمر)

CO 733/457/12,

الملخص الاستخباري الرقم 45/8، خاصة 3 عن «عنصر الزمن في الصهيونية».

بن غوريون متحدثا في فبراير 1943: «ستكون الأيام والأشهر التي تلي سقوط النظام الهتلري فترة من عدم اليقين في أوروبا وأكثر من ذلك في فلسطين، وعلينا أن نستغل هذه الفترة لمواجهة بريطانيا وأمريكا بالأمر الواقع على الأرض» (46/37/CAB 66, 2).

(4) TNA, FO 371/40127, 75156/151E/44,

رسالة تاريخها 8 سبتمبر 1944.

برقية الرقم 977.

CO 733/457/5

كاتلنغ: ملاحظة على زيارة للولايات المتحدة من 29 سبتمبر إلى 10 أكتوبر 1944، ص2 خاصة.

المصدر السابق، جون هارنغتن: «سري جدا» إلى سِسل، 8 ديسمبر 1944 (36 بالأحمر).

المصدر نفسه، جدول الأعمال، 35 بالأحمر.

المصدر نفسه، البرقية الرقم 784 (34 بالأحمر).

CO 537/1720, C.S.728/11 (red '4')

تتضمن عينات من الدعاية تصور «فظائع مختَلَقة مرسومة بألوان فاقعة». جُمعت في أثناء محاولة لتفتيش المستوطنات حتى 29 يونيو 1946، منها على سبيل المثال: «أطفال وكبار في السن، من الرجال والنساء - حوامل - مُقعَدين ومرضى ضربوا بلا رحمة بأعقاب البنادق، وطعنوا بالحراب، وأسيئت معاملتهم، وضربوا في كل أنحاء أجسامهم إلى أن أغمي عليهم. جروهم كلهم على الأرض والحجارة أو حُملوا كالخراف على الشاحنات... وأخذ الأطفال... وكانت أصواتهم تُسمع من بعيد... ».

وانظر أيضا المصدر نفسه، لتصريحات يصدرها زعماء اليشوف لا تختلف عن تلك التي كانت منظمتا الإرغون وليهي تطبعها.

CO 733/457/14.

تبدأ بعبارة «جيكب مريدور» بخط اليد (1945 بالأحمر).

المصدر نفسه: رسالة من لِدل إلى إيستوود (1 بالأحمر)؛ رسالة بتاريخ 3 مايو 1945 (2 بالأحمر).

(5) TNA, CO 733/465/3,

التقرير نصف الشهري عن منطقة حيفا حتى 15 مايو 1945.

المصدر نفسه، التقرير نصف الشهري عن منطقة اللد حتى 15 مايو 1945.

Hoffman, Anonymous, k4491;

TNA, KV 5/34,

برقية مشفرة بتاريخ 21 مايو 1945 (كتب فيها بخط اليد 49أ).

Ibid, 45AC;

CO 733/456/8

الفظائع المرتكبة في فلسطين 1945 (49 بالأحمر).

وعن فرق الاستكشاف، انظر:

CO 733/456/3,

التقرير نصف الشهري عن منطقة السامرة (نابلس) حتى 1945/5/15

CO 733/456/8

الفظائع المرتكبة في فلسطين 1945 («49» بالأحمر)

34/KV 5, برقية مشفرة بتاريخ 45/5/21 (49أ بالأزرق)

CO 733/456/3,

التقرير نصف الشهري عن منطقة الجليل حتى 31 مايو 1945.

المصدر نفسه، التقرير نصف الشهري عن منطقة اللد حتى 31 مايو 1945.

8/456/CO 733, الفظائع المرتكبة في فلسطين 1945 (49 بالأحمر)

Kister, Irgun, 260-261.

(6) عن شرتوك انظر:

TNA, FO 371/45377

برقية واردة من المندوب السامي رقمها 757.

CO 537/1715,

رسم بياني، 30 أغسطس 1945 في الزاوية اليسرى العليا.

29/KV 5 مقابلة الرقم 8 مع كولك.

المصدر: DSO/P/13576

المصدر نفسه، فقرة مقتبسة من ... موجز فلسطين الرقم 47.

(7) TNA, CO 733/456/8,

الفظائع المرتكبة في فلسطين 1945 (49 بالأحمر)؛

عبارة «البطارية الموجهة باتجاه الملك داود» تتطابق ومقولة تدي كولك وهي أن مدفع هاون اكتشف قرب جمعية الشبان المسيحيين، انظر:

TNA, KV 5/29,

المقابلة بتاريخ 15 سبتمبر 1945.

يستشهد كلارك (Blood and Fire) بهذا على أنه تفجير لفندق الملك داود أوقفته الوكالة.

(8) TNA, KV 5/34, Extract Relating to O.F. 608/1 (blue MS '57B');

CO 733/456/8,

تبدأ هذه الوثيقة هكذا: «هذه البرقية يجب» وتاريخها 25 أغسطس 1945.

المصدر نفسه، رسالة من ج. هـ. هول إلى إيرل ونترتن، عضو البرلمان، في 15 نوفمبر 1945، تشير بعض الوثائق إلى الشرطي هِل، ولكن وايلد مُحق.

(9) TNA, CO 733/456, 8,

رسالة بتوقيع فرانسِس جيمز بلُور، وفردِرك جون پوپكنز، و ر. ل. كريس، تاريخها 12 أكتوبر 1945.

(10) Kister, Irgun, 261

TNA, KV 5/29,

«إعلان من القيادة» كتب عليه بخط اليد81أ.

كانت أعمدة الجسر الأربعة قد لغمت ولكن لم ينفجر سوى لغمين.

CO 733.456/8, red '29';

المصدر نفسه، كتب بالأحمر بخط اليد يوليو 1945 في الزاوية العليا اليمنى (24).هذه البرقية؛

المصدر نفسه: الفظائع المرتكبة في فلسطين 1945 (49 بالأحمر).

(11) عضو الكونغرس السابق وعضو مجلس الشيوخ عن ولاية آيوا غاي جيليت. وكالة التلغراف اليهودية في 2 أغسطس 1945؛

TNA, KV 3/56

«هجرة اليهود غير الشرعية إلى فلسطين» (96ج)، ص20.

برقية الرقم KV 5/29, 1149

عن سرقة المتفجرات يوم 13 أغسطس، هناك رواية تتناقض وما ورد في المقابلة مع كولك تقول إن العصابة لم تجد آليات تفجير، انظر:

29/KV 5 (54 ب في الزاوية العليا اليمنى) على الورقة من الخلف؛

المصدر نفسه، يهودي أصيب في زخرون ياكوف (50 ب بخط اليد)؛

المصدر نفسه، برقية الرقم 1149.

CO 733/456/8

الفظائع المرتكبة في فلسطين 1945 (49 بالأحمر).

وانظر وكالة التلغراف اليهودية، 23 أغسطس 1945.

(12) TNA, CO 733/456/4,

التقرير نصف الشهري عن منطقة غزة الرقم 160.

المادة 199 تشير إلى «تقرير منفصل قُدم لك حول موضوع» المستكشف، ولكن المؤلف لم يتمكن من تعيين مكانه. كلمة «مشارق» التي ترد في التقرير الخاص بنابلس ترد الآن بصيغة «مشرق»، التي ربما تشير إلى منقطة إلى الشرقي من نابلس.

المصدر السابق: التقرير نصف الشهري عن نابلس حتى 30 سبتمبر 1945.

(13) TNA, Palestine Discount Bank, 2/9/45,

29/KV 5, أوامر من القيادة، (81أ بخط اليد)

المصدر نفسه: «فقرة مقتبسة»، مكتب الأمن الوقائي، الورقة المعنونة DSO/B/5 من الوجهين؛

المصدر نفسه: مقابلة مع كولك (54ب في الزاوية العليا اليمنى)؛

CO 537/1814, letter, HL. Brown to T Smith, P.F. 46863/B3a/HLB

(14) TNA, KV 5/29,

«أوامر القيادة» ("81أ بخط اليد) (شارع «زيخون موشي» في الوثيقة).

(15) TNA, KV 5/29,

«فقرة مقتبسة»، مكتب الأمن الوقائي، الورقة المعنونة 5/DSO/B/2 من الوجهين.

CO 733/456/8,

الفظائع المرتكبة في فلسطين 1945 (49 بالأحمر).

(السجلات البريطانية تذكر حادثة 9/28 على أنها «فظيعة» (إرهابية) ويعين أحد المهاجمين بأنه يهودي).

(16) TNA, KV 5/36 & WO 261/562

فلسطين: بيان إخباري يتصل بأعمال العنف. وانظر أيضا:

Hoffman, Anonymous, k4839.

(17) TNA, FO 371/45383, برقية الرقم 1531

WO 261/Magnus, 571, نشرة استخبارية نصف شهرية الرقم 54.

(18) تلمح وكالة التلغراف اليهودية إلى أن عثليث كانت لها وظيفة ثانية هي السجن، وهذا ما ينكره البريطانيون على رغم أنها ربما استعملت أحيانا لتوقيف الأشخاص، انظر:

WO 275/38.

عملية في غفعت حاييم، في 26 نوفمبر 1945.

TNA, CO 733/456/4.

التقرير نصف الشهري 1-15 أكتوبر 1945 (وليس ثمة من تفسير لوجود المرأة المسيحية في مخيم التفتيش.

FO 371/45381برقية مرسلة رقمها 1572؛ برقية واردة رقمها 1433

FO 371/45383, برقية واردة 1531

CO 537/1715,

«القوات الصهيونية غير الشرعية في فلسطين وتواطؤ الوكالة اليهودية»، خاصة ملحق الجزء الأول، والصفحة 6 المكتوبة بخط اليد.

CO 733/456/8

الفظائع المرتكبة في فلسطين 1945، خصوصا في 6 أكتوبر.

المصدر نفسه، رسالة من ج. هـ هول، 69 بالأحمر.

(19) Kister, Irgun, 261.

TNA, FO 371/45381

البرقية الواردة الرقم 1441 و1440

CO 733/456/4,

تقرير منطقة يافا، 16 - 31 أكتوبر 1945.

المصدر نفسه، التقرير نصف الشهري عن غزة الرقم 160.

CO 733/456/8,

الفظائع المرتكبة في فلسطين 1945، 49 بالأحمر، على ظهر الورقة.

TNA, KV 5/29, 59A

FO 371/45383, البرقية الواردة الرقم 1531

(20) TNA, FO 371/45382,

الرقم 233 مكتوب بخط اليد، ملاحظة عن تقرير شفوي قدمه السيد ر. نيوتن إلى وزير الخارجية في 17 أكتوبر 1945.

(21) TNA,

المصدر نفسه (تقرير شفوي...)

CO 733/456/4, تقرير نصف شهري حتى 15 أكتوبر 1945 (من خلف الورقة)

CO 733/456/4,

تقرير نصف شهري عن منطقة يافا، 16 - 31 أكتوبر 1945.

المرجع 38/S/7 يذكر كلمة sabateurs (مخربين).

(22) TNA, CO 733, 456, 8

الفظائع المرتكبة في فلسطين 1945، ظهر الورقة، والبرقية الواردة رقم 1566.

حول إذاعة صوت إسرائيل انظر البيان الإخباري عن أعمال العنف في WO 261/562 وغيره.

CO 733/456/4,

التقرير نصف الشهري حتى 31 أكتوبر 1945.

أطلق النار على قطار ينقل حجارة قرب الطنطورة؛ انظر:

CO 733/456/8

CO 733/456/8,

برقية مشفرة رقمها 351075 مكتوب عليها 54 بالأحمر.

المصدر نفسه، برقية مشفرة رقمها 350892

المصدر نفسه، برقية واردة 1549، 1566؛ مكررة في:

FO 371/45383

يقول كستر في كتابه عن الإرغون (ص128) إن هجمات 31 أكتوبر 1945 لم تكن منسقة بين الإرغون وليهي والبالماخ، بل مستقلة إحداها عن الأخرى ومن دون علمها، وإنها وُقتت لتصادف ذكرى وعد بلفور.

عن وثائق شركة باصات إيغد: انظر ملخص الوثائق التي صودرت من مستوطنة بيريا في 27 فبراير 1946 في:

CO 733/456/10

(23) عن لقاء بفن انظر:

TNA, FO 800/484, 46;

CO 733/457/11، برقية واردة رقمها 1549

CO 537/1715,

«قوات صهيونية غير شرعية في فلسطين وتواطؤ الوكالة اليهودية»، ولا سيما الجزء الثاني.

المصدر نفسه، الرقم 48 بالأحمر، رقم 5 (1945/11/1)؛

المصدر نفسه، (ب) إذاعة صوت إسرائيل... ؛

المصدر نفسه، الرقم 5، 1 نوفمبر 1945 «إلى لندن من القدس».

(24) KV 5/39,

اللواء اليهودي، تقرير عن المؤتمر.

FO 371/45387

برقية واردة رقمها 1710 ص2:

FO 226/306,

وصلت إشارة الجيش: NO. GI/63977.

(25) TNA, CO 733/457/11, after red "10";

برقية مرسلة في 3 نوفمبر 1945، واغنر: 21 يونيو 1946.

FO 371/52530,

رسالة سلكية ولاسلكية، مختومة بتاريخ 21 يونيو 1946، مكتوب عليها بخط اليد 76.

عن كلمة شاريت في 19 يونيو 1946، انظر:

TNA, FO 371/45378

كتب عليها بخط اليد 55.

FO 371/45378,

كتب عليها «الرقم 743»، السفارة البريطانية، واشنطن، دي سي، 1 يوليو 1945.

CO 733/457/11,

برقية مرسلة، 3 نوفمبر فيما يتصل بالرقم 1549.

المصدر نفسه، رسالة إلى بفِن حول لقاء مع فايتسمان وشاريت، 2 نوفمبر 1945.

(26) TNA, CO 537/1715,

«قوات صهيونية غير شرعية في فلسطين وتواطؤ الوكالة اليهودية»، ولاسيما 3-4.

CO 733/456/4,

تقرير عن الفترة 1 - 15 نوفمبر 1945، ولاسيما 2.

CO 733/456/9 برقية واردة رقمها 1625

المصدر نفسه، برقية واردة «غير مرقمة» (86 بالأحمر).

FO 226/306

برقية رقمها 509، بتاريخ 15 نوفمبر.

المصدر نفسه، رسالة الجيش وصلت، GO/63204

FO 371/45386

برقية واردة (غير مرقمة؛ الرقم 141 مكتوب بخط اليد).

WO 275/38,

أحداث تل أبيب في 15 نوفمبر 1945.

النيويورك تايمز، 15 نوفمبر 1945.

Kister, Irgun, 261.

(27) TNA, CO 733/456/9,

برقية واردة رقمها 1677.

المصدر السابق، برقية «غير مرقمة» (الرقم 88 بالأحمر)، بعضها مكرر في:

FO 371/45386

CO 733/456/4

تقرير نصف شهري حتى 30 نوفمبر 1945، وسواه.

CO 537/1715,

«قوات صهيونية غير شرعية في فلسطين وتواطؤ الوكالة اليهودية»، ولاسيما القسم الثاني.

FO 371/45387,

برقية واردة رقمها 1680.

CO 733/456/9,

برقيات متنوعة مكتوبة بخط اليد 68-74، والبرقية المرسلة الرقم 1906.

FO 371/45386,

ماير لفين، [جريدة] نيويورك بوست، 20 نوفمبر 1945.

(28) TNA, FO 1093/508,

«سري للغاية»/ تبدأ هكذا: «عاد بن غوريون»، خصوصا ص6.

(كلمة succeed مكتوبة في الأصل suceed).

FO 371/45382,

الرقم 233 مكتوب بخط اليد، «ملاحظة عن تقرير شفوي قدمه السيد ر. نيوتن لوزير الخارجية...»، 17 أكتوبر 1945.

KV 2/1435, "1642".

سخر ديفد لو (Low) من حاجة الصهيونية إلى مشاعر العداء للسامية في صورة كاريكاتيرية نشرت في جريدة إيفنينغ ستاندَرد في 22 نوفمبر 1946. يقف رجل على زاوية من الشارع، ويراقبه إرهابيان صهيونيان يختبئان في الظل. يقول أحدهما منزعجا: «ماذا؟

ليس هذا من أعداء السامية؟ سنجعله يغير رأيه». وفي عدد آخر من الجريدة نفسها (3 يناير 1947) يصور لو في كاريكاتير عنوانه «المرآة السوداء» إرهابيا صهيونيا وهو ينظر إلى نفسه في المرآة، ما يراه هو وحش اسمه «العداء للسامية».

(29) TNA, CO 733/456/4,

السكرتير الأول، 26 نوفمبر 1945.

المصدر نفسه، التقرير نصف الشهري حتى 15 نوفمبر 1945.

TNAm KV 2/1435, 67191 CIRCUS 51a;

3 347/KV; 371 45387/FO، برقيات مختلفة لبفن.

(30) Kister, Irgun, 262.

TNA, CO 733,456/9,

برقيتان واردتان 1840، 1845.

المصدر نفسه، برقية مرسلة رقمها 2063.

CO 537/1715, "Part II- The Outrages," pencilled 5-8;

تشير الإرغون إلى هجوم على معسكر للجيش شمالي تل أبيب في 27 ديسمبر بوصفه أول نشاط بحري لها. وقد قيل إن الهجمات التي قامت بها الإرغون في ذلك اليوم ضد ما دعته برئاسة المخابرات في القدس وفي يافا كانت نتيجة للتعاون مع ليهي (كستر، ص131، 262)، وهذا أمر تؤكده الرسائل المفخخة التي ألقيت يوم 2 يناير 1946.

CO 733/456/10,

الوضع في فلسطين/ الفظائع الإرهابية (الرقم 6 بالأحمر)؛ البرقيتان الواردتان 27، 26؛

عن التهم القائلة بشيوع العداء للسامية والفاشية لدى الموظفين البريطانيين التي أشار لها هوفمان مثلا في كتابه Anonymous، انظر:

CO 733/456/10,

رسالة مشفرة من واشنطن إلى القدس، الرقم 2 بالأحمر، برقية واردة رقمها 21، ورسالة مشفرة عن معلق الراديو الأمريكي وولتر ونتشل.

(31) CO 537/1715,

«قوات صهيونية غير شرعية في فلسطين وتواطؤ الوكالة اليهودية»، ولاسيما القسم الثاني.

CO 733/456/4,

التقرير نصف الشهري حتى 31 ديسمبر 1945.

733 CO/11/456برقية واردة رقمها 1840

733 CO/9/456، برقية واردة رقمها 1840

النيويورك تايمز 4 يناير 1946؛ النيويورك تايمز 31 ديسمبر 1945؛ لاحظ أن عدد المصابين غير واضح، لكن تقريرا (غير كامل؟) يقول إن القتلى عشرة، والجرحى اثنا عشر في يوم واحد.

CO 733/456/9,

خاصة البرقية الواردة الرقم 1845.

CO 733/456/10,

الوضع في فلسطين/ الفظائع الإرهابية (الرقم 6 بالأحمر)؛

Kister, Irgun, 262.

عامل البدالة الذي قتل في 27 ديسمبر 1946 اسمه قصطندي عيسى غنيم.

(32) TNA, CO 733/456/11، مجلس الوزراء 1 (46)

CO 537/1711

التعاون مع الوكالة اليهودية في كبح الإرهاب، لا سيما 4-5؛ قصاصات من الصحف.
56/KV 3 برقية مرسلة 1414.

حول رفض الوكالة اليهودية لاستعمال حصة الـ 1500شهريا، وهي التي جاءت بعد صدور الكتاب الأبيض، انظر رسالة چيرچل في:

FO 800/484

الرقم 6 بخط اليد، الفقرة 3؛

WO 275/38,

حادثة تل أبيب، يوم الإثنين، 31 ديسمبر 1945؛

WO 169/23031,

الإيجاز الشهري الرقم 4، يناير 46؛ الرقم 7، أبريل 46؛ الملحق ب، في 21 أبريل 1946.

(33) TNA, KV 2/1435, 67191 CIRCUS 51a;

كان موشي سنيه من دعاة الاستعانة بالاتحاد السوفييتي.

(34) عن مساعي سنيه للحصول على الدعم السوفييتي، انظر:

TNA, KV 201390;

TNA, CO 537/1715, 75156/J.B. (red "77"), page "D" at top.

هذه الوثيقة غير مؤرخة. معظم وثائق المجموعة تعود إلى أواخر العام 1945، ولكن هذه الوثيقة وما عليها من ملاحظات مكتوبة بخط اليد لا يمكن أن تعود إلى ما بعد صيف العام 1946. وانظر أيضا 467/TNA, KV 4 عن صلة الوكالة اليهودية بالإرهاب.

(35) خطة العمل مأخوذة من "B.L." (مترجمة عن العبرية) تاريخها 19 ديسمبر 1945.

TNA, CO 537/1715, 75156/J.B. (red "77"), esp. 2,3,5;

المصدر نفسه، البرقية الواردة الرقم 1279: التقارير الإخبارية أساءت الاقتباس من الرسائل وجعلت الهاغانا تبدو أكثر تعاونا. وحاجة الصهيونية إلى القوة أكثر من حاجتها إلى الإقناع السياسي كان موقفا معروفا، عبر عنه مثلا السيد غولومب من الهيئة التنفيذية للهستدروت في يوليو 1942 (انظر مجلس الوزراء 37/66-56، 2). وكان الطلب من الصندوق القومي اليهودي أن يشتري الأرض يتعارض مع اعتقاد الإرغون بأن المنطقة كلها ملك لليهود ولم يكن من واجبها لذلك أن تستعيدها بالشراء.

الفصل الخامس

(1) المقولة التي تتصدر الفصل من رسالة مكتوبة بمزيج من العبرية واليديشية إلى صديق في نيويورك، عن كتاب غرودزنسكي، ظل، 134.

(2) TNA, CO 537/1715, letter, C. W. Baxter to T. Smith (red "82");

CO 733/457/12,

قسم التحقيقات الجنائية، أمور اليهود.

الإرهاب، ص3 و4 بشكل خاص. جرى التعبير عن التهديد باللجوء إلى الإرهاب لمنع اليهود من مغادرة فلسطين بالقول إن إغراق الهاغانا للسفينة پاتريا لن يكون ذا أهمية لتخويف اليهود في فلسطين من التفكير في المغادرة. انظر: 12/457/Kew, CO 733، قسم التحقيقات الجنائية بالقدس، 1945/4/24، وثيقة سرية، 3 و4).

الاقتباس عن بن غوريون مأخوذ عن Segev, Complete, 471 الذي اقتبس عن CZA

.6090/S25

عبرت زرتال تعبيرا بليغا عن أن هؤلاء الناس الذين تحرروا من رعب لا يوصف ثم وضعوا في بيئة دكتاتورية جديدة لم يكن لديهم شيء اسمه إرادة حرة أو خيار حر.

(3) الاستفتاء الوحيد لفترة ما بعد الهولوكوست، بخصوص رغبات المهجرين قبل التدخل الصهيوني الكثيف في المخيمات، أجري في داخاو، وشمل 2190 من الناجين اليهود. عبر 15 في المائة منهم عن رغبتهم في الهجرة إلى فلسطين. أما البقية فأرادوا العودة إلى بلادهم، أو الهجرة إلى الولايات المتحدة (غرودزنسكي، 41). وهذا الرأي نجده في مصادر مستقلة ذات صلة مباشرة، منها Ernst, So Far So Good, 171.

(4) TNA, FO 1093/508,

«سري للغاية/ بن غوريون عاد إلى فلسطين... »، خصوصا ص6 و7؛ غرودزنسكي 60، 129 و130.

TNA, KV 3/41,

«أنشطة صهيونية تخريبية»، (الرقم 7 أ بالأزرق)، لاسيما ص8.

437/KV 3 مسودة خطبة تقول: «كنا نفكر في...» (الرقم 100[ن؟] بالأزرق)، خصوصا ص3.

من أمثلة النشرات التي كانت الإرغون تطبعها بعدد من اللغات وتوزعها في المخيمات تلك التي وزعتها في معسكر المهجرين في لِنْز بِنْدَرْمِفْت، وهي منطقة كانت الولايات المتحدة تسيطر عليها في النمسا: حثت اليهود الشباب للقتال «لأخذ بلادنا في حدودها التاريخية... يجب أن تعود إرتس إسرائيل إلى الشعب اليهودي كما وعد القدير اليهود».

KV 5/38,

الموضوع: نشرة يهودية مكتوب عليها بخط اليد «323».

هنالك في 41/KV 3 حاشية تقول إن كثيرا من المهجرين كانوا في مخيمات الأمم المتحدة UNRRA، وليس في المخيمات التي تديرها الصهيونية. غير أن التأثير الصهيوني يبقى هو نفسه، وتدل وثائق أخرى على وجود تأثير صهيوني قوي على مخيمات الـ UNRRA. أما مراسلات چيرچل وترومن فانظر بشأنها:

FO 800/484 MS 9.

(5) Grodzinsky, Shadow, 76-77 (سبتمبر 1945).

سُمي مخيم بيرغن - بلزن مخيم هوهنه أيضا في تقرير الـ MI5 للعام 1946.

TNA, KV 3/56,

تقرير عن رحلة ضابط الارتباط التابع للـ MI5 في فرنسا وألمانيا والنمسا وإيطاليا بين 5 سبتمبر و8 أكتوبر 1946، خصوصا ص4 و6؛ بالنسبة إلى العنف ضد المهجرين، انظر:

Grodzinsky, Shadow.

(6) النيويورك تايمز، 18 فبراير 1946، التي تقول إن 90 في المائة كانوا يريدون الذهاب إلى فلسطين؛ نسبة الـ 100 في المائة تجدها في كتاب مورس 1948، ص46.

(7) TNA, FO 371/75340,

سياسة حكومة جلالة الملك حول فلسطين 1945 – 1948، خصوصا ص3.

حول إجبار الولايات المتحدة، انظر أيضا تعليقات اللورد موين الموجهة إلى وزارة الحرب، 10 ديسمبر 1943، في:

CAB 95/14, 31.

(8) TNA, KV 3/56,

تقرير عن رحلة ضابط الارتباط التابع لـ MI5 في فرنسا وألمانيا والنمسا وإيطاليا بين 5

سبتمبر و8 أكتوبر 1946، خصوصا ص4 و6.

الملحق، تنظيم الهجرة غير الشرعية، CAB158/1.

(9) النيويورك تايمز، 25 فبراير 1946؛ Grodzinsky, Shadow.

(10) TNA, CO 537/1705, رسالة، الحاخام الأكبر هيرزوغ؛ Grodzinsky, Shadow.

(11) المصدر نفسه. لاحظ الفقرة المقتبسة التي ترد فيها عبارة «مع 1000 - 500 طفل»، ولكن الرقم الأخير لا بد أن المقصود منه 1500.

(12) المصدر نفسه.

(13) المصدر نفسه.

(14) المصدر نفسه. وجهة نظر هيرزوغ في الاندماج تتضح أيضا في تنديده الشديد باليهودية الإصلاحية: «[اليهودية الإصلاحية] ورمٌ خبيث يلتهم الأجزاء الحيوية في أقدس ما في إسرائيل وأعزه، ويعرض للخطر استمرارية تاريخنا الذي يلهمنا إياه الله. الإصلاح يفضي إلى الاندماج لا محالة، وقد وُصِفَ وصفا مناسبا بأنه مدخل خلفي للارتداد عن اليهودية» (مقتبس عن The Jewish Post (إنديانا) في عددها الصادر في 6 يونيو 1946، وهي بدورها اقتبسته عن London Jewish Chronicle).

(15) المصدر نفسه.

(16) من بين الذين «أُنقذوا» من العائلة التي تبنتهم يوسي بيليد، السياسي والعميد السابق. يذكر غرودزنسكي (في ص50 من كتابه Shadow) مقابلة معه، ومع أخته، ومع ابنة العائلة البلجيكية التي تبنتهما، وفيها يقال لنا إن والدي يوسي وأخته ذهبا ضحية الهولوكوست. غير أن مؤلف هذا الكتاب لاحظ أن المادة الخاصة بيوسي بيليد في الويكيبيديا (وهي مادة جرى الاطلاع عليها في 9 مايو 2013) تقول إن والدة بيليد نجت من معسكرات الموت، وأنها هي التي استعادته بمعونة اللواء اليهودي، ومن ثم قاما بما يدعى aliyah. ويبدو من معلومات الويكيبيديا أنها مستمدة من المعلومات الخاصة ببيليد التي تعطيها وزارة الخارجية الإسرائيلية (وهذه جرى الاطلاع عليها كما في أعلاه). وقد اتصل المؤلف بالبرفيسور غرودزنسكي، فأجاب بأنه يستطيع إثبات ما قال بالاستعانة بشهادة أخت بيليد، وإن قصة بيليد معروفة في إسرائيل ولا تتضمن والدته. وقال البرفيسور غرودزنسكي ما يلي: «تثير رواية الويكيبيديا هذا التساؤل: إن كانت والدته استعادته، فكيف انتهى به الأمر من غيرها في كيبوتس نغبا؟ لقد كان في الكيبوتس وحده». وقد وجد البرفيسور غرودزنسكي موقعا على الشبكة (الإنترنت) يضع الأمور في نصابها؛ إذ يذكر أن هذا الموقع يضع الأم مع ابنها في الكيبوتس. ووجد أيضا أن موقع حزب الليكود على الشبكة (وهو باللغة العبرية، ولم يعد بالإمكان الاطلاع عليه) جرت تنشئته بصفته طفلا مسيحيا حتى سن الثامنة، وعندئذ حضرت أمه برفقة اللواء اليهودي لإعادته إلى حضن الديانة اليهودية. ويلاحظ المؤلف الحالي أن موقع الويكيبيديا وموقع وزارة الخارجية الإسرائيلية يجعلان تاريخ ميلاده في العام 1941، وهذا يثير المسألة الإضافية عن سبب صبر الأم أربع سنوات بعد انتهاء الحرب قبل السعي لاستعادة طفليها. أشكر البرفيسور غرودزنسكي على معونته الكريمة.

(17) Grodzinsky, Shadow, 94, 51, 90-91.

المثال المشار إليه عن منع الاتصال بالعائلة التي نجت هو دار الأيتام في سلڤينو في الشمال من إيطاليا.

TNA, CO 537/1705/0003.

كان رد فعل جون غوج، الذي كُتبت له النجاة من حادثة تفجير فندق الملك داود، تجاه عمليات الاختطاف غاضبا، فكتب «إنها توضح بجلاء أن اليهود الصهاينة لا تهمهم سعادة اليهود أو راحتهم في شيء... هذه الدرجة من التعصب والقسوة يصعب علينا فهمها». يبدو أنه كان هناك شخصان يعيشان في الفترة نفسها يحملان اسم جون غوج وينتميان إلى القوات البريطانية، مما يسبب بعض الخلط. غوج الذي نتحدث عنه هنا عرف أفضل ما عرف في حياته العملية في جزر سليمان [في الجزء الغربي من المحيط الهادي].

(18) Ernst, So Far So Good, 173;

TNA, FO 800/487, 110, 211.

(19) Lilienthal, What Price, 26-27;

حول «نكتة» روزفلت عن وايز، كان الرئيس يخشى أن يصادف وايز جوزف پروسكاور، رئيس اللجنة اليهودية الأمريكية الذي ينتقد الصهيونية انتقادا له أثره، خارج مكتبه.

Menuhin, Decadence, 96;

Ernst, So Far So Good, 176.

(20) النيويورك تايمز، 27 أكتوبر 1946.

(21) TNA, KV 5/29, '69C';

ibid, DSO/P/2131/D.3. ('Lochme Herut Israel');

FO 1093/508, red '64';

CO 537/1709, C.S. 731.

كان البريطانيون يدركون أن اليهود الذين يُشك في أنهم يتعاونون معهم ضد الإرهاب يُقتَلون، لذلك قللوا عدد الأفراد الذين يعرفون هوياتهم، وقد ثبت أن الحذر كان في محله عندما صودرت وثائق في «كبسة» على الوكالة اليهودية فوجدت فيها أسماء جواسيسها.

«سري للغاية: مذكرة» تبدأ بعبارة «ما يلي يتضمن...»، انظر الفقرة 4.

TNA, CO 537/1715

(22) قدم شاريت في المراسلات التي أجراها مع البريطانيين حججاً جديدة لم يوردها في العام 1944 تدعو إلى عدم تسريح اللواء اليهودي. انظر على سبيل المثال: رسالة شرتوك لبڤن في TNA, CO 537/1821 وكذلك CO 537/1821، صفحة مكتوبة بخط اليد وعليها الرقم 5 في الزاوية اليسرى العليا، وهي تبدأ هكذا: الهجرة وما صودر حديثا، وكذلك ورقة منفصلة عن محضر جلسة رقمها SD2/7580 'A'، والمصدر نفسه وقد كتب عليه بخط اليد «27 إلى الآخر».

(23) TNA, CO 537/1820, Palcor Buletin, 3rd Jan 1946, 3, 5;

CO 733/456/10,

برقية واردة 45، 55، 51؛ برقية مرسلة 95؛

WO 275/73, chart 31 Oct /1 Nov;

KV 5/34, blue "70d", blue "73c";

قيل - وفقا لـ Circus (MI6) - إن «عددا كبيرا من رجال البالماخ شاركوا» في الهجوم.

CO 537/1709, C.S. 731;

CO 537/1715,

سري للغاية: مذكرة تبدأ بعبارة «ما يلي يتضمن...». انظر الفقرة 4.

(24) TNA, CO 537/1715,

«قوات صهيونية غير شرعية في فلسطين وتواطؤ الوكالة اليهودية»، ولاسيما الجزء الثاني.

CO 733/456/10, 330/168/GS;

برقية واردة رقم 95؛ برقية مرسلة رقم 118.

Kister, Irgun, 262;

النيويورك تايمز في 20 يناير 1946.

(25) المصدر نفسه.

(26) TNA, CO 733.456/10, 75156/151A

CO 537/1715,

«قوات صهيونية غير شرعية في فلسطين وتواطؤ الوكالة اليهودية»، ولاسيما 16.

Kister, Irgun, 132, 262;

عن سرقة خيوط الغزل، انظر:

TNSAA, WO 169/23031,

الملخص الشهري الرقم 4، يناير 1946. كانت محطة الرادار في جبل الكرمل تعرف بالمحطة التجريبية التابعة للقوات الجوية الملكية في حيفا.

(27) Kister, Irgun, 262;

TNA, WO 169/23031,

الملخص الشهري الرقم 5، فبراير 1946

CO 733/456/10,

برقيتان واردتان: 220، 214.

KV 5/30, O.F. 608/1 "IZL and LHI", 6;

CO 537/1715,

الرسم البياني، 20 فبراير 1946، في الجزء العلوي الأيسر.

KV 5/30,

بيان يتصل بأعمال العنف، خصوصا 7؛

ملخص أيضا في:

CO 733/456/10.

فقرة مقتبسة من برقية من فلسطين رقمها 349... (36 بالأحمر).

(28) TNA, CO 733/456/19,

برقية مشفرة مكتوب عليها D.T.O. 161330 (الرقم 21 بالأحمر)؛

برقية واردة رقمها 260: فقرة مقتبسة من Palestine Tel رقمها 349 (الرقم 36 بالأحمر)؛

Ben-Yehuda, Assassinations, 217-218.

TNA , KV 5/29, OF 85/22(1)B.1.B;

المصدر نفسه، مقطع مقتبس 68ب.

KV 2/3428

(الورقة 13أ للعلاقة مع صحيفة مانشستر).

(29) TNA, KV 5/29, 373/2/1/GS;

CO 537/175,

بيان حول أعمال العنف؛ برقية واردة رقمها 614، برقية واردى رقمها 289،
وثيقة بريطانية تشير إلى هجمات في ثلاثة مواقع مختلفة: شفا عمرو، وكفار فتكين، وسارونا؛
انظر: النيويورك تايمز، 22 فبراير 1946.
CO 537/1715,

«قوات صهيونية غير شرعية في فلسطين وتواطؤ الوكالة اليهودية»، لاسيما 16 - 22.
CO 733/456/10,

برقيات واردة أرقامها 289، 301، 311، 319، وفقرة مقتبسة من Palestine Tel رقمها 349
(رقم 36 بالأحمر)؛
CO 537/1715,

سري للغاية: مذكرة تبدأ بعبارة «ما يلي يتضمن...»، خصوصا 2.
WO 169/23031,

الملخص الشهري الرقم 5، فبراير 1946.
(30) كننغهام، في برقية تاريخها 19 فبراير،
TNA, CO 537/1711,

برقية واردة رقمها 281.
كانت السجلات البريطانية قد أخذت تتحدث بالفعل منذ أوائل الخمسينيات عن حكومة
إسرائيل بقولها إنها تستخدم وسائل إعلامها لخلق حالة فزع جماعية، ومن ثم تجد
نفسها مضطرة إلى اتخاذ إجراءات ضد «التهديد» الذي تواجهه لئلا تفقد مصداقيتها.
وهذا يتكرر صراحة في العام 1956 مثلا. انظر:
FO 371/121692,

تقرير من السفارة البريطانية في تل أبيب، 20 فبراير 1956، 2.
(31) النيويورك تايمز في 23 فبراير 1946. منظمة مسادا للشباب التابعة للمنظمة الصهيونية
الأمريكية أعلنت بدء الحملة في مؤتمرها القومي السنوي الحادي عشر.
(32) Kister, Irgun, 132, 262, 263.
TNA, CO 537/1715,

يشير البيان الرقم 7 الخاص بأعمال العنف إلى تدمير سبع طائرات وإعطاب ثماني، بينما يشير
آخر إلى تدمير سبع طائرات وإعطاب خمس عشرة. أنا استعملت الرقم الموجود في 215.
TNA, CO 537/3854, MS 11750/AOC

بتاريخ 26 فبراير لأنه يبدو أنه آخر إحصائية بريطانية.
WO 275/34, Appendix A

في «تقرير عام عن الأعمال الإرهابية في منطقة الفرقة المحمولة جوا رقم 6 في العام 1946».
تشير النيويورك تايمز (27 فبراير 1946) إلى تدمير 14 طائرة، ثماني منها لا يمكن إصلاحها.
TNA, CO 733/456/10.

برقية مشفرة رقمها 363920.
المصدر نفسه، برقية واردة رقمها 320.
CO 733/456/10,

بيان رسمي (عليه الرقم 52 بخط اليد).
ملخص الوثائق المصادرة من مستوطنة بيريا في 27 فبراير 1946 والصفحات التي تلي الملخص
حتى ص79؛ برقية واردة رقمها 352.
(33) TNA, CO 733/456/10, Extract from Palestine Tel. 349 (red “36”);

«سري للغاية/ قوات صهيونية غير شرعية في فلسطين وتواطؤ الوكالة اليهودية»، لاسيما 8.
CO 537/1715,

CO 537/1821, 92275/1/SD1a; ibid, pencilled "27 End"

Kister, Irgun, 263.

النيويورك تايمز، 7 مارس 1946؛

CO 733/456/10.

برقيتان واردتان رقمهما 376، 502.

وفقا للرسم البياني في 275 WO/73 بتاريخ 31 أكتوبر - 1 نوفمبر 1945 فإن محطة القطار في سكرير تعرضت للتفجير في 3/27 من دون وقوع إصابات أو أضرار؛ انظر:

WO 169/23031.

حيث تجد قائمة بالأحداث الثانوية لشهر مارس (1946).

(34) TNA, WO 275/73,

الرسم البياني 1؛

CO 733/456/10.

البرقيتان الواردتان 542، 546.

KV 5/35, 104AB; ibid. 101z;

WO 169/23031,

الموجز الشهري الرقم 7، أبريل 46.

Kister, Irgun, 263.

(35) TNA, WO 733/456/10.

البرقيتان الواردتان 613 و614.

WO 275/73,

الرسم البياني، 31 أكتوبر - 1 نوفمبر 1945.

WO 275/34.

يشير الملحق أ في «تقرير عام عن الأعمال الإرهابية في منطقة الفرقة المحمولة جوا رقم 6 في العام 1946» إلى هجوم على «مستودع الأسلحة CON DEPOT الرقم 3»، وهو الهجوم الذي افترضتُ أنه استهدف مستودع النقاهة Convalescent Depot التابع للجيش. هذا التقرير قدر عدد المهاجمين بعشرين يهوديا مسلحا، وليس 10 - 15 للهجوم الثاني على نتانيا.

(36) TNA, CO 73/456/10,

برقية واردة رقمها 664.

يقول الملحق أ في «تقرير عام عن الأعمال الإرهابية في منطقة الفرقة المحمولة جوا رقم 6 في سنة 1946» الوارد في 275 WO/73 إن الهجوم على محطة تل أبيب كان لصرف النظر عن الهجوم على مركز الشرطة.

Kister, Irgun, 263.

(37) TNA, KV 5/29,

برقية واردة رقمها 687.

المصدر نفسه، إعلان الحداد.

CO 537/3854, 75156/151;

المصدر نفسه، برقية مشفرة، IZ 2315؛

المصدر نفسه، برقية مرسلة، 739.
WO 169/23031,

الموجز الشهري الرقم 7، أبريل 46.
CO 733/456/10,

هجوم على موقف السيارات التابع للفرقة للمحمولة جوا في تل أبيب في 25 أبريل 1946؛
ملحق مع بيانات؛ برقية مرسلة رقم 739؛ برقية واردة رقم 687؛ وانظر عن الأحداث الثانوية.
WO 169/23031.

الأحداث اليومية – أبريل 1946.
(38) HMS Chevron, TNA, CO 733/456/10,

برقيتان واردتان رقمهما 737 و749.
(39) TNA, KV 5/35,

فقرة مقتبسة من تقرير مرسل منD.S.O. في فلسطين حول الأمور اليهودية:
DSO/P/17478/P...;
WO 261/562.

(40) المصدر نفسه،
CO 537/1711,

الوضع في فلسطين، 3.
(41) TNA, WO 275/58,

الموجز الاستخباري الرقم 3، ... إلى 26 يوليو 1946.
(42) TNA, CO 733/456/10,

برقية واردة رقمها 737.
CO 733/456/11, red "73";
CO 537/1711, C.O.S. 534/6;

المصدر نفسه، رسالة من ل. ج. هولس إلى رئيس الوزراء؛
المصدر نفسه، برقية مشفرة تاريخها 4 مايو، ورقمها CIC/972.
CO 537/1711,

3، الوضع في فلسطين، الملحق 2، مضاف إلى الملحق 2.
المصدر نفسه، بن غوريون يوجه الهاغانا، في الزاوية اليسرى العليا: سري للغاية، 95؛
المصدر نفسه، رسالة من فايتسمان إلى تشرشل تاريخها 14 أبريل 1946.
(43) TNA, CO 733/456/11, red "73";
CO 537/1711, C.O.S. 534/6;

بيان إعلامي عن أحداث العنف في فلسطين، وزارة المستعمرات، يوليو 1946. كانت أشد الأدلة وضوحا برقيات مرسلة من الوكالة ونشرات يذيعها راديو كول إسرائيل. لعززت القضية بمواد مطبوعة: في حيروت التابعة للإرغون، وهاماس التابعة لليهي، والإشناف التابعة لحركة المقاومة اليهودية (وهي تحالف بين الهاغانا والإرغون وليهي).
TNA, KV 5/36,

بيان إعلامي عن أحداث العنف.
WO 261/562,

سجل تاريخي من يوليو إلى سبتمبر 1946.
(44) TNA, KV 5/30,

فقرة مقتبسة من 97z ,5/DSO/B/2 من خلف الورقة وما يتبعها.

WO 169/23031,

الملخص الشهري، 8 مايو 1946.

WO 275/34

الملحق «أ».

613/A/GSI.

WO 275/73,

الرسم التوضيحي ، 31 أكتوبر - 1 نوفمبر،

CO 733/456/10,

برقية واردة رقم 847.

Kister, Irgun, 263.

(45) TNA, CO 733/477/3,

أهم الأحداث الإرهابية.

CO 733/456/10.

برقية واردة 935.

KV 5/35, DSO/B/2/5, Rescue by the LHI, 6

WO 169/23031,

الملخص الشهري، 9 يونيو 1946،

حول حادثة العيادة تقول بعض الوثائق إنها الإرغون (5 KV/30, 606 1/O.F. "96B")
ولكن لا شك في أن ليهي هي الصواب.

KV 5/38, B.3.a., 92a);

KV 5/35, blue "91ZA", etc.

المصدر نفسه، 96 بالأزرق.

WO 169/22957,

تقرير عن تخريب القطار في 10 يونيو 1946:

WO 275/73, chart '1 Nov 45';

CO 733/456/11, C. S. 759 (red "86")

(46) TNA, CO 733/456/11, Report, C. S. 759 (red "86")

WO 275/73, chart, "11/6/46";

KV 5/35,

قصاصات من الصحف:

CO 537/1712,

الرقم 135 في الزاوية العليا اليمنى:

KV 5/38, 162a;

WO 169/22957, red "J58" at top,

والمراجعة الأسبوعية للمنطقة الشمالية من فلسطين الرقم 11.

(47) CO 733/477/3

أهم الأحداث الإرهابية من 1 يونيو 1946 إلى 6 مارس 1947:

CO 733/456/11.

الرقم 131 مكتوب بخط اليد، والرقم 86 بالأحمر:

المصدر نفسه، الرقم 89 بالأحمر، بتاريخ 22 أغسطس 1946 [كذا]؛
المصدر نفسه، الرقم 128 في الزاوية العليا اليمنى؛
المصدر نفسه، «أعمال التخريب» الرقم 99 بخط اليد (طُعن بدوي فجرح جرحا بليغا)؛
FO 371/52530,

برقية واردة 985، 987؛

WO 169/22957,

المراجعة الأسبوعية للمنطقة الشمالية من فلسطين، الرقم 11.

(48) TNA, FO 371/52530,

برقية واردة غير مرقمة ولكن مكتوب عليها الرقم 70؛

FO 371/52430,

برقية مشفرة (الرقم 373476 في أعلاها)؛

WO 169/22957,

المراجعة الأسبوعية للمنطقة الشمالية من فلسطين الرقم 11؛

CO 537/1711, red 112;

المصدر نفسه، رسالة فايتسمان إلى تشرشل، 14 أبريل 1946، خصوصا 2.

(49) TNA, CO 537/3854, SF 209/ Palestine/ Supp/B3a/JCR (red "20");
KV 5/35, JTA, "98W"

ذكرت الوكالة اليهودية للتلغراف(JTA) أن الهجوم من عمل الإرغون، ولكن البريطانيين اعتقدوا أن ليهي هي التي قامت به، وهو ما تؤكده فيما يبدو،

CO 537/3854 red 20,

والملاحظات المكتوبة بخط اليد JTA blue 97 35/KV 5؛

WO 169/22957,

ليلة الأحداث 17 - 18 يونيو،

CO 537/1715,

بيان عن أعمال العنف، ص8؛

FO 371/52530,

برقية واردة رقمها 989؛
وانظر حول الهجمات الأخرى في 17 - 18 يونيو:

WO 169/22957,

تقرير موجز عن أحداث ليلة 17 - 18 يونيو، ص46؛

KV 5/35,

«إذاعة كول إسرائيل تعطي أسباب الهجمات».

(50) TNA, CO 733/456/11, 106;

عن الضباط المختطفين انظر أيضا:

WO169/22957, J81,

وكذلك المراجعة الأسبوعية للمنطقة الشمالية من فلسطين الرقم 11؛

KV5/35, 978 (JTA Bulletin);

المصدر نفسه؛

"O.F. 608/1", IZL and LHI, esp 6.
CO 733/477/3,

أهم الأحداث الإرهابية؛

CAB 129/10/0/0038;
FO 371/52430,

برقية واردة رقمها 992؛

CO 537/1711,

برقية واردة رقمها 1100، 993؛

KV 5/35, 98W.

(هجوم على ورش محطة قطار حيفا)؛

CO 537/1711 (red "49");

المصدر نفسه، برقية واردة رقمها 993.

WO 275/58,

الكتيبة السادسة المحمولة جوا، الملخص الاستخباري الرقم 1.
عن إطلاق سراح الضباط المختطفين انظر: (6/27 - 46/7/11).

WO275/58,

الكتيبة السادسة المحمولة جوا، الملخص الاستخباري الرقم 1 (6/27-46/7/11)؛
يعتمد وصفي للصندوق الخشبي بأنه شبيه بالتابوت على عدد من التقارير البريطانية تصف صندوقا استعمل في مشهد الاختطاف أخفيت فيه نقالات الجرحى، وساد الاعتقاد بأنه استُخدم للاختطاف، ويعتقد أن الرجال أمسك بهم عند الرقم 9 من طريق سلامث، حي غفات موشي بتل أبيب.

(51) TNA, CO 537/1715, 262/10/5/GS,

قسم التحقيقات الجنائية، خصوصا 7، 11، 12؛

Kolsky, Jews Against Zionism, 143-144.

(52) TNA, WO 275/58,

الفرقة السادسة المحمولة جوا، الملخص الاستخباري الرقم 4 (حتى 9 يونيو 1946).

(53) TNA, KV 5/30, 107 (DSO/P/20054/S.I.);
WO 169/23031,

الملخص الشهري في 9 يونيو 1946؛
وحول التأمين والمجوهرات انظر أيضا: WO 275/79، 317، أمن القوات المحمولة جوا، التقرير الرقم 44، الأسبوع المنتهي في 9 سبتمبر 1947، كانت شركات المجوهرات التي تؤمن على ممتلكاتها عن طريق شركات التأمين البريطانية مستهدفة، وكان المالك بعد تسلم أموال التأمين يعيد شراء المجوهرات من العصابات. انظر: KV 2/1435K، رسالة من كِلَر إلى شِمث، 229 أ؛

WO 275/58,

الفرقة السادسة المحمولة جوا، الملخص الاستخباري الرقم 1 (27 يونيو - 11 يوليو 1946).

(54) TNA, FO 371/67813B, Z 6069,

الإرهاب اليهودي في إيطاليا.

(55) TNA, KV 5/37,

فقرة مقتبسة من MITROPA: النشرات المذكورة جرى الحصول عليها في منتجع باد غاشتاين [في النمسا]. يشير النص إلى فرع باغولا التابع للإرغون. لم يجد المؤلف أي ذكر آخر للاسم، ويبدو أنه مستمد من إيلو باغولا، وهو مسيحي أمريكي - أفريقي الأصل

قيل إنه التحق بالحركة الصهيونية في أوائل القرن العشرين.

(56) TNA, KV 5/36,

ملصقات إعلانية من الإرغون (107X).

المصدر نفسه، بيان إخباري من فلسطين عن أعمال العنف؛

WO 261/562,

سجل تاريخي من يوليو إلى سبتمبر 1946.

(57) TNA, WO 261/562,

سجل تاريخي من يوليو إلى سبتمبر 1946.

عملية أغاثا:

WO 275/27.

WO 275/29,

عملية أغاثا، التعليمات الرقم 68.

CO 537/1711,

غرفة عمليات فلسطين وشرق الأردن، عملية أغاثا من 29 يونيو - 1 يوليو 1946، ص3 - 5.

المصدر السابق، برقية واردة رقمها 1056.

برقية من رئيس الوزراء إلى رئيس الولايات المتحدة.

مسودة بيان شفهي... (الاستنتاجات الرقم 60: المحضر الرقم 3، 20 يونيو 1946).

المصدر السابق، برقية واردة رقمها 1007.

تشير الوثائق البريطانية إلى تسريب من عملية اسمها برودسايد، ويبدو أن هذا اسم آخر لعملية أغاثا. كانت عملية برودسايد «نظرية شاعت بين اليشوف كررتها كتب التاريخ الإسرائيلية» عن خطة طموحة انظر:

Motti Golani, Palestine between Politics and Terror, 1945-1947. Brandeis University Press, 2013, 92-93).

وانظر:

TNA, CO 537/1715, WO 261/562

حيث تجد النشرة المعنونة بيان إعلامي يتصل بأعمال العنف في فلسطين.

(58) TNA, CO 537/1711,

غرفة عمليات فلسطين وشرق الأردن، عملية أغاثا من 29 يونيو - 1 يوليو 1946، ص 12، 5.

WO 275/29,

عملية أغاثا، تعليمات رقم 68، 2.

CO 537/1715,

البرقية الرقم 1130/ الرقم 1077، القضية ضد الوكالة اليهودية.

المصدر نفسه، من المندوب السامي، الرقم 1038. أشارت بعض الوثائق إلى مجموعة إرهابية لم تكن معروفة سابقا اسمها كوتسر، وهو اسم فسره البريطانيون على أنه اختصار للعبارة العبرية التي تعني «مجموعة الاحتياط العسكري»؛

عن وايز وترومَن انظر:

FO 371/52563,

رسالة من وزير الخارجية جيمس ف. بيرنز، تاريخها 1946/10/24، وترافق مراسلات من وايز.

(59) TNA, CO 537/1711,

غرفة عمليات فلسطين وشرق الأردن، عملية أغاثا من 29 يونيو - 1 يوليو 1946، خصوصا ص1 – 11:

CO 537/1712,

«سياسة الوكالة اليهودية».

(60) TNA, CO 733/456/11,

برقية واردة رقمها 1175.

WO 275/58,

الفرقة السادسة المحمولة جوا، الملخص الاستخباري الرقم 2 (12 - 19 يوليو 1946)، والرقم 1 (27 يونيو - 6 يوليو 1946).

وانظر على سبيل المثال 148/WO 169 (الملخص الاستخباري في 8 يونيو 1940، الفقرة 75) عن الضغوط التي مورست لمنع التشيكيين من الالتحاق بالجيش التشيكي.

(61) Rogan, The Arabs,

(أخرى كثيرة وصفحات) 250.

TNA, KV 5/36, 110b; 113 (DSP/P/18281/14/P2); (O.F.608/1/B.3a/JCR)

حول الادعاء بأن الإرغون أعلمت كل المؤسسات اليهودية في الساعة 10 - 11 من صباح يوم التفجير عن موقف هجومي أشد. وبالنسبة إلى الاقتباس عن كننغهام، انظر:

FCO 131/14292,

رسالة إلى كريج جونز في 30 أكتوبر 1946،

WO 261/562,

الهجوم على فندق الملك داود،

WO 275/33A,

ترجمة لإحدى الوثائق التي وجدت في حديقة منير في 30 يوليو 1946؛ يتضح الأمر أكثر في البرقية الواردة الرقم 1257 في:

CO 537/1715;

KV2 2251, 25a;

KV 5/30.

ملخص رسالة من:

D.S.O. Palestine ref.DSO/P/S1.

KV 5/36, 112z, 114 (Irgun Zvai Leumi; Irgun Communique, KV 5/36.

من بين الأدلة التي حصل عليها البريطانيون بعد الهجوم على فندق الملك داود، تعرف عريف سابق في الجيش أعطي اسم Jewson (ابن اليهودي) على أربعة أشخاص قال إنهم شاركوا في العملية الإرهابية، كان من بينهم قائدُ طيارة تدريب، وأستاذ للفلسفة في فيينا، كان الآن يبتز المال لصالح الهاغانا. ونشرت جريدة فلسطين في عدد خاص ما يلي في 22 يوليو 1946 (المصدر Palestine Chronicle): «جميع موظفي الدرجة الثانية يدينون تلك الحملة الفظيعة التي شُنت على السكرتارية العامة في القدس، وأدت إلى قتل كثير من أعضائها، وكذلك إلى قتل العديد من زملائهم من موظفي الدرجة الأولى، بينما كانوا يؤدون واجبهم بكل إخلاص. ولا شك لدى الرابطة في أن جميع أفراد الشعب سيعبرون عن تعاطفهم العميق في هذه الساعة السوداء مع عوائل الضحايا الذين قتلوا في هذا العمل الوحشي. وفي ظل هذه الظروف فإن الرابطة لا تملك إلا أن تقدم بقلب جريح أعمق مشاعر العزاء لأهالي الضحايا ولسعادة رئيس الحكومة».

(62) TNA, KV 2 2252, "100a";
CO 537/1715;

جاء ما قاله بيغن للكنيست عن بن غوريون في 10 أكتوبر 1950.

(63) TNA, WO 275/58.

الفرقة السادسة المحمولة جوا، الملخص الاستخباري الرقم 4 (حتى 9 أغسطس 1946).

KV 5/36, Extract [فقرة مقتبسة] GI/33879;
KV 2/1435, 264c;

السيد تد ستيل في مقابلة مع المؤلف أجريت في نايتن (ويلز) في 3 أغسطس 2014؛ كانت له صديقة تدعى هلدا برتبة رقيب مسؤولة عن فتيات الخدمات المساعدة.

CO 537/3864,
red "2A.J. Kellar"

في الزاوية العليا اليسرى؛

CO 537/ 3854,

سري للغاية وشخصي، 21 يناير 1946.
انتشرت إشاعة تقول إن البريطانيين كانوا على علم بالهجوم على فندق الملك داود مقدما؛ انظر:

CO 733/478/2, red '31'.

حيث نُقل كلام نقلا غير دقيق عن ضابط بريطاني، وربما كان ذلك أصل الشائعة. هنالك في كتاب كلارك بعنوان By Blood and Fire محاولةٌ تفصيلية يصعب قبولها لترتيب الأحداث تذكر تحذيرات مزعومة، وتقدم تسلسلا للأحداث لحظة بلحظة، وتصور تحركات الشخص المتصل وأفكاره. للحصول على سجل لسعي الإرغون إلى خلق الإحساس بقرب وقوع تفجيرات في وقت قريب من تفجير فندق الملك داود انظر مثلا:

TNA, WO 275/121.

(64) يقول هوفمان في كتابه Anonymous Soldiers مثلا إن الهجوم على فندق الملك داود كان أشد الهجمات تدميرا. وقيل أيضا إن دائرة البريد المجاورة والقنصلية الفرنسية تلقتا مكالمات تحذيرية. هذا صحيح، لكن المكالمات أتت بعد الانفجار الرئيس.

TNA, WO 261/562,

الهجوم على فندق الملك داود.

(65) TNA, KV 2/1435, Robertson to Smith, 264C;

وانظر عن إلتيد كَلَيْتن؛

CO 733/478/2.

رسالة من القاهرة بتاريخ 26 يوليو 1946.

CO 733/478/2,

112A وينتهي الأصل بثماني نقاط.

(66) TNA, WO 261/562,

سجل تاريخي من يوليو إلى سبتمبر 1946، عملية القرش.

WO 275/31; WO 275/32;
Cesarani, Hat, 41;
CIA Documents;
KV 5/30.

قسم الصحف؛

عن أدوات التزييف والسندات المزيفة انظر المكتبة اليهودية الافتراضية؛ جرى الاطلاع عليها في 15 يونيو 2014.

KV 5/37, Kellar to Smith, 126B.

TNA, KV 5/36, Herut No. 59.

ووُفِقَ على القرض الأنغلو - أمريكي في يوليو على الرغم من محاولات الصهاينة الأمريكيين منعه، انظر:

Medoff, Militant Zionism, 143-144.

كان وايز الصهيوني البارز الوحيد الذي لم يعارض القرض صراحة، انظر أيضا:

FO 800/485, 159.

(67) TNA, WO 275/73, chart, "11 Jun 46";

KV 5/36, 115z;

KV 3/56,

برقية مرسلة رقمها 1414.

(68) TNA, HO 45/25586.

(69) TNA, KV 3/56,

برقية مرسلة (تخلو من أي علامات)؛

KV 5/36, Extract, JTA, OF.608/1;

WO 275/121,

استعراض استخباري دوري للفترة المنتهية في 29 أغسطس 1946.

CO 733/456/11,

برقية مشفرة رقمها 42257 ج (صفر) وبرقية واردة رقمها 1355.

CO 537/2292,

برقية واردة رقمها 1400، ورسالة من غَلَنْج إلى سي. س. شمث 728.

تقول بعض المصادر (الويكيبيديا مثلا) إن تاريخ الهجوم المسمى Empire Rival هو 8/22؛ الوثائق البريطانية تقول إن العبوات وضعت في الساعة 22:45 يوم 21 أغسطس.

عن مسؤولية الهاغانا، انظر:

WO 275/58,

الملخص الاستخباري الرقم 6، ص6.

عن سياسة حكومة جلالته القاضية بإرسال المهاجرين غير الشرعيين إلى قبرص، انظر:

WO 261/562, "G Branch",

الهجرة غير الشرعية، سجل تاريخي من يوليو إلى سبتمبر 1946.

كان التوقيت الدقيق لإعلان تخفيف أحكام الإعدام أمرا بالغ الأهمية لأسباب لم يستطع المؤلف أن يتبينها، وحرص البريطانيون على التأكد من أن الخبر لن يتسرب قبل أوانه؛

KV/5/38,

«اهتمام اليهود بالانشطار الذري».

(70) TNA, KV 3/437, 46A,

تقارير وسائل الإعلام؛

Medoff, Militant Zionism, Chap. 8;

النيويورك تايمز في 11 نوفمبر 1946؛

TNA, FO 800/486, 106, 128.

الاقتباس عن رئيس الوزراء: قدم الدكتور ناحوم غولدمان الاقتراحات نيابة عن الوكالة اليهودية.

TNA, FO 800/485, 194 (No. 1218).

تشير هذه الوثيقة أيضا إلى البرقيتين 606 و607 اللتين لم يتمكن المؤلف من معرفة مكانهما. وحول غولدا مئير وإصرار الوكالة اليهودية على السيطرة على الوجود اليهودي في مؤتمر لندن، انظر نص المقابلة في:

WO 261/562.

(71) TNA, KV 5/30,

تقارير وسائل الإعلام،

FO 371/52560,

برقية مرسلة رقمها 1683.

النيويورك تايمز، 11 سبتمبر 1946. أشير إلى تفجيرات خط حيفا - القنطرة في 8 و9 سبتمبر على أنها حدثت بين رحبوت وبير يعقوب (وحصل التدمير في ثلاثة مواقع)، وبين كفار جنس وراس العين قرب قلقيلية.

CO 733/456/11.

برقية واردة رقمها 1453.

المصدر نفسه، رسالة إلى ألك كيركبْرايد (31/4/E 8911).

WO 275/73,

رسم بياني، 1 نوفمبر 1945، في الجزء الأعلى الأيسر؛ رسم بياني، 9 سبتمبر 1946.

WO 261/562

الأعمال الإرهابية من 8 إلى 30 سبتمبر.

(72) TNA, KV 5/30,

تقارير وسائل الإعلام؛ رسالة إلى ترافورد شمث رقمها 120 ب؛

CO 733/477/3.

KV 5/37,

برقية مشفرة رقمها 58248/ج (صفر).

CO 733/456/11,

برقية واردة رقمها 1466.

تذكر الوثائق البريطانية رواية مختلفة تماما عن اغتيال الرقيب مارتن عن رواية بوير بل (167)، وهي الرواية التي يستشهد بها بن يهودا في كتابه 225 (Assassinations). في تلك الرواية يظهر منفذو الاغتيال بمظهر لاعبي التنس الذين يقتلون مارتن، بينما هو يمشي مبتعدا عن ساحة اللعب. أما الوثائق البريطانية فتتكلم عن ثلاثة يهود يقتربون من مارتن بسيارة بْيوك؛ ينزل اثنان منها، ويبقى سائقها جالسا في مكانه. يطلقان سبع طلقات تصيب خمس منها مارتن في ظهره. وبدلا من أن يموت على الفور كما تقول الرواية الصهيونية، تقول الوثائق البريطانية إنه عاش ساعتين أخريين ومات في المستشفى. ولا شك في أن التاريخ الذي يعطيه بوير بل لعملية الاغتيال، وهو 10 أغسطس، غير صحيح.

يتسحاك شامير = إسحاق يازِرْنِتسكي شامير.

(73) TNA, CO 733/456/11,

برقية واردة رقمها 1496.

KV 5/37,

برقية واردة رقمها 1487، 1455

برقية مشفرة رقمها 380587؛ برقية واردة رقمها 1466؛ أزرق 136ب؛ أزرق 133د.

WO 261/562,

أعمال العنف من 8 إلى 30 سبتمبر.

CO 733/477/3, HO 45/25586,

الكفاح اليهودي؛

هل اختلط موت العرب الأربعة هؤلاء نتيجة لسرقات البنوك مع أولئك الذين ماتوا في حادثة القطار التي حدثت في اليوم نفسه؟

النيويورك تايمز في 14 سبتمبر 1946.

عن بفْن وبيرنز، انظر:

TNA, FO 800/486, 123.

المراجعة الاستخبارية الدورية للفترة المنتهية في 8 أكتوبر 1946؛

WO 275/121.

(74) TNA CO 733/456/11,

برقيات واردة أرقامها 1552، 1528، 1599.

KV 5/37,

برقية مشفرة، الرقم 136 بالأزرق.

المصدر نفسه، برقية واردة رقمها 1528.

WO 275/73,

رسم بياني، 8 – 9 سبتمبر في الزاوية العليا اليسرى؛ 18 و19 فبراير في الزاوية العليا اليسرى؛

WO 275/121,

المراجعة الاستخبارية الدورية للفترة المنتهية في 8 أكتوبر 1946،

WO 261/685,

الملخص الاستخباري الرقم 12، حتى تاريخ 4 أكتوبر 1946؛

CO 733/456/11.

هذه الوثيقة تضع تفجير خط حيفا - القنطرة بتاريخ 24 سبتمبر (ليلة 23 - 24)؛ وثائق الإرغون تقول في 23؛ انظر كتاب كستر عن الإرغون، ص265.

WO 261/467.

مقر منطقة جنوب فلسطين؛ الملخص الاستخباري الرقم 16 للفترة المنتهية في 29 سبتمبر 1946؛

KV 5/37,

برقية سرية وردت مشفرة رقمها 136؛ برقية واردة رقمها 1528.

CO 733/477/3.

أهم الأعمال الإرهابية في الفترة بين 6 مارس و1 يونيو 1947.

KV 5/30,

برقية واردة رقمها 1603.

عن الكلاب، انظر:

WO 261/647,

قيادة منطقة جنوب فلسطين؛ الملخص الاستخباري الرقم 16 للفترة المنتهية في 29 سبتمبر 1946؛
FO 371/52560

برقية واردة رقمها 1599 تشير إلى 50 باوند من المتفجرات في حادثة مرسى النفط في حيفا يوم 29 سبتمبر 1946، مع أن تقريرا بريطانيا آخر قدر المتفجرات بأربعين باوند؛ برقية واردة رقمها 1603.

(75) النيويورك تايمز في 26 سبتمبر 1946.

عن بفن انظر:
TNA FO 800,

486 مكتوب عليها بخط اليد الرقم 123 في الزاوية العليا اليمنى.

(76) TNA, FO 800/486, 16.

(77) TNA, WO 275/121; also WO 261/564,

«نص كلمة ألقاها يهودي أمام جمهور في نادٍ ريفي».

(78) المصدر نفسه (نص كلمة...)، وفيما يتعلق بالإشارة إلى التدخل الصهيوني بهجرة المهجرين اليهود إلى أستراليا فإن كلاوس نويمان يقول في كتابه Across the Seas - Australia's Response to Refugees: A History (Black, 2015) إن كثيرا من الزعماء اليهود عارضوا الهجرة، إما لأنهم خافوا من نشوء المشاعر المعادية للسامية، وإما لأنهم كانوا صهاينة ملتزمين بالفكر الصهيوني.

(79) TNA, WO 261/562, "G Branch",

سجل تاريخي للفترة من يوليو إلى سبتمبر 1946، ونشرة الاستخبارات الرقم 3 من 4 يونيو إلى 7 يوليو 1946، وغير ذلك من المصادر.
WO 275, 121,

المراجعة الاستخبارية الدورية للفترة المنتهية في 12 سبتمبر 1946.

(80) TNA, KV 5/30,

128z الطرق الإرهابية،
WO 275/58, and WO 261/656,

الملخص الاستخباري الرقم 12 (حتى 4 أكتوبر 1946)؛
WO 261/647,

الملخص الاستخباري الرقم 17 (حتى 28 أكتوبر 1946).

(81) TNA, WO 275/121,

المراجعة الاستخبارية الدورية للفترة المنتهية في 8 أكتوبر 1946.
المصدر نفسه، رسالة شهرية جوية رقم 1، أكتوبر 1946.
نشرة L.H.I الرقم 1، نوفمبر 1946.
TNA, CO 733/456/11,

برقية واردة رقمها 1634 (موجودة أيضا في 52560/FO 371)
CO 537/1814, P.F.93, 666/B.3.a/DJS;
KV 5/37,

ملاحظات على محادثة بين D.S.O وZ في 7 أكتوبر 1946.
CO 733/456/11,

برقية واردة رقمها 1634،

WO 275/58,
الملخص الاستخباري الرقم 13 (حتى 11 أكتوبر 1946).

(82) TNA, KV 5/30,
برقية واردة رقمها 1647;

CO 733/456/11;
WO 261/564,
ملخص عن أبرز الأحداث في ربع العام المنتهي في 31 ديسمبر 1946؛

WO 261/656,
أحداث تلغيم الطرق في منطقة الفرقة منذ 16 يونيو 1946؛

FO 371/52560,
برقية واردة رقمها 1647؛

Kister, Irgun, 265;
L.H.I. Bulletin, No. 1, Nov 1946.
(83) TNA, CO 733/456/12,
برقية واردة رقمها 1441؛

CO 733/477/3,
أهم الأحداث الإرهابية في الفترة من 6 يناير إلى 6 مارس 1947؛

WO 261/564,
ملخص عن أبرز الأحداث في ربع العام المنتهي في 31 ديسمبر 1946؛

Ben-Yehuda, Assassinations, 227-230;
,CO 733, 456, 11
برقية واردة رقمها 1647؛

WO 275/73,
رسم بياني، كتبت عبارة «9/9/8» في الجزء الأيسر الأعلى منه، تضع الحادثة في ليلة 21 - 22)؛
FO 371/52563, C.S. 421, No. 1563;
WO 275/58,
الملخص الاستخباري الرقم 15 (حتى 25 أكتوبر 1946)؛
هنالك تكرار في 261 656/WO؛

WO 261/647,
الملخص الاستخباري الرقم 17 (حتى 28 أكتوبر 1946)؛

L.H.I. Bulletin, No. 1, Nov 1946, 10;
TNA, WO 27/121,
رسالة شهرية جوية رقم 1، أكتوبر 1946؛

FO 371/52563,
برقية واردة رقمها 1767؛

WO 261/564,
النشرة الاستخبارية نصف الشهرية الرقم 27.

(84) TNA, FCO 141/14286,
البرقيات المرقمة 2078، 1803، 1676؛

FO 371/52563,

برقية واردة رقمها 2078؛
عن إعلانات جيليت يوم الثالث والعشرين انظر:
FO 371/52563.

رسالة من السفارة البريطانية في واشنطن تاريخها 25 أكتوبر 1946.
(85) عن سلفر، انظر: النيويورك تايمز في 27 أكتوبر 1946. هنالك مصادر تستشهد بما يقال إنه كلمات سلفر الفعلية عن اللاجئين في المؤتمر التاسع والأربعين للمنظمة الصهيونية الأمريكية وتخطئ في نسبتها إلى هذه المقالة في «نيويورك تايمز». أما المؤلف فلم يجد أي مصدر لهذا الاقتباس المزعوم: «هل نخلط ثانية في لحظات اليأس بين الصهيونية واللجوء، خلطا قد يؤدي إلى هزيمة الصهيونية؟ ليست الصهيونية حركة لاجئين». انظر أيضا:
TNA, WO 275/58,

الملخص الاستخباري الرقم 22 (حتى 13 ديسمبر 1946)؛
وانظر حول ادعاء سلفر بأن الوكالة تمثل اليهود كلهم «نيويورك تايمز» في 27 يناير 1947 على سبيل المثال.
(86) عن هجوم ليهي يوم التاسع والعشرين قرب فلهلما، ذكرت النيويورك تايمز (في 31 ديسمبر 1946) ما يحتمل أنه الهجوم نفسه «على مبعدة عدة أميال من تل أبيب».
L.H.I., Bulletin, no. 1, Nov 1946, pp. 10-11.
TNA, WO 27/12,

رسالة شهرية جوية رقم 1، أكتوبر 1946؛
CO 537/1712, OF.607/1/Link/B.3a/HPC;
KV 5/31, 138;
FO 371/52563,

برقية واردة رقمها 1777؛
L.H.I., Bulletin, no. 1, Nov 1946, p. 11.
Kister, Irgun, 265.
TNA, CO 733/456/11;
CO 733/456/11,

برقية واردة رقمها 1777؛
Palestine Pamphlet, 17,

عن الجرحى السبعة عشر؛
WO 275/79, 317, Airborne Field Security Section,

التقرير الرقم 1 للأسبوع المنتهي في 5 نوفمبر 1946.
(87) TNA, CO 733/456/11,

برقية واردة رقمها 1780؛
WO 275/121,

رسالة شهرية جوية رقم 1، أكتوبر 1946؛
يقول بن يهودا في كتابه عن الاغتيالات (ص242) إن الهجوم بدأ في الساعة الثانية وليس الثالثة. أما النيويورك تايمز فتشير إلى ثلاثة يهود في السيارة عند القبض عليهم وليسوا أربعة، كما يقول بن يهودا. أما الوثيقة التي أستشهد بها هنا، وهي WO 275/121 فتقول إن المقبوض عليهم ثلاثة، ولكن يبدو «أن الفتاة هربت».

FO 371/52563,

برقية واردة رقمها 1780؛

وهنالك وصف مختلف قليلا لهجوم 30 أكتوبر في:

WO 261/564,

سجل تاريخي من شهر أكتوبر إلى ديسمبر 1946، الهجوم على محطة القدس في 30 أكتوبر 1946.

وهذه الرواية تقول إن الشرطي سميث ترك الحقيبة الأولى في الخارج من دون أن يدمرها، بينما انفجرت الثانية وقتلته، ثم انفجرت الحقيبة الأولى في الخارج، ومن ثم انفجرت الحقيبة الثالثة (في الداخل).

(88) TNA, FO 371/60786,

من روما إلى وزارة الخارجية، رقم 1618.

KV 5/38, 158A;

النيويورك تايمز، في 1 نوفمبر (خبر يقول إن أحد المارة كان جرحه بليغا يجعله غير قادر على الإجابة عن أسئلة)، وفي 5 نوفمبر 1946.

Kister, Irgun, 191;

فيلم إخباري من تلك الفترة (لم يحدد مصدره) يقول إن شخصين قُتلا في هجوم روما.

TNA, FO 371/60786, ZM 3734 No. 1649

(هنا ترد كلمة Ineretz غير الصحيحة محل In Eretz).

(89) TNA, FO 371/60786, ZM 3734 (3684 & No. 1652).

(90) TNA, CO 537/2295,

برقيتك الرقم 2017، الفقرة 2.

قيل إن الاحتماء بمدينة الفاتيكان كان هدف المشتبه به الذي قُتل في أثناء الهروب.

(91) TNA, CO 537/2295,

كتب في الزاوية اليمنى العليا، 28 ديسمبر 1946.

كان المشتبه به الذي قُتل هو إسرائيل إيشتاين. وتلاحظ بعض الوثائق أن الشرطة الإيطالية كانت ترى أن الأدلة ضده لم تكن كافية لتقديمه للمحاكمة، ولكنه كان موقوفا لتسفيره إلى فلسطين فيما يبدو.

CO 537/1729,

الملحق الرقم 1، «المنظمة العسكرية الوطنية في فلسطين».

FO 371/67796,

السفارة البريطانية في روما،

37/199/47,

FO 371/102121,

المفوضية البريطانية في تل أبيب؛

WT 1651/1;

الديلي إكسبرس في 18 أبريل 1952،

JTA, 21/4/1952.

النيويورك تايمز، 18 أبريل 1952.

(92) L.H.I.-Bulletin, no. 1, Nov 1946, 9;

برقية مشفرة: G (0)1 73795.

المصدر نفسه، برقية واردة رقمها 1783.
WO 275/58,

الملخص الاستخباري الرقم 16 (حتى 1 نوفمبر 1946)؛
HO 45/25586,

الكفاح اليهودي، الرقم 1، 1945.
(93) TNA, FO 371/61865,

القاهرة لوزارة الخارجية الرقم 331.
رسالة إلى السيد مَنْهيو، برشلونة، 5 ديسمبر 1946؛
KV 3/437, 46A, 45A, 44A.

عن شْنيه انظر:
FO 371/52563.

رسالة من السفارة البريطانية في واشنطن تاريخها 26 أكتوبر 1946، وملاحظة لترافورد سْمِث تاريخها 31 أكتوبر 1946.
(94) TNA, WO 261/658,

فقرة مقتبسة عن إعلان أصدرته جماعة شتيرن،
KV 5/38,

برقية مشفرة ج (صفر) 1 73795.
FO 371/52563,

برقية واردة رقمها 1783.
CO 733/456/11.

برقيتان واردتان رقماهما 1793 و1783.
التايمز، 19 نوفمبر 1946.
برقية واردة رقمها 1803.
FO 371/52563.

(95) برقيات واردة أرقامها 1795، و1815، و1826؛
TNA, FO 371/52563.

وثائق من وكالة المخابرات المركزية.
TNA, WO 275/79, 317,

قسم الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جوا.
التقرير الرقم 1، للأسبوع المنتهي في 5 نوفمبر 1946.
البرقيات الواردة ذات الأرقام 1795، و1805، و1815.
CO 733, 456/11,
WO 275/73.

رسم بياني، 46/9/9؛
KV 5/38,

برقيات واردة أرقامها 1805، و1826، و1815.
المصدر السابق، 162 أ، 1556.
CO 733/477/3,

أهم الأعمال الإرهابية في الفترة الواقعة بين 6 مارس و1 يونيو 1947؛
WO 275/73,

رسم بياني، 9 سبتمبر 1946؛

WO 275/58,
تخريب السكة في منطقة الفرقة منذ 7 نوفمبر 1946.
لاحظ أن نشرة الـ L.H.I.، الرقم 1، لشهر نوفمبر 1946، ص11، تدعي أن ليهي قطعت الأسلاك يوم السادس من الشهر، غير أنني افترضت أن ذلك يتطابق مع التقرير البريطاني ليوم الخامس منه.

Falastin, in Palestine Chronicle, 4 Nov 1946.

(96) TNA, KV 5/31, "1366";

Palestine Pamphlet Terrorist Methods with Mines and Booby Traps, 5;
لاحظ أن خبر قتل الفلسطينيين يوم 3 نوفمبر رُوِيَ هكذا: شخصان قُتِلا «في أرض عربية».

(97) TNA, WO 275/79.
الكابتن ج. لنكليتر، 317 من قسم الأمن الميداني للفرقة الجوية، التقرير الرقم 1 للأسبوع المنتهي في 5 نوفمبر 1946.

(98) برقيتان واردتان هما الرقم 1841 والرقم 1854.

TNA, CO 733/456/11.

WO 275/121,
قيادة القوات الجوية في المشرق، رسالة جوية شهرية - نوفمبر 1946
نشرة الـ L.H.I.، الرقم 1، لشهر نوفمبر 1946، ص11.
النيويورك تايمز، 12 نوفمبر 1946.

FO 371/52563.
برقية واردة رقمها 1854.

KV 5/38, 160c, etc.

WO 275/73,
رسم بياني كتب التاريخ 9 نوفمبر 1946 في الجزء الأعلى الأيسر
«النيويورك تايمز» ذكرت في 12 نوفمبر 1946 أن «ثلاثة صهاينة كانوا يركبون شاحنة سوداء من تلك التي يستعملها رجال الشرطة».

(99) TNA, CO 733/456/11,
برقية واردة رقمها 1854 (أحبط هجوم آخر يوم 11 نوفمبر).

Kister, Irgun, 266;

WO 275/73,
رسم بياني مكتوب على زاويته اليسرى العليا 11 يونيو 1946؛
المصدر نفسه، رسم بياني مكتوب على زاويته اليسرى العليا 8 و9 سبتمبر.
المصدر نفسه، رسم بياني مكتوب على زاويته اليسرى العليا 11 نوفمبر 1946.

L.H.I.-Bulletin, no. 1,
برقيات يوم الحادي عشر، ص11.
يذكر كستر هجوم «روش هاعين»، ولا يبدو أن هذا الهجوم هو الهجوم الذي شُنَّ على «العين» وذكر في اليوم السابق.

(100) FBI,
الملفات الخاصة بالإرغون، وسجل الأخبار، 11 نوفمبر 1946؛

L.H.I.-Bulletin, no. 1, Nov, 1946, 7;

TNA, CO 733, 457/13, S.F.57/2/11(2)/B.1.B/JCR, red '10'.

(101) Lehi, L.H.I.-Bulletin, no. 1, Nov, 1946, 7;

وعن «نقم» Nakam انظر على سبيل المثال مقالة جونَثَن فريدلاند بعنوان «الانتقام» في الأوبزيرفر، يوليو 2008.

(102) TNA, FO 371/61761, Wichita Beacon, 14/11/1946.

وعن تشكيل لجنة للعمل السياسي من أجل فلسطين انظر «النيويورك تايمز» في 13 فبراير 1946.

(103) TNA, CO 733/456/11,

برقيات واردة أرقامها 1871، و1876، و1926، و1904، و1898.

FO 37152563,

برقيات واردة أرقامها 1871، و1876، و1886، و1898.

"Times, 19/11/46";

Illustrated London News, 11/1/1947;

WO 275/73,

رسم بياني مكتوب على زاويته اليسرى العليا 11 نوفمبر 1946.

تَدعي ليهي أنها قطعت أسلاك التلغراف يوم الحادي عشر.

L.H.I.-Bulletin, no. 1, Nov. 1946, p. 11

FBI, Irgun;

يذكر تقرير ليهي - عما يبدو - أنه هو نفسه هجوم 13 نوفمبر قتل الشرطيين، ولا يذكر قتل المدنيين العرب الأربعة ، انظر: (L.H.I.-Bulletin, no. 1, Nov. 1946, p. 11، الفقرة 25).

WO 274/79

الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جوا.

التقرير الرقم 3، الأسبوع المنتهي في 19 نوفمبر 1946.

KV 3/437, 63c;

ستة ضباط فلسطينيين يلقون مصرعهم في كمين لدورية مسؤولة عن أمن السكة الحديد، في جريدة Washington Evening Star بتاريخ 13 نوفمبر 1946.

CO 733/477/3,

أهم الأعمال الإرهابية في الفترة الواقعة بين 6 مارس و1 يونيو 1947:

WO 275/121,

رسالة شهرية جوية، نوفمبر 1946.

النيويورك تايمز، 18 نوفمبر 1946.

Kister, Irgun, 267;

Falastin, in Palestine Chronicle, 19 Nov 1946.

(104) Kister, Irgun, 267.

TNA, CO 733/456/11، برقية واردة رقمها 1931 أ

WO 275/73,

رسم بياني مكتوب في زاويته العليا اليسرى تاريخ 11 نوفمبر 1946، ويذكر اكتشاف لغم في راس العين في 19 نوفمبر، فُجر في الموقع. وقد أهملت ذكره لتحاشي إمكان التكرار.

«النيويورك تايمز»، 20 نوفمبر 1946.

TNA, FCO 141/14286,

البرقية الرقم 1858.

(105) TNA, CO 733/456/11.

البرقيات الواردة المرقمة 1938، و1958، و1986، و2015.

المصدر نفسه، DTO 210920B.

CO 733/477/3,

مكتوب عليه بخط اليد الرقم 220.

WO 275/121,

رسالة شهرية جوية، نوفمبر 1946؛

KV 5/31,

137a, 136b;

KV 5/38, 166c;

CO 537/1712, OF.607/1/Link/B.3a/HPC;

ما ذكرت أنه بتاح تكفا يظهر بصيغة Sht Ha Tiqua في المخطوطة.

WO 275/73.

رسم بياني والتاريخ 11 نوفمبر 1946 في الزاوية العليا اليسرى؛

«النيويورك تايمز»، 1 ديسمبر 1946.

(106) TNA, CO 733/456/11, red "163";

ربما تكون هذه الرسائل التي يحتفظ بها الأرشيف الوطني هي تلك التي يقول سخف (Complete, 482) إن كولك رآها في أثناء وجوده في لندن.

(107) TNA, FO 371/61768,

رسالة، السيدة و. تالهاوس، 21 فبراير 1947.

(108) TNA, KV 5/31, "136b".

النيويورك تايمز، 5 ديسمبر 1946.

TNA, CO 537/1712,

المشاعر المعادية للتقسيم في فلسطين؛

FCO 141/14286,

كننغهام، برقية رقم 1769 (1727).

(109) Palestine Pamphlet Terrorist Methods with Mines and Booby Traps,

المقر الرئيس، رئيس المهندسين، فلسطين وشرق الأردن، ديسمبر 1946.

(110) L.H.I.-Bulletin,

العدد 2، ديسمبر 1946، ص14؛

TNA, CO 733/456/11,

برقية واردة رقمها 2032؛

FO 371/61761,

الرقم 197 مكتوب بخط اليد؛

CO 7333/477/.

الرقم 220 مكتوب بخط اليد؛

النشرة البريطانية هي:

Palestine Pamphlet Terrorist Methods with Mines and Booby Traps

القسم الثاني، العمليات الإرهابية.

WO 275/121

(111) TNA, WO 261/647,

التقرير الرقم 252، قسم الأمن الميداني، 7 ديسمبر 1946، وغيره.

CO 733/456/11,

برقية واردة رقمها 2050.

FO 371/61761,

الرقمان 196 و197 مكتوبان بخط اليد.

WO 261/648

الورقة الوحيدة في هذا الملف مقتبسة من 261 WO/647 وتتصل بهجوم 5 ديسمبر 1946).

CO 733/477/3, penciled "220"

(تقول هذه الوثيقة إن الشاحنة هي التي اصطدمت بالجزيرة المرورية في حادثة 5 نوفمبر وليس التاكسي)

WO 275/121,

القسم الثاني، الأعمال الإرهابية، فيه تفاصيل أكثر ولكن فيه بعض الغموض في إشارته إلى ركاب «السيارتين الأخريين» (أي التاكسي والشاحنة) المفخختين بعد انفجار السيارة التي اصطدمت بالجزيرة، ومن ثم يقول إن سيارتي التاكسي فجرتا حيث هما، مما يترك وضع الشاحنة دون تفسير. وثمة اختلاف طفيف آخر في وصف الحادث في 261 WO/564، وهو تقرير عن أحداث القدس في 5 و6 ديسمبر 1946.

المصدر السابق، هجوم جماعة شتيرن على المركز الرئيس لمنطقة جنوب فلسطين في صرفند، 5 ديسمبر 1946. وفيما يتصل بسيرينا، كان أول ما وصل من معونة للمهجرين الذين وجدوا أنفسهم في سيرينا المدمرة اليونانية ثمستوكليس.

FO 371/52563,

برقية واردة رقمها 2133.

(112) TNA, FO 371/52563,

برقية واردة رقمها 2023.

WO 261/564,

نشرة استخبارية نصف شهرية رقم 30.

النيويورك تايمز، 13 ديسمبر 1946.

TNA, CO 733/456/11,

برقيتان واردتان رقماهما 1496 و2213.

WO 275/121,

القسم الرابع – الأمور السياسية. اختطف الأطفال بدعوى سرقة الأسلحة. لاحظ أن كننغهام في 10 ديسمبر (371 FO/52563) يعلق في برقية واردة رقمها 2078 بقوله إنه لم تحدث أعمال إرهابية على مدى أربعة أيام بسبب المؤتمر الصهيوني المنعقد في بازل منذ 9 ديسمبر، ولكنه يهمل على الأقل العمل الإرهابي الذي كان مخططا له أن يحدث في 8 ديسمبر، ولكنه فشل.

FO 371/52563,

برقية واردة رقمها 2133.

(113) WO 275/79,

الأمن الميداني للفرقة الجوية، 317.
التقرير الرقم 7، الأسبوع المنتهي في 17 ديسمبر 1946.

(114) TNA, WO 275/79,
الأمن الميداني للفرقة الجوية، 317.
التقرير الرقم 7، الأسبوع المنتهي في 17 ديسمبر 1946.

WO 275/58,
الموجز الاستخباري الرقم 53 (حتى 20 ديسمبر 1946)؛ الرقم 22 (حتى 13 ديسمبر 1946)؛ الرقم 8 (حتى 24 ديسمبر 1946).

WO 261/659,
(ليس في الملف سوى ورقتين)

(115) عن عبارة «اليهود ليسوا من قبائل الزولو»، انظر الملخص الاستخباري 25، ص 8 و9 في:
TNA, WO 275/58.
WO 275/58,
الملخص الاستخباري 24.

CO 733/477/3, pencilled "221".
تاريخ الحادثة اختفى عند ثقب الورقة لوضعها في الملف؛ الحادثة التي تلتها حدثت في 26 ديسمبر 1946.
النيويورك تايمز، 5 يناير 1947.

TNA, WO 261/675.
(الورقة الوحيدة في هذا الملف مقتبسة من WO 261 656/ وتتصل بعمليات الجَلْد في 29 ديسمبر 1946).

CO 733/456/11,
(مكرر في FO 371 61761/)؛ برقية واردة رقمها 2213. (عندما هاجمت منظمة الإرغون البنك العثماني في يافا في 13 ديسمبر تمكن البريطانيون من القبض على أحد المشاركين، وهو فتى في السادسة عشرة. حكم عليه بأن يجلد 18 جلدة («ضربة خيزرانة» حسبما توضح المخطوطة)، وهو عقاب شديد يفرض على طفل أدى إلى انتقام الإرغون بضرب العسكريين البريطانيين بالخيزرانة).
«النيويورك تايمز»، 1 يناير 1947. قال متحدث باسم لجنة العمل السياسي من أجل فلسطين الأمريكية «كان أملنا سيخيب لو أن الاختطاف والجلد لم يحدثا». وقد وعدت الإرغون بأن كل جَلْد لعضو من أعضاء العصابة سيقابله اغتيال ضابط بريطاني.

الفصل السادس

(1) CIA, ORE 55, P9-8, 28/11/1947.
عن نتائج تقسيم فلسطين. الوثيقة الرقم 0000256628.

(2) TNA, KV 3/41
«ملاحظات على الوضع الأمني في فلسطين...». («مختارات من التقارير عالية السرية» بالخط الأحمر العريض).

CO 537/1712, Berl Locker on Rabbi Aba Hillel Silver.
(تعليق بيرل لكر على الحاخام أبا هليل سلفر).

FO 371/61865,

«الإعلانات الصهيونية في الصحافة الأمريكية»؛

عن الـ ACJ انظر النيويورك تايمز، 14 فبراير 1947.

(3) TNA, WO 275/58,

الملخص الاستخباري الرقم 30 (حتى 16 فبراير 1947).

(4) TNA, WO 275/34,

«تقرير عن أحداث ليلة 2 - 3 يناير 1947».

(5) TNA, CO 733/477/3,

أهم الأحداث الإرهابية...، من 1 يونيو 1946 إلى 6 مارس 1947.

النيويورك تايمز، 3 يناير 1947.

TNA, WO 275/34,

تقرير عن حادث ليلة 2 يناير 1947.

FO 371/61761,

برقية واردة برقم 22.

WO 275/79, 317,

الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جواء التقرير الرقم 10، الأسبوع المنتهي في 7 يناير 1947، الملحق ب.

WO 261/656,

تقرير عن قاذفات اللهب التي استعملها الإرهابيون في 2 يناير 1947 في أثناء الهجوم على سترس هاوس MR12941634.

(6) TNA, CO 733/477/3,

برقية واردة رقمها 22؛

CO 733/477/3,

أهم الأحداث الإرهابية...، من 1 يونيو 1946 إلى 6 مارس 1947، ص3.

WO 275/121,

الرسالة الجوية الشهرية، يناير 1947؛

لم أورد بعض الأحداث التي وقعت في 2 يناير لتحاشي التكرار لأنه ليس من الواضح دائما ما إذا كانت الأحداث المتماثلة هي تقارير مختلفة عن حادثة واحدة.

(7) TNA, WO 275/34.

تقرير عن حادثة ليلة 2 يناير 1947.

TNA, WO 275/34,

تقرير عن حوادث ليلة 2 - 3 يناير 1947.

WO 275/58,

الملخص الاستخباري الرقم 25،

النيويورك تايمز، 3 يناير 1947.

(8) TNA, WO 275/34,

الحادثة الثالثة («2--»).

CO 733/477/3,

برقية واردة رقمها 22.

WO 275/58,

الملخص الاستخباري الرقم 25 (مكرر في WO 261/656)

(9) TNA, WO 275/58,

(حتى 10 يناير 1947) الملخص الاستخباري الرقم 26
النيويورك تايمز، 6 يناير 1947.

Kister, Irgun, 268
TNA, CO 733/477/3,

برقيتان واردتان رقماهما 31 و35.

FO 371/61761, pencilled 228, 233.

في 6 يناير 1947 سُرقت سيارة خدمات كبيرة تابعة للشرطة في تل أبيب، وأجبر السائق على النزول من السيارة، وأسر.

(10) TNA, CO 733/478/1,

تورد الديلي تلغراف في عددها الصادر في 27 يناير 1947 الرقم 200 ألف استرليني. كان الباوند يعادل أكثر من 4 دولارات أمريكية بقليل.

FO 371/67796,

توزيع معدل (18 يناير 1947).
برقية من روما إلى وزارة الخارجية في 22 يناير 1957.

CO 537/2295,

توزيع معدل (16 يناير 1947).

(11) TNA, CO 733/477/3,

انفجار قنبلة في منطقة قيادة الشرطة في 12/1/1947 («318»)؛
برقية مشفرة رقمها 391390؛

L.H.I.-Bulletin, no. 3, p15, 3 Jan 1947.
CO 537/2285,

برقية واردة رقمها G(0)I 94074.

FO371/61761, pencilled 239;
WO 275/121,

الرسالة الجوية الشهرية، يناير 1947؛
نشرة عنوانها For the Record (للعلم).

(12) TNA, WO 275/79, various;

حول العاملات في مجال الجنس انظر الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جوا، التقرير الرقم 11، الأسبوع المنتهي في 14 يناير 1947 والرقم 26، حتى 29 أبريل.
حول التنصت على المكالمات، انظر الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جوا، الرقم 23، الأسبوع المنتهي في 8 أبريل 1947.

(13) TNA, WO 261/566,

اختطاف السيد هـ. أ. إ. كولنز والقاضي وندم؛

CO 733/477/3,

برقية واردة برقم 177 (تقول H.A.I.Collins)؛
الإرغون تؤكد سبب الاختطاف، انظر:

WO 275/79, 317.

الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جوا،

التقرير الرقم 16، الأسبوع المنتهي في 18 فبراير 1947.

CO 733/478/1,

المختصر اليومي، 29 يناير 1947؛

WO 275/11,

الرسالة الجوية الشهرية، يناير 1947.

(14) TNA, CO 733/478/1, News Chronicle, 29/1/1947 (35);

CO 537/2285, Evening Standard, 30/1/1947; The Star, 30/1/1947.

وعن سبب عدم تقديم غرونر طلبا للمجلس الخاص Privy Council، انظر:

WO 261/566,

النشرة الاستخبارية نصف الشهرية، الرقم 34.

(15) TNA, CO 733/477/3,

برقية واردة رقمها 177.

(16) TNA, CO, 733/478l/1, Chronicle, 28/1/1947;

اجتماع 20 يناير 1947.

CO 537/2285,

رسالة سلكية ولاسلكية من كننغهام إلى وزير المستعمرات (صفحتان).

CO 537/2285, 142/67/GS,

في 23 يناير 1947، المرفق ص3-2.

(17) TNA, WO 261/573,

«إدانة حكومة فلسطين للوكالة اليهودية نتيجة للفظائع المرتكبة».

(18) TNA, CAB 128/9/0/0022, 145;

CO537/2285, 142/67/GS, 7 January; No. C.S. 759; 142/67/GS, 23 Jan; برقيتان واردتان رقماهما 238 و299.

اجتماع الهيئة العامة لمنظمة Va'ad Leumi تقرر فيها رفض التعاون في الحرب ضد الإرهاب، ويشار إلى ذلك فيما يتعلق بـ 20 يناير و5 فبراير، ولكن ليس من الواضح إذا ما كان 5 فبراير هو ما يشار له في مكان آخر بـ 3 فبراير.

الإشارة إلى كبير أساقفة نيويورك الدكتور سي. ف. غاربت في عدد فبراير من Diocesan Leaflet.

عن صفد انظر:

TNA, WO 275/34

«الحادثة الثالثة» («2--»).

(19) TNA, CO 733/478/1,

صحيفة التايمز، في 27 يناير 1947 (الرقم «5» في الأعلى بالأحمر)؛

CO 733/478/1,

الديلي تلغراف، 28 يناير 1947،

(20) TNA, CO 733/478/1

(الرقم «5» في الأعلى بالأحمر).

(21) النيويورك تايمز، 8 فبراير 1947،

TNA, FO 371/61761, pencilled 201.

على الجهة الثانية من الورقة؛

النيويورك تايمز، 15 فبراير 1947،
كلمة Heyd هي Heydt في الوثيقة.

KV 2/1435,

مطبوع عليها الرقمان 459 و460.
عن لبنان، انظر:

KV 2/1435,

والرقم 460 في الجزء الأعلى، وKV 2/1435 وقد طُبع عليها الرقم 460 (تبدأ الصفحة بعبارة: «أظن أنك سوف..».)

(22) TNA, WO 275/79,

الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جوا، 317.
التقرير الرقم 15، الأسبوع المنتهي في 11 فبراير 1947.

WO 261/660,

تقرير عن سفينة المهاجرين غير الشرعيين المسماة «ميركا» (Merica).
سيستخدم المسافرون على ظهر السفينة Runnymede Park زجاجات مكسورة وعلب القصدير، وهو ما يدل على أن ذلك إجراء تعلموه على السفن.

WO 275/58,

الملخص الاستخباري الرقم 34 (حتى 14 مارس 1947)، والرقم 35 (حتى 21 فبراير 1947).
كانت هنالك مغامرة أخرى للهجرة على السفينة «أبريل»، وهي في الأصل يخت صُنع في ألمانيا وزُوِّد بمحرك تملكه شركة أمريكية للنقل البحري. وكانت هذه السفينة حسنة التجهيز بالأجهزة الأمريكية، نظيفة، وحصلت على حمولتها من الركاب في بوك (جنوبي فرنسا)، وكان هؤلاء متعاونين. كانت لديهم وثائق رسو مزورة أصدرتها في باريس لجنة بيرغسن العبرية للتحرير الوطني.

(23) Hashomir Hatzair Gazette, 12/2/1847;

TNA, WO 275/121,

الرسالة الشهرية التي تصدرها قيادة القوات الجوية في الشرق، فبراير 1947؛

CO 733/477/3,

برقيتان واردتان رقماهما 372 و379، (وهما موجودتان أيضا في FO 371/61768).

CO 733/477/3,

برقية واردة رقمها 322.

WO 275/73,

رسم بياني، 18-19 فبراير في الزاوية العليا اليسرى،

WO 261/660,

الملخص الاستخباري الرقم 30، والرقم 31، والرقم 32.

WO 275/79,

الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جوا، التقرير الرقم 17، الأسبوع المنتهي في 25 فبراير 1947.

WO 261/566,

النشرة الاستخبارية نصف الشهرية الرقم 36 (15 - 28 فبراير 1947).
النيويورك تايمز، 21 فبراير 1947.

CO 733/477/3.

البرقيات الواردة 381، 444، 446، 448.
عن التخريب المستمر لأنابيب النفط، انظر:

WO 275/79,

الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جوا، 317.
التقرير الرقم 13، الأسبوع المنتهي في 28 يناير، والتقرير الرقم 18، الأسبوع المنتهي في 4 مارس 1947، والرقم 20، تاريخ 18 مارس.
فيما يتعلق بأنابيب النفط التي جرى تخريبها عند قرية إندور في وادي ملكة بحيفا: وضع المؤلف تاريخ الهجوم في ليلة التاسع عشر بينما وضعه هوفمان (Anonymous) في ليلة العشرين، ولكن ذلك مشكوك فيه لأن الحادثة ورد ذكرها في النيويورك تايمز في الحادي والعشرين. معظم المصادر تشير إلى الطابق الثالث أو بنك باركليس، أما ملخص أهم الأحداث الموجود في WO 261/566 فيذكر الطابق الثاني.
وانظر عن أخت غرونر الملخص الاستخباري الرقم 30 (حتى 16 فبراير 1947) في WO 275/58.

(24) TNA, WO 275/79,

الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جوا، 317.
التقرير الرقم 18، الأسبوع المنتهي في 4 مارس 1947.
(25) عن جحيم الإرغون انظر:

TNA, FO 371, 61866

الإرغون: «إلى الشعب والشباب»؛ وعن «الحامية المحاصرة» انظر:

CAB 129/17/0/0009, 60;

TNA, CO 733/477/3,

أهم الأحداث الإرهابية في الفترة من 1 يونيو 1946 إلى 6 مارس 1947 (الرقم «222» مكتوب بخط اليد)؛ برقيات واردة أرقامها 451 و 454 و 462؛

WO 261/566,

قيادة القوات البريطانية في فلسطين وشرق الأردن، الفرع G ... الأحداث في القدس في 1 و2 مارس 1947؛
كانت مطبعة بيكوفسكي تقع في شارع كيرن كايمث، الرقم 6، وانظر أيضا الحادثة المذكورة في ملخص الأحداث، 1 فبراير 1948 في:

TNA, CO 537/3856.

(26) TNA, CO 733/477/3,

برقيات واردة أرقامها 451 و454 و462؛
برقية مرسلة رقمها 437؛ ورقة كتب عليها «(4) 222»؛

CO 537/3854,

برقية واردة رقمها 453؛

CO 733/477/3

أهم الأحداث الإرهابية في الفترة من 1 يونيو 1946 إلى 6 مارس 1947، 3؛

WO 275/79,

الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جو، التقرير الرقم 18، الأسبوع المنتهي في 4 مارس 1947، 317.

WO 275/58,

الملخص الاستخباري الرقم 33؛

WO 261/566,

ملخص أهم الأحداث؛

Hoffman, Anonymous, K 8404;

Kister, Irgun, 269.

أرقام الإصابات الناتجة عن هجمات 1 مارس تتباين، ربما بسبب موت بعض الجرحى متأثرين بجروحهم بعد صدور التقارير الأولية. وقد استخدمت أوقات الهجمات المختلفة لتحاشي تكرار الهجمات التي تصفها المصادر المختلفة على نحو مختلف. وبالنسبة إلى الشاهد اليهودي على الهجوم الذي حصل في حيفا في 1 مارس انظر؛

WO 275/79,

التقرير الرقم 18، الأسبوع المنتهي في 4 مارس 1947، الفقرة g، والتقرير الرقم 54، الأسبوع المنتهي في 19 نوفمبر 1947، ص 5-4.

(27) TNA, WO 275/79,

الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جوا، التقرير الرقم 18، الأسبوع المنتهي في 4 مارس 1947، 317.

WO 275/58,

الملخص الاستخباري الرقم 33؛

CO 733/477/3,

برقيات واردة أرقامها 473، و484، و491؛

المصدر نفسه، مكتوب عليه الرقم «222» في الزاوية اليمنى العليا؛ وكذلك في:

FO 371/61770,

النيويورك تايمز، 5 مارس 1947.

WO 274/79, 317.

الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جوا، التقرير الرقم 19، الأسبوع المنتهي في 11 مارس 1947،

WO 261/660,

الملخص الاستخباري الرقم 33،

WO 275/79, 317.

الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جوا، التقرير الرقم 18، الأسبوع المنتهي في 4 مارس 1947؛ والتقرير الرقم 19، الأسبوع المنتهي في 11 مارس 1947.

WO 261/566,

ملخص الهجمات التي قام بها يهود مسلحون.

(28) TNA, boycott, FO 371/ 61770, pencilled 212;

الخلية الإرهابية في لندن؛

KV 3/441, S.F. 218/UK/ Link

(29) TNA, KV 3/441, Part 1 (A) (blue 9A);

احتار البريطانيون في معرفة الكيفية التي جرى فيها زرع القنبلة في نادي المستعمرات Colonial Club، لا بل إنهم لم يَدُر في خلدهم أن الانفجار كان سببه قنبلة.

(30) Cesarini 83-86, TNA, KV 3/41,

الأعمال التخريبية الصهيونية (7أ)، ص11-12؛

Walton, Empire of Secrets, 79;

KV 3/439,

الأعمال الإرهابية اليهودية في بريطانيا؛

(219z), KV 3/438/157a.

(31) TNA, CO 733/477/3,

برقيات واردة أرقامها 506، 512، 753.

CO 733/477/3.

برقية واردة رقمها 517.

Kister, Irgun, 270.

(32) النيويورك تايمز، 9 مارس 1947.

CO 537/2270.

«تكليف ضابط في الجيش للعمل في شرطة فلسطين». ولمعرفة تاريخ ذلك انظر:

CO537/2270,

رسالة إلى إرك سبيد (الرقم «7» بالأحمر).

(33) TNA, CO 733/377/3,

برقيتان واردتان رقماهما 533 و542،

(34) TNA, CO 733/377/3,

برقيتان واردتان رقماهما 533 و542

النيويورك تايمز، 15 مارس 1947،

TNA, CO 733/377/3,

برقية واردة رقمها 545

WO 261/566,

النشرة الاستخبارية نصف الشهرية الرقم 37 (1-14 مارس 1947)،

WO 275/73,

رسم بياني، التاريخ 18-19 فبراير في الزاوية اليسرى العليا.

تقول وثيقة الـ TNA إن ثلاث عبوات انفجرت على أنبوب النفط قرب حيفا، وإن خط حيفا - القنطرة قد نُسف قرب رحوفوت. وتشير وثائق الإرغون أيضا إلى تدمير أنبوب النفط في منطقة حيفا في 14 مارس (انظر كتاب كستر عن الإرغون، ص270).

WO 275/79,

الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جوا، التقرير الرقم 20، الأسبوع المنتهي في 18 مارس 1947، 317.

WO 275/58,

الملخص الاستخباري الرقم 34،

TNA, WO 261/660,

الملخص الاستخباري الرقم 34، وفيه يقال إن الهجوم على أنبوب النفط الذي وقع في 14 مارس كان من عمل منظمة الهاغانا من دون علمها بأن الإرغون ستدعي القيام بالعملية.

(35) Kister, Irgun, 270;

TNA, WO 275/79,

الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جوا، التقرير الرقم 20، الأسبوع المنتهي في 18 مارس 1947، 317.

CO 733/477/3,

برقية واردة رقمها 577؛

WO 261/660,

الملخص الاستخباري الرقم 35؛

CO 537/2285,

بخارست إلى وزارة الخارجية، الرقم 264.

أنكرت الإرغون مسؤوليتها عن تفجير غرفة المؤتمر الصحافي. انظر:

FCO 141/14286,

البرقية الرقم 648، الفقرة 7.

WO275/79,

الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جوا، التقرير الرقم 20، الأسبوع المنتهي في 18 مارس 1947، 317.

WO 275/58

حتى 21 مارس 1947 الملخص الاستخباري الرقم 35.

WO 261/660,

الملخص الاستخباري الرقم 34 والرقم 36.

(36) TNA, CO 733/477/3,

برقيات واردة أرقامها 600، 679، 577، 689؛

WO 275/58;

WO 275/79,

الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جوا، التقرير الرقم 22، الأسبوع المنتهي في 1 أبريل 1947، 317.

(37) TNA, CO 733/477/3

برقيتان واردتان رقماهما 696 و734؛

Kister, Irgun, 271.

(38) Kister, 270;

TNA, CO 733/477/3,

برقية واردة رقمها 696؛

Kister, Irgun, 271;

TNA, CO 733/477/3,

برقية واردة رقمها 699؛

CIA;

L.H.I.-Bulletin,

العدد 5، يونيو 1947، ص16 (الصفحات غير مرقمة).

WO 275/79,

الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جوا، التقرير الرقم 22، الأسبوع المنتهي في 1 أبريل 1947؛ 317.

Morris,1948, p. 39.

(39) TNA, CO 733/477/3, pencilled 228, 227, 226, 225 (N. Ollerenshaw)

مخطوطة رسالة أرملة محفوظة في CO 733/477/4، مكتوب عليه الرقم «150» بخط اليد.

(40) TNA, CO 733/477/3, MS notes, 15156/151A, pencilled 196-205.

(41) TNA, WO 208/1705, 5397 cipher 16 Jan (18);

عن تقارير عن المقاومة العربية وعدم التعاون، انظر:

ADM 116/3690,

تقرير عن أعمال «ملايا» الرقم 04895/9.

(42) TNA, CO 733/477/3, letter 75156/151A/47;

CO 733/477/4,

الإرسالية الرقم 24.

(43) TNA, CO 733/477/3,

برقية واردة برقم 721:

Kolsky, with 160-162;

نشرة المؤتمر اليهودي الأمريكي، 4 أبريل 1947.

Lilienthal, What Price, 28.

بعد سنة واحدة، وبعد مرور شهر واحد وثلاثة أيام من إعلان دولة إسرائيل صدر قانون مختلف تماما عن الأشخاص المهجرين حدد أعداد المهاجرين اليهود.

(44) TNA, WO 275/79,

الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جوا، 317.

التقرير الرقم 22، الأسبوع المنتهي في 1 أبريل 1947، وفيه أن هجوم الجليل في 1 أبريل نفذه ثلاثة من أعضاء ليهي يرتدون الزي العربي.

CO 733/477/3,

برقيتان واردتان رقماهما 725، 734؛

FO 371/61866,

وبرقية واردة رقمها 579 برقية مرسلة رقمها 549؛

WO 275/79,

الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جوا، التقرير الرقم 23، الأسبوع المنتهي في 8 أبريل 1947، 317.

(45) TNA, KV 5/4,

«منظمة البيتار». كان عنوان المنظمة 20 جادة هيثلاند، في ستوك نيوونغتن، شمال 16.

CO 733/478, 1,

برقية مرسلة رقمها 184.

توم سغف، «مذكرات بريطانية عن دوف غرونر»، هآرتس، 2 مايو 2008، في هذا الوقت الذي يكتب فيه هذا الكتاب، يوضع تاريخ إعدام غرونر عادة في 19 أبريل، ولكن لا شك في أن ذلك غير صحيح. فقد أعدم في 16 أبريل. تقول برقية مرسلة في CO 537/2295 وفيها الرقم «10» مكتوب بالأحمر، وهي مؤرخة في السادس عشر من الشهر في الساعة 12:35 بعد الظهر «وكان هناك ثلاثة آخرون من اليهود أعدموا في فلسطين في هذا الصباح، في الساعة 8 صباحا بالتوقيت المحلي»، وهناك وثائق بريطانية أخرى تدعم هذا القول، وتقول إحداها إن المحلات اليهودية أغلقت أبوابها يوم 17 أبريل احتجاجا على الإعدام.

(FO 371/61773, Cypher, pencilled 70)

ويقول تقرير من الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جوا إنه نقل إلى عكا يوم 15 أبريل

وعلق لمدة 4 ساعات بعد بداية الأسبوع»، وهذا يعني في سياقه يوم الأربعاء، السادس عشر، انظر:

WO 275/79, 317

الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جوا، التقرير الرقم 25، الأسبوع المنتهي في 22 أبريل 1947.

(46) TNA, KV 3/438 152a;

Burt, Commander Burt;

Cesarani, Hat, 86-87;

Yinon Royhman,

ما الذي يجمع بين مولوتوف ومنظمة ليهي السرية؟

ynetnews.com 11.05.06.

KV 3/441; EF 5/12,

تبدأ هذه الوثيقة هكذا: «في 15 أبريل 1947 قنبلة موقوتة»؛

Outrage, June 1947, Postal Packets;

KV 3/41, p. 11:

تبدأ هذه الوثيقة: «عمل أشد إثارة»، وانظر خلف الورقة.

وللحفاظ على الأمن بعد تفجير دوفر هاوس أصدر مجلس الوزراء في CAB 21/2567 بيانا بعنوان Establishment Department Notice وضع فيه تعليمات لحراس البوابات.

وفيما يتعلق بالفكرة القائلة إن القنبلة لم يقصد منها أن تنفجر وأن إتلافي كان مطلوبا في حادثة تفجير فندق الملك داود، انظر:

KV 3/441, 2a and KV 3/438 131b.

(تشير هذه الوثيقة إلى تفجير نفذه الإرهابيون الصهاينة في لندن في 16 أبريل [«عمل فظيع في دوفر هاوس في 16 أبريل 1947»]، ولكن لا شك في أن ذلك خطأ، وأن الصحيح هو 15 أبريل).

(47) L.H.I.-Bulletin,

العدد 5، يونيو 1947، ص15.

TNA, FO 371/61865,

رسائل من القنصلية العامة في شيكاغو، في 17 أبريل 1947، ومن السفارة البريطانية في أثينا، في 3 مارس 1947، ومن السفارة البريطانية في بوينس إيرس، في 24 فبراير 1947.

WO 275/79,

الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جوا، 317.

التقرير الرقم 25، الأسبوع المنتهي في 22 أبريل 1947.

السفارة البريطانية في سانتياغو، مذكرة باللغة الفرنسية من الإرغون إلى المجلس البريطاني،

FO 371/61866,

السفارة البريطانية في بوغاتان في 29 أبريل 1947، ومن أديس أبابا إلى أسمرة، E4054.

(48) TNA, CO 733/477/3,

برقيتان واردتان رقماهما 825 و829، وبرقيات أخرى في المجموعة نفسها، وكذلك في:

FO 371/61773

فيما يخص مستودع الصليب الأحمر انظر:

britishforcesinpalestine.org/events47.html

وقد جرى الاطلاع على هذا الموقع في 14 مارس 2016.

أحداث 16 أبريل، انظر بشأنها جريدة فلسطين، والاقتباس مأخوذ عن Palestine Chron-icle، في 17 أبريل.

فيما يتعلق بالهجوم على الرقم 61 في محطة تضميد الميدان، تدعي الإرغون أنها هاجمت رئاسة المعسكر.

(49) TNA, CO 733/477/3,

برقيتان واردتان رقماهما 841 و852.

396. TNA, CO 537/2285,

برقية واردة رقمها 845. الأصل يقول:

«...detonated the [sic] mines...»

FO 371/61773,

برقية واردة رقمها 851.

CO 733/477/3,

برقية واردة رقمها 834.

(50) TNA, CO 733/477/3,

(51) TNA, CO, 733/477/3,

برقيات واردة أرقامها 829، 841، 834، 877. الأصل يقول:

'detonated the [sic] mines...'

(52) TNA, CO 733/477/3,

برقيات واردة أرقامها 841، 852، 857، وهي أيضا في:

FO371/61773.

WO 275/79.

الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جوا، التقرير الرقم 26، الأسبوع المنتهي في 29 أبريل 1947، 317.

(53) وثائق وكالة المخابرات المركزية.

TNA, CO 733/477/3,

برقيات واردة أرقامها 863، 856، 841.

Lehi Bulletin.

العدد 5، يونيو 1947، ص16 (الأصل يخلو من الترقيم).

(54) TNA, CO 733/477/3.

برقيات واردة أرقامها 874، 864، 1045، 1050، 901. البرقية 901 موجودة أيضا في:

FO 371/61776.

Lehi Bulletin.

العدد 5، يونيو 1947، ص16 (الأصل يخلو من الترقيم).

(55) TNA, CO 733/477/3.

برقيتان مرسلتان رقماهما 911 و903؛ ملاحظات بخط اليد وكذلك الرقم 126.

CO 537/3854,

الإرسالية الرقم 24،

FO 371/61771,

برقيتان واردتان رقماهما 919 و921.

(56) TNA, CO 537/3854,

رسالة مطبوعة على الآلة الكاتبة إلى «السير ت. لويد» من ت.س. (أغلب الظن أنه ترافرد سمث من وزارة المستعمرات). كان سياق الخشية البريطانية من استثارة رد فعل سلبي من جانب الصهاينة هو حرص بريطانيا على الحصول على قرض من الولايات المتحدة بعد أن دمرت الحرب اقتصادها.

(57) TNA, CO 733/477/3, 146, 145, 118, 969, 962, 937.

وهذه الأخيرة تذكر ثلاث حالات ليهود مسلحين يحرقون محلات تجارية.
وهناك من هذه الوثائق نسخ في:

FO 37/61776;

WO 275/73,

رسم بياني، التاريخ 18 - 19 فبراير في الزاوية اليسرى العليا،

WO 275/121,

قيادة القوات الجوية في الشرق، الرسالة الجوية الشهرية، يونيو 1947،

WO 275/121,

الأوضاع الحالية في فلسطين، القسم الثالث.
النيويورك تايمز 15مايو 1947 - 19 مايو 1947.

(58) TNA, CO 733/477/3,

برقيتان واردتان رقماهما 969 و988.

WO 275/73,

رسم بياني، التاريخ 11 نوفمبر 1946 في الزاوية اليسرى العليا.
ورد أن المكان الذي يقصده القطار المخصص للمدنيين هو AOD 614. وقد جرى تعيين مكان AOD 614 على أنه قرب حيفا بالرجوع إلى:

http://cosmos.ucc.ie/cs1064/jabowen/IPSC/place.php

وتم الاطلاع على هذا الموقع في 8 ديسمبر 2013؛

WO 275/79,

الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جوا، 317.
التقرير الرقم 29، الأسبوع المنتهي في 20 مايو 1947. وقد حذفت مقتل شرطي فلسطيني بالملابس المدنية في حيفا في 19 مايو ربما كان يحاول أن يعتقل الجاني لأن البريطانيين لم يكونوا واثقين من هوية المهاجم. انظر:

FO 371/776,

برقية واردة رقمها 1007.

(59) نيويورك بوست، 14 مايو 1947.

(60) Medoff, Militant Zionism, 196-198.

(61) اللجنة الأمريكية للعمل السياسي من أجل فلسطين التي شكلها باروخ كورف على سبيل المثال.

TNA, CO 967/105, 357d.

الإعلانات: في 30 يونيو و7 أكتوبر 1947، مثلا.

FO 371/61866, OF.85/19/B.3.a/HLB.

TNA, CO 967/103, letter, 357e; letter, C.S. 679/7.

كانت لجنة إغاثة فلسطين تمارس نشاطها في مكتب يقع في 123 غرب الشارع الرقم 44

بمدينة نيويورك. وقد اشتكى البريطانيون من القدس بقولهم: «يبدو لنا أن من الغرائب أن الأمريكان يربطون أنفسهم بالدعوات إلى السلام في فلسطين بينما يسمحون» للمنظمات الإرهابية بجمع الأموال علنا.

(62) TNA, CO 733/478/3,

«اتحاد مناهضة الإرهاب، فلسطين».

CO 537/1712, O.F.85/11/B.3.a./PS.

لم أتمكن من العثور على أي ذكر لهذا الاتحاد المناهض للإرهاب في المصادر المنشورة. ولدى البحث على شبكة الإنترنت في 10 مايو 2015 لم أكتشف سوى ذكر في كلية سينت أنتوني (بجامعة أوكسفورد) لمركز الشرق الأوسط في القدس، ولمجموعة الإرسالية الشرقية، صندوق 70/70/2.

(63) TNA, WO 275/79,

الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جوا، 317.
التقرير الرقم 29، الأسبوع المنتهي في 20 مايو 1947.

CO 733/477/3,

برقيات واردة أرقامها 988، 1018، 1007.
(وهي موجودة أيضا في: FO 371/61776).

KV 3/438, 157a.

(64) Kister, Irgun, 272;

WO 275/79.

الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جوا، 317.
التقرير الرقم 31، الأسبوع المنتهي في 3 يونيو 1947؛

TNA, CO 733/477/3,

برقيات واردة أرقامها 1050، 1053، 1088، 1094.
(وهي موجودة أيضا في: FO 371/61776).

WO 275/73,

رسم بياني، التاريخ 11 نوفمبر 1946 في الزاوية اليسرى العليا.
تذكر منظمة الإرغون (كما عند كستر) ما يبدو أنها هي هذه الهجمات نفسها على أنها حدثت كلها في 3 يونيو.

(65) TNA, KV 3/56,

«تنظيم الهجرة غير الشرعية».
فيما يتعلق بالجبهة الديموقراطية اليهودية، انظر:

FO 1071/39,

وزارة الخارجية، 22 مايو 1947، الرقم 36 بخط اليد في أعلى الصفحة.

Ehrlich, Encyclopedia of the Jewish Diaspora, 962.

(66) TNA, KV 3/56, SF.215.B3A.DJS, 5, 22;

WO 275/79,

الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جوا، 317.
التقرير الرقم 30، الأسبوع المنتهي في 27 مايو 1947؛ والتقرير الرقم 31، الأسبوع المنتهي في 3 يونيو 1947؛
تعريف الصهيوني مأخوذ من WO 275/121، تقرير شهر يناير، القسم الرابع، الأوضاع السياسية.

(67) TNA, KV 3/439,
(الرقم 219 بالأزرق) الأعمال الإرهابية اليهودية في بريطانيا.

KV 3/438, 157a; KV 3/441, 9a.
(68) المصدر نفسه، وكذلك:

Yinon Royhman,
ما الذي يجمع بين مولوتوف ومنظمة ليهي السرية؟

ynetnews.com 11.05.06
الاسم Knut يكتب أيضا Knout وKnuth.
(69) TNA, EF 5/12,
فظائع يونيو 1947، الطرود البريدية.
هنالك قطعة من ورقة الكربون الأصلية المستعملة لإخفاء آلية التفجير محفوظة في هذا الملف. وبعد شهرين من الرسالة الملغمة تلقى مكمايكل رسالة تهديد مطبوعة على الآلة الكاتبة على رسم كاريكاتيري أمريكي معاد لبريطانيا أرسل من لوس أنجيليس. كان الرسم مأخوذا من مقالة كتبها شخص اسمه درو بيرسن. أما الرسالة الملغمة التي ألقيت في سطل الماء فإن الروايات تختلف حول ما إذا كان السكرتير أو عضو البرلمان هو الذي رماها في الماء.
(70) النيويورك تايمز، 7 يونيو 1947.

TNA, EF 5/12.
فظائع يونيو 1947، الطرود البريدية؛

Letter, Ref 865, 258/35;
Cesarani, Hat, 117-118;
Walton, Empire of Secrets, 80.
قنبلة كينيا ربما أحضرها المهاجم نفسه، ولم ترسل بالبريد.

TNA, CO 537/2297,
رسالة من ه. ل. براون، الرقم 6 بالأحمر في الزاوية العليا اليمنى. ورسالة أخرى من براون، 1 بالأحمر.

(71) Ira Morris, 229-230.
قيل إن ليهي هي التي أرسلت الرسائل الملغمة المعادية لترومن، ولكن المؤلف لم يجد ما يدعم ذلك.
(72) بناية كاديما: انظر النيويورك تايمز، 18 يوليو 1947.

CO 537/2366.
الملحق «ب» ترجمة للوثيقة المكتوبة بخط اليد (يعطي الكاتب أمثلة من الأخطاء الإملائية).
بعد انتهاء مهمة جواسيس المسرح تبين أنهن مفيدات، ربما في وضع معلوماتهن على نحو مفهوم. والناشر والمؤلف سيسرهما أن يعرفا ما إذا كانت أي من السيدات اللواتي تشكلت حلقة جواسيس المسرح منهن لاتزال على قيد الحياة ويمكن الاتصال بها.
فيما يتعلق بالعلاقة مع ضباط الاتصال التابعين للوكالة اليهودية، انظر:

FCO 141/14284,
من المندوب السامي في فلسطين ، رقم 169، 9 يوليو 1947، 2، الفقرة 5.
(73) فيما يتعلق بسرية الاجتماع بين الإرغون والأنسكوب، انظر:

TNA, CO 537/2303, red '49' upper right, 2.

حيث يوصف الاجتماع بأنه «مزعوم».
FO 371/61866,

رسالة من وزارة الدفاع تاريخها 1 أكتوبر 1947؛
KV 3/439, Metropolitan Police, 257c:
KV 5/39, Jewish Legion, Report of the Conference…;

لاحظ أيضا الإشارة إلى الاجتماع بأنه شائعة في:
FCO 141/14286,

البرقية الرقم 1283، الفقرة 3.
فيما يتصل بالجغرافية التوراتية التي يشير إليها بيغن، يقال في العادة إن «دان» هي تل القاضي، وهي الآن تقع شمالي إسرائيل وجنوبي لبنان.
(74) TNA, WO 375/121,

قيادة القوات الجوية في الشرق، الرسالة الجوية الشهرية، يونيو 1947، 6.
WO 275/79,

الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جوا، 317.
التقرير الرقم 32، الأسبوع المنتهي في 10 يونيو 1947.
(75) TNA, WO 275/121,

قيادة القوات الجوية في الشرق، الرسالة الجوية الشهرية، 8-7-6 يونيو 1947.
FCO 141/14284,

التقرير الشهري، يونيو 1947، من المندوب السامي في فلسطين؛
WO 275/79,

الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جوا، 317.
التقرير الرقم 33، الأسبوع المنتهي في 17 يونيو 1947.
تؤرخ الإرغون تاريخ اكتشاف الهاغانا لنفقها في 19/6 (انظر كستر، ص272)؛ وانظر أيضا:
TNA, FO 371/61776,

برقية واردة الرقم 1170 (ورد خطأ في تهجئة اسم عميل الهاغانا زيفيرير).
(76) أرى أن الهجوم على مركز الكتب الأردني، هو نفسه الذي يوضع تاريخه في 16 يونيو،
TNA, WO 275/121,

قيادة القوات الجوية في الشرق، الرسالة الجوية الشهرية، 8 يونيو 1947.
وقد قبلت التاريخ الذي ورد في البرقية الواردة ذات الرقم 1200؛ انظر:
O 371/61776.

وكذلك:
WO 275/79,

الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جوا، 317.
التقرير الرقم 34، الأسبوع المنتهي في 24 يونيو 1947.
(77) TNA, WO 275/121

قيادة القوات الجوية في الشرق، الرسالة الجوية الشهرية، 8 يونيو 1947.
CO 733/477/3.

برقيات واردة أرقامها 1116، 1119، 1140، 1181، 1200، 1232 بعضها موجود أيضا في:
FO 371/61776,
FCO 141/14284,

برقية رقمها 1226 (من المندوب السامي)، ص2، وبرقية رقمها 1283، ص1؛

KV 3/439,

الأعمال الإرهابية اليهودية في بريطانيا (219 بالأزرق)، خصوصا ص5.

(78) «ربط محاكمة هانوفر بالإرهاب الصهيوني»: النيويورك تايمز، 4 سبتمبر 1947.

TNA, WO 275/79,

الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جوا، 317.

التقرير الرقم 35، الأسبوع المنتهي في 1 يوليو 1947.

FO 371/61776,

برقيتان واردتان رقماهما 1242 و1250، وهما موجودتان أيضا في:

CO 733/477/3,

WO 275/73,

رسم بياني مكتوب في زاويته اليسرى العليا 29 يونيو 1947.

WO 275/121,

قيادة القوات الجوية في الشرق، الرسالة الجوية الشهرية، يونيو 1947، 9.

(79) TNA, KV 3/41

«العمليات التخريبية الصهيونية» الرقم 17 بالأزرق، خصوصا ص10-9؛

أفاد جهاز المخابرات MI5 بأن الأنشطة الإرهابية في النمسا كانت أوسع مما في ألمانيا، ولكن المعرفة بها كانت أقل.

(80) TNA, FCO 141/14384,

برقية «رقمها 1283، سري جدا، على الفور»؛

Zertal, 46;

TNA, WO 208/1705, P.I.C. Paper No. 35, 3-4;

CAB 129/12/0/0020,p. 4;

KV 2/1435, typed 460.

(كتب أحد المراسلين البريطانيين: «الصهاينة من أمثال بن غوريون يبدون مشاعر إنسانية لأغراض الدعاية فقط»؛ وعن فران انظر كتاب Hat لسيزراني، الذي يقدم أدلة قوية على أن فران مذنب، أما المؤلف فقد أجرى مقابلة مع أحد معارف الرائد فران منذ أواخر الأربعينيات في فلسطين، وهو تد ستيل، الذي لم يكن مقتنعا بتهمة القتل.

(81) Zertal, 48;

TNA, KV 2/1435, 584a;

كانت بريطانيا في العادة ترسل الراغبين في الهجرة إلى أماكن معدة لهذا الغرض في قبرص أو المورشس، ولكن ركاب السفينة إكسودس أعيدوا إلى جنوب فرنسا حيث أتوا، فرفض نزولهم هناك، فأخذوا إلى المنطقة الواقعة تحت الحكم البريطاني من ألمانيا.

(82) Zertal, 50, 178.

عن سرقة أموال الصندوق المخصصة للناجين من الهولوكوست، انظر:

Norman Finkelstein, The Holocaust Industry (Verso, 2000).

عن الاقتباس من دانيل غوردس، انظر: «ما تدين به إسرائيل لمن نجوا من الهولوكوست»، بلومبيرغ، 16 أبريل 2015.

وهنالك تقارير حديثة العهد تدعي أن بعض المواليد ممن نجوا من الهولوكوست سرقوا وباعتهم الدولة، وأن هذا جرى في إسرائيل وفي معسكرات المهجرين في قبرص. انظر

مقالة هآرتس بتاريخ 12 أغسطس 2016 بعنوان «عشرات الأطفال الأشكيناز اختفوا اختفاء غامضا في أثناء السنوات الأولى من تاريخ إسرائيل».

(83) نشرت هذه المعلومات في جريدتي الديلي تلغراف والمورننغ بوست في 3 أكتوبر 1947 من غير إذن. الصيغة التي أطلعت عليها هي تلك الموجودة في:

TNA, WO 275/64,

النشرة الاستخبارية نصف الشهرية الرقم 52، ص11-8، وهي موجودة أيضا في:

WO 261/571.

برقية (من كننغهام) رقمها 1572 بتاريخ 23 أغسطس 1947، الفقرة 8 وعن مايرسن انظر:

FCO 141/14286.

(84) TNA, CO 537/2303.

تشير إحدى الوثائق المحفوظة في كيو إلى 10/7، وتشير أخرى إلى 12/10، وهو التاريخ الذي نجده في قائمة كستر عن وثائق الإرغون (ص272)، وهذا يتفق مع اسم اليوم (الخميس) من العام 1947. ونفترض أن الخطف حصل في الساعات الأولى من صباح الثالث عشر.

TNA, CO 537/2303, 330/364/GS.

(الرقم «55» مكتوب في الزاوية العليا اليمنى)، 14 صفحة.

أما النشرة المعنونة For the Record (أي للعلم) فتخطئ في تاريخ الاختطاف وتجعله 17 يوليو.

(85) TNA, CO 733/477/3,

برقيات واردة أرقامها 1351و1478 و1361 موجودة أيضا في:

FO 371/61776.

وانظر أيضا FCO 141/14284، التقرير الشهري لشهر يوليو 1947. لم يمت أحد الشرطيين على الفور ولكن جراحه أدت إلى وفاته فيما بعد.

(86) TNA, WO 275/121,

التقرير الشهري لشهر يوليو 1947، القسم الثالث.

(87) KV 3/41,

«العمليات التخريبية الصهيونية»، الرقم 7أ بالأزرق.

CAB 21/2567, E 75/19;

KV 3/439,

العمليات الإرهابية اليهودية في بريطانيا (الرقم 219 بالأزرق).

KV 3/438, 178a.

تختلف أعداد القنابل وآليات التفجير اختلافا طفيفا.

(88) 3/439,

العمليات الإرهابية اليهودية في بريطانيا (الرقم 219 بالأزرق)، ص4 و8.

KV 2/3171,

KV 5/438,

(الرقم 180 بالأزرق).

KV 2/3779.

في أعلى الصفحة: PF.93044 ويبدأ النص بالرمز B.4.d. ثم عبارة «تقرير عن التحركات».

المصدر نفسه: «مطار نورثويت/ شرطة العاصمة» تاريخ 25 يناير 1948.

KV 3/438 178.

(89) TNA, FO 371/61776,

برقية واردة رقمها 1384.

WO 275/79,

الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جوا، 317.
التقرير الرقم 37، الأسبوع المنتهي في 22 يوليو 1947.

FO 371/61776,

برقية واردة رقمها 1384.
وهي موجودة أيضا في برقية واردة رقمها 1398.

CO 733/477/3,
FO 371/61783,
FCO 141/14284,

التقرير الشهري لشهر يوليو 1947، القسم الثالث.

(90) أرقام الإصابات موجودة في وثائق وكالة المخابرات المركزية المتعلقة بالرئيس ترومن والإرهاب الصهيوني وفي:

http://www.jewishvirtuallibrary.org/jsource/History/brits.html

(جرى الاطلاع على هذا الموقع في 15 سبتمبر 2012، وفي 13 مارس 2016 على الموقع:

http://www.jewishvirtuallibrary.org/jsource/History/timeline.html#brits2

يستشهد دونالد نف (Neff) بخمس وستين حالة موت (انظر بحثه المعنون «حماس: صورة باهتة عن عصابتي الإرغون وليهي اليهوديتين» في WRMEA، عدد مايو/ يونيو 2006.

Giladi, Scandals, 76-77;

FCO 141/14284, C.S. 699, No.212, 9the September, 1947, 4;

استخدمت سفينة The Empire Lifeguard مرة بعد الهجوم لنقل 500 (أو 485 في رواية أخرى) من يتامى اليهود من قبرص. ولم يحسب البريطانيون هؤلاء اليتامى وسواهم من بين الكوتا المسموح بها.

عن عبارة «دون الاستشهاد بعدد الإصابات»: انظر النيويورك تايمز.

Greenfeld & Hochstein, Jews Secret Fleet, 114;

Moshe Nachshon, This is the Way it Was, palyam.org/English/IS/Nachshon_Moshe,

جرى الاطلاع على هذا الموقع بتاريخ 15 مارس 2016.

وفيما يتعلق بعدد المهاجرين الذين أقلتهم سفينة The Empire Lifeguard تقول رواية موشي نخشون، التي يقال إنها رواية شاهد عيان، إن عددهم كان 750، وهو العدد الذي سمح به البريطانيون شهريا، بينما تقول مصادر أخرى من تلك الفترة نفسها مثل النشرة الإخبارية اليومية التي كانت تصدرها الـ JTA في عدد 24 يوليو إن العدد كان 300، وهذا ما يقوله أيضا كتاب Greenfeld & Hochstein الذي لا ينتمي لتلك الفترة. وقيل إن الانتقام لما حدث لسفينة الإكسودس هو ما دفع إلى تفجير السفينة على رغم أن التحضير للتفجير سبق رسو الإكسودس في حيفا بوقت طويل. وقد تسبب التفجير بتوقف البريطانيين عن استعمال سفنهم لنقل المهاجرين اليهود إلى فلسطين.

(91) CO 733/477/3,

برقيات واردة أرقامها 1398، 1412، 1423 وهي موجودة أيضا في:

FO 371/61783,

استهدفت سيارة الشرطة في 24 يوليو 1947 أيضا. انظر:
WO 275/79,
الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جوا، 317.
التقرير الرقم 38، الأسبوع المنتهي في 29 يوليو 1947.

(92) Kister, Irgun, 194;
TNA, CO 733/477/3,
برقية واردة رقمها 1431 (موجودة أيضا في FO 371/61783).
WO 275/86,
«تخريب الأسلاك».
WO 275/121,
التقرير الشهري، يوليو 1947، القسم الثالث.

(93) Kister, Irgun, 276.
TNA, CO 733/477/3,
برقيات واردة أرقامها 1438، 1448، 1451، 1477.
موجودة أيضا في:
FO 371/61783.

(94) TNA. CO 537/2303/364.
الحرفان GS في الزاوية العليا اليسرى، عدد الصفحات الكلي 14؛
CO 537/3854,
برقية مرسلة رقمها 1708.
بعض المصادر: النيويورك تايمز، 1 أغسطس 1947، مثلا، تقول إن إحدى الجثتين كانت مفخخة، بينما تقول مصادر أخرى مثل المقابلة التي أجراها المؤلف مع تد ستيل وWO 275/121/ Section III إن كلتا الجثتين كانتا مفخختين.

(95) وثائق وكالة المخابرات المركزية؛
TNA, WO 275/121,
الأوضاع الراهنة في فلسطين، 2؛
HO 45/25586.
هذه الوثيقة تبدأ هكذا: «وصلت أعداد الكفاح اليهودي سبعة»؛
المصدر نفسه، فقرة مقتبسة عن المناقشات البرلمانية في 29 مارس 1945، كولز 1523-1522؛
المصدر نفسه، «مكتب لسي للمعلومات المعادية لليهود»؛
اطلعت على نسخ منه في المكتبة البريطانية؛
Christian Patriots,
النيويورك تايمز، 1 أغسطس 1947.
لاحظت المخابرات البريطانية في فلسطين «أن أخبار العداء المتزايد للسامية في بريطانيا» أدت إلى إحلال فضائح الإرهاب اليهودي «في المحل الثاني». انظر جريدة فلسطين، 31 يوليو 1947 (الاقتباس عنPalestine Chronicle). أعلنت منظمة الإرغون أن الانتقام لم يكن سبب شنق الرقيبين، بل كان ذلك إجراء «عاديا» اتخذته «محكمة» الإرغون.

(96) النيويورك تايمز، 14 أغسطس 1947؛
Kister, Irgun, 194 & 275,
حيث يقال لنا إن Sacher هو «ناد للضبط البريطانيين».

«العمليات التخريبية الصهيونية»، الرقم 7أ بالأزرق، وانظر خصوصا ص10-9.
TNA, KV 3/41,

FO 371/64126, 'C10934 (also in FO371/61783);

الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جوا، 317.
التقرير برقم 39، الأسبوع المنتهي في 5 أغسطس 1947.
WO 275/79,

برقيات واردة أرقامها 1502، 1511، 1517.
وهي موجودة أيضا في:
(97) TNA, CO 733/477/3.

FO 371/61783.

(98) المصدر نفسه، برقية واردة رقمها 1517. تمكن شريك في عملية العجمي من الهرب.

برقية واردة رقمها 1525.
وهي موجودة أيضا في:
(99) TNA, CO 733/477/3,

FO 371/61783.

الأوضاع الراهنة في فلسطين، 6 (وهنا يوضع تاريخ الهجوم في 7 أغسطس).
النيويورك تايمز، 10 أغسطس 1947.
WO 725/121.

(100) المصدر نفسه، برقية واردة رقمها 1537. وهي موجودة أيضا في:

FO 371/61783.

مقهى الهواري Hawari يدعى The Gan Hawaii night club في:

الأوضاع الراهنة في فلسطين، 2؛
WO 275/121;

الرقم 212، 9 سبتمبر 1947، ص3-2.
من المندوب السامي في فلسطين، الرقم 1651؛
FCO 141/14248, C.S. 699,

C.S. 699/2 No. 1572.

برقيات واردة أرقامها 1547، 1554، 1559.
وهي موجودة أيضا في:
(101) TNA, CO 733/477/4,

FO 371/61783,

الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جوا.
التقرير الرقم 40، الأسبوع المنتهي في 12 أغسطس 1947.
WO 275/79.

(102) TNA, FO 1920/2279, «Statement on Oath by P/267936 Cpt. R. Wilson».

(103) تقول وثائق الأرشيف القومي إن عدد الرجال كان 130، وعدد النساء كان 40 امرأة على قطار مدلك. أما النيويورك تايمز فتقول إن عدد الناس على القطار كان 175، ولذا فإنني قدرت أن خمسة منهم كانوا الفريق العامل على القطار.
النيويورك تايمز، 14 أغسطس 1947؛

TNA, FO 371/64126, 'C10934/10522/3;
TNA, FO 1020/2279,

رسالة من خبير المتفجرات فرانز كوبجك في 13 أغسطس 1947؛
المصدر نفسه، Statement on Oath by P/267936 Cpt. R.، خصوصا 2؛
TNA, FO 1020/1774, pencilled '21A':
FO 1020/22/79;

النيويورك تايمز، 4 سبتمبر 1947؛
النيويورك تايمز 16 أغسطس 1947؛
KV 3/41,

«العمليات التخريبية الصهيونية»، الرقم 7أ بالأزرق، وانظر خصوصا ص9-10.
رئيس الرقباء السابق بوب ماكسول، «وضع متفجر» في The Rose & the Laurel, Journal of the Intelligence Corps, 1995. لم يكن من الممكن إخفاء القنبلة على المنصبة نفسها، لذا فإن المخربين اختاروا وضعها بين مجموعة من المناصب خشية اكتشافها. وتسبب الانفجار الجزئي في إصابة السكة الخارجية، وهذا ما جعل القطار يتجه إلى الداخل.

(104) TNA, FO 371/64126, C10934:

يبدو أن هذه الوثيقة تجعل تاريخ الهجوم على قادن 15 أغسطس (غير واضح). الرقم «5» يجب أن يكون «3» (وليس هذا هجوما ثانيا).
النيويورك تايمز، 14 أغسطس 1947؛ النيويورك تايمز 17 أغسطس 1947؛ النيويورك تايمز 20 أغسطس 1947.

(105) TNA, FO 1020,

«ملاحظة من العميد واغهورن. تفجير المدلك C»؛ رسالة، شمت، الرقم A بالأزرق في الزاوية العليا اليمنى؛ محضر جلسة، الرقم 30B في الزاوية العليا اليمنى. جرت محاولات لإحلال الدريزين محل القطارات التي لا تشبع من الفحم الحجري حيثما كان ذلك ممكنا أو إحلال الآليات الكهربائية حيثما كان في السكة أماكن شديدة الانحدار.

(106) النيويورك تايمز، 14 أغسطس 1947.

Kister, Irgun, 194 & 275,

حيث يقال لنا إن Sacher هو «ناد للضبط البريطانيين».

TNA, KV 3/41,

«العمليات التخريبية الصهيونية»، الرقم 7أ بالأزرق، وانظر خصوصا ص9-10.

FO 371/64126, C10934;

وثائق وكالة المخابرات المركزية.

TNA, CO 537/1814,

كلمة ألقاها إليزر كابلان... 22 أكتوبر 1946.

(107) المصدر نفسه، برقيات واردة أرقامها 1547، 1554، 1559، 1570.

(108) تلقت فكرة مقاطعة الحمضيات اليهودية التشجيع من هنري غيرني، السكرتير الأول لانتداب فلسطين.

TNA, CO 537/2303,

الرقمان «29» و «30» بالأحمر، والرقم «7» بالأسود عن الأموال المدفوعة عربونا للحمضيات.

(109) TNA, CO 733/477/4,

برقيتان واردتان رقماهما 1537 و1566.

(أيضا في FO 371/61783).

(110) «الإرغون تندد بقتل العرب» في الديلي ووركر، 18 أغسطس 1947.

TNA, WO275/121,

الأوضاع الراهنة في فلسطين، 2، ويرد فيه أن هجوم 15 أغسطس في بتاح تكفا جاء ردا على هجوم على مقهى بتاريخ 10 أغسطس قيل إن العرب قاموا به، وأن الهاغانا تعتذر عن قتل الأشخاص الخطأ؛

المصدر نفسه، ص6؛

CO 733/477/4,

البرقية رقم 1570؛

FCO 141/14284, C.S. 699, No. 219, 9th September, 1947; C.S. 699/2 No. 1572;

التقى المجلس الصهيوني العام في زيورخ «وفعل أعضاؤه كل ما بوسعهم لإيقاف الهجمات الإرهابية المضادة بحجة تحاشي اندلاع حرب أهلية بين أفراد اليشوف» (بتعبير تقرير بريطاني).

(111) TNA, CO 733/477/4.

برقيتان واردتان رقماهما 1570 و1579.

(أيضا في FO 371/61783).

توماس رينولدز: «الهاغانا تنذر الإرغون بضرورة التوقف»، صحيفة شيكاغو صن، 9 نوفمبر 1947؛ النيويورك تايمز، 12 يونيو 1947.

(112) فيما يتعلق ببدايات العنف الفلسطيني ضد اليهود، ثمة استثناء ممكن في هجوم 10 أغسطس على مقهى (لم يعرف الفاعلون، ولكن الأسبقيات تشير إلى أن الهجوم ربما كان هجوما صهيونيا لتحريك العنف الإثني)؛

TNA, CO 733/477/4,

برقيات واردة أرقامها 1576، 1579، 1592، 1598، 1605، 1632، 1689، 1717.

WO 275/121,

الأوضاع الراهنة في فلسطين، ص2.

FCO 141/14284, C.S. 699/2 No. 1572, p.1-2;

هنالك قائمة بأعمال العنف التي نشبت بين الفلسطينيين والمستوطنين اليهود في:

WO 275/121,

حوادث يهودية عربية.

وفيما يتعلق بتهديدات ليهي ضد الموظفين المدنيين اليهود، حذرت العصابة في ليلة 4 سبتمبر عشرين عضوا من موظفي دائرة ضريبة الدخل في تل أبيب بأن عليهم ترك وظائفهم.

(113) TNA, FO 371/61915, letter, 'Inverchapel';

المصدر نفسه، الرقم «22» مكتوب عليه بخط اليد.

جريدة نيويورك صن، 24 يونيو 1947.

جريدة التايمز، 9 سبتمبر 1947.

TNA, KV 3/41,

الأعمال الإرهابية الصهيونية، ص11؛

النيويورك تايمز، 9 سبتمبر 1947.

Cesarani, Hat, 117, 151.

(114) TNA, KV 3/439,

ملاحظة بخط اليد مؤرخة في 23 أغسطس 1947.

فيما يتعلق بالرسالة المفخخة بتاريخ 3 سبتمبر 1947، انظر:

TNA, KV 3/439, 220B.

(115) TNA, CO 733/477/4,

برقية واردة رقمها 1717؛

WO 275/83,

محضر اجتماع عقد في مكتب مدير المصفاة... في 15 سبتمبر 1947.

الإشارة إلى الإرغون في كتاب كستر عن هذا اليوم، ص275، تتضمن الآتي: ثلاث حاويات للوقود فجرت في أثناء منع التجول في حيفا»؛

CO 733/477/4,

برقية واردة رقمها 1808؛

WO 275/64;

تقرير استخباري نصف شهري، رقم 51، ص6-4؛ (ذكر فيما يتعلق بالشرطيين اللذين قتلا في أثناء ملاحقة سراق البنك، أن أحدهما قتل، بينما لم يكن يتوقع للآخر أن يعيش. ولم يستطع المؤلف أن يجد أي ذكر لفرع اللاميري من الهاغانا.

FCO 141/14284, No. 1850.

(116) النيويورك تايمز، 30 سبتمبر 1947.

TNA, WO 275/64,

تقرير استخباري نصف شهري، رقم 52، ص4.

وهو مكرر في:

WO 261/571.

(117) TNA, CO 733/477/4.

برقيتان واردتان رقماهما 1842 و1836.

المصدر نفسه، برقية من وزارة المستعمرات رقمها 1827؛

Kister, Irgun, 275.

TNA, WO 275/64,

تقرير استخباري نصف شهري، الرقم 52، ص5.

WO 275/73,

«تخريب سكة الحديد»، 1947.

وفيما يتصل بتفضيل العسكريين استخدام العبارات «يهود مسلحين» و«قطاع طرق» و«قتلة» بدلا من «إرهابيين» لأنها تضفي على الأفراد المعنيين هالة من السحر، انظر:

WO 275/86, «Stern and Irgun» (red '40').

(118) TNA, CO 547/3854, 33/424/GS.

يعتمد عدد الرصاصات على عدد الطلقات الفارغة التي استعادها البريطانيون في الصباح.

عن اجتماع الإرغون وليهي انظر:

KV 5/39, 200z,

بالنسبة إلى التقرير العسكري، انظر:

WO 275/64,

تقرير استخباري نصف شهري، الرقم 52، ص4.
عن القنصلية الأمريكية، انظر:

WP 275/64,

تقرير استخباري نصف شهري، الرقم 53، ص2.
عن رايات الإرغون انظر المصدر نفسه، ص5؛

WO 261/571,

تقرير استخباري نصف شهري، الرقم 54، ص6.

(119) TNA, WO 275/79,

الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جوا، 317.
التقرير الرقم 42، الأسبوع المنتهي في 26 أغسطس 1947.
محتوى النماذج التي كانت تعدها العاملات في مجال الجنس يستند إلى الاستبانة التي صودرت من عاملة في منظمة الإرغون، وهو نموذج يعتقد بأنه شبيه بالنماذج التي أعطيت للعاملات الأخريات في هذا الحقل.

(120) TNA, WO 261/537,

بتاريخ 1 مارس 1948 أصدرت حكومة فلسطين إدانة للوكالة اليهودية نتيجة لما ارتكب من فظائع، ص2.

(121) TNA, CO 733/477/4,

برقيتان واردتان رقماهما 2071 و2139؛
ذكرت التقارير التي صدرت في وقت مبكر عن عمال النفط أن واحدا منهم نجا من الهجوم، ولكن المراسلات التي تبودلت فيما بعد توضح أنه توفي في غضون بضعة أيام. وقد كتب أخ لأحد الضحايا من العاملين في النفط للبرلمان يسأل عما سأل عنه كثيرون آخرون: ما سبب العجز الذي تبديه بريطانيا إزاء الإرهاب اليهودي؟ وكان السبب وفق جواب عضو البرلمان «الرفض الدائم من جهة المجتمع اليهودي ومنظماته لتقديم أي قدر من التعاون».

TNA, CO 733/477/4,

برقية واردة رقمها 2150.
المصدر نفسه، الرقم 2426 مكتوب بخط اليد في أعلى الصفحة؛
فيما يتعلق بعمال النفط الأربعة، عين تقرير آخر السينما على أنها the May Cinema (سينما مايو؟)

WO 275/79,

الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جوا، 317.
التقرير الرقم 54، الأسبوع المنتهي في 19 نوفمبر 1947.
فيما يتعلق بتاريخ 20 نوفمبر انظر:

WO 261/571,

تقرير استخباري نصف شهري، الرقم 55، ص1 و6.

CO 733/477/4, 75156/151A/47; ibid, 75156151A/47;

CO 733/477/4,

برقية واردة رقمها 2155؛
عن المنشورات في تل أبيب انظر:

KV 3/439;

عن اللواء العبري، انظر:

KV 5/11,

الرقم 100 في أعلى الورقة؛
عن Aliyah (أي موجة الهجرة) انظر:

WO 275/79.

الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جواً، 317.
التقرير الرقم 54، الأسبوع المنتهي في 19 نوفمبر 1947.
عن «مدرسة ليهي»، انظر:

TNA, WO 261, 571,

«البحث عن مدرسة عصابة شتيرن»؛
لاحظ أن الجملة «نحو 300 من الشباب اليهود المختارين بعناية الذين يدربون للخدمة في الهاغانا» تستمر حتى آخر الصفحة، حيث نقرأ «وأن معظم...». ولكن الصفحة التالية (3) مفقودة من الأرشيف الوطني.

الفصل السابع

(1) Kermit Roosevelt, The Arab Position,

(خطاب أمام كلية الحرب الوطنية)، 1948.
(2) سمنر ولز، وكيل وزارة الخارجية كما اقتبس كلماته كوغلي في الفصل الرابع من كتاب Challenge؛ وأيضاً:

Roosevelt, Pressure Politics,

الاقتباس من بن غوريون، عن كتاب Morris, Birth (1989)؛

CIA, Consequences, 8-9;

Roosevelt, The Arab Position, 9;

كان كادوغان آنذاك ممثل المملكة المتحدة في الأمم المتحدة.

TNA, CAB 128/21/0/0009, 4.

وزارة الخارجية، 18 سبتمبر 1947.
وللاطلاع على نقاش سابق لفكرة الكانتونات العربية واليهودية في دولة واحدة انظر:

CO 733/283/12.

وانظر أيضا CAB 95/14 حيث تجد مجموعة من الأوراق المتعلقة بموضوع التقسيم.

(3) TNA, CAB 129/21/0009, Cabinet/ Palestine/ Memorandum by the Secretary of State for Foreign Affairs/ C.P. (47) 259, especially. 5 ('52' stamped at upper right) (18 September, 1947).

(4) TNA, FCO 141/14286,

البرقية الرقم 2285؛

FCO 141/14386,

التقرير الشهري لشهر أكتوبر 1947 (الرقم 295)؛

WO 261/571,

تقرير استخباري نصف شهري، برقم 56، ص 5، 6، 7؛

WO 275/79,

الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جوا، قرار هيئة الأمم المتحدة، 317.

WO 261/571,

تقسيم فلسطين.

(5) Quigley, Challenge, ch3;

من بن غوريون إلى عاموس: استعملت الترجمة النقدية الجديدة. انظر «مجلة الدراسات الفلسطينية تستجيب لدعوة CAMERA للدقة: بن غوريون وتهجير العرب» في مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 41، العدد 2 (شتاء 2012)، 250-245. وانظر أيضا شبتاي تيفث، 188.

Brenner, 51 Documents, 117.

(6) TNA, FO 1093/330,

«الخطوط العريضة للسياسة الصهيونية»، خصوصا الفصل الثاني بعنوان «الدولية اليهودية».

FCO 141/14284,

التقرير الشهري لشهر يونيو 1947، ص1، الفقرة 2، وهو يتكلم باللهجة المتحفظة عن الدولة والتقسيم وتوزيع الأراضي التي أبدتها الأمم المتحدة عندما بحثت مصير فلسطين.

(7) TNA, CO 733/456/3,

التقرير نصف الشهري، القدس، حتى 15 ديسمبر 1944؛

FO 371/45376,

برقية واردة رقمها 1768، ص3.

(8) بيغن والتقسيم، انظر مثلا:

TNA, KV 5/37, blue '136b';

رئيس بلدية تل أبيب:

CO537/1712

«سري للغاية: سياسة الوكالة اليهودية»، ص3.

عن هاشومر هاتسئير في المصدر نفسه، وانظر أيضا:

Monty Noam Penkower, Decision on Palestine Deferred: America, Britain, and Wartime Diplomacy, 1939-1945 (Routledge, 2002).

FO 371/45376,

مذكرة من وزير الخارجية، ص6، الرقم 65 مكتوب بخط اليد، ويحتوي على النقاط 18، 19، 20.

(9) Jewish Standard, TNA, KV 5/39, A. Abrahams, «Irgun and Partition».

(10) عن الكفاح اليهودي انظر: TNA, HO 45/25586؛ وعن المنظمة الصهيونية الأمريكية انظر النيويورك تايمز، 72 أكتوبر 1946؛

TNA, KV 5L31,

نشرة المحاربين من أجل حرية إسرائيل؛

المصدر نفسه، فلسطين، .I.Z.L، والوكالة اليهودية (6)، (7)، (8).

(11) TNA, FO 371/75344,

«عرض موجز للقسم السياسي في الأمم المتحدة عن الفقرة 18..»، ص2.

FCO 141/14284, No. 1992.

(12) TNA, CAB 129/16/0049, p. 3 UN, A_364_Add.2 PV19, 7 July 1947;

الهيئة العربية العليا بفلسطين: وجهة النظر العربية، 26.

Rossevelt, Arab Position, 4-5;

عن الحسيني انظر:

WO 261/571,

تقرير استخباري نصف شهري، برقم 56، ص4-5؛
تصريح ألون مقتبس في كثير من المصادر، منها مثلا كتاب أبو لغد Transformation، ص178 و179.

(13) CIA, Consequences.

(14) TNA, WO 275/79,

الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جوا، 317.
التقرير الرقم 56، الأسبوع المنتهي في 3 ديسمبر 1947.

WO 261/571,

تقسيم فلسطين، وفق التقرير الاستخباري نصف الشهري، الرقم 56.
(15) حول سياسة إسرائيل في الاستفزاز لاستثارة رد فعل تسعى للدفاع عن نفسها ضده بالعدوان انظر أيضا كتاب إيلان بابيه عن التطهير العرقي، لاسيما الفصل الرابع، الذي يستمد مادته من الأرشيفات الصهيونية غير المتاحة لمؤلف هذا الكتاب. وانظر أيضا:

ZeezMaoz, Defending the Holy Land.

وكذلك خاتمة هذا الكتاب [يقصد المؤلف كتابه هو].

Kapellouk, New Light on the Arab Israeli Conflict, 17;

عن التقرير البريطاني انظر TNA، التقرير الاستخباري نصف الشهري الرقم 57، ص2؛
عن كننغهام انظر:

FCO 141/14284,

البرقية الرقم 2413؛

WO 261/571.

تقسيم فلسطين؛
عن رفض الوكالة الانتقال إلى تل أبيب، انظر:

FCO 141/14284, No. 2345.

يقال في العادة إن العنف الفلسطيني المضاد لليهود عاد إلى الظهور في 30 نوفمبر لأن ذلك كان يوم اتخاذ القرار 181 وموافقة الأمم المتحدة على سابقة إيجاد دولة صهيونية (وقد شهد ذلك اليوم عنفا يهوديا مضادا للعرب. غير أن البداية الحقيقية للعنف جاءت في منتصف أغسطس مع إعلان الأنسكوب توصياتها التي فُهم منها أن قيام دولة صهيونية كان أمرا حتميا، أي إن بدايات هذا العنف تعود إلى تلك الفترة كما يبين الفصل السادس، ص226.

(16) TNA, WO 261/571,

ملخص لأهم أعمال العنف العربية واليهودية ما بين 5 و19 ديسمبر، 1947.

WO 275/64.

التقرير الاستخباري نصف الشهري الرقم 57، ص2-3، وكذلك في:

WO 261/571.

(17) الهجوم على حافلة ركاب حيفا:

TNA, FCO 141/14284,

البرقية الرقم 2413، ص2؛

WO275/31,

الاستيلاء غير الشرعي على الأرض، الملحق إلى الفقرة 3،

CO733/477/4,

البرقية الرقم 2509؛

النيويورك تايمز، 13، 20، 21، 24، 12/13/ 1947؛

Pappé, Cleansing, 57;

التقرير البريطاني عن هجوم الخصاص انظر:

WO 275/64,

التقرير الاستخباري نصف الشهري الرقم 58، ص6، وكذلك:

Khalidi, All That Remains, 465-6.

عن عبدالله والتوقع أن لا تنشأ دولة فلسطينية انظر:

WO 261/571,

التقرير الاستخباري نصف الشهري الرقم 57، 18-6 ديسمبر 47، خصوصا ص2.

Quigley, Challenge, ch. 5;

النشرة المعنونة For the Record تؤرخ الهجوم على المقهى ليلة عيد الميلاد، بينما تقول وثائق الأرشيف الوطني TNA إن التاريخ هو الخامس والعشرون.

وفي مسألة الاستفزاز الصهيوني في شهر ديسمبر 1947 بغرض إشعال حرب أهلية يمكن للدولة الإسرائيلية الجديدة أن «تدافع» عن نفسها فيها بالتطهير العرقي واغتصاب الأراضي وفرض الأحكام العرفية على مناطق منتقاة بحسب الانتماء العرقي للسكان انظر على سبيل المثال كتاب بابيه عن التطهير العرقي، لاسيما الفصل الثالث، وبحث أمنون كابليونك بعنوان:

New Light on the Arab-Israeli Conflict and Refugee Problems and Its Origin, in Journal of Palestine Studies 16, no. 3 (Spring 1987): 16-24.

(18) TNA, CO 733/477/4 pencilled 34,

برقية واردة لوزير الدولة لشؤون المستعمرات.

كلمة cooperating مشوهة ولكن المقصد واضح. الصفحات غير مرتبة بشكل صحيح في كيو، ولكن رقم الصفحة المنقول عنها يبدو واضحا.

(19) Wilson, 6th Airborne, kindle 2640-2641

(20) الرسم الكاريكاتيري للرسام شك (Szyk) في The Legionaire (التهجئة صحيحة)، 13 فبراير 1948.

النسخة التي اطلعت عليها هي:

TNA, KV 5/11,

أما روح النكتة البريطانية فيما يتعلق بتهمة معاداة السامية فانظر بشأنها:

WO 261/571,

التقرير الاستخباري نصف الشهري الرقم 56.

(21) TNA, Pappé, Cleansing, 59;

TNA, KV 5/39, '203a' re Hashomer and Haifa.

النيويورك تايمز، 31 ديسمبر 1947؛

النيويورك تايمز، 30 ديسمبر 1947؛

UN, A_AC.21_SR.16, 21 Jan 1948;

TNA, CO 537/3855برقية واردة رقمها 2525؛

المصدر نفسه، ملخص أحداث، 29 ديسمبر 1947 (الرقم «1» بالأحمر).

(22) القرار 181 جعل يافا منطقة عربية معزولة عن بقية فلسطين العربية. كانت بريطانيا قد بحثت موضوع ربط يافا بفلسطين العربية ولكن ذلك لم يحصل لأنه كان سيقسم الدولة الصهيونية إلى قسمين، «وبذا تخلق لليهود صعوبة تحلها للعرب»، انظر:

TNA, CAB 128/6/0/0009 219;

UN, A_AC.21_SR.16, 21 Jan 1948;

Pamphlet, For the Record;

TNA, KV 5/39, blue '203a'.

(23) عن الاستفزاز انظر:

TNA, WO 275/64,

التقرير الاستخباري نصف الشهري الرقم 59، ص؛

WO 275/83,

الأمن الميداني التابع للفرقة المحمولة جوا، 317.

التقرير الخاص بمذبحة CRL.

Pappé, Cleansing, 59;

TNA, KV 5/39, '203a' re Hashomer and Haifa;

النيويورك تايمز، 3 ديسمبر 1947.

UN, A_AC.21_SR.16, 21 Jan 1948;

TNA, CO 537/2855,

برقية واردة رقمها 2525؛

المصدر نفسه، ملخص أحداث، 29/12/1947 (الرقم «1» بالأحمر).

WO 275/83,

تقرير عن أحداث الشغب في مصفاة الـ GRL في 30 ديسمبر 1947.

عند العودة إلى بني مورس نجد أنه يعترف بأن «ما فعله العرب ضد اليهود لم يكن ذا أهمية تذكر» بالنسبة إلى كيفية نشوء مشكلة اللاجئين الفلسطينيين وأسبابها (ص7)، ولكنه يعيد انحدار الوضع إلى حالة الفوضى بعد صدور القرار 181 إلى الهجوم العربي ضد حافلتين في اليوم التالي لاتخاذ القرار (30/11)، ثم يقفز إلى العام 1948 من دون أن يذكر شيئا عن استفزازات الصهاينة التي قُصد منها إثارة الحرب الأهلية.

(24) النيويورك تايمز، 5 يناير 1948؛

Pappé, Cleansing, 59-60;

النيويورك تايمز، 7 يناير 1948؛

النيويورك تايمز، 5 يناير 1948؛

UN, A_AC.21_SR.16, 21 Jan 1948;

يؤرخ كرستال الهجوم يوم 4 يناير، ولكن معظم المصادر تجعله ليلة 5-6 يناير. انظر أيضا:

Karmi, Fatima, 86-89,

حيث تذكر الأمطار الغزيرة التي هطلت تلك الليلة.

Jerusalem Quarterly…Qatamon,

سقوط حي مجاور، 1948.

مقتبس عن مقالة كرستال بعنوان «تخليص القدس الغربية من العرب».
عن هجمات 31/12 و1/1 انظر:

WO 275/64.

التقرير الاستخباري نصف الشهري الرقم 57، ص7-8.
عن توقيت هجومي الهاغانا على بلد الشيخ ووادي رشمية يقول بابيه إنهما حدثا في الوقت نفسه تقريبا يوم 31 ديسمبر، أما الوثائق البريطانية فتضع الهجوم على بلد الشيخ في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل من ليلة 1 يناير. ولذا أحسست بأن هنالك ما يدعو للقول إن الهجومين حدثا في ليلة 31 ديسمبر/ 1 يناير، نحو منتصف الليل.

WO 275/64.

التقرير الاستخباري نصف الشهري الرقم 58:
تقول المصادر البريطانية إن مذبحة بلد الشيخ «نفذتها مجموعة من أعضاء الهاغانا انقسمت قسمين وهاجمت من جهتين: فقد اتخذت عصابة تتكون من اثني عشر فردا مواقعها وأخذت تطلق النار من غربي القرية، بينما دخلت مجموعة أخرى تتكون من نحو عشرين رجلا القرية من الجنوب وأخذت تطلق نيران أسلحتها الرشاشة وتقذف القنابل».

Pamphlet, For the Record;

وهنالك وصف تفصيلي صريح للمذابح اليومية التي ارتكبت ضد اليهود وضد العرب في أوائل العام 1948 في الأرشيف القومي كما في:

CO 537/3855 - WO 261/573

أما تاريخ حرب العام 1948 فيقع خارج حدود هذا الكتاب، باستثناء الإشارة إلى تطور الإرهاب المدني إلى مستودع يغذي دولة إسرائيل.

(25) TNA. WO 275/64,

التقرير الاستخباري نصف الشهري الرقم 59، ص6،

(26) TNA. KV 5/39, blue '203a';

النيويورك تايمز، 5 يناير 1948؛

Pappé, Cleansing, 60;

كان كم فلبي ابن جون فلبي؛
النيويورك تايمز، 7 يناير 1948؛

Kister, 202;

النيويورك تايمز، 5 يناير 1948

UN, A_AC.21_SR.16, 21 Jan 1948;

يؤرخ كرستال الهجوم في 4 يناير، ولكن معظم المصادر تقول إنه حدث في ليلة 5-6 يناير.
وانظر أيضا

Karmi, Fatima, 86-89,

حيث تذكر الرياح الباردة الشديدة والأمطار الغزيرة التي هطلت تلك الليلة.

Jerusalem Quarterly...Qatamon,

سقوط حي مجاور، 1948.
مقتبس عن مقالة كرستال بعنوان «تخليص القدس الغربية من العرب».
عن هجومي 31 ديسمبر و1 يناير انظر التقرير الاستخباري نصف الشهري الرقم 57، ص7-8؛

CO 537/3855,

موجز الأحداث - 4 يناير 1948؛

نتج عن الهجوم على السراي القديم تدمير مكاتب الضمان الاجتماعي،

WO 261/573,

انظر التقرير الاستخباري نصف الشهري الرقم 59، ص 5، وهو يدعي أن الهجوم على فندق سميراميس لم يأت بأمر من الوكالة.

(27) النيويورك تايمز، 7 يناير 1948.

عن فندق سميراميس، تفند غادة الكرمي في كتابها بعنوان Fatima، التي كانت تعيش في القطمون عند حدوث التفجير، ادعاء الهاغاناه، وتقول: «إن الصحافيين العرب اعتادوا المكوث في فندق سميراميس، وكان ملتقى معروفا للنشطاء من مختلف الاتجاهات السياسية» (ص89).

النيويورك تايمز، 27 فبراير 1957.

(28) TNA, CO 537/3855,

موجز الأحداث – 7 يناير 1948

(29) UN, A_AC.21_SR.16, 21 Jan 1948;

حول ردود الفعل الصهيونية على تفجير فندق سميراميس انظر:

TNA, WO 275/64,

التقرير الاستخباري نصف الشهري الرقم 59، ص9.

(30) فيما يتعلق بتهديد مالنتز الجديد، قيل إن «الانتقام» جاء بسبب سجن شخص اسمه غونسيورهينوك؛ انظر:

TNA, FO 1020/1774, Cipher Telegram INT/B/1106, 6 Jan 1948;

رسالة من هكترمكنيل إلى وزير الخارجية؛

FO 371, 68648,

جيمز رستن، النيويورك تايمز، 27 يناير 1948. وانظر أيضا:

TNA, FO 371/68648,

واشنطن إلى وزارة الخارجية، الرقم 422.

في لندن في 21 يناير قيل إن قنبلة وجدت في المكتب العربي في چلسي (KV 3/440, 277A)؛

مبيعات طيارات أوستر: انظر:

FO 800/487, 91, etc.

(31) TNA, FO371/69648,

برقية واردة إلى دائرة علاقات الكومنولث (برقم 121).

(32) الوكالة اليهودية: مذكرة عن الأعمال العدوانية العربية؛

TNA, FCO 141/14286,

برقية كننغهام 1119.

(33) Krystall, De Arabization of West Jerusalem; Tamari, Salim, (ed.) Jerusalem 1948, ch 4, esp 94-95; Morris, Birth, 52.

(34) FO 371/69648, Cipher 816 (pencilled '43');

المصدر نفسه، برقية، وفد المملكة المتحدة إلى الأمم المتحدة، الرقم 452، ص2؛

FO 371/82703.

تقرير شهري عن الأوضاع في الأردن، ديسمبر، 1949، ص2؛

CIA, Possible Developments;
CIA, Aims of Revisionists;
TNA, FO 371/69649,

برقية رقمها 5459؛

WO 261/571.

التقرير الاستخباري نصف الشهري الرقم 57، 18-6 ديسمبر 1947.

(35) عن «أشكال الضغط المختلفة» انظر:

TNA, FO 371/61914, FO to Jedda (pencilled 7);

النيويورك تايمز، 8 مارس 1948؛

النيويورك تايمز، 9 مارس 1948؛ بالمقارنة بين قيمة الدولار في العام 1948 والعام 2014، وبالاستناد إلى موقع:

dollartime.com.

عن مراكز التجنيد التي أقامتها الهاغانا ، انظر:

Wendehorst, British Jewry, 263.

(36) وضعت الأجيال اللاحقة اللوم على الجنود البريطانيين غير النظاميين وعلى العرب في الهجوم على بن يهودا، لكن هنالك وثيقة يحتفظ بها الأرشيف الوطني تدعي أنها من وضع محققين استأجرتهم الوكالة اليهودية وVa'adLeumi تنفي بشكل قاطع أي دور للعرب، وتضع اللوم كله على البريطانيين، وهو خطأ أسبابه استراتيجية في أغلب الظن:

TNA, CO 537/3858,

«تقرير اللجنة» (الرقم «66» بالأحمر)، لا سيما ص6؛

فيما يتعلق بالكتيب انظر المصدر نفسه:

The British League Palestine Branch»»

(37) TNA, CO 733/477/5,

برقية واردة رقمها 834.

يبدو أن الضحايا كانوا جميعا من المدنيين العرب. وقد أخطأت جريدة التايمز (2 مارس 1948) والهيئة الخاصة بفلسطين التابعة للأمم المتحدة في الملخص الإخباري اليومي الرقم 23 بتاريخ 1 مارس 1948 في وصفهما للضحايا بأنهم من العسكر البريطانيين لأن البرقية البريطانية الموجودة في الأرشيف الوطني التي تشير إلى الموتى تقول بلهجة قاطعة إن العسكريين البريطانيين «لم - أكرر: لم - يتعرضوا لأذى»:

عن بناية السلام، انظر النيويورك تايمز، 4 مارس 1948.

(38) النيويورك تايمز، 23 مارس 1948.

Kister, Irgun, 277;

KV 5/31, Extract OF 696/1, '159z',

هنا يرد اسم المجموعة مكتوبا هكذا: «Farren Group» بينما يرد عند الإرغون هكذا: Farran Group. انظر مثلا:

KV 3/440, 278b

وهذه رسالة من الإرغون، ص3.

فيما يتعلق بروي فران، أجرى المؤلف مع شخص يعرف العميد [الميجر] فران من أواخر الأربعينيات في فلسطين، وهو تد ستيل، الذي لم يكن مقتنعا بتهمة جريمة القتل. أما وصف جزراني Cesarani في كتابه Major Farran's Hat فيدينه.

(39) وفد الهيئة العربية العليا لفلسطين، الكتاب الأسود بتاريخ 12 مارس، ص3. نقلت صحيفة النيويورك تايمز خبر توزيع الكتيب في 14 مايو 1948.

فيما يتعلق بوحدة العلوم في منظمة الهاغانا، انظر كتاب بابيه عن التطهير العرقي، ص-100 101.

TNA, FCO 141/14286,

البرقية الرقم 1293 بتاريخ 8/5/48، الفقرة 5.

المقالة التي تنقل خبر انتشار مرض التيفوئيد في عكا موجودة في النيويورك تايمز، 6 مايو 1948. يقول مورس في كتابه Revisited إن وباء عكا ربما يعود إلى رداءة البيئة الصحية نتيجة لتهجير الناس، ولكن المسؤولين عن الصحة حددوا السبب بأن العدوى انتقلت بواسطة الماء، وليس بسبب اكتظاظ الناس غير الصحي. ومما يدحض أقوال مورس أن أعداد المصابين بين الفلسطينيين والجنود البريطانيين كانت متساوية تقريبا، ولم يتفش المرض في مدن عربية أخرى. وقد كان نعيم جيلادي، المشارك في الهجمات البيولوجية التي نتحدث عنها هنا، مع المنظمات الإرهابية، ويتحدث عن الحرب البكتيرية في عكا وغزة وعن تفريغ القرى الفلسطينية من سكانها. انظر:

AMEU, The Link, Volume 31, Issue 2, April-May, 1998

Giladi, Scandals.

تشير بعض التقارير إلى «التيفوس» بدلا من «التيفوئيد»، لكن المقصود هو «التيفوئيد» بطبيعة الحال. أشكر البروفيسور فرانسس مناسك على هذا التصحيح.

(40) CIA, Consequences, 14;

TNA, WO 261/571,

انظر التقرير الاستخباري نصف الشهري الرقم 54، 8 نوفمبر 1947.

(41) نسخة مكتوبة من مقابلة مصورة بالفيديو مع يراخميل كاهانوفتج؛ جرى التصوير في كيبوتسدغانيا في 23 يوليو 2012. كان كاهانوفتج جزءا من عملية بروم وعملية داني. عمل الترجمة إلى اللغة الإنجليزية آمي أشر. نشر الفيديو في زوخوت، وجرى الاطلاع عليه في 18 أكتوبر 2012.

(42) المصدر نفسه.

(43) المصدر نفسه.

(44) المصدر نفسه.

(45) حوادث الاغتصاب في العام 1948، انظر:

Morris, Revisited,

والمقابلة التي أجراها معه أري شافت بعنوان «البقاء للأصلح».

Pappé, Ethnic Cleansing, 209,

(46) عن إرنستو بقن انظر:

TNA, FO 800/487, 110.

عندما تكلم إرنست «إلى الناس هناك عما عملته بريطانيا رغم الهجوم الذي نفّذه بنو ملته من اليهود ضدنا فإنهم لم يكادوا يصدقونه».

(47) بعثة الأمم المتحدة لفلسطين، الملخص اليومي للأخبار 23؛

النيويورك تايمز، 13 أبريل 1948؛

Kapeliouk, New Light on the Israel Arab Conflict, 17.

(48) تقرير المخابرات البريطانية موجود في التقدير الاستخباري الأسبوعي في 17 أبريل.

TNA, KV 5/39, blue 214a;
FCO 141/14286,

برقية (من كننغهام) رقمها 1023؛

Davis, Apartheid, 21-22, 25.

عند استعمال الإحداثيات الصحيحة لدير ياسين فإن بنيان ياد فا - شم يبعد 1,25 كيلومتر عما كان مركز القرية.

(49) TNA, FO 371/68649,

ملاحظة للدائرة من السفارة البريطانية، المرجع 3/144/48، خصوصا 2؛

المصدر نفسه، مسودة لوزير الخارجية للمناقشة مع رئيس الوزراء ووزير الدفاع في 15/4، ومذكرة؛

المصدر نفسه، محادثة مع سفير الولايات المتحدة (E4887/1078/G).

(50) TNA, FO 371/69649, R.H. Hadow to P. Mason (UN) 2nd May, 1958;
FBI, Americans for Haganah Incorporated.

أمريكيون من أجل منظمة الهاغانا المتحدة

(51) TNA, FO 371/68504,

برقية واردة رقمها 1076.

(52) TNA, FO 371/68649, E5020, pencilled 54 & 55.

(53) TNA, FO 371/68649,

وثيقة عن حديث رئيس الوزراء ووزير الخارجية مع سفير الولايات المتحدة في 28 أبريل 1948 (الرقم 110 مكتوب بخط اليد).

(54) TNA, CO 537/3861,

برقية واردة رقمها 1232.

(55) TNA, CO 537/3861,

برقية مرسلة رقمها 1698؛ برقية واردة رقمها 1232،

CO 733/477/5,

برقية واردة رقمها 1194،

النيويورك تايمز، 2 مايو 1948.

Kister, 202.

56. TNA, FCO 141/14286,

برقيتان من كننغهام رقم إحداهما 1119 (4 مايو 1948) ورقم الثانية 1211 (30 مايو 1948).

(57) TNA, FCO 141/14286,

الرقم 1119، «برقيتي برقم 1023»، التقييم الاستخباري الأسبوعي، 2.

(58) المصدر نفسه.

(59) TNA, KV 3/440, 277A, and follow-up 278A;

لم تعثر وزارة المستعمرات على أي وثيقة عن صحة قنبلة 23 فبراير (المزعومة). كانت هنالك قنبلة مزيفة زرعتها وزارة المستعمرات يوم 20 أغسطس 1947، وهو ما وصفته الوزارة بأنه نوع من «فرك الأنف» دعما للإرهاب الفلسطيني (الصهيوني). انظر النيويورك تايمز، 20 أغسطس 1947.

(60) النيويورك تايمز، 8 مارس 1948؛ 18 مارس 1948؛ 22 مايو 1948؛ 21 مايو 1948.

(61) حاول المؤلف أن يحصل على إذن بالاطلاع على الوثيقة MEPO 2/8/766 في الأرشيف الوطني عن «مقتل فرانسس ركس فران بطرد ملغوم أرسلته منظمة إرهابية من كودسول، ستافوردشر، في 3 مايو 1948» بطلب يقع تحت بند حرية الحصول على المعلومات، ولم ينجح. سيفرج عن الوثيقة في العام 2029، وهي سنة يرد اسم شخص في الملفات يكون قد بلغ المائة ويعتبر متوفى؛

Cesarani, 193.

TNA, EF 5/12, «The Star, Poison Bomb Secrets Out»;

KV 3/440, 302a;

KV 3/440 299g.

(62) Neff, Pillars, 65.

(63) CIA, Clandestine Air Transport Operations

عمليات سرية للنقل الجوي(DOC_0000655104) .

(64) Erskine B. Childers, «The Wordless Wish: From Citizens to Refugees», in Abu-Lughod, Transformation, 187, 182;

Quigley, Challenge, ch 10;

TNA, FO 371/68649, British Emb document 3/175/48, pencilled 136, esp 3;

Morris, Birth (1989), 200 note 4;

TNA, FO 371/68649, pencilled 33, 136-137;

أمر بن غوريون نفسه بتطهير القرى عرقيا، لكن الحكومة الإسرائيلية منعت إسحاق رابين، الذي كان قائدا عسكريا في العام 1948، من التصريح بذلك بعد ثلاثة عقود، أي في العام 1979. انظر النيويورك تايمز، 23 أكتوبر 1979.

(65) TNA, EF 5/12, Daily Telegraph, 12 May 1948;

النيويورك تايمز، 12 مايو 1948؛

كتب سغف (في Complete, 480) يقول إن باركر هو نفسه الذي لاحظ تفخيخ الظرف وليس زوجته أو الخادمة، لكن المؤلف اعتمد وثائق الأرشيف الوطني.

TNA, EF 5/12, Statement of Dr. Watts, p. 2;

المصدر نفسه، «إلى رئيس جهاز الشرطة من قوات الشرطة» بتاريخ 13 مايو 1948. ترد في الرسالة عبارة:

Lord Chairman of the House of Lords

بدلا من عبارة The Lord Speaker.

(66) TNA, EF 5/12

قصاصات من الجرائد؛

تقول بعض التقارير المنشورة (كتلك التي نشرتها صحيفة الديلي ميل) إن ما يجعل العبوة تنفجر هو سيانيد الصوديوم عند اتصاله بالماء، ولكن ذلك غير صحيح، فسيانيد الصوديوم لا ينفجر في الماء (أشكر البروفيسور فرانسس مناسك على هذا التصحيح)؛

المصدر نفسه؛ لاحظ أن تصريح الدكتور واتس (ص2) يقول «إنه أدى إلى التواء قطعة فولاذية سمكها ¼ الإنش، بينما يرد في Letter Bombs (16 يونيو 1947) أن السمك كان ⅛ الإنش.

المصدر نفسه، رسالة إلى الدكتور واتس (على الجزء الأعلى الأيمن منها 292، 569)، وثيقة بخط اليد تبدأ بالقول «رسالة تلفونية»، تشير إلى شركة أطلس للبودرة (ولمنغتن،

ديلاوير)، وإلى دوبونتو هيركيوليز للبودرة؛
المصدر نفسه، رسالة؛

Venezia Giulia Police Force (red 1);
قوات الشرطة في فنيسيا جوليا [في شمال إيطاليا]؛
المصدر نفسه؛

CRDD Reference X12/123, Outrage, June 1947, Postal Packets, esp 5.

(67) TNA, CO 537/3860, red '68', '56', '50';
النيويورك تايمز، 15 مايو 1948؛
إعلان تأسيس دولة إسرائيل؛

Kapeliouk, New Light on the Israeli Arab Conflict, 3;
حول هرتسوغ واندماج الهاغانا والإرغون انظر:

TNA, FCO 141/14286, Cunningham telegram 1119;

KV 5/31, Stern Gang Broadcasts ('168A');

Ernst FO 800/487, 198.

(68) TNA, FO 371/68650, Telegram 6612 (pencilled '125');
وكالة المخابرات المركزية، تطورات ممكنة من الهدنة في فلسطين، 31 أغسطس 1948 (DOC_0000258353).

(69) TNA, boycott, FO 371/68650, pencilled '108' and others.
اشترى الحاخام باروخ كورف بعد إطلاق سراحه عقب محاولته الهجوم على لندن قبل أشهر صفحات كاملة في صحف نيويورك في شهر يونيو لكي يعلن حل لجنة العمل السياسي من أجل فلسطين. وقد لام كورف وزارة العدل في الولايات المتحدة لأنها أمرت بتسجيل اللجنة على أنها تعمل لمصلحة جهة أجنبية فرفض. انظر:

TNA, FO 371/68650, pencilled '105'.

NY Post, 1/6/1948.

(70) مذكرة من رئاسة الوزراء. انظر:

CAB 129/29/0018, 5.

(71) TNA, CRIM 1/1951
بدلا من «توقيف» اقرأ «اتهام»، ص8؛

Cesarani, Hat, 199-200;

Walton, Empire of Secrets, 94;

Canberra Times, 16/12/1948.

(72) TNA, KV 2/3171
أنشطة السيد سرل روس، مؤرخة في مايو 1949، ملحقة بـ CD/99 بتاريخ 31 مارس 1950. وغيرها مثل 22أ؛ تحتوي 20أ على صيغة مكتوبة من مكالمات تلفونية مراقبة تضمنت إشارة إلى «دانيال»، وهو الاسم الذي اتصل به سنيه في برقية التقطت في العام 1946. كما تضمنت إشارة إلى الخوف من الابتزاز، وإلى دي بيرز (التي هي ربما الشركة التي تتعامل بالمجوهرات).

(73) Roosevelt, Arab Position.

(74) TNA, KV 5/31
قصاصات من الصحف، خاصة من الديلي إكسبرس.

(75) TNA, Cyril Marriott,

القنصل العام في حيفا؛

FO 371/75192,

من حيفا إلى وزارة الخارجية، الرقم 262، والرقم 3 مكتوب بخط اليد.

(76) خطة برنادوت: انظر:

CAB 129/29,

Schwartz, 304-307;

عن التقرير الصحافي انظر:

KV 5/32, 217a.

عن القدس، انظر المصدر نفسه، 222أ؛

Schwartz, Walking with the Damned, 304.

(77) Kirkbride, From the Wings, 108-110.

UN, S/1098, 2 Dec 1948

(رسالة من القائم بأعمال الوسيط)؛

FO 371/82703,

تقرير عن الوضع الشهري لشهر يونيو 1950، خاصة ص2؛

رسالة تاريخها 29 نوفمبر 1948، من القائم بأعمال الوسيط موجهة إلى السكرتير العام تتضمن تقريرا عن خرق الهدنة من قبل القوات اليهودية يوم 23 سبتمبر 1948.

(78) Morris, Revisited, 4, 469-470;

FO 371/111104;

Letter T. Wikeley, R1091/160, especially, p. 2.

(79) Pappé, Ethnic Cleansing, 196.

هيئة الأمم المتحدة للمصالحة في فلسطين؛ مذبحة الدوايمة، 14 يونيو 1939، شهادة حسن محمود هديب، مختار القرية،

Morris, Border, 469.

(80) هيئة الأمم المتحدة للمصالحة في فلسطين؛ مذبحة الدوايمة، 14 يونيو 1939؛

Morris, Revisited, 469-470.

(81) الضابط في عملية هايرام كان اسمه يوسف ناحمان؛

Morris, Revisited, 500.

Zertal, 171.

(82) Ricky-Dale Calhoun, Arming David: The Haganah's illegal arms procurement network in the United States 1945-1949, in Journal of Palestine Studies, Vol. XXXVI, No. 4 (Summer 2007), 22-32;

TNA, KV 2/2264, Extract, 202b, (surname misspelled Koller);

Ibid, S.F.76/Palestine/4/B3a/MCSP (blue 190a[?]»;

هذه المصادر تقول إن المخابرات البريطانية أفادت بأن تدي كولك، وفقا لمصادر لا تعرف مصداقيتها قد اشترى معدات للرادار قيمتها مليون دولار أرسلت إلى إسرائيل عن طريق المكسيك، ولكن الولايات المتحدة أوقفت استعمال هذا الطريق لنقل خمسين دبابة كان قد اشتراها. وبما أنه لم يتمكن من إحضارها إلى إسرائيل فإنه باعها إلى الصين، وعندما أحس مكتب التحقيقات الفدرالي (FBI) به عاد إلى إسرائيل.

KV 2/1390, W.1239, 192a;
KV 5/40,

تصريح للسيد مناحيم بيغن... 19 سبتمبر 1948، خصوصا ص2.

(83) TNA, KV 2/2251, 76c, 77w, 77y;
FO 371/68512, MS 38 upper right;
FO 371/68697, letter, ref 3/315/48, 3rd December, 1948;
KV 2/2251, 78a;

النيويورك تايمز، 27 نوفمبر 1948؛
النيويورك تايمز، 3 ديسمبر 1948؛
لاحظ أن تاريخ مقالة النيويورك تايمز التي تتضمن صورة لبيغن في موكب سيارات كتب خطأ في:

KV 2/2251.
(84) TNA, KV 2/2252, JTA extract 7.12.49;
KV 2/2251, JTA extract 23.12.48 (pencil 796);
KV 5/40, Voice of Jerusalem (blue 266a).
(85) TNA, FO 371/75340, '74-75' in upper right.

التقرير البريطاني: المذكرة الأولية من هارولد بيلي إلى برنارد بلوز توحي باسم من وضع التقرير (وأغلب الظن أنه بيلي).

(86) TNA, CAB 129/32-0010, 69;
PREM 8/1251,

مذكرة تاريخية ... منذ العام 1945، خصوصا ص8؛

FO 371/75402,

مسودة بيان يتعلق بطائرات سلاح الجو الملكي وغيرها؛

FO 371/75400,

مخطوطة مشفرة رقمها 10019، إلخ؛

TNA, FO 371/75402.

برقية مشفرة رقمها 99؛

See also FO 800/487, 293-295.
(87) FO 371/75377.

القدس إلى وزارة الخارجية (الرقم «3» مكتوب بخط اليد)؛

PREM 8/1251

مذكرة تاريخية ... منذ العام 1945، خاصة ص6؛
بينما كان مجلس الوزراء البريطاني يعبر عن ذهوله لرفض مجلس الأمن اتخاذ الإجراءات اللازمة ضد الغزو الإسرائيلي، كانت الولايات المتحدة تؤيد دخول إسرائيل إلى هيئة الأمم المتحدة حتى بينما كانت ترفض الانصياع لمجلس الأمن.
(88) المانچستر غارديان، 12 فبراير 1949؛

TNA, FO 371/75192,

من حيفا إلى وزارة الخارجية، الرقم 262، الرقم 3 بخط اليد.
(89) النيويورك تايمز، 19 يناير 1949؛ 10 يناير 1949؛

TNA, FO 371/75344, Cipher No. 611;

شاريت: مثلا في الكنيست، يوم 15 مايو 1949.

(90) Roosevelt, Arab Position, 3.

(91) King-Crane, Aug 28, 1919;

CIA, National Intelligence Survey, Iraq, Jan 1951, declassified Oct 2005

KV 2/2251, «The I.Z.L and the Jewish Agency», verso.

الفصل الثامن

(1) وكالة المخابرات المركزية: «كارثة طويلة الأمد»، تقرير إخباري، مارس 1949 (تاريخ رفع السرية عنه غير واضح على نسخة الـ pdf التي اطلعت عليها، وهي DOC_ 0000107452).

(2) بالنسبة لفايتسمان، انظر فشباك، ص8، وزارة الخارجية الإسرائيلية، والاقتباس عن:

Kapeliouk, New Light on the Israeli Arab Conflict:

«اللاجئون [الفلسطينيون] سيجدون أنفسهم في الشتات. سيعيش القادرون منهم على المقاومة بفضل الانتخاب الطبيعي، أما الآخرون فسينهارون. سيتمسك بعضهم بالحياة، أما أغلبيتهم فستتحول إلى ركام بشري، إلى حثالة الأرض، وسينحدرون إلى الدركات السفلى من العالم العربي». أرشيفات دولة إسرائيل، وزارة الخارجية، ملفات - لاجئون، الرقم 2444/19. أما بشأن ادعاء إسرائيل بعد حرب العام 1967 بأن الأردن هي فلسطين، انظر:

TNA, FCO 93/3271.

(3) TNA, KV 2/1435.

الرقم «460» مطبوع طباعة (الصفحة تبدأ بعبارة «اعتقد أنك سوف»...).

(4) TNA J. C. Robertson، May 19، 1948، KV 2/1435، PF. 46863 (592، 593، 593)

ثمة خطأ واضح فيما يقوله روبرتسن، وهو أن روسيا كانت قد منحت إسرائيل اعترافا وفق القانون، وانظر أيضا تقرير مجلس الوزراء:

CAB 129/32/0010, 63.

(5) وكالة المخابرات المركزية: «كارثة طويلة الأمد»، تقرير إخباري، مارس 1949 (تاريخ رفع السرية عنه غير واضح على نسخة الـ pdf التي اطلعت عليها، وهي DOC_ 0000107452).

(6) وكالة المخابرات المركزية: استعراض الوضع العالمي بما يتصل بأمن الولايات المتحدة، 13/6/1949، ص13-14.

(DOC_ 0000215472).

رفعت السرية عنه هذه الوثيقة في يوليو 1998.

TNA, FO 371/75350,

محضر الاجتماع مع السيد لويس جونز من سفارة الولايات المتحدة،

FO 371/75350,

الرقم «148» مختوم عليها،

KV 5/40,

تقارير عن التطورات الممكنة (الرقم «284» بالأزرق)،

من تل أبيب إلى وزارة الخارجية، السير ك. هلم، الرقم 655، FO 371/75344,

الموفدون البريطانيون في تل أبيب. FO 371/9137,

EE1084/6;

Rabinovich-Reinharz 97-98.

(7) Quigley, Challenge, ch 14.

بقيت المناطق غير اليهودية مغلقة حتى عند رفع الأحكام العرفية بالاسم في العام 1966، وبذلك ظلت تلك المناطق ترزح تحت ما يقرب من السيطرة العسكرية.

(8) TNA, FO 371/75192,

حيفا إلى وزارة الخارجية، E.4575، الرقمان 11 و2 مكتوبان بخط اليد (8 أبريل 1949).

(9) TNA, FO 371/98484,

القضية الفلسطينية المعروضة على الأمم المتحدة ME 105/52 essentially 1, 8 (من دون ترقيم).

Pappé, The Making of the Arab-Israeli Conflict.

تراوحت تسويغات قبول إسرائيل في عضوية الأمم المتحدة على رغم تعنتها بين التسويغ الفرنسي، التي قال ممثلها - من دون وعي بالمفارقة فيما يبدو - إن إسرائيل قد تتعاون إذا ما قبلت، وبين التسويغ الأميركي القائل إن الهيئة العامة ليست معنية بشكل مباشر بمسألة الالتزام (على رغم أنه شرط من شروط العضوية).

(10) TNA, FO 371/104778;

FO 371/91387;

FO 371/91386;

Morris, Border Wars, 4, 36, 37;

فيما يتصل بالرقم الذي أعطاه آيزنهاور عن أعداد اللاجئين انظر مقالة «التايمز» المعنونة «الولايات المتحدة على استعداد لضمان الحدود العربية الإسرائيلية» والمنشورة في 27 أغسطس 1955، وتستشهد فيها بدلس الذي يتحدث «بتفويض من الرئيس».

(11) TNA, FO 371/91385, E1091/23.

(12) John Ruedy, «Dynamics of Land Alienation, «in Abu-Lughod, Transformation; Quigley, Challenge, ch 12-13.

(13) TNA, FO 371/75192, Haifa to FO, No. 507, pencilled E6;

Ibid, Jewish squatters, pencilled «7»;

Quigley, Challenge, ch 12-13.

Pappé, Idea, 288.

(14) TNA, FO 371/104791

ملاحظات عن العلاقات الحدودية بين الأردن وإسرائيل من يونيو 1952 إلى أكتوبر 1953 (وتتضمن ملخصات عن سنوات سابقة، ص13.

تقارير سرية أعدها السير جون باغت غلب، 15 أكتوبر 1949. FO 371/75344,

Morris, Border, 151.

(15) Morris, Border, 149, 146-147.

تؤكد سجلات جيش الدفاع الإسرائيلي هذه السرقات، انظر مثلا مورس، 151.

(16) وزارة الخارجية الإسرائيلية، أبو غوش - قصة قرية عربية، 1 يونيو 2000،

.Morris, Border, 149, 146-147, 151-152

(17) Ryan, Refugees, 55-81. See also Quigley, Challenge, ch 12-13.

(18) El-Haj, Facts on the Ground, 91-94.

(19) «النيويورك تايمز»، 18 أكتوبر 1949، 26 يناير 1951،

Giladi, Scandals, ch 4.

فيما يتصل بالعراق، تتعزز أقوال غيلادي بما يقوله إيفلاند في Rapes of Sand، ص48 و49، وانظر:

Quigley, Challenge, ch 2;

فيما يتعلق بعضو الهاغانا في إليات، انظر:

Baun, Weeds, 82-83,

وأحاديث المؤلف مع السيدة براون في لندن في العام 2007،

TNA, CO 733/420/19.

عد منع المنشورات الصهيونية في العراق بعد اضطرابات العام 1929 في فلسطين فعلا معاديا للسامية، وقالت صحيفة The Jewish Chronicle في عددها الصادر في 19 أكتوبر 1934 إن «يهود العراق يعيشون في حالة من الخوف الدائم». انظر:

CO 733/275/4, 39.

(20) النيويورك تايمز، 22 مايو 1950، 20 يناير 1951.

(21) TNA, CO 67/373/8, stamped '4';

«النيويورك تايمز»، 22 مايو 1950،

وجهت الطائرات للهبوط في قبرص لأن العراق رفض أن تهبط طائراته في إسرائيل،

CO 67/373/8,

المفوضية البريطانية، 1572/31/50.

المصدر نفسه «المرفق الرقم 1 مع رسالة هنري ماك الرقم 230».

(22) TNA, FO 370/82703,

تقرير عن الوضع الشهري، الأردن، لشهر سبتمبر 1950، المفوضية البريطانية في عمان، خصوصا ص2.

Morris, Border, 198.

قال أحد العاملين إن الحركة الصهيونية دفعت لبعض الصحف العراقية مبالغ كبيرة لتنشر دعايات معادية لليهود وتطالب بطرد اليهود، انظر:

Giladi, Scandals, 200.

TNA, CO 67/373/8,

رسالة إلى موشي شوحط ختم عليها بالرقمين 35-37.

وانظر المصدر نفسه، هنري ماك، وقد ختم عليه الرقمان 58 و61 عن التحرك من العراق إلى إسرائيل عبر إيران. وعن نقليات الشرق الأدنى جوا انظر أيضا:

Moshe Gat, Exodus from Iraq, 88.

(تشير وثائق الأرشيف الوطني أيضا إلى صلة بطيران ألاسكا).

(23) Hirst, The Gun and Olive Branch, 282-283.

TNA, FO 371/91692, pencilled E133;

FO 371/98767, Q1571/2;

المصدر نفسه، محاكمات بغداد (4 صفحات).

المصدر نفسه، EQ1571/20،

المصدر نفسه، The Iraq Times pencilled 101,.

رسالة من پ. أ. رودز، 26/1/52 (الرقم 110 مكتوب بخط اليد).

Eveland, Ropes of Sand, 49.

(24) TNA, FO 371/98767, Q1571/2;

المصدر نفسه، محاكمات بغداد. الكنس اليهودية التي وجدت فيها كميات من الأسلحة كانت ماسودا شانتوبي، الحاخام هستل، عزرا داود، وبيت إلياهو جورجي عبيد، وبيت آخر في حي فرج الله وهبي.

«النيويورك تايمز»، ، 30 يونيو 1951، 17 ديسمبر 1951، 18 ديسمبر 1951.

الرقم 120 ألفا من يهود العراق الذين هربوا إلى إسرائيل مصدره «أحد كبار اليهود، وكان المدير العام لوزارة المالية العراقية». انظر:

FO/371/98767,

رسالة من پ. أ. رودز، 8 فبراير 1952، وقيل إن عدد من بقوا هو 5آلاف.

(25) الاقتباس عن مردخاي بن - پورات مأخوذ عن وصف محتوى كتابه:

To Baghdad and Back: The Miraculous 2, 000 Year Homecoming of the Iraqi Jews (Gefen Books, 1998)

(إلى بغداد ومنها: معجزة عودة يهود العراق التي استغرقت ألفي سنة) وهو وصف منشور على الغلاف الورقي للكتاب. يقول: «هاجر من العراق إلى إسرائيل ما يزيد على 130 ألف يهودي بين العامين 1949 و1952، وذلك بالدرجة الأولى بفضل جهود مبعوثين من إسرائيل ونشطاء من حركة «حالوتس» في العراق. وهذا الإنجاز المذهل الذي حققته الصهيونية تحت اسم عملية عزرا ونحمايا أسدل الستار المجيد الأخير على المنفى البابلي القديم».

TNA, FO 371/98767, EQ 1571/18 (pencilled '117'):

Eveland, Ropes of Sand, 48-49, and Naeim Giladi, Scandals, ch 7-8;

فيما يتصل بمغيه McGhee انظر: «مذكرة عن حديث أجراه مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى وجنوب آسيا وأفريقيا (مغيه)»، 11 يونيو 1951، علاقات الولايات المتحدة الخارجية 1951، المجلد 5، ص707، عند ص710 (1982).

وفيما يتصل بجونز انظر «مذكرة عن حديث أجراه مدير مكتب شؤون الشرق الأدنى (جونز)»، 2/8/1951، علاقات الولايات المتحدة الخارجية 1951، المجلد 6، ص813، عند ص815 (1982). كلاهما في:

Quigley, Challenge, ch 12.

(26) عن عضو الهاغانا إليات، انظر Braun Weeds,. 82-83 وأحاديث المؤلف مع السيدة براون في لندن في العام 2007، وعن التقرير الخاص باليهود الشرقيين في إسرائيل في العام 1982 بعد انتخاب بيغن، انظر:

TNA, FCO 93/3191.

الاقتباس الجزئي من أغنية الاحتجاج مأخوذ من كتاب:

Hirst, The Gun and the Olive Branch, 290.

(27) هنالك تلخيص لما هو معروف عن اختطاف الدولة للأطفال غير الأشكيناز في برنامج

جونثن كك بعنوان «القصة المذهلة الخاصة بالأطفال المختفين في إسرائيل» في قناة الجزيرة، 5 أغسطس 2016، وهو برنامج يستمد بعض مادته من كتاب:

Shoshana Madmoni-Gerber, Israeli Media and the Framing of Internal Conflict: The Yemenite Babies Affair [Palgrave Macmillan, 2009].

ومن التبريرات التي أعطيت لاختطاف المواليد إعطاؤهم للناجين من الهولوكوست الذين لم يكن بإمكانهم أن ينجبوا بسبب ما تعرضوا له من أذى نفسي. ولكن حتى لو كان لهذا التبرير أي قيمة فإنه يناقض الحقيقة التي تقول إن الناجين من الهولوكوست تعرضوا للخطة نفسها. فقد سرق بعض أطفالهم من قبل مؤسسات الدولة وبيعوا، وقيل لأهاليهم إن أطفالهم ماتوا (انظر الحاشية 428 أعلاه). كان استخدام إسرائيل لما تعرض له يهود شمال أفريقيا والشرق الأوسط من ظلم لتسويغ ظلمها للفلسطينيين معروفا منذ زمن، ولكن ذلك أصبح سياسة رسمية (انظر على سبيل المثال مقالة جودي مالتس بعنوان: «في محاولة لمواجهة الجهود الفلسطينية، طلب من الدبلوماسيين الإسرائيليين أن يثيروا قضية اللاجئين اليهود» في جريدة «هآرتس»، 11 سبتمبر 2012).

(28) Pappé, The Idea of Israel, 38 or Kindle 635.

حول التسلل لاستعادة بعض الأغراض والأمتعة انظر على سبيل المثال:

TNA, FO 371/111101, The Star in the East, 10;

FO 371/98492,

إسرائيل تحترم اتفاقية هدنة، 3.

(29) عن كيركبرايد انظر:

TNA, FO 371/82706, esp 4 (July 1950);

FO 371/75455, and FO 371/75344,

تقرير سري من غلب بتاريخ 15 أكتوبر 1949.

(30) Morris, Border, 31.

(31) Morris, Border, 43;

TNA, FO/82703371

التقرير الشهري عن الوضع لشهر مايو 1950.

المفوضية البريطانية في عمان، خصوصا ص2.

الرقم الذي أعلنه الصليب الأحمر في جريدة فلسطين في 28 فبراير 1949 (موجود في Pal-estine Chronicle وفي:

Filiu, Gaza, 70

Gallagher, Quakers, 64.

وفيما يخص مرض التيفوس انظر: Palestine Chronicle، في 28 فبراير 1949.

(32) TNA, FO800/487, 241.

بقيمة الليرة الفلسطينية: كانت قيمة ورقة المائة ليرة تعادل أجور أربعين شهرا للعامل المدرب في فلسطين. انظر:

Wikipedia.org/wiki/Palestine_pound

تاريخ الاطلاع على الموقع 27 مايو 2013.

تقرير الأمم المتحدة عن التقدم العام والتقرير التكميلي للبعثة التابعة للأمم المتحدة للمصالحة في فلسطين للفترة ما بين 11 ديسمبر 1949 إلى 23 أكتوبر 1950، الفصل الثالث، الفقرة 35... إلخ (A/1467/rev.1).

Quigley, Challenge, ch 12.

(33) John Ruedy, «Dynamics of Land Alienation, «in Abu Lughod, Transformation, esp 134-136.

(34) TNA, KV 5/41, J. C. Gove, blue 318a;

Kent Country Constabulary, blue 316a;

Pedahzur & Weinberg, Religious Fundamentalism, 31-33, 175, 176;

Yossi Melman, Inside Intel Time Bomb, in Haaretz, 13/8/2009.

(35) Pedahzur 31, 176;

Benziman, Israeli Caesar, 54-55.

تقول بعض المصادر (مثل كتاب Benziman Israeli Caesar,. 55) إن الوحدة الرقم 101 كانت تتكون بكاملها من العاملين في الكيبوتسات ومن المستوطنين، وتخلو من متطرفين خدموا في عهد الانتداب. أما موريس في كتابه عن حروب الحدود فيستشهد بوجود عضو كان ينتمي إلى البالماخ شارك في هجوم الوحدة 101 على البريج في 28 أغسطس 1953، انظر Morris, 239-241. وفيما يتعلق بأغودات إيهود، انظر أيضا:

Morris, One State, Two States, Yale, 2009, 48-50..

عندما سمع بعض الآباء بالتدريب الذي كان أبناؤهم يتلقونه وطلبوا من أغودات إيهود أن توصل شكاواهم إلى الحكومة، أنكر بن غوريون الاتهامات وقال «إنها محض افتراء لا أساس له». لكن يومياته تثبت أنه هو نفسه من أمر بتلك المهمات. ومما يثير الاستغراب أن المسؤولين الإسرائيليين في أوائل الخمسينيات قالوا للقنصل الأميركي العام في القدس إن «الإرهابيين الإسرائيليين» (أي الجماعات الخارجة على سيطرة الدولة، وليس جيش الدفاع الإسرائيلي) مسؤولون عن بعض المشكلات، وإنهم ربما كانوا يسعون إلى إثارة حرب بين إسرائيل والأردن على رغم أن هذا الدفاع لا يشار إليه فيما بعد في اجتماعات اللجنة المختلطة لمراقبة الهدنة. لكن هذا الادعاء سجلته وكالة المخابرات المركزية، انظر:

CIA-RDP7900975A001100590001-4.pdf.

وتدعي الوثائق نفسها أن غلب شك في أن عصابة شتيرن كانت وراء هجمات العام 1953، ولكن ربما كانت هذه إشارة إلى مملكة إسرائيل.

(36) TNA, FO 371/82706, T1017/1,

من تقرير كتبه آلك كيركبرايد، السفير البريطاني في عمان، وهو يزور «غرب الأردن» (فلسطين). انظر أيضا:

FO 371/75455;

Morris, Border, 167.

ومن الضروري أن نوضح أن هؤلاء المتسللين لم يكونوا سوى أناس يحاولون العودة إلى بيوتهم، وأنهم لم يكونوا متسللين حتى بلغة الهدنة، التي عرفت التسلل بأنه يتضمن «أفعالا حربية وأعمالا عدوانية»، انظر:

TNA, FO 371104779, ERL091/82, 2.

(37) Morris, Border, 167.

(38) يوميات بن غوريون في كتاب Morris Border,. 167-168.

وعن حوادث الاغتصاب في العام 1948 انظر Morris Revisited، والمقابلة التي أجراها مع آري شافت بعنوان «البقاء للأصلح».

Morris, Border, 470;

Pappé, Ethnic Cleansing, 209.

(39) وفقا لما ذكره شاهد عيان من الجنود، كان لدى البدوي بندقية، لكنه قصد إلقاءها على الأرض عندما شاهد الجنود وركض مبتعدا من الخوف. أما الجندي الذي أرداه قتيلا فلم يذكر سوى أن البدوي كان «مسلحا». (انظر صحيفة هآرتس، في المقالة المشار إليها أدناه).

(40) الصيغة المكتوبة من مقابلة صورت بالفيديو مع براخميل كاهانوفيچ في كيبوتس دغانيا في 23/7/2012. كان جزءا من عملية «بروم» وعملية «داني». الترجمة قامت بها آمي آشر، ونشرت في زوخوت. جرى الاطلاع عليها في 18 أكتوبر 2012.

عن الضباط المثقفين، انظر:

Morris, Border, 470,

عن عمليات الاغتصاب في العام 1948، انظر Morris Revisited.، ومقابلته مع أري شافت بعنوان «البقاء للأصلح»،

Pappé, Ethnic Cleansing, 209.

(41) عن تقارير الصحف، انظر مقالة كرس مغريل (Chris McGreal): «إسرائيل تكتشف سرا معيبا من سنوات وجودها الأولى»، في صحيفة «الغارديان»، 4 نوفمبر 2004، وأفيف لافي، موشي غورالي: «وجدت أن من المناسب أن أزيلها من هذا العالم»، هآرتس، 29 أكتوبر 2003. المرأة التي بلغت من العمر ستة وعشرين عاما كانت خديجة بنت سليمان. انظر:

FO 371/104791,

ملاحظات على العلاقات الحدودية بين الأردن وإسرائيل من يونيو 1952 إلى أكتوبر 1953،

FO 371/91385, E1091/7.

(42) يشير توينبي في مقالته في جريدة «الأوبزيرفر» إلى ابنة بناء اعتقل مع ابنته، «فقتلت الابنة في أثناء محاولتها الهرب». ولذا يبدو أنها ليست الفتاة نفسها التي أشير إليها في الشهادة الأخرى وقيل إنها «ماتت في الطريق»، (أي ماتت في الصحراء).

FO 1018/70,

«إلى الضابط المسؤول، عمان».

(43) TNA, FO 371/91387, letter, M.T. Walker, 15 June 1951, S103/5/33/51;

عن المسيرات الإجبارية، انظر «النيويورك تايمز»، 23 أكتوبر 1979.

الملفات الثلاثة في TNA تحتوي على ملفات وادي عربة، منها نسخ في:

FO 624/191;

FO 905/111;

FO 1018/70.

(44) TNA, FO 371/82703,

التقرير الشهري عن الأوضاع، الأردن، يونيو، 1950.

Morris, Border, 147-148,

(أغلب الظن أن شاهد العيان من الكيبوتس شاهد هذه الحادثة، وإلا فإن طردا جماعيا حدث في الشهر نفسه).

(45) Morris, Border, 147-148

TNA, FO 1018/70,

حادثة في وادي عربة، ص2-1.

(46) FO 1018/70,

حادثة في وادي عربة، ص3-1.

(47) «الأوبزيرفر»، 11 يونيو 1950: «تغيير مأساوي للأدوار».

Morris, Border, 161, 163.

فلب توينبي كان ابن المؤرخ آرنولد توينبي، ولكنه – خلافا لأبيه – كان يؤيد إسرائيل.

(48) «الجيش يعلن أنه لا يسيء معاملة المتسللين»، 15 يونيو 1950.

TNA, FO 1018

حادثة وادي عربة، الملحق 2,

Morris, Border, 161, 163.

(49) TNA, FO 371/91385, E1091/1;

FO 371/82703

التقرير الشهري عن الأوضاع، شهر أكتوبر 1950،
عن اختلاق أقوال الضحايا، انظر:

Morris, Border, 150

اتهم الجنود الرجال بأنهم كانوا «يشترون أحذية مهربة».

(50) TNA, FO 371/104791, pencilled 75

أو «ملاحظات على العلاقات الحدودية بين الأردن وإسرائيل من يونيو 1952 إلى أكتوبر 1953»، ص13. تذكر إحدى الوثائق البريطانية «3 أطفال، صبي في الثانية عشرة، وبنتين في الثامنة»، ولكن موريس يقول إن إحدى البنتين كانت في الثامنة والأخرى في العاشرة. يقول أحد المصادر إن البنت تلقت ثلاث رصاصات في ظهرها ورصاصة واحدة في رقبتها. كذلك تختلف المصادر حول ما إذا كان الوالدان موجودين، أو أن الأب وحده هو الذي شاهد عمليات القتل.

FO 371/98492, pencilled 71;

FO 371/82703,

خصوصا ص2 التقرير الشهري عن الأوضاع، نوفمبر 1950.

(51) TNA, FO 371/98490, pencilled 56;

Quigley, Challenge, ch 16.

(52) TNA, FO 371/91385,

فظائع شرفات وفلمة.
لُغِّم 14 تلغراف بمتفجرات مزودة بآليات تؤخر انفجارها، لكن أربعة منها لم تنفجر.
المصدر نفسه، E1091/8, E1091/18.

FO 371/104791;

Morris, Border, 194;

TNA, FO 371/98492, pencilled 71.

(53) قال عزمي النشاشيبي، رئيس الوفد الأردني للهيئة المختلطة للهدنة إن راماتي كان عضوا معروفا من أعضاء ليهي، وإنه أصبح بعد إنشاء الدولة من التوسعيين المتطرفين. أما المؤلف فلم يتمكن من التأكد من ذلك. انظر:

TNA, FO 371/91385, E1091/17, 1091/19;

FO 371/91385, E1091/10;

نشرت جريدة «الجروزالم بوست» رسالة من عدد من العاملين في الجامعة العبرية ينتقدون فيها سلوك الحكومة بشدة. انظر:
FO 371/91385,

إلى محرر البوست... إلخ.
ملحوظة للمحرر: رجاء مراجعة الجزء المظلل في نهاية الملف
(54) TNA, FO 371/91385,

الملحق «أ»، صدر اعتراف بأن الهجوم على شرفات كان بهدف الانتقام.
المصدر نفسه، E1091/13.
(55) TNA, FO 371/91386,

رسالة من غلب إلى كيركبرايد، 17 فبراير 1951،
FO 371/91385, E1091/23

رسالة من غلب، 8 فبراير 1951.
(56) TNA, FO 371/91385, E1091/1;

حول «موازنة» انظر:
TNA, FO 371/104791,

«ملاحظات على العلاقات الحدودية بين الأردن وإسرائيل من يونيو 1952 إلى أكتوبر 1953». فعلى سبيل المثال أرسلت إسرائيل في أوائل العام 1953 العديد من الطلعات الجوية على جميع خطوط المواصلات الأردنية. وفي كل مرة فعلت إسرائيل ذلك قدمت شكوى تدّعي فيها أن الأردن – الذي كان أسطوله الجوي يتكون من عدد صغير من طائرات الركاب وطائرات أوستر غير المسلحة - قد اخترق مجالها الجوي.
(57) TNA, FO 371/98490, pencilled 56;

المصدر نفسه، صور الأعمال الوحشية مخزنة.
Morris, Border, 171.

يؤكد مورس هنا قتل الاثنين، ويشير إلى التشويه الذي تعرضت له جثة الرجل الأكبر سنا وطلقات رشاش الستن الخمس عشرة، ولكنه لا يقول شيئا عن الطرق التي استُعملت مع الفتى ذي الثماني عشرة سنة.
(58) TNA, FO 371/91715, R10345/2 (4pp);
FO 371/91383, E1083;
CIA, SE-13, 24 Sept 1951, p20; R10345/9, letter, P. S. Stephens; R10345, letter, J. E. Chadwick.
(59) TNA, FO 371/75344;
FO 371/98492, pencilled 71-72;
FO 371/75344,

تشير هذه الوثيقة إلى بنتين وأمهما في الهجوم على غور الصافي، ولربما توفيت إحدى الجريحات فيما بعد، ولكن المؤلف استخدم الرقم الأصغر.
(60) TNA, FO 371/98490,

«الانتقام من الأبرياء»، ص 2 (الرقم 24 مكتوب بخط اليد)، «الجروزالم بوست»، في المصدر نفسه، الرقمان 35، 101 مكتوبان بخط اليد (4 يناير 1952).
(61) TNA, FO 371/98490, pencilled 104;

معدل جرائم القتل في إسرائيل يستند إلى الكتاب السنوي لدولة إسرائيل للعام 1952،

TNA, FO 371/104791,
العلاقات الحدودية بين الأردن وإسرائيل من يونيو 1952 إلى أكتوبر 1953، ص7 (الرقم 69 مكتوب بخط اليد).

FO 371/75344
تقرير سري من غلب، 15 أكتوبر 1949.

FO 371/91387, E1091/54, p. 2;
FO 371/98490,
تقرير كتبه أ. ر. وامزلي، في 9 يناير 1952، 1091 يناير 52.

(62) FO 371/98490,
«الانتقام من الأبرياء»، (23 - 28 بخط اليد).

Morris, Border, 204
والوثيقة السابقة من الأرشيف التي تختلف تفاصيلها اختلافا قليلا ولكن من دون تناقض حقيقي مع ما يرد هنا.

يقول هچسن، ص14: «لا يمكن لأحد أن يعيش عمرا يطول به طولا يجعله يتبلد عند رؤية هذا المنظر».

(63) كُتِب المنشور الذي تُركت نسخ منه حيث ارتُكِبت مجازر ليلة عيد الميلاد بعربية رديئة، وطُبعت على ورق زهري بواسطة الستنسل، وطبع المنشور ذاته طبعة مستقلة لقريتين أخريين هما بيت جالا ومار الياس للجريمة نفسها. هذه ترجمة له (من صنع روان ياغي): في الرابع من ديسمبر 1951 قام سكان بيت جالا [أو مار الياس في النسخ التي تركت في تلك القرية] بقتل فتاة يهودية قرب بيت وغن بعد أن ارتكبوا جريمة لا يمكن الصفح عنها. ما فعلناه الآن هو عقاب على ارتكاب تلك الجريمة، ولن نظل صامتين لأن لدينا سهاما [مرسومة حرفيا] لهم. نرجو أن يستمع المستمعون.

(64) TNA, FO 371/98490, pencilled '26'; see also Ibid, E1091/3.

(65) يورد بني موريس في كتابه (Border، 61 etc) سردا مرتبكا لهجمات ليلة عيد الميلاد. يقول إن قتلة ليا فستنغر كانوا من عصابة منسي (العربية) لأن «إسرائيل مررت أسماء أعضائها إلى السلطات الأردنية»، جاهلا بوجود الوثيقة التي تفضح هذه الكذبة.

TNA, FO 371/98490, pencilled '26'.
ولكنه يقول في موضع آخر إن أفراد عصابة منسي لم يكونوا من ضحايا القصف على رغم أن الأسماء التي أرسلت إلى الهيئة المختلطة للهدنة كانت أسماء ضحايا ليلة عيد الميلاد - تلك كانت هي المسألة. والديبلوماسيون الغربيون لم يقبلوا الادعاء الإسرائيلي الذي جاء بعد الواقعة. فالقنصل الأميركي العام مثلا لاحظ أن صديق ليا فستنغر الإسرائيلي لم يصبح فوق الشبهات (انظر: Morris Border،، 204).

FO 371/98490, E1091/2.
(66) TNA, FO 371/104791,
«ملاحظات على العلاقات الحدودية بين الأردن وإسرائيل من يونيو 1952 إلى أكتوبر 1953، خصوصا ص14».

Morris, Border, 171;
TNA, FO 371/98492, pencilled 84-86.
(67) TNA, FO 371/98492,
الملحق B، ص2، الرقم 72 وأرقام أخرى مكتوبة بخط اليد.

الملحق C يحتوي على رد من الجيش الإسرائيلي اقتبسته جريدة «هآرتس»، والكثير منه كذب صراح.

FO 816/179, MS letter, 10301/31A

وانظر:

FO 371/111104, 1022/231/54.

حيث تجد رأيا آخر عن تكتيك الاستفزاز.

(68) TNA, FO 371/98493, E1091/83;

Hutchison, 25.

(69) TNA, FO 371/98492, Cypher, No. 127, pencilled 97-98.

(70) TNA, FO 371/98492, esp 2;

Ibid, Secret – Jerusalem – Barrel;

ادعت إسرائيل لتسويغ استيلائها على مكتب الأمم المتحدة أنه يقع على الجانب الإسرائيلي من الخط، وهو ادعاء لا علاقة له بالموضوع (لأن الوضع الدولي للمكتب ووجوب احترامه وعدم التعرض له كانا أمرين مفهومين ضمنا في الاتفاقية)، وادعاء يتصف بالمفارقة لأن الأمم المتحدة والأردن كانا قد سمحا للجانب الإسرائيلي باستعمال دورات المياه هناك. انظر:

Kirkbride, From the Wings, 101

حول موافقة الأردنيين على اقتراح برنادوت أن تقع إدار جبل الزيتون تحت إدارة الأمم المتحدة، وكيف أن الشرطة الإسرائيلية التي وضعت هناك لمنع النهب، بعد اغتيال برنادوت «على نحو غامض»، تحولوا إلى فصيل من جنود المشاة عندما جرى توقيع اتفاقية الهدنة.

(71) وكالة المخابرات المركزية، نشرة الاستخبارات، 23 أكتوبر 1952، رفعت السرية عنها في أكتوبر، 2003.

RDP79T00975A00011000.

TNA, FO 816/179, 10301/124, esp p2.

عن الجمال، انظر هجسن، التعليقات على الصور بين صفحتي 136 و137.

Morris, Border, 229;

خدمت هانا براون تحت إمرة دايان وكتبت أنه «كان يتباهى من دون تحفظ بتكتيكاته التي تثير الرعب» (Weeds, 80).

(72) TNA, FO 371/104735, 10117/2/53, pencilled 34-37;

FO 371/104791, pencilled 80;

FO 371/104785, R1091/273; R1091/277;

FO 371/98493, E1091/84;

FO 371/104791,

«ملاحظات على العلاقات الحدودية بين الأردن وإسرائيل من يونيو 1952 إلى أكتوبر 1953، خصوصا ص11 و12»،

UN, Security Council, S_PV.630 27 Oct 1953.

فيما يتعلق بسياسة جيش الدفاع الإسرائيلي التي وُثّقت مرارا وتكرارا، القاضية بإجبار الفلسطينيين على البقاء في بيوتهم بينما يجري نسفها يقول توماس مجهل العكس. انظر:

Thomas Mitchell, Israel's Security Men (McFarland & Co., 2015).

يقول مجل إن الجنود الإسرائيليين طلبوا من الناس إخلاء بيوتهم ولم «يكتشفوا» إلا فيما بعد أن «نحو 69 قد ظلوا فيها»، وهذا الادعاء نجده أيضا في كتاب ساميول كاتس:

Samuel Katz, Israeli Élite Units since 1948, 10.

وفيما يتصل بسيطرة إسرائيل على وسائل الإعلام الداخلية ومن ثم على معتقدات سكانها واتجاهاتهم، انظر:

Ilan Pappé, Israel Out of the Frame (Pluto, 2010).

(73) UN, Security Council, S/PV.630 27 Oct 1953;

Morris, Border, 51;

FO 371/104791.

ملاحظات على العلاقات الحدودية بين الأردن وإسرائيل من يونيو 1952 إلى أكتوبر 1953، خصوصا ص2، الحدود السورية، انظر مثلا:

FO 371/104788, pencilled 14-20, 27.

عن «المتسللين» المسلحين انظر:

Morris, Border;

عن الأطفال الذين تخطوا الحدود، انظر ما كتبه السفير البريطاني جفري فرلونغ:

TNA, FO 371/104779.

رسالة تاريخها 9 مارس 1953.

(74) Hutchison, 120-121;

TNA, FO 371/104785, R109/278;

وفيما يتصل بالمناوشات المستمرة على الحدود السورية انظر:

FO 371/104788, pencilled 14-20, 27.

Morris, Border; 172,

213 يقول موريس إن قلة من «المتسللين» عبروا خط الهدنة بنية إحداث الأذى.

TNA, FO 371/104782, R1091/168;

عن الاختباء بالكهوف: R1091/169.

(75) TNA, FO 371/104781, 1062/126

رسالة إلى وزارة الخارجية من القنصلية البريطانية في القدس تاريخها 11 مايو 1953.
رسالة من السفارة البريطانية في عمان رقمها 62،
السفارة البريطانية في تل أبيب، بتاريخ 20 مايو 1953، وانظر أيضا:

Cypher/OTP No. 274;

عن بيت سيرا:

FO 371/104781, Cypher/OTP No. 69, May 22, 1953.

(76) TNA, FO 371/104781, Cypher/OTP No. 273, No 65, No. 64, No. 66;

FO 371/104782, Mr. Walmsley, ER1091/168, 24 May, 1953, and ER1091/169, 25 May, 1953.

(77) Morris, Border; 191-192, 240;

Benziman, Israeli Caesar, 50, 56-57;

TNA, FO 371/104788, ISUM 134, pencilled 8; Telegram, pencilled 63.

كانت الوحدة 101 تتشكل بالدرجة الأولى من إسرائيليين من الكيبوتسات وحركة الاستيطان، وليس من أعضاء سابقين في العصابات السابقة لتاريخ إنشاء الدولة.

(78) تقرير من غلب بتاريخ 15 أكتوبر 1949 في:

TNA, FO 371/75344;

FO 371/104788, ISUM 135, pencilled 14, etc.

(79) وكالة المخابرات المركزية، نشرة استخبارية، 20 سبتمبر 1953، رفعت عنها السرية في يوليو 2004.

RDP79T00975A001300080001-8.

(80) TNA, FO 371/104791,

ملاحظات على العلاقات الحدودية بين الأردن وإسرائيل من يونيو 1952 إلى أكتوبر 1953، ص12.

Khalidi-Caplan, Sharett Diary, 81;

Hirst, Olive Branch, 307.

(81) TNA, FO 371/104788, pencilled 29; ibid, pencilled 106.

(82) Benziman, Israeli Caesar, 53;

Hirst, Olive Branch, 307-308.

(يقول هيرست إن عدد القتلى في قبية 66).

ترجمة بديلة لخطبة بن غوريون تجدها في:

FO 371/104789, pencilled 153;

Hutchison, 163, 44.

قدر هچسن الجنود المدربين تدريبا حسنا بـ 250 - 300.

(83) Morris, Border; 245;

Hirst, Olive Branch, 307-308;

Benziman, Israeli Caesar, 54-55;

TNA, FO 371/104789/1091/408.

Zertal, Israel's Holocaust, 167-178. [The author here wrote Zertel.]

لاحظت هذه الباحثة أيضا توجيه أصابع الاتهام إلى الناجين من الهولوكوست.

(84) TNA, FO 371/104788, R1091/353; ibid, R1091/354;

Morris, Border; 250;

النيويورك تايمز، 26 أكتوبر 1953، 19 أكتوبر 1953،

Eveland, Ropes of Sand, 75-77

هنا يستشهد الكاتب برئيس أساقفة يورك الذي تعرض لتلطيخ سمعته بتهمة معاداة السامية لأنه أثار قضية قبية.

(85) TNA, FO371/75344

تقرير من السير جون باغت غلب بتاريخ 15 أكتوبر 1949؛

ادعى شارون فيما بعد أنه ظن أن البيوت كانت خالية. وانظر عن موضوع التسلل،

Morris, Border; 245;

وكالة المخابرات المركزية، النشرة الاستخبارية عن الأوضاع الراهنة، 21 أكتوبر 1953، رفعت السرية عنها في ديسمبر 2003.

RDP79T00975A001300340001-9.

(86) Benziman, Israeli Caesar, 56-57;

Morris, Border; 240;

TNA, FO 371/104789, pencilled120, 202, 203; FO 371/104779, R1091/82;
FO 371/104789, pencilled 120, 168, 202; FO 371/104791,
«ملاحظات على العلاقات الحدودية بين الأردن وإسرائيل».

(87) TNA, FO 371/104788, R1091/365, pencilled 150; ibid, R. Makins, pencilled 143; FO 371/104791, pencilled 81, etc.; ibid, A. R. Moore, pencilled 88;
النيويورك تايمز، 19 أكتوبر 1953.

(88) TNA, FO 371/104788, ISUM no. 133, pencilled 10-11.

(89) TNA, FO 371/104791, R1091/452c, R1091/447.

(90) TNA, FO 371/104791, R1091/471; FO 371/111098, Arab Legion Intelligence Summary No. 150, p. 2; ibid, No. 151, p. 2.

(91) وكالة المخابرات المركزية، النشرة الاستخبارية عن الأوضاع الراهنة، 23 مارس 1954، رفعت عنها السرية في سبتمبر 2003.

(RDP79T00975A001500090001-5).
وقد تبين أن الأردنيين لم يكونوا مسؤولين، وهذا ما أيدته وكالة المخابرات المركزية في نشرتها الاستخبارية عن الأوضاع الراهنة بتاريخ 4 أبريل 1954، وهذه رفعت عنها السرية في سبتمبر 2003.

RDP79T00975A001500210001-1.
Morris, Border; 294-300;
UN, Security Council S/3252 (19 June 1954);
Hutchison, Violent Truce, 47-54.

(92) Hutchison, Violent Truce, 47-54;
TNA, FO 371/111101, R1091/77, 1032/87/54, etc.
ومن أمثلة تزييف الحقائق الإسرائيلية التي لاحظها هچسن ادعاء دايان أن هجوم ممر العقرب كان سياسيا (= الضفة الغربية) لأن الضحايا لم يتعرضوا للسرقة، ولكن ذلك - كما لاحظ هچسن - كان كذبا، لأن من الواضح أن الضحايا تعرضوا للسرقة.

(93) TNA, FO 371/111098,
تقرير عن الحوادث الرقم 163، ص5، تقرير عن الحوادث الرقم 164 (ويشير هذا إلى كمين نصب للسيارة ولا يشير إلى اللغم الأرضي).

UN Sec Council s/3251;
TNA, FO 371/111104, R1091/160,
رسالة من ت. وايكلي، القنصل البريطاني العام في القدس، 20 يوليو 1954.

(94) TNA, FO 371/111104, R1091/172, and R1091/178.
اختلاق في تقرير قدم عن حادثة شوهدت قرب الشيخ مذكور في منطقة الخليل في 13 أغسطس 1954، فقد عبر الجنود الإسرائيليون خط الهدنة في منطقة الخليل يوم 13 أغسطس 1954 وقتلوا فلسطينيا واحدا بمدفع هاون من عيار 2 إنش، وربما اختطفوا آخر التجأ إلى مغارة، المصدر نفسه، مقتطفات من تقرير عن الحدود أعده العقيد غامنز.

CIA, National Intelligence Estimate Number 36-54 Probable Developments in the Arab States

وكالة المخابرات المركزية: تقدير المخابرات الوطنية الرقم 36 - 54 للتطورات المحتملة في الدول العربية (رفعت عنه السرية في سبتمبر 1997). تقرير الوكالة لشهر سبتمبر هذا لاحظ تحركات البلاد العربية نحو تحسين العلاقات مع إسرائيل وإيجاد حلول، ولكن «الإسرائيليين لم يبدوا توجها مماثلا نحو الاعتدال والتسوية».

(95) TNA, FO 371/108548, E1571/1(c);

Morris, Border, 317;

Black-Morris, Secret Wars, 107-110;

وكالة المخابرات المركزية، النشرة الاستخبارية عن الأوضاع الراهنة، 22 أغسطس 1954، رفعت عنها السرية في أكتوبر 2003.

RDP79T00975A001600500001-8.

(96) وكالة المخابرات المركزية، النشرة الاستخبارية المركزية، 15 ديسمبر 1964، رفعت عنها السرية في مايو 2005.

RDP79T00975A008000360001-3.

تشير بعض المصادر إلى اعتقال المصريين لاثني عشر رجلا وامرأة واحدة عندما انكشفت فضيحة لافون، ولكن الرقم 14 يرد على سبيل المثال في:

TNA, FO 371/108548, E/1571/9.

(97) TNA, FO 371/108548, E1571/1; Confidential Mr. Barnett Janner;

YZEP v. EGYPT;

تستمد مقالة الويكيبيديا عن الحاخام ناحون مادتها بكاملها من مصدر واحد موجود على الإنترنت من وضع فكتر د. سانوا، الذي يرى أن كثيرا من كلمات الحاخام فرضتها عليه الحكومة المصرية. أما المصادر البريطانية فلا تشير إلى ذلك، ومن المعروف أن يهود مصر كان لهم تاريخ طويل في معارضة الصهيونية، وهو أمر أشار له زعماء الصهيونية أنفسهم.

(98) TNA, FO 371/108548, E/1571/2; E1571/3; E1571/19/a.

(99) وكالة المخابرات المركزية، النشرة الاستخبارية المركزية، 15 ديسمبر 1964، رفعت عنها السرية في مايو 2005.

RDP79T00975A008000360001-3.

وكالة المخابرات المركزية، النشرة الاستخبارية المركزية، 1 سبتمبر 1964، رفعت عنها السرية في يناير 2004.

RDP79T00975A001700560001-1.

نقلت وكالة «رويترز» نبأ يقول: «إسرائيل تُكرّم 9 جواسيس مصريين»
باراك راڤيد: «أرشيفات الدولة ستبقى سرية عشرين سنة أخرى، وفق ما أمر رئيس الوزراء»،
جريدة «هآرتس»، 28 يوليو 2010 (وقد أشير إلى قضية لافون بالذات).

(100) TNA, FO371/151273.

رفعت عنه السرية في سبتمبر 2013.

Rabinovich and Reinhartz, Israel in the Middle East, 114-115;

Morris, Border, 324.

(101) Morris, Border, 327;

TNA, FO 371/121692

رسالة جون نكلز من السفارة البريطانية في تل أبيب، الرقم 24 (1013/56)، ص2.

(102) Morris, Border, 312, n132.

(103) يستشهد نصر (ص51) بأول اختطاف، ويقول إنه جرى في بيرو في العام 1931.
النيويورك تايمز، 20 ديسمبر 1954، 15 ديسمبر 1954، 14 ديسمبر 1954، 13 ديسمبر 1954، وانظر أيضا:

Chomsky, Triangle, 77.

(104) TNA, FO 371/115898.

بيان صحافي برقم 60،

Morris, Border, 384.

يعترف موريس بأن البدوي القتيل لم يكن له دور في مقتل المستكشفين المشاة، ولكنه يفترض من دون إبداء الأسباب أن البدو كانوا مسؤولين عما حدث.

(105) عن تفصيل القول في الضرورة القانونية للدفاع عن الأردن انظر على سبيل المثال:

TNA, FO 371/111101

وكذلك وكالة المخابرات المركزية، النشرة الاستخبارية عن الأوضاع الراهنة، بتاريخ 28 يناير 1954.

(106) وكالة المخابرات المركزية، النشرة الاستخبارية عن الأوضاع الراهنة، بتاريخ 28 يناير 1954، رفعت السرية عنها في يناير 2004.

(CIA-RDP79T00975A001400350001-7);

TNA, PREM 11/945, IZ 4753.

(107) TNA, FO 371/104789

سري: من عمان إلى وزارة الخارجية، 24 أكتوبر 1953.

(108) انظر وكالة المخابرات المركزية، النشرة الاستخبارية عن الأوضاع الراهنة، 20 سبتمبر 1953. رفعت السرية عنها في يوليو 2004.

(CIA-RDP79T00975A001300080001-7)

Sitkowski, UN Peacekeeping, 46-48.

(109) TNA, PREM 11/945, letter, Action in the Event of Israeli Aggression.

(ما يجب فعله إذا ارتكبت إسرائيل عدوانا)؛

AIR 8/1895, TS 47304 415/3;

AIR 8/1895, Israeli Aggression – United States Assistance PJ (55)54 (Final).

(110) TNA, FO 371/115905/ FO 371/194788; FO 371/121692,

جون نكلز، رسالة من السفارة البريطانية، تل أبيب، برقم 24 (1013/56)، 4، 6،

Morris, Border, 357-359.

(111) حول «ارتفاع حمى الحرب» انظر وكالة المخابرات المركزية، النشرة الاستخبارية عن الأوضاع الراهنة، 30 ديسمبر 1955. رفعت السرية عنها في مارس 2004.

(CIA-RDP79T00975A002300390001-3),

كانت هذه التقارير تأتي بإيحاء من الجيش الإسرائيلي، وفق ما قالت وكالة المخابرات المركزية.
وكالة المخابرات المركزية، النشرة الاستخبارية عن الأوضاع الراهنة، 8 مارس 1956، رفعت السرية عنها في يناير 2003.

(CIA-RDP79T00975A002400430001-7),

Sitkowski, UN Peacekeeping, 46-48.

(112) عن مشروع ألفا، انظر:

Morris, Border, 330.

انظر وكالة المخابرات المركزية، النشرة الاستخبارية عن الأوضاع الراهنة، 6 مارس 1955.
RDP79T00975A001900270001-1.
رفعت السرية عنها في سبتمبر 2002.

Cohen, 264;

TNA, FO 371/121692,

جون نكلز، رسالة من السفارة البريطانية، تل أبيب، برقم 24 (1013/56)، ص4-3. كما كتب أيضا: «ليس هنالك ما يدعو للشك بتأكيد العقيد ناصر بأن هجوم 28 فبراير جعله واثقا من نوايا إسرائيل العدوانية... وأن هذا هو ما دفعه في النهاية لعقد الصفقة الشهيرة للأسلحة مع تشيكوسلوفاكيا».

(113) TNA, DEFE 6/39,

ملحق ل 56) J.P.)، الملاحظة 9، الرقم 33 على الجهة العليا اليمنى،

(114) TNA, DEFE 6/39,

ملاحظة كتبها العميد السير چارلز كيتلي، الذي كان القائد الأعلى للعملية التي دعيت بالاسم السري «مسكتير» في أثناء أزمة السويس.
المصدر نفسه، مساعدة الأردن في حالة تعرضه لعدوان إسرائيلي، ملاحظة من مديري الخطط، 30 في الجزء الأعلى الأيمن، المصدر نفسه، الرقم 32 في الجزء الأعلى الأيمن،

FO 371/121535,

من وزارة الدفاع في لندن، إلى القيادة العامة للقوات البرية في الشرق الأوسط، القائد العام، البحر الأبيض المتوسط، 18 أكتوبر 1956.

(115) المصدر نفسه، يشبهه ما في:
FO 371/121535.

(116) TNA, AIR 8/1895, «Exclusive for C.A.S. - from CINC» («27» at top);
DEFE 6/39,

مساعدة الأردن في حالة تعرضه لعدوان إسرائيلي، ملاحظة من مديري الخطط، 30 في الجزء الأعلى الأيمن

(117) Morris, Border, 397-398.

يرى موريس أن الكلام عن هجوم على إسرائيل أُبقي متداولا حتى النهاية لأن بريطانيا لم تكشف عن الترتيبات المتناقضة مع إسرائيل وفرنسا، ولكن ما اقتبسناه هنا يدل على أن وثائق بالغة السرية لا ضرورة لأن تواصل التظاهر ظلت تتعامل بجدية مع مسألة الهجوم على إسرائيل. وعن المراسلات الأميركية حول أزمة السويس انظر:

TNA, FO 371/121794.

عن الوثائق البريطانية انظر على سبيل المثال:
WO 32/ 21699;

الطلب الأردني بعد قلقيلية:
FO 371/121535,

«المعونة للأردن»، وانظر أيضا:
Stuart A. Cohen, A Still Stranger Aspect of Suez.
(ناحية أغرب من غيرها من نواحي حرب السويس).

(118) Morris, Border, 408-409.

خان يونس: تشير أرقام الأمم المتحدة إلى «نحو 135 من السكان المحليين» و«140 من اللاجئين».

وكالة المخابرات المركزية، النشرة الاستخبارية، 30 ديسمبر 1956.
TNA, FO 371/121776, VR1091/158;
RDP79T00975A002900130001-5.

النيويورك تايمز، 22 و24 فبراير 1957.
Neff, Pillars, 99;

الفصل التاسع

(1) تدّعي إسرائيل أن القدس الشرقية أرض تابعة لسيادتها، ولكنها لا تبدي حتى التظاهر بأن سكانها غير اليهود مواطنون. وفيما يتعلق بالسفينة الأميركية لبرتي (الحرية)، انظر تقرير وكالة المخابرات المركزية 3403 - 67 بتاريخ 9 نوفمبر 1967 حول النظرية القائلة إن الهجوم جاء بأمر من موشي دايان. والنظريات الخاصة بأسباب الهجوم تتضمن خطط دايان للاستيلاء على مرتفعات الجولان، والرغبة في إبقاء الولايات المتحدة جاهلة بمذبحة المصريين في سيناء، ولإلقاء اللوم على مصر، كما حصل في قضية لافون. وقد وقفت حكومة الولايات المتحدة بصلابة ضد أي تحقيق جدّي، وحاولت إخراس الناجين. وانظر أيضا:

Scott, Attack on Liberty.

(2) أفراهام شالوم، رئيس شن بيت بين العامين 1980 و1986، من مقابلة في فيلم عنوانه The Gatekeeprs (حرس البوابة) (درور موريه، 2012). المساعدات الأميركية لمصر مشروطة بقيمها الديموقراطية وعلى معاهدة السلام بينها وبين إسرائيل. من الواضح أن الشرط الأول مهزلة. انظر مثلا «المساعدات الأميركية لمصر ليست لمصر بل لإسرائيل، كما يوضح ج.ج. غولدبيرغ» في Mondoweiss، 16 أغسطس 2013.

(3) Suarez, Thomas, «UXOs: Did Israel deliberately arm Hamas?» in Mondoweiss, 13 Dec 2010;

وكذلك مراسلات بالبريد الإلكتروني بين المؤلف وبين ضابط في خدمة عمل الألغام التابعة للأمم المتحدة.

(4) تمنع إسرائيل مناضد الدراسة، والكتب، والباستا، والشامبو من غير كوندشنر من قائمة طويلة مما تمنع إسرائيل دخوله إلى غزة. والقائمة ليست ثابتة، بل كثيرا ما تتغير. انظر مثلا أميرة هاس: «إسرائيل تمنع الكتب والموسيقى والملابس من دخول غزة»، هآرتس، 17 مايو 2009. غيشا (المركز القانوني لحرية الحركة): «القيود على نقل البضائع إلى غزة: تعطيل وتعمية»، يناير، 2010.

«وكالة من وكالات الأمم المتحدة تدعو إسرائيل إلى رفع المنع عن الكتب المدرسية لمدارس غزة»، المركز الإخباري التابع للأمم المتحدة، 10 سبتمبر 2008، «إسرائيل: توقفي عن منع التجهيزات المدرسية من دخول غزة»، منظمة مراقبة حقوق الإنسان، 11 أكتوبر 2009.

ببليوغرافيا

Bibliography

Abu El-Haj. Nadia, *Facts on the Ground: Archaeological Practice and Territorial Self-Fashioning in Israeli Society*. [University of Chicago Press, 2002]

Abu-Lughod, Ibrahim (ed.), *Transformation of Palestine* [Northwestern University Press, 1987]

Anglo-Palestinian Club, *Palestine 1917-1944. Pamphlet No. 2. A Review by Sir Wyndham Deedes, The Hon. R. D. Denman, M.P., Mrs. E. Dugdale, Victor Gollancz, S. S. Hammersley, M.P., Sir Andrew McFadyean* [The Narod Press, London]

Arab Higher Committee, *Palestine: The Arab Case, Being a statement made by the Delegation of the Arab Higher Committee before the first committee of the General Assembly of the United Nations' Organization on 9th May, 1947* [Cairo, Costa Tsoumas & Co., 1947]

Arab Higher Committee Delegation for Palestine, *The Black Paper on the Jewish Agency and Zionist Terrorism, memorandum to The United Nations Delegations. Submitted by The Arab Higher Committee for Palestine* 4512 Empire State Building, New York, NY. 12th March 1948. Copy examined: BL.

Bailes, Jordanian (ed.), Aksan, Cihan (ed.), *Weapon of the Strong: Conversation on US State Terrorism* [Pluto, 2013]

Baumel, Judith Taylor, translation Dena Ordan, *The 'Bergson Boys' and the Origins of Contemporary Zionist Militancy* [Syracuse University, 2005]

Ball, Bowyer, *Terror out of Zion: Irgun Zvai Leumi, LEHI, and the Palestine underground*. 1929-1949 [Sometimes. Martin's 1977]

Ben-Yehuda, Nachman, *Political Assassinations by Jews: A Rhetorical Device for Justice* (SUNY Press, 1993]

Benziman. Uri, *Sharon: An Israeli Caesar* [London: Robson Books, 1987]

Bishop, Patrick, *The Recknoning: Death and Intrigue in the Prmised Land* [Kindle edition, HarperCollins, 2014]

Black, Edward, *The Transfer Agreement: The Dramatic Story of the Pact Between the Third Reich and Jewish Palestine* [Dialog Press, 2009]

Black, Ian, and Morris, Benny, *Israel's Secret Wars: A History of Israel's Intelligence Services* [Grove Press, 1992]

Burt, Leonard, *Commander Burt of Scotland Yard by Himself*. [Heinemann, 1959]

Braun, Hanna, *Weeds Don't Perish*, Garner Publishing , 2011. Also the author's conversation with Ms. Braun in London in 2007.

Brenner, Lenni, *Zionism in the Age of Dictators* [Croom Helm, 1983/Kindle, Amazon Digital, 2015]

- 51 Documents: Zionist Collaboration with the Nazis [Barricade Books, 2010]

Central Intelligence Agency, *The Consequences of the Partition of Palestine, ORE 55, 28 November 1947 Copy No, 35*

- *Married to Another Man: Israel's Dilemma in Palestine* [Pluto, 2007]

Kesaris, Paul (ed), Dobrosky, Nanette (compiler), *A guide to the Microfilm Edition of U.S. State Department Central Files Palestine, United Nations Activities, 1945-1949* [University Publications of America, 1987]

Khalidi, Thabet, *The Rising Tide of Terror or Three Years of an 'Aemstice in the Holy Land* [Ministry of Foreign Affairs, Amman, 1952]

Khalidi, Walid, *All That Remains: The Palestinian Villages Occupied and Depopulated by Israel in 1948* [Institute for Palestine Studies, 2006]

- "Revisting the UNGA Partition Resolution," *JPS*, XXVII, no. 1 (Autumn 1997), 5-21.

Kirkbride, Alec, *From the Wings: Amman Memories 1947-1951* [Routledge 1967]

Kister, Joseph, *The Irgun the Story of the Irgun Zvai Leumi in Eretz-Israel* [Ministry of Defence Publishing House, 2000]

Koestler, Arthur, *Promise and Fulfillment Palestine 1917-1949* [Macmillan, 1949]

Kolsky. Thomas, *Jews Against Zionism: The American Council for Judaism, 1942-1948* [Temple University Press, 1992]

Lavie, Smadar, *Wrapped in the Flag of Israel: Mizrahi Single Mothers and Bureaucratic Torture* [Berghahn Books, 2014]

Lazin, Fred A., "Refugee Resettlement and 'Freedom of Choice' – The Case of Soviet Jewry," Center for Immigration Studies [June 2005]

Lilienthal, Alfred M., *What Price Israel?* [Infinity Publishing, 2004]

Maov, Zeev, *Defending the Holy Land: A Critical Analysis of Israel's Security and Foreign Policy* [University of Michigan Press, 2006]

Masalha, Nur, *Expulsion of the Palestinians, The Concept of "Transfer" in Zionist Political Thought, 1882-1948* [Institute for Palestinian Studies, 1992/2001]

Maxwell, example-Sergeant Max, "An Explosive Situation ," [personal account of the bombing of the Maanitz train on August 12, 1947]. Accessed online January 20, 2012; and subsequent email exchanges with Mr. Maxwell.

Medoff, Rafael, *Militant Zionismin America: The Rise and Impact of the Jabotinsky Movement in the United States, 1926-1948* [University of Alabama Press, 2006]

Menuhin. Moshe, *The decadence of Judaism in our time* [Beirut Institute for Palestine Studies, 1969]

Morris, Benny, *The Birth of the Palestinian Refugee Problem, 1947-1949* [Cambridge University Press, 1989]

- *The Birth of the Palestinian Refugee Problem Revisited* [Cambridge University Press, 2004]

- *Israel's Border Wars, 1940-1956: Arab Infiltration, Israel Retaliation, and the Countdown to the Suez War* [Oxford: Clarendon Press, 1993]
- *Righteous Victims: A History of the Zioinist-Arab Conflict, 1881-1998* [Vintage ed, 2011]
- *1948L A History of the First Arab-Israeli War* [Yale, 2009]

Morris, Ira R. T., & Smith, Joe Alex, *"Dear Mr. President..." The Story of Fifty Years in the White House* [Julian Messner, 1949]

Murray S. Greenfield & Joseph Hochstein, *Jews Secret Fleet* [Gefen, 1996]

Nasr, Kameel B. *Arab and Israeli Terrorism: The Causes and Effects of Political Violence* [McFarland & Company, 2007]

Neff, Donald, *Fallen Pillars: U.S. Policy Towards Palestine and Israel Since 1945* [Institute for Palestine Studies, 2002]

Nicosia, Francis R., *The Third Reich and the Palestine Question* [Translation Publishers, 2000]

Pappé, Ilan, *The Idea of Israel: A History Of Power And Knowledge* [Verso, 2014

- Out of the Frame [Pluto, 2010, Kindle]
- *The Ethnic Cleansing of Palestine* [Oneworld Publication, 2007]
- *The Making of the Arab-Israeli Conflict 1947-1951* [I. B. Tauris, 1992]
- *A History of Modern Palestine* [Cambridge University Press, 2008]

Pedahzur, Ami, and Perliger Arie, *Jewish Terrorism in Israel* [Columbia University Press, 2011]

Pedahzur, Ami (ed.), and Weinberg, Leonard (ed), *Religious Fundamentalism and Political Extremism* [Frank Cass, 2004]

Polkehn, Klaus, "The Secret Contacts: Zionism and Nazi Germany, 1933-1941," in *Journal of Palestine Studies*, Vol. 5, No. 3/4 (1976), 54-82

Pragnell, F. A., *Palestine Chronicle, 1880-1950: Extracts from the Arabic Press Tracing the Main Political and Social Developments* [Pragnell Books, 2005]

Quigley, John, *Palestine and Israel: A Callenge to Justice* [Durham and London: Duke University Press, 1990]

Qumsiyeh, Mazin B., *Popular Resistance in Palestine: A History of Hope and Empowerment* [Pluto Press, 2006]

Rabinovitch, Itamar, and Reinharz, Jehuda (eds), *Israel in the Middle East: Documents and Readings on Society, Politics, and Foreign Relations, Pre-1948 to the Present* [Brandeis University, 2007]

Reinharz, Shulamit, and Schor, Laura S., *The Best School in Jerusalem: Annie Landau's School for Girls, 1900-1960* [HBI Series on Jewish Women, Brandeis University, 2013]

Rhett, Maryanne A., *The Global History of the Balfour Declaration: Declared Nation* [Routledge 2015]

Rogan, Eugene, *The Arabs a History* [Basaic Books, 2011]

Rokach, Livia, *Israel's Sacred Terrorism: A Study Based on Moshe Sharett's Personal Diary and Other Documents* [Assn of Arab- American University Graduates, 1985]

Roosevelt, Kermit, *The Arab Position on Palestine*,Presented at the National War College, Washibgton, DC, 24 November, 1948

- *Partition of Palestine A Lesson in Pressure Politics*, The Institute of Arab American Affairs, NY, February, 1948.

Rose, John, *The Myths of Zionism* [London: Pluto Press, 2004]

Ryan, Joseph L, "Refugees Within Israel The Case of the Villagers of Kafr Bir'im and Iqrit," *Journal of Palestine Studies*, Vol. 2, No. 4, Summer, 1973, 55-81

Said, Edward, *Orientalism* [Vintage Books, 1979]

Sand, Shlomo, *The Invention of the Jewish People* [Verso, 2009]

Scott, James M. *The Attack on the Liberty: The Untold Story of Israel's Deadly 1967 Assault on a U.S. Spy Ship* [Simon & Schuster, 2009]

Schwartz, Ted, *Walking with the Damned* [New York: Paragon, 1992]

Segev, Tom, *One Palestine, Complete: Jews and Arabs Under the British Mandate* [Picador, 2001]

Sharett, Moshe, The 1953 Qibya Raid Revisited: Excerpts from Moshe Sharett's Diaries Introduced by Walid Khalidi and Annotated by Neil Caplan. In *Journal of Palestine Studies*, XXXI, no. 4 (Summer 2002), pages 77-98.

Shlaim, Avi, "The Protocol of Sèvres, 1956: Anatomy of a War Plot," in *International Affairs*, 73:3, 1997, 509-530

Sitkowski, Andrej, *UN Peacekeeping: Myth and Reality* [Praeger, 2006]

Smith, Charles, *Palestine and the Arab-Israeli Conflict: A History with Documents* [Bedford/St. Martin's, 2010]

Stein, Kenneth W., "The Jewish National Fund: Land Purchase Methods and Priorities, 1924-193," in *Middle Eastern Studies*, Volume 20 Number 2, 190-205, April 1984.

Sternhell, Zeev (translation D. Maisel), *The Founding Myths of Israel* [Princeton University Press, 1999]

Strawson, John, *Partitioning Palestine Legal Fundamentalism in the Palestinian-Israeli Conflict*. [Pluto, 2010]

Tamari, Salim, (ed.), Jerusalem 1948: The Arab Neighbourhoods and Their Fate in the War [Inst for Palestine Studies]

Teveth, Shabtai, *Ben-Gurion and the Palestinian Arabs: From Peace to War* [Oxoford University Press, 1985]

Tomes, Jason, *Balfour and Foreign Policy: The International Thought of a Conservative Statesman* [Cambridge University Press, 1997]

Veracini, Lorenzo, *Israel and Settler Society* [Pluto, 2006]

Wagner, Steven, "British Intelligence and the Jewish Resistance Movement in the Palestine Mandate, 1945-46," in *Intelligence and National Security*, Volume 23, Issue 5, 2008, 629-657

Walton, Calder, *Empire of Secrets: British Intelligence, the Cold War, and the Trilight of Empire* [Overlook, 2013]
Wendehorst, Stephan E. C., *British Jewry, Zionism, and the Jewish State, 1936-1956* [Oxford University Press 2011]
Wilson, Major-Genera Dare, *With 6th Airborne Division in Palestine 1945-1948* [Gale and Polden Ltd, 1949/Kindle 2008]
Wistrich, Robert S., *From Ambivalence to Betrayal: The Left, the Jews, and Israel* [Studies in Antisemitism, University of Nebraska Press, 2012]
Zertel, Idith, *Israel's Holocaust and the Politics of Nationhood* [Cambridge University Press, 2005]

المؤلف في سطور

توماس سواريز

■ يجمع بين وظيفته الأساسية في تدريس الموسيقى واهتمامه بالأبحاث التاريخية.

■ عمل في تدريس الموسيقى بالفرقة الموسيقية الوطنية في فلسطين.

■ كتب كتابا آخر عن فلسطين عنوانه «فلسطين بعد ستين سنة».

■ كتب كتابين مهمين عن الخرائط القديمة لمنطقتي البحر الهادي وجنوب شرق آسيا.

المترجم في سطور

محمد عصفور

■ حصل على الدكتوراه في الأدب الإنجليزي من جامعة إنديانا بالولايات المتحدة (1973).

■ له أبحاث بالإنجليزية عن شلي، وسِـذي، وتوماس مور، وشيكسبير، والدكتور جونسن، وجبرا إبراهيم جبرا. وبالعربية عن جبرا، ومحمود درويش، وأبي القاسم الشابي، وغيرهم.

■ من جهوده في الترجمة ترجمة رواية جبرا «صيادون في شارع ضيق»، و«البدائية» من تحرير آشلي مونتاغيو (العدد 53 من سلسلة عالم المعرفة)، و«مفاهيم نقدية» لرينيه ويليك (العدد 110 من سلسلة عالم المعرفة)، و«تشريح النقد» لنورثرب فراي، و«البنيوية وما بعدها» من تحرير جون ستروك (العدد 206 من سلسلة عالم المعرفة)، و«فجر العلم الحديث» لتوبي هفّ (العدد 260 من سلسلة عالم المعرفة)، و«الرواية والأمة» للباحث پاترك پارندر، و«جينالوجيا الدين» لطلال أسد.

■ نال جائزة مؤسسة الكويت للتقدُّم العلمي للترجمة (1982)، وجائزة جامعة فيلادلفيا للتميُّز في الترجمة (2004)، وجائزة الدولة الأردنية التقديرية للتميُّز في الترجمة (2012).

■ انتُخب أخيرا عضوا في مجمع اللغة العربية (الأردن).

■ من أهم كتبه «نرجس والمرايا» عن جبرا إبراهيم جبرا، و«دراسات في الترجمة ونقدها»، و«درويش»، و«السيّاب»، ودراسات أخرى، وقد صدرت جميعها عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

سلسلة عالم المعرفة

«عالم المعرفة» سلسلة كتب ثقافية تصدر في مطلع كل شهر ميلادي عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت - وقد صدر العدد الأول منها في شهر يناير العام 1978.

تهدف هذه السلسلة إلى تزويد القارئ بمادة جيدة من الثقافة تغطي جميع فروع المعرفة، وكذلك ربطه بأحدث التيارات الفكرية والثقافية المعاصرة. ومن الموضوعات التي تعالجها تأليفا وترجمة:

1 - الدراسات الإنسانية: تاريخ ـ فلسفة - أدب الرحلات - الدراسات الحضارية - تاريخ الأفكار.

2 - العلوم الاجتماعية: اجتماع - اقتصاد - سياسة - علم نفس - جغرافيا - تخطيط - دراسات استراتيجية - مستقبليات.

3 - الدراسات الأدبية واللغوية: الأدب العربي - الآداب العالمية - علم اللغة.

4 - الدراسات الفنية: علم الجمال وفلسفة الفن - المسرح - الموسيقى - الفنون التشكيلية والفنون الشعبية.

5 - الدراسات العلمية: تاريخ العلم وفلسفته، تبسيط العلوم الطبيعية (فيزياء، كيمياء، علم الحياة، فلك) ـ الرياضيات التطبيقية (مع الاهتمام بالجوانب الإنسانية لهذه العلوم)، والدراسات التكنولوجية.

أما بالنسبة إلى نشر الأعمال الإبداعية ـ المترجمة أو المؤلفة ـ من شعر وقصة ومسرحية، وكذلك الأعمال المتعلقة بشخصية واحدة بعينها فهذا أمر غير وارد في الوقت الحالي.

وتحرص سلسلة «عالم المعرفة» على أن تكون الأعمال المترجمة حديثة النشر.

وترحب السلسلة باقتراحات التأليف والترجمة المقدمة من المتخصصين، على ألا يزيد حجمها على 350 صفحة من القطع المتوسط، وأن تكون مصحوبة بنبذة وافية عن الكتاب وموضوعاته وأهميته ومدى جدته وفي حالة الترجمة ترسل نسخة مصورة من الكتاب بلغته الأصلية كما ترفق مذكرة بالفكرة العامة للكتاب، وكذلك يجب أن تدوّن أرقام صفحات الكتاب الأصلي المقابلة للنص المترجم على جانب الصفحة المترجمة، والسلسلة لا يمكنها النظر في أي ترجمة ما لم تكن مستوفية لهذا الشرط. والمجلس غير ملزم بإعادة المخطوطات والكتب الأجنبية في حالة الاعتذار عن عدم نشره. وفي جميع الحالات ينبغي إرفاق سيرة ذاتية لمقترح الكتاب تتضمن البيانات الرئيسية عن نشاطه العلمي السابق.

وفي حال الموافقة والتعاقد على الموضوع ـ المؤلف أو المترجم ـ تصرف مكافأة للمؤلف مقدارها ألفا دينار كويتي وللمترجم مكافأة بمعدل ثلاثين فلسا عن الكلمة الواحدة في النص الأجنبي (وبحد أقصى مقداره ألفان وخمسمائة دينار كويتي).

هذا الكتاب...

لماذا طال الصراع الإسرائيلي - الفلسطيني كل هذه السنين من دون أن يبدو أن ثمة حلا يلوح في الأفق؟ يثبت توماس سواريز في هذا الكتاب، الذي يقوم على بحث بالغ التدقيق في الوثائق والمصادر التاريخية، أن السبب ليس صراعا بين جماعتين عرقيتين مختلفتين هما العرب واليهود، كما يقال في العادة، بل هو اغتصاب فلسطين بالقوة على يد الصهيونية، التي ما هي إلا حركة استيطانية أوروبية تعود أصولها إلى عهد الحركات القومية القائمة على العنصرية.

ISBN 978 - 99906 - 0 - 584- 6



إصدارات المجلس متوافرة إلكترونيا على موقعنا:
WWW.NCCAL.GOV.KW/PUBLICATIONS